www.kotobarabia.com

# موسوعة تاريخ العالم

## الجزء الثاني

# تاريخ العرب و المسلمين

## منذ ظهور الاسلام و حتى العصر المعاصر

www.kotobarabia.com

أنور محمود زناتى

# موسوعة تاريخ العالم

## منذ توحيد القطرين وحتى أحداث ١١سبتمبر

أنور محمود زناتى

## طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى ) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

# الجزء الثاني

## ٢ ـ ١

## تاريخ العرب والمسلمين

## منذ ظهور الاسلام وحتى العصر المعاصر

**ما حمله المسلمون من تراث كان كافيا لايقاظ اوروبا من غفوتها**

**وان لم يحل دون عودة المسلمين الى غفوتهم !!**

**كوندرسيه**

# الفهرس


تاريخ العرب والمسلمين..... ٢٧
ابن الذبيحين. ..... ٢٨
مولد النبي صلى الله عليه وسلم إيذان بزوال الشرك..... ٢٨
محمد يتيماً. ..... ٢٩
محمد في كفالة جده وعمه. ..... ٢٩
محمد في مكة..... ٢٩
من البعثة إلى الوفاة..... ٣٠
بدايات الاحتفال بالمولد النبوي..... ٣٠
كيف نحتفل بالمولد؟..... ٣١
٦٠٧ م. مولد قس بن ساعدة..... ٣٢
٦١٣ م. مولد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ..... ٣٢
٦٢٢ م (١ هـ). هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة الى المدينة المنورة..... ٣٢
٦٢٣ م (٢ هـ). غزوة بدر الكبرى. ..... ٣٨
٦٢٤ م. مولد الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير..... ٤٠
٦٢٥ م (٣ هـ). نشوب غزوة أحد بين المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب الذين خرجوا من مكة للقضاء على الإسلام..... ٤٢
٦٦٢ م. اجلاء بنو المصطلق..... ٤٤
٦٢٦ م (٤ هـ). غزوة ذات الرقاع. ..... ٤٥
٦٢٧ م (٥ هـ). غزوة الأحزاب (الخندق)..... ٤٧
٦٢٨ م (٧ هـ). صلح الحديبية..... ٤٩
شروط الصّلح..... ٥٠
٦٢٨ م (٧ هـ) غزوة خيبر. ..... ٥١
٦٢٨ م (٧ هـ). وفاة الاعشى 7 - ?هـ / ؟ - ٦٢٨م..... ٥٢
٦٣٠م (٨ هـ). قيام الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالتحرك لفتح مكة. ..... ٥٤
٦٣٠ م (٨ هـ). غزوة حنين..... ٥٧
٦٣٠ م (٨ هـ). سرية مؤتة. ..... ٥٨
٦٣٠ م (٨ هـ). وفاة زيد بن حارثة..... ٥٩
٦٣٠ م (٩ هـ). غزوة تبوك..... ٦٠
٦٣١ م (١٠ هـ). عام الوفود. ..... ٦١
٦٣٢ م (١٠ هـ). حجة الوداع..... ٦٢
٦٣٢ م (١١ هـ). تولية الرسول صلى الله عليه وسلم "أسامة بن زيد" إمارة الجيش الذي أرسله لتأمين حدود شبه الجزيرة العربية من هجمات الروم. ..... ٦٣
٦٣٢ م (١١ هـ) خلافة أبو بكر الصديق..... ٦٦

٦٣٢ م. حروب الردة. ..... ٦٧
٦٣٥ م (١٣ هـ) معركة أجنادين. ..... ٧١
٦٣٥ م (١٤ هـ). معركة القادسية الكبرى..... ٧٦
٦٣٤ م. خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١٣ -٢٣ هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م. ..... ٧٨
٦٣٤ م معركة مرج الصفر. ..... ٨٢
٦٣٥ م (١٥ هـ). معركة اليرموك..... ٨٢
٦٣٥ م (١٥ هـ). وفاة عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه. ..... ٨٥
٦٣٥ م. فتح قنسرين ودمشق على يد لبو عبيدة ابن الجراح. ..... ٨٥
٦٣٦ م. مولد ابن النديم. ..... ٨٧
٦٣٧ م. هزيمة المسلمين للفرس فى موقعة جلولاء بالعراق. ..... ٨٧
٦٣٩ م. وفاة معاذ بن جبل..... ٩٠
٦٣٩ م. وفاة ابو عبيدة بن الجراح..... ٩٠
٦٤٠ م. مولد الاخطل. ..... ٩١
٦٤٢ م معركة نهاوند..... ٩١
٦٤٤ م. خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه 35 - 23هـ/ ٦٤٣- ٦٥٥م..... ٩٨
644. وفاة الخنساء. ..... ١٠٣
٦٤٥ م. وفاة كعب بن زهير. ..... ١٠٥
٦٤٨ م. معركة سبيطلة..... ١٠٥
٦٤٨ م. مولد جرير. ..... ١٠٦
٦٥١ م. الخليفة عثمان يأمر بجمع القرآن..... ١٠٦
٦٥٢ م. مولد عبد الرحمن بن عوف..... ١٠٧
٦٥٢ م. مولد ابو الدرداء. ..... ١٠٧
٦٥٥ م (٣٤ هـ). موقعة ذات الصوارى..... ١٠٨
٦٥٦ م. خلافة على بن ابى طالب رضى الله عنه ٣٥ - ٤٠هـ/ ٦٥٥- ٦٦٠م):..... ١٠٩
٦٥٦ م (٣٧ هـ). معركة صفين. ..... ١٠٩
٦٥٦ م. وفاة الحطيئة..... ١١١
٦٥٧ م (٣٧ هـ). وفاة عمار بن ياسر..... ١١١
٦٥٨ م. مولد الفرزدق..... ١١١
٦٦١ م. تولى معاوية الخلافة ويؤسس الدولة الاموية..... ١١٤
٦٦١ م. وفاة لَبيد بن ربيعة العامِري..... ١١٦
٦٦١ م. فتح كابول. ..... ١١٧
استشهاد البطل. ..... ١٢٧
البربـــر. ..... ١٢٨
٦٦٣ م. مولد ابو نواس..... ١٣٠

٦٦٥ م. وفاة زيد بن ثابت. ..... ١٣١
٦٦٩ م. يشمل ولاية عقبة بن نافع الاولى وولاية ابى المهاجر دينار. ..... ١٣٢
٦٧٠ م. وفاة كعب بن مالك الأنصاري. ..... ١٣٣
٦٧٣ م (٥٤ هـ). وفاة حسان ابن ثابت ..... ١٣٣
٦٨٠ م (٦٠ هـ). وفاة معاوية بن ابى سفيان مؤسس الخلافة الأموية. ..... ١٣٤
٦٨٠ م. تولى يزيد بن معاوية. ..... ١٣٥
٦٨٤ م. مروان بن عبد الحكم يتولى شئون الخلافة. ..... ١٣٦
٦٨٥ م. تولى عبد الملك بن مروان امور الخلافة. ..... ١٣٦
٦٨٧ م. وفاة عبد الله بن عباس رضى الله عنه. ..... ١٣٧
٦٩٤ م. ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. ..... ١٣٨
حياته المبكرة. ..... ١٣٨
حرب مكة. ..... ١٣٩
ولاية الحجاج على الحجاز. ..... ١٣٩
أوج الحجاج. ولاية العراق. ..... ١٤٠
حروب الخوارج. ..... ١٤٠
ثورة الأشعث. ..... ١٤١
ولاية الوليد. ..... ١٤١
موت الحجاج. ..... ١٤١
ميراث الحجاج. ..... ١٤٢
مذهبه في الحكم. ..... ١٤٣
الحجاج و أهل العراق و الشام. ..... ١٤٣
وصف تاريخي. ..... ١٤٤
الحجاج في الذاكرة. ..... ١٤٤
٦٩٦ م (٧٣ هـ). عبد الملك بن مروان يضرب اول عملة اسلامية. ..... ١٤٦
شخصيته. ..... ١٤٦
إنجازاته. ..... ١٤٦
قيل عنه. ..... ١٤٦
٦٩٨ م. مولد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين. ..... ١٤٧
٧٠١ م. مولد جميل بثينة. ..... ١٤٨
٧٠٤ م. وفاة خالد بن معاوية. ..... ١٤٨
٧٠٥ م. قتيبة بن مسلم يفتح التركستان واوزبكستان وبخارى وسمرقند وفرغانة وخوارزم الخ. ..... ١٤٩
غزو الصين. ..... ١٥٠
فتح سمرقند. ..... ١٥٢
٧٠٥ م. تولى الوليد بن عبد الملك امور الخلافة. ..... ١٥٥

٧١١ م. نزول "طارق بن زياد" على الهضبة المعروفة باسمه "جبل طارق" بعد عبوره البحر المتوسط إلى الأندلس لفتحها بعد أن تم الاتفاق مع "يلويان" حاكم "سبتة". وقد تمكن طارق بن زياد من تحقيق انتصارات عظيمة مكّنت المسلمين من فتح بلاد الأندلس. ..... ١٥٦
فتحه للأندلس. ..... ١٥٧
٧١١ م (٩٢ هـ). معركة وادى لكه. ..... ١٥٨
التسمية. ..... ١٥٨
ما قبل المعركة. ..... ١٥٨
المعركة. ..... ١٥٩
ما بعد المعركة. ..... ١٥٩
٧١٢ م. موسى بن نصير يعبر الى الاندلس لالستكمال الفتح مع طارق. ..... ١٦٠
الفتـــح. ..... ١٦١
مصاعب في وجه الفتح. ..... ١٦١
موجزر تاريخ الاندلس. ..... ١٦٢
الإعداد. ..... ١٦٢
العبور إلى الأندلس. ..... ١٦٣
معركة برباط. ..... ١٦٣
فتح طليطلة. ..... ١٦٤
عصر الولاة. ..... ١٦٤
الأمويون في الأندلس. ..... ١٦٥
صقر قريش. ..... ١٦٦
ثورات في وجه الأمويين. ..... ١٦٦
خلافات في البيت الأموي. ..... ١٦٧
عصر الأمراء الأمويون. ..... ١٦٨
عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل حكم في الفترة ١٧٢-١٨٠هجرية. ..... ١٦٨
عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن. حكم في الفترة ١٨٠ -٢٠٦ هجرية. ..... ١٦٨
عهد عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٠٦-٢٣٨ هجرية. ..... ١٦٩
فتنة الشهداء القديسين. ..... ١٦٩
عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٣٨-٢٧٣هجرية. ..... ١٦٩
عهد المنذر بن محمد بن عبدالرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٧٣-٢٧٥ هجرية. ..... ١٧٠
عهد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٧٥-٣٠٠هجرية. ..... ١٧٠
عصر الخلافة الأموية ..... ١٧١
عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن (الثالث) بن محمد حكم في الفترة ٣٠٠ - ٣٥٠ هجرية. ..... ١٧١
انجازات الناصر. ..... ١٧١
غزوات الناصر. ..... ١٧١
عهد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر)المستنصر) حكم في الفترة ٣٥٠ - ٣٦٦ هجرية. ..... ١٧٢

الخليفة المؤيد بالله هشام بن المستنصر حكم في الفترة ٣٦٦ – ٣٩٩ هجرية. ..... ١٧٢
مجلس الوصاية. ..... ١٧٣
ظهور ابن أبي عامر..... ١٧٣
الدولة العامرية ..... ١٧٥
الحاجب المنصورمحمد ابن أبي عامر حكم في الفترة من ٣٧٠-٣٩٢هجرية..... ١٧٥
بسط السيطرة على المغرب. ..... ١٧٥
غزوات المنصور..... ١٧٦
الحاجب المظفر عبد الملك بن محمد العامري حكم في الفترة ٣٩٢ -٣٩٩ هجرية. ..... ١٧٧
الحاجب المأمون عبد الرحمن بن محمد العامرى (شنجول) تولى الحكم ثلاثة أشهر..... ١٧٧
مسجد قرطبة عبر العصور..... ١٧٧
مسيرة طويلة... قبل الكمال. ..... ١٧٨
أسباب وجيهة وراء الاهتمام البالغ..... ١٧٨
الخطوات الأولى في الصرح المشيد. ..... ١٧٨
مساحات وأبعاد البناء الأول..... ١٧٩
تتابع الجهود بعد المرحلة الأولى. ..... ١٧٩
المنارة البديعة..... ١٨٠
جامع قرطبة... أول قرارات المستنصر. ..... ١٨١
محراب قرطبة... لا نظير له..... ١٨١
قنوات ماء... ومقاصير للخدمات العامة. ..... ١٨٢
آخر الزيادات في التحفة القرطبية..... ١٨٢
نشاط علمي رائد. ..... ١٨٣
الأسبان... يعاقبون جامع قرطبة. ..... ١٨٣
٧١٣ م. مولد بشار بن برد ..... ١٨٤
٧١٥ م. تولى سليمان بن عبد الملك امور الخلافة. ..... ١٨٤
٧١٦ م. مولد سفيان الثورى. ..... ١٨٥
٧٢٠ م (١٠١ هـ). وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، المعروف بخامس الخلفاء الراشدين، وهو الخليفة الثامن في سلسلة خلفاء الدولة الأموية، وشهدت الدولة في فترة خلافته أزهى عصورها؛ حيث ساد العدل والمساواة، ونَعِم الناس بالأمن والرخاء..... ١٨٦
مبايعته بالخلافة..... ١٨٦
ما دار بينه وبين ابنه بعد توليه الخلافة. ..... ١٨٦
عدله. ..... ١٨٧
وفاته..... ١٨٧
٧٢٠ م. تولى الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك بن مروان مقاليد الدولة الأموية، خلفا لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهو يعد الخليفة التاسع في سلسلة خلفاء بني أمية، ولم يستطع يزيد أن يسير بالدولة على ما كانت عليه في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز من العدل والمساواة..... ١٨٧
٧٢١ م. مولد جابر بن حيان..... ١٨٨

إسهاماته العلمية. ..... ١٨٨
وقد قسم جابر المواد حسب خصائصها إلى ثلاثة أنواع مختلفة، وهي. ..... ١٨٩
مؤلفاته..... ١٨٩
تعود شهرة جابر بن حيان إلى مؤلفاته العديدة، ومنها. ..... ١٨٩
أصل كلمة كيمياء. ..... ١٩٠
علماء المسلمين حرروا علم الكيمياء من الخرافة..... ١٩٠
مؤلفاته..... ١٩٢
من أهم هذه الكتب. ..... ١٩٢
٧٢٣ م (١٠٥ هـ). وفاة ابان بن عثمان بن عفان. ..... ١٩٣
٧٢٤ م. هشام بن عبد الملك يتولى امور الخلافة..... ١٩٣
٧٢٤ م. مولد ابن المقفع. ..... ١٩٣
٧٢٩ م (١١٠ هـ). وفاة أبي بكر محمد بن سيرين رائد علم تفسير الأحلام، أحد أئمة ورواة الحديث من التابعين، وهو أحد الفقهاء المعدودين المعروفين بالزهد والورع. ..... ١٩٤
ومن عجائب تفسيره للأحلام..... ١٩٥
٧٣١ م. تأسيس جامع الزيتونة..... ١٩٦
تعدّدت الروايات... والجامع واحد. ..... ١٩٦
٧٣٢ م (١١٤ هـ). معركة بلاط الشهداء. ..... ١٩٨
ولاية السمح بن مالك. ..... ١٩٩
الاتجاه إلى الفتح. ..... ١٩٩
العودة إلى الأندلس. ..... ٢٠٠
التسمية. ..... ٢٠١
ما قبل المعركة..... ٢٠١
المعركة. ..... ٢٠٢
ما بعد المعركة..... ٢٠٣
٧٣٢ م. وفاة بن منبه..... ٢٠٤
٧٣٢ م. وفاة الضحاك بن قيس. ..... ٢٠٤
٧٤٧ م. مولد محمد بن عمر الواقدى..... ٢٠٤
٧٤٧ م. مولد ابو العتاهية 211 - 130هـ 826 - 747 / م..... ٢٠٥
٧٥٠ م (١٣٢ هـ). معركة الزاب وبدء النهاية للدولة الاموية وبداية الدولة العباسية..... ٢٠٥
أحوال الدولة الأموية..... ٢٠٧
ولاية مروان بن محمد. ..... ٢٠٧
اشتعال الثورات ضد الخليفة. ..... ٢٠٨
محاولة الصلح بين أبناء البيت الأموي. ..... ٢٠٨
ثورات الخوارج. ..... ٢٠٩
ظهور العباسيين..... ٢٠٩

النهاية الحزينة وسقوط الدولة. ..... ٢١٠
٧٥٠ م. قيام الخلافة العباسية..... ٢١٠
المعالم الحضارية للدولة العباسية. ..... ٢١١
العلم والفكر. ..... ٢١٢
٧٥٦ م (١٣٨ هـ). عبد الرحمن الداخل يعبر للاندلس ويتولى امارتها. ..... ٢١٣
صفاته..... ٢١٣
خدعة العباسيين..... ٢١٤
مقتل يحيى بن معاوية..... ٢١٤
السعي إلى الفرار..... ٢١٤
صورة دامية. ..... ٢١٤
الوصول إلى إفريقية..... ٢١٥
عبد الرحمن عند أخواله من البربر..... ٢١٥
الطريق إلى الأندلس. ..... ٢١٦
ودقت طبول الحرب. ..... ٢١٦
الانتصار العظيم وميلاد دولة الأمويين في الأندلس..... ٢١٦
٧٦١ م. مولد اسد بن الفرات..... ٢١٧
٧٦٢ م (١٤٥ هـ). تأسيس مدينة بغداد على يد ابو جعفر المنصور. ..... ٢١٨
التاريخ ..... ٢١٩
٧٦٧ م. مولد ابن سلام الجمحى. ..... ٢١٩
نشأته وطلبه للعلم..... ٢٢٠
سبب طلبه للفقه. ..... ٢٢١
ثناء العلماء على فقهه وعلمه..... ٢٢٢
٧٧٧ م. مولد ابن ماسويه. ..... ٢٢٢
٧٨٠ م. مولد مولد الجاحظ..... ٢٢٣
٧٨٦ م. تولي الخليفة العباسي "هارون الرشيد بن محمد المهدي" الخلافة العباسية بعد أخيه موسى الهادي، والرشيد هو الخليفة الخامس من خلفاء الدولة العباسية. ..... ٢٢٦
توليه الخلافة. ..... ٢٢٦
فدعا بدواة وكتب تحته بخطه. ..... ٢٢٦
ولداود بن رزين الواسطى فيه..... ٢٢٦
حبه للعلماء. ..... ٢٢٧
بكاؤه عند سماع الموعظة. ..... ٢٢٨
٧٨٦ م. مولد الخليل بن احمد الفراهيدى. ..... ٢٢٩
٧٨٩ م. تأسيس دولة الادارسة بالمغرب..... ٢٢٩
نهاية الأدارسة بالمغرب. ..... ٢٣٥
تأسيس مدينة فاس ..... ٢٣٦

تاريخ ..... ٢٣٦
مدرسة بن يوسف..... ٢٣٦
بناء مسجد القرويين بفاس..... ٢٣٨
المسجد عبر العصور..... ٢٣٨
فاطمة بنت محمد بن عبدالله الفهري. ..... ٢٣٨
صورة مفصلة لعمل جليل..... ٢٣٨
مريم... أخت فاطمة. ..... ٢٣٩
في أيام بني زناته. ..... ٢٣٩
الدور المريني..... ٢٤٠
وجهود طيبة للمرابطين..... ٢٤٠
خوف من الموحدين... واخفاء للزخرفة. ..... ٢٤١
أرقام ومعلومات. ..... ٢٤١
مركز اشعاع علمي رائد. ..... ٢٤٢
موقع المدينة: ..... ٢٤٢
المساجد: ..... ٢٤٣
٧٨٦ م. نشوب معركة "فخ" بالقرب من مكة بين العلويين والدولة العباسية، وانتهت بانتصار العباسيين، وقد تمكن أحد أبناء البيت العلوي "إدريس بن عبد الله" من النجاة بنفسه، والفرار إلى المغرب الأقصى حيث نجح في إقامة دولة هناك، عُرفت بدولة الأدارسة..... ٢٤٦
معركة فخ بالقرب من مكة: ..... ٢٤٧
نجاة إدريس بن عبد الله: ..... ٢٤٧
رحلة شاقة. ..... ٢٤٨
في وليلى..... ٢٤٨
فتح تلمسان.. وبناء مسجدها ..... ٢٤٩
٧٩٥ م (١٧٩ هـ). وفاة الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ومؤسس المذهب المالكي، وصاحب كتاب الموطَّأ..... ٢٥٠
نسبه..... ٢٥٠
نشأته و مشائخه. ..... ٢٥٠
من صفاته. ..... ٢٥١
وفاته. ..... ٢٥٢
آثاره..... ٢٥٢
٨٠٠ م. مولد الفيلسوف الكندى ..... ٢٥٢
إسهاماته العلمية..... ٢٥٣
مؤلفاته..... ٢٥٤
٨٠١ م مولد يعقوب ابن السكيت ..... ٢٥٥
مخطوطة نادرة للسكيت..... ٢٥٥

٨٠٣ م. مقتل جعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد، في النكبة المعروفة بـ"نكبة البرامكة" الذين كانوا يتولون شئون الدولة في مطلع الخلافة العباسية، حيث عزلهم هارون الرشيد من مناصبهم، وقتل بعضهم بسبب اتهامهم بأسباب متعددة ذكرها المؤرخون، منها استبدادهم بالأمر دون هارون الرشيد، ومنها اتهامهم بالزندقة. ..... ٢٥٦
مكانة البرامكة. ..... ٢٥٦
٨٠٦ م. وفاة يوحنا ابن البطريق ..... ٢٥٩
٨٠٧ م. وفاة العباس بن الاحنف ..... ٢٥٩
٨٠٩ م. بدء الفتنة بين الامين واخيه المأمون ..... ٢٦٠
٨١٠ م. مولد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بالبخاري، أمير المؤمنين في الحديث النبوي، وصاحب الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري، أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى. وللبخاري مؤلفات أخرى عظيمة، يأتي في مقدمتها. التاريخ الكبير، والتاريخ الصغير، والأدب المفرد. ..... ٢٦٢
نسبه ومولده. ..... ٢٦٣
طلبه للحديث. ..... ٢٦٤
مؤلفات البخاري. ..... ٢٦٥
دقته واجتهاده. ..... ٢٦٥
تفوقه على أقرانه في الحديث. ..... ٢٦٦
وفاة البخاري. ..... ٢٦٧
٨١٣ م. مولد حنين بن اسحق. ..... ٢٦٨
٨١٩ م. مولد ابن طيفور ..... ٢٧٠
٨٢٠ م. وفاة الإمام محمد بن إدريس بن العباس، المعروف بالشافعي، مؤسس المذهب الشافعي، وواضع علم الأصول، وناصر السنة. ولد بغزة، وتلقى تعليمه في مكة والمدينة وبغداد، وانتهى به المطاف في مصر، وظل بها إلى أن توفي. ترك مؤلفات عظيمة، أهمها كتابا. الأم، والرسالة. ..... ٢٧١
إسمه و مولده و كنيته: ..... ٢٧١
سيرته. ..... ٢٧١
مصنفاته. ..... ٢٧٢
وفاته. ..... ٢٧٢
٨٢١ م. مولد ابن خرداذبة ..... ٢٧٣
٨٢١ م (٢٠٥ هـ). بداية الدولة الطاهرية فى خراسان. ..... ٢٧٤
٨٢٦ م. مولد ثابت بن قرة ..... ٢٧٧
٨٢٧ م. فتح صقلية على يد اسد بن الفرات ..... ٢٧٨
فتح صقلية.. ..... ٢٧٩
صقلية بعد الفتح. ..... ٢٨٠
أثر الفتح الإسلامي لصقلية. ..... ٢٨٠
العهد العربي النورماندي. ..... ٢٨١
النورمانديون.. أنصار الثقافة العربية. ..... ٢٨٢
الخلاصة. ..... ٢٨٤

٨٣٣ م. وفاة سند بن على ..... ٢٨٥
٨٣٣ م (٢١٨ هـ). وفاة الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، الخليفة السابع في سلسلة خلفاء الدولة العباسية. ..... ٢٨٦
الطريق إلى العرش. ..... ٢٨٦
القضاء على الفتن والثورات..... ٢٨٧
من ثمار النهضة العلمية..... ٢٨٧
النهضة العلمية والحضارية في عصر المأمون ..... ٢٨٧
ازدهار حركة الترجمة في عصر المأمون..... ٢٨٨
المأمون والروم. ..... ٢٨٨
٨٣٣ م. عهد الخليفة العباسى المعتصم وبدء السيطرة التركية..... ٢٨٩
حدود الدولة العباسية. ..... ٢٨٩
ولاية المعتصم بالله. ..... ٢٩٠
القضاء على الفتن والثورات..... ٢٩٠
بناء سامرّاء..... ٢٩٢
وامعتصماه.. فتحت عمورية..... ٢٩٣
وفاة المعتصم. ..... ٢٩٥
٨٣٣ م (٢٢٣ هـ). فتح عمورية..... ٢٩٥
النفير..... ٢٩٦
فتح أنقرة..... ٢٩٦
حصار عمورية..... ٢٩٧
٨٣٣ م. مولد ابن مسرة..... ٢٩٨
٨٣٤ م. وفاة الأزرقى..... ٢٩٩
٨٣٦ م. جعل سامراء عاصمة للخلافة العباسية بدلا عن بغداد..... ٢٩٩
المئذنة الملوية. ..... ٣٠٠
مساجد سامراء..... ٣٠٠
المراقد والمقامات..... ٣٠١
٨٣٩ م. مولد ابن جرير الطبرى..... ٣٠١
٨٤٠ م. مولد اليعقوبى. ..... ٣٠١
٨٤٥ م. وفاة زرياب. ..... ٣٠٢
٨٥٠ م. وفاة الخوارزمى..... ٣٠٣
إسهاماته العلمية..... ٣٠٤
مؤلفاته..... ٣٠٤
٨٥٥ م (٢٤١ هـ). وفاة الإمام أحمد بن حنبل، أحد أئمة الفقه الإسلامي، وصاحب المذهب الحنبلي المعروف. ..... ٣٠٥
مذهبه. ..... ٣٠٥

محنته. ..... ٣٠٦
وفاته. ..... ٣٠٧
الإمام ابن حنبل بين فكّي التاريخ..... ٣٠٧
مؤلفاته..... ٣٠٨
٨٥٨ م. مولد البتانى..... ٣٠٨
إسهاماته في الفلك..... ٣٠٩
إسهاماته في الرياضيات..... ٣٠٩
مؤلفاته..... ٣٠٩
٨٥٩ م. تأسيس جامع القرويين. ..... ٣١١
جامعة القرويين. ..... ٣١٢
٨٦٠ م. مولد ابن عبد ربه الاندلسى..... ٣١٢
فكرة العقد الفريد..... ٣١٣
تفرد العقد الفريد. ..... ٣١٣
منهج التأليف للعقد. ..... ٣١٣
٨٦١ م. مولد ابن المعتز. ..... ٣١٤
٨٦١ م. وفاة الفرغانى ..... ٣١٥
إسهاماته العلمية..... ٣١٥
مؤلفاته..... ٣١٥
٨٦٥ م. مولد ابو بكر الرازى ..... ٣١٥
إسهامات الرازي في الطب..... ٣١٦
إسهاماته في الكيمياء. ..... ٣١٦
مؤلفاته..... ٣١٧
٨٦٩ م. الاغالبة يفتحون مالطة ..... ٣١٨
الدولة الأغلبية..... ٣١٩
٨٦٩ م. ثورة الزنج فى جنوب العراق..... ٣٢٠
الموفق والقضاء على ثورة الزنج. ..... ٣٢٠
محاولة نقل الخلافة للقاهرة..... ٣٢١
ملامح حضارية..... ٣٢١
وفاة الموفق..... ٣٢٢
٨٦٩ م. وفاة ابن سهل. ..... ٣٢٢
٨٧٠ م. وفاة بختيشوع بن جبرائيل..... ٣٢٣
٨٧٠ م. مولد الفارابى. ..... ٣٢٣
إسهاماته العلمية..... ٣٢٤
مؤلفاته..... ٣٢٤

٨٧٤ م. وفاة المروزي. ..... ٣٢٥
٨٧٤ م (٢٦٠ هـ). تأسيس الدولة السامانية. ..... ٣٢٥
الدولة السامانية: ..... ٣٢٦
٨٨٠ م. وفاة الماهانى. ..... ٣٢٨
٨٩٠ م. بداية ظهور القرامطة فى العراق. ..... ٣٢٩
أشهر الشخصيات. ..... ٣٣٠
نشر مذهبهم. ..... ٣٣٢
قرامطة البحرين وخروجهم على الخلافة. ..... ٣٣٤
قرامطة الشام. ..... ٣٣٦
خروجهم عن الخلافة. ..... ٣٣٧
القرامطة في العصر الحديث. ..... ٣٣٨
٨٩٥ م. وفاة ابو حنيفة الدينورى. ..... ٣٣٨
٨٩٥ م. وفاة احمد بن داوود. ..... ٣٣٩
٩٠٣ م. وفاة ابن رسته يتم عمله الشهير الأعلاق النفيسة. ..... ٣٣٩
٩٠٨ م. مولد ابراهيم بن سنان. ..... ٣٤٠
٩٠٨ م. وفاة اسحاق بن حنين. ..... ٣٤١
٩٠٨ م. وفاة ابن المعتز. ..... ٣٤١
قيام الدولة الفاطمية ..... ٣٤٢
عبيد الله المهدي. ..... ٣٤٣
خلاقة عبيد الله الفاطمي. ..... ٣٤٤
بناء المهدية. ..... ٣٤٤
التفكير في غزو مصر. ..... ٣٤٥
وفاة عبيد الله المهدي. ..... ٣٤٥
٩١٢ م. مولد ابن جنى. ..... ٣٤٦
٩١٢ م. وفاة قسطا بن لوقا. ..... ٣٤٦
٩١٢ م. وفاة الاصطخرى. ..... ٣٤٦
٩١٥ م (٣٠٣ هـ). وفاة الامام النسائى. ..... ٣٤٧
٩٢٠ م. مولد ابن حوقل. ..... ٣٤٧
٩٢٩. الدولة الحمدانية. ..... ٣٤٨
بنو تغلب عبر التاريخ ..... ٣٤٨
ظهور وتغلغل. ..... ٣٤٩
سيف الدولة.. الأمير الفارس. ..... ٣٤٩
الانتصار على البيزنطيين. ..... ٣٥٠
نهضة شاملة. ..... ٣٥٢

٩٣٢ م (٣٢٠ هـ). الدولة البويهية..... ٣٥٤
٩٣٢ م. مولد ابو فراس الحمدانى..... ٣٥٦
٩٣٣ م. وفاة ابن دريد..... ٣٥٦
٩٣٨ م. مولد الصاحب بن عباد..... ٣٥٦
وزراء بني بويه..... ٣٥٧
الصاحب بن عباد..... ٣٥٧
منصب الوزارة. ..... ٣٥٨
ثقافة متنوعة. ..... ٣٥٨
رسائل الصاحب.. وثائق مهمة. ..... ٣٥٩
٩٤٠ م. وفاة متى بن يونس..... ٣٦٠
٩٤٠ م. مولد الزهراوى..... ٣٦٠
٩٤٢ م. وفاة سنان بن ثابت..... ٣٦٢
٩٤٦ م. مولد المقدسى. ..... ٣٦٣
٩٥٠ م. مولد المجريطى. ..... ٣٦٣
إسهاماته العلمية..... ٣٦٣
مؤلفاته..... ٣٦٤
٩٥٠ م. مولد ابو بكر الباقلانى..... ٣٦٤
٩٥١ م. وفاة ابن الداية..... ٣٦٥
٩٥٦ م (٣٤٥ هـ). وفاة المسعودى ..... ٣٦٥
٩٥٨ م. مولد ابن دراج القسطلى..... ٣٦٦
٩٦٢ م (٣٥١ هـ). الدولة الغزنوية..... ٣٦٧
قيام الدولة الغزنوية. ..... ٣٦٨
ولاية محمود بن سبكتكين..... ٣٦٨
فتح الهند. ..... ٣٦٩
النهضة الحضارية والثقافية. ..... ٣٧٠
٩٦٥ م (٣٥٤ هـ). وفاة ابو الطيب المتنبى. ..... ٣٧١
نسبه و مولده..... ٣٧١
من أين جاء لقب المتنبي؟..... ٣٧١
المتنبي و سيف الدولة الحمداني..... ٣٧١
المتنبي و كافور الإخشيدي..... ٣٧٢
مقتله. ..... ٣٧٣
٩٦٦ م (٣٥٦ هـ). وفاة سيف الدولة الحمداني أبرز أمراء الدولة الحمدانية، وباعث النهضة الحضارية والثقافية في عهد الحمدانيين..... ٣٧٤
٩٦٦ م (٣٥٦ هـ). وفاة سيف الدولة الحمداني أبرز أمراء الدولة الحمدانية، وباعث النهضة الحضارية والثقافية في عهد الحمدانيين..... ٣٧٥

المولد والنشأة. ..... ٣٧٥
الانتصار على البيزنطيين..... ٣٧٦
الصراع مع الإخشيديين..... ٣٧٦
أعماله العسكرية. ..... ٣٧٦
نهضة شاملة..... ٣٧٨
في موكب العلم والتدريس..... ٣٨٠
شخصيته..... ٣٨١
كتاب الأغاني..... ٣٨٢
مختصرات الأغاني..... ٣٨٣
٩٧٣ م. مولد العالم العربي أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، أحد أساطين علماء العرب في الفلك والرياضيات والجغرافيا والجيولوجيا، له مؤلفات كثيرة تزيد عن ١٢٠ مؤلفًا، من أشهرها. القانون المسعودي، والآثار الباقية، والصيدنة في الطب... ..... ٣٨٤
٩٧٣ م (٣٦٣ هـ). مولد ابو العلاء المعرى..... ٣٨٧
٩٧٧ م. وفاة ابن القوطية..... ٣٨٧
٩٨٠ م. وفاة عريب ابن سعد..... ٣٨٨
٩٨٠ م. وفاة ابن خالويه..... ٣٨٨
٩٨٥ م. مولد ابو اسحق الالبيرى ..... ٣٨٨
٩٨٥ م. وفاة السجستانى. ..... ٣٨٨
٩٨٨ م. وفاة السرخسى..... ٣٨٩
٩٨٩ م. وفاة اللغوي الأديب "أبو بكر الزبيدي" أحد أعلام النحو واللغة والأدب في الأندلس، وصاحب كتابي. "لحن العامة"، و"طبقات النحويين واللغويين"؛ ومؤدب الخليفة "هشام بن الحكم"..... ٣٨٩
الزبيدي في قرطبة. ..... ٣٩٠
الزبيدي شاعرًا. ..... ٣٩١
٩٩٤ م. مولد الإمام الكبير "محمد بن علي بن أحمد بن سعيد"، المعروف بابن حزم، أحد أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجري، وصاحب المؤلفات المعروفة في الفقه والتاريخ ومقارنة الأديان، من أشهرها. "المحلى"، "الفصل في الملل والأهواء والنحل"..... ٣٩٢
٩٩٨ م. وفاة ابو الوفاء البوزجانى. ..... ٣٩٣
إسهاماته العلمية..... ٣٩٣
مؤلفاته..... ٣٩٤
١٠٠٠ م. وفاة الكوهى. ..... ٣٩٤
١٠٠٢ م. وفاة المنصور الحاجب ابن ابى عامر فى الاندلس..... ٣٩٥
١٠٠٢ م. مولد ابن سيدة. ..... ٣٩٨
١٠٠٣ م. مولد ابو اسحاق الشيرازى..... ٣٩٨
١٠٠٣ م. مولد الأديب والشاعر الاندلسى ابن زيدون..... ٣٩٨
الميلاد والنشأة. ..... ٣٩٩
كفالة الجد. ..... ٣٩٩

ابن زيدون متعلمًا. ..... ٤٠٠
.. وزيرًا. ..... ٤٠٠
ابن زيدون وولادة. ..... ٤٠١
الفرار من السجن. ..... ٤٠١
في إشبيلية. ..... ٤٠٢
المؤامرة على الشاعر. ..... ٤٠٢
غزليات ابن زيدون. ..... ٤٠٣
الوصف عند ابن زيدون. ..... ٤٠٣
الإخوانيات الشعرية عند ابن زيدون. ..... ٤٠٤
الفنون النثرية عند ابن زيدون. ..... ٤٠٤
اشهر قصائده. ..... ٤٠٥
١٠٠٣ م. مولد الرحالة ناصر خسرو. ..... ٤٠٧
١٠٠٨ م. وفاة الزهراوى. ..... ٤٠٨
إسهاماته العلمية. ..... ٤٠٨
مؤلفاته. ..... ٤٠٨
١٠٠٨ م. وفاة ابن يونس. ..... ٤٠٩
إسهاماته. ..... ٤٠٩
مؤلفاته. ..... ٤١٠
١٠٠٩ م. وفاة ابن الجزار. ..... ٤١٠
إسهاماته العلمية. ..... ٤١٠
مؤلفاته. ..... ٤١٠
١٠١٠ م. وفاة ابو سهل الجرجانى. ..... ٤١١
١٠١٠ م. وفاة على بن عيسى الكحال. ..... ٤١١
١٠١٢ م. وفاة ابن الفرضىك ..... ٤١١
١٠١٨ م. مولد الوزير أبي يعلى الحسن بن علي بن إسحاق، المعروف بنظام الملك، أحد مشاهير الوزراء في الدولة السلجوقية، ومن عظماء الرجال في التاريخ الإسلامي، ارتبط اسمه بالمدارس التي أنشأها، وعُرفت بالمدارس النظامية. ..... ٤١٢
بداية ظهور الوزير. ..... ٤١٢
تولي الوزارة. ..... ٤١٣
نظام الملك وملكشاه. ..... ٤١٣
المدارس النظامية. ..... ٤١٤
نهاية نظام الملك. ..... ٤١٥
١٠٢٣ م. دولة بنى عباد. ..... ٤١٥
بنو عباد في إشبيلية. ..... ٤١٦
المعتمد بن عباد. ..... ٤١٧

صحوة ملوك الطوائف. ..... ٤١٨
الاستعانة بالمرابطين..... ٤١٨
معركة الزلاقة..... ٤١٨
سقوط دول الطوائف..... ٤١٩
سقوط إشبيلية. ..... ٤١٩
المعتمد بن عباد في المنفى..... ٤٢٠
١٠٢٤ م. مولد السجزى. ..... ٤٢١
١٠٢٦ م. مولد اللغوى صاعد البغدادى. ..... ٤٢١
١٠٢٤ م (٤١٨ هـ). وفاة أبو إسحاق الإسفراييني..... ٤٢٢
١٠٢٨ م. مولد إمام الحرمين أبو المعالي الجويني. ..... ٤٢٢
١٠٢٩ م. مولد الزرقالى. ..... ٤٢٣
إسهاماته العلمية..... ٤٢٣
مؤلفاته..... ٤٢٤
١٠٣٠ م. وفاة مسكويه. ..... ٤٢٤
١٠٣٥ م. وفاة احمد بن عبد الله بن الصفار..... ٤٢٥
١٠٣٦ م. قيام دولة بنى ذى النون فى طليطلة..... ٤٢٦
الاستعانة بالقشتاليين..... ٤٢٦
صراع في مملكة قشتالة..... ٤٢٧
ولاية حفيد المأمون..... ٤٢٧
أطماع ملك قشتالة. ..... ٤٢٨
سقوط طليطلة..... ٤٢٨
١٠٣٧ م. تأسيس الدولة السلجوقية..... ٤٢٩
سلاجقة كرمان ١٠٤١-١١٨٧. ..... ٤٣١
١٠٣٧ م (٤٢٨ هـ). وفاة ابن سينا..... ٤٣١
إسهاماته الطبية..... ٤٣٢
إسهاماته العلمية في علوم أخرى..... ٤٣٣
مؤلفاته..... ٤٣٣
١٠٣٨ م. مولد عمر الخيام..... ٤٣٤
١٠٣٨ م (٤٣٠ هـ). وفاة ابن الهيثم..... ٤٣٥
إسهاماته في البصريات..... ٤٣٥
إسهاماته في الرياضيات..... ٤٣٦
إسهاماته في الفلك..... ٤٣٦
مؤلفاته..... ٤٣٦
١٠٤٨ م. وفاة البيرونى. ..... ٤٣٧

إسهاماته العلمية. ..... ٤٣٨
مؤلفاته..... ٤٣٩
١٠٥٨ م (٤٥٠ هـ). وفاة الفقيه الشافعي "علي بن محمد البصري الماوردي" صاحب كتاب أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، وقوانين الوزارة.... ..... ٤٤٠
١٠٥٨ م. مولد ابن خفاجة..... ٤٤١
١٠٦١ م. وفاة ابن رضوان. ..... ٤٤٢
إسهاماته العلمية..... ٤٤٢
مؤلفاته..... ٤٤٣
١٠٦٣ م. وفاة ابن ابى الرجال..... ٤٤٣
١٠٧١ م (٤٦٤ هـ). معركة مانزكرت (ملاذكرد). ..... ٤٤٤
ألب أرسلان. ..... ٤٤٥
غرور القوة. ..... ٤٤٥
الاستعداد للقاء..... ٤٤٦
ساعة اللقاء في ملاذكرد..... ٤٤٦
إطلاق سراح الإمبراطور. ..... ٤٤٧
نتائج معركة ملاذكرد..... ٤٤٧
١٠٧١ م. مولد ابن القلانسى..... ٤٤٨
١٠٧٤ م. وفاة الب ارسلان. ..... ٤٤٨
١٠٧٥ م. مولد الزمخشرى..... ٤٤٨
١٠٧٦ م. مولد ابن العربى. ..... ٤٤٩
١٠٧٨ م. مولد الفتح بن خاقان..... ٤٤٩
١٠٨٦ م. الأندلسيون والمرابطون بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين ينتصرون على النصارى الأسبان بقيادة ألفونس السادس في موقعة "الزلاقة" المجيدة ويحطمون قواته، وكانت المعركة سببًا في استمرار الوجود الإسلامي بالأندلس قرنين ونصف القرن من الزمان١٠٩٧ م. محاولة "دقاق" ملك دمشق نجدة إنطاكية المحاصرة من قبل الصليبيين. ..... ٤٥٠
صحوة ملوك الطوائف. ..... ٤٥١
رعي الإبل لا الخنازير..... ٤٥١
عبور المرابطين..... ٤٥٢
عبور المرابطين ثانية..... ٤٥٢
العبور الثالث..... ٤٥٣
دخول المرابطين قرطبة..... ٤٥٣
١٠٨٦ م. مولد الشهرستانى. ..... ٤٥٤
١٠٩٠ م. الحسن الصباح زعيم الحشاشية الباطنية يحتل حصن الاموت ويتخذه مقراً لدولة الحشاشية الباطنية. ..... ٤٥٤
١١٠٠ م. مولد ابن بشكوال. ..... ٤٥٨
١١٠١ م. مولد ابن زهر. ..... ٤٥٩

١١٠٥ م. مولد ابن عساكر. ..... ٤٦٠
١١١٦ م. مولد ابن الجوزى. ..... ٤٦٠
١١١٦ م. وفاة جابر بن أفلح. ..... ٤٦١
١١٢١ م (٥١٥ هـ). تأسيس امارة الموحدين فى المغرب على انقاض دولة المرابطين. ..... ٤٦٢
نشأة عبد المؤمن علي الكومي. ..... ٤٦٣
بداية الصدام مع دولة المرابطين. ..... ٤٦٤
الكومي زعيمًا للموحدين. ..... ٤٦٤
سقوط دولة المرابطين. ..... ٤٦٤
استكمال الفتح. ..... ٤٦٥
عبد المؤمن بن علي في التاريخ. ..... ٤٦٦
١١٢٢ م. مولد ابن شداد. ..... ٤٦٧
١١٢٥ م. مولد عماد الدين الكاتب. ..... ٤٦٧
١١٢٦ م. مولد ابن رشد. ..... ٤٦٨
إسهاماته العلمية. ..... ٤٦٩
مؤلفاته. ..... ٤٦٩
١١٢٨ م. مولد الجوينى. ..... ٤٧٠
١١٣٥ م. مولد موسى بن ميمون. ..... ٤٧١
١١٣٦ م. وفاة ابو الفضائل الجرجانى. ..... ٤٧١
١١٣٨ م. وفاة ابن باجه. ..... ٤٧١
إسهاماته العلمية. ..... ٤٧٢
مؤلفاته. ..... ٤٧٢
١١٣٩ م. مولد رضى الدين الرحبى. ..... ٤٧٣
١١٤٠ م. وفاة البديع الاسطرلابي. ..... ٤٧٣
١١٤٥ م. مولد الرحالة ابن جبير. ..... ٤٧٤
١١٤٨ م. وفاة ابن بسام الشنترينى. ..... ٤٧٥
١١٥٠ م. مولد الفقيه والأصولي الكبير "محمد بن عمر بن الحسين بن علي"، المعروف بـ "فخر الدين الرازي"، صاحب تفسير القرآن الكريم "مفاتيح الغيب" وهو من أجلِّ التفاسير وأشهرها، وقد تجاوزت مؤلفاته أكثر من مائة كتاب. ..... ٤٧٦
١١٥٣ م. الجغرافى الشريف الادريسى يرسم خريطة للعالم. ..... ٤٧٧
ترجمة. ..... ٤٧٧
أهم الأعمال. ..... ٤٧٧
١١٥٥ م. مولد السهروردى. ..... ٤٧٨
١١٦٠ م. مولد المؤرخ ابن الأثير. ..... ٤٨٠
١١٦١ م. مولد عبد اللطيف البغدادى. ..... ٤٨٠
١١٦٥ م. مولد ابن الجزرى. ..... ٤٨٢

١١٧١ م. صلاح الدين يسقط الخلافة الفاطمية ويدعو للخليفة العباسى على المنابر. ..... ٤٨٤
نسبه ونشأته..... ٤٨٤
صلاح الدين في مصر..... ٤٨٥
هجوم الإفرنج على مصر..... ٤٨٧
تأسيس الدولة الأيوبية..... ٤٨٧
توسع الدولة الأيوبية..... ٤٨٩
المواجهة مع الإفرنجة. ..... ٤٩٠
معركة حطين..... ٤٩١
من مواقف صلاح الدين..... ٤٩٢
تحرير عكا وما حولها..... ٤٩٢
تحرير القدس. ..... ٤٩٣
حصار صور..... ٤٩٥
بقية فتوح الشام..... ٤٩٥
الصليبيون في عكا..... ٤٩٧
الصلح مع الصليبيين. ..... ٥٠٠
أواخر أيامه. ..... ٥٠١
وفاة صلاح الدين..... ٥٠٢
١١٧٩ م. مولد ياقوت الحموى. ..... ٥٠٤
١١٨١ م. مولد العز بن عبد السلام..... ٥٠٥
الوظائف. ..... ٥٠٦
الخطابة في الجامع الأموي..... ٥٠٦
في القاهرة. ..... ٥٠٧
بائع الأمراء..... ٥٠٧
مع الظاهر بيبرس. ..... ٥٠٨
مؤلفاته وجهوده العلمية..... ٥٠٩
وفاته. ..... ٥٠٩
١١٨١ م. مولد ابن الفارض..... ٥٠٩
١١٨٣ م. مولد الخزرجي. ..... ٥١٠
١١٨٥ م. وفاة ابن طفيل..... ٥١١
إسهاماته العلمية..... ٥١١
مؤلفاته..... ٥١٢
١١٨٥ م. مولد عبد الواحد المراكشى. ..... ٥١٢
١١٨٦ م. مولد سبط الجوزى. ..... ٥١٢
١١٨٧ م (٥٨٣ هـ). معركة حطين واسترداد بيت المقدس. ..... ٥١٢

١١٩١ م. وفاة موفق الدين بن المطران. ..... ٥١٦
١١٩٢ م. مولد ابن العديم..... ٥١٧
١١٩٥ م (٥٩١ هـ). معركة الارك فى الاندلس..... ٥١٧
التسمية. ..... ٥١٧
ما قبل المعركة..... ٥١٨
المعركة. ..... ٥١٩
توضيح للمعركة وقت حدوثها. ..... ٥١٩
حصار المسلمين لقلعة الأرك. ..... ٥٢٠
١١٩٧ م. مولد ابن البيطار..... ٥٢١
إسهاماته في علم النبات والصيدلة. ..... ٥٢٢
مؤلفاته..... ٥٢٢
١١٩٧ م. مولد ابن الأبار. ..... ٥٢٣
١٢٠٠ م (٥٩٧ هـ). وفاة الإمام "أبو الفرج بن الجوزي" شيخ العراق، وإمام الحديث والفقه واللغة والتفسير، وصاحب التصانيف الكثيرة التي بلغت نحو ثلاثمائة مصنف، ومن أبرزها. "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، و"صفو الصفوة" "و"أخبار الأذكياء" وغيرها. ..... ٥٢٣
١٢٠٠ م. وفاة القاضى الفاضل..... ٥٢٧
١٢٠١ م. مولد نصير الدين الطوسى..... ٥٢٧
إسهاماته العلمية. ..... ٥٢٨
مؤلفاته..... ٥٢٨
١٢٠٣ م. مولد ابو شامه. ..... ٥٢٩
١٢٠٣ م. مولد ابن ابى اصيبعة. ..... ٥٢٩
١٢٠٤ م. وفاة ابن فرحون. ..... ٥٣٠
١٢٠٨ م. مولد ابن سهل الاندلسى..... ٥٣٠
١٢١٠ م. مولد ابو البقاء الرندى. ..... ٥٣٠
١٢١٠ م. مولد ابن النفيس..... ٥٣٣
إنجازاته..... ٥٣٤
مؤلفاته..... ٥٣٤
وفاته. ..... ٥٣٦
١٢١٠ م. وفاة ابن ابى زرع. ..... ٥٣٦
١٢١١ م. مولد ابن خلكان. ..... ٥٣٦
١٢١٢ م. هزيمة المسلمين المروعة في معركة "العقاب" التي كانت بين جيوش الموحدين، ومملكة قشتالة وجموع الصليبيين في أوروبا، وجرت وقائعها عند حصن العقاب بالأندلس..... ٥٣٧
أسباب الهزيمة. ..... ٥٤١
بعد المعركة. ..... ٥٤١
١٢١٢ م. وفاة ابن الشحنة..... ٥٤١

١٢١٧ م. مولد ابو عبد الله ابن شداد..... ٥٤٢
١٢٢٦ م. مولد ابن العبرى..... ٥٤٢
١٢٢٧ م (٦٢٥ هـ). تشييد مدرسة المستنصرية..... ٥٤٣
١٢٢٩ م (٦٢٧ هـ). دولة الحفصيين..... ٥٤٤
أصل الحفصيين..... ٥٤٥
أبو زكريا الحفصي مؤسس الدولة..... ٥٤٥
توسيع مساحة ولايته..... ٥٤٦
استقلال الدولة الحفصية..... ٥٤٦
علاقاته الخارجية..... ٥٤٦
مساندة مسلمي الأندلس..... ٥٤٧
ازدهار الدولة الحفصية..... ٥٤٨
وفاة أبي زكريا..... ٥٤٨
١٢٣٢ م. مولد جمال الدين ابن منظور..... ٥٤٨
أهم مؤلفاته..... ٥٤٩
١٢٣٤ م. مولد الوطواط..... ٥٤٩
١٢٣٦ م. مولد قطب الدين الشيرازى..... ٥٥٠
إسهاماته العلمية..... ٥٥٠
مؤلفاته..... ٥٥١
١٢٤١ م. مولد ابن جماعة..... ٥٥١
١٢٥٦ م. مولد ابن البناء..... ٥٥٢
إسهاماته العلمية..... ٥٥٣
مؤلفاته..... ٥٥٣
١٢٥٦ م. مولد أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي، المعروف بأبي حيان الغرناطي، أحد أئمة اللغة والحديث والتفسير في القرن السابع الهجري، ولد بغرناطة وتعلم بها، ثم انتقل إلى القاهرة واستقر بها، ومنها طارت شهرته وعرفه الناس، وأشهر مؤلفاته تفسيره المعروف بالبحر المحيط..... ٥٥٤
الرحلة إلى الشرق..... ٥٥٥
الاستقرار في القاهرة..... ٥٥٥
مؤلفاته وكتبه..... ٥٥٦
١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ). تسليم الخليفة العباسي "بغداد" عاصمة الخلافة العباسية إلى هولاكو، معلنا بذلك سقوطها وسقوط دولته التي حكمت العالم الإسلامي خمسة قرون..... ٥٥٧
الاستعداد لغزو الخلافة العباسية..... ٥٥٨
القضاء على الإسماعيلية..... ٥٥٨
رسائل متبادلة..... ٥٥٨
حصار بغداد..... ٥٥٩
سقوط بغداد..... ٥٦٠

١٢٦٢ م. وفاة الحسن المراكشى..... ٥٦١
إسهاماته العلمية..... ٥٦١
مؤلفاته..... ٥٦١
١٢٦٢ م. مولد ابن طباطبا. ..... ٥٦٢
١٢٦٣ م. مولد "أحمد بن عبد الحليم بن تيمية"، المعروف بابن تيمية، الفقيه المجتهد، وأحد أئمة العلم في القرن السابع الهجري، وصاحب الفتاوى المشهورة باسمه، ومنهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل. ..... ٥٦٢
١٢٦٩ م. دولة بنى مرين فى مراكش. ..... ٥٦٣
١٢٧٣ م. مولد المؤرخ ابو الفدا. ..... ٥٦٣
١٢٧٦ م. مولد صفى الدين الحلى..... ٥٦٤
١٢٨٧ م. مولد ابن نباتة..... ٥٦٥
١٢٩٠ م. مولد ابن الوردى. ..... ٥٦٥
١٢٩١ م. مولد المزي..... ٥٦٦
١٢٩٩ م. عثمان بن ارطغرل يؤسس النواة الاولى للدولة العثمانية١٣١٨ م. نشوب معركة "ألبيرة" على مقربة من غرناطة بين النصارى القشتاليين، والمسلمين بقيادة شيخ الغزاة "أبي سعيد عثمان من أبي العلاء"، وقد انتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارًا حاسمًا. ..... ٥٦٧
عصور الخلافة العثمانية..... ٥٦٧
١٣٠٠ م. مولد شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري. ..... ٥٦٩
١٣٠٤ م. مولد الرحالة المعروف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن بطوطة، وهو يعد واحدا من أعظم الرحالة في تاريخ الإنسانية. وقد سجل مشاهداته في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار"، وهي المشهورة برحلة ابن بطوطة. ..... ٥٧١
١٣٠٤ م. مولد ابن الشاطر..... ٥٧٢
إسهاماته العلمية..... ٥٧٢
مؤلفاته..... ٥٧٣
١٣١٢ م. وفاة ابن الشحنة. ..... ٥٧٤
١٣١٣ م. مولد ابن الخطيب. ..... ٥٧٤

# تاريخ العرب والمسلمين

* ٥٧٠م. عام الفيل وهو العام الذى ولد فيه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وابرهة الحبشى يهاجم الكعبة المشرفة ويرتد خاسراً وقد ذكر المسعودي (صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر (أن قدوم أصحاب الفيل مكة، كان يوم الأحد لسبع عشرة ليلـة خلـت مـن المحرم سنة ثمانمائة واثنتين -وثمانين سنة للاسكندر، وست عشرة سنة ومئتين مـن تـاريخ العرب الذي أوله حجة العدد "حجة الغدر"، ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان. ولم يشر المسعودي إلى العرب الذين أرخوا بالتقويم المذكور، ويرى الدكتور جواد على ان "المسعودي" قصد بهم أهل مكة، لأن حملة "أبرهة" كانت قد وجهت إلى مدينتهم، وأن الحملـة المـذكورة كانت حادثاً تاريخياً بالنسبة إليهم، ولذلك أرخوا بوقت وقوعها.

ويرى كثير من المستشرقين والمشتغلين بالتقاويم وبتحويل السنين وبتثبيتها، وفقاً لها، أن عام الفيل يصادف سنة "٥٧٠" أو "٥٧١" للميلاد، وذلك يمكن اتخاذ هذا العام مبدءاً نؤرخ بـه على وجه التقريب الحوادث التي وقعت في مكة أو في بقية الحجاز والتـي أرخـت بالعـام المذكور.

## سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

هو "أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بـن كلاب بن مرة"، ويمتد نسبه إلى "إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"، وينتهـي إلـى "إسماعيل بن إبراهيم" عليهما السلام.

وأمه "آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة"، ويتصل نسب أمه مع أبيه بدءا من "كلاب بن مرة".

وروي في سبب تسميته أن أمه أُمرت أن تسميه بذلك وهي حامل، وروي أن جده عبـد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور، وإذ بأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها؛ فتأولها بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء فسماه "محمد".

وتبدو أسباب التهيئة والإعداد من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسـلم فـي مهمتـه الجليلة ورسالته العظيمة، جلية واضحة منذ اللحظة الأولى في حياته، بل إنها كانت قبل ذلك، وقد تجلى ذلك حتى في اصطفاء اسمه صلى الله عليه وسلم، فليس في اسمه أو اسـم أبيـه أو

جده ما يحط قدره وينقص منزلته، وليس في اسمه شيء محتقر، كما أنه لـيس اسـمه اسـما مصغرا تستصغر معه منزلته، وليس فيه كبرياء أو زيادة تعاظم يثير النفور منه.

## ابن الذبيحين.

ويعرف النبي صلى الله عليه وسلم بابن الذبيحين، فأبوه "عبد الله" هو الذبيح الذي نـذر "عبد المطلب" ذبحه ثم فداه بمائة من الإبل، وجده "إسماعيل" – عليه السلام- هو الذبيح الـذي فداه ربه بذبح عظيم.

وقد اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم من أسباب الشرف والكمال ما يوقع فـي نفـوس الناس استعظامه، ويسهل عليهم قبول ما يخبر به، وأول تلك الأسباب كـان شـرف النـسب "وأشرف النسب ما كان إلى أولي الدين، وأشرف ذلك ما كان إلى النبيين، وأفضل ذلك ما كان إلى العظماء من الأنبياء، وأفضل ذلك ما كان إلى نبي قد اتفقت الملل على تعظيمه".

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا، لأنه لو كان مـن أهل ملة لكان خارجا عن دين من يدعوهم فيكون عندهم مبتدعا كافرا، وذلك ما يدعوهم إلـى تنفير الناس منه، وإنما كان حنيفًا مسلما على مله آبائه. "إبراهيم" و"إسماعيل" عليهما السلام.

## مولد النبي صلى الله عليه وسلم إيذان بزوال الشرك.

كان مولد النبي صلى الله عليه وسلم نذيرا بزوال دولة الشرك، ونشر الحـق والخيـر والعدل بين الناس، ورفع الظلم والبغي والعدوان.

وكانت الدنيا تموج بألوان الشرك والوثنية وتمتلئ بطواغيت الكفر والطغيان، وعنـدما أشرق مولد سيد الخلق كانت له إرهاصات عجيبة، وصاحبته ظواهر غريبة وأحداث فريـدة، ففي يوم مولده زلزل إيوان "كسرى" فسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار "فارس" ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة "ساوة".

وروى عن أمه أنها قالت. "رأيت لما وضعته نورا بدا مني ساطعا حتى أفزعني، ولم أر شيئًا مما يراه النساء". وذكرت "فاطمة بنت عبد الله" أنها شهدت ولادة النبي صـلى الله عليـه وسلم وقالت. "فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إنـي لأقول لتقعن علي".

وروى أنه صلى الله عليه وسلم ولد معذورا مسرورا -أي مختونًا مقطوع السرة- وأنه كان يشير بإصبع يده كالمسبح بها.

## محمد يتيماً.

فقد محمد صلى الله عليه وسلم أباه قبل مولده، وكانت وفاة أبيه بالمدينة عند أخوال أبيه من "بني النجار" وهو في الخامسة والعشرين من عمره.

وعلى عادة العرب فقد أرسله جده إلى البادية ليسترضع في "بني سعد"، وكانت حاضنته "حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي"، فلم يزل مقيما في "بني سعد" يرون به البركة في أنفسهم وأموالهم حتى كانت حادثة شق الصدر، فخافوا عليه وردوه إلى جده "عبد المطلب" وهو في نحو الخامسة من عمره.

لم تلبث أمه "آمنة" أن توفيت في "الأبواء" – بين "مكة" و "المدينة" – وهي في الثلاثين من عمرها، وكان محمد صلى الله عليه وسلم قد تجاوز السادسة بثلاثة أشهر.

وكأنما كان على "محمد" صلى الله عليه وسلم أن يتجرع مرارة اليتم في طفولته، ليكون أبا لليتامى والمساكين بعد نبوته، وليتضح أثر ذلك الشعور باليتم في حنوه على اليتامى وبره بهم، ودعوته إلى كفالتهم ورعايتهم والعناية بهم.

## محمد في كفالة جده وعمه.

عاش "محمد" صلى الله عليه وسلم في كنف جده "عبد المطلب" وكان يحبه ويعطف عليه، فلما مات "عبد المطلب" وكان "محمد" في الثامنة من عمره، كفله عمه "أبو طالب"، فكان خير عون له في الحياة بعد موت جده، وكان أبو طالب سيدا شريفًا مطاعا مهيبا، مع ما كان عليه من الفقر، وكان "أبو طالب" يحب محمدا ويؤثره على أبنائه ليعوضه ما فقده من حنان وعطف.

وحينما خرج "أبو طالب" في تجارة إلى "الشام" تعلق به "محمد" فرقّ له "أبو طالب" وأخذه معه، فلما نزل الركب "بصرى" -من أرض "الشام"- وكان بها راهب اسمه "بحيرى" في صومعة له، فلما رآه "بحيرى" جعل يلحظه لحظًا شديدا، ويتفحصه مليا، ثم أقبل على عمه "أبي طالب" فأخذ يوصيه به، ويدعوه إلى الرجوع به إلى بلده، ويحذره من اليهود.

## محمد في مكة.

وشهد "محمد" صلى الله عليه وسلم حرب الفجار – الذين فجروا القتال في شهر الله الحرام رجب- وكان في السابعة عشرة من عمره.

وحضر "حلف الفضول" وقد جاوز العشرين من عمره، وقد قال فيه بعد بعثته. "حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما يسرني به حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت".

وقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم – منذ حداثة سنه – بالـصادق الأمـين، وكـان موضع احترام وتقدير "قريش" في صباه وشبابه، حتى إنهم احتكموا إليه عندما اختلفوا فـيمن يضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، حينما أعادوا بناءها بعدما تهـدمت بـسبب سـيل أصابها، وأرادت كل قبيلة أن تحظى بهذا الشرف حتى طار الشر بينهم، وكادوا يقتتلون، فلما رأوه مقبلاً قالوا. قد رضينا بحكم "محمد بن عبد الله"، فبسط رداءه، ثم وضع الحجر وسـطه، وطلب أن تحمل كل قبيلة جانبا من جوانب الرداء، فلما رفعوه جميعا حتى بلغ الموضع، أخذه بيده الشريفة ووضعه مكانه.

وعندما بلغ "محمد" صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين تزوج السيدة "خديجة بنـت خويلد"، قبل أن يبعث، فولدت له "القاسم" و"رقية" و"زينب" و"أم كلثوم"، وولدت له بعد البعثـة "عبد الله".

## من البعثة إلى الوفاة.

ولما استكمل النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة كانت بعثته، وكانت "خديجـة" أول من آمن به من النساء، وكان "أبو بكر الصديق" أول من آمن به من الرجال، و"علي بن أبـي طالب" أول من آمن من الصبيان.

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين يكتم أمره، ويدعو الناس سـرا إلـى الإسلام، فآمن به عدد قليل، فلما أمر بإبلاغ دعوته إلى الناس والجهر بها، بدأت قـريش فـي إيذائه وتعرضت له ولأصحابه، ونال المؤمنون بدعوته صنوف الاضطهاد والتنكيـل، وظـل المسلمون يقاسون التعذيب والاضطهاد حتى اضطروا إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى "الحبشة" ثم إلى المدينة.

ومرت الأعوام حتى عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحا –في العام العاشـر من الهجرة- ونصر الله المسلمين بعد أن خرجوا منها مقهورين، ومكّن لهم في الأرض بعد أن كانوا مستذلّين مستضعفين، وأظهر الله دينه وأعز نبيه ودحر الشرك وهزم المشركين.

وفي العام التالي توفي النبي صلى الله عليه وسلم في (١٢ من ربيع الأول ١١هـ = ٧ من يونيو ٦٣٢م) عن عمر بلغ (٦٣) عاما.

## بدايات الاحتفال بالمولد النبوي.

لعل أول من أحدث الاحتفال بذكرى المولد النبوي هو الملك المظفر "أبو سعيد كوكبري بن زيد الدين علي بن بكتكين" صاحب إربل، وكان أحد الملوك الأمجاد، وكـان يحتفـل بـه احتفالاً هائلاً يحضره الأعيان والعلماء ويدعو إليه الصوفية والفقراء.

وقد اختلف العلماء حول شرعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وانقسموا بين مؤيـد ومعارض، وكان من أشد المنكرين لذلك المعارضين له؛ باعتباره بدعة مذمومة الشيخ "تـاج الدين اللخمي" الذي يقول. "لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسـوله صلى الله عليه وسلم، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القـدوة فـي الـدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكّالون".

وقد انبرى الإمام "السيوطي" للرد عليه وتفنيد مزاعمه وإبطال حججه، وإذا كان بعـض الناس يرتكبون أفعالاً منكرة في الاحتفال بالمولد، من لهو وصد عن ذكر الله وغير ذلك، فإن تعظيم هذا اليوم إنما يكون بزيادة الأعمال الصالحة والصدقات وغير ذلك من ألوان القربـات إلى الله تعالى.

وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود تـصوم يوم عاشوراء، فقال. ما هذا؟ قالوا. هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم؛ فصامه موسى. قال. فأنا أحق بموسى منكم؛ فصامه وأمر بصيامه.. (بخاري. كتاب الـصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم ٢٠٠٤).

ولعل في إشارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى فضيلة هذا اليوم حينما سأله سائل عـن صوم يوم الإثنين فقال. "ذلك يوم ولدت فيه"؛ ففيه تشريف لهذا اليوم الذي ولد فيه صـلى الله عليه وسلم.

## كيف نحتفل بالمولد؟

يميل أكثر العلماء إلى شرعية الاحتفال بالمولد النبوي، ووجوب إحياء هـذه الـذكرى بالذكر والعبادة، والتماس مواطن القدوة في حياة صاحب الـذكرى صـلى الله عليـه وسـلم، والاقتداء به وإحياء سننه، والسير على نهجه وشرعته.

يقول الإمام "ابن حجر العسقلاني". "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى فـي عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة".

ويقول الإمام "السخاوي". "لو لم يكن في ذلك إلا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمـان من المسلمين لكفى، وإذا كان أهل الصليب اتخذوا مولد نبيهم عيدا أكبر، فأهل الإسلام أولـى بالتكريم وأجدر".

ويقول العلامة "فتح الله البناني". "إن أحسن ما ابتُدع في زماننا هذا ما يفعل كل عام في اليوم الذي يوافق مولده صلى الله عليه وسلم من الـصدقات والمعـروف، وإظهـار الزينـة

والسرور، فإن ذلك –على ما فيه من الإحسان إلى الفقراء- مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك".

- ٥٧٩ م. وفاة عبد المطلب جد الرسول ﷺ

## ٦٠٧ م. مولد قس بن ساعدة.

قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالِك، من بني إياد. أحد حكماء العرب ومن كبار خُطبائهم في الجاهلية. يقال إنه أول عربي خطَب متوكئاً إلى سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه. (أما بعد). وكان يفِد على قيصر الروم، زائراً فيكرمه ويعظّمه. طالـت حياتـه وأدرك النبي قبل البعثة، ورآه النبي في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك فقال. يحشَر أمة وحده .

- ٦١٠ م. سنة نزول الوحى على الرسول الكريم
- ٦١٣ م. سنة الجهر بالدعوة الاسلامية

## ٦١٣ م. مولد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، أبو عبدالرحمن. صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. ولد بمكة ونشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه. وشـهد الخنـدق وهو ابن خمسة عشر وأجازه الرسول، وشهد فتح مكة، أفتى الناس في الإسلام سـتين سـنة. ولما قُتِل عثمان بن عفان، عرض عليه نفَر أن يبايعوه بالخِلافة فأبى. غزا أفريقية (المغـرب العربي)، مرتَين. له في كتُب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً. كُفّ بصره في آخِر حياته. وكان آخِر من توفي بمكة من الصحابة .

- ٦١٩ م. عام الحزن وهو عام وفاة ابو طالب وخديجة بنت خويلد
- ٦٢٠ م. سنة الاسراء والمعراج

## ٦٢٢ م (١ هـ). هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة الى المدينة المنورة.

مكث النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الناس إلى الإسـلام، ويبصرهم بشرائعه، ويرشدهم إلى أحكامه، دون أن يتطرق إليه مـل، أو يـصيبه كلـل أو ضجر، لا تصرفه عن دعوته الشواغل، ولا يثنيه عن التبليغ وعد أو وعيد، وإنما هو مـاض في طريقه، تحوطه عناية الله وتكلؤه رحمته، لا يجد وسيلة تمكّنه من تبليغ دعوته إلا اتبعهـا، ولا طريقة تهيئ له النجاح إلا أخذ بأسبابها، طرق كل باب، ووقف عند كل جمـع، وعـرض دعوته على القبائل؛ لعل أحدا يؤمن بها ويؤازرها.

## الطريق الذى سلكه الرسول الكريم

وآمن بالدعوة الجديدة بعض أهل مكة، ممن سمت نفوسهم، وصفت أفئدتهم، ونـضجت عاطفتهم الدينية، فالتفوا حول نبيهم محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما آمن عدد مـن الرقيـق والموالي والمستضعفين في مكة، ولم تلق مكة بالاً لهذا الدين الجديد في بادئ الأمر، وعـدت محمدا (صلى الله عليه وسلم) وصحبه مجموعة من الحنفاء الذين يظهرون ثم يختفون دون أن يلتفت إليهم أحد.

لكنها استشعرت الخطر، حين رأت نفسها أمام رجل آخر، ودعوة مختلفـة، وجماعـة تتكون، وكتابا يتلى، وأن الرسالة تجد أنصارا وإن كانت تشق طريقها ببطء، ثم هالها الأمـر حين بدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) يهاجم الوثنية ويعيب الأصنام، ويسفّه عبادتها، ورأت أن مكانتها الدينية وزعامتها الروحية في خطر، فلجأت إلى مواجهة الدين الوليـد، ومحاصـرته بكافة الوسائل التي تضمن إجهاضه والقضاء عليه، ولم تتحرج في استخدام التعـذيب والقتـل والسجن مع المؤمنين بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ودعوته، ولم يسلم النبي (صلى الله عليـه وسلم) نفسه من الأذى، وتعرضت حياته للخطر.

## الهجرة إلى الحبشة.. محاولة للخروج من الأزمة.

حين اشتد العذاب بأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وضاقت بهم الـسبل، أمـرهم بالهجرة إلى الحبشة "فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكـم فرجا مما أنتم فيه"، فخرج فريق من المسلمين إلى أرض الحبشة؛ مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وتفكير النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحبشة ينطوي على معرفة واسعة للنبي الكريم بأحوال شبه الجزيرة العربية، واتجاهاتها السياسية، فلم يكن هناك مكان أصلح للحماية والإيواء من الحبشة، فالقبائل العربية تربطها بقريش علاقات وثيقة، وروابط متينة تمنعها من اسـتقبال هؤلاء المسلمين إذا ما فكروا في الهجرة إليها، وبلاد اليمن غير مستقرة يتنازعها التنافس بين الفرس والروم، والصراع بين اليهودية والنصرانية، ولم تكن أي مدينة مـن مـدن الجزيـرة العربية تصلح أن تكون مكانًا مناسبا لإيوائهم، حتى يثرب نفسها التي استقبلت النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك، وأقام بها دولته –لم تكن تصلح هي الأخرى في هذا الوقـت لاسـتقبال المهاجرين، حيث كانت تمزقها الخلافات الداخلية، والصراعات بين قبائلها. وكان جملة مـن هاجر إلى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً.

## مقدمات الهجرة الكبرى.

وإذا كانت الحبشة التي يحكمها ملك عادل تصلح أن تكون مأوى صالحا ومكانًا للحماية، فإنها لم تكن تصلح أن تكون مركزا للدعوة، ومعقلاً للدين، ولهذا لم يفكر النبي (صلى الله عليه وسلم) في الهجرة إليها، واستمر في عرض دعوته على القبائل العربية التي كانت تفـد إلـى مكة، أو بالذهاب إلى بعضها كما فعل مع قبيلة ثقيف في الطائف، ولم تكن قريش تتركه يدعو في هدوء، وإنما تتبعت خطوه، تحذر القبائل من دعوته وتنفّرها منه.

غير أن سعي النبي الدءوب، وحرصه على تبليغ دعوته كان لا بد أن يـؤتي ثمـاره، فتفتّحت لدعوته قلوب ستة رجال من الخزرج، فأسلموا، ووعدوه بالدعوة للإسلام في يثـرب، وبشروه بالفوز لو قُدر له أن تجتمع عليه قبائل يثرب.

ولم يكد ينصرم عام حتى وافى النبي (صلى الله عليه وسلم) في موسم الحج اثنا عـشر رجلاً. تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وعقد معهم بيعة عرفت ببيعة العقبة الأولى، على "ألا يشركوا بالله شيئًا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم...".

وأرسل معهم حين عادوا إلى بلادهم مصعب بن عمير، وكان داعية عظيما، فقيها فـي الدين، لبقًا فطنًا، حليما رفيقًا، ذا صبر وأناة، فنجح في مهمته أيما نجاح، وانتشر الإسلام فـي

كل بيت هناك، وهيأ السبيل لتكون يثرب هي دار الهجرة، التي ينطلق إليها المسلمون، ومعقل الدين ومركز الدولة.

وبعد عام عاد مصعب في موسم الحج، ومعه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتـان، التقـوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في إحدى الليالي سرا وبايعوه بيعة العقبة الثانية، التـي تـضمنت التزامهم بحماية النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما يهاجر إليهم والدفاع عنه، والمحافظة على حياته.

ومن ثم حددت هذه البيعة الوضع القانوني للنبي (صلى الله عليه وسلم) بين أهل يثرب، فاعتبرته واحدا منهم، دمه كدمهم، وحكمه كحكمهم، وقضت بخروجه ضمنًا من عـداد أهـل مكة، وانتقال تبعيته إلى أهل يثرب، ولهذا أخفى المتبايعون أمر هذه البيعة عـن قـريش؛ لأن الفترة بين إتمام هذه البيعة، ووصوله (صلى الله عليه وسلم) لا يلتزم أهل يثرب خلالها بحماية النبي الكريم إذا وقع له مكروه أو أذى من قريش.

## التجهيز للهجرة.

وبعد أن تمت البيعة المباركة أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بـالهجرة إلـى المدينة، فهاجروا أفرادا وجماعات، يتخفّى بها من يخشى على نفسه، ويعلنها من يجد في نفسه القدرة على التحدي.

ولم تقف قريش إزاء هذه الهجرة مكتوفة اليدين، فحاولت أن ترد من اسـتطاعت رده، لتفتنه في دينه أو تعذبه أو تنكل به، ولكن دون جدوى، فقد هاجر معظم المسلمين، وبقى النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة، ووقعت قريش في حيرة. هل يظل في مكة كمـا فعـل فـي الهجرة إلى الحبشة، أم يهاجر في هذه المرة مع أصحابه؟ وفي هذا خطر شديد علـيهم؛ لأنـه يستطيع في يثرب أن ينظم جماعته، ويقيم دولته، فتتهدد مكانة قريش بين القبائـل، وتـضيع زعامتها، وتتأثر تجارتها.

حزمت قريش أمرها، واتخذت قرارها بقتل النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل أن تفلـت الفرصة من بين أيديها، ويتحقق ما تخشاه، فأعدوا مؤامرتهم لهذا الغرض الدنيء، وأشـركوا جميع القبائل في قتله، باختيار شاب قوي من بين أبنائها، حتى يتفرق دمه فـي القبائـل، ولا يقوى بنو هاشم على محاربة أهل مكة، وقد سجل القرآن الكريم نبأ هذه المؤامرة الخسيسة في قوله تعالى. "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكـر الله والله خير الماكرين" [الأنفال. الآية ٣٠].

## حادث الهجرة.. وأسباب النجاح.

اتخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) كل الأسباب التي تضمن نجاح هجرته إلـى المدينـة التي ترتب عليها قيام دولة الإسلام، واتساع رقعتها، وسطوع حضارتها، ولعل أهم الأسـباب هو نجاحه الباهر في إعداد المكان الذي سينزل به هو وأصحابه، مـستخدما كـل الوسـائل الممكنة من توثيق عرى العلاقات مع أهل يثرب بعقد معاهدتين عظيمتين، وإرسـال داعيـة عظيم الكفاءة، قوي الإيمان، شديد الإخلاص؛ لنشر الدين، وجذب الأتباع هناك.

والسبب الثاني من أسباب النجاح هو اختيار الوقت المناسب للهجرة، فلم يعـزم النبـي (صلى الله عليه وسلم) على الهجرة إلا بعد أن استوثق من رسوخ إيمان أهل يثرب، وتعهدهم بحمايته والدفاع عنه، وذلك في بيعة العقبة الثانية، ومن ثم لم تعد هناك حاجة لبقائه في مكـة بعد أن وجد النصرة والمنعة عند أهل يثرب.

والسبب الثالث هو آليات الهجرة التي اتبعها النبي في خروجه من مكة إلى المدينة، في واحدة من أجلّ ما عرف تاريخ المغامرة في سبيل الحق والعقيدة والإيمـان قـوة وروعـة، وتفاصيل هذه الهجرة مذكورة في كتب السيرة، ولسنا في حاجة إلى سردها الآن، ولكن يمكن القول بأنها كانت سرية إلى أقصى حد، ودقيقة إلى أبعد مدى، وضع لها النبي (صلى الله عليه وسلم) كل ما في وسع البشر وطاقتهم من وسائل تضمن لها النجاح، وخطط تحقق لها التوفيق، فإذا لم يفلح ذلك كله، فستأتي عناية الله في اللحظة المناسبة.

## الرسول في المدينة.

وما إن وصل النبي المدينة في ضحى يوم الإثنين، الموافق (١٢ من ربيع الأول للـسنة الأولى من الهجرة = ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م) حتى بدأ العمل الجاد، والسعي الدءوب، حتى أكمـل رسالته على نحو لا مثيل له في تاريخ الإنسانية.

ولم تكن يثرب عندما نزلها النبي (صلى الله عليه وسلم) مدينة بالمعنى المعروف، وإنما كانت واحات متفرقة في سهل فسيح يسكنها قبائل الأوس والخزرج والجماعات اليهودية، فنظّم العمران بالمدينة، وشق بها طرقا معبدة، وكان المسجد هو الأساس في هذا التنظـيم، انـتظم حوله عمران المدينة الجديدة، واتسقت شوارعها.

وكان هذا المسجد هو مقر الرئاسة الذي تقام فيه الصلاة، وتُبرم فيه كل الأمور، وتُعقـد به مجالس التشاور للحرب والسلم واستقبال الوفود، وبجوار المسجد اتخـذ النبـي مـساكنه، وكانت متصلة بالمسجد، بحيث يخرج منها إلى صلاته مباشرة، وأصبح من الـسنّة أن تُبنـى المساجد وبجوارها بيوت الولاة ودواوين الحكم.

ثم أصلح النبي ما بين الأوس والخزرج وأزال ما بينهما من عداوة، وجمعهما في اسـم واحد هو الأنصار، ثم آخى بينهم وبين المهاجرين على أساس أن المؤمنين إخوة، وكانت المرة الأولى التي يعرف فيها العرب شيئا يسمى الأخوة، دون قرابة أو صلة رحم، حيث جعل كـل رجل من المهاجرين يؤاخي رجلا من الأنصار، فيصير الرجلان أخوين، بينهما من الـروابط ما بين الأخوين من قرابة الدم.

وبعد المؤاخاة كانت الصحيفة، وهي الدستور الذي وضعه النبي (صلى الله عليه وسلم) لتنظيم الحياة في المدينة، وتحديد العلاقات بينها وبين جيرانها، هذه الوثيقة لـم يملِهـا النبـي (صلى الله عليه وسلم) إملاء، وإنما كانت ثمرة مناقشات ومشاورات بينه وبين أصحابه مـن المهاجرين والأنصار وغيرهم، وكلما استقروا على مبدأ قام الرسول بإملاء نصه على علي بن أبي طالب، وشيئا فشيئا اكتملت الوثيقة، وأصبحت دستورا للجماعة الجديدة، ولا يكاد يعـرف من قبل دولة قامت منذ إنشائها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية الجديدة، فإنما تقام الدول أولا، ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور.

وأدت هذه السياسة الحكيمة إلى قيام جماعة متآلفة متحابة، وإلى ازديـاد عـدد سـكان المدينة حتى زاد عدد سكانها عما كانوا عليه أكثر من خمس مرات، بعد أن أقبل الناس علـى سكناها؛ طلبا للأمن والعدل في ظل الإسلام، والتماسا لبركة مجاورة النبي (صـلى الله عليـه وسلم)، واستجابة لما دعا إليه القرآن من الهجرة إلى الله وإلى رسوله.

## بين الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة.

كانت الهجرة إلى المدينة ضرورة ملحة فرضتها الأحداث التي أحاطت بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة، وألزمته السعي إلى مكان آخر تُمارس فيها شـعائر الإسـلام، وتُطبـق أحكامه، وتنطلق دعوته إلى كل مكان، دون مزاحمة أو تضييق، ومكة حينذاك لم تعد صالحة لهذه الفترة من عمر الرسالة، لأن العداء قد بلغ بها كل مدى ضد الدين الجديـد، وأصـبحت هناك صعوبة بالغة في استكمال الدعوة التي تحتاج إلى دولة حتى تنجح راسلتها.

ولم تكن الحبشة التي تنعم بالعدل والأمان تصلح لهذه الفترة؛ نظـرا لاخـتلاف البيئـة اللغوية والدينية هناك؛ الأمر الذي جعل حركة الإسلام هناك بطيئة، وبلا فاعليـة، ولا تـسمح هذه البيئة بالتطبيق؛ ومن ثم لم تكن هناك مدينة في شبه الجزيرة العربية تصلح لاستقبال الدين في الفترة الثانية إلا يثرب التي أُطلق عليها مدينة الرسول.

- ٦٢٢ م (**١ هـ**). بناء المسجد النبوى
- ٦٢٢ م (**١ هـ**). تحويل القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام

## * ٦٢٣ م (٢ هـ). غزوة بدر الكبرى.

### غزوة بدر الكبرى

وقعت غزة بدر الكبرى في رمضان من العام الثاني للهجرة، عندما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن عيراً لقريش مقبلةٌ من الشام مع أبي سفيان، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج إليها، فخرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. ولم يكـن معهـم مـن الخيل إلا فَرسان. فرس للزبير؛ وفرس للمقداد بن الأسود. وكان معهم سبعون بعيراً، يتنـاوب الرجلان والثلاثة على البعير. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. ودفع اللواء إلى مـصعب بن عمير، والراية إلى علي، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ.

وبلغَ أبا سفيان مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستأجر ضمضم بـن عمـرو الغفاري، وبعثه إلى مكة مستصرخاً قريشا بالنفير إلى عيرهم، فنهضوا مسرعين، ولم يتخلّف من أشرافهم سوى أبي لهب، وحشدوا من حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلّف عنهم من بطون قريش إلاّ بني عدي، فلم يشهدها منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال عنهم تعالى. (بطَـراً ورئَاء الناسِ ويصدون عن سبِيل اللهِ) (الأنفال.٤٧).

ولما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خروج قـريش، استـشار أصـحابه، فـتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانياً، فتكلم المهاجرون، ثم ثالثاً، فعلِمتْ الأنصار أن رسول الله إنما يعنيهم، فقال سعد بن معاذ. كأنك تُعرض بنا يا رسول الله، وكأنك تخـشى أن تكـون

الأنصار ترى عليهم أن لا ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عـنهم، فامض بنا حيث شِئت، وصلْ حبلَ من شئتَ، واقطع حبلَ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا منها ما شئت، وما أخذتَ منها كان أحب إلينا مما تركت، ووالله لئن استعرضت بنـا هذا البحر لخضناه معك.

وقال المقداد بن الأسود (وهو من زعماء الأنصار). إذن لا نقول كما قال قوم موسـى لموسى. **فَاذْهب أَنْتَ وربك فَقَاتِلا إِنا هاهنَا قَاعِدون** (المائدة. ٢٤)، ولكن نقاتل مـن بـين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك. فأشرقَ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمـا سمع منهم. وقال. "سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مـصارع القوم".

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل على ماء قرب بدر. فقال الحباب بـن المنذر. إن رأيتَ أن نسير إلى بئر قد عرفناها، كثيرة الماء فتنزل عليها. ونُغَور ما سواها من المياه؟ فاستجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له. وأنزل الله تلك الليلة مطراً صاب الرمل، وثبت الأقدام. ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع المعركة، وجعل يشير بيـده ويقول. "هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، إن شاء الله". فما تعدّى أحـد مـنهم موضـع إشارته صلى الله عليه وسلم.

فلما طلع المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. "اللهم هـذه قـريش، جـاءت بخُيلائِها وفخرها، جاءت تُحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهـم أحِـنْهم الغداة" (أي أهلكْهم هذا الصباح) وقام ورفع يديه واستنصر ربه وبالغ في التضرع، ورفع يديه حتى سقط رداؤه، وقال. "اللهم أنجِز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تَهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض بعد".

فجاءه أبو بكر الصديق من ورائه، وقال. حسبك مناشدتك ربك يا رسـول الله، أبـشر فوالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك. واستنصر المسلمون اللهَ واستغاثوه، فـأوحى الله إلى الملائكة **أَني معكُم فَثَبتُوا الذِين آمنُوا، سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِين كَفَروا الرعب، فَاضـربوا فَوقَ الأَعنَاق، واضربوا مِنْهم كُل بنَانٍ** (الأنفال.١٢)، وأوحى إلى رسوله. **أَنـي مِـدكُم بِأَلفٍ مِن الْملائِكَةِ مردِفِين** (الأنفال. ٩).

وعدلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوفَ. ثم انـصرفَ وغفـا غفـوة، وأخـذ المسلمين النعاس، وأبو بكر الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه، وعنده سـعد بن معاذ، وجماعة من الأنصار، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو. **سـيهزم الْجمع ويولون الدبر** (القمر.٤٥).

ووقف الفريقان. فريق الإيمان وفريق الكفر، أمام بعضهم بعضاً، وخرج عتبة وشـيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، يطلبون المبارزة. فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار فقـالوا. أكفـاء كرام، ما لنا بكم من حاجة، إنما نريد من بني عمنا. فبرز إليهم حمزة وعبيدة بن الحارث بـن المطلب وعلي بن أبي طالب. فقتلَ علي الوليد. وقتل حمزةُ شيبةَ. وتبارز عبيدة وعتبة، فلـم يقو أحدهما على الآخر، فَعاد حمزة وعلي على عتبة فقتلاه، وحمـلا عبيـدةَ إلـى صـفوف المسلمين.

ومنح الله المسلمين النصر على المشركين، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين.

وكانت هذه الغزوة المباركة فرقاناً بين الحقّ والباطل، ومنعطفاً في تاريخ الصراع بين الإسلام والجاهلية.

- ٦٢٤ م. سرية "زيد بن حارثة"، أرسلها النبي (صلى الله عليه وسلم) لاعتـراض قافلة لقريش، فالتقت بها عند ماء يسمى "القردة"، وأصاب المسلمون العير، وكانت أول غنيمة قيمة يغنمها المسلمون.

## ٦٢٤ م. مولد الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير.

أول مولود في الإسلام، نشأ في بيت نبل وشرف، وعلم وحكمة، فأبوه الصحابي الجليل الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وخالته أم المـؤمنين عائـشة، اشـتهر بالشجاعة والإقدام، ودعا لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ.

عبد الله بن الزبير (٦٢٠ - ٦٩٢م) هو عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنـت أبي بكر الصديق. اشترك في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس ومـصر وشـمال أفريقيـا. وحارب في معركة الجمل إلى جانب أبيه وخالته عائشة، ضد الخليفة علي بن أبـي طالـب. وكان ضمن الجماعة التى أشرفت على جمع القرآن الكريم زمن عثمان بن عفان.

وكان عبد الله بن الزبير خامس خمسة من كبار صحابة رسول الله، من الذين امتنعـوا عن البيعة بولاية العهد ليزيد بن معاوية. فلما مات معاوية، كتب يزيد لواليه فـي المدينـة أن يأخذ البيعة من عبد الله بن الزبير، وأن يغل عنقه ويديه ويرسله إليه. وكان ذلك لأن يزيد كان يخشى الزبير أكثر من الجميع، حتى من الحسين.

أعلن بن الزبير نفسه خليفة على الحجاز وولّى أخاه مصعباً على العراق سنة ٦٨٧ م.

حاول يزيد قتل عبد الله بن الزبير إلا انه خلال حصار مكة بقيادة الحصين بن نميـر، جاء خبر وفاة يزيد. وعندها عظم أمر ابن الزبير في الحجاز واليمن.

وكانت الكعبة قد احترقت عند حصار جند الشام لها، لأن الجند ضـربوها بـالمنجنيق. وقام ابن الزبير بترميمها.

دخل العراق في بيعة الزبير، وفي معركة مسكن سنة ٧١ هجرية (٦٩١ ميلادية) هزم جيش مصعب على يد جيش عبد الملك بن مروان، فأرسل عبد الملك إلى مصعب يقترح عليه الأمان. ولكن مصعباً أجابه "إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوبـاً ". وهكذا تواصلت الحرب واشتد الحصار على مصعب وثقلت به الجراح. وعندها نزل إليه رجل فاحتز رأسه وجاء به فطرحه عند عبد الملك

كان لمصعب من العمر لما قتل عاماً. ولما علم عبد الله بن الزبير بمقتل أخيـه تـرحم عليه ووصف أهل العراق بالنفاق، وقال إنهم باعوه بأقلّ الثمن، وقال. "ما نمـوت إلا قـصفاً بالرماح وموتاً تحت ظلال السيوف".

توجه الحجاج بعد مقتل مصعب على رأس جيش كبير من عشرين ألف من جند الـشام إلى الحجاز وضرب حصاراً على مكة. فأصاب أهل مكة مجاعة كبيرة، فيما كانت بيوت ابن الزبير مليئة بالمؤونة، التي بخل أن يوزعها على أصحابه المحاربين. وقد تسبب هذا الموقف منه إلى تخلّي أنصاره عنه واحداً بعد واحد، حتى إن ولديه حمزة وخبيب كانا من ضمن الذين تركوه وانضموا إلى الحجاج.

وراح عبد الله بن الزبير يسأل أمه أسماء بنت أبي بكر ماذا يفعل وقد تخلّى عنه الناس؟ فقالت له. "إن كنت على حق فامضِ لشأنك لا تمكّن غلمان بني أمية. وإن كنـتَ إنمـا أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك.. القتل أحسن".

فقال. "يا أمتِ.. إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي". قالت. "إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها".

أمضى عبد الله بن الزبير ليلته الأخيرة يصلّي، وقال لمن حوله "صونوا سـيوفكم كمـا تصونون وجوهكم". ثم قال. "احملوا على بركة الله". فحملوا وحمل معهم حتـى بلـغ معهـم الحجون فرمى بآجرة في وجهه فأرعش ودمِي، فلما وجد سخونة الدم، قال.

**لسنا على الأعقاب تدمي كُلومنا**

**ولكن على أقدامنا نقطر الدما**

فحملوا عليه حتى هوى ميتاً. ووصل الخبر إلى الحجاج فسجد شكراً !!! وأمر باجتزاز رأسه، وأرسله إلى عبد الملك.

وكان عمر بن الزبير يوم استشهاده ٧٢ سنة، وقد دامت خلافته نحو تسع سنين.

عبد الله بن الزبير بين فكّي التاريخ.

لما قتل ابن الزبير خطب الحجاج في الناس فقال. "كان ابن الزبير من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه الله من عذابـه الألـيم. وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير وكان في الجنة وهي أشرف من مكة، فلما خالف أمـر الله وأكل من الشجرة التي نهي عنها أخرجه الله من الجنة".

ولسنا نقدر أن نهضم هذه المحاججة التي تدلّ على أخلاق الحجاج! فمن الملحد حقـاً ؟! أهو الحجاج الذي قتل أكثر من (٣٠٠،٠٠٠) عراقي خلال مدة حكمه التي دامت ٢٠ سنة من الظلام، والذي ضرب الكعبة بالمنجنيق، أم عبد الله بن الزبير، أحد أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسلّم، الذي خرج على طغاة بني أمية الذين ابتعدوا عن الإسلام الصحيح؟! أم أنـه، ولمجرد قيام عبد الله بن الزبير بمحاولة تقويم المسيرة، لم يعد من خيار هذه الأمة؟!

## ٦٢٥ م (٣ هـ). نشوب غزوة أحد بين المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليـه وسلم ومشركي العرب الذين خرجوا من مكة للقضاء على الإسلام.

وسميت المعركة بهذا الاسم؛ لأن أحداثها وقعت عند جبل "أحد" شمالي المدينة المنورة، وكان النصر فيها لصالح المسلمين في بادئ المعركة، ثم تحولت كفة النصر لصالح المشركين بعد أن أهمل الرماة المكلفون بحماية ظهر الجيش أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، وتركـوا مواقعهم، ونزلوا لجمع الغنائم.

**خريطة غزوة أحد**

- ٦٢٥ م (٣ هـ). استشهاد حمزة بن عبد المطلب.
- ٦٢٥ م (٣ هـ). خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بعد عودتهم إلى المدينة من غزوة أحد في اليوم التالي للمعركة إلى حمراء الأسـد، وهـي علـى مسافة ثمانية أميال من المدينة على طريق مكة، وانتظروا هناك ثلاثة أيام؛ إظهارا لقوة المسلمين رغم ما أصابهم من الخسائر في غزوة أحد.. ولما علم المـشركون بخروج المسلمين أسرعوا راجعين إلى مكة، مكتفين بمـا حققـوه مـن نـصر، وتحاشوا الدخول في معركة غير مضمونة العواقب لهم.

**خريطة غزوة حمراء الأسد**

- ٦٢٦ م (٥ هـ). خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) على رأس جيشه إلى دومة الجندل لتأمين طريق القوافل، وقتال القبائل التي تسكن هناك وقد حققـت الغـزوة أهدافها
- ٦٢٦ م. الفرس ينتزعون الشام ومصر مـن الدولـة البيزنطيـة ويحاصـرون القسطنطينية ثم يخسرون كل ذلك نتيجة الاسطول البيزنطى فى البحر المتوسط

## ٦٦٢ م. اجلاء بنو المصطلق.

بنو المصطلق بطن من قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية، وكانوا يسكنون قديدا، وعسفان على الطريق من المدينة إلى مكة، وقديد تبعد عن مكة ١٢٠ كيلو مترا، وعسفان تبعد ٨٠ كيلو مترا، فيكون بينهما أربعون كيلو مترا.

وقد تجرأت بنو المصطلق على المسلمين نتيجة لغزوة أحد، كما تجرأت القبائل الأخرى المحيطة بالمدينة، ولعلها كانت تخشى انتقام المسلمين منها لدورها في غزوة أحد، وكذلك كانت ترغب في أن يبقى الطريق التجاري مفتوحًا أمام قريش لا يهدده أحد لما في ذلك من مصالح لها محققة فكانت - بزعامة الحارث بن أبي ضرار - تتهيأ للأمر بجمع الرجال والسلاح وتأليب القبائل المجاورة ضد المسلمين وقد أرسل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بريدة بن الحصيب الأسلمي للاطلاع على أحوالهم، فأظهر أنه جاء لعونهم وعرف نيتهم في الهجوم على المدينة فعاد وأخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما يبيتون.

فأسرع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج معه في هذه المرة المنافقون الذين يطمعون في الغنيمة، كما يطمعون ببذر الخلاف.

وكان زعيم بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار قد أرسل عيونه يستطلعون له الطريق قبل سيره، وينبئونه عن حركات المسلمين وتحركاتهم، فالتقى المسلمون بأحد هؤلاء العيون، فأتي به إلى رسول الله فعرض عليه الإسلام فأبى، ولما كان رسول الله يريد مفاجأة القوم لذا أمر بإعدام هذا الجاسوس، فضرب عمر بن الخطاب عنقه.

وعلم بنو المصطلق بما حدث فأصابهم ذعر شديد الأمر الذي جعل أعدادا منهم تتفرق عن ذلك التجمع، وفاجأهم رسول الله وهم على ماء (المريسيع)، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فحمل عليهم المسلمون وأحاطوا بهم من كل مكان، ولم يفلت منهم رجل واحد، وقتل منهم عشرة أفراد، ثم استسلموا جميعاً، وغنم المسلمون ديارهم وأملاكهم، وسبوا نساءهم، وزادت الغنائم على ألفي رأس من الإبل وخمسة آلاف من الأغنام، وبلغ عدد السبايا سبعمائة امرأة. وقد أطلق سراح بعض الأسرى السبايا، وافتدي بعضهم، ولم يقتل أحد من الأسرى.

وتزوج رسول الله جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد أن كاتبت ثابت بن قيس بن شماس الذي كانت من نصيبه، ثم جاء أبوها ليفتديها، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيها وتزوجها على مهر قدره أربعمائة درهم، وأسلم أبوها بعد أن رأى معجزة من رسول الله، كما أسلم بنو المصطلق جميعاً وعندها أطلق الناس ما بأيديهم من الأسرى والسبايا إكراماً لنبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم.

## ٦٢٦ م (٤ هـ). غزوة ذات الرقاع.

- وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم في جمع من أصحابه إلى "نجد" يريد قتـال بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، لما بلغه أنهم يجمعون الجموع له.
- ٦٢٦ م. مولد الإمام الحسين بن علي بن أبي يطالب رضوان الله عليه. ولد فـي المدينة المنورة، وكان حِب النبي صلى الله عليه وسلم وهو والحسن. دعا لنفـسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان وتولي ابنه للخلافة، حيـث لـم يرضـه الحسين خليفة للمسلمين، استشهد في واقعة كربلاء الشهيرة.

تبدأ الأحداث بتولي يزيد بن معاوية الخلافة سنة ٦٠ هـ، بوصية من والده، وهو الأمر الذي رفضه الإمام الحسين، ورفض رضي الله عنه مبايعة يزيد، واتجه من المدينة إلى مكـة، وهناك أخذت تصل إليه الكتب من أهل العراق ليبايعوه ويطلبوا منه القدوم إلى الكوفة، وبلـغ عدد الكتب المئات بل إن محمد كاظم القزويني يذكر في "فاجعة الطف" أنه اجتمع عند الحسين اثنا عشر ألف كتاب من أهل العراق وكلها مضمون واحد كتبوا إليه. قد أينعت الثمار واخضر الجنان وإنما تقدم على جند لك مجند. إن لك في الكوفة مئة ألف سيف. إذا لم تقدم إلينـا فإنـا خصمك غداً بين يدي الله

عند ذلك أرسل الحسين رضي الله عنه ابن عمه مسلم بن عقيل ليتقصى الأمور هناك، فلما وصل مسلم إلى الكوفة علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد بل يريدون الحسين، ثم جـاء الناس أرتالا يبايعون مسلماً على بيعة الحسين.

وكان والي الكوفة حينها النعمان بن بشير وقد غض الطرف عما يجري من أمر مـسلم حتى وصلت الأخبار إلى يزيد فعزله، وعين عبيد الله بن زياد مكانه.

عندها أرسل مسلم إلى ابن عمه الحسين يدعوه للقدوم لما رأى الناس في الكوفـة قـد بايعوه، وأعلنوا له الولاء. وظن أنهم جادون في نصرته والالتزام بالبيعة.

وخرج مسلم ومعه أربعة آلاف وحاصروا قصر عبيد الله بن زياد، لكن هذا العدد مـن أهل الكوفة سرعان ما انصرف عن مسلم وخذله حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجـلاً مـن أربعة آلاف بعد أن أرسل ابن زياد إلى رؤساء العشائر يهددهم بجيش الشام ويطمعهم، فجعلوا يتفرقون عن مسلم إلى أن بقي وحيداً، وقتل مسلم رحمه الله، وقبل موته أوصى بأن يرسل إلى الحسين أن يرجع ولا يأتي إلى الكوفة، وقال كلمته المشهورة. ارجع بأهلك ولا يغرنـك أهـل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي.

قتل مسلم بن عقيل في يوم عرفة، وكان الحسين قد خرج من مكة في يوم التروية أي قبل مقتل مسلم بيوم واحد. وحاول كثير من الصحابة منع الحسين من الخروج، فإنهم كانوا يرون الخروج يجر إلى مفسدة، فقد ذكر الإمام ابن كثير في "البداية والنهاية" أن ابن عباس قال للحسين. لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب.

وأما ابن عمر فقد لحق بالحسين على مسيرة ثلاثة أيام وقال له. لا تأتهم، فأبى الحسين إلا أن يذهب، فقال عبد الله بن عمر. إني محدثك حديثاً إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة منه، والله لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم فأبى أن يرجع.

وأما عبد الله بن الزبير فخاطب الحسين قائلا. تذهب إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك. وعندما سأل الحسين الشاعر الفرزدق عن أحوال أهل العراق وكان الفرزدق عائداً من هناك أجابه. قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.

وعندما وصل إلى الحسين خبر مقتل مسلم هم بالرجوع لكنه نزل مع رأي أبناء مسلم الذين أرادوا الثأر لأبيهم. وهنا يرسل عبيد الله بن زياد جيشاً لملاقاة الحسين في الطريق وكان يرأسه الحر بن يزيد التميمي الذي لقي الحسين قريباً من القادسية وكان يعاكسه ويحاول منعه من القدوم إلى الكوفة.

أراد الحسين رضي الله عنه ـ في هذه الأثناء وبعد أن صار الاشتباك وشيكا ـ إحدى ثلاث. إما أن يرجع، أو يذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين، أو يذهب إلى يزيد حتى يضع يده في يده في الشام. لكن ابن زياد لم يقبل حتى ينزل الحسين على حكمه، أي أن يأتي الحسين إلى ابن زياد في الكوفة وهو يقرر ما سيفعل به، أن يدعه يرجع من حيث أتى من المدينة أو يسير إلى ثغر أو يتوجه إلى يزيد بالشام، فأبى الحسين ذلك.

وكان ابن زياد يصر على أن ينزل الحسين على حكمه أو أن يقاتل، وكان لا مفر من القتال، وكانت الكفتان غير متكافئتين. الحسين معه بضع وسبعون فارساً وجيش ابن زياد بضعة آلاف، ولم يبق أحد من أصحاب الحسين، فلقد كانوا يموتون بين يديه وبقي الحسين نهاراً طويلاً لا يقدم عليه أحد حتى يرجع لا يريد أن يبتلى بقتله رضي الله عنه، واستمر هذا الوضع حتى جاء شمر بن ذي الجوشن وصاح بالناس بأن يحيطوا بالحسين ويقتلوه. والذي باشر قتل الحسين رضي الله عنه هو سنان بن أنس النخعي وحز رأسه، وقيل أن الذي قتله هو شمر بن ذي الجوشن قبحه الله.

بعد أن قُتل الحسين حمل رأسه إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة وأخذ قبحه الله يدخل قضيباً في فم الحسين، ويضربه ويقول إن كان لحسن الثغر.

وقتل مع الحسين كثير من أهل بيته منهم إخوانه جعفر والعباس وأبـو بكـر ومحمـد وعثمان أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن أبناء الحسين قتل جعفر وعبد الله وعبد الرحمن، وكان مسلم قد قتل بالكوفة قبلهم.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة" أن يزيد بن معاوية لم يـأمر بقتل الحسين، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى. "وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً".

## ٦٢٧ م (٥ هـ). غزوة الأحزاب (الخندق).

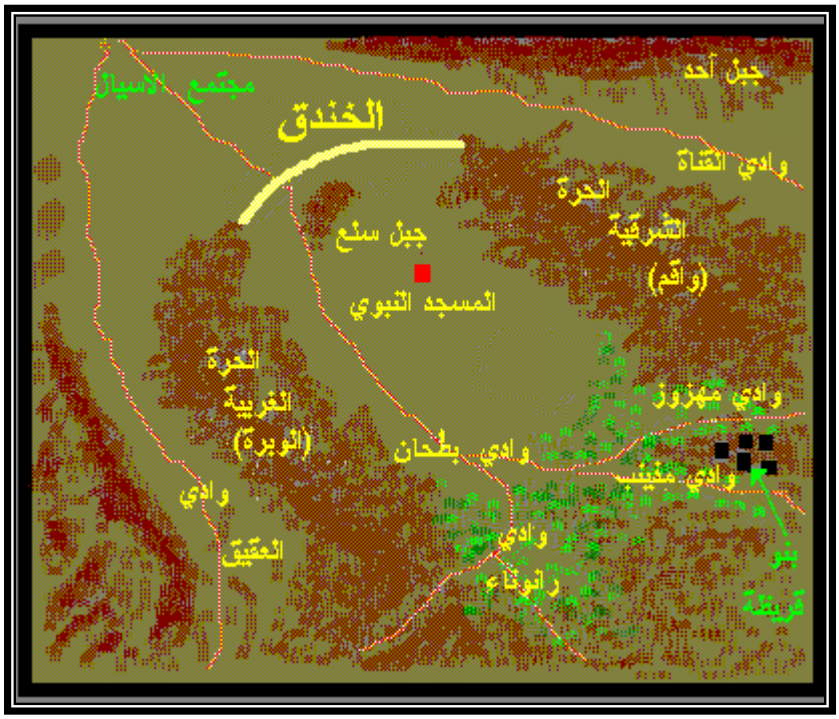


عقد يهود بني النضير على الانتقام من النبي صلى الله عليه وسـلم وأصـحابه الـذين أخرجوهم من ديارهم من المدينة، وجعلوا همهم على أن يجعلوا جبهة قويـة تتـصدى أمـام الرسول وأصحابه.

انطلق زعماء بني النضير إلى قريش يدعوهم إلى محاربة المسلمين، فنجحوا في عقـد اتفاق بينهما. ولم يكتف بنو النضير بتلك الاتفاقية، وإنما انطلقوا أيـضا إلـى بنـي غطفـان يرغبوهم في الانضمام إليهم وإلى قريش، وأغروهم بثمار السنة من نخيل خيبر إذا تم النصر بنجاح.

وهكذا انطلق جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان بن حرب، وذلـك فـي السنة الخامسة من الهجرة من شهر شوال.

لما علم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالأمر، استـشار أصـحابه وقادتـه فـي الحرب، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق في مشارف المدينـة، فاستحـسن الرسـول والصحابة رأيه، وعملوا به. كما أن يهود بني قريظة مدوا لهم يد المساعدة من معاول ومكاتل بموجب العهد المكتوب بين الطرفين.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتفقدون سير العمل، فوجدوا صخرة كبيرة كانت عائقا أمام سلمان الفارسي، حيث كسرت المعاول الحديدية، فتقدم الرسول الكـريم مـن الصخرة وقال. " باسم الله " فضربها فتصدعت وبرقت منها برقة مضيئة

فقال. " الله أكبر.. قصور الشام ورب الكعبة " ثم ضرب ضربة أخرى، فبرقت ثانيـة، فقال. " الله أكبر.. قصور فارس ورب الكعبة ". واستطاع المسلمون إنهاء حفر الخنـدق بعـد مدة دامت شهرا من البرد وشظف العيش.

بدت طلائع جيوش المشركين مقبلة على المدينة من جهة جبل أحد، ولكـنهم فوجئـوا بوجود الخندق، حيث أنهم ما كانوا متوقعين هذه المفاجأة.

لم يجد المشركون سبيلا للدخول إلى المدينة، وبقوا ينتظرون أيامـا وليـالي يقـابلون المسلمين من غير تحرك، حتى جاء حيي بن أخطب الذي تسلل إلى بني قريظة، وأقنعهم بفسخ الاتفاقية بين بني قريظة والمسلمين، ولما علم الرسول عليه الصلاة والسلام بـالأمر أرسـل بعض أصحابه ليتأكد من صحة ما قيل، فوجده صحيحا. وهكذا أحيط المسلمون بالمشركين من كل حدب وصوب، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم ييأسـوا مـن روح الله، لأنهم كانوا على يقين بأن عين الله ترعاهم.

استطاع عكرمة بن أبي جهل وعدد من المشركين التسلل إلى داخل المدينة، إلا أن عليا كان لهم بالمرصاد، فقُتل من قُتل، وهرب من هرب، وكان من جملة الهاربين عكرمة.

وأخيرا، جاء نصر الله للمؤمنين. فقد تفككت روابط جيش المشركين، وانعدمت الثقة بين أطراف القبائل، كما أرسل الله ريحا شديدة قلعت خيامهم، وجرفت مؤنهم، وأطفأت نيـرانهم، فدب الهلع في نفوس المشركين، وفروا هاربين إلى مكة.

وحين أشرق الصبح، لم يجد المسلمون أحدا من جيوش العدو الحاشدة، فازدادوا إيمانا، وازداد توكلهم على الله الذي لا ينسى عباده المؤمنين.

وهكذا، لم تكن غزوة الأحزاب هذه معركة ميدانية وساحة حرب فعلية، بل كانت معركة أعصاب وامتحان نفوس واختبار قلوب، ولذلك أخفق المنافقون ونجح المؤمنـون فـي هـذا الابتلاء. ونزل قول الله تعالى. (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمـنهم مـن قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً ليجـزي الله الـصادقين بـصدقهم و يعـذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً و رد الله الذين كفروا بغيظهم لـم ينالوا خيراً و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قوياً عزيزاً و أنزل الله الذين ظاهروهم مـن أهل الكتاب من صياصيهم و قذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون و تأسرون فريقاً)

- ٦٢٧ م (**٥ هـ**). غزو النبي صلى الله عليه وسلم ليهود بني قريظة، وذلك بعـد غزوة الأحزاب مباشرة، ونقضهم العهد معه أثناء حصار المشركين للمدينـة فـي غزوة الأحزاب. ودام حصار النبي لبني قريظة ٢٥ يوما، إلى أن نزلـوا علـى حكمه صلى الله عليه وسلم، فحكّم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه حليفهم فـي الجاهلية.
- ٦٢٧ م. (٥ هـ). وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه.

## ٦٢٨ م (٧ هـ). صلح الحديبية.

صلح الحديبية هو معاهدة في فترة صدر الإسلام بين المسلمين بقيادة محمد بن عبد الله وبين قريش التي لم تكن تدين بالإسلام آنذاك وكانت المدة المقررة للإتفاق عـشرة سـنوات، فاوض قريش عليها عثمان بن عفان (٦هـ./٦٢٨م).

في أواخر شهر شوال من السنة السادسة للهجرة، أعلن رسول الإسلام محمد بن عبد الله أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها معه، ففرحـوا وطابت نفوسهم بزيارة الكعبة وقد حرموا منها، وكان أشدهم فرحا المهاجرون الـذين اشـتد شوقهم إلى ديارهم ومن خلفوا فيها من أهلهم. وسار رسول الإسلام بـألف وخمـسمائة مـن المهاجرين والأنصار، لا يحملون من آلات الحرب إلا السيوف في القـراب، ولبـسوا لبـاس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وما حملوا من سيوف إنمـا كان للحماية مما قد يعترضهم في الطريق. ووصلت قافلة المسلمين إلى قرية الحديبية القريبـة من مكة ولما علمت قريش بقدوم محمد وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكة وكان شـهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال. وأرسـل رسـول الإسـلام عثمان بن عفان ليفاوض قريشا، وكان مقدما عندهم وتأخرت عودته وأشيع أنه قتل. وهنا عزم رسول الإسلام على دخول مكة عنوة، فإن قاتلته قريش وتجاوزت حرمة الشهر الحـرام فقـد أذن الله للمسلمين بقتالهم وصد عدوانهم. واستجاب المسلمون لما عزم عليه النبـي صـلى الله عليه وسلم وبايعوه على الموت، ودعيت هذه المبايعة بـبيعة الرضوان. لم يقتل عثمان كمـا كان أشيع وعاد إلى الحديبية وكان قد تأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفهـا، وكـان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العـام المقبل، لكي لا يقول العرب أن قريشا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرة. ووافق رسول الإسلام على مطلب قريش، وعلى أساسه عقد اتفاق بينه وبين قريش عرف بـصلح الحديبيـة وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

## شروط الصلح

١) أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين.

٢) وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه.

٣) أن لا تكون عداوة أو خيانة بين الطرفين.

٤) أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل.

## ٦٢٨ م (٧ هـ) غزوة خيبر.

في أواخر شهر المحرم غزا النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، وهي قرية كبيـرة تقـع شمال شرقي المدينة المنورة بنحو ١٨٠كم يسكنها بعـض اليهـود، وذلـك بـسبب خيـانتهم وغدرهم، فدك حصونها حتى استسلمت

ما كاد رسول الله عليه وسلم يعود من صلح الحديبية، ويستريح بالمدينة شهراً من الزمن حتى أمر بالخروج إلى خيبر. فقد كان يهود خيبر يعادون المسلمين وقد بذلوا جهدهم في جمع الأحزاب في غزوة الخندق لمحاربة المسلمين.

وخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام في مطلع العام السابع الهجري في جيش تعداده ألف وستمائة رجلٍ. وكانت خيبر محصنةً تحصيناً قوياً فيها ثمانية حصونٍ منفصلٌ بعضها عن بعض.وكان يهود خيبر من أشد الطوائف اليهودية بأساً وأكثرها وأوفرها سلاحاً.

والتقى الجمعان واقتتلوا قتالاً شديداً. واليهود يستميتون في الدفاع عنها. واستمر التراشق بينهم ست ليالٍ.

وفي الليلة السابعة وجد عمر بن الخطاب يهودياً خارجاً من الحصون فأسره وأتى بـه الرسول عليه الصلاة والسلام. فقال اليهودي. إن أمنتموني على نفسي أدلكم على أمـرٍ منـه نجاحكم. فقالوا. قد أمناك فما هو ؟ فقال الرجل. إن أهل هذا الحـصد قـد أدركهـم اليـأس

وسيخرجون غداً لقتالكم. فإذا فتح عليكم هذا الحصد فسألوكم على بيت فيـه منجنيـق ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ((لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله عليه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)).

فبات الناس ليلتهم كل منهم يتمنى أن يعطاها. فلما أصبح الصباح قال. " أين علي بـن أبي طالب " ؟ فقالوا. هو يا رسول الله يشتكي عينيه. فدعاه، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ بإذن الله، فأعطاه الراية وقال له. " والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ".

ولما ذهب علي بن أبي طالب إليهم خرج مرحب اليهودي يختال فـي سـلاحه فقتلـه. وأحاط المسلين بالحصون، وحمل المسلمون عليهم حملة صادقة. فسقطت حصونهم حصنا بعد حصن. واستولى اليأس على اليهود وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الـصلح علـى أن يحقن دماءهم، فقبل الرسول عليه الصلاة والسلام، وصارت أرضهم لله ولرسوله وللمسلمين.

وهكذا استولى المسلمون على خيبر، وغنموا منها العديد من السلاح والمتاع.

وقد قتل من اليهود في هذه الغزوة ثلاثة وتسعون رجلا واستشهد من المسلمين خمـسة عشر رجلا.

وكان من بين ما غنم المسلمون منهم عدة صحف من التوراة، فطلب اليهود ردها فردها المسلمون إليهم. ولم يصنع الرسول عليه الصلاة والسلام ما صنع الرومـان حينمـا فتحـوا أورشليم وأحرقوا الكتب المقدسة فيها، وداسوها بأرجلهم، ولا ما صنع التتار حـين أحرقـوا الكتب في بغداد وغيرها.

## ٦٢٨ م (٧ هـ). وفاة الاعشى 7 - ?هـ / ؟ - ٦٢٨م

ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعـشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير.

من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات.

كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه وكان يغنّي بشعره فسمي (صناجة العرب).

قال البغدادي. كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس فكثرت الألفاظ الفارسية فـي شعره.

عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره.

مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره.

| | |
|---|---|
| باتــتْ ســعاد وأمــسى حبلهــا رابــا، | أحــدثَ النّــأي لــي شــوقاً واوصــابا |
| وأجمعــتْ صــرمنا ســعدى وهجرتَنــا | لمــا رأتْ أن رأســي اليــوم قــد شَــابا |
| أيــام تَجلُــو لنَــا عــن بــاردٍ رتِــلٍ، | تخــالُ نكهتهــا بــا لّليــل ســيا بــا |
| وجيــدِ مغزلــةٍ تقــرو نوجــذاها، | من يانع المردِ، مــا احلــولى ومــا طابــا |
| وعــين وحــشيةٍ أغْفَــتْ، فَأرقهــا | وبــاتَ فــي دفّ أرطــاةٍ يلُــوذُ بِنــا، |
| هركولــةٌ مثــلُ دعــص الرمــل أسـفلها | مكــسوةً مــن جمــال الحــسن جلبابــا |
| تُميــلُ جــثْلاً علــى المتْنَــين ذا خُــصلٍ | يحبــو مواشــطه مــسكاً وتطبابــا |
| رعبوبــةٌ، قُنُــقٌ، خُمــصانَة، ردح، | قَــد أشــربتْ مثــلَ مــاءِ الــدر إشْــرابا |
| ومهمــةٍ نــازحٍ، قفــرٍ مــساربه، | كلّفْــتُ أعــيس تَحــتِ الرحــل نَعابــا |
| ينْبــي القُتُــود بمِثْــل البــرج متّــصِلاً | مؤيــداً قــد أنَــافُوا فَوقَــه بابــا |
| كــأن كــوري وميــسادي وميثرتــي، | كــسوتها أســفع الخــدين عبعابــا |
| ألجــاه قَطْــر، وشَــقّان لِمــرتَكِمٍ | مِــن الأميــل، عليــهِ البغْــر إكْثَابــا |
| يجري الرباب على متنيهِ تسكابا | |
| تجلــو البــوارقُ عــن طيــان مــضطمرٍ، | تخالــه كوكبــاً فــي الأفــق ثقابــا |
| حتــى إذا ذَر قَــرن الــشّمس أو كربــتْ | أحــس مِــن ثُعــلٍ بــالفَجر كلاّبــا |
| يــشلي عِطافــاً، ومجــدولاً، وســلهبةً، | وذا القِــلادةِ، محــصوفاً وكَــسابا |
| ذو صــبيةٍ كــسب تلــك الــضرباتِ لــه، | قــد حــالفوا الفقــر والــلأواء أحقابــا |
| فانــصاع لا يــأتلي شــداً بخذرفــةٍ، | إذا نَحــا لِكُلاهــا روقَــه صــابا |
| وهــن منتــصلاتٌ، كلّهــا ثقــفٌ، | تخــالهن، وقــد أرهقــن، نــشّابا |
| لأيــاً يجاهِــدها، لا يــأتَلي طَلَبــاً، | حتــى إذا عقلــه، بعــد الــونى، ثابــا |
| فكــر ذو حربــةٍ تحمــي مقاتلــه، | إذا نحــا لكلاهمــا روقــه صــابا |
| لمــا رأيــتُ زمانــاً كالحــاً شــبماً، | قَــد صــار فيــهِ رؤوس النّــاس أذْنَابــا |
| يممــتُ خَيــر فَتًــى فــي النّــاس كُلّهــم، | الــشّاهِدِين بِــهِ أعنــي ومــن غَابــا |
| لمــا رآنــي إيــاس فــي مرجمــةٍ، | رث الــشوار قَلِيــلَ المــال منْــشَابا |
| أثــوى ثــواء كــريمٍ، ثــم متعنــي | يــوم العروبــةِ إذْ ودعــتُ أصــحابا |

| | |
|---|---|
| بعنتـــريس كـــأن الحـــص لـــيطَ بهـــا | أدمـــاء لا بكْـــرةً تُـــدعى ولا نَابـــا |
| والرجـــلُ كالروضـــةِ المحـــلال زينهـــا | نبـــتُ الخريـــفِ وكانـــتْ قبـــلُ معـــشابا |
| جـــزى الإلـــه إياســـاً خَيـــر نِعمتِـــهِ، | كما جـــزى المـــرء نُوحـــاً بعـــدما شَـــابا |
| فـــي فلكـــهِ، إذْ تبـــداها ليـــصنعها، | وظـــلّ يجمـــع ألواحـــاً وأبوابـــا |

## ٦٣٠م (٨ هـ). قيام الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالتحرك لفـتح مكة.

في العام الثامن من الهجرة، الذي سمي بعام الفتح، وكان هذا الفتح تتويجا لجهود النبـي –صلى الله عليه وسلم- في الدعوة، وإيذانًا بسيادة الإسلام في شبه الجزيرة العربية.

بعد صلح الحديبية انضمت قبيلة بكر لقريش، وانضمت قبيلة خزاعة لحلـف المـسلمين وكان بين بني بكرٍ وقبيلة خزاعة ثارات في الجاهلية ودماء، وذات يومٍ تعرضت قبيلة خزاعة لعدوانٍ من قبيلة بكر الموالية لقريش، وقتلوا منهم نحو عشرين رجلاً. ودخلت خزاعة الحـرم للنجاة بنفسها، ولكن بني بكرٍ لاحقوهم وقتلوا منهم في الحرم. فجاء عمرو بن سالم الخزاعـي الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم بعدوان قبيلة بكرٍ عليهم، وأنشد الرسول صلى الله عليـه وسلم شعراً.

**يـــا رب إنـــي نـــاشد محمـــداً *** حلف أبـــينا وأبيـــه الأتلـــدا**

**إنه قـريشٌ أخلفـوك المـــوعدا *** ونقـضوا ميثاقـك المؤكـدا**
**فانصر رسـول الله نـصراً أعتـدا *** وادع عباد الله يـأتوا مـدداً**

فقال له رسول الله عليه وسلم. "نصرت يا عمرو بن سالم، والله لأمنعـنكم ممـا أمنـع نفسي منه". ودعا الله قائلاً " اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ".

وندمت قريش على مساعدتها لبني بكرٍ، ونقضها للعهد، فأرسلت أبا سفيانٍ إلى المدينـة ليصلح ما فسد من العهد، ولكنه عاد خائباً إلى مكة.

وأخذ رسول الله عليه وسلم يجهز الجيش للخروج إلى مكة. فحضرت جموع كبيرة من القبائل.

ولكن حدث شيء لم يكن متوقعاً من صحابي. وهو أن الصحابي حاطب بن أبي بلتعـة كتب كتاباً بعث به إلى قريشٍ مع امرأة، يخبرهم بما عزم عليه رسول الله عليه وسلم، وأمرها أن تخفي الخطاب في ضفائر شعرها حتى لا يراها أحد. فإذا الوحي ينزل علـى رسـول الله عليه وسلم بما صنع حاطب، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والزبيـر بن العوام ليلحقا بالمرأة. وتم القبض عليها قبل أن تبلغ مكة، وعثرا على الرسالة في ضـفائر شعرها.

فلما عاتب النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً اعتذر أنه لم يفعل ذلك ارتداداً عن دينـه، ولكنه خاف إن فشل رسول الله عليه وسلم على أهله والذين يعيشون في مكة.

فقال عمر. " يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق ". فقال رسـول الله عليـه وسلم.

" إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ".

وكان حاطب ممن حارب مع رسول الله عليه وسلم في غزوة بدر. فعفا عنه، وتحـرك جيش المسلمين بقيادة رسول الله عليه وسلم إلى مكة في منتصف رمضان من الـسنة الثامنـة للهجرة. وبلغ عددهم نحو عشرة آلاف مقاتل. ووصلوا " مر الظهـران " قريبـاً مـن مكـة، فنصبوا خيامهم، وأشعلوا عشرة آلاف شعلة نار. فأضاء الوادي.

وهناك تقابل العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان. فأخذه العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام. " ويحك يا أبا سفيانٍ أما آن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ ".

فقال العباس. " والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ "

فقال. " أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ".

وبعد حوارٍ طويلٍ دخل أبو سفيانٍ في الإسلام. وقال العباس. " إن أبا سفيانٍ يحب الفخر فاجعل له شيئاً. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم. " من دخل دار أبي سفيانٍ فهو آمن ومـن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ".

وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يري أبا سفيانٍ قوة المسلمين، فحبسه عند مضيق الجبل. ومرت القبائل على راياتها، ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخـضراء. فقال أبو سفيان. ما لأحدٍ بهؤلاء من قبل ولا طاقة.

ثم رجع أبو سفيانٍ مسرعاً إلى مكة، ونادى بأعلى صوته. " يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به. فمن دخل داري فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ". فهرع الناس إلى دورهم وإلى المسجد. وأغلقوا الأبواب عليهم وهـم ينظرون من شقوقها وثقوبها إلى جيش المسلمين، وقد دخل مرفوع الجبـاه. ودخـل جـيش المسلمين مكة في صباح يوم الجمعة الموافق عشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها وهو يقرأ قوله تعالى. (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) واستسلمت مكة، وأخذ المسلمون يهتفون في جنبات مكة وأصواتهم تشق عنـاء السماء. الله أكبر.. الله أكبر.

وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرم، وطاف بالكعبـة، وأمـر بتحطـيم الأصنام المصفوفة حولها. وكان يشير إليها وهو يقول. (و قل جاء الحق و زهق الباطـل إن الباطل كان زهوقاً) وبعد أن طهرت الكعبة من الأصنام أمر النبي عليه الصلاة والسلام بـلالاً أن يؤذن فوقها.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكـم ؟ " قالوا. " خيراً. أخٌ كريم وابن أخٍ كريم ". فقال عليه الصلاة والسلام. " اذهبوا فأنتم الطلقاء".

فما أجمل العفو عند المقدرة، وما أحلى التسامح والبعد عن الانتقام. ولننظر مـا فعـل الغالبون بالمغلوبين في الحربين العالميتين في قرننا هذا، قرن الحضارة كما يقولـون، لـنعلم الفرق ما بين الإسلام والكفر.

وهكذا ارتفعت راية الإسلام في مكة وما حولها، وراح الناس ينعمون بتوحيد الله.

## ٦٣٠ م (٨ هـ). غزوة حنين.

بعد أن فتح المسلمون مكة، انزعجت القبائل المجاورة لقريش من انتصار المسلمين على قريش.

وفزعت هوازن و ثقيف من أن تكون الضربة القادمة من نصيبهم. وقالوا لنغز محمـداً قبل أن يغزونا. واستعانت هاتان القبيلتان بالقبائل المجاورة، وقرروا أن يكون مالك بن عوف سيد بني هوازن قائد جيوش هذه القبائل التي ستحارب المسلمين. وأمر رجاله أن يـصطحبوا معهم النساء والأطفال والمواشي والأموال ويجعلوهم في آخر الجيش، حتى يستميت الرجـال في الدفاع عن أموالهم وأولادهم ونسائهم.

لما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك خرج إليهم مع أصحابه وكان ذلك في شـهر شوال من العام الثامن للهجرة. وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً من المجاهدين. عشرة آلف من الذين شهدوا فتح مكة، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح من قريش.

ونظر المسلمون إلى جيشهم الكبير فاغتروا بالكثرة وقالوا لن نغلب اليوم من قلة.

وبلغ العدو خبر خروج المسلمين إليهم فأقاموا كميناً للمسلمين عند مدخل وادي أوطاس (قرب الطائف) وكان عددهم عشرين ألفاً.

وأقبل الرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى نزلوا بالوادي. وكان الوقت قبيـل الفجر، والظلام يخيم على وادي حنين السحيق. وفوجئ المسلمون بوابل من الـسهام تنهـال عليهم من كل مكان. فطاش صوابها، واهتزت صفوفهم، وفر عدد منهم.

**ولما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم هزيمة المسلمين نادى فيهم يقول.**

**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم العباس أن ينادي في النـاس، فقـال. يـا معـشر الأنصار، ويا معشر المهاجرين، يا أصحاب الشجرة. فحركت هذه الكلمات مـشاعر الإيمـان والشجاعة في نفوس المسلمين، فأجابوه. لبيك يا رسول الله لبيك.

وانتظم الجيش مرةً أخرى، واشتد القتال. وأشرف الرسول صلى الله عليه وسـلم علـى المعركة. وما هي إلا ساعة حتى انهزم المشركون، وولوا الأدبار تاركين النـساء والأمـوال والأولاد. وأخذ المسلمون ينهمكون في تكثيف الأسرى وجمع الغنائم. وبلغ عدد الأسرى مـن الكفار في ذلك اليوم ستة آلاف أسير.

وهكذا تحولت الهزيمة إلى نصر بإذن الله تعالى.

وكانت حنين درساً استفاد منه المسلمون. فتعلم المسلمون أن النصر ليس بكثرة العـدد والعدة. وأن الاعتزاز بذلك ليس من أخلاق المسلمين. ومرت الأيام فإذا بوفد من هوازن يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن ولاءه للإسلام، وجاء وفد من ثقيف أيضاً يعلن إسلامه. وأصبح الذين اقتتلوا بالأمس إخواناً في دين الله...

## ٦٣٠ م (٨ هـ). سرية مؤتة.

في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله عليـه وسـلم جيـشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الذي كان رسول الله عليه وسلم قد بعثـه إلـى أميـر بصرى داعياً له إلى الإسلام.

وأمر على الجيش زيد بن حارثة، وقال عليه الصلاة والسلام. " إن أصيب زيد فجعفـر بن أبي طالب، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله فخالد بن الوليد".

وانطلق الجيش وبلغ عددهم ثلاثة آلافٍ من المهاجرين والأنصار. وأوصاهم الرسـول عليه الصلاة والسلام بأن لا يقتلوا امرأةً ولا صغيراً، ولا شيخاً فانياً ولا تقطعـوا شـجراً ولا تهدموا بناء.

ووصل الجيش إلى مكان يدعى " معان " في أرض الشام. وكان هرقل قد حشد مـائتي ألف مقاتل لقتال المسلمين.

والتقى الجيشان غير المتكافئين عدداً أو عدة. وقاتل المسلمون قتال الأبطال. وصـمدوا أمام هذا الجيش الضخم. وقاتل زيد بن حارثة حامل اللواء حتى استشهد، فتولى القيادة جعفـر بن أبي طالب، وحمل اللواء بيمينه فقطعت، ثم حمله بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتـى ضربه رجلٌ من الروم فاستشهد، فسمي بذي الجناحين حيث أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء.

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى استشهد. فأخذ الراية خالـد بـن الوليـد. واستعمل دهاءه الحربي، حتى انحاز بالجيش، وأنقذه من هزيمة منكرة كادت تقع. فانتهز خالد فرصة قدوم الليل فغير نظام الجيش، فجعل ميمنة الجيش ميسرة، وميسرته ميمنة، كما جعـل مقدمة الجيش في المؤخرة، ومؤخرة الجيش في المقدمة.

فلما أطل الصباح، أنكرت الروم ما كانوا يعرفون من راياتهم، وسـمعوا مـن الجلبـة وقعقعة السلام، فظنوا أنهم قد جاءهم مدد. فرعبـوا وانكـشفوا، ومـا زال خالـد يحـاورهم ويداورهم، والمسلمون يقاتلونهم أثناء انسحابهم بضعة أيامٍ حتى خاف الروم أن يكـون ذلـك استدراجاً لهم إلى الصحراء. فتوقف القتال.

وهكذا تبدلت هزيمة جيش المسلمين إلى نصرٍ. وأي نصرٍ أكبر من صمود جيشٍ يبلـغ عدده ثلاثة آلاف مقاتلٍ أمام جيشٍ عدده مائتا ألف مقاتلٍ.

وإنه لشيء نادر أن يقف جندي واحد أمام سبعين من الجنود المحملين بالسلاح، ولكـن قوة الإيمان هي التي جعلت المسلمين يصمدون أمام جيش العدو.

## ٦٣٠ م (٨ هـ). وفاة زيد بن حارثة.

زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب الكلبي. أمه سعدى بنت ثعلبة بن عامر، مـن بنـي معن من طيئ. صحابي جليل يعود نسبه إلى قبيلة كلب. أُسِر وهو فتى يافع، وبيع في سـوق عكاظ؛ فاشتراه حكيم بن حِزم لعمته خديجة بنت خويلد. ولما تزوجها محمد- صلى الله عليـه وسلم- قبل البعثة أهدته زيداً فأعتقه .

عرف أهل زيد بن حارثة بوجوده في مكة، فجاءه أبوه لفدائه، وخاطب محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشأن فدائه؛ فخيره بين الالتحاق بأهله أو البقاء عنده، فآثر زيد ـ رضي الله عنه ـ البقاء عند محمد، فتبناه، واصبح يعرف بزيد بن محمد. حتى نزلـت الآيـة الكريمـة **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عِنْد اللهِ** الأحزاب. ٥. فعرف بعدها بزيد بن حارثة .

كان زيد من أوائل من أسلموا وتربى في مدرسة النبوة وعب الإسلام من منبعه الأصيل . صحب زيد الرسول إلى الطائف عندما قصد أهلها يدعوهم لنصرته. وهاجر ـ رضي الله عنه ـ إلى المدينة، فآخى الرسول بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب، ثم زوجه زينب بنت جحش ابنة عمته .

ذكر القرآن اسمه في الآية الكريمة "**فَلَما قَضى زيد مِنْها وطَرا زوجنَاكها لِكَي لا يكُون على المؤْمِنِين حرج فِي أَزواج أَدعِيائِهم إِذَا قَضوا مِنْهن وطَرا وكَان أَمر اللهِ مفْعولاً**" الأحزاب.٣٧. والمقصود أن القرآن أمر النبي بتطليق زينب بنت جحش من زيد وتزويجها للنبي، حتى يبطل مفهوم التبني .

كان زيد بن حارثة من الرماة، شهد جميع الغزوات مع الرسول، واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة عندما خرج إلى غزوة بني المصطلق، وأمره كذلك على عدد من السرايا .

وعندما أراد الرسول غزو الروم في بلاد الشام وجمع جيشاً من ثلاثة آلاف مجاهد، عقد القيادة الأولى لزيد ـ رضي الله عنه ـ فاستشهد زيد في مؤته سنة ٨هـ .وحزن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديداً، وقال. اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لزيد

## ٦٣٠ م (٩ هـ). غزوة تبوك.

بعد فتح مكة ودخول الحجاز كلها في الإسلام، خشي العرب التابعون للروم من المسلمين في بلاد الشام من قوة الإسلام. فقرر الروم غزو المسلمين. وجهزوا جيشاً كبيراً عسكروا جنوب بلاد الشام.

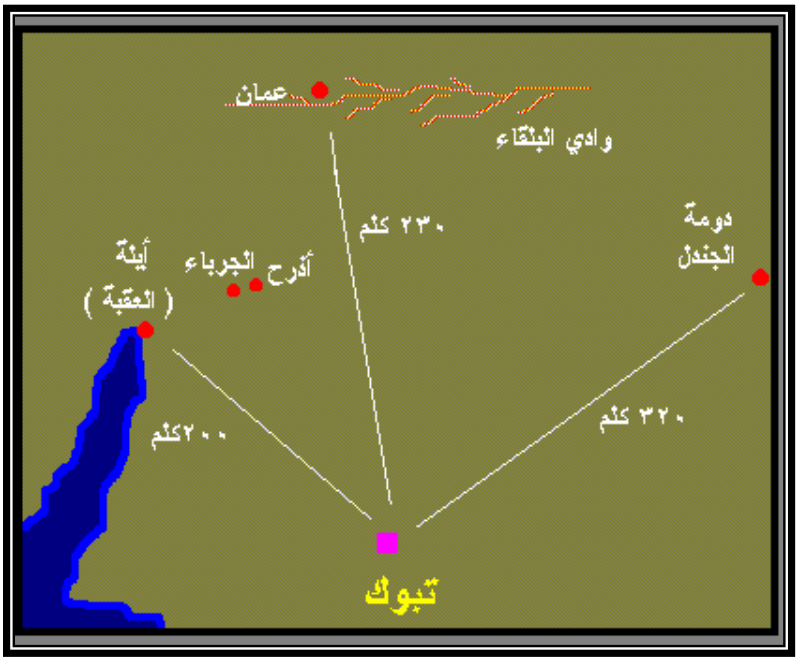

وصلت الأخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فدعا إلى تجهيز جيش قـوي يـصد غزو الروم.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن الظروف التي يمر بها صعبة، وأن الأيـام أيام قيظٍ وقحط. فبعث الرجال يحثون القبائل على الاشتراك في الجيش، وحث الأغنياء علـى أن يجودوا بمالهم، فتبرع عثمان بن عفان بعشرة آلاف دينار وتسعمائة بعيرٍ، ومائة فرس.كما تبرع أبو بكرٍ الصديق بكل ماله. وتبرع عبد الرحمن بن عوف بأربعين ألف دينار. وتبرعت النساء بحليهن وزينتهن من الذهب.

و تحرك جيش المسلمين إلى تبوك في شهر رجب من العام التاسع بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان عددهم ثلاثين ألفاً تقريباً. و أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم اللـواء لأبي بكرٍ الصديق. وعسكر النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه في ثنية الوداع. وكـان الحـر شديداً للغاية، وعانى المسلمون من عسرة الماء والزاد، حتى اضطروا لذبح إبلهم وإخراج مـا في كروشها فيعصرونه ويشربونه. لذلك سميت الغزوة بغزوة العسرة.

وقضى المسلمون في تبوك حوالي عشرين يوماً، ولكن لم يجدوا هناك أحداً من الـروم الذين رجعوا من حيث أتوا، حينما علموا بمسير الجيش المسلم الذي يؤثر الموت على الحياة.

واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منهـا من ديار الشام. فأشار عليه الفاروق عمر بالعودة إلى المدينة. فاستحسن الرسول صلى عليـه وسلم رأيه وعادوا إلى المدينة حامدين شاكرين .

- ٦٣٠ م (٩ هـ). وفاة نجاشى الحبشة
- ٦٣٠ م (٩ هـ). وفاة عبد الله بن ابى سلول رأس المنافقين
- ٦٣٠ م (٩ هـ). وفاة ام كلثوم بنت النبى الكريم.

## ٦٣١ م (١٠ هـ). عام الوفود.

بعد الجهر بالدعوة أخـذ عددالمؤمنين يزداد قليلاً قليلاً، إلى أن أُذِن له صلى الله عليـه وسلم بالهجرة إلى المدينة، فازداد عددهم بدخول عرب المدينة ومن حولها في الدين وحـدانا وجماعات، ولكن الدعوة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة من الانتشار والعموم حتى تـم صـلح الحديبية بين قريش والمسلمين، فكان ذلك الصلح سبباً كبيراً من أسباب فشو الدعوة وعمومهـا حيث أمنت الطرق وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من إرسال الرسل والكتب الى الملوك والأمم والقبائل، ثم تم الأمر بفتح مكة ودخول أعاظم قريش في الإسـلام، وانتـشار القـرآن بأسلوبه البديع وحكمه البالغة المؤثرين في عقول العرب ذلك التأثير الذي لانت به شـكيمتهم

وشرعوا يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجاً، وقد كان أكثر ذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فمن ذلك وفد (ثقيف) جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه من تبوك يريدون الإسلام، وطلبوا أشياء أباها عليهم وأشياء أعطاها لهم.

ووفد (نصارى نجران)، وهؤلاء لم يسلموا بل رضوا بدفع الجزية.

ووفود (بني فزارة) قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين.

ووفد (بني تميم) جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أشرافهم ونادوه من وراء الحجرات، وبعد تبادل الخطب وإنشاد الشعر بين خطبائهم وشعرائهم وخطباء المسلمين وشعرائهم أسلموا وعادوا إلى أوطانهم.

ووفد (بني سعد بن بكر) يؤمهم ضمام بن ثعلبة، الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة وأجابه عنها، فأسلم وعاد إلى قومه فما بقى منهم أحد إلا أسلم من يومه.

ووفد (كندة) في مقدمته الأشعث بن قيس، وقد أسلموا بعد أن سمعوا أوائل سورة الصافات.

ووفد (بني عبد القيس بن ربيعة) وكانوا نصارى فأسلموا جميعاً.

ووفد (بني حنيفة بن ربيعة) فأسلموا، وكان فيهم مسيلمة بن حنيفة، الذي لقب بالكذاب لادعائه النبوة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدار الآخرة.

ووفد (طيء من قحطان) يقدمهم زيد الخيل، وقد أسلموا جميعاً.

ووفد (بني الحارث بن كعب) فيهم خالد بن الوليد جاءوا مسلمين.

وهكذا دخل الناس في دين الله أفواجاً، حتى بلغ من كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة أكثر من مائة ألف، والذين لم يحضروا حجة الوداع من المسلمين كانوا أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة

- ٦٣٢ م (١٠ هـ). وفاة ابراهيم ابن النبي الكريم.

## ٦٣٢ م (١٠ هـ). حجة الوداع.

أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا.. إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من

دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمـة الله، ولكـم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهـن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله.

((**أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكـم وصـلوا خمـسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعـوا ولاة أمركم، تدخلوا جنة ربكم**)) أخرجه ابن ماجه.

وأخرج مسلم أنه قال. ((**وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون**؟)) قالوا. نشهد أنـك قـد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى النـاس. ((اللهـم اشهد)) ثلاث مرات.

ولما فرغ من خطبته نزل عليه قوله تعالى. **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا** [المائدة.٣].

## ٦٣٢ م (١١ هـ). تولية الرسول صلى الله عليه وسلم "أسامة بن زيد" إمـارة الجيش الذي أرسله لتأمين حدود شبه الجزيرة العربية من هجمات الروم.

أسامـة بن زيـد بن حارثة بن شراحيـل الكَلْبي، أبو محمد، من أبناء الإسلام الذين لم يعرفوا الجاهلية أبدا، ابن زيد خادم الرسـول -صلى اللـه عليه وسلم- الذي آثـر الرسـول الكريم على أبيه وأمه وأهله والذي وقف به النبـي على جموع من أصحابه يقول. (**أشـهدكم أن زيدا هذا ابني يرثني وأرثه**).

وأمه هي أم أيمن مولاة رسـول الله وحاضنته، ولقد كان له وجه أسود وأنف أفطـس ولكن مالكا لصفات عظيمة قريبا من قلب رسول الله.

### حب الرسول له.

عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- قالت. عثَر أسامة على عتبة الباب فشَج جبهتَـه، فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمص شجته ويمجه ويقول. (**لو كان أسامة جاريـة لكسوتُه وحلّيتُه حتى أنفقه**).

كما قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها-. (**ما ينبغي لأحد أن يبغِض أسامة بن زيـد بعدما**) سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول. (**من كان يحِب الله ورسوله، فليحـب أسامة**).

وقد اشترى الرسول -صلى الله عليه وسلم- حلّةً كانت لذي يزن، اشـتراها بخمـسين ديناراً، ثم لبسها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجلس على المنبر للجمعة، ثم نزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكسا الحلّة أسامة بن زيد.

بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعثاً فأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعـن بعـض الناس في إمارته فقال -صلى الله عليه وسلم-. (**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون فـي إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده**).

## نشأته وايمانه.

على الرغم من حداثة سن أسامة -رضي الله عنه- الا أنه كان مؤمنا صلبا، قويا، يحمل كل تبعات دينه في ولاء كبير لقد كان مفرطا في ذكائه، مفرطا في تواضـعه، وحقـق هـذا الأسود الأفطس ميزان الدين الجديد ان أكرمكم عند الله أتقاكم فها هو في عام الفتح يدخل مكة مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أكثر ساعات الاسلام روعة.

## الدروس النبوية.

قبل وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعامين خرج أسامة أميرا على سـرية للقـاء بعض المشركين، وهذه أول امارة يتولاها، وقد أخذ فيها درسه الأكبر من رسول الله -صـلى الله عليه وسلم- فهاهو يقول. فأتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد أتاه البشير بالفتح، فـاذا هو متهلل وجه، فأدناي منه ثم قال. (**حدثني**).

فجعلت أحدثه، وذكرت له أنه لما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت اليه بالرمح، فقال. (**لا اله الا الله**) فطعنته فقتلته، فتغير وجه رسـول اللـه -صلى اللـه عليه وسـلم- وقـال. (**ويحك يا أسامة!... فكيف لك بلا اله الا اللـه؟... ويحك يا أسامة!... فكيف لك بلا الـه الا الله ؟**)...

(**فلم يزل يرددها علي حتى لوددت أني انسلخت من كل عمل عملته، واستقبلت الاسلام يومئذ من جديد، فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا اله الا الله بعد ماسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم**).

أهم قريش شأن المرأة التي سرقت، فقالوا. (**من يكلّم فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-** ؟)... فقالوا. (**ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-** ؟)...

فكلّمه أسامة فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. (**لم تشفع في حد من حدود الله** ؟)... ثم قام النبي -صلى الله عليه وسلم- فاختطب فقال. (**إنّما أهلك الله الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)...

## جيش أسامة.

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسامة بن زيد بن حارثة الى الشام، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وخرج مع أسامة المهاجرون الأولون، وكان ذلك في مرض الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأخير، فاستبطأ الرسول الكريم الناس في بعث أسامة وقد سمع ما قال الناس في امرة غلام حدث على جلة من المهاجرين والأنصار !...

فحمد الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم-. (**أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وانه لخليق بالإمارة، وان كان أبوه لخليقا لها**)...

فأسرع الناس في جهازهم، وخرج أسامة والجيش، وانتقل الرسول الى الرفيق الأعلى، وتولى أبو بكر الخلافة وأمر بانفاذ جيش أسامة وقال. (**ما كان لي أن أحل لواء عقده رسول الله -صلى الله عليه وسلم-**)...

وخرج ماشيا ليودع الجيش بينما أسامة راكبا فقال له. (**يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن**)...

فرد أبوبكر. (**والله لا تنزل والله لا أركب، وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة**)... ثم استأذنه في أن يبقى الى جانبه عمر بن الخطاب قائلا له. (**ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل**)...

ففعل وسار الجيش وحارب الروم وقضى على خطرهم، وعاد الجيش بلا ضحايا، وقال المسلمون عنه. (**ما رأينا جيشا أسلم من جيش أسامة**)...

## أسامة والفتنة.

وعندما نشبت الفتنة بين علي ومعاوية التزم أسامة حيادا مطلقا، كان يحب عليا كثيـرا ويبصر الحق بجانبه، ولكن كيف يقتل من قال لا اله الا الله... وقد لامه الرسـول فـي ذلـك سابقا!...

فبعث الى علي يقول له. (**انك لو كنت في شدق الأسد، لأحببت أن أدخل معـك فيـه، ولكن هذا أمر لم أره**)... ولزم داره طوال هذا النزاع، وحين جاءه البعض يناقشونه في موقفه قال لهم. (**لا أقاتل أحدا يقول لا اله الا الله أبدا**)...

فقال أحدهم له. (**ألم يقل الله. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلـه لله ؟**)... فأجاب أسامة. (**أولئك هم المشركون، ولقد قاتلناهم حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله**)...

## وفاتـــه.

وفي العام الرابع والخمسين من الهجرة، وفي أواخر خلافة معاوية، أسلم -رضـي الله عنه- روحه الطاهرة للقاء ربه، فقد كان من الأبرار المتقين... فمـات بالمدينـة وهـو ابـن (٧٥)...

- ٦٣٢ م (**١١ هـ**). انتقال النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى.

## ٦٣٢ م (١١ هـ) خلافة أبو بكر الصديق.

مبايعة المسلمين لأبي بكر الصديق خليفة للمسلمين (خلافة أبى بكر الـصديق 13 - 11 هـ / ٦٣٢- ٦٣٤ م) عقب وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) مباشرة.

هو عبد الله بن أبي قحافة، من قبيلة قريش، ولد بعد الرسول -صلى الله عليـه وسـلم- بثلاث سنيـن، أمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه، كان يعمل بالتجارة ومـن أغنياء مكـة المعروفين، وكان أنسب قريشاً لقريش وأعلم قريـش بها وبما كان فيها من خير وشـر وكان ذا خلق ومعروف يأتونه الرجال ويألفونـه اعتنـق الاسلام دون تردد فهـو أول من أسلم من الرجال الأحرار ثم أخذ يدعو لدين اللـه فاستجاب له عدد من قريش من بيـنهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، والأرقم بن ابى الأرقم.

## ٦٣٢ م. حروب الردة.

### * نماذج من حروب الردة ـ مسيلمة الكذاب

قال مسيلمة لأتباعه وقومه قبيل المعركة الفاصلةبينه وبين المسلمين. اليوم يوم الغيـرة، اليوم إن هزمتم تُستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحـسابكم وأمنعـوا نسائكم.

وتقدم خالد رضي الله عنه بالمسلمين حتى نزل بهم على كثيب يشرف علـى اليمامـة فضرب به عسكره، وقدم رايته مع زيد بن الخطاب، وراية المهاجرين مع سالم مـولى أبـي حذيفة، وهو على الميمنة، وعلى الميسرة شجاع بن وهب، وعلى الخيل البراء بن مالـك ثـم عزله واستعمل عليهاأسامة بن زيد، وقاتل البراء راجلاً، ثم أعاده خالد على قيادة الخيل فصنع الأعاجيب.وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها.

وكانت الصدمة الأولى في المعركة عنيفة قاسية، انهزم الأعراب خلالها، حتى دخلـت بنو حنيفة خيمة خالد، وهموا بقتل أم تميم زوجته. وتنادى كبار الصحابة وقال ثابت بن قـيس بن شماس. بئس ما عودتم أقرانكم، و نادوا من كل جانب. أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة مـن المهاجرين والأنصار، وصار البراء بن معرور كالأسد الثائر، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون. يا أصحاب سورة البقرة، بطُلَ السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد مـا تحنط وتكفن فلم يزل ثابتاً حتى استشهد رضي الله عنه.

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة. أتخشى أن نُؤتي من قِبلَك؟ فقال. بئس حامـل القرآن أنا إذاً. وقال زيد بن الخطاب. أيها الناس، عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قُدماً،وقال. والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأُكلمه بحجتي، فقتـل شـهيداً رضي الله عنه.

وحمل خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى اخترق صفوف المرتـدين ووصـل قُبالـة مسيلمة، وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ثم رجع، ثم وقف بين الصفين ودعـا للمبـارزة،ثم نادى بِشعار المسلمين، وكان شعارهم يومئذ. يا محمداه، وجعل لا يبرز إليه أحد من المرتدين إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا صرعه،واقترب خالد رضي الله عنه من مـسيلمة، وعـرض عليه النصف والرجوع إلى الحق فأبى، فانصرف عنه خالد وعزل الأعراب عن المهـاجرين والأنصار، وجعل كل قبيلة على رايتها يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أيـن يؤتـون،

وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم وولى المرتدون الأدبار.

وتبع المسلمون المرتدين يقتلون منهم وهم مدبرون، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاؤوا، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم بن الطفيل بدخلوها، فدخلوها وفيها مسيلمة، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهـو يخطب فقتله، وقال قائل. يا أبا ثمامة، أين ما كنت وعدتنا؟ فقال أبو ثمامة - أي مـسيلمة -. أما الدين فلا دين،ولكن قاتلواعن أحسابكم، فاستيقن القوم أنهم كانوا على غيرشيئ.وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة.

وقال البراء بن مالك.يامعشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة،فاحتملوه فوق التروس، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم،فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخـل المـسلمون الحديقة من الباب الذي فتحه البراء، وفتح الذين دخلوا الأبواب الأخرى، وحوصر المرتـدون وأدركوا أنها القاضية لا محالة.

ووصل المسلمون في الحديقة إلى مسيلمة، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنـه جمـل أورق، يخرج الزبد من شدقيه من غيظه وحرج موقفه وانهيار بنيان زعامته، فتقدم وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة رضي الله عنه - فرماه بحربته فأصابه، وخرجـت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط فنادت امرأة من قصر مسيلمة. واأمير الوضاءة قتله العبد الأسود (أي وحشي).

يقول وحشي. فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، خرجت معهـم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس، رأيت مسيلمة الكذاب قائماً فـي يـده السيف وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريـده، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشد عليه الأنصاري - عبـد الله بن زيد - بالسيف فربك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس.

## ردة أهل البحرين وعمان ومهرة.

### ١- ردة أهل البحرين.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى فأسلم على يديه، وأقام العلاء فيهم الإسلام والعدل، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي المنذر بعده بقليل فارتد أهل البحرين، وملكوا عليهم المغـرور، وهوالمنـذر بـن

النعمان بن المنذر، وقال قائلهم. لوكان محمد نبيأمامات، ولم يبق في البحرين بلدة على الثبات سوى قرية."جواثا"، وحاصر المرتدون مسلمي جواثا وضيقوا عليهم، حتى منعواعنهم الأقوات وجاع المسلمون جوعاً شديداً.

وكان قد قام في جواثا رجل من أشرافهم، وهو الجارود بن المعلى، خطيباً وقد جمعهـم فقال. يامعشر عبدالقيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني إن علمتمـوه، ولا تُجيبـوني إن لـم تعلموه، فقالوا.سل، قال. أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا.نعـم، قـال. تعلمونـه أم ترونه؟ قالوا. نعلمه، قال. فما فعلوا؟ قالوا. ماتوا، قال. فإن محمد صلى الله عليه وسلم مـات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا. ونحن أيضاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنت أفضلنا وسيدنا، وثبتوا على إسلامهم، وتركـوا بقيـة الناس فيما هم فيه.

وبعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي لقتـال أهـل الـردة فـي البحرين، فلما دنا منها جاء إليه ثمامة بن أثال في حشد كبير، وجاء بعض أُمراء تلك النواحي رفداً إلى جيش العلاء، ولما اقترب من المرتدين وحشودهم الضخمة نـزل ونزلـوا، وبـاتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتاً عاليـة فـي جـيش المرتدين، فقال. من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبد الله بن حذف، ودنا مـن خنـدقهم فأخذوه، وكانت أمه عجلية، فجعل ينادي. يا أبجراه، فجاء أبجر بن بجير فعرفه، فقـال. مـا شأنك؟ قال. علام أُقتل وحولي عسكر من عجل وتيم اللات وغيرها؟ فخلصه، فقال لـه. والله إني لأظنك بئس ابن أخت أتيت الليلة أخوالك، فقال. دعني من هذا وأطعمني، فقد مت جوعاً، فقرب له طعاماً فأكل، ثم قال.زودني واحملني،يقول هذا والرجل قد غاب عليه السكُر، فحملـه على بعير وزوده وجوزه. وجد عبد الله بن حذف المرتدين سكارى لا يعقلون مـن الـشراب فرجع إلى العلاء فأخبره، فركب العلاء من فوره بجيشه، وانقض على المرتدين فقتلـوهم،إلا قسم استطاع الفرار والهرب.

وغنم المسلمون جميع أموالهم وأثقالهم، فكانت غنيمة عظيمة.

## ٢- ردة أهل عمان.

ظهر في عمان رجل يقال له. ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكـان يـضاهي فـي الجاهلية الجلندى، فادعى النبوة، وتابعه الجهلة من أهل عمان، فقهر جيفراً وعبداً، وألجأهمـا إلى الجبال، فبعث جيفر إلى الصديق رضي الله عنه فأخبره الخبر، وطلب مدداً فبعث رضـي الله عنه بأميرين. حذيفة بن محصن، وعرفجة البارقي الأزدي، حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى

مهرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعمان وحذيفة هو الأمير فإذا ساروا إلى بلاد مهـرة فعرفجة الأمير.

ثم أمر الصديق رضي الله عنه - بعد قهر مسيلمة ومقتله - عكرمة بن أبي جهـل أن يلحق بحذيفة وعرفجة إلى عمان،، ثم كتب الصديق إلى حذيفة وعرفجة أن ينتهيـا إلـى رأي عكرمة بعد الفراغ من المسير من عمان أو المقام بها.فلحق عكرمة بحذيفة وعرفجة قبـل أن يصلا إلى عمان، فساروا جميعاً فلما اقتربوا من عمان راسلوا جيفراً من مكان يسمى "رجاماً"، وبلغ لقيط بن مالك مجيء الجيش فعسكر في جموعه بدبا، وجعل الـذراري والأمـوال وراء ظهورهم، واجتمع جيفر وعبد بمكان يقال له صحار فعسكرا به، وبعثا إلى أمـراء الـصديق فقدمواعلى المسلمين، فتقابل الجيشان هناك، وتقاتلوا قتالاً شديداً، وجاء المسلمين في الـساعة المناسبة مدد من بني ناجية وعبد القيس فقتل من المرتدين عشرة آلاف مقاتل، وتـم النـصر للمسلمين والقضاء على المرتدين في عمان.

### ٣- ردة أهل مهرة.

سار عكرمة بالمسلمين إلى بلاد مهرة، فوجد أهلها جندين، على أحدهما - وهم الكثـرة - أمير يقال له. المصبح أحد بني محارب، وعلى الآخر الجند الآخـرين أميـر يقـال لـه. شخريت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين، فراسل عكرمة شـخريتاً فأجابه، وانضاف بقواته إلى عكرمة، وتمادى المصبح على طغيانه، مغتراً بكثرة مـن معـه ومخالفته لشخريت، فسار إليه عكرمة ومن معه، فاقتتلوا مع المصبح أشد من قتال دبا، وتـم النصر للمسلمين، وقتل المصبح وفر من كان معه.

- ٦٣٣ م. خروج يزيد بن أبي سفيان بأحد الجيوش الأربعة التي أرسلها أبو بكـر الصديق لفتح بلاد الشام، وكان قد عقد أربعة ألوية لأربعة من كبار القادة، وهـم. يزيد بن أبي سفيان، وعمـرو بن العـاص، وشرحبيل بن حسنة، وأبـو عـبيدة بـن الجـراح
- ٦٣٣ م. فتح الحيرة
- ٦٣٣ م. معركة الحصيد بين المسلمين بقيادة "القَعقَاع بن عمرو" والفرس بقيـادة "روزبه"، وانتصار المسلمين، وفرار الفرس بعد مقتل قائدهم
- ٦٣٣ م. انتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على الفرس في معركة المـذار. والمذار مكان يقع على الشاطئ الشرقي لدجلة.

- ٦٣٣ م. فتح المسلمين بقيادة "خالد بن الوليد" بلدة "أمغيشيا" التابعة للفرس، وهـي تقع على نهر الفرات، ولم يقع بأمغيشيا قتال، وإنما هجرها أهلهـا بعـد هزيمـة الفرس في "أليس"، فدخلها المسلمون فاتحين.
- ٦٣٣ م. فتح المسلمين لمدينة الأنبار بقيادة خالد بن الوليد، بعد أن تـم لـه فـتح الحيرة، وذلك في جبهة فارس التي تولى فتحها بعد معركة اليمامة فـي حـروب الردة
- ٦٣٣ م. خروج أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قائدا على أحـد الجيـوش الأربعة التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لفتح الـشام. وأبـو عبيدة من السابقين في الإسلام، وشارك مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته وسراياه، وشارك في الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق وعمـر بـن الخطاب رضي الله عنهم جميعا
- ٦٣٤ م. فتح المسلمين لمدينة بصرى الشام تحت قيادة خالد بن الوليد، وذلك فـي بداية حركة الفتوح بالشام.
- ٦٣٤ م. عقد الصديق أبو بكر أربعة ألوية لفتح بلاد الشام بعد أن فرغ من حروب الردة، وجعل قيادتها لأبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بـن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان.
- ٦٣٤ م. نشوب معركة الجسر بين المسلمين بقيادة "أبي عبيد"، والفرس بقيادة ذي الحاجب "بهمن بن جاذوية"، وكانت معركة هائلة استشهد فيها أبو عبيـد، وتـولى القيادة المثنى بن حارثة، ولم يوفق المسلمون في تحقيق النصر، وإن أبلـوا بـلاء حسنا في المعركة.

## ٦٣٥ م (١٣ هـ) معركة أجنادين.

نشوب معركة أجنادين بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليـد والـروم بقيـادة القـبقلار، وانتصر المسلمون في هذه المعركة، وانفتح لهم الطريق لاستكمال فتح الشام.

معركة أجنادين هي معركة وقعت بين المسلمين والبيزنطيين عام ٦٣٥ م قرب مدينـة الرملة في فلسطين.

وكان الصحابي الجليل "خالد بن سعيد بن العاص"، أول قائد عقد له أبو بكـر الـصديق لواء فتح الشام، وأمره بأن يعسكر بجيشه في تيماء شمالي الحجاز، وأوصاه بعدم البـدء فـي القتال إلا إذا قُوتل، وكان الخليفة الحصيف يقصد من وراء ذلك أن يكون جيش خالـد عونًـا ومددا عند الضرورة، وأن يكون عينه على تحركات الروم لا أن يكون طليعة لفتح بلاد الشام.

وحدث ما كان منه بد، فقد اشتبك خالد بن سعيد مع الروم التي استنفرت بعض القبائـل العربية من بهراء وكلب ولخم وجذام وغسان لقتال المسلمين، ولم تكن قوات خالد تكفي لقتال الروم، فُهزم هزيمة قاسية في "مرج الصفر" في (٤ من المحرم ١٣ هـ = ١١ مـن مـارس ٦٣٥م) واستشهد ابنه في المعركة، ورجع بمن بقي معه إلى "ذي مروة" ينتظر قرار الخليفة.

## الصديق يعقد أربعة ألوية.

ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى الخليفة أبي بكر الصديق أهمـه الأمـر، وجمـع كبـار الصحابة لتبادل الرأي والمشورة، واستقر الرأي على دفع العدوان، ورد الروم الذين قد يغرهم هذا النصر المفاجئ فيهددون أمن الدولة التي بدأت تستعيد أنفاسها بعد قضائها على حـروب الردة، وتوالي أنباء النصر الذي تحقق في جبهة العراق.

جهز الخليفة الصديق أربعة جيوش عسكرية، واختار لها أكفأ قواده، وأكثـرهم مرانًـا بالحرب وتمرسا بالقتال، وحدد لكل جيش مهمته التي سيقوم بها.

أما الجيش الأول فكان تحت قيادة "يزيد بن أبي سفيان"، ووجهته "البلقاء"، وهي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية، ويذكر "المدائني" أنه كان أول أمراء الشام خروجا.

- وكان الجيش الثاني بقيادة "شرحبيل بن حسنة"، ووجهته منطقة "بصرى".
- وجعل أبو بكر الصديق قيادة الجيش الثالث لـ "أبي عبيدة بن الجراح"، ووجهتـه منطقة "الجابية"، وقد لحق خالد بن سعيد الذي ذكرناه آنفًا بجيش أبي عبيدة.
- أما الجيش الرابع فكان بقيادة "عمرو بن العاص"، ووجهته "فلسطين". وأمرهم أبو بكر الصديق بأن يعاونوا بعضهم بعضا، وإذا اجتمعوا معا فالقيادة العامة لـ أبـي عبيدة بن الجراح.

## وصية الصديق للقادة.

وكان الصديق كلما خرج لتوديع جيش من الجيوش الأربعـة يوصـي قائـده بوصـايا جامعة، تبين سلوك الفاتحين المسلمين وأخلاقهم في التعامل مع أهالي البلاد القـادمين إليهـا. وأقتطف من وصية الصديق لـ يزيد بن أبي سفيان هذه الكلمات. "وإني موصيكم بعشر كلمات فاحفظوهن. لا تقتلوا شيخًا فانيا ولا صبيا صغيرا ولا امرأة، ولا تهدموا بيتًـا ولا بيعـة، ولا تقطعوا شجرا مثمرا، ولا تعقروا بهيمة إلا لأكل، ولا تحرقوا نخلاً ولا تُغرقوه، ولا تعـص، ولا تجبن..."

وجاء في وصيته لـ عمرو بن العاص. ".. اسلك طريق إيلياء حتى تنتهي إلـى أرض فلسطين، وإياك أن تكون وانيا عما ندبتك إليه، وإياك والوهن، وإياك أن تقول. جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به، واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهـل بدر، فأكرمهم واعرف حقهم، ولا تتطاول عليهم بسلطانك.. وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك، والصلاة ثم الصلاة، أذن بها إذا دخل وقتها، واحـذر عـدوك، وأمـر أصـحابك بالحرس، ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم..".

وكان مجموع تلك القوات نحو ٢٤ ألف مقاتل، وقد نجحت تلك الجيوش في التوغل في جنوبي الشام، واشتبكت في مناوشات صغيرة مع الروم، واضطر قيصرهم إلى حشد ما يملك من قوات وعتاد حتى يدفع جيوش المسلمين التي أقبلت، ولا هم لها سوى فتح تلك البلاد ونشر العدل والمساواة فيها، ولما رأى المسلمون ما يحشده الروم من قوات ضـخمة أرسـلوا إلـى الصديق يخبرونه بحالهم ويطلبون منه المدد، فأمدهم بعكرمة بن أبي جهل ومـن معـه مـن الرجال، وكان الصديق قد استبقاهم في المدينة تحسبا لأي طارئ أو مفاجأة تحدث فـي أثنـاء الفتح، غير أن جبهة القتال لم يحدث فيها تغيير، ولم يغير المدد شيئًا ممـا يجـري، وتجمـد الموقف دون قتال يحسم الموقف في الوقت الذي كان فيه خالد بن الوليد في جبهة العراق ينتقل من نصر إلى نصر، والأبصار متعلقة بما يحققه من ظفر لا تكاد تـصدق أن تتهـاوى قـوة الفرس أمام ضربات خالد حتى سقطت الحيرة في يديه.

## الاستعانة بخالد بن الوليد.

هال الخليفة أبا بكر أن تبقى الأوضاع فـي الـشام دون تحريـك، وأن يعجـز القـادة المجتمعون على تحقيق النصر في أول الجولات بينهم وبين قوات الروم التي لم تكن ضـعيفة الجانب قليلة الجند، وإنما كانت تعيش فترة زاهية بعد فوزها على الفرس وعودة الثقة إليها.

وعزم الصديق على بث روح جديدة تعودت الفوز والظفر، ومشى النصر في ركابهـا كأنه قدرها المحتوم، ولم يكن غير خالد من يمكنه تغيير الأوضاع، وإثـارة الهمـم، ووضـع الخطط التي تأتي بالنصر، وكان الصديق أكثر الناس ثقة في كفاءة خالد وقدرتـه العـسكرية، فأطلق كلمته السائرة التي رددتها كتب التاريخ. "والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد".

وبعث الصديق إلى خالد بأن يقدم إلى الشام ومعه نصف قواته التي كانـت معـه فـي العراق، حتى يلتقي بأبي عبيدة بن الجراح ومن معه، ويتسلم القيادة العامة للجيوش كلها، وفي الوقت نفسه كتب الصديق إلى أبي عبيدة يخبره بما أقدم عليه، وجاء في كتابه. ".. فـإني قـد وليت خالدا قتال الروم بالشام، فلا تخالفه، واسمع له وأطع أمره، فإني قد وليته عليـك، وأنـا

أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنـا وبـك سـبل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله".

امتثل خالد بن الوليد لأوامر الخليفة، وخرج من الحيرة بالعراق في (٨ من صـفر ١٣ هـ = ١٤ من أبريل ٦٣٤م) في تسعة آلاف جندي، فسار شمالاً ثم عرج حتى اجتاز صحراء السماوة في واحدة من أجرأ المغامرات العسكرية في التاريخ، وأعظمها خطرا؛ حيـث قطـع أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يوما في صحراء مهلكة حتى نزل بجيشه أمام البـاب الشرقي لدمشق، ثم سار حتى أتى أبا عبيدة بالجابية؛ فالتقيا ومضيا بجيشهما إلى "بصرى".

تجمعت الجيوش كلها تحت قيادة خالد بن الوليد، وحاصـر بـصرى حـصارا شـديدا واضطرت إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فأجابها خالد إلى الصلح وفتحها الله على المسلمين في (٢٥ من شهر ربيع الأول ١٣ هـ = ٣٠ من مايو ٦٣٤م)، فكانت أول مدينة فُتحت مـن الشام صلحا على أن يؤمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم، نظير الجزية التي سيدفعونها.

## الاستعداد لأجنادين.

بعد سقوط بصرى استنفر هرقل قواته، وأدرك أن الأمر جد لا هذر فيه، وأن مـستقبل الشام بات في خطر ما لم يواجه المسلمون بكل ما يملك من قوة وعتاد، حتى تسلم الشام وتعود طيعة تحت إمرته، فحشد العديد من القوات الضخمة، وبعث بها إلى بصرى حيث شرحبيل بن حسنة في قواته المحدودة، وفي الوقت نفسه جهز جيشًا ضخما، ووجهه إلى أجنادين من جنوب فلسطين، وانضم إليه نصارى العرب والشام.

تجمعت الجيوش الإسلامية مرة أخرى عند أجنادين، وهي موضع يبعـد عـن "بيـت جبرين" بحوالي أحد عشر كيلو مترا، وعن الرملة حوالي تسع وثلاثين كيلو متـرا، وكانـت ملتقى مهما للطرق.

نظم خالد بن الوليد جيشه البالغ نحو ٤٠ ألف جندي، وأحسن صنعه وترتيبه على نحـو جديد، فهذه أول مرة تجتمع جيوش المسلمين في الشام في معركة كبرى مـع الـروم الـذين استعدوا للقاء بجيش كبير بلغ ٩٠ ألف جندي.

شكّل خالد جيشه ونظّمه ميمنة وميسرة، وقلبا، ومؤخرة؛ فجعل على الميمنة "معاذ بـن جبل"، وعلى الميسرة سعيد بن عامر، وعلى المشاة في القلب "أبا عبيدة بن الجراح"، وعلـى الخيل "سعيد بن زيد"، وأقبل خالد يمر بين الصفوف لا يستقر في مكان، يحرض الجند علـى القتال، ويحثهم على الصبر والثبات، ويشد من أزرهم، وأقام النساء خلف الجيش يبتهلن إلـى الله ويدعونه ويستصرخنه ويستنزلن نصره ومعونته، ويحمسن الرجال.

وتهيأ جيش الروم للقتال، وجعل قادته الرجالة في المقدمة، يلـيهم الخيـل، واصـطف الجيش في كتائب، ومد صفوفهم حتى بلغ كل صف نحو ألف مقاتل.

## اشتعال المعركة.

وبعد صلاة الفجر من يوم (٢٧ من جمادى الأولى ١٣ هـ = ٣٠ مـن يوليـو ٦٣٤م) أمر خالد جنوده بالتقدم حتى يقتربوا من جيش الروم، وأقبل على كل جمع من جيـشه يقـول لهم. "اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا مـن عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولكم ما ترون من كثرتهم فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه، ثم قـال. أيهـا الناس إذا أنا حملت فاحملوا".

وكان خالد بن الوليد يرى تأخير القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الـساعة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب القتال فيها، ولو أدى ذلك أن يقـف مـدافعا حتى تحين تلك الساعة.

أعجب الروم بكثرتهم وغرتهم قوتهم وعتادهم فبادروا بالهجوم على الميمنة؛ حيث يقف معاذ بن جبل، فثبت المسلمون ولم يتزحزح أحد، فأعادوا الكرة على الميسرة فلم تكن أقل ثباتًا وصبرا من الميمنة في تحمل الهجمة الشرسة وردها، فعادوا يمطرون المسلمين بنبالهم، فتنادى قادة المسلمين طالبين من خالد أن يأمرهم بالهجوم، حتى لا يظن الروم بالمسلمين ضعفا ووهنا ويعاودون الهجوم عليهم مرة أخرى، فأقبل خالد على خيل المسلمين، وقال. احملوا رحمكم الله على اسم الله" فحملوا حملة صادقة زلزلزت الأرض من تحت أقدام عدوهم، وانطلق الفرسـان والمشاة يمزقون صفوف العدو فاضطربت جموعهم واختلت قواهم.

فلما رأى القبقلار قائد الروم أن الأمر خرج من يده، وأن الهزيمـة واقعـة لا محالـة بجنوده قال لمن حوله. لفوا رأسي بثوب، فلما تعجبوا من طلبه قال. يوم البئيس لا أحـب أن أراه! ما رأيت في الدنيا يوما أشد من هذا، وما لبث أن حز المسلمون رأسـه وهـو ملفـوف بثوبه، فانهارت قوى الروم، واستسلمت للهزيمة، ولما بلغ هرقل أخبار الهزيمة أسقط في يـده وامتلأ قلبه رعبا.

## بطولة وفداء.

وفي هذه المعركة أبلى المسلمون بلاء حسنًا، وضربوا أروع الأمثلة في طلب الـشهادة، وإظهار روح الجهاد والصبر عند اللقاء، وبرز في هذا اليوم مـن المـسلمين "ضـرار بـن

الأزور"، وكان يوما مشهودا له، وبلغ جملة ما قتله من فرسان الروم ثلاثين فارسا، وقتلت "أم حكيم" الصحابية الجليلة أربعة من الروم بعمود خيمتها.

وبلغ قتلى الروم في هذه المعركة أعدادا هائلة تجاوزت الآلاف، واستشهد من المسلمين ٤٥٠ شهيدا.

وبعد أن انقشع غبار المعركة وتحقق النصر، بعث خالد بن الوليد برسالة إلى الخليفـة أبي بكر الصديق يبشره بالنصر وما أفاء الله عليهم من الظفر والغنيمة، وجاء فيها. ".. أما بعد فإني أخبرك أيها الصديق إنا التقينا نحن والمشركين، وقد جمعوا لنـا جموعـا جمـة كثيـرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم، ونشروا كتبهم، وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنون أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعناهم بالرماح، ثم صـرنا إلـى السيوف، فقارعناهم في كل فج.. فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحـسن الـصنيع لأوليائه"؛ فلما قرأ أبو بكر الرسالة فرح بها، وقال. "الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقر عيني بذلك".

- ٦٣٤ م (**١٣ هـ**). وفاة الخليفة الراشد ابى بكر وتولية عمر بن الخطاب خليفة

## ٦٣٥ م (١٤ هـ). معركة القادسية الكبرى.

كسر فيها المسلمون شوكة المجوسحيث كانت المعركة علـى ارض العـراق. و فـي القادسية كسر المسلمون شوكةالمجوس كسرا لم ينجبر بعدها ابدا ففيها القـى الفـرس بكـل طاقاتهم من سلاح و عتاد و أفيال كثيرة، و أعداد كبيرة من الجند تمثلت في احكم رجـالهم و اشهرهم في الحرب و السياسة، و القى المسلمون ايضا بكل امكاناتهم من وجوه المـسلمين و تمثلت باحد صحابي رسول الله صلى الله عليه و سلم وواحد من السابقين الأوائل للأسـلام و أحد السته المرشحين للخلافة بعد عمر، انه الصحابي سعد بن ابي وقاس رضي الله عنه. حيث واجهوا اعداد الفرس و أفيالهم بسلاحهم الذي انتصروا به (الا انه الأيمان حيـث الـصلابة و الصبر و الكفاءة.

واستمرت المعركة ٣ ايام وليلة، وفي اليوم الأول وهو يوم ارماث برز الجيش الفارسي و معهم ٣٣ فيلا، ١٨ في الوسط و ١٥ في الميمنه و الميسرة. كان سعد صاعدا على شـرف ببيته و قد اشتدت عليه الدمامل و عرق النسا و كان يرسل من ادنـه رجـالا يستـصرخون، فقامت المبارزة بينهم و شرع المسلمون بقراءة سورة الجهاد (الأنفال) و كبـر سـعد اربـع تكبيرات بين كل واحدة و اختها وقت قليل. و بارز عاصم بن عمر فارسا فهرب نحو جماعته فحموه، فأخذ بدله رجلا على بغل و اذا هو خباز الملك و معه خبزه، وبارز عمرو بن معـد

يكرب فارسيا فامسكه و جاد به الأرض فمات و أخذ منه سواريه و حزامه، و بارز طليحـة الأسدي احد قادة الفرس فقتله ثم قامت مشكلة الفيله فحلها سعد بان امـر برمـاة ذات كفـاءة ليرموها في مقدمة خراطيمها و يرمي آخرون ركابها و يقوم آخرون بهجمـات استـشهادية يقطعون فيها أحزمتها لتسقط من على ظهورها الهوادج و انتهى النهـار بـأكثر ٥٠٠ قتيـل معظمهم من قبيلة اسد، و جاء الليل و قامت النساء بتمريض المصابين و حفر الفرسـان مـع الصبيان القبور لدفن الشهداء. و ظلت جثث قتلى الفرس ملقاة في الساحة.

و في صباح اليوم الثاني (يوم أغوات) وصل القعقاع بـن عمـرو التميمـي و معـه المجاهدينالذين حولهم ابو عبيدة الى العراق و كان قد امرهم ان يدخلوا عشرة عشرة، و فـي الحال بارز القعقاع الفيرزان احد قادة الفرس فقتله، و بارز الحارث بن ظبيان قائدا آخر فقتله، و جعل القعقاع كلما وصل عشرة يكبر فيرهب الفرس، و البس العرب ابلهم ملابـس غريبـة فخافت منه الفيلة و ولت تلقي من عليها الى الأرض. في هذا اليوم قتل عدد من سراة الفرس، و جود المؤمنون و في مقدمتهم القعقاع الذي نزل ٣٠نزلة. و عمر بن يكرب و ابو محجـن الذي تخلص من القيد بوساطة سلمى زوج سعد رضي الله عنهما. فأبلى بلاء حسنا و كاد فـي ذلك اليوم يقتل رستم.

و في يوم عماس و هو اليوم الثالث راى الناس بين الصفين نحو ٢٠٠٠ شهيد و حوالي عشرة الاف من المجوس و كان المسلمون يسحبون قتلاهم واحدا تلو الآخر فيدفنونهم. وأبرز ذلك اليوم ان القعقاع و زميلا له نفذا الى اكبـر فيلـين ففقـا عيونهمـا و قطعـا مقـدمتي خرطوميهما، فهاج الفيلان و داسا من حولهما من الفرس، و استمر القتال سجالا الا ان جـاء صباح القادسية (الهرير) فبات سعد رضي الله عنه طوال الليل متهجـدا داعيـا حتـى طلـع الصبح، فانقض القعقاع و و معه جميع القبائل فانهزم اعظم قادة الفرس (الفيرزان- الهرمزان) و سبق فارس من المسلمين اسمه هلال بن علفة الى سرير رستم فرآه منقضا ووجد رسـتم و قد هوى السرير فضربه ضربة بالسيف في وجهه و قضى عليه، و دارت الدائرة على الفرس و غنم المسلمون غنائم هائلة.

الله اكبر..... و لله الحمد..... فهل سيعيد التاريخ نفسه في شهرنا الحالي (محرم) و تنكسر شوكة امريكا المتحمسة للحرب. (وكان امر الله مفعـولا (فيـا مـن كـسرتم شـوكة الأمبراطورية الفارسية التى كان عمرها ٥٠٠٠ سنة هل تعجزكم الأمبراطورية الأمريكية التى لا تزيد عن ال ٥٠٠ سنة ؟؟؟؟؟؟؟؟.

هل نسي القادة و المسلمون (المعنى محدود) سعد و المثنى و القعقاع و خالد بن الوليد و صلاحا و عمرا..... أنسيتم القادسية و حطين و اليرموك و نهاوند و الحديقـة و معـارك فلسطين..... أنسيتم ارطبون و اجنادين و ذات الرقاع و الكرامـة و مـرج بـن عـامر و القسطل ؟؟؟؟؟ اين انتم من المجاهدين ؟؟؟؟؟ ما بالكم ايها الشيوخ و الأمـراء فـي الجزيـرة العربيه ؟؟؟؟ اليس فيكم و منكم... يا من قيدتم انفسكم بقيود الأنحلال و الذل و الهوان... و يا من سكرتم لخمر امريكا.. الا تسمعون هدير الدبابات و الطائرات !!!! فيستفزكم كما استفز ابا محجن الثقفي و هب ليشارك في قتال الأعداء.

يا خساراتاه لهؤلاء القادة و الملوك و السلاطين و الأمراء.

لنكن مع الله ليكن الله معنا ومن كان الله معه فلا خوف عليه، هذا ما علمنا نبينا محمـد صلى الله عليه و سلم حينما كان في الغار، و هذا الذي يجب علينا ان نقوله لأنفسنا... و اياكم اليأس (و اعلموا ان النصر مع الصبر و ان الفرج مع الكـرب و ان مـع العـسر يـسرا). اللهم انصرنا على اعداءنا..... اللهم اهلك الظالمين بالظالمين و أخرجنا من بيـنهم سـالمين آمنين..... اللهم سلط عليهم من لا يرحمهم.... اللهم عليك بهؤلاء المحتـشدين ببـوارجهم و اسلحتهم و طائراتهم لضربنا و قتلنا.... اللهم اغرقهم كما اغرقت آل فرعون مـن قبـل..... اللهم اجمعنا مع النبيين و الصديقيين و الشهداء..... اللهم ارزقنا شهادة ترضـيك و ترضـي شفيعنا صلى الله عليه و سلم..... اللهم آمين...يا رب العالمين..

## ٦٣٤ م. خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١٣ -٢٣ هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م.

الفاروق أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، ولد بعـد عام الفيل بثلاث عشرة سنة (٤٠ عام قبل الهجرة (، عرف في شبابه بالشـدة والقـوة، وكانت له مكانة رفيعـة في قومه اذ كانت له السفارة في الجاهلية فتبعثـه قريش رسولا اذا ما وقعت الحرب بينهم أو بينهم و بين غيرهم وأصبح الصحابي العظيم الشجاع الحازم الحكـيم العـادل صاحب الفتوحات وأول من لقب بأمير المؤمنين.

### اسلامـــه.

أسلم في السنة السادسة من البعثة النبوية المشرفة، فقد كان الخبـاب بـن الأرت يعلـم القرآن لفاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد عندما فاجأهم عمر بن الخطـاب متقلـدا سيفه الذي خـرج به ليصفـي حسابه مع الإسـلام ورسوله، لكنه لـم يكـد يتلـو القـرآن المسطور في الصحيفة حتى قال. (**دلوني على محمد**) وسمع خباب كلمات عمر، فخرج مـن مخبئه وصاح. يا عمـر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصـك بدعـوة نبيه -صـلى الله

عليه وسلم-، فإني سمعته بالأمس يقول. (**اللهم أيد الإسلام بأحب الرجلين إليك، أبي الحكم بن هشام، وعمر بن الخطاب**) فسأله عمر من فوره. (**وأين أجد الرسول الآن يا خباب؟**) وأجـاب خباب. (**عند الصفـا في دار الأرقـم بن أبي الأرقـم**) ومضى عمر الى دار الأرقم فخـرج إليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال. (**أما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب**) فقال عمر. (**أشهد أنّك رسـول الله**) وباسـلامه ظهر الاسلام في مكة اذ قال للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون فـي دار الأرقـم. (**والذي بعثك بالحق لتخرجن ولنخرجن معك**) وخرج المسلمون ومعهم عمر ودخلوا المـسجد الحرام وصلوا حول الكعبة دون أن تجـرؤ قريش على اعتراضهم أو منعهم، لـذلك سـماه الرسول -صلى الله عليه وسلم- (**الفاروق**) لأن الله فرق بين الحق والباطل.

## لسان الحق.

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهادهم، وضع الله الحق علـى لسانه اذ كان القرآن ينزل موافقا لرأيه، يقول علي بن أبي طالب. (**إنّا كنا لنرى إن في القرآن كلاما من كلامه ورأياً من رأيه**) كما قال عبد الله بن عمر. (**مانزل بالناس أمر فقـالوا فيـه وقال عمر، إلا نزل القرآن بوفاق قول عمر**).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال. قال رسـول اللـه -صلى اللـه عليه وسلم-. (**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر** ).

عن أبي هريرة قال . قال النبي -صلى الله عليه وسلم. (**لقد كان فيمن كان قبلكم مـن بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر**) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-. (**من نبي ولا محدث** ).

## قوة الحق.

كان قويا في الحق لا يخشى فيه لومة لائم، فقد استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعنده نسوة من قريش، يكلمنه ويستكثرنه، عاليـة أصـواتهن علـى صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسـول الله -صـلى الله عليه وسلم-، فدخل عمر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضحك، فقال عمر. (**أضحك الله سنك يا رسول الله**) (**فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-** .) عجبت من هؤلاء اللاتـي كـن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب (فقال عمر. (**فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله**) ثم قال عمر . (**يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله -صلى الله عليه وسلم**) فقلـن.

(**نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-**) فقال رسـول الله -صـلى الله عليه وسلم- . (**إيه يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجـا قـط إلا سلك فجا غير فجك**) ومن شجاعته وهيبته أنه أعلن على مسامع قريش أنه مهاجر بينما كـان المسلمون يخرجون سرا، وقال متحديا لهم. (**من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي**) فلم يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه.

## عمر في الأحاديث النبوية:

روي عن الرسـول -صلى الله عليه وسلم- العديد من الأحاديث التي تبين فضل عمـر بن الخطاب نذكر منها.

- ( إن الله سبحانـه جعل الحق على لسان عمر وقلبه )
- ( الحق بعدي مع عمـر حيث كان )
- ( إن الشيطان لم يلق عمـر منذ أسلم إلا خر لوجهه )
- ( ما في السماء ملك إلا وهو يوقّر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفـرق من عمر )

قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-. (**رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميـصاء امـرأة أبي طلحة وسمعت خشفاً أمامي، فقلت. ما هذا يا جبريل؟ قال. هذا بلال ورأيت قصرا أبيض بفنائه جارية، فقلت. لمن هذا القصر؟ قالوا. لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك**) فقال عمر. (**بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار** !) وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-. (**بينا أنا نائم إذ أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إنّي لأرى الري يجـري فـي أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب**) قالوا. (**فما أولته يا رسول الله** ؟) قال. (**العلـم**) قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-. (**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعلـيهم قمص، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ أسفل من ذلك، وعرض علي عمر بـن الخطـاب وعليه قميص يجره**) قالوا. (**فما أولته يا رسول الله** ؟) قال. (**الدين**).

## خلافة عمر:

رغب أبو بكر -رضي الله عنه- في شخصية قوية قادرة على تحمل المسئولية من بعده، واتجه رأيه نحو عمر بن الخطاب فاستشار في ذلك عدد من الصحابة مهاجرين وأنصارا فأثنوا عليه خيرا ومما قاله عثمان بن عفان. (**اللهم علمي به أن سريرته أفضل من علانيته، وأنـه ليس فينا مثله** (وبناء على تلك المشورة وحرصا على وحدة المـسلمين ورعايـة مـصلحتهم أوصى أبو بكر الصديق بخلافة عمر من بعده، وأوضح سبب اختياره قائلا. (اللهم

اني لم أرد بذلك الا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم، واجتهـدت لهـم رأيا فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم) ثم أخذ البيعة العامة له بالمسجد اذ خاطب المـسلمين قائلا. (أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فوالله ما آليـت من جهـد الرأي، ولا وليت ذا قربى، واني قد استخلفـت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا) فرد المسلمون. (سـمعنا وأطعنـا) وبايعوه سنة (١٣ هـ ).

## انجازاته:

استمرت خلافته عشر سنين تم فيها كثير من الانجازات المهمة لهذا وصفه ابن مـسعود -رضي الله عنه- فقال. (كان اسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت إمامته رحمـه، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي الى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمـر قـاتلهم حتـى تركونا فصلينا) فهو أول من جمع الناس لقيام رمضان في شهر رمضان سـنة (١٤ هـ ـ )، وأول من كتب التاريخ من الهجرة في شهر ربيع الأول سنة (١٦ هـ )، وأول من عس فـي عمله، يتفقد رعيته في الليل وهو واضع الخراج، كما أنه مـصـر الأمـصار، واستقـضـى القضـاة، ودون الدواويـن، وفرض الأعطيـة، وحج بالناس عشر حِجـج متواليـة، وحـج بأمهات المؤمنين في آخر حجة حجها وهدم مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وزاد فيه، وأدخل دار العباس بن عبد المطلب فيما زاد، ووسعه وبناه لما كثر الناس بالمدينة، وهـو أول من ألقى الحصى في المسجد النبوي، فقد كان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من الـسجود نفـضوا أيديهم، فأمر عمر بالحصى فجيء به من العقيق، فبسِط في مسجد الرسول -صلى الله علـي وسلم- وعمر -رضي الله عنه- هو أول من أخرج اليهود وأجلاهم من جزيرة العـرب الـى الشام، وأخرج أهل نجران وأنزلهم ناحية الكوفة.

## الفتوحات الإسلامية.

لقد فتح الله عليه في خلافته دمشق ثم القادسية حتى انتهى الفتح الى حمص، وجلـولاء والرقة والرهاء وحران ورأس العين والخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس وما يليهـا مـن الساحل وبيت المقدس وبيسان واليرموك والجابية والأهواز والبربر والبرلُس وقد ذلّ لوطأتـه ملوك الفرس والروم وعتاة العرب حتى قال بعضهم. (كانت درة عمـر أهيـب مـن سـيف الحجاج).

## هيـبتـه و تواضعه:

وبلغ -رضي الله عنه- من هيبته أن الناس تركوا الجلوس في الأفنية، وكان الصبيان إذا رأوه وهم يلعبون فروا، مع أنه لم يكن جبارا ولا متكبرا، بل كان حاله بعد الولاية كمـا كـان قبلها بل زاد تواضعه، وكان يسير منفردا من غير حرس ولا حجاب، ولم يغره الأمـر ولـم تبطره النعمة

## استشهاده.

كان عمر -رضي الله عنه- يتمنى الشهادة في سبيل الله ويدعو ربه لينال شرفها. (اللهم أرزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك) وفي ذات يوم وبينما كان يؤدي صلاة الفجر بالمسجد طعنه أبو لؤلؤة المجوسي (غلاما للمغيرة بن شعبة (عدة طعنات في ظهره أدت الى استشهاده ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين مـن الهجـرة ولما علم قبل وفاته أن الذي طعنه ذلك المجوسي حمد الله تعالى أن لم يقتله رجـل سـجد لله تعالى سجدة ودفن الى جوار الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر الصديق -رضـي الله عنه- في الحجرة النبوية الشريفة الموجودة الآن في المسجد النبوي في المدينة المنورة

## ٦٣٤ م معركة مرج الصفر.

نشوب معركة "مرج الصفر" بين الروم والمسلمين بقيادة خالد بن سـعيد، وذلـك فـي بدايات فتح المسلمين لبلاد الشام، وانتهت المعركة بانتصار الروم؛ الأمر الذي جعل الـصديق أبا بكر رضي الله عنه يبعث بأربعة جيوش لفتح الشام.

نشبت هذه المعركة لما كان المسلمون يحاصرون دمشق، أتاهم آتٍ فأخبرهم أن. جيـشًا قد أقبل نحوكم من عند ملك الروم، فنهض خالد بن الوليد بالناس، وأقبلوا نحو ذلك الجيش.

وجرى على أرض المعركة قتال أبلى فيه المسلمون خير بلاء وألحقوا بالمشركين القتل والهزيمة.

تفرق المشركون فمنهم من دخل دمشق مع أهلها، ومنهم من رجع إلى حمص، ومـنهم من لحق بقيصر الروم.

قتل من الروم نحو خمسمائة، وأُسِر منهم نحو ذلك.

## ٦٣٥ م (١٥ هـ). معركة اليرموك.

شكلت معركة اليرموك بين الجيوش العربيـة الإسـلامية والجيـوش البيزنطية،نقطـة انعطاف حاسمة في الفتوح العربية الإسلامية،إذ أن هذه المعركة قد ضمنت انكفاء الروم عـن

بلاد الشام ومغادرة هرقل أنطاكيا إلـى القـسطنطينية.وبحـسب كتـب التاريخ،فإنـه بعـد اليرموك،كان قد تبقى على العرب المسلمين فتح بيت المقدس وقيسارية،ولذلك يذكر أن فـتح بيت المقدس إنما جاء في المرحلة الثالثة من الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام،فهل كان هـذا التأخير متعمدا ؟وكيف يكون كذلك وفتح بيت المقدس في خاطر المسلمين،منذ زمن الرسـول الكريم،صلى الله عليه وآله وسلم؟

أحد التفسيرات يكمن في أن العرب المسلمين قد اعتمدوا منذ البداية في فتـوحهم فـي المنطقة تجنب المدن،وركزوا على القرى والسواد،ففي المدن حاميات بيزنطيـة،وأحيانا مـن الموالين الأقوياء ليبيزنطة،أما في السواد والقرى،فالأقرباء من العرب،ما يمكن معـه تجنـب وقوع صدامات كبيرة،و ضمان دخول أعداد جديدة كبيرة من العرب حظيرة الإسلام،فيكونون عونا..وبهذا التكتيك فإن الفاتحين العرب استقبلوا أكثرا مما خاضوا معارك مع القبائل العربية المقيمة في بلاد الشام وربما آثروا ألا يأخذوا القدس بالسيف،فلو حدث ووجهوا جيوشهم نحوها منذ البداية،لا قتضى ذلك منهم حروبا كثيرة،ووقتا أطول،وأعطى الفرصـة للبيـزنطيين كـي يحشدوا قواهم في المواجهة،أما بعد أن تكون أغلب الشام في أيدي العرب المسلمين،فإن فـتح بيت المقدس يكون أيسر.

مثل هذه الاستخلاصات من سير الفتوح في بلاد الشام،لا يلغـي حقيقـة أن العـرب المسلمين،كانوا يقصدون مدينتهم المقدسة منذ البداية، ولم تكن لفتوحاتهم أهداف اقتـصادية ولا هي عمليات غزو،على ما يذهب بعض المستشرقين.فالقدس مكان مقدس ذكرها الله في كتابـه العزيز.ما حولها أرض مباركة باركها الله.

يعيد كثير من المؤرخين نية الرسول الكريم صلى الله عليـة وألـه وسـلم،فتح بيـت المقدس،إلى الرسالة التي بعث بها إلى هرقل أثناء وجـوده فـي القـدس،ودعاه فيهـا إلـى الإسلام،وكذلك إلى السرايا والبعثات التي وجهها قبل وفاته إلى تخوم الشام.

حسب بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه واله،قال لواحد من صحابته أعدد ستا بعد وفاتي وتحرر القدس "وتحققت النبوءة الكريمة.فقد أقرنت من البدء بالعمل،ففي أحاديثه الشريفة أوضح محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكانة بيت المقدس،ومنـذ الـسنة الخامـسة للهجرة،بدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،ببعث السرايا علـى الطريـق بـين المدينـة والشام،ففي تلك السنة كانت غزوة دومة الجندل،وهي مكان على بعد أربعمئة وخمسين كيلـو مترا شمال تيماء.

وفي السنة السادسة بعث الرسول،سـرية أخـرى إلـى دومـة الجنـدل،وفي الـسنة السابعة،كانت غزوة خبير، لأن يهودها كانوا يهددون الطريق إلى الشام، وفي الـسنة الثامنـة

كانت سرية كعب الغفاري إلى ذات أفلاح من ناحية الشام، وهو في منطقة وادي عربـة،وفي السنة نفسها كانت غزوة ذات السلاسل،وسرية زيد بن حارثة إلى حدود فلـسطين،ثم جـاءت غزوة مؤته وتبوك.

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة كانت سرية أسامة بن زيد،وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،أن يصل إلى دير البلح في جنوب فلسطين،لكن الغزوة توقفت فترة بسيطة بسبب وفاة الرسول.ويذكر أبي هشام في سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم،أقام بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب،ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكان العام عام عسرة وشدة من الحر وجدب في البلاد، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قلما يخرج فـي غـزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصده،إلا ما كان من غزوة تبوك،فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان، وكثرة العدو،ليتأهب الناس لذلك أهبته،فأمر الناس بالجهاز وأخبـرهم أنه يريد الروم،لكنه لم يصطدم معهم في حرب، وأخضع بعض المناطق وكـان يـأمر ببنـاء مسجد في كل منطقة يمر بها.

تعكس كل هذه الأحداث توجيها واضحا من الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم، ولذلك فإن كثيرا من المؤرخين يشيرون إلى أن حروب الردة هي التي أخرت فتوح الشام،فما أن انتهى المسلمون منها،حتى تابعوا ما بداه الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسـلم.قبـل وفاته.

بعد معركة اليرموك،وكما سبقت الإشارة،شرع العرب المسلمون في اسـتكمال الفـتح ومطاردة الغلول البيزنطية.

في فلسطين كانت مدينة بيت المقدس، وكذلك قيسارية،اللتين لم يـتم فتحهما،فـضرب المسلمون عليها الحصار.

كان أبو عبيدة بن الجراح يقود حصار بيت المقدس،الذي دام طويلا علـى مـا تـذكر المصادر التاريخية،وهو أراد منذ البداية دخولها صلحا، ولكن بطريرك المدينة أراد أن يكـون متولي الصلح،ليس القائد الذي يحاصرها،بل الخليفة نفسه،إذ رأى في ذلك ضمانة أوقع أثرا.

كتب أبو عبيدة إلى الخليفة بالأمر،فحضر إلى بيت المقدس عام سـتة عـشر للهجـرة حسب بعض المصادر،فيما تشير مصادر أخرى إلى سنة خمس عشرة للهجرة، وقـد أعطـى الخليفة عمر بن الخطاب،إلى أهل بيت المقدس،ماعرف لا حقا بالعهدة العمرية التـي تعتبـر وثيقة تاريخية هامة.

ففيها أعطى الخليفة أهل إيلياء "أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصـلبانهم وسـقيمها وبرئيها وسائر ملتها،أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم،و لا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من

صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يـسكن بايلياء معهم أحد من اليهود ".

وتجمع المصادر التاريخية،على أعد الفقرة الخاصة باليهود،إنما جاءت على طلب مـن البطريك صفروينوس.

تحدد بقية نص العهدة شروط المصالحة فتقول. "على أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كمـا يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم،فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مآمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليـاء مـن الجزية،ومن أحب من أهل أيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم،فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مآمنهم، ومن كان بها من أهـل الأرض،فمـن شـاء مـنهم قعد،وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلـى أهله،لا يوخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتـاب عهـد الله، وذمـة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين،إذا أعطوا الذين عليهم من الجزية ".

## ٦٣٥ م (١٥ هـ). وفاة عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه.

عكرمة بن أبي جهل، عمرو بن هشام المخزومي القرشي. من صـناديد قـريش فـي الجاهلية والإسلام. كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنّبي. ولما قتل أبوه، تحولـت رئاسـة بني مخزوم إلي عكرمة. أسلم عكرمة بعد فتح مكة، وحسن إسلامه؛ فشهد الوقائع وولي بعض الأعمال لأبي بكر الصديق، واستشهد في اليرموك.

## ٦٣٥ م. فتح قنسرين ودمشق على يد ابو عبيدة ابن الجراح.

### * فتح دمشق.

قال ابن جرير. سار أبو عبيدة إلى دمشق، وخالد على مقدمة الناس، و قـد اجتمعـت الروم على رجل يقال له باهان بدمشق، و كان عمر عزل خالداً و استعمل أبا عبيـدة علـى الجميع، و التقى المسلمون و الروم فيما حول دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم هزم الله الروم، و دخلوا دمشق و غلقوا أبوابها، و نازلها المسلمون حتى فتحت، و أعطوا الجزية، وكـان قـدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد فاستحياأبوعبيدةأن يقرئ خالداً الكتاب حتى فتحـت دمشق و جرى الصلح على يدي خالد، و كتب الكتاب باسمه، فلما صالحت دمشق لحق باهان صاحب الروم بهرقل.وقيل. كان حصار دمشق أربعة أشهر.

وكان صاحب دمشق قد جاءه مولود فصنع طعاماً و اشتغل يومئذ، و خالد بـن الوليـد الذي لا ينام ولا ينيم قد هيأ حبالاً كهيئة السلالم، فلما أمسى هيأ أصحابه و تقدم هو و القعقاع

بن عمرو، و مذعور بن عدي و أمثالهم و قالوا. إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا و انهدوا الباب.

قال. فلما انتهى خالد و رفقاؤه إلى الخندق رموا بالحبال إلى الشُرف، و تسلق القعقاع و مذعور فلم يدعاأحبولة حتى أثبتاها في الشُرف، و كان ذلك المكان أحـصن مكـان بدمـشق فاستوى على السور خلق من أصحابه ثم كبروا، و انحدر خالد إلى الباب فقتل البوابين، و ثار أهل البلد إلى مواقفهم لا يدرون ما الشأن، فتشاغل أهل كل جهة بما يليهم، و فتح خالد الباب و دخل أصحابه عنوة.

و قد كان المسلمون دعوهم إلى الصلح و المشاطرة فأبوا، فلما رأوا البلاء بذلوا الصلح، فأجابهم من يليهم، و قبلوا فقالوا. ادخلوا و امنعونا من أهل ذاك الباب، فدخل أهل كـل بـاب بصلح مما يليهم، فالتقى خالد و الأمراء في وسط البلد هذا استعراضاً و نهباً، و هؤلاء صلحاً فأجروا ناحية خالد على الصلح بالمقاسمة، وكتب إلى عمر بالفتح، وكان ذلك سنةأربعةعـشرة للهجرة.

- ٦٣٥ م. نجاح المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد فـي فـتح مدينة دمشق، بعد حصار شديد دافع فيه الروم عن المدينة، ولكن ذلك لم يمنع من سقوطها وطلبهم الصلح، بعد أن اشتد خالد في الحصار، فأجابهم أبو عبيـدة إلـى الصلح...
- ٦٣٦ م (١٦ هـ). بدء العمل بالتقويم الهجرى فى عهد عمر بن الخطاب رضـي الله عنه
- ٦٣٦ م (١٦ هـ). فتح بيت المقدس
- ٦٣٦ م (١٦ هـ). وفاة السيدة مارية القبطية
- ٦٣٦ م. نزول الصحابي الجليل "سعد بن أبي وقاص" بقواته القادسـية اسـتعدادا للقاء الفرس في المعركة الفاصلة التي من الله بها على المسلمين بالنصر.
- ٦٣٦ م (١٦ هـ). فتح المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح مدينة حمص، بعد أن حاصروها حصارا شديدا واضطرت المدينة إلى طلب الصلح، فكتب المسلمون لأهلها كتابا بالأمان على أنفسهم وأموالهم.
- ٩٣٦ م. مولد الحافظ الكبير أبي الحسن علي بن محمد بـن خلـف المعـافري، المعروف بالقابسي، ولد وتوفي بالقيروان، وهو إلى جانـب إمامتـه فـي الفقـه والحديث مرب عظيم، اشتهر برسالته "المفصلة لأحوال المتعلمـين والمعلمـين"،

وصف فيها آداب التعليم وعلاقات المعلمين بالتلاميذ، ودعا فيها إلـى ضـرورة التعلم للجميع ذكورا وإناثا.

## ٦٣٦ م. مولد ابن النديم.

ابو الفرج محمد بن اسحق الوراق البغدادي. موسوعي واديب عراقي (٩٣٦م-٩٩٥م). نشأ في عائلة بغدادية من الوراقين، اذ كان ابوه تاجر كتب، فأخذ ابو الفرج المهنة عنه، ولكنه اخذ يطوف للحصول على نسخ من الكتب النادرة، فزار الموصل والقسطنطينية وغيرهما، ثم فكر في اعداد قائمة بكتب العلوم غير الفقهية. وفي عـام ٩٨٨م أصـدر مـسودته الأولـى (الفهرست (لزبائنه وكانت في اربع مقالات، ولما وجد ان قائمته قد لقيـت رواجـا، زادهـا تدريجيا وجعلها تشمل العلوم الفقهية وغير الفقهية، فاصبحت عشر مقالات وكل منها في عدة فنون هي علوم القرآن، والكلام، والفقه، والحديث، والمذاهب، والفلسفة، واللغات، والخرافات، والكيمياء. وهكذا شملت قائمة ابن النديم (الفهرست (لكثر فروع الشريعة والآداب والعلوم. وقد اعتبر بارتولد موسوعة ابن النديم المصدر الرئيسي لمعرفة العلوم في القرون الاربعة الأولـى للاسلام.َ

## ٦٣٧ م. هزيمة المسلمين للفرس فى موقعة جلولاء بالعراق.

(١٢ ذي القعدة ١٦هـ) معركة بين العرب والفرس.

لما سار كسرى (يزدجرد بن شهريار) من المدائن هاربا إلى حلوان (مدينة مـن مـدن الجبل على مقربة من خانقين) شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنـود، مـن البلدان التي هناك، فاجتمع إليه خلق كثير، وجم غفير من الفرس، وأمر على الجميع مهـران، وسار كسرى إلى حلوان، وأقاموا في جلولاء واحتفروا خندقا عظيما حولها، واستعدوا لملاقاة المسلمين.

كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إليه عمر، أن يقيم هو بالمـدائن، ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميرا على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو، وعلى الميمنة سعد بن مالك، وعلى الميسرة أخوه عمرو بن مالك، وعلـى الساقة عمرو بن مرة الجهني.

ففعل سعد ذلك، وبعث مع ابن أخيه جيشًا كثيفًا يقارب اثني عشر ألفـا، مـن سـادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار، ورءوس العرب.

وبعد فراغهم من أمر المدائن ساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد أحـاطوا أنفسهم بالخنادق، فحاصرهم هاشم بن عتبة، وكانوا يخرجون من بلادهم للقتال في كل وقـت،

فيقاتلون قتالا لم يسمع بمثله. وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد، وكذلك سعد يبعث المدد إلـى ابن أخيه، مرة بعد أخرى. وحمى القتال، واشتد النزال، واضطرمت نار الحرب، وقـام فـي الناس هاشم فخطبهم غير مرة، فحرضهم على القتال، والتوكل على الله.

وتعاقدت الفرس وتعاهدت، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبدا حتى يفنوا العرب. فلما كـان الموقف الأخير، وهو يوم الفيصل والفرقان، تواقفوا من أول النهار، فاقتتلوا قتالا شـديدا لـم يعهد مثله، حتى فنى النشاب من الطرفين، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء، وصاروا إلى السيوف والطبرزنيات. وحانت صلاة الظهر فصلى المـسلمون إيمـاء، وذهبـت فرقـة المجوس وجاءت مكانها أخرى، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال. أهالكم ما رأيتم أيها المسلمون؟ قالوا. نعم إنا كالون وهم مريحون. فقال. بل إنا حاملون عليهم، ومجدون في طلبهم حتى يحكم الله بيننا، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم. فحمل وحمل الناس. لذلك سميت جلولاء.

فأما القعقاع فإنه صمم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان، حتى انتهى إلى باب الخندق، وأقبل الليل بظلامه، وجالت بقية الأبطال بمن معهم فـي النـاس، وجعلـوا يأخذون في التحاجز من أجل إقبال الليل، وفي الأبطال يومئذ طليحة الأسدي، وعمـرو بـن معدي كرب، وقيس بن مكشوح، وحجر بن عدي، ولم يعلموا بما صنعه القعقاع فـي ظلمـة الليل، ولم يشعروا بذلك، لولا مناديه ينادي. أين أيها المسلمون! هذا أميركم على باب خندقهم. فلما سمع ذلك المجوس فروا، وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو، فإذا هـو علـى بـاب الخندق قد ملكه عليهم، وهربت الفرس كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعـدوا لهم كل مرصد، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف، حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى، فلذلك سميت جلولاء. وغنموا من الأموال والسلاح والذهب والفضة قريبا مما غنموا مـن المـدائن قبلها.

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو في إثر من انهزم منهم وراء كـسرى، فـساق خلفهم حتى أدرك مهران منهزما، فقتله القعقاع بن عمرو، وأفلتهم الفيرزان فاستمر منهزمـا، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة، وغنموا دواب كثيرة جدا. ثـم بعـث هاشـم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص، فنفل سعد ذوي النجدة، ثم أمر بقسم ذلك على الغانمين.

## الخطيب المصقع.

وكان المال المتحصل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف (٣٠ مليونا)، وكان الذي ولـي قسم ذلك بين المسلمين وتحصيله سلمان بن ربيعة (رضي الله عنه). ثم بعث بالأخمـاس مـن المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان، وقضاعي بن عمرو، وأبي مفزر الأسود. فلما قدموا على عمر سأل عمر زياد بن أبي سفيان عن كيفية الوقعة، فذكرها لـه، وكـان زيـاد فصيحا، فأعجب إيراده لها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأحب أن يسمع المسلمون منه ذلك، فقال له. أتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتني به؟ قال. نعم يا أمير المؤمنين، إنه ليس أحد على وجه الأرض أهيب عندي منك، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك؟ فقام في النـاس فقص عليهم خبر الوقعة، وكم قتلوا، وكم غنموا، بعبارة عظيمة بليغة، فقال عمر. إن هذا لهو الخطيب المصقع. يعني الفصيح. فقال زياد. إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا.

## جاءت الدنيا فبكى عمر.

ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجن هذا المال الذي جاءوا به سقف حتى يقسمه، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في المسجد، فلما أصبح جـاء عمـر فـي الناس، بعدما صلى الغداة وطلعت الشمس، فأمر فكشف عنه جلابيبه، فلما نظر إلـى ياقوتـه وزبرجده وذهبه الأصفر وفضته البيضاء بكى عمر، فقال له عبد الرحمن. ما يبكيك يا أميـر المؤمنين؟ فوالله إن هذا لموطن شكر. فقال عمر. والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم. ثم قسمه كمـا قـسم أمـوال القادسية.

- ٦٣٧ م. فتح تكريت والموصل
- ٦٣٧ م. فتح المسلمين لبهرسير بقيادة سعد بن أبي وقـاص وقـد كـان فـتحهم لبهرسير هو البداية لفتح المدائن
- ٦٣٧ م. انتصار المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص على دولة الفرس في معركة المدائن، ودخولهم العاصمة التليدة للفرس؛ إيذانًا بسقوط دولة فارس.
- ٦٣٧ م. فتح جلولاء آخر معاقل الفرس، إثر معركة كبيرة بين المـسلمين بقيـادة هاشم بن عتبة والفرس علي يد المسلمين الذين حلفوا بالنار أن لا يفروا أبدا حتى يفنوا العرب والمسلمين
- ٦٣٩ م. فتح عمرو بن العاص لمصر

## ٦٣٩ م. وفاة شرحبيل بن حسنة.

شرحبيل بن عبدالله بن المطاع بن الغطريف، الكندي. صحابي، مـن القـادة، يعـرف بشُرحبيل بن حسنة (وهي أمه)، نسب إلي أمه حسنة، امرأة عدولية، تزوجها سفيان وهورجل من الأنصار، وقيل هو شرحبيل بن عبد الله أحد بني الغوث بن مر أخى تميم بن مـر، وقيـل شرحبيل بن عبد الله من بني جمح، وقيل تبنته حسنة زوجة سفيان بن معم بن حبيب الجمحي، ابوه عبد الله بن المطاع بن عبد الله الغطريف، ويكنى أبا عبد الله، ويقال أبا عبـد الـرحمن، ويقال أبا وائلة، أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة. وغزا مع النبي فأوفده رسولاً إلى مصر. ثـم كان أحد الأمراء الذين وجههم أبو بكر لفتح الشام، فافتتح الأردن عنوة، وصالحه أهل طبرية. توفي بمصر .

## ٦٣٩ م. وفاة معاذ بن جبل.

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشَم بـن الخـزرج، الأنـصاري الخزرجـي، أبـو عبدالرحمن. صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الـذين جمعـوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم وهو فتى، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه رسول الله، بعد غزوة تبوك، قاضـياً ومرشداً لأهل اليمن، وأرسل معه كتاباً إليهم يقول فيه. «إني بعثت لكم خير أهلي» فبقي فـي اليمن إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وولي أبو بكر، فعاد إلى المدينة. ثم كـان مـع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام. ولما أصيب أبو عبيدة (في طاعون عمواس) اسـتخلف معاذاً .وأقره عمر، فمات في ذلك العام. وكان من أحسن الناس وجهاً ومن أسمحهم كفـاً. لـه ١٥٧ حديثاً. توفي عقيماً بناحية الأردن، ودفن بالقصير المعيني (بالغور) ومن كـلام عمـر. «لولا معاذ لهلك عمر» ينوه بعلمه .

## ٦٣٩ م. وفاة ابو عبيدة بن الجراح.

هو عامر بن عبد الله الجراح. سارع إلى نصرة الرسول محمد (ص) في معركة أحـد، وصحبه في جميع الغزوات. بعث إلى نجران ليعلم القبائل التي دخلت في الإسلام قواعد الدين الجديد. ولاه أبو بكر قيادة الجيش الذي أرسله إلى الشام، وعندما ولي عمـر بـن الخطـاب الخلافة، سلمه القيادة العليا للجيوش المحاربة في الشام بدل خالد بن الوليد. أخـضع دمـشق وحمص وأنطاكية وغيرها من مدن الشام.

- ٦٤٠ م. موقعة ام دنين

## ٦٤٠ م. مولد الاخطل.

الأخطل 90 - 19هـ / ٦٤٠ 708 - م غياث بن غوث بن الصلت بن طارقـة بـن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب.

شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهـد بنـي أميـة بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم. جرير والفرزدق والأخطل.

نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتـصل بـالأمويين فكـان شـاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تياهاً، كثيـر العنايـة بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة.

- ٦٤١ م. سقوط حصن بابليون
- ٦٤٢ م (١٣ هـ). معركة نهاوند

## ٦٤٢ م معركة نهاوند.

وفاة سيف الله المسلول "خالد بن الوليد" صاحب العديد من الفتوحات والانتصارات على أعتى إمبراطوريتين هما "الفرس" و"الروم"، وقد قضى حياته كلها بين كر وفر وجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة الدين خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، أبو سـليمان، أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إليه القبة وأعنّة الخيل، أما القبـة فكـانوا يـضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش وأما الأعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش فـي الحرب... كان إسلامه في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة، حيث قال الرسـول -صـلى الله عليه وسلم-. (الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلا لا يسلمك إلا إلى الخير).

## قصة إسلامه.

وتعود قصة اسلام خالد الى ما بعد معاهدة الحديبية حيث أسلم أخوه الوليد بـن الوليـد، ودخل الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكة في عمرة القضاء فسأل الوليد عن أخيـه خالـد، فقال. (أين خالد؟)... فقال الوليد. (يأتي به الله).

فقال النبي. -صلى الله عليه وسلم-. (ما مثله يجهل الاسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له، ولقدمناه على غيره)... فخرج الوليد يبحث عن أخيـه فلم يجده، فترك له رسالة قال فيها. (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد... فأني لم أرى أعجـب

من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك، ومثل الاسلام يجهله أحد؟!... وقد سـألني عنـك رسول الله، فقال أين خالد - وذكر قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه - ثـم قـال لـه. فاستدرك يا أخي ما فاتك فيه، فقد فاتتك مواطن صالحة).

وقد كان خالد -رضي اللـه عنه- يفكر في الاسلام، فلما قرأ رسالة أخيـه سـر بهـا سرورا كبيرا، وأعجبه مقالة النبـي -صلى اللـه عليه وسلم-فيه، فتشجع و أسلـم...

## الحلـــم.

ورأى خالد في منامه كأنه في بلادٍ ضيقة جديبة، فخرج إلى بلد أخضر واسع، فقال في نفسه. (إن هذه لرؤيا)... فلما قدم المدينة ذكرها لأبي بكر الصديق فقال له. (هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيقُ الذي كنتَ فيه من الشرك).

## الرحلـــة.

يقول خالد عن رحلته من مكة الى المدينة. (وددت لو أجد من أصاحب، فلقيت عثمـان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعا فأدلجنا سحرا، فلما كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص، فقال. (مرحبا بالقوم)... قلنا. (وبـك)... قـال. (أيـن مـسيركم؟)... فأخبرناه، وأخبرنا أيضا أنه يريد النبي ليسلم، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان).

## قدوم المدينة.

فلما رآهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصـحابه. (رمـتكم مكـة بـأفلاذ كبدها)... يقول خالد. (ولما اطلعت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وحينها قال الرسول -صـلى الله عليه وسلم-. (الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا لا يسلمك الا الى الخير)... وبايعت الرسـول وقلت. (استغفر لي كل ما أوضعـت فيه من صد عن سبيل اللـه)... فقـال. (إن الإسلام يجـب ما كان قبله)... فقلت. (يا رسول الله على ذلك)... فقال. (اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك)... وتقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحـة، فأسلما وبايعا رسول الله)...

## والدتـــه.

كان خالد بن الوليد ميمون النقيبـة، وأمه عصماء، وهي لبابة بنت الحارث أخـت أم الفضـل بنت الحارث، أم بني العباس بن عبد المطلب، وخالته ميمونة بنـت الحـارث زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

## غزوة مؤتة.

كانت غزوة مؤتة أول غزوة شارك فيها خالد، وقد قتل قادتها الثلاثة. زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة -رضي الله عنهم-، فسارع الى الراية (ثابت بـن أقرم) فحملها عاليا وتوجه مسرعا الى خالد قائلا له. (خذ اللواء يا أبا سليمان) فلم يجد خالد أن من حقه أخذها فاعتذر قائلا. (لا، لا آخذ اللواء أنت أحق به، لك سن وقد شـهدت بـدرا)... فأجابه ثابت. (خذه فأنت أدرى بالقتال مني، ووالله ما أخذته إلا لك). ثـم نـادى بالمـسلمين. (أترضون إمرة خالد؟)... قالوا. (نعم)... فأخذ الراية خالد وأنقذ جيش المسلمين، يقول خالـد. (قد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة لي يمانية).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما أخبر الصحابة بتلك الغزوة. (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب، ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب،... وعيناه -صلى الله عليه وسلم- تذرفان...، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)... فـسمي خالد من ذلك اليوم سيف الله.

## هدم العزى.

بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى العزى يهدِمها، فخرج خالد في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهى إليها فهدمها، ثم رجع إلى النبي -صـلى الله عليـه وسـلم- فقـال. (هدِمتْ؟)... قال. (نعم يا رسول الله)... فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. (هل رأيت شيئاً؟)... فقال. (لا)... فقال. (فإنك لم تهدِمها، فأرجِع إليها فاهدمها)... فرجـع خالـد وهـو متغيظ، فلما انتهى إليها جرد سيفه، فخرجت إليه إمرأة سوداء عريانة، ناشرة الرأس، فجعـل السادِن يصيح بها، قال خالد. (وأخذني اقشِعرار في ظهري)... فجعل يـصيح. (... أعـزي شـدي شدةً لا تكذّبـي... أعزي فالْقي للقناع وشَمـري أعزي إن لم تقتلي اليـوم خالـداً... فبوئي بذنبٍ عاجلٍ فتنصري وأقبل خالد بالسيف إليها وهو يقول. (... يـا عـز كُفرانَـكِ لا سبحانَكِ... إنّي وجدتُ اللهَ قد أهانَكِ) فضربها بالسيف فجزلها باثنتين، ثم رجع الى رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره فقال. (نعم ! تلك العزى قد أيِستْ أن تُعبد ببلادكم أبداً)...

ثم قال خالد. (أي رسول الله، الحمد لله الذي أكرمنا بك، وأنقذنا من الهلكة، ولقد كنـت أرى أبي يأتي إلى العزى نحيره، مئة من الإبل والغنم، فيذبحها للعزى، ويقيم عندها ثلاثاً ثـم ينصرف إلينا مسروراً، فنظرتُ إلى ما مات عليه أبي، وذلك الرأي الذي كـان يعـاش فـي فضله، كيف خُدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟!)... فقـال رسول الله. (إن هذا الأمر إلى الله، فمن يسره للهدى تيسر، ومن يسر للضلالة كان فيها).

## حروب الردة.

وشارك في فتح مكة وفي حروب الردة، فقد مضى فأوقع بأهل الردة مـن بنـي تمـيم وغيرهم بالبطاح، وقتل مالك بن نويرة، ثم أوقع بأهل بزاخَة - وهي المعركة التي كانت بـين خالد وطليحة بن خويلد-، وحرقهم بالنار، وذلك أنه بلغه عنهم مقالة سيئة، شتموا النبي -صلى الله عليه وسلم-، وثبتوا على ردتهم، ثم مضى الى اليمامة ووضـع حـداً لمـسيلمة الكـذاب وأعوانه من بني حنيفة.

## بلاد الفرس.

وفي فتح بلاد الفرس استهل خالد عمله بارسال كتب إلى جميع ولاة كسرى ونوابه على ألوية العراق ومدائنه. (بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس، سـلام على من اتبع الهدى، أما بعد فالحمدلله الذي فض خدمكم، وسلب ملككم، ووهن كيـدكم، مـن صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا، إذا جاءكم كتابي فابعثوا إلي بالرهن واعتقدوا مني الذمة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إلـيكم قومـا يحبون الموت كما تحبون الحياة !!).

وعندما جاءته أخبار الفرس بأنهم يعدون جيوشهم لمواجهته لم ينتظـر، وإنمـا سـارع ليقابلهم في كل مكان محققا للإسلام النصر تلو الآخر. ولم ينس أن يوصي جنوده قبل الزحف. (لا تتعرضوا للفلاحين بسوء، دعوهم في شغلهم آمنين، إلا أن يخرج بعضهم لقتـالكم، فآنئـذ قاتلوا المقاتلين).

## معركة اليرموك وبطولاتها ـ إمرة الجيش.

أولى أبوبكر الصديق إمرة جيش المسلمين لخالد بن الوليد ليواجهوا جيش الروم الـذي بلغ مائتي ألف مقاتل وأربعين ألفا، فوقف خالد بجيش المسلمين خاطباً. (إن هذا يوم من أيـام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكـم، وتعـالوا نتعـاور الإمارة، فيكون أحدنا اليوم أميراً والآخر غداً، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم).

## تأمين الجيش.

وقبل أن يخوض خالد القتال، كان يشغل باله احتمال أن يهرب بعض أفراد جيشه بالذات من هم حديثي عهد بالإسلام، من أجل هذا ولأول مرة دعا نساء المسلمين وسلمهن الـسيوف، وأمرهن بالوقوف خلف صفوف المسلمين وقال لهن. (من يولي هاربا، فاقتلنه).

## خالد و ماهان الروماني.

وقبيل بدء القتال طلب قائد الروم أن يبرز إليه خالد، وبرز إليه خالد، في الفراغ الفاصل بين الجيشين، وقال (ماهان) قائد الروم. (قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكـم، وفـي العام القادم أبعث إليكم بمثلها !).

وأدرك خالد ما في كلمات الرومي من سوء الأدب ورد قائلا. (إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيـب مـن دم الروم، فجئنا لذلك !)... وعاد بجواده الى صفوف الجيش ورفع اللواء عاليا مؤذنا بالقتال. (الله أكبر، هبي رياح الجنة).

## من البطولات.

ودار قتال قوي، وبدا للروم من المسلمين مالم يكونوا يحتسبون، ورسم المسلمون صورا تبهر الألباب من فدائيتهم وثباتهم... فهاهو خالد غلى رأس مائة من جنـده ينقـضون علـى أربعين ألف من الروم، يصيح بهم. (والذي نفسي بيده ما بقي من الروم من الصبر والجلد إلا ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم)... وبالفعل انتصر المائة على الأربعين ألف.

## خالد وجرجه الروماني.

وقد انبهر القادة الروم من عبقرية خالد في القتال، مما حمل (جرجه) أحد قادتهم للحديث مع خالد، حيث قال له. (يا خالد اصدقني، ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب، هل أنزل الله علـى نبيكم سيفا من السماء فأعطاك إياه، فلا تسله على أحد إلا هزمته؟)... قال خالد. (لا)... قـال الرجل. (فبم سميت سيف الله؟).

قال خالد. (إن الله بعث فينا رسوله، فمنا من صدقه ومنا من كذب، وكنت فيمن كـذب حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام، وهدانا برسوله فبايعناه، فدعا لي الرسول، وقال لـي. (أنـت سيف من سيوف الله) فهكذا سميت سيف الله)... قال القائد الروماني. (وإلام تدعون؟).

قال خالد. (إلى توحيد الله وإلى الإسلام)... قال. (هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثـل مالكم من المثوبة والأجر؟)... قال خالد. (نعـم وأفـضل)... قـال الرجـل. (كيـف وقـد سبقتموه؟)... قال خالد. (لقد عشنا مع رسول الله -صلى الله عليـه وسـلم- ورأينـا آياتـه ومعجزاته وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم في يسر، أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب، فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم).

وصاح القائد الروماني وقد دفع جواده إلى ناحية خالد ووقف بجواره. (علمني الإسـلام يا خالد !)... وأسلم وصلى لله ركعتين لم يصل سواهما، وقاتل جرجه الروماني في صـفوف المسلمين مستميتا في طلب الشهادة حتى نالها وظفر بها...

## وفاة أبوبكر.

في أثناء قيادة خالد -رضي الله عنه- معركة اليرموك التي هزمت فيها الإمبراطوريـة الرومانية توفي أبوبكر الصديق -رضي الله عنه-، وتولى الخلافة بعده عمـر -رضـي الله عنه-، وقد ولى عمر قيادة جيش اليرموك لأبي عبيدة بن الجراح أمين هـذه الأمـة وعـزل خالد... وصل الخطاب الى أبى عبيدة فأخفاه حتى انتهت المعركة، ثم أخبر خالدا بالأمر فلـم يغضب خالد -رضي الله عنه-، بل تنازل في رضى وسرور، لأنه كان يقاتـل لله وحـده لا يبغي من وراء جهاده أي أمر من أمور الدنيا...

## قلنسوته.

سقطت منه قلنسوته يوم اليرموك، فأضنى نفسه والناس في البحث عنها فلما عوتب في ذلك قال. (إن فيها بعضا من شعر ناصية رسول الله وإني أتفائل بها وأستنصر)... ففي حجـة الوداع ولما حلق الرسول -صلى الله عليه وسلم- رأسه أعطى خالداً ناصيته، فكانت في مقدم قلنسوته، فكان لا يلقى أحداً إلا هزمه الله تعالى...

## فضله.

قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-. (نِعم عبد الله خالد بن الوليد، سيفٌ مـن سـيوف الله).

قال خالد -رضي الله عنه-. (ما ليلة يهدي إلي فيها عروس أنا لها محب، أو أبشّر فيها بغلامٍ أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سريةٍ من المهاجرين أصبح بها العدو).

وأم خالد الناس بالحيرة، فقرأ من سورٍ شتى، ثم التفت إلى الناس حين انصرف فقـال. (شغلني عن تعلّم القرآن الجهاد).

نزل خالد بن الوليد الحيرة على أمير بني المرازبة فقالوا له. (احذَر الـسم لا يـسقيكه الأعاجم)... فقال. (إئتوني به)... فأُتِي به فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال. (بسم الله)... فلم يـضره شيئاً.

وأخبِر خالد -رضي اللـه عنه- أن في عسكره من يشرب الخمر، فركب فرسـه، فإذا رجل على منْسـج فرسِـهِ زقّ فيه خمر، فقال له خالد. (ما هذا؟)... قال. (خـل)... قـال. (اللهم اجعله خلاّ)... فلما رجع الى أصحابه قال. (قد جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثلها)... ففتحوها فإذا هي خلّ قال. (هذه والله دعوة خالد بن الوليد).

## وفاة خالد.

استقر خالد في حمص -من بلاد الشام- فلما جاءه الموت، وشعر بدنو أجله، قال. (لقـد شهدت مائة معركة أو زهاءها، وما في جسدي شبر الا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، ألا فلا نامـت أعـين الجبنـاء)... وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين من الهجرة النبوية... مات من قال عنه الصحابة. (الرجـل الذي لا ينام، ولا يترك أحدا ينام)... وأوصى بتركته لعمر بن الخطاب والتي كانت مكونة من فرسه وسلاحه... وودعته أمه قائلة. (... أنت خير من ألف ألف من القوم... إذا مـا كبـت وجوه الرجال أشجاع؟.. فأنت أشجع من ليث... غضنفر يذود عن أشبال أجواد؟.. فأنت أجود من سيل... غامر يسيل بين الجبال.

## ٦٤٢ م. غزو عمرو بن العاص برقة.

واستطاع ان يكسب قبيلة لواتة الكبيرة الى جانب المسلمين بل ادخل بعض اهلهـا فـى الاسلام، فكان هذا اول كسب للاسلام فيما يلى حدود مصر غربا واستفاد عمرو فى اثناء ذلك بجهود عقبة بن نافع الفهرى، وكان اذ ذاك قائدا صغيا فى جيشه فبعثه الـى زويلـة وفـزان وودان، وقد اقام عقبة فى هذه النواحى الصحراوية المنعزلة نحو عشرين سنة يدعو للاسـلام ويضرب لأهلها مثلا جميلا للمسلم الصحيح النتفانى فى دينه، واستطاع ان سكب الـى صـفه قلوب الكثيرين من اهاها ومعظمهم من نفوسة ولواتة ونفزاوة اى من البتر.

- ٦٤٤ م. ابو لؤلؤة المجوسى يغتال الخليفة الراشد عمر.

## ٦٤٤ م. خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه 35 - 23هـ/ ٦٤٣- ٦٥٥م.

**نسبه.**

هو عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. يجتمع نسبه مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجد الخامس من جهة أبيه. عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فهو قرشي أموي يجتمع هو والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عبد مناف، وهو ثالث الخلفاء الراشدين.

وأمه أروى بنت كريز وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقال لعثمان ـ رضي الله عنه ـ. )ذو النورين) لأنه تزوج رقية، وأم كلثوم، ابنتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره.

**اسلامه.**

أسلم عثمان ـ رضي الله عنه ـ في أول الإسلام قبل دخول رسول الله دار الأرقم، وكانت سنه قد تجاوزت الثلاثين، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، ولما عرض أبو بكر عليه الإسلام قال له. ويحك يا عثمان والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صماء لا تسمع، ولا تبصر، ولا تضر، ولا تنفع؟ فقال. بلى، والله إنها كذلك، قال أبو بكر. هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال. نعم.

وفي الحال مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال. )يا عثمان أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه). قال . فوالله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد رسول عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية. وكان يقال. أحسن زوجين رآهما إنسان، رقية وعثمان. كان زواج عثمان لرقية بعد النبوة لا قبلها.

**زواجه من ابنتى رسول الله.**

رقية بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأمها خديجة، وكان رسول الله قد زوجها من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت. (تَبتْ يدا أَبِي لَهبٍ وتَب). قال لهما أبو لهب وأمهما ـ أم جميل بنت حرب (حمالة الحطب) فارقا ابنتَي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما، وهوانًا لابني أبي لهب، فتزوج

عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له هناك ولدا فـسماه. "عبـد الله"، وكان عثمان يكنى به ولما سار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بـدر كانـت ابنته رقية مريضة، فتخلف عليها عثمان بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة

## زوجته أم كلثوم.

بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأمها خديجة، وهي أصغر من أختها رقية، زوجها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عثمان بعد وفاة رقية، وكان نكاحه إياها في ربيع الأول من سنة ثلاث، وبنى بها في جمادى الآخرة من السنة، ولم تلد منه ولدا، وتوفيت سـنة تسع وصلى عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

وروى سعيد بن المسيب أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى عثمان بعد وفاة رقية مهموما لهفانا. فقال له. ما لي أراك مهموما ؟

فقال. يا رسول الله وهل دخل على أحد ما دخل علي ماتت ابنة رسول الله ـ صـلى الله عليه وسلم ـ التي كانت عندي وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك. فبينمـا هـو يحاوره إذ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. )هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها، وعلى مثل عشرتها).

## صفاته.

وكان ـ رضي الله عنه ـ أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها مـن خيـر وشر، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمور لعلمـه، وتجاربـه، وحـسن مجالسته، وكان شديد الحياء، ومن كبار التجار.

أخبر سعيد بن العاص أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعثمان حـدثاه. أن أبـا بكـر استأذن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن له وهو كذلك، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف. ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحـال، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف.

ثم استأذن عليه عثمان فجلس وقال لعائشة. )اجمعي عليك ثيابك) فقضى إليه حاجته، ثم انصرف.

قالت عائشة. يا رسول الله لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمـان! قـال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له علـى تلك الحال لا يبلغ إلي حاجته.

وقال الليث. قال جماعة من الناس. ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة.

و كان لا يوقظ نائما من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه، وكان يصوم ، ويلي وضوء الليل بنفسه. فقيل له. لو أمرت بعض الخـدم فكفـوك، فقـال. لا، الليـل لهـم يستريحون فيه. وكان لين العريكة، كثير الإحسان والحلم. قال رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ. (أصدق أمتي حياء عثمان).

وهو أحد الستة الذين توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو عـنهم راض، وقال عن نفسه قبل قتله. "والله ما زنيت في جاهلية وإسلام قط".

## تبشيره بالجنة.

قال. كنت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديقة بني فلان والباب علينـا مغلق إذ استفتح رجل فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. يا عبد الله بن قيس، قم فافتح له الباب وبشره بالجنة فقمت، ففتحت الباب فإذا أنا بأبي بكر الصديق فأخبرته بما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فحمد الله ودخل وقعد، ثم أغلقت الباب فجعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينكت بعود في الأرض فاستفتح آخر فقال. يا عبد الله بن قيس قم فافتح له الباب وبشره بالجنة، فقمت، ففتحت، فإذا أنا بعمر بن الخطاب فأخبرته بما قال النبي ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ، فحمد الله ودخل، فسلم وقعد، وأغلقت الباب فجعل النبي ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ ينكت بذلك العود في الأرض إذ استفتح الثالث الباب فقال النبي ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ. يا عبد الله بن قيس، قم فافتح الباب له وبشره بالجنة على بلوى تكون فإذا عثمـان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم قال. الله المستعان.

## بيعة الرضوان.

في الحديبية دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر بن الخطاب ليبعثه إلـى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال. يا رسول الله إني أخاف قريشًا علـى نفـسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عـداوتي إياهـا وغلظتـي عليها، ولكني أدلّك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنـه لـم يـأت لحربهم وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فانطلق عثمان حتى أتى أبا سـفيان وعظمـاء قريش فبلغهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ

من رسالة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم. إن شئت أن تطوف بالبيـت فطـف، فقال. ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، واحتبـسته قـريش عندها، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل،ولما لم يكـن قتـل عثمـان ـ رضي الله عنه ـ محققًا، بل كان بالإشاعة بايع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنه علـى تقدير حياته. وفي ذلك إشارة منه إلى أن عثمان لم يقتل، وإنما بايع القوم أخذًا بثـأر عثمـان جريا على ظاهر الإشاعة تثبيتًا وتقوية لأولئك القوم، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال. اللهم هذه عن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك.

## اختصاصه بكتابة الوحى.

عن فاطمة بنت عبد الرحمن عن أمها أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقال. إن أحـد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإن الناس قد شتموه فقالت. لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان عند نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن رسول الله ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ لمسند ظهره إلي، وأن جبريل ليوحي إليه القرآن، وأنه ليقول له. اكتب يا عثيم فمـا كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله. أخرجه أحمد وأخرجه الحاكم وقـال. قالت. لعن الله من لعنه، لا أحسبها قالت. إلا ثلاث مرات، لقد رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مسند فخذه إلى عثمان، وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأن الوحي لينزل عليه وأنه ليقول. اكتب يا عثيم، فوالله ما كان الله لينزل عبدا من نبيه تلك المنزلة إلا كان عليه كريما.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال. كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بين يديه، وكان كاتب سر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

## جيش العسرة.

يقال لغزوة تبوك غزوة العسرة، مأخوذة من قوله تعـالى. لَقَـد تـاب الله علَى ـالنبِي والْمهاجِرِين والأنصار الذِين اتبعوه فِي ساعةِ الْعسرة ـ ندب رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ الناس إلى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكـة وإلـى قبائل العرب يستنفرهم وأمر الناس بالصدقة، وحثهم على النفقة والحملان، فجاءوا بـصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، فجاء بماله كله ٤٠.٠٠٠ درهم فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ. هل أبقيت لأهلك شيئًا؟ قـال. أبقيـت لهـم اللـه ورسوله. وجاء عمر ـ رضي الله عنه ـ بنصف ماله فسأله. هل أبقيت لهم شيئًا؟ قال. نعم،

نصف مالي وجهز عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثلث الجيش جهزهم بتسعمائة وخمسين بعيرا وبخمسين فرسا. قال ابن إسحاق. أنفق عثمان ـ رضي الله عنه ـ في ذلـك الجـيش نفقـة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وقيل. جاء عثمان ـ رضي الله عنه ـ بألف دينار في كمه حـين جهز جيش العسرة فنثرها في حجر رسول الله فقبلها في حجر وهو يقول. ما ضر عثمان مـا عمل بعد اليوم. وقال رسول الله. من جهز جيش العسرة فله الجنة.

## بئر رومة.

واشترى بئر رومة من اليهود بعشرين ألف درهم، وسبلها للمسلمين. كان رسول الله قد قال. من حفر بئر رومة فله الجنة.

## توسعة المسجد النبوى.

كان المسجد النبوي على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبنيًا باللبن وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا وزاد فيه عمرا وبناه على بنائه في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا، ثم غيـره عثمـان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة، وجعل عمـده مـن حجـارة منقوشة وسقفه بالساج، وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب.

## الخلافة.

لقد كان عثمان بن عفان أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنـه- لخلافته فقد أوصى بأن يتم اختيار أحد ستة. (علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، طلحة بـن عبيد الله، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف) في مـدة أقـصاها ثلاثة أيام من وفاته حرصا على وحدة المسلميـن، فتشاور الصحابـة فيما بينهم ثم أجمعـوا على اختيار عثمان -رضي الله عنه- وبايعـه المسلمون في المسجد بيعة عامـة سـنة (٢٣ هـ)، فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين استمرت خلافته نحو اثني عشر عاما تم خلالها الكثيـر من الأعمال. نَسخ القرآن الكريم وتوزيعه على الأمصار، توسيع المسجد الحرام، وقد انبسطت الأموال في زمنه حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف، ونخلة بـألف درهـم، وحـج بالناس عشر حجج متوالية.

## الفتوحات.

فتح الله في أيام خلافة عثمان -رضي الله عنه- الإسكندرية ثم سابور ثم إفريقيـة ثـم قبرص، ثم إصطخر الآخرة وفارس الأولى، ثم خو وفارس الآخرة ثم طبرسـتان ودربجـرد

وكرمان وسجستان ثم الأساورة في البحر ثم ساحل الأردن وقد أنشأ أول أسـطول إسـلامي لحماية الشواطيء الإسلامية من هجمات البيزنطيين

## الفتنة.

في أواخر عهده ومع اتساع الفتوحات الاسلامية ووجود عناصر حديثة العهد بالاسلام لم تتشرب روح النظام والطاعة، أراد بعض الحاقدين على الاسلام وفي مقدمتهم اليهـود اثـارة الفتنة للنيل من وحدة المسلمين ودولتهم، فأخذوا يثيرون الشبهات حول سياسة عثمان -رضي الله عنه- وحرضوا الناس في مصر والكوفة والبصرة على الثورة، فانخدع بقولهم بعض مـن غرر به، وساروا معهم نحو المدينة لتنفيذ مخططهم، وقابلوا الخليفة وطالبوه بالتنازل، فدعاهم الى الاجتماع بالمسجد مع كبار الصحابة وغيرهم من أهل المدينة، وفند مفترياتهم وأجاب على أسئلتهم وعفى عنهم، فرجعوا الى بلادهم لكنهم أضمروا شرا وتواعدوا على الحضور ثانيـة الى المدينة لتنفيذ مؤامراتهم التي زينها لهم عبدالله بن سبأ اليهودي الأصـل والـذي تظـاهر بالاسلام

## استشهاده.

وفي شـوال سنة (٣٥) من الهجرة النبوية، رجعت الفرقة التي أتت من مصر وادعـوا أن كتابا بقتل زعماء أهل مصر وجدوه مع البريد، وأنكر عثمان -رضي الله عنـه- الكتـاب لكنهم حاصروه في داره (عشرين أو أربعين يوماً) ومنعوه من الصلاة بالمسجد بل ومن الماء، ولما رأى بعض الصحابة ذلك استعـدوا لقتالهم وردهم لكن الخليفة منعهم اذ لم يرد أن تسيل من أجله قطرة دم لمسلم، ولكن المتآمريـن اقتحموا داره من الخلف (مـن دار أبـي حـزم الأنصاري) وهجموا عليه وهو يقـرأ القـرآن وأكبت عليه زوجـه نائلـة لتحميـه بنفـسها لكنهم ضربوها بالسيف فقطعت أصابعها، وتمكنوا منه -رضي الله عنه- فـسال دمـه علـى المصحف ومات شهيدا في صبيحة عيد الأضحى سنة (٣٥ هـ)، ودفن بالبقيع٠٠٠وكان مقتله بداية الفتنة بين المسلمين الى يومنا هذا

## 644. وفاة الخنساء.

الخَنساء 24 - ?هـ / ؟ - ٦٤٤ متماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحيـة السلمية من بني سليم من قيس عيلان من مضر.

أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها فـي العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مـع

قومها بني سليم. فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول. هيه يا خنساء.

أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعاً فقالت. الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

| | | |
|---|---|---|
| يا عين ما لكِ لا تَبكين تَسكابا؟ | *** | إذْ راب دهر وكان الدهر ريابا |
| فابكي أخاكِ لأيتامٍ وأرملةٍ، | *** | وابكي اخاكِ اذا جاورتِ اجنابا |
| وابكي اخاكِ لخيلٍ كالقطاعِ صباً | *** | فقدن لما ثوى سيباً وانهابا |
| يعدو بهِ سابح نهد مراكله | *** | مجلب بسواد الليل جلبابا |
| حتى يصبح أقواماً، يحاربهم، | *** | أو يسلبوا، دون صفّ القوم، أسلابا |
| هو الفتى الكاملُ الحامي حقيقتَه، | *** | مأوى الضريكِ اذّا ما جاء منتابا |
| يهدي الرعيلَ إذا ضاقَ السبيلُ بهم، | *** | نَهد التّليل لصعبِ الأمر ركّابا |
| المجد حلّتُه، والجود عِلّتُه، | *** | والصدقُ حوزته ان فرنه هابا |
| خطاب محفلةٍ فراج مظلمة | *** | ان هاب معضلةً سنّى لها بابا |
| حمالُ ألويةٍ، قطّاع أوديةٍ، | *** | شَهاد أنجيةٍ، للوتْر طلّابا |
| سم العداةِ وفكاك العناة اذَا | *** | لاقى الوغَى لم يكُن للموتِ هيابا |
| أعيني جودا ولا تجمدا | *** | ألا تبكيان لصخر النّدى؟ |
| ألا تبكيان الجريء الجميلَ | *** | ألا تبكيان الفَتى السيدا؟ |
| طويلَ النّجادِ رفيع العما | *** | د عشيرتَه أمردا |
| إذا القوم مدوا بأيديهم | *** | إلى المجدِ مد إليهِ يدا |
| فنالَ الذي فوقَ أيديهم | *** | من المجدِ ثم مضى مصعِدا |
| يكلّفُه القَوم ما عالهم | *** | وإن كان أصغرهم مولدا |
| تَرى المجد يهوي الى بيتهِ | *** | يرى افضلَ الكسبِ ان يحمدا |
| وان ذكر المجد الفيته | *** | تَأزر بالمجدِ ثم ارتَدى |

- ٦٤٥ م. البيزنطيون يستولون على الاسكندرية والخليفة عثمان يرسل عمرو بن العاص لاستردادها.

## ٦٤٥ م. وفاة كعب بن زهير.

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. وينحدر من بيت عريق في الشعر، أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوام، كلهم شعراء. له "ديوان شعر"، ولد في الجاهلية، وشب وكبر فيها، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام، ظل مجافياً له، وظل على وثنيته، وهجا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقام يشّبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه. ولما فتحت مكة، قدم على النبي في المدينة وأعلن إسلامه، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها. "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول"، فعفا عنه النبي، وخلع عليه بردته. وأدرك الخلفاء الأربعة بعد النبي .

وأخبار كعب في المصادر شحيحة، وأغلبها يصور خبر إسلامه، وقد تعددت الروايات في ذلك، والمتفق عليه عند الرواة، هو أن أخاه بجيراً قد سبقه في الإسلام

وقد نالت قصيدته في مدح الرسول شهرة واسعة، ولقبت بـ "البردة" وتعددت الأقوال في سبب هذه التسمية .

## ٦٤٨ م. معركة سبيطلة.

لم يكن جريجريوس (وتسميه المصادر العربية جرجير) الحاكم البيزنطى على علاقة طيبة بالمبراطورية وجاءت الاحداث الجديدة لترفع من درجة الخطر المحيط به، حتى اضطر الى التقهقر الى داخل البلاد ليتخذ من مدينة سبيطلة هاصمة له، كما انه عمل على تحصين قابس وصفاقس وقفصة لكى تشكل حاجزا دفاعيا امام عاصمتهم التى ابتعد بها عن البحر وغارات البيزنطيين ليحمى نفسه فى ذلك الوقت من هجمات المسلمين، وفى نفس الوقت كان عبد الله بن سعد بن ابى السرح والى مصر الجديد، قد اخذ فى تجريد السرايا على افريقية واستأذن الخليفة عمر فتردد فى ذلك مسترشدا بموقف الخليفة عثمان عمر مع عمرو بن العاص وتطورت الامور فى افريقية لغير صالح المسلمين، فخرجت طرالس عن طاعتهم وكثرت كتابات عبد الله بن سعد الى الخليفة عثمان يطلب منه السماح بغزو افريقية وامداده بالمجاهدين من المسلمين حتى استجاب الى ذلك، ويرى ابن الحكم وكذلك ابن عذارى، ان عثمان قد ندب الناس للجهاد فى افرقية فخرج المسلمون فى جيش عظيم، عليهم الحرث بن الحكم وبه جلة من اعلام الصحابة واعان خليفة المسلمين رضى الله عنه الناس بألف بعير يحمل عليها ضعفاء الناس، وفتح بيوت السلاح التى كانت للمسلمين، ولما وصل هذا الجيش الى مصر تولى قيادته عبد الله بن سعد وضم اليه المجاهدين من جند مصر ومن معهم ممن يعاونهم حتى وصل عدد الجيش الى حوالى عشرين الفاً وبدأ فى بث سراياه لغزو آفاق افريقية

دون ان يتوقف لحصار طرابلس او قابي – على اساس ان هدفه الاساسى كـان اللقـاء مـع البيزنطيين المتمثلين فى جرجير وجيوشه والتقى عبد الله وجرجير فى وضـح النهـار فـى موضع يعرف بسبيطلة وكان عدد جيش العدو حوالى مائة وعشرين الفاً، وحقـق المـسلمون انتصارا باهرا فى هذه المعركة، وقتل جرجير قائدهم، وغنم المسلمون غنائم جمـة، وتنـسب الرواية الاسلامية كبير فضل فى هذه المعركة الى عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ولقد افرد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم لذلك دراسة خاصة ضمن كتابه القـيم عـن المغـرب الكبير وبعد هذا الانتصار الحاسم على البيزنطيين الذى يرى فيه الدكتور حسين مـؤنس انـه كسر سلطان البيزنطيين كسرة لن يعود بعدها الى ما كان عليه قبـل الفـتح الاسـلامى، ثـم يستطرد قائلا " ولو ان عبد الله بن سعد اقام فى البلاد او ترك فيها حاميـة لكـان لانتـصار سبيطلة نتائج بعيدة حاسمة لكنه عجل بالعودة لأسباب غير ظاهرة مكتفيا بمال عظيم جمعه من اهل البلاد، فكان على من اتى بعده ان يبدأ من جديد.

## ٦٤٨ م. مولد جرير.

110 - 28هـ / ٦٤٨ - ٧٢٨ م جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بـن بـدر الكلبـي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم.

أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضـل شـعراء زمنـه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفردق والأخطل.

كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً.

| | |
|---|---|
| **أنا الموتُ الذي آتى عليكم** | **فليس لهاربٍ مني نجاء** |

- ٦٤٩ م. فتح قبرص بقيادة معاوية بن ابى سفيان
- ٦٥١ م. فتح سعيد بن العاص لطبرستان

## ٦٥١ م. الخليفة عثمان يأمر بجمع القرآن.

## مراحل جمع القرآن.

لم يجمع القرآن على عهد النبي في مصحف واحد لعدم توفر الدواعي ولوجود الموانـع التي سبق ذكرها، فلما انتفت هذه الموانع، ووجدت الأسباب الداعية إلى جمع القرآن في كتاب واحد فعل ذلك أصحاب النبي وكانت أهم هذه الأسباب.

كان وجود النبي بين ظهراني المسلمين أمانًا لهم من حصول الخلاف فيما بينهم، كمـا كان وجوده أمانًا من ضياع شيء من القرآن، كما سبق بيانه في أسباب عـدم جمـع القـرآن

الكريم في صحف أو مصاحف في عهده عن أَبِي موسى الأَشْعري أن النبِي قال. ... وَأَنَا أَمنَةٌ لأَصحابِي فَإِذَا ذَهبتُ أَتَى أَصحابِي ما يوعدون ولما بلغ الرسول رسالة ربه إلى الأمة، وأتـم الله به شرائع دينه الذي اختاره للناس علما وعملاً.

- ٦٥٢ م. وفاة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقف إلـى جانب النبي في بيعة العقبة، وجاء إلى المدينة قبل فتح مكة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحترمه، وإليه تنسب الدولة العباسية التي حكمت ما يزيد عن خمـسة قرون، وهو والد الصحابي الجليل عبد الله بن العباس.

## ٦٥٢ م. مولد عبد الرحمن بن عوف.

عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبدالحارث، أبو محمد، الزهـري القرشـي. أمـه الشفاء بنت عوف بن عبدبن الحارث. من كبار الصحابة. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلـى الإسلام، وكان من الأجواد الشجعان العقلاء. من أصحاب الهجرتين. الحبشة والمدينـة. كـان اسمه في الجاهلية (عبدالكعبة) أو (عبدعمرو) وسماه رسول الله عبدالرحمن. شهد بدراً وأُحداً والمشاهِد كلها. وجرح يوم أحد ٢١ جراحة. وأعتق في يومٍ واحد ثلاثين عبداً. كان يحتـرف التجارة، وكسب مالاً وفيراً، وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس، ترعي بـالبقيع. تصدق يوماً بقافلة فيها سبعمائة راحِلة تحمِل الحِنطة والدقيق والطعام. ولما حـضرته الوفـاة، بكى بكاء شديداً، فسئل عن بكائه، إني أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته في الحياة الـدنيا، وأخشى أن أحتبس عن أصحابي بكثرة مالي. أوصى بجزء مما تركه في سبيل الله. توفي فـي المدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل اثنين وسبعين، ودفن بالبقيع. له ٦٥ حديثاً.

## ٦٥٢ م. مولد ابو الدرداء.

عويمِر بن مالِك بن قَيس بن أُمية الأنصاري الخزرجي، أبو الـدرداء. صـحابي مـن العلماء الحكماء، والفِرسان القُضاة. اشتُهِر بالشجاعة والنسك والزهد، آخى الرسول بينه وبـين سلمان الفارسي. ولاّه معاوية قضاء دِمشق، بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها. وفي الشام وقف بالمرصاد لجميع الذين أغرتهم مباهج الدنيا، وهو أحد الذّين جمعوا القرآن حِفظـاً على عهد النبي. مات بالشام، وروى ١٧٩ حديثاً. ودفن في دمشق.

- ٦٥٤ م. معاوية يفتح قبرص
- ٦٥٤ م. جنادة بن امية يفتح جزيرة رودس

## ٦٥٥ م (٣٤ هـ). موقعة ذات الصوارى.

أثار بروز الأسطول الإسلامي في البحر المتوسط حفيظة قنسطانز الثاني الإمبراطـور البيزنطى، وجعله يفكر في القضاء على الأسطول الإسلامى وتحطيمه، قبل أن تكتمل قوتـه، ويزداد خطره، وحتى تظل السيطرة على البحر المتوسط للأسـطول البيزنطـي وحـده دون غيره.

حدثت بين الأسطول الإسلامي (الأسطولان في مصر والشام (وأسندت قيادتهما إلى عبد الله بن سعد والى مصر. والأسطول البيزنطي بقيادة الإمبراطور البيزنطي قنسطانز الثاني.

في عام ٦٥٥م عبأ الإمبراطور قواته البحرية كلها، واتجه بها قاصدا سـواحل الـشام، وهو لا يراوده شك في قدرته على تدمير السفن الإسلامية؛ لحداثة نشأتها، وقلة خبرة رجالها، لكن المسلمين استعدوا لهذا اللقاء جيدا وتعاون الأسطولان في مصر والشام، لرد هذا العدوان، وأسندت قيادتهما إلى عبدالله بن سعد والى مصر. والتقى الأسطولان الإسلامي والبيزنطـي - الذى كان بقيادة الإمبراطور نفسه في شرقي البحر المتوسط، جنوبي شاطئ آسـيا الـصغرى (تركيا الحالية)، ودارت بينهما معركة بحرية كبيرة. سميت بمعركة ذات الـصوارى، لكثـرة السفن التى اشتركت من الجانبين (خمسمائة سفينة من جانب الروم، مقابل مائتى سـفينة مـن جانب المسلمين) هذا وقد اورد بن كثير وصفا دقيقا مؤثرا عن المعركة فيقول فلمـا تـراءى الجمعان ذات يوم بات الروم يقسقسون ويصلبون وبات المسلمون يقـرأون ويـصلون، فلمـا اصبحوا، صف عبد الله بن سعد اصحابه صفةفا فى المراكب وامرهم بذكر الله وتلاوة القرآن، قال بعض من حضر ذلك. فأقبلوا الينا فى امر لم يرد مثله مـن كثـرة المراكـب وعقـدوا صواريها وكانت الريح لهم وعلنا فأرسينا ثم سكنت الريح علينا فقلنا لهم. ان شئتم خرجنا نحن وانتم الى البر فمات الأعجلون منا ومنكم، قال. فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا الماء المـاء، قال. فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم ثم اجتلدنا واياهم بالسيوف، يثب الرجال على الرجـال بالسيوف والخناجر وضربت الامواج فى عيون تلك السفن حتى الجأتها الى الـساحل والقـت الامواج جثث الرجال الى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم وغاب الدم على لون المـاء وصبر المسلمين يمئذ صبرا لم يعهد مثله قط، وقتل منهم بشر كثير ومن الروم اضعاف ذلك، ثم انزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه وقد قلوا جدا وبهم جراحات شديدة مميتة، مكث حينا يداوى منها بعد ذلك واقام عبد الله بن سعد بذات الصوارى اياما ثـم رجـع منصورا مظفرا وانتهت المعركة بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة للأسطول البيزنطى، ونجاة الإمبراطور من القتل بأعجوبة.

وكان من نتائج الحرب. لم يرجع الإمبراطور إلى عاصمة القسطنطينية بعد المعركـة، وإنما ذهب إلى جزيرة صقلية، قبالة شاطئ تونس، فى محاولة منه لحماية ما تبقى من دولـة الروم فى شمال إفريقيا، لكنه قتل فى صقلية سنة (٦٨ه = ٦٨٨ م).

- ٦٥٥ م (٣٥ هـ). استشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه علـى يد الخارجين عليه من أصحاب الفتنة. ومن أهم أعماله رضي الله عنه جمع القرآن الكريم وتوحيد نسخه.

## ٦٥٦ م. خلافة على بن ابى طالـب رضـى الله عنـه ٣٥ - ٤٠هـ/ ٦٥٥-٦٦٠م):

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي لقبه أمير المـؤمنين كنيتـه أبـو الحسن أبو تراب و حيدر، ولد سنة ٦٠٠م في مكة، وتربى فى بيت رسول الإسـلام محمـد (صلى الله عليه واله وسلم) الذي آخاه ثم زوجه ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نـساء العالمين. هو رابع الخلفاء الراشدين عند السنة و سيد الأوصياء و أول الأئمة عن الشيعة حيث يعتقدون بالإمامة المتمثلة في علي وأحد عشر من أبنائه بالتعيين من محمد رسـول الإسـلام، اتفق المسلمون على فضله و عرف بالعلم و الحلم والشجاعة والكرم.

- ٦٥٦ م (٣٦ هـ). نشوب معركة الجمل بين علي بن أبي طالب والجماعة التـي ثارت عليه مطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، ومنهم طلحـة والزبيـر وعائـشة رضي الله عنهم جميعا، والتقى الفريقان عند موضع قريب من البـصرة يـسمى "الخريب"، وكانت السيدة عائشة في هودجها على ظهر جمل يلوذ به المحـاربون، فلما رأى "علي" كثرة القتلى حول الجمل أمر به فعقر، وحمل الهودج بعيدا عـن المعركة؛ ولذا عرفت هذه المعركة في التاريخ بمعركة الجمل.
- ٦٥٦ م (٣٦ هـ). وفاة الزبير بن العوام رضي الله عنه

## ٦٥٦ م (٣٧ هـ). معركة صفين.

بعد وقعة الجمل استعد على بن أبي طالب لمحاربة معاوية، وتحرك بجيشه الكبير الذي يبلغ عدده ١٠٠ ألف إلى صفين، وهو سهل يقع على الجانب الغربي لنهر الفرات شمال بلـدة الرقة، وفي الوقت نفسه استعد معاوية لهذه المعركة الحاسمة بجيش يقترب من جـيش علـي، وقبل المعركة دارت مراسلات بينهما بلغت أكثر من شهر ما بين أواخر شهر ذي الحجة سنة ٣٦ هـ إلى بداية شهر المحرم ٣٧هـ، لكنها لم تؤد إلى نتيجة، وفي غرة صفر مـن عـام ٣٧هـ اشتعلت الحرب بين الفريقين، وظلت ١٠ أيام متصلة قتل خلالها الآلاف من المسلمين،

واشتد الخطب على الفريقين، ووقعت الخسائر الضخمة في جانب جيش معاويـة، وأصـبحت هزيمتهم قاب قوسين أو أدنى، وعند ذلك رأى معاوية أن يضع حدا لهذا الأمر، فطلـب مـن "عمرو بن العاص" الرأي والمشورة؛ حتى يمكن الإبقاء على البقية من أبطال الإسلام الـذين هزموا فارس والروم فأشار عمرو بطلب التحكيم.

## رفع المصاحف.

أصدر معاوية إلى كبار رجاله بأن يرفع كل منهم مصحفا على رمحه، إشارة إلى الاحتكام إليه، وارتفعت صيحة في جيشه تقول. كتـاب الله بيننـا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومـن للترك؟ ومن للكفار؟ ورفع في جيش معاوية نحـو ٥٠٠ مصحف.

توقفت الحرب، وارتضى الطرفان أن يعودا إلى الحكمة وتحكيم القرآن بينهما، وأنـاب كل واحد منهما شخصا ينيب عنه، ويتفاوض باسمه في القضايا محل الخلاف؛ فأناب "علـي" أبا موسى الأشعري، وأناب "معاوية" عمرو بن العاص، وعقد لذلك وثيقة كُتبـت فـي يـوم الأربعاء الموافق (١٣ من صفر سنة ٣٧هـ = ١من أغسطس ٦٥٧م) عرفت بوثيقة التحكيم.

وجعلت الوثيقة شهر رمضان من سنة ٣٧هـ أقصى مدة لإعلان قرار التحكـيم، إلا إذا رأى الحكمان مد المدة، وفي "دومة الجندل" اجتمع الحكمان، وبعد مباحثات طويلة وصلا إلـى نتيجة ظنا أنها أفضل الحلول، وهي عزل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من الخلافـة، ورد الأمر إلى الأمة تختار من تشاء على أن تبقى البلاد تحت المتخاصمين في يديهما؛ فتبقى البلاد التي تحت حكم علي، وهي الدولة الإسلامية عدا الشام في يده، ويتصرف معاويـة فـي حكم الشام التي تحت يديه.

رفض الإمام علي بن أبي طالب هذه النتيجة؛ لأن الخلاف لم يكن قائما علـى منـصب الخلافة، وإنما على إقامة الحد على قتلة عثمان، وعلى بيعة معاوية لعلي بن أبـي طالـب.. وتطورت الأحداث بعد ذلك، وانقسم جيش "علي" على نفسه، وظهرت فرقة "الخوارج" الـذين انشقوا عليه، واضطر علي لمحاربتهم؛ مما أضعف جبهته، واستنفد كثيرا من جهده، وشـاءت الأقدار أن تكون نهايته على يد واحد من الخوارج؛ فاستشهد في (١٧ من رمضان سـنة ٤٠ هـ = ٢٦ من يناير سنة ٦٦١)..

## ٦٥٦ م. وفاة الحطيئة.

الحطَيئة 45 - ?هـ / ؟ - ٦٦٥ م جرول بن أوس بن مالك العبـسي، أبـو ملكيـة. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءاً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجـا أمه وأباه ونفسه .وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس.

- ٦٥٧ م. إعلان وثيقة التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بـن أبـي سـفيان (رضي الله عنهما) بعد موقعة صفين

## ٦٥٧ م (٣٧ هـ). وفاة عمار بن ياسر.

عمار بن ياسِر العنسي، أبو اليقظان، حليف لبني مخزوم. صحابي من الـسابقين إلـى الإسلام .أوذي هو وأبوه وأمه سمية. وكان الرسول يمر بهم وهم يعذبون فيقول. (صـبراً آل ياسِر إن موعدكم الجنة). قتل أبو جهل أمه سمية، فكانت أول شهيدة في الإسلام. هاجر عمار إلى المدينة وشارك في بناء مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. قال لـه رسـول الله. مرحبا بِالطيبِ الْمطَيبِ شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله. قاتَـل المرتـدين فـي اليمامة، فقطعت أذنه. ولاّه عمر بن الخطاب على الكوفة ثم عزلـه، شـهد مـوقعتَي الجمـل وصفين مع علي، وقُتِل في صفين وعمره ثلاث وتسعون سنة، روى اثنين وستون حديثاً .

- ٦٥٧ م. وفاة عبد الله بن سعد بن ابى السرح قائد موقعة ذات الصوارى

## ٦٥٨ م. مولد الفرزدق.

الفَرزدق 110 - 38هـ / ٦٥٨ 728 - م همام بن غالب بن صعصعة التميمي الـدارمي، أبو فراس. شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة.

يشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير فـي الجـاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه.

لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة.

| | | |
|---|---|---|
| لقَـد كُنـتُ أحيانـاً صـبوراً فَهـاجني | *** | مـشاعِفُ بالـديرين رجـح الـروادِفِ |
| نَـواعِم لـم يـدرين مـا أهـلُ حِـرمةٍ | | عِجـافغ ولـم يتـبعن أحمـالَ قـائِفِ |
| ولـم يـدلج لـيلاً بِهـن معـزب | | شَقي ولـم يـسمعن صـوتَ العـوازفِ |
| إذا رحـن فـي الـديباج، والخَـز فَوقَـه، | | معـاً، مثـل أبكـار الهجـان العلائِـفِ |

إلـــى ملعـــبٍ خَـــالٍ لهـــن بلغْنَـــه ... بـــدل الغَـــواني المكرمـــاتِ العفـــائِفِ

ينـــازعن مكنُـــون الحـــديثِ كأنّمـــا ... ينـــازعن مِـــسكاً بـــالأكُفّ الـــدوائِفِ

وقُلْـــن لليلـــى. حـــدِّثينا، فَلَـــم تكـــد ... تَقُـــولُ بِـــأدنَى صـــوتِها المتَهـــانِفِ

رواعِـــفُ بِالجـــادِي كُـــل عـــشِيةٍ، ... إذا سـفْنَه سـوفَ الهجـان الرواشِـفِ

بنـــاتُ نَعِـــيمٍ زانَهـــا العـــيشُ والغِنـــى ... بِمِلـــن إذا مـــا قُمـــن مثـــلَ الأحـــاقِفِ

تَبـين خَليلـي هـلْ تعـرى مـن ظَعـائِنٍ ... لِميـــةً أمثـــال النّخِيـــل المخـــارفِ

تَواضـــع حـــت يـــأتي الآلُ دونَهـــا ... مِـراراً وتَزهاهـا الـضحى بالأصـائِفِ

إذا عرضـتْ مـرتْ علـى اللـج جاريـاً، ... تَخـالُ بهـا مـر الـسفِين النّواصِـفِ

يجـــور بهـــا المـــلاّح ثُـــم يقِيمهـــا، ... وتَحفِزهـا أيـدي الرجـال الجـوازِفِ

إليك ابـن خيـر النـاس حملـتُ حـاجتي ... على ضـمرٍ كُلّفـن عـرض الـسنائِفِ

بنـاتِ المهـاري الـصهبِ كـل نَجيبـةٍ ... جمالِيـــةٍ تَبـــري لأعـــيس راجِـــفْ

يظَـــلّ الحـــصى مِـــن وقْعِهـــن كأنّمـــا ... تَرامـى بـه أيـدي الأكُـفّ الحـوازِفِ

إذا ركِبـــــتْ دويـــــةً مدلهمـــــةً، ... وصـــوتَ حادِيهـــا لهـــا بِالـــصفاصِفِ

تَغـــالين كالجِنّـــان حتـــى تَنُوطـــه ... ســـراها ومـــشْي الراسِـــمِ المتَقـــاذِفِ

عِتـــاقٌ تَغِـــشّتْها الـــسرى، كُـــل ليلـــةٍ، ... وركْبانُهـــا كالمهمـــهِ المتَجـــانِفِ

كـــأن عـــصِير الزيـــتِ مِمـــا تَكَلّقَـــتْ ... تَحلّـــب مِـــن أعناقِهـــا والـــسوالِفِ

عوامِـــد للعبـــاس لـــم تَـــرض دونَـــه ... بقَـــومٍ وإن كـــانُوا حِـــسان المطـــارفِ

لتَـــسمع مِـــن قَـــولي ثَنـــاء ومدحـــةً، ... وتَحمِلَ قَولي يـا ابـن خَيـرِ الخَلائِـفِ

وكم مـن كَـريمٍ يـشتكي ضـعفَ عظمـه ... أقَمـتَ لـه مـا يـشتَكي بالـسقائِفِ

وآمنْتَـــه مِمـــا يخـــافُ، إذا أوى ... إليـك، فَأمـسى آمِنـاً غَيـر خـائِفِ

وأنْـــتَ غِيـــاثُ الممحِلِـــين إذا شَـــتَوا، ... ونُور هِدى يا ابـن الملُـوكِ الغطـارفِ

ثَنائي علـى العبـاس أكْـرِمِ مـن مـشَى ... إذا ركِبـــوا ثـــم التَقَـــوا بِـــالمواقِفِ

تَـــراهم، إذا لاقـــاهِم يـــوم مـــشْهدٍ، ... يغُـضون أطـرافَ العيـون الطّـوارفِ

ولـــو نـــاهزوه المجـــد أربـــى علـــيهم ... بِخَيـــر ســـقَاةٍ، تَعلمـــون، وغـــارفِ

وتَعلُـــو بحـــور العـــالمين بحـــورهم، ... بِفِعـلِ علـى فِعـلِ البريـةِ ضـاعِفِ

ومـا ولـدتْ أُنْثَـى مِـن النّـاس مِثْلَـه، ... ولا لعقّـــه أظْـــآره فـــي اللّفـــائِفِ

ولمـا دعـا الـداعون وانْـشَقّتِ العـصا، ولـم تَخْـب نِيـران العـدو المقـاذِفِ

فَزعنا إلـى العبـاس مِـن خَـوفِ فِتنَـةٍ وأنْيابِهـا المـستَقْدِماتِ الـصوارفِ

وكَـم مِـن عـوانٍ فَيلَـق قَـد أبرتَهـا بـأُخْرى إليهـا بـالخَميس المراجِـفِ

فَقَـد أوقَـع العبـاس إذْ صـار وقعـةً نهـتْ كُـلّ ذي ضِـغْنٍ وداءٍ مقـارفِ

وأعْنَيتَ من لم يغـن مـن أبطـإ الـسرى، وقَومـــتَ درء الأزورِ المتَجـــانِفِ

وأنتَ الّذي يخْـشَى ويرمـى بـك العـدى إذا أحجمـتْ خَيـلُ الجيـادِ المخـالِفِ

سموتَ فلـم تَتـرك علـى الأرض ناكثـاً، وآمنْـتَ مِـن إحيائِنـا كُـل خـائِفِ

أبـرتَ زحـوفَ الملحِـدِين وكِـدتَهم بمستَنـصِرٍ يتْلُـو كِتـاب المـصاحِفِ

تَـأخّر أقْـوام، وأسـرعتَ للّتـي تُغَلّـلُ نُـشّاب الكمـي المزاحِـفِ

وأنْـتَ إلـى الأعـداءِ أولُ فَـارس هنـاك، ووقّـافُ كـريم المواقِـفِ

بِـضربٍ يزيـلُ الهـام عـن مـستَقَرِه، وطَعـنٍ بِـأطْرافِ الرمـاح الجوائِـفِ

سـبقتَ بأهـل الكوفـةِ المـوتَ بعـدما أُريـد بإحـدى المهلكـاتِ الجوالِـفِ

فَلم يغن من في القـصرِ شـيئاً وصـيحوا إليـك بأصـواتِ النّـساءِ الهوالِـفِ

أخُو الحـربِ يمـشِي طاويـاً ثـم يقتـدي مـِدِلا بِفُرسـان الجيـادِ المتَـالِفِ

يغـادِرن صـرعى مِـن صـناديد بينَهـا بِـسوراء فـي إجرائِهـا والمزاحِـفِ

وما طَعِمـتْ مِـن مـشَربٍ مـذ سـقيتها بِتَـدمر إلاّ مـرةً بِالـشّقَائِفِ

مِـن الـشّأمِ حتـى باشَـرتْ أهـلَ بابِـلٍ وأكْـذَبتَ مِمـا معـوا كـل عـائِفِ

وقَـد أبطَـأ الأشْـياع حتـى كأنّمـا يـساقُون سـوقَ المـثْقَلاتِ الزواحِـفِ

لعمـري! لقـد أسـريتَ لا لَيـل عـاجزٍ وما نمتَ فـيمن نـام تحـتَ القَطـائِفِ

فَجـاءوا وقَـد أطفَـأتَ نِيـران فِتْنَـةٍ، وسـكّنتَ روعـاتِ القُلـوبِ الرواجِـفِ

- ٦٦٠ م (٤٠ هـ). استشهاد الامام على على يد عبد الرحمن بن ملجم

## ٦٦١ م. تولى معاوية الخلافة ويؤسس الدولة الاموية.

ولد معاوية في مكة قبل البعثة النبوية بخمس سنين تقريباً، وقيل أكثر، ونشأ وتربى بين قومه بني أمية في شرف ونبل وثراء،و عرفـت أسـرة معاويـة بالزعامـة والقيـادة فـي الجاهلية،فجده، حرب بن أمية قاد قريشاً في حروب الفجار، و والده أبو سفيان سيد قريش في الجاهلية أسلم فيما بعد عام الفتح،وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة من مشاهير سـيدات قـريش، أبوها من سادات قريش، قتل في غزوة بدر مع الكفار ولكن هند أسلمت يوم الفـتح وحـسن إسلامها، لمعاوية إخوة وأخوات كثيرون، أشهرهم أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان، أم حبيبة، ويزيد بن أبي سفيان القائد الفاتح، المتوفي في خلافة عمر. وكانت ملامح النجابة بادية علـى معاوية منذ صغره، ومن الأخبار الدالة على ذلك أن رجلاً نظر إلى معاويـة، وهـو غـلام صغير، فقال. ((أني أظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند (أم معاوية) ثكلتـه إن كـان لا يسود إلا قومه)). ومن الظاهر أن معاوية ترعرع في مكة، وربما أخرج إلـى الباديـة طلبـاً للرضاعة والصحة على عادة سراة قريش. كان أبيض البشرة، طويلا، أبيض الرأس واللحية.

كان معاوية من الشبان القلة الذين تعلموا الكتابة و كان الكتاب عند العرب في الجاهلية ندرة ويغلب عليهم الأمية لذلك جعله الرسول صلى الله عليه وسلم أحد كتابه فيما بعد. تـدرب على ركوب الخيل والرماية. وعلى عكس كثير من أقرانه من شباب قريش كان يكره الـشعر كذلك لم يكن جيدا في لعبة المصارعة، غالبا ما يهزم فيها لم يكن في شبابه سِـباً (أي شـتاما يتفوه بكلمات جارحة أو فاحشة).

## إسلامه و صحبته.

أسلم يوم الحديبية سنة (٦هـ)، ولكنه كتم إسلامه، وفي رواية أنه أسلم يوم فتح مكة مع والديه، ثم هاجر إلى المدينة فجعله النبي صلى الله عليه وسلم أحد كتابه بطلبٍ من أبيه. بحكم وظيفته الجديدة،صار معاوية قريبا من رسول الله، فكان يسمع الحكم و المـواعظ و الأحكـام الشرعية منه فيعيها و يحفظها، لذلك أصبح من فقهاء الصحابة بعد وفاة الرسـول صـلى الله عليه وسلم والشيخين. شارك مع النبي في غزوة حنين وأعطاه الرسول مائة من الإبل، تـوفي الرسول صلى الله عليه و سلم و عمره ٢٨ عاما.

## ولايته.

قاتل معاوية المرتدين في معركة اليمامة و قيل أنه ممن قتل مسيلمة، ثم أرسله أبو بكر مع أخيه يزيد لفتح الشام. ولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام سنة ٢١ هـ بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم أقّره الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه على الولايـة، وبعد موت عثمان سنة ٣٥هـ لم يبايع معاوية الخليفة علياً رضي الله عنه، واسـتقّل بالـشام وحصلت بينهما فتنة استمرت زهاء خمس سنوات، وقعت فيها معركة صفين سنة ٣٧هـ.

## خلافته.

بايعه عامة الناس سنة ٤١هـ، بعدما تنازل الحسن بن علي رضـي الله عنهمـا عـن الخلافة، فسمي هذا العام عام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه.

واستمر معاوية في الخلافة حتى وفاته سنة ٦٠ هـ، فكان بـذلك أميـراً (٢٠ عامـاً) وخليفة (٢٠عاماً) أخرى.

عاش معاوية رضي الله عنه محباً للجهاد في سبيل الله، فكان تارة يغزو بلاد الأعـداء بنفسه، وتارة يرسل القادة والجيوش نيابة عنه، وقد فتحت على يديه وفي عهده بـلاد كثيـرة، منها في البحر. قبرص، وصقلية، وفي البر. مساحات واسعة في بلاد الروم، وبـلاد الـسند، وكابل، والأهواز، وماوراء النهر، وشمال أفريقيا وغيرها.

وكان له جملة من الإصلاحات الإدارية منها. أنه نظم البريد، والشرطة، وأقـام ونظّـم ديوان الخاتم، وغير ذلك من الإصلاحات، فكان أول من وضع أساس الإدارة المتقدمة للدولـة الإسلامية الموحدة.

كان معاوية قائداً بارعاً وسياسياً حكيماً، ساس الناس بعدله، وحلمه، ورأيـه، ودهائـه، وحنكته، وشجاعته، وسار بالناس سيرة حسنة.

## خلفاء بني أمية.

- معاوية بن أبي سفيان، ٦٦١-٦٨٠.
- يزيد بن معاوية، ٦٨٠-٦٨٣.
- معاوية بن يزيد، ٦٨٣-٦٨٤.
- مروان بن الحكم، ٦٨٤-٦٨٥.
- عبد الملك بن مروان، ٦٨٥-٧٠٥.
- الوليد بن عبد الملك، ٧٠٥-٧١٥.
- سليمان بن عبد الملك، ٧١٥-٧١٧.
- عمر بن عبد العزيز، ٧١٧-٧٢٠
- يزيد بن عبد الملك، ٧٢٠-٧٢٤
- هشام بن عبد الملك، ٧٢٤-٧٤٣
- الوليد بن يزيد، ٧٤٣-٧٤٤.
- يزيد بن الوليد، ٧٤٤.
- ابراهيم بن الوليد، ٧٤٤.
- مروان بن محمد، ٧٤٤-٧٥٠

## ٦٦١ م. وفاة لبيد بن ربيعة العامري.

لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (صلى الله عليه وسلم). يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفـة وعـاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.

**٦٦١ م. فتح كابول.**

- **٦٦٢ م. عقبة بن نافع يفتح غدامس وودان ويؤسس القيـروان ويؤسـس مسجد عقبة**

الخريطة الرقم ١

الفتوحات الإسلامية للمغرب العربي
خلال الفترة من ٢٢هـ - ٦٤ هـ

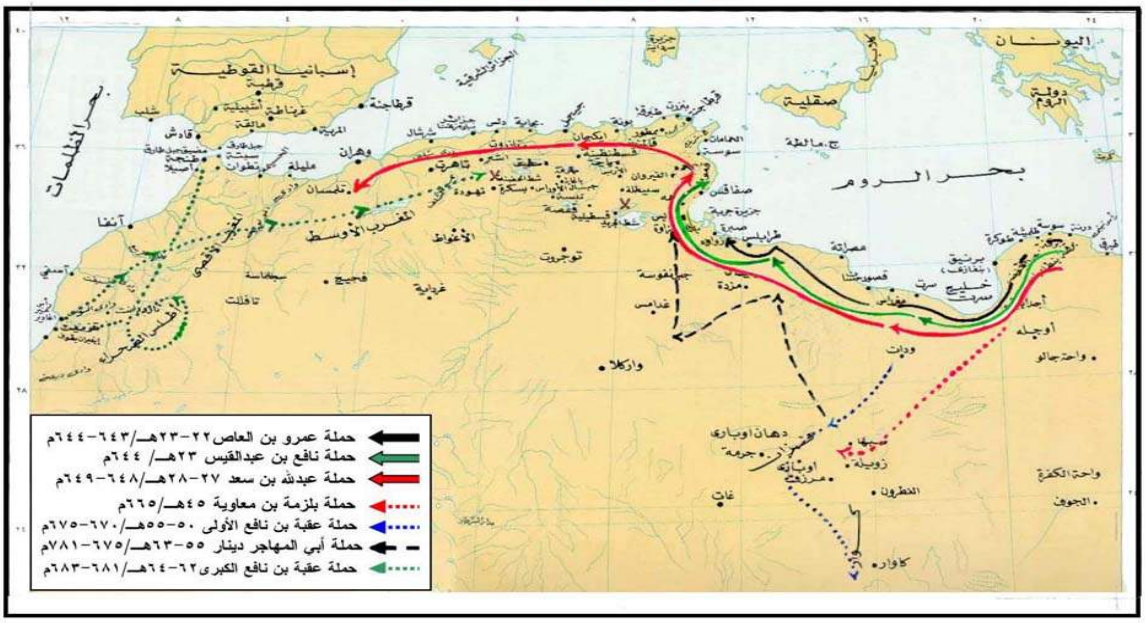


عقبة بن نافع هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى، ولد قبل الهجرة بسنة، وكان أبوه قد أسلم قديماً، لذلك فقد ولد عقبة ونشأ فى بيئة اسلامية خالصة، وهو صحابى بالمولد، لأنـه ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو يمت بصلة قرابة للصحابى الجليل 'عمرو بـن العاص' من ناحية الأم، وقيل أنهما ابنى خالة.

*ولقد برز اسم 'عقبة بن نافع' مبكراً على ساحة أحداث حركة الفتح الإسـلامى التـى بدأت تتسع بقوة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حيث اشترك هـو وأبـوه 'نافع' فى الجيش الذى توجه لفتح مصر بقيادة 'عمرو بن العاص' رضى الله عنه، ولقد توسـم فيه 'عمرو' أنه سيكون له شأن كبير ودور فى حركة الفتح الإسلامى على الجبهـة الغربيـة، لذلك أسند إليه مهمة صعبة وهى قيادة دورية استطلاعية لدراسة إمكانية فتح الشمال الأفريقى، ومعلوم عند العسكريين أن سلاح الاستطلاع هو أخطر وأهم سلاح فى أى جيش، لأنـه هـو الذى يحدد طريقة الهجوم بين الشجاعة والقوة والذكاء الشديد وحسن التصرف فـى المواقـف الصعبة، وكلها خصال توفرت فى 'عقبة' وأدركها 'عمرو' فيه، لذلك عندما عاد 'عمرو' إلـى مصر بعد فتح تونس، جعل 'عقبة بن نافع' والياً عليها على الرغم من وجود العديد من القـادة الأكفاء والصحابة الكبار، مما يدل على نجابة هذا البطل الشاب.

*أرسل 'عمرو بن العاص' والى مصر البطل الشاب 'عقبة بن نافع' إلى بـلاد النوبـة لفتحها، فلاقى هناك مقاومة شرسة من النوبيين، ولكنه مهد السبيل أمام من جاء بعـده لفـتح البلاد، ثم أسند إليه **'عمرو' مهمة فى غاية الخطورة، وهى تأمين الحدود الغربية والجنوبيـة لمصر ضد هجمات الروم وحلفائهم البربر، فقاد 'عقبة' كتيبة قتالية على أعلى مستوى قتالى للتصدى لأى هجوم مباغت على المسلمين وتعاقبت عدة ولاة على مصر بعـد 'عمـرو بـن العاص' منهم عبد الله بن أبى السرح ومحمد بن أبى بكر ومعاوية بن حديج وغيرهم، كلهـم أقر 'عقبة بن نافع' فى منصبه كقائد لحامية 'برقة'.**

## عقبة قائد الفتح الشمالى.

*ظل 'عقبة' فى منصبه الخطير كقائد للحامية الإسلامية 'ببرقة' خلال عهدى عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما، ونأى بنفسه عن أحداث الفتنة التى وقعـت بـين المسلمين، وجعل شغله الشاغل الجهاد فى سبيل الله ونشر الإسلام بين قبائل البربر ورد عادية الروم، فلما استقرت الأمور وأصبح معاوية رضى الله عنه خليفة للمسلمين، أصبح 'معاوية بن حديج' والياً على مصر، وكان أول قرار أخذه هو إرسال عقبة بن نافع إلى الشمال الأفريقـى لبداية حملة جهادية قوية وجديدة لمواصلة الفتح الإسلامى الذى توقفت حركته أثناء الفتنة وذلك سنة ٤٩ هجرية.

*كانت هناك عدة بلاد قد خلعت طاعة المسلمين بعد إشتعال الفتنة بين المسلمين، منهـا 'ودان' و'أفريقية' و'جرمة' و'قصور خاوار'، فانطلق الأسد العنيف عقبة ورجالة الأشداء علـى هذه القرى الغادر أهلها وأدبهم أشد تأديب، فقطع أذن ملك 'ودان' وأصبع ملك 'قصور كـوار' حتى لا تسول لهم أنفسهم محاربة المسلمين مرة أخرى [مع العلم أن هذا الأمر لا يجوز شرعاً لأنه مثاه ولكن عقبة اجتهد فى تأديبهم بما يردعهم عن المعاودة للخلاف].

*بعد أن طهر عقبة المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى بلاد أفريقية 'تونس' من الأعداء والمخالفين، أقدم عقبة على التغلغل فى الصحراء بقوات قليلة وخفيفـة لـشن حـرب عصابات خاطفة فى أرض الصحراء الواسعة ضد القوات الرومية النظامية الكبيـرة التـى لا تستطيع مجاراة المسلمين فى حرب الصاعقة الصحراوية، واستطاع عقبة وجنوده أن يطهروا منطقة الشمال الأفريقى من الحاميات الرومية المختلفة ومن جيوب المقاومة البربرية المتناثرة.

## تأسيس مدينة القيروان.

*لم يكن عقبة بن نافع قائداً عسكرياً محضاً فقط، بل كان صاحب عقلية مبدعة وفكـر استراتيجى فذ وهو يصح أن يطلق عليه خبير بشئون المغرب والشمال الأفريقى، ومن خـلال

حملاته الجهادية المستمرة على الشمال الأفريقى، أدرك أهمية بناء مدينة إسلامية فـى هـذه البقاع وذلك لعدة أسباب من أهمها. -

١) تثبيت أقدام المسلمين والدعوة الإسلامية هناك وذلك أن عقبة قد لاحظ أمراً هامـاً أن أهل الشمال الأفريقى إذا جاءهم المسلمون يظهرون الإسـلام وإذا انـصرفوا عـنهم رجعوا مرة أخرى إلى الكفر، فكان بناء مدينة إسلامية خير عـلاج لهـذه الظـاهرة الناجمة عن غياب قاعدة إسلامية ثابتة للإسلام لنشر الهدى والنـور وسـط ظلمـات البربر.

٢) ضرورة تكوين قاعدة حربية ثابتة فى مواجهة التهديدات الرومية المتوقعة بعـد فـتح الشمال الأفريقى.

٣) أن تكون هذه المدينة دار عزة ومنعة للمسلمين الفاتحين، ذلك لأنهم تفرقوا فى الـبلاد كحاميات على المدن المفتوحة، وهذا التفرق قد يورث الضعف والوهن مـع مـرور الوقت خاصة لو دهم عدو كبير العدد هذه البلاد.

** لهذه الأسباب وغيرها قرر 'عقبة بن نافع' بناء مدينة القيروان فى القـرن الـشمالى الإفريقية فى مكان تتوافر فيه شروط الأمن الدعوى والحركى للمسلمين بحيث تكون دار عزة ومنعة وقاعدة حربية أمامية فى القتال ومنارة دعوية علمية لنشر الإسـلام، وانطبقـت كـل الشروط المطلوب توافرها فى منطقة أحراش مليئة بالوحوش والحيات، فقال له رجاله [إنـك أمرتنا بالبناء فى شعاب وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلـك مـن دواب الأرض]، وكان فى عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم فجمعهم وقال إنى داع فأمنوا، وبالفعل دعا الله عز وجل طـويلاً والـصحابة والنـاس يأمنون،، ثم قال عقبة مخاطباً سكان الوادى [أيتها الحيات والسباع، نحن أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فارتحلوا عنا فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه] فحـدثت بعـدها كرامة هائلة حيث خرجت السباع من الأحراش تحمل أشبالها والذئب يحمل جروه، والحيـات تحمل أولادها، فى مشهد لا يرى مثله فى التاريخ فنادى عقبة فى الناس [كفـوا عـنهم حتـى يرتحلوا عنا] وهكذا يصل الإيمان والثقة بالله عز وجل لهذا المستوى الفائق من اليقين بنصرة الله عز وجل وتأييده ومدده، فهذا هو البطل المجاهد يصل به الإيمان والكرامة لئن يتكلم مـع الحيوانات البهائم التى لا تعقل ولا تفهم، فيطيعونه ويسمعون أوامره، وهكذا يصبح الكون كله ومن فيه مسخراً لخدمة المجاهدين وغايتهم السامية.

*استمر بناء مدينة القيروان قرابة الخمس سنوات، حتى أصبحت القيروان درة المغرب وشيد 'عقبة' بها جامعاً كبيراً أصبح منارة العلم وقبلة طلاب العلم والشريعة من كـل مكـان،

وملتقى للدعاة والعلماء والمجاهدين، وأصبح جامع القيروان أول جامعة إسلامية على مستوى العالم وذلك قبل الأزهر بعدة قرون.

## مسجد عقبة عبر العصور.

وقد لاحظ عقبة أن شعوب البربر ومن معهم تكرر منهم شـق عـصا الطاعـة علـى المسلمين ونقضهم العهود التي يصالحون عليها، فوقف في جيشه يقول. " إن أفرقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فـأرى لكم يامعشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر".

هكذا نشأت فكرة مدينة القيروان التي يعتبرها بعض الباحثين من (مدن المعـسكرات)، وقد مثلت في بدايتها قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش لمواجهة التهديد الخارجي، ولمتابعـة الفتوح، ولتثبيت الإسلام، ثم تحولت إلى مراكز استيطان للجنود وأسرهم وأهليهم، فيها كل مـا في المدن الحضارية الأخرى من أسواق ومهن، وخدمات ومزايال وأقسام، وانتاج واستهلاك.

## المسجد أولاً.

وكما جرت العادة في المدن التي اختطها المسلمون، فقد بدأ عقبة نافع القائد المجاهـد بتخطيط مدينة القيروان ـ ومعناها المعسكر الأمامي أو المتقدم ـ فجعل مسجدها الجامع ودار الإمارة مركزاً للتخطيط، ثم أوعز إلى الجند باتخاذ المساكن حول ذلك المركز، كل قبيلة فـي ناحية.

## مشكلة.. وحل.

وكانت المشكلة الكبرى التي أهمت عقبة وأصحابه وولدت الجدل بينهم تحديـد القبلـة بشكل دقيق، في وقت لم تتوفر فيه الوسائل المرشدة إليها، مما جعله يتريث قلـيلاً قبـل إقامـة جدارن ذلك المسجد الذي سيكون قدوة لجميع مساجد المغرب الإسلامي فيمـا بعـد، وبقـي الخلاف بينهم في ذلك أياماً، حتى حدث ما لم يكن بالحسبان.

وينقل لنا صاحب البيان المغرب (المؤرخ ابن عذاري) رواية لطيفة عن قبلـة جـامع القيروان فيقول.

رأى عقبة في منامه من يحدثه قائلاً. إذا أصبحتَ فخذ اللواء في يدك، واجعلـه علـى عنقك، فإنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك، فانظر الموضع الـذي ينقطع عنك فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك.

فهب القائد من نومه فزعاً جزعاً، فتوضأ وذهب إلى مكان المسجد مع بعض الخاصـة من أصحابه، فصلى بهم ركعتين فلما شق ضوء الفجر أستار الظلام وانبلج الصبح أقبل عليـه جنده فصلى بهم ركعتي الصبح، وإذا بالتكبير يملأ سمعيه، فسأل أصحابه إن كانوا يـسمعون شيئاً؟ فأجابوه بالنفي فعلم أن الأمر من عند الله عز وجل، فحمل اللواء كما أُمر فـي رؤيـاه وسار يتبع الصوت، حتى بلغ موضعاً معيناً من أرض المسجد توقف عنده التكبير، فركز فيه

اللواء، وقال لأصحابه. (هذا محرابكم) فأقبلوا بحماس واندفاع شديدين دون كلل أو ملل يضعون قواعد البناء ويقيمون جدران المسجد بعد عرفوا موضع قبلة واتجاهها، وكـان ذلـك سنة ٥٠ للهجرة النبوية الشريفة.

وكان جامع عقبة حين انشائه على أغلب الظن بسيطاً صغير المساحة تستند أسقفه على الأعمدة مباشرة، دون عقود تصل بين الأعمدة والسقف، بل لنا أن نتصوره أشبه مـا يكـون بعريش يستند إلى جذوع نخل، مع توفر صحن مكشوف قريب المساحة من السقوف.

وقد حرص الذين جددوا بناءه فيما بعد على شيئين اثنين فيه. أولهمـا هيئتـه العامـة، وثانيهما قبلته ومحرابه، على الرغم من أنه زيد فيه مساحات كثيرة ولقي عنايـة كثيـر مـن الأمراء والملوك والعلماء في شتى مراحل التاريخ الإسلامي، حتى أصبح معلماً تاريخياً بارزاً ومهما.

## تجديدات وترميمات.. أولها الدور الأموي.

وخلال المئتي العام التالية لبنائه جدد ورمم خمس مرات وكان أول الذين فعلوا ذلـك حسان بن النعمان الغساني الذي هدمه ـ حاشا المحراب ـ عام ٨٠ هـ، ثم أعاده بناءه بعـد أن زاد في أروقة الجامع وقوى بنائينه.

ثم في عام ١٠٥ هـ أوعز الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك إلى واليه على القيروان بشربن صفران بزيادة المسجد وتوسعته، فاشترى أرضاً شمالي المسجد وضمها إليه، وبنى في صحن المسجد حوض ماء يسميه المغاربة (ماجلاً) كما بني مئذنة للمسجد في منتصف جداره الشمالي على بئر تعرف ببئر الجنان.

وفي سنة ١٥٥ هـ قاميزيد بن حاتم عامل الخليفة العباسي المنـصور علـى افريقيـة بإصلاح وتجديد زخارف المسجد.

وبقي المسجد هكذا إلى أن جاء ثاني أمراء الأسرة الأغلبية زيادة الله بـن الأغلـب ـ وكان تولى إمارة افريقية ـ فأخذ سنة ٢٢١هـ في هدم أجزاء كثيرة من المسجد بمـا فيهـا أسقف الجامع، ثم أقامها من جديد بعد أن رفعها عما كانت عليه، وبني على اسطوانة المحراب

قبة زخرفها، وجعلها لوحات رخامية رائعة، ولما أراد أن يهدم المحراب عارضـه الفقهـاء، وقالوا. إن من تقدمك توقفوا عن ذلك لماّ كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه. وقال لـه بعض البنائين. أنا أدخله بين حائطين فيبقى دون أن يظهر في الجامع أثر لغيرك، فاستحـسن ذلك، وبنى المحراب الجديد بالرخام الأبيض المخرم الذي يطل منه الناظر على محراب عقبة الأساسي.

وقد أكثر من العناية بالمسجد حتى قيل. إنه أنفق عليه ١٨٠ ألف مثقال غيـر نـادم ولا مستكثر. بل كان يقول. ما أبالي ما قدمت على ربي يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حـسنات. بنياني المسجد الجامع بالقيروان، وبنياني قنطرة أبي الربيع، وبنياني حصن مدينـة سوسـه، وتوليتي أحمد بن محرز قاضي أفريقية.

وفي بيت الصلاة في مسجد عقبة بن نافع ٤١٤ عموداً من الرخام تحمل عقود أروقتـه السبعة عشر.أما الساريتان (العمودان) الحمراوان اللتان كانتا زينة مسجد يزيد بن حـاتم فقـد وضعتا أمام المحراب وما زالتا باقيتين إلى اليوم.

وفي عام ٢٤٨هـ قام أحمد بن محمد أبو ابراهيم الأغلبي بتزيين جـدران المحـراب بالقراميد الخزفية واللوحات الرخامية، وكذلك فعل بالمنبر.

ثم في عام ٢٦١هـ قام هذا الأمير نفسه فزاد في طول الجامع، وبنى القبـة المعروفـة بباب البهو، وأقام المجنبات التي تدور حول الصحن. وبذلك وصل الجامع إلى أوج جماله.

وفي عام ٤٤١هـ أعاد المعز بن باديس بن زيربى السني تجديد المـسجد وترميمـه، وصنع له المقصورة الخشبية التي لا تزال منصوبة إلى اليوم بجوار المحراب.

كما أن الحفصيين أعادوا أيضاً تجديده بعد الغزوة الهلالية.

## مقاييس المسجد.

ولا يزال مسجد عقبة بن نافع في القيروان إلى اليوم محتفظاً بمقاييسه الأولى التي كـان عليها أيام ابراهيم بن أحمد الاغلبي، وهو من أكبر المساجد الجامعـة الباقيـة فـي الإسـلام وأعظمها مظهرا.

إذ يبلغ طوله (١٢٦) متراً وعرضه (٧٧) مترا.

وطول بيت الصلاة (القبلية) فيه (٧٠) مترا وعرضه حوالي (٣٨) مترا.

وصحنه المكشوف واسع فسيح طوله (٦٧) وعرضه (٥٦) مترا.

ولهذا الصحن مجنبات عرض كل منها نحو ستة أمتار وربع المتر، وتنقسم المجنبة إلى رواقين.

أما بيت الصلاة فعميق يغطي نصف مساحة المسجد تقريبا، وهو يمتاز بالضوء الـذي يفيض فيه، والاحساس القوي الذي يأسر الإنسان إذا وقف تحت قبة المحراب وتأمـل العقـود الجميلة والجدران الرخامية المزينة من أعلى بوحدات زخرفية في غاية الجمال.

## ركائز جمالية.

ويدعم جدران المسجد الشرقية والغربية من الخارج ركائز ضخمة ملاصقة للجـدران، وظيفتها ليس كما يتبادر إلى الذهن دعم البناء وتحمل الضغط التي تمارسه عقود بيت الصلاة، لأن هذه الركائز أقيمت في مواضع بعيدة عن نقط امتداد العقود ومراكـز انـدفاعها، وأنمـا الغرض منها ـ يضيف الاستاذ السيد عبدالعزيز سالم ـ أن تتمشى في مظهرها مع الـدعائم البارزة التي تكتنف أبواب المسجد، فتضفي عليه جمالا، لأن هذه الدعائم لو تركت بمفردهـا لظهرت كأنها زيادات منفرة تشوه المظهر الجمالي للمسجد من الخارج.

## المئذنة الفريدة.

ويتميز جامع عقبة بن نافع بمئذنته الفريدة التي تعتبر من نوادر المآذن وأجملها. بل إن المآذن التي بنيت بعدها في المغرب المسلم شاكلتها واقتدت بها، كمئذنة جامع سفاقس، ومـآذن جوامع تلمسان واغادير والرباط والقرويين، عدا عن مآذن بعض المساجد في الشرق كمئذنـة مسجد الجيوشي في مصر.

وتتكون هذه المئذنة الرائعة من ثلاث طبقات كلها مربعة الشكل، إلا أن الطبقة الثانيـة أصغر من الأولى، والثالثة أصغر من الثانية، وفوق هذه الطبقات الثلاثَ التي يصل ارتفاعهـا الكلي إلى ٥،٣١ متراً تربض قبة مفصصة، حتى يخيل إلى الناظر أن المنارة ليـست سـوى برج ضخم عال جميل...

وهذه المئذنة تقع في الحائط المقابل لجدار القبلة آخر الصحن المكشوف، وضلع طبقتها الأولى المربعة من أسفل يزيد على ٥،١٠ متر مع ارتفاع يقارب) ١٩ (متـرا، وقـد بنيـت الأمتار الثلاثة والنصف الأولى منه بقطع حجرية ضخمة مصقولة، بينما شيد بقية جسم المئذنة بقطع حجرية مستطيلة الشكل كقوالب الأجر.

ولها باب عرضه متر وارتفاعه (٨٥،١)م.

وتزدان جدران الطابق الثاني من مئذنة عقبة بطاقات ثلاث مسدودة ومعقودة فـي كـل وجه من أوجه المئذنة، في حين يزدان كل وجه من أوجه الطابق الأعلى بنافذة حولها طاقتان مسدودتان، ويعلو الجدار الأعلى من كل طابق شرفات على هيئة عقـود متـصلة ومفرغـة وسطها.

وللمئذنة فتحات تظهر ضيقة من الخارج متسعة من الداخل للإنارة والتهوية، وتعلوهـا من خارج المئذنة عقود تشبه حدوة الفرس لتخفيف الضغط.

ويدور بداخلها سلم ضيق يرتفع مع ارتفاع البناء ويتناسب مع حجمـه، فكلمـا ارتفـع ضاق.

ويرى بعض الأثر بين أن هذه المنارة الضخمة لم تبن دفعة واحدة، بل إن الجزء الأول منها "وهو الأضخم" بني في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك أيام واليه على القيـروان بشر بن صفوان، ثم بعد فترة طويلة بني الجزءان الثاني والثالث فوق تلك القاعدة الضخمة.

## ست قباب.

وفي مسجد عقبة بن نافع ست قباب.

الأولى. قبة المحراب، وهي أقدم قبة في المغرب كله، وقد تجلت فيهـا قـدرة البنـاء المغربي المسلم على الابداع والزخرفة والنقش.

والثانية. قبة باب البهو على مدخل البلاط الأوسط من جهة الصحن، وفيها من العنايـة الشيء الكثير، كما أنها أضفت جمالاً وتوازناً على بيت الصلاة، حتى أصبح بناء القبتين فـي بيت الصلاة قاعدة ثابتة لدى المغاربة.

والثالثة والرابعة. قبتان تعلوان مدخل بيت الصلاة شرقاً وغرباً.

والخامسة. قبة تعلو المجنبة الغربية للمسجد.

والسادسة. تعلو فوق البرج الثالث من المئذنة.

## زخارف في كل جزء.

وقد ازدانت بعض أجزاء المسجد بزخارف في قمة الأناقة والجمال، كزخارف المحراب والقبة التي فوقه.

فالمحراب تكسوه زخارف نباتية نقشت على الرخام، وفرغ ما بين رسوماتها ليتـرك المجال لتسرب الضوء من بين الخروم، واللوحات الرخامية تتابع صفوفاً أربعة، في كل صف سبع حشوات، عرض كل منها ١٤سم، ويزدان ما بين صفوفها بكتابة كوفية منقوشة.

كذلك في الرخام نقرأ فيها (بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله أحد الله الصمد لم يلـد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم).

والمنبر كذلك يعتبر من أروع الأمثلة على الاتقان الذي بلغه في الحفر على الخشب في المغرب وفيه زخارف هندسية ونباتية، ويعود عهده إلى عام ٢٤٨هـ.

وزخارف القبة نباتية بشكل عام، تتمثل في ساق متوسطة أو فروع متموجة، تتدلى منها أوراق العنب وعناقيده.

إن الناظر إلى المسجد من الخارج تتبادر إلى ذهنه صور الحصون الضخمة القديمـة. فالجدران عالية سميكة مشدودة بدعامات واضحة، وفوق هذا البناء العملاق يرتفع برج المئذنة الشامخ، كأنه العين الساهرة التي تراقب المغرب وترفع فيه صوت الإسـلام... الله أكبـر الله أكبر.

## المجاهد المخلص.

*بعدما إنتهى عقبة بن نافع من بناء القيروان ومسجدها الجامع، جاءه الأمر الخليفـى بالتنحى عن ولاية إفريقية، وتولية رجل من جنود عقبة اسمه 'أبو المهاجر دينار' وهو رجـل مشهور بالكفاءة وحسن القيادة، فما كان رد فعل القائد المظفر الذى فتح معظم الشمال الأفريقى وحقق بطولات فائقة عندما جاءه خبر العزل ؟ هل تمرد ؟ هل امتنع أو حتى تذمر ؟ كلا والله إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلا المناصب تبهرهم ولا الدنيا تفتـنهم ولا الأحقـاد تعرف إلى قلوبهم طريقاً، إنهم خالصين مخلصين لا يريدون إلا وجه الله عز وجـل، امتثـل عقبة فوراً للأمر وانتظم فى سلك الجندية.

*استطاع أبو المهاجر القائد الجديد أن يحقق عدة مكاسـب إسـتراتيجية فـى الـشمال الأفريقى على حساب التواجد الرومى بهذه المناطق، واستطاع أيضاً ا، يستميل زعـيم قبائـل البربر 'كسيلة بن لمزم' وكان كسيلة شديد التـأثير على قومة، قـوى الشخـصية،محبوباً فـى قومه، مطاعاً منهم، وكان نصرانياً متمسكاً بدينه وكان نجاح أبى المهاجر فى إقناعه بالإسلام مكسباً كبيراً للإسلام والمسلمين، ولكن القائد المحنك عقبة صاحب النظـرة الثاقبـة الخبيـرة بطبائع البربر، لم يطمئن لإسلام 'كسيلة' خاصة وأنه قد أسلم بعد وقوعه فى أسـر المـسلمين وبعدما ذاق حر سيوفهم، وقد صدق هذا الحدس فيما بعد كما سنعلم.

## عودة الأسد.

*لم يمض كثيراً من الوقت حتى عاد الأسد الضارى عقبة بن نافع إلى قيادة الجهاد ببلاد المغرب وانتقل أبو المهاجر فى صفوف الجنود مجاهداً مخلصاً، وهكذا نرى خير الأمة ينتقـل الواحد منهم من الرئاسة إلى عامة الجند بمنتهى اليسر والسهولة، بلا مـشاكل أو اعتـراض، وبلا أحقاد وأضغان، وذلك لأن الكل يبتغى مرضات الله ولا يريد شيئاً مـن عـرض الـدنيا الزائل.

*قرر عقبة بن نافع استئناف مسيرة الفتح الإسلامى من حيث انتهـى أبـو المهـاجر، وكانت مدينة 'طنجة' هى أخر محطات الفتح أيام أبى المهاجر، وهنا أشار أبو المهاجر علـى عقبة ألا يدخل مدينة طنجة لأن 'كسيلة' زعيم البربر قد أسلم/ ولكن عقبة كان يشك فى نوايـا وصحة إسلام كسيلة، فقرر الانطلاق لمواصلة الجهاد مروراً بطنجة وما حولها، خاصـة وأن للروم حاميات كثيرة فى المغرب الأوسط.

## الإعصار المدمر.

*انطلق عقبة وجنوده من مدينة القيروان، لا يقف لهم أحدن ولا يـدافعهم أى جـيش، فالجميع يفرون من أمامهم، وكلما اجتمع العدو فى مكان، انقض عقبة ورجاله عليهم كالصاعقة المحرقة ففتح مدينة 'باغاية' ثم نزل على مدينة 'تلمسان' وهى من أكبر المدن فـى المغـرب الأوسط وبها جيش ضخم من الروم وكفار البربر، وهناك دارت معركة شديدة استبسل فيهـا الروم والبربر فى القتال وكان يوماً عصيباً على المسلمين، حتى أنزل الله عز وجـل نـصره على المؤمنين، واضطر الأعداء للتراجع حتى منطقة 'الزاب'

*سأل عقبة عن أعظم مدينة فى الزاب فقيل له 'أربة' وهى دار ملكهـم وكـان حولهـا ثلاثمائة وستون قرية عامرة، ففتحها عقبة، والروم يفرون من أمامـه كـالفئران المـذعورة، ورحل عقبة بعدها إلى مدينة 'تاهرت' فأرسلت الحامية الرومية استغاثة لقبائل البربر الوثنيـة فانضموا إليهم فقام عقبة فى جيشه خطيباً بارعاً بعبارات فائقة تلخص رسالة المجاهد فى سبيل الله فقال [أيها الناس إن أشرفكم وخياركم الذين رضى الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على قتال من كفر بالله إلى يوم القيامة، وهـم أشرفكم والسابقون منكم إلى البيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنـتم اليوم فى دار غربة وإنما بايعتم رب العالمين، وقد نظر إليكم فى مكانكم هذا، ولم تبلغوا هـذه البلاد إلا طلباً لرضاة وإعزازاً لدينه، فأبشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل إن شـاء الله تعالى، وربكم لا يسلمكم فالقوهم بقلوب صادقة، فإن الله عز وجل قد جعل بأسه على القوم المجرمين ] وبهذه الكلمات الموجزة استثار عقبة حمية رجاله، وأعطى درساً بليغاً للأجيال من بعده عن حقيقة دعوة المجاهد.

*التقى المسلمون بأعدائهم وقاتلوهم قتالاً شديداً وكانت نتيجته معروفة بعـدما وصـلت معنويات المسلمين لقمم الجبال، وانتصر المسلمون كما هى عادتهم، وسار عقبة حتـى نـزل على 'طنجة' فلقيه أحد قادة الروم واسمه 'جوليان' فخضع لعقبة ودخل له الجزية، فسأله عقبـة عن مسألة فتح الأندلس فقال له 'جوليان' أتترك كفار البربر خلفك وترمى بنفسك فى بحبوحـة

الهلاك مع الفرنج ؟ فقال عقبة وأين كفار البربر ؟ فقال فى بلاد السوس وهم أهل نجدة وبأس فقال عقبة وما دينهم ؟ قال ليس لهم دين فهم على المجوسية.

فتوجه إليهم عقبة كالإعصار الكاسح الذى يدمر كل شىء بإذن الله واخترق هذه الـبلاد كلها هازماً لكل قبائل البربر حتى وصل بخيله إلى المحيط الأطلنطى فخترق عقبة بفرسه ماء المحيط ثم قال بقلب المؤمن الصادق الغيور الذى بذل واستفرغ كل جهـده وحياتـه لخدمـة الإسلام [يا رب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك، اللهم اشهد إنى قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك ]

** وبهذه النفوس الصادقة والقلوب المؤمنة والعزائم الفائقة انتشر الإسلام فـى ربـوع الأرض.

## استشهاد البطل.

حقق عقبة غايته من حركة الفتح الإسلامى بالشمال الإفريقى، فلقد أخضع قبائل البربـر وأوقع بها بأساً شديداً حتى وصل إلى أقصى بلاد المغرب واقتحم المحيط بفرسه، وبعدها قرر عقبة العودة إلى القيروان فلما وصل إلى طنجة أذن لمن معه من الصحابة أن يتفرقوا ويقدموا القيروان أفواجاً ثقة منه بما نال من عدوه، ومال عقبة مع ثلاثمائة من أصحابه إلـى مدينـة 'تهوذة' فلما رأه الروم فى قلة من أصحابه طمعوا فيه، وأغلقوا باب الصحن وشـتموه وهـو يدعوهم إلى الإسلامن وعندها أظهر 'كسيلة' مكنون صدره الذى كان منطويـاً علـى الكفـر والغدر والحسد، واستغل قلة جند عقبة واتفق مع الروم على الغدر بعقبة وأرسل إلى إخوانـه البربر الوثنيين وجمع جموعاً كثيرة للهجوم على عقبة ومن معه

*كان أبو المهاجر فى ركب عقبة ولكن عقبة قد غضب منه فقيدة، فلما رأى أبو مهاجر هجوم كسيلة ومن معه أنشد أبيات أبى محجن الثقفى المشهورة:

**كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا *** وأترك مشدوداً علـى وثاقيـا**

**إذا قمت عنانى الحديد وأغلقـن *** مصارع دونى قد تصم المناديا**

ففك عقبة وثاقة وقال له [الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين وأنا أغتنم الشهادة فقال أبو المهاجر [وأنا أيضا أريد الشهادة] وكسر عقبة والمسلمين أجفان سيوفهم واقتتلوا مـع البربـر حتى استشهد عقبة وكل من معه فى أرض الزاب بتهوذة وذلك سنة ٦٣ هجرية.

*كان عقبة بن نافع رضى الله عنه مثالاً فى العبادة والأخـلاق والـورع والـشجاعة والحزم والعقلية العسكرية ارستراتيجية الفذة، والقدرة الفائقة على القيادة بورع وإيمان وتقوى

وتوكل تام على الله عز وجل فأحبه رجاله وأحبه أمراء المؤمنين، وكان مـستجاب الـدعوة، ميمون النقيبة، مظفر الراية، فلم يهزم فى معركة قط، طبق فـى حروبـه أحـدث الأسـاليب العسكرية والجديدة فى تكتيكات القتال مثل مبدأ المباغتة وتحشيد القـوات وإقامـة الحاميـات وتأمين خطوط المواصلات واستخدام سلاح الاستطلاع، ونستطيع أن نقول بمنتهى الحيادية أن البطل عقبة بن نافع قد حقق أعمالاً عسكرية باهرة بلغت حد الروعة والكمال وأنجز فى وقت قليل ما لا يصدقه عقل عند دراسته من الناحية العسكرية البحتة، وترك باستشهاده أثراً كبيـراً فى نفوس البربر وأصبح من يومها يلقب بسيدى عقبة.

## البـربـــر.

### حقيقة مصطلح البربر.

شاع حول لفظة البربر تصور مبني على أحكام القيمة والإقصاء والانغـلاق، يختـزل دلالاتها في كل ما هو متوحش أو همجي أو بدائي أو نحو ذلك. ولا يعدو هذا التصور المعنى اللغوي والمعجمي المبثوث في بعض القواميس سواء العربية أم الأجنبية التي تتضمن أكثر من تلبيس أو مغالطة، حيث لا يرجع أصحابها إلى تاريخ هذا المصطلح ليثبتوا جـذوره الحقيقيـة وإرهاصاته الأولى، ويطلعوا على الكيفية التي نشأ بها، بل ويتعقبوا تطوراته اللغوية وتبدلـه المعنوي، فيدركوا أن أصل هذه الكلمة إغريقي صرف، حيث سمى اليونانيون القدامى كل من لا يتكلم بالإغريقية (باربـاروس)، ثم استعار الرومان نفس المصطلح فأطلقوه على الأجانـب، وبالتحديد الخارجين عن طاعة الإمبراطورية الرومانيـة والنابـذين لأفكارهـا الاسـتبدادية والرافضين لنفوذها العسكري. وبما أن الأمازيغ كما يشهد تاريخهم القديم تمردوا على الحكـم الروماني العاتي، ورفضوا تمام الرفض وبكل الوسائل المادية والمعنوية سيادته، فقد نعتوا من قبله ب)Barbari)! أشار المؤرخ شارل أندري جوليان في كتابه تاريخ أفريقيا الشمالية "إلى أن البربر لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم، بل أخذوه من دون أن يرمموا استعماله عن الرومان الذين كانوا يعتبرونهم أجانب عن حضارتهم، وينعتونهم بالهمج، ومنه استعمل العرب كلمة بر ابر وبرابرة."

هكذا يمكن اعتبار هذا الدليل الذي يفسر به هذا المؤرخ الكيفية التي تم بها إلصاق هـذا المصطلح بسكان الشمال الأفريقي الذين كانوا يسمون الأمازيغ، خير شاهد على براءتهم مـن الشحنة المعنوية الرديئة والغثة، التي تنتقص من شأن شخصيتهم وقدر ثقافتهم، وقيمة الحضارة التي شيدوها في بلاد شمال أفريقيا المتاخمة لحوض البحر الأبيض المتوسط وجزء من المحيط الأطلنطي. اعتبارا بأن هذا الكلام إنما هو صادر ليس عن أديب يخمن أكثر مما يعلل، أو عن سياسي ينساق إزاء سراب الأيديولوجيا فيجادل أكثر مما يوضح، وإنما عـن دارس للتـاريخ

يستند إلى الشواهد التاريخية والأثرية، فيعمل فيها أدوات البحث من مقارنة وتمحيص وضبط زمني وجغرافي وغير ذلك. ثم إن هذا المؤرخ يذهب إلى حد بعيد في إنصافه لهؤلاء النـاس، الذين ظلمتهم الدولة الرومانية ومن والاها من مؤرخي البلاط وكتبة التاريخ الرسمي، فـرغم أن شارل أندري جوليان ينحدر من الربوع التي نشأت فيها تلك الإمبراطورية وسادت، فإنـه توخى الموضوعية والعلمية في كتاباته التاريخية، فكانت ثمرة ذلك هو كشف النقاب عن حقيقة البربر الذين لم يكونوا بربرا إلا من حيث التسمية.

في نفس الصدد يذكر محقق كتاب الحوض في الفقه المالكي باللسان الأمازيغي لمؤلفـه الشيخ امحمد أوعلي أوزال، أن الاستعمار الروماني لما سمى الأمازيغ بالبربر، تلقى عنه هذه الكلمة بعض تلامذة الأجانب، واتخذوها وصمة عار على اللغة الأمازيغية، ويقولون أنها ليست لغة وإنما هي لهجة بربرية تكلم بها جماعة من الوحوش المتبربرة، لذلك لا تـستحق النظـر والبحث عندهم، وعلى هذا المبدأ تمرد أولئك التلاميذ علـى اللغـة الأمازيغيـة، وأرادوا أن يوهموا العالم أنها ليست لغة وإنما هي أصوات مبهمة... فانساقت معهم ثلة من شبابنا الذي لا يعرف عن هذه اللغة شيئا.

هذا دليل آخر يستنبط منه أن الاستعمار كيفما كان، رغم اختلاف أزمنته وأمكنته وتباين أدواته وآلياته، فإن أهدافه تظل واحدة وموحدة، تتمظهر في اسـتبداد الـشعوب واسـترقاقها، والاستيلاء على ممتلكاتها الطبيعية والبشرية واستلابها، والأنكى من ذلـك تـشويه معالمهـا الثقافية وطمس هويتها. وهذا ما فعله الرومان عندما حاولوا التأثير في خصوصية الشخـصية الأمازيغية، ومقوماتها النفسية واللغوية والاجتماعية وغير ذلك؛ فهؤلاء الناس إنما هم وحوش لا يتكلمون اللغة، بقد رما يتواصلون بأصوات مبهمة! فهذا الوصف الهجين ليس هجينـا فـي محتواه، ما دام الذي يتفوه به مستعمر لا يريد إلا دعم وتقوية مقولته الاستعمارية، ولكنه هجين في تأثيره وهذا هو الجانب الخطير في الأمر، خصوصا وأن هذا الكلام أو التوصـيف الـذي ردد في غابر الأزمان، ما زال يعمل تأثيره الذي امتد، رغم توالي الحقب وتبـدل الأزمـان. حتى أنك إن تجادلت في الزمن الحاضر مع بعض الناس حول الشأن الأمازيغي، سمعت نفس أحكام القيمة التي سمعها أجدادنا في الزمن الروماني الغابر، رغم أن الإسلام ألغى كل ما هو عصبي أو شعوبي من شأنه أن يفرق الأمة شيعا، ويمزق كيانها إربا. مما يجعلك تكتشف مدى فعالية وخطورة الاستعمار عندما يستهدف ما هو ثقافي في الإنسان، وينال من مكونات هويته التي إن اجترحت أو تورمت[ استعصت عن الشفاء والبرء.

وسبب هذا الطمس الحضاري الذي وجهه الرومان إلى الشخصية والهوية الأمازيغيـة، هو في الدرجة الأولى ذلك الصمود النادر الذي واجه به الأمازيغيون غزوه، الذي كان يسعى إلى استعباد الشعوب المتوسطية، وأيضا ذلك القرار المصيري الذي اتخذوه، عنـدما راحـوا يتشبثون بالثقافة الأم كما تتشبث الجذور بالتربة، فأغلقوا بذلك المسارب التي قد تكون منفـذا لشرور الغزو الذي يتلبس بما هو حضاري، فينقض حضارة الآخر، أو يلغيها، أو يعيد تشكيلها وفق هواه.و لقد أبان سكان شمال أفريقيا عن هذه الإرادة الحديدية، ربما إدراكا منهم بل وخوفا من الانصهار في بوتقة المستعمر وثقافته، مما يؤدي بهم تدريجيا إلى الانسلاخ عن الأصـل الذي تتباهى به كل هوية، وإذا كان هذا هو السبب المباشر لاستماتة الأمـازيغ، وهـو أمـر مشروع وواجب، يقره العقل لا بتخميناته وظنونه، بل بأدواته المنطقية، لماذا يتنكـر الـبعض لهذه الحقيقة، ويتجشم ثقلا معرفيا مزيفا، ليثبت عكس التاريخ، ويسبح ضد التيار، بل ويزكـي بذلك سياسة الاستبداد والطمس والاستحمار والتزييف وغيرها، وهو في حاله هذا كحال الذي يحجب الشمس بالغربال؟! لماذا ننساق وراء مقولة رومانية، تبناها أصـحابها قـصد تـدعيم أغراض سياسية واستعمارية بحتة، فنطوعها تعسفا لتسري على شعب بريء منها، ولا نـسأل أنفسنا ولو مرة واحدة ما إذا كان كل من يدافع عن أرضه، ويذود عن حياضه بربريا أم همجيا أم متوحشا أم غير ذلك؟

والغريب في الأمر أن أغلب المعجميين العرب، الذين فسروا كلمة البربر غيبـوا هـذه الحقيقة التاريخية، فلم يشيروا في شروحهم إلا إلى تلك الحمولـة المعنويـة المتوارثـة عـن الرومان، أو بالأحرى لم يمنحوا المصطلح نصيبه من البحث والتقريب والتصويب والمدارسة، بل نقلوه أو ترجموه حرفيا، كما هو موجود في القواميس الغربية. مما يؤثر سلبا على أولئـك الذين يطلق عليهم اسم البربر، فيتجدد عند كل قارئ لشرح ذلك المـصطلح نفـس الوصـف الخاطئ الذي أطلق عليهم في الماضي، فتظل دلالة كلمة البربر على حالها الأول حيـة فـي متون المعاجم يتداولها القراء وتتوارثها الأجيال.

## ٦٦٣ م. مولد ابو نواس.

أبو نُواس 198 - 146هـ / ٧٦٣ 813 - م الحسن بن هانئ بن عبـد الأول بـن صـباح الحكمي بالولاء.

شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبـصرة، ورحـل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلـى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها.

كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طـيء مـن بنـي سـعد العـشيرة. هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم فـي جميـع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته.

| | | |
|---|---|---|
| دع عنْـك لـومي فـإن اللّـوم إغْـراء | *** | وداونـي بـالّتي كانَـتْ هـي الـداء |
| صـفراء لا تَنْـزلُ الأحـزان سـاحتها | *** | لـو مـسها حجـر مـسته سـراء |
| مِـن كـفّ ذات حِـرٍ فـي زي ذي ذكـرٍ | *** | لهـا محِبـان لـوطي وزنّـاء |
| فامـت بِإبريقِهـا، والليـلُ معتكِـر | *** | فَـلاح مِـن وجههـا فـي البيـتِ لألاء |
| فأرسـلتْ مِـن فَـم الإبريـق صـافيةً | *** | كأنمـا أخـذُها بـالعين إغفـاء |
| رقـتْ عـن المـاء حتـى مـا يلائمهـا | *** | لطافَـةً، وجفـا عـن شَـكلِها المـاء |
| فلـو مزجـتَ بهـا نُـوراً لمازجهـا | *** | حتـى تَولـد أنْـوار وأضـواء |
| دارتْ علـى فِتْيـةٍ دانَ الزمـان لهـم، | *** | فَمـا يـصيبهم إلاّ بِمـا شـاؤوا |
| لِتلـك أبكـي، ولا أبكـي لمنزلـةٍ | *** | كانـتْ تَحـل بهـا هنـد وأسـماء |
| حاشـا لِـدرةَ أن تُبنَـى الخيـام لهـا | *** | وأن تَـروح عليهـا الإبـلُ والـشّاء |
| فقـلْ لمـن يـدعِي فـي العلـمِ فلـسفةً | *** | حفِظْـتَ شَـيئًا، وغابـتْ عنـك أشـياء |
| لا تحظُرالعفـو إن كنـتَ امـرأً حرجـا | *** | فَـإن حظْركَـه فـي الـدين إزراء |

- ٦٦٤ م. فتح السند على يد المهلب بن ابى صفرة

## ٦٦٥ م. وفاة زيد بن ثابت.

زيد بن ثابت أبو خارجة، صحابي أنصاري من الخزرج. ولد في المدينة، وقُتِـل أبـوه وعمره ست سنوات فحملته أمه إلى مكة. تعلم العِبرية في فترة قصيرة بأمر من رسـول الله، وكذلك تعلم السريانية. وكان من كتّاب الوحي وموضِع ثقة النبي. لم يشهد بدراً ولم يحارب في أُحد لصِغَر سنه. شارك في حفر الخندق، وما تخلّف عن معركة بعد ذلك. كما شارك في فـتح خَيبر وشهد فتح مكة. وكان في ركب رسول الله في تبوك. اشترك في معركة اليمامة في قتال مسيلمة الكذّاب، وشهد اليرموك. كان على عهد رسول الله حافظاً واعياً. جمع القرآن الكـريم على عهد رسول الله، وكان الرسول يدعوه ليسجل ما ينزل به الوحي. كان زيد مقربـاً مـن

الخلفاء الراشدين؛ جعله أبو بكر الصديق المسؤول الأول عن جمع القرآن الكريم، وكان الخليفة عمر يستخلفه على المدينة إذا خرج في سفَر. وكان مِمن كلفهم الخليفة عثمان باستنساخ بِضعة نُسخ من كتاب الله .

- ٦٦٩ م. الحصار الاول للقسطنطينية
- ٦٦٩ م. وفاة الصحابى ابى ايوب الأنصارى وكان يحمل الراية فى غزوات النبى الكريمومات فى اثناء حصار القسطنطينية ودفن عند ابواب المدينة وشيد بعد ذلك السلطان محمد الفاتح مسجدا بإسمه هناك

## ٦٦٩ م. يشمل ولاية عقبة بن نافع الاولى وولاية ابى المهاجر دينار.

لم يقم المسلمون بشىء حاسم فى افريقيا بين سنتى ٢٨ و ٤٥ هجرية، ذلك ان فتنة عثمان وما تلاها من الاحداث اوقفت نشاط التوسع الاسلامى فى كل وجه نعم ان عثمان لم يقتل الاسنة ٦٥٤ م ولكن السنوات الاخيرة من حكمه كانت سنوات اضطراب وشغب عليه وكان والى مصر وقائد الفتوح فى افريقيا هو عبد الله بن سعد بن ابى السرح احد المغضوب عليهم من الناس فى ذلك الحين فكان طبيعيا ان ينصرف فكره عن افريقيه ومواصلة الفتح فيها منذ عودته من غزواته التى ذكرناها فى سنة ٦٤٧ م فلما انتهت الفتنة واستقر الامر لمعاوية عاد عمرو بن العاص الى مصر سنة ٦٤٨ م واتجه ذهنه من اول الار الى معاودة الغزو فى افريقية لانها كانت فى حسابه بابا مفتوحا للكسب والمغانم ولا نزاع فى ان معاوية لم يكن راضيا عن هذه الحرية التى اباحها عمرو لنفسه لان حملة عبد الله بن سعد وما عادت به من المغنم الوفير فتحت عينه على اهميتها وجعلته يفكر فى فصلها عن مصر وافرادها بوال خاص، فلما توفى عمرو سنة ٦٦٥ م سنحت له الفرصة ليحدث هذا التغيير الهام الذى يعين لنا تطورا خطيرا فى علاقة المغرب بالخلافة الاسلامية فمنذ ذلك الحين اصبح المغرب ولاية مستقلة تابعة للخلافة رأساً وكان اول والى اسلامى عين على افريقية هو معاوية بن حديج احد كبار انصار معاوية

وعجل معاوية بالسير الى مصر فى سنة ٦٦٦ م فلم يكد يصل برقة حتى بلغه ان البيزنطيين عادوا فأرسلو جيشا الى البلاد وان قائد هذا الجيش قد طالب اهل افريقية بأن يؤدوا له من المال بقدر ما ادوا للعرب فثار به الاهلون فعاد الى بلاده ليعود بجيش قوى وفى نيته ارغام الاهلين على ان يؤدوا له ما طلب فوصل الى قرطاجنة قبيل الوقت الذى عبر فيه معاوية بن حديج حدودها ومعه عشرة الاف من العرب فيهم نفر كبير من الصحابة والتابعين من امثال عبد اله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان

وعدة من اشراف قريش ونفر كبير من جند مصر، ولم يكد الجيش يحط رحالـه فـى اقلـيم قمونية جنوبى قرطاجنة حتى تسامع بنزول الروم فتقدم نحوهم وعسكر فى مكان يسمى القرن ومن هناك ارسل عبد الله بن الزبير ليستطلع احوال جيش الروم فلم يكد هذا الاخير بـاقتراب العرب حتى تراجع الى سوسة وادركه عبد الله بن الزبير فيها وناوشه مناوشة خفيفـة اقلـع بعدها الى صقلية واستولى المسلمون على سوسة وارسل معاوية سرية اخرى الـى جلـولاء استولت عليها وغنمت غنيمة متواضعة ثم سار بنفسه الى بنزرت واستولى عليها ولا صـحة لما يذكره بعض المؤرخين من أن معاوية بن حديج بعث سرية الى صقلية.

## ٦٧٠ م. وفاة كعب بن مالك الأنصاري.

كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي (بفتح السين والـلام). صـحابي أنصاري خزرجي من أهل المدينة. كان مشهوراً في الجاهلية. شهد بيعة العقبة الثانية وكـان من المبايعين. وعندما هاجر النبي إلى المدينة، آخى بين كعب وطلحة بن عبيد الله. كان كعب من الشجعان، حرص على أن يخوض أكثر المواقع مع الرسول، وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن موقعة تبوك، وأقروا بأنهم لا عذر لهم في ذلك التخلف، وشعروا بخطـئهم. وقـد أمـر الرسول باعتزالهم، فصبروا واحتسبوا، حتى نزل العفو عنهم من الله تعالي في سورة التوبـة **وعلى الثلاثَةِ الذِين خُلفُوا حتى إِذَا ضاقَتْ عليهم الأرض بِما رحبتْ وضاقَتْ عليهم أَنْفُـسهم وظَنوا أَن لا ملْجأَ مِن اللهِ إِلا إِليهِ ثُم تَاب علَيهم لِيتُوبوا إِن الله هو التواب الرحِيم** (سـورة التوبة، الآية ١١٨). وكان كعب يوم أحد قد لبس لأمة النبي ``درعه ``ولـبس النبـي لأمتـه، وجرح كعب يوم أُحد أحد عشر جرحاً. وكان من شعراء رسول الله، الذين تـصدوا لأعـداء الإسلام. وقد أُسلمت قبيلة دوس فرقاً من قول كعب بن مالك.

قضينا من تِهامة كل وتر وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

تخيرها ولو نطقت لقالت قواطعهن. دوسا أو ثقيفا

فقالت دوس. انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف. وعندما حدثت الفتنة في أواخر خلافة عثمان، وقف كعب إلى جانبه وأنجده وحرص الأنصار على نصرته، كف بصر كعب بن مالك، في أواخر عمره وتوفي في خلافة معاوية. روى 80 حديثاً عن رسول الله

## ٦٧٣ م (٥٤ هـ). وفاة حسان ابن ثابت

حسان بن ثابت 54 - ?هـ 673 - ? / م حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنـصاري، أبو الوليد.

شاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسـلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة.

واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته.لم يـشهد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) مشهداً لعلة أصابته.

توفي في المدينة.

قال أبو عبيدة. فضل حسان الشعراء بثلاثة. كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشـاعر النبي في النبوة وشاعر اليمانيين في الإسلام.

وقال المبرد في الكامل. أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعدون ستةً فـي نـسق كلهم شاعر وهم. سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

| | |
|---|---|
| وأحسن منك لم تر قط عيني | وأجملُ مِنْك لَم تَلِدِ النّساء |
| خلقتَ مبرأً من كلّ عيبٍ | كأنك قد خلقتَ كما تشاء |

- ٦٧٣ م (٥٤ هـ). وفاة اسامة بن زيد رضي الله عنه
- ٦٧٤ م. الحصار الثانى للقسطنطينية
- ٦٧٦ م (٥٧ هـ). وفاة ابو هريرة اكبر رواة الحديث واجود الحفاظ

## ٦٨٠ م (٦٠ هـ). وفاة معاوية بن ابى سفيان مؤسس الخلافة الأموية.

معاوية بن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف، و(ابو سـفيان) هـي كنية أبيه. صحابي وزعيم بني أمية، ومؤسس السلالة الأموية، وأول خلفاء الدولة الأموية. ولد بمكة عام ٦٠٣ م. اشترك في فتح سورية فعينه عمر بن الخطاب حاكما عليها، وبعـد مقتـل عثمان بن عفان اعترض على تولي علي بن أبي طالب للخلافة الاسلامية باعتبار أن عليا من بني هاشم وهو من بني أمية المنافس الأكبر لهاشم في زعامة قريش قبل الاسلام فقاتل عليـا وانتصر عليه في معركة صفين عام ٦٥٧ م، فانتقل الحكم اليه ثم الى أبنائه وأحفاده من بعد، وبذلك قضي على نظام الشورى الذي أقره الرسول للحكم الاسلامي. توفي عام ٦٠ هـ/٦٨٠ م.َ

## ٦٨٠ م. تولى يزيد بن معاوية.

يزيد الأول، ابن معاوية بن ابي سفيان، وأمه ميسون الكلبية. ثاني الخلفاء الأمويين.

تولى الخلافة عام ٦٠ هـ /٦٨٠ م. من اهم احداث عهده قتل الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم ارساله حملة الى المدينة ومكة بقيادة مسلم بن عقبة والحصين بن نميـر لاخـضاع منافسه عبد الله بن الزبير الذي كان يحاول تأسيس خلافة اسلامية هناك فقضوا على حركته.

انصرف الى اللهو وشرب الخمر غير أنه اصلح الادارة والمالية في الدولة. توفي فـي حمص عام ٦٤ هـ/٦٨٣ م.َ

و في الترتيب الزمني للخلافة يعتبر سادس خلفاء المسلمين وثاني خلفاء بني امية، وقـد حكم لمدة ثلاث سنوات كانت من أكثر الفترات تأثيراً في التاريخ الأسلامي.

أخذ له أبوه البيعة في حياته، فجعل من الخلافة ملكاً عضوضاً، و لم يكن أحب منه إلى قلب أبيه. وكانت خلافة يزيد التي دامت ثلاث سنوات وصلة حروب متصلة، ففي عهده كانت واقعة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي. ثم حدثت ثورة في المدينة المنـورة انتهـت بوقعة الحرة. ثم سار مسلم بن عقبة المري إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير فضرب الكعبـة بالمنجنيقات.

توفي يزيد بن معاوية، و تخلى ابنه معاوية عن حقه في الحكم. وكان ولداه معاوية بـن يزيد و خالد بن يزيد صالحين عالمين.

- ٦٨٠ م (٦١ هـ). استشهاد الحسين بن علي – رضوان الله عليهما – في كربلاء بعـدما خرج على يزيد بن معاوية الذي لم يرضه خليفة للمسلمين
- ٦٨٣ م. عقبة يستولى على طنجة واغادير ويشتشهد هناك

## ٦٨٤ م. مروان بن عبد الحكم يتولى شئون الخلافة.

الخليفة الأموي الرابـع. تولى الخلافة عام ٦٤ هـ، وبه انتهت الخلافة في أبناء معاوية بن ابي سفيان لتكون من نصيب المروانيين من سلالته. كان من المدافعين عن عثمان بن عفان واشترك في معركة الجمل الى جانب عائشة ضد علي بن ابي طالب. بويـع بالخلافـة فـي الجابية ثم في دمشق. من اهم احداث عهده محاربته للقيسيين من انصار عبد الله بـن الزبيـر والانتصار عليهم في مرج راهط شمالي دمشق، واستيلائه لمصر. ومن اهم انجازاته الادارية ضبط المقاييس والموازين. توفي بالطاعون عام ٦٥ هـ قبل ان يكمل عامين في الحكم.

- ٦٨٥ م. ثورة المختار الثقفى
- ٦٨٥ م. وفاة الخليفة الأموي، يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الثاني مـن خلفـاء دولة بني أمية، استمرت خلافته أربع سنوات، وتوفي في الثامنة والثلاثين من عمره.

## ٦٨٥ م. تولى عبد الملك بن مروان امور الخلافة.

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم من بني أمية. كانت ولادته في المدينة المنورة عـام ٢٦ هـ. اشتهر منذ نشأته بالأدب والعقل والحزم، ودرس الفقه فكان من فقهاء المدينة، يصفه احد معاصريه فيقول « ما رأيت بالمدينة شابا أشد تشميرا ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتـاب الله من عبد الملك بن مروان ». في عام ٦٥ هـ تولى الخلافة بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم في وقت اضطربت فيه الأمور في الدولة الاسلامية ففي الحجاز عبد الله بن الزبيـر وثورتـه وفي العراق جيوش مصعب بن الزبير التابعة لعبد الله بن الزبير بالاضافة الى فتن الخـوارج وخروج عمرو بن سعيد في دمشق. تمكن عبد الملك من تهدئة الامور ووحد الدولة وقـضى على الحركات المناوئة له، ثم اخذ يوجه جهوده الى نشر الاسلام وقطع دابر اعدائـه، ففـتح بعض مناطق آسيا الصغرى وأدب الروم ونشر الاسلام في شمال افريقيا وقضى على الثورات التي قامت ضدهم هناك، كما فتح مناطق من أواسط آسيا. اهـتم بـالامور الداخليـة فعـرب الدواوين مما ساعد على انتشار اللغة العربية وصك عملة اسـلامية هـي الـدنانير الذهبيـة والدراهم الفضية وكتب عليها عبارة « باسم الله » ثم كتب عليها فيما بعد « الله أحد الله الصمد ». يسمى عبد الملك « أبو الملوك » لأن أربعة من أبنائه صاروا ملوكـا وهـم « الوليـد - سليمان - يزيد - هشام ». توفي عبد الملك عام ٨٦ هـ بعد حكم دام أكثر من عشرين سـنة ويروى عنه قوله يوم وفاته « والله لوددت أني كنت منذ ولدت الى يومي هذا حمـالا » ثـم أوصى بنيه بتقوى الله.

## ٦٨٧ م. وفاة عبد الله بن عباس رضى الله عنه.

عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، صحابي جليل، قرشـي، مـن أهـل مكـة المكرمة، وابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. ولد قبل الهجرة، ولم يدنس بشرك.

كان عبدالله بن عباس في الثامنة من عمره عندما قدم رسول الله مهاجراً. قدم المدينة مع أخيه الفضل بن العباس وكان الرسول في غزوة الخندق. وكان الرسـول يقربه إليه ويرعـاه. وفي حِجة الوداع، كان ابن عباس رديف الرسول، على ناقته .اشتهر بعِلمه بالتفـسير؛ فـسماه الرسول ترجمان القرآن. وكان واسع المعرفة، يأتيه الناس للتزود من علمه، وكان يخـصص يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لوقائع العرب. وعرف بحبـر الأمة.

عرف بصدقه وأمانته. فاتخذه عمر بن الخطاب مستشاراً، يدعوه للمعـضلات، وأنابـه الخليفة عثمان في إمارة الحج عام الفتنة، وولاّه الخليفة علي بن أبي طالب إمـارة البـصرة، وشهد موقعتَي الجمل وصفين، وقاتل مع علي. ولما تنازل الحسن بـن علـي عـن الخلافـة لمعاوية، بايع ابن عباس معاوية بها .سكن الطائف في أواخر عمره، وقد كفّ بصره. توفي في خلافة عبدالله بن الزبير. روى عنه كتب الحديث (١٦٦٠) حديثاً، عن رسول الله، عليه الصلاة والسلام.

- ٦٨٨ م. وفاة ابو الأسود الدؤلى اللغوى الشهير، كان علوياً وفاوض اهل الجمل بإسم علـى رضـى الله عنه وشهد صفين وعرف بحذق الحديث والفقه واللغة وقيل انه اول من وضع النحـو وابتكـر الـضبط بالنقط
- ٦٩٢ م. استشهاد الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام، أول مولود للمسلمين في المدينة المنورة، كان شجاعا ذكي الفؤاد، معتدا بنفسه، شارك في الفتوحـات الإسـلامية، وهو حدث صغير، واشترك في فتح شمال إفريقيا في عهد عثمان بن عفان، وبعـد وفـاة معاوية بن أبي سفيان رفض مبايعة ابنه، وركن إلى مكة المكرمة، وبعد وفاة يزيـد بـن معاوية أعلن نفسه خليفة سنة ٦٤ هـ، ولكن خلافته لم تطل ونازعه عبد الملك بن مروان حتى تمكن الحجاج الثقفي من قتله، وبمقتله انهارت دولته.

## ٦٩٤ م. ولاية الحجاج بن يوسف على العراق.

### حياته المبكرة.

ولد أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي في منازل ثقيف بمدينـة الطائف، في عام الجماعة ٤١هـ. و كان اسمه كليب ثم أبدله بالحجاج. و أمه الفارعة بنـت همام بن عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد.

نشأ في الطائف، و تعلم القرآن و الحديث و الفصاحة، ثم عمل في مطلع شـبابه معلـم صبيان مع أبيه، يعلم الفتية القرآن و الحديث، و يفقههم في الدين، لكنه لم يكن راضياً بعملـه هذا، على الرغم من تأثيره الكبير عليه، فقد اشتهر بتعظيمه للقرآن.

كانت الطائف تلك الأيام بين ولاية عبد الله بن الزبير، و بين ولايـة الأمـويين، لكـن أصحاب عبد الله بن الزبير تجبروا على أهل الطائف، فقرر الحجاج الإنطـلاق إلـى الـشام، حاضرة الخلافة الأموية المتعثرة، التي تركها مروان بن الحكم نهباً بين المتحـاربين. و قـد تختلف الأسباب التي دفعت الحجاج إلى اختيار الشام مكاناً ليبدأ طموحه السياسي منه رغم بعد المسافة بينها و بين الطائف، و قرب مكة إليه، لكن يعتقد أن السبب الأكبر كراهته لولاية عبد الله بن الزبير.

و في الشام، التحق بـ شرطة الإمارة التي كانت تعاني من مشاكل جمة، منهـا سـوء التنظيم، و استخفاف أفراد الشرطة بالنظام، و قلة المجندين. فأبدى حماسـة و انـضباطاً، و سارع إلى تنبيه أولياء الأمر لكل خطأ أو خلل، و أخذ نفسه بالشدة، فقربه روح بن زنباع قائد الشرطة إليه، و رفع مكانته، و رقاه فوق أصحابه، فأخذهم بالشدة، و عـاقبهم لأدنـى خلـل، فضبطهم، و سير أمورهم بالطاعة المطلقة لأولياء الأمر.

لمس فيه روح بن زنباع العزيمة و القوة الماضية، فقدمه إلى الخليفة عبد الملـك بـن مروان، و كان داهية مقداماً، جمع الدولة الأموية و حماها من السقوط، فأسسها مـن جديـد. إذ أن الشرطة كانت في حالة سيئة، و قد استهون جند الإمارة عملهم فتهاونوا، فـأهم أمـرهم عبد الملك بن مروان، و عندها أشار عليه روح بن زنباع بتعيين الحجاج عليهم، فلما عينـه، أسرف في عقوبة المخالفين، و ضبط أمور الشرطة، فما عاد منهم تراخ، و لا لهو. إلا جماعة روح بن زنباع، فجاء الحجاج يوماً على رؤوسهم و هم يأكلون، فنهاهم عن ذلك في عملهـم، لكنهم لم ينتهوا، و دعوه معهم إلى طعامهم، فأمر بهم، فحبسوا، و أحرقت سـرادقهم. فـشكاه روح بن زنباع إلى الخليفة، فدعا الحجاج و سأله عما حمله على فعله هذا، فقال إنما أنت من

فعل يا أمير المؤمنين، فأنا يدك و سوطك، و أشار عليه بتعويض روح بن زنباع دون كـسر أمره.

و كان عبد الملك بن مروان قد قرر تسيير الجيوش لمحاربة الخارجين علـى الدولـة، فضم الحجاج إلى الجيش الذي قاده بنفسه لحرب مصعب بن الزبير.

و لم يكن أهل الشام يخرجون في الجيوش، فطلب الحجاج من الخليفة أن يسلطه عليهم، ففعل. فأعلن الحجاج أن أيما رجل قدر على حمل السلاح و لم يخرج معه، أمهله ثلاثـاً، ثـم قتله، و أحرق داره، و انتهب ماله، ثم طاف بالبيوت باحثاً عن المتخلفين.

و بدأ الحجاج بقتل أحد المعترضين عليه، فأطاع الجميع، و خرجوا معـه، بـالجبر لا الإختيار.

## حرب مكة.

في ٧٣هـ قرر عبد الملك بن مروان التخلص من عدوه و منافسه عبد الله بن الزبيـر إلى الأبد، فجهز جيشاً ضخماً لمنازلة ابن الزبير في مكة، و أمر عليه الحجاج بـن يوسـف، فخرج بجيشه إلى الطائف، و انتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش، فتوالت الجيوش إليـه حتى تقوى تماماً، فسار إلى مكة و حاصر ابن الزبير فيها، و نصب المنجنيقات على جبل أبي قبيس و على قعيقعان و نواحي مكة كلها، و دامت الحرب أشهراً، فتفرق على ابـن الزبيـر أصحابه، و وقعت فيهم الهزيمة. أعلن الحجاج الأمان لمن سلم من أصحاب ابـن الزبيـر، و أمنه هو نفسه، غير أن عبد الله بن الزبير لم يقبل أمان الحجاج، و قاتل رغم تفرق أصـحابه عنه طمعاً في أمان الحجاج فقتل.

و كان لابن الزبير اثنتان و سبعون سنة، و ولايته تنوف عن ثماني سنين، و للحجـاج اثنتان و ثلاثون سنة.

## ولاية الحجاج على الحجاز.

بعد أن انتصر الحجاج في حربه على ابن الزبير، أقره عبد الملك بن مروان على ولاية مكة، و على ولاية الحجاز كله، فكرهه أهل مكة.

و كان الحجاج و أهل مكة و المدينة على خلاف كبير، و قيل أن عبد الله بن عمر توفي في عام ٧٤هـ، و قبل ذلك أمر أن يدفنوه ليلاً، و لا يعلموا الحجاج لئلا يصلي عليه.

و في ٧٥ هـ حج عبد الملك بن مروان، و خطب على منبر النبي، فعزل الحجاج عن الحجاز لكثرة الشكايات فيه، و أقره على العراق.

## أوج الحجاج. ولاية العراق.

دامت ولاية الحجاج على العراق عشرين عاماً، و فيها مات.

و كانت العراق عراقين، البصرة و الكوفة، فنزل الحجاج بالكوفة، و كان قد أرسل من أمر الناس بالاجتماع في المسجد، ثم دخل المسجد ملثماً بعمامة حمراء، و اعتلى المنبر فجلس و اصبعه على فمه ناظراً إلى المجتمعين في المسجد فلما ضجوا من سكوته خلع عمامته فجأة و قال خطبته المشهورة التي بدأها بقول ثمامة بن سحيل.

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا/ متى أضع العمامة تعرفوني ثم قال.

أما و الله فإني لأحمل الشر بثقله و أحذوه بنعله و أجزيه بمثله، أمـا و الله إنـي لأرى رؤوساً قد أينعت و حان قطافها، و إني لصاحبها، و كأنني أرى الدم بين العمائم و اللحى.

إلى آخر خطبته التي بين فيها سياسته الشديدة، و بين فيها شخصيته، كمـا ألقـى بهـا الرعب في قلوب أهل العراق.

و من العراق حكم الحجاج الجزيرة العربية، فكانت اليمن و البحرين و الحجاز، و أيضاً خراسان من المشرق تتبعه، فقاتل الخوارج، و الثائرين على الدولة الأموية في معارك كثيرة، و كانت له الغلبة عليهم في كل الحروب.

و أمعن في الظلم و التجبر، فصادر كل الحريات، بما فيها حرية الكلام عـن طريـق استخباراته، و حبس الناس، و أمعن في تشريدهم و قتلهم، و منع الأعراب من الهجـرة إلـى المدن، و بنى واسط، فجعلها عاصمته.

## حروب الخوارج.

في عام ٧٦هـ وجه الحجاج زائدة بن قدامة الثقفي لقتال شبيب الشيباني، فكانت الغلبـة لشبيب. و في السنة التي تليها بعث الحجاج لحرب شبيب. عتاب بن ورقاء الرياحي، الحارث بن معاوية الثقفي، أبو الورد البصري، طهمان مولى عثمان. فاقتتلوا مع شـبيب فـي سـواد الكوفة، فقتلوا جميعاً، و عندها قرر الحجاج الخروج بنفسه، فاقتتل مع شبيب أشـد القتـال، و تكاثروا على شبيب فانهزم و قتلت زوجته غزالة، فهرب شبيب إلى الأهواز، و تقوى فيهـا، غير أن فرسه تعثر به في الماء و عليه الدروع الثقيلة فغرق. و قضى الحجاج على من بقـي من أصحابه.

و في ٧٩ أو ٨٠ هـ قُتل قطري بن الفجاءة رأس الخوارج، و أُتي الحجاج برأسه، بعد حرب طويلة.

## ثورة الأشعث.

في ٨٠هـ ولى الحجاج عبد الرحمن بن محمد الأشعث على سجستان، فلما استقر بهـا خلع الحجاج، و خرج عليه، و كان ذلك ابتداء حرب طويلة بينهما. و في ٨١هـ ـ قـام مـع الأشعث أهل البصرة، و قاتلوا الحجاج يوم عيد الأضحى، و انهزم الحجاج، فقيل كانت أربـع و ثمانون وقعة في مائة يوم، ثلاث و ثمانون على الحجاج و الباقية له.

و في ٨٢هـ استعرت الحرب بين الحجاج و ابن الأشعث، و بلغ جيش ابـن الأشـعث مبلغاً كبيراً من القوة و الكثرة، ثم جاءت سنة ٨٣هـ و فيها وقعة دير الجماجم بين الحجاج و ابن الأشعث. و كانت من أكثر الوقائع هولاً في تاريخ الحجاج، و فيها كان له النـصر علـى الثوار من أصحاب ابن الأشعث.و قُتل خلق كثير فيها، و غنم الحجاج شيئاً كثيراً.

و فيها ظفر الحجاج بكل أصحاب ابن الأشعث، بين قتيل و أسير، إلا ابن الأشعث، فقد هرب، لكن أصحاب الحجاج ظفروا به في سجستان فقتلوه، و طيـف برأسـه فـي البلـدان. و بعد وقعة دير الجماجم، كان هناك من حاولوا الدس للحجاج عند عبد الملك بن مروان، لكن الحجاج احتج على عبد الملك بحسن بلاغته.

## ولاية الوليد.

مات عبد الملك بن مروان في ٨٦هـ، و تولى ابنه الوليد بعده، فأقر الحجاج على كـل ما أقره عليه أبوه، و قربه منه أكثر، فاعتمد عليه، و كان الوليد ميالاً إلى الـبطش بالنـاس و سفك الدماء، فوافقت سياسته سياسة الحجاج، و كان ذلك على كره من أخيـه و ولـي عهـده سليمان بن عبد الملك، و ابن عمه عمر بن عبد العزيز.

و في ولاية الوليد هدد سليمان بن عبد الملك الحجاج إذا ما تولى الحكم بعد أخيه، فـرد عليه الحجاج مستخفاً مما زاد في كره سليمان له، و لمظالمه.

و إذ ذاك كان قتيبة بن مسلم يواصل فتوحه في المشرق، فظفر بأهل طالقان و قتل منهم مقتلة لم يسمع بمثلها من قبل، و كان الحجاج من سيره إلى تلك البلاد.

## موت الحجاج.

مات الحجاج ليلة السابع و العشرين من رمضان عام ٩٥هـ فـي الروايـات المجمـع عليها، و كان موت الحجاج بسرطان المعدة، و قبلها مرض مرضاً شديداً، حتى كـان يـشعر بالبرد و لو قربوه من النار حتى تكاد تحرق بعض ثيابه، و قيل أن الدود أكل بطنـه، فـأمر الوليد بن عبد الملك أن يدعى للحجاج بالشفاء على المنابر في كل الدولة.

ترك الحجاج وصيته، و فيها قال أنه لا يعرف سوى طاعة الله و الوليد عليها يحيـا، و عليها يموت.<br> و تمثل عند احتضاره بهذين البيتين.

يا رب قد حلف الأعداء و اجتهدوا/ أيمانهم أنني من ساكني النار أيحلفون على عميـاء ويحهم/ ما ظنهم بعظيم العفو غفار و دفن في قبر غير معروف المحلة في واسط، فتفجع عليه الوليد، و جاء إليه الناس من كل الأمصار يعزونه في موته، و كان يقول. كان أبي يقـول أن الحجاج جلدة ما بين عينيه، أما أنا فأقول أنه جلدة وجهي كله.

## ميراث الحجاج.

بنى الحجاج واسط، و سير الفتوح لفتح المشرق، أمر بتنقيط المصحف، خطط الدولة، و حفظ أركانها قامعاً كل الفتن.

غير أن الحجاج خلف أيضاً ميراثاً من الظلم و سفك الدماء لم يسبق له مثيل.

كما خلف في قلوب الناس، حتى الأمويين، كرهاً له و حقداً عليه لأفعاله، و منها حرب ابن الزبير و قتله إياه في مكة، و ما فعله في وقعة دير الجماجم.

و حقد عليه الخوارج لعظيم فعله بهم، و الشيعة لعدم احترامه آل البيت، و قـالوا فيـه الكثير حتى لبسوا سيرته بالخوارق، والأمور المغلوطة، و أمعنوا في تقبيحه، و النيـل منـه، حتى لقد صوروه شيطاناً.

أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك عامله على الطائف بقتل آل أبي عقيل، و هم عـشيرة الحجاج الأقربون، ظلماً، لأنهم من آله.

ثم أمر عمر بن عبد العزيز بنفي من بقي منهم و تشريدهم جزاء لأفعـال الحجـاج، و انتقاماً منه بعد موته.

و لم ينس الحجاج و أفعاله بسهولة، فقيل أن رجلاً حلف بالطلاق أن الحجاج في النـار، فلما أتى امرأته امتنعت عنه، فسأل الحسن البصري أن يفتيه في أمره فقال له. إذا لـم يكـن الحجاج من أهل النار، فما يضيرك أن تكون مع امرأتك على زنى.

كذلك أمر سليمان بن عبد الملك بذم الحجاج و سبه على المنابر، فذمه كـل الـولاة إلا خالد بن عبد الله القسري، فأرسل إليه سليمان يأمره بذلك، فتكلم على المنبر و قال. إن إبلـيس كان من الملائكة ففسق، و كذلك الحجاج.

و بقي ميراث الحجاج حياً إلى الآن، فلا يزال موضع حرب و تطاحن بين المختلفين، و لا تزال الأخبار المختلقة تخالط سيرته، و لا زال يلعن، و يسب.

و يراه الباحثون في التاريخ السياسي نموذجاً للطاغية الظالم سـفاك الـدماء، و يـرى المؤرخون في هذا أنه كان يتشبه بـ زياد بن أبيه في حزمه، فأبار و أهلك.

## مذهبه في الحكم.

كان الحجاج يرى بتكفير الخارج على السلطان، و طرده من الملة، و في ذلك قال لـ ـ قطري بن الفجاءة في رسالة أرسلها له.

"فإنك قد مرقت من الدين مروق السهم من الرمية" و قيل بعد موته أن رجـلاً رفـض الصلاة خلف إمامه، و قال ما أصلي خلف خارجي، فقال له أحد أئمة البصرة. إنما تـصلي لله ليس له، و إنما كنا نصلي خلف الحروري الأزرقي.

قال. و من ذاك؟

قال. الحجاج بن يوسف، فإنك إن خالفته سماك كافراً و أخرجك من الملة، فذاك مذهب الحرورية الأزارقة. و بالغ الحجاج في شأن الطاعة، و قمـع همـم النـاس، و نفوسـهم، و غاياتهم، فوافق الأمويين في أعمالهم، و أذهب بين الناس أن الخلافة اصطفاء مـن الله، فـلا يجوز الخروج على السلطان، و أما من خرج فقد حل دمه، و سمي كافراً.

و شاع مذهب الحجاج في تكفير الخارج على السلطان بعده شيوعاً كبيراً، و كـان قـد ابتدأ قبله، لكنه ثبته. و ثبت فكرة الإصطفاء، و الحق الإلهي، و بالغ في تعظيم السلطان.

## الحجاج و أهل العراق و الشام.

العلاقة بين الحجاج و أهل العراق هي من أكثر العلاقات تعقيداً و طرافة، و من أكثرها ترويعاً في التاريخ الإسلامي، فالحجاج ولي على العراق كارهاً لأهلها، و هم له كـارهون، و استمرت العلاقة بينهم كزواج كاثوليكي بالإجبار، لا يجوز فيه الطلاق، و لا أمل للفكاك منـه إلا بموت أحد الزوجين.

و كان الحجاج دائم السب لأهل العراق في خطبه، فكثيرة خطبه التي يذكر فيهـا أهـل العراق بشكل سيئ، و التي يرى فيها العراقيون إساءة إلى اليوم.

فدائماً كان يذكرهم.

"يا أهل العراق، يا أهل الشقاق و النفاق...." إلى آخر خطبه، و التي يمعن فيها في ذكر صفاتهم.

"فإنكم قد اضجعتم في مراقد الضلالة..."، و غير ذلك من الخطب الكثيرة فيهم، كراهـة منه لهم، و كراهة منه لهم.

و من ذلك أنه لما أراد الحج استخلف ابنه محمد عليهم، و خطب فيهم أنه أوصى ولـده بهم بغير وصية الرسول في الأنصار، أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم، فقد أوصاه ألا يقبل من محسنهم، و لا يتجاوز عن مسيئهم، و قال لهم. أعلم أنكم تقولون مقالة لا يمـنعكم من إظهارها إلا خوفكم لي، لا أحسن الله لك الصحابة، و أرد علـيكم. لا أحـسن الله علـيكم الخلافة.

و أنهم شمتوا به يوم فُجع بولده محمد، و أخيه محمد في نفس اليـوم، فخطـب فـيهم متوعداً إياهم.

و من ذلك أنه مرض فشاع بين الناس موته، فخرج أهل العراق محتفلين بموته، غيـر أنه قام من مرضه ليخطب فيهم خطبة قال فيها. "و هل أرجو الخير كلـه إلا بعـد المـوت" أما أهل الشام فكانوا أكثر الناس محبة للحجاج، و أكثرهم نصرة له، و بكاء عليه بعد مماته، و قيل أنهم كانوا يقفون على قبره فيقولون رحم الله أبا محمد.

و كان الحجاج محباً له، دائم الإشادة بخصالهم، و الرفع من مكـانتهم، و كـان كثيـر الاستنصار بهم، و معظم جيشه كان منهم، و كان رفيقاً بهم.

## وصف تاريخي.

كان الحجاج بن يوسف بليغاً فصيحاً، محباً للشعر كثير الاستشهاد بـه، تقيـاً، معظمـاً للقرآن و آياته، كريماً، شجاعاً، و له مقحمات عظام و أخبار مهولة.

كان أخفش العينين، أضفعت بصره كثرة النظر في الدفاتر، كان يتزيا بـزي الـشطار، فيرجل شعره و يخضب أطرافه.

و كان يصعد على المنبر فيتكلم بكلام الملائكة، و ينزل فيفعل فعل الشياطين.

## الحجاج في الذاكرة.

كان للحجاج الكثير من المواقف، و الحكايات الشهيرة، و الأقوال الفصيحة، و الرسائل، و الخطب، و التوقيعات، و له مجموعة أشعار متفرقة.

فقصص الحجاج و أخباره كثيرة جداً، و موجودة في كتب التاريخ، ما يدل على عظـم نفوذه، و لا زالت أقواله باقية إلى اليوم، و مذهبه في الحكم باق إلى اليوم.

و قيلت فيه الكثير من الأبيات بعد موته، و التي تذمه، كما قيل في حياته.

كما دخل الحجاج في القصص الشعبي، و المخيلة الشعبية، فظهر جشعاً طماعاً خـاطف نساء في حكايات ألف ليلة و ليلة، كما صورته المخيلة الشعبية أعور، أعرج، أغن الصوت.

و من ذلك ما قيل في حكاية مولده، فقد قيل أن أمه ولدته مشوهاً لا دبر له فثقب له دبر و أبى أن يقبل ثدي أمه و لا غيرها فيقال أن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة، و كان قد تزوج الفارعة قبل أبي الحجاج، و كان حكيم العرب فقال لهـم. ألعقـوه دم جـدي يومين، و اليوم الثالث ألعقوه دم تيس أسود، ثم دم ثعبان سالخ أسود، و أطلو وجهه، و أخبرهم أنه يقبل الثدي في اليوم الرابع.

كما ظهر في الكتب الحديثة كشخصية أدبية و من ذلك ديوان الكتاب لـ أدونـيس، و رواية ملوك لسماء الأحلام و الأماني لـ هند هيثم.

و ظهر في العديد من المسلسلات التلفزيونية منها المسلسل المصري عمـر بـن عبـد العزيز، و أخيراً أُخرج عنه مسلسل عربي اسمه الحجاج نجح نجاحاً كبيراً، و أثـار ضـجة كبيرة أحيت الخلافات بشأن شخصية الحجاج.

اختلف المؤرخون القدماء والمحدثون في شخصية الحجاج بن يوسف بـين مـدح وذم، وتأييد لسياسته ومعارضة لها، ولكن الحكم عليه دون دراسة عصره المشحون بالفتن والقلاقل ولجوء خصوم الدولة إلى السيف في التعبير عن معارضتهم لسياسته أمر محفوف بـالمزالق، ويؤدي إلى نتيجة غير موضوعية بعيدة عن الأمانة والنزاهة.

ولا يختلف أحد في أنه اتبع أسلوبا حازما مبالغا فيه، وأسرف في قتل الخارجين علـى الدولة، وهو الأمر الذي أدانه عليه أكثر المؤرخين، ولكن هذه السياسة هـي التـي أدت إلـى استقرار الأمن في مناطق الفتن والقلاقل التي عجز الولاة من قبله عن التعامل معها.

ويقف ابن كثير في مقدمة المؤرخين القدماء الذين حاولوا إنصاف الحجاج؛ فيقـول. "إن أعظم ما نُقِم على الحجاج وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله، وقـد كـان حريصا على الجهاد وفتح البلاد، وكانت فيه سماحة إعطاء المال لأهل القرآن؛ فكان يعطـي على القرآن كثيرا، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ٣٠٠ درهم".

وقد وضعت دراسات تاريخية حديثه عن الحجاج، وبعضها كـان أطروحـات علميـة حاولت إنصاف الحجاج وتقديم صورته الحقيقية التي طمس معالمها وملامحها ركام الروايات التاريخية الكثيرة.. وتوفي الحجاج بمدينة واسط في (٢١ من رمضان ٩٥هـ = ٩ من يونيو ٧١٤م).

## ٦٩٦ م (٧٣ هـ). عبد الملك بن مروان يضرب اول عملة اسلامية.

### شخصيته.

كانوا يقولون عنه. يلد الناس أبناء، وولد مروان أبا تربى في المدينة المنورة فقد كـان أبوه مروان بن الحكم واليا عليها في عهد معاوية بن أبي سفيان، فدرس "عبد الملـك" العلـوم الإسلامية على شيوخها وتفوق في دراسته حتى أصبح أحد فقهاء المدينة الأربعة. وهو فـوق ذلك شاعر وأديب وخطيب. وقد وصف بأنه ثابت الجأش عند الشدائد، يقود جيشه بنفسه.

### إنجازاته.

قضى على الفتن التي كانت تعم العالم الإسلامي عندما تولى الخلافة. يقول عنـه ابـن خلدون. هو من أعظم خلفاء الإسلام والعرب، وكان يقتدي في تنظيم الدولة بـأمير المـؤمنين عمر بن الخطاب. عرب الدواوين فكان ذلك سببا في اتساع نطاق العالم العربي إلى مـا هـو عليه الآن. أعطى الطابع النهائي لنظام البريد المتطور. صك النقود الإسلامية وجعلها العملـة الوحيدة بالعالم الإسلامي لأول مرة. و هو أول من كسا الكعبة بالديباج في عهده ابتكر الحجاج قضية نقط الكلمات القرآنية فأزال الشك الذي لحق بعض الكلمات قبل ابتكار النقط،تمـت فـي عهده إصلاحات زراعية وتجارية كثيرة عادت بالخير الوفير على الأمة الإسلامية. بنى "عبـد الملك" مسجد قبة الصخرة على الصخرة المقدسة التي مستها أقدام النبي عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، وهو غير المسجد الأقصى الذي أعاد بناءه ابنه الوليد، ومسجد قبة الصخرة فريد في نوعه، فقد بني مثمن الأضلاع، وارتفعت فوقه قبة عالية مزخرفة بالفسيفساء بدقة متناهية، وكان من أسباب بنائه على هذا النحو من الفخامة القضاء على إعجاب بعض المسلمين بكنيسة القيامة التي كانت شامخة بهذه المنطقة. اتسع العالم الإسلامي في عهده اتساعا شاسـعا. كـان عبد الملك حسن الصلة بآل البيت، فكان يتودد لعلي بن الحسين ويبره.

### قيل عنه.

وإذا كان القارئ يتعاطف مع عمر بن عبد العزيز ويثق في رأيه فليتذكر أن رأي عمر في "عمه عبد الملك" كان رائعا، فعندما رزق طفلا أسماه، عبد الملك تيمنا به، وعندما مـات "عبد الملك بن مروان" حزن عليه عمر أشد الحزن، ويقال. إنه لبس الحداد عليه سبعين يوما، وكان عمر يرى في عمه عبد الملك صورة صادقة للخليفة المسلم.

قال نافع عنه. لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميرا، ولا أفقه، ولا أنسك، ولا أقرأ لكتاب الله من "عبد الملك بن مروان".

وسئل عبد الله بن عمر، من نسأل بعد رحيلكم فقال. إن لمروان ابنًا فقيها فاسألوه.

وقال الشعبي عنه. ما جالست أحدا إلا وجدت لي عليه الفـضل إلا "عبـد الملـك بـن مروان".

## ٦٩٨ م. مولد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين.

زيـد بـن علـي زيـن العابـدين بـن الحـسين بـن علـي رضـي الله عنهمـا (٨٠ـ١٢٢هـ/٦٩٨ـ٧٤٠م)، قاد ثورة شيعية في العراق ضد الأمويين أيام هشام بن عبـد الملك، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضـطر لمقابلـة جـيش الأمويين وما معه سوى ٥٠٠ فارس حيث أصيب بسهم في جبهتـه أدى إلـى وفاتـه عـام ١٢٢هـ.

- تنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولاً وعن حق أهل البيـت في الإمامة ثانياً، فقد كان تقيا ورعاً عالماً فاضلاً مخلصاً شـجاعاً وسـيماً مهيباً ملما بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية.
- اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلـوم، فتـأثر بـه وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التتلمذ، وهناك من يؤكد وقوع الاتصال دون التأثر.
- ينسب إليه كتاب المجموع في الحديث، و كتاب المجموع في الفقه، وهمـا كتاب واحد اسمه المجموع الكبير، رواهما عنه تلميذه أبو خالد عمرو بـن خالد الواسطي الهاشمي الذي مات في الربع الثالـث مـن القـرن الثـاني للهجرة.

· أما ابنه يحيى بن زيد فقد خاض المعارك مع والده، لكنه تمكـن مـن الفـرار إلـى خراسان حيث لاحقته سيوف الأمويين فقتل هناك سنة ١٢٥هـ.

· فُوض الأمر بعد يحيى إلى محمد وإبراهيم.

## ٧٠١ م. مولد جميل بثينة.

جميل بثَينَة 82 - ?هـ 701 - ? / م جميل بن عبد الله بن معمر العذري القـضاعي، أبـو عمرو.

شاعر من عشاق العرب، افتتن ببثينة من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما .

شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر.

كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطـراف الـشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقـام قليلاً ومات فيه.

- ٧٠٢ م. مولد الإمام "جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علـي بـن أبـي طالـب"، المعروف بـ "جعفر الصادق"، من كبار التابعين، أحد الأئمة المجتهدين، اشتهر بـالتبحر في الفقه مع معرفة واسعة بعلم الكيمياء
- ٧٠٢ م. وقوع معركة "دير الجماجم" بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الـرحمن بـن الأشعث الذي خرج على الخلافة الأموية، وأعلن الحرب عليها، واستمرت المعركة مائـة يوم حتى انتهت بانتصار عظيم للحجاج وقضاء على الفتنة، وإعادة الاسـتقرار للخلافـة الأموية.

## ٧٠٤ م. وفاة خالد بن معاوية.

خالد بن معاوية بن ابي سفيان. موسوعي ومترجم وكيميائي قديم واديب وامير سوري. توفي ٧٠٤م. حرم مع اسرته الخلافة التي انتقلت الى بني مروان فشغل نفسه بالعلوم والآداب. وقد حيكت حوله اساطير كثيرة، منها انه قد اشتغل بنفسه بعلوم الصنعة، أي الفلك والكيميـاء والطب محاولا تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب لتعويض ما فقدته اسرته من الخلافة. وقـد لقب ابن يزيد بالكيميائي الأول، ووصفه ابن خلكان بأنه كان اعلم قريش بفنون العلـم، وقـال عنه الجاحظ انه كان من اوائل المترجمين الذين اشاعوا كتب العلوم عند العرب. وقد كلف ابن يزيد المترجمين بترجمة كتب اغريقية و قبطية كثيرة الى العربية ومنها كتاب (الاورغـانون) لارسطو.

## ٧٠٥ م. قتيبة بن مسلم يفتح التركستان واوزبكستان وبخارى وسمرقند وفرغانة وخوارزم الخ.

يمكن تقسيم بلاد ماوراء النهر إلى خمسة أقاليم. الـصغد وفيـه بخـارى وسـمرقند، وخوارزم ويختلف عن إقليم خراسان الذي يقع جنوبه، والصغانيان وبذخشان والختّـل وفيـه مدينة ترمذ، وفرغانة، والشاش.

وبلاد ماوراء النهر جزء من تركستان الغربية التي تضم في الوقت الحاضر. جمهورية أوزبكستان وطاجكستان، وقد سكنها الترك، وكان لهـم فيها إمبراطورية عظيمة قبل الميلاد، وقد سكن المنطقة أيضاً الإيرانيون أيضاً ويبدو أنهم اغتصبوا تلك الأصقاع من الترك، وكانت عقائد أهل المنطقة الزرادشتية وهي ديانة الإيرانيين والبوذية القادمة من الشرق.

وكان لملوكهم ألقاب منها. خاقان. وهو لقب من ألقاب السيادة التي تطلق على أبـاطرة المغول والترك العظام ومعناه ملك الملوك. وأما الخان فهو الحاكم الإقليمي لبعض الولايـات التي كانت تتكون منها الإمبراطورية المغولية في تركستان. أما طرخان فكـان يطلـق علـى الأشراف من الرجال الذين يمنحهم الخاقان امتيازات خاصة تشمل الإعفاء من الضرائب مـع الحق في أخذ نصيب من غنائم المعركة، ومنها الدخول إلى أرض الخاقان بدون استئذان.

وطرخون صيغة أخرى من طرخان وله امتيازات الإعفاء من الضرائب والامتيـازات الأخرى، فهما لفظان بمعنى واحد.

وكان ملوك بلاد ماوراء النهر مستقلين استقلالاً ذاتياً ولكنهم كانوا جميعاً يدينون بالولاء للخاقان عملياً أو نظرياً، ولكن الحرب كانت تجمعهم ليصبحوا صـفاً واحـداً علـى عـدوهم المشترك في الدفاع عن مصالحهم المشتركة.

وأما عن قصة الفتح الإسلامي لها زمن قتيبة فقد وصل قتيبة بن مـسلم البـاهلي سـنة ٨٦هـ خراسان والياً، فخطب الناس وحثهم على الجهـاد، وانطلـق قتيبـة، فلمـا كـان ب (الطالقان) تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائها وساروا معه، فلما قطع نهر جيحـون - النهـر الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية - تلقاه ملك (الصغانيان) بهدايا ومفتـاح مـن ذهب ودعاه إلى بلاده فمضى معه وسلمه بلاده، ثم سار إلى ملك (أخرون وشومان) فـصالحه ملكها على فدية أداها إليه.

وفي سنة ٨٧هـ قدم نيزك طرخان فصالح قتيبة عن أهل (باذغيس)على أن لا يدخلها، وأطلق الأسرى المسلمين الذي كانوا في يديه وبعثهم إلى قتيبة ثم قدم إليه نيزك بنفسه.

ثم سار قتيبة من (مرو) إلى (آمل) ثم مضى إلى (زم)، ثم اجتاز نهر جيحون وسار إلى (بيكند)، من بلاد (بخارى) فاستنصروا (الصغد) على قتيبة فأتوهم في جمع كثيـر، وتأهـب المسلمون للقتال ثم تزاحفوا والتقوا، واعتصم من بالمدينة بالمدينـة، فركـز سـلاح الفعلـة (المهندسين (على سورها لهدمه فسألوا الصلح فصالحهم، وأمر عليهم رجلاً من بنـي قتيبـة، وارتحل عنهم فلما سار مرحلة أو مرحلتين [ المرحلة = ٩٠ كم تقريباً ] نقضوا عهودهم فقتلوا العامل وأصحابه ومثلوا به، وبلغه الخبر فرجع إليهم، وقد تحصنوا فحاصرهم وقاتلهم شـهراً، واستطاع خرق التحصينات، فطلبوا الصـلح فأبى وقاتلهم ؛ لأن النصر قد تحقق فظفر بهـم عنوة فقتل من كان فيها من المقاتلة، وعمر أهل (بيكند) مدينتهم ثانية بإذن قتيبة.

ثم قفل يريد مرو فإذا ب (طرخان ملك الصغد)و (كوربغانون ملك الترك) فـي مـائتي ألف يريدون قتاله فهزمهما.

وفي سنة ٨٨هـ فتح (نومشكت) و(رامثينة) من بخارى وصالح الأهالي، وفيهـا غـزا ملك الترك (كوربغانون) قتيبة في مائتي ألف مقاتل من أهل الصغد وفرغانة فكـسرهم قتيبـة وغنم منهم كثيراً.

وفي سنة ٩٨هـ سار قتيبة إلى ملك بخارى (وردان خذاه) فلقيه في طريقـه (الصغد) وأهل (كش) فقاتلوه فظفـر بهم، ومضى إلى بخارى ولكنه لم يحقق نصراً حاسماً فرجع إلـى مرو.

وفي سنة ٩٠هـ جدد قتيبة الصلح بينه وبين (طرخون ملـك الـصغد) وسـار إلـى (بخارى) ففتحها، وفي السنة نفسها غدر (نيزك طرخان) ونقض الصلح وامتنع بقلعته، وأرسل له قتيبة من استدرجه حتى جاء بنفسه مستسلماً، واستشار الأمراء في قتله فاختلفوا فقال. والله إن لم يبق من عمري إلا ما يسع ثلاث كلمات لأقتلنه، ثم قال. اقتلوه اقتلوه اقتلوه، فقتل.

وفي سنة ٩١هـ فتح مدينة (شومان) بعد الحصار بالمنجنيقات، وفي السنة التي تليهـا فتح مدينتي (كش) و( نسف).

## غزو الصين.

أعلن قتيبة سنة ٩٦ هـ النفير العام، لأنه قرر العبور من فرغانة إلى الصين، ضـمن الخطة التي رسمها الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي خاطب قتيبة وابن القاسم بقولـه. (أيكمـا سبق إلى الصين، فهو عامل عليها وعلى صاحبها)، وكما جاء في البداية والنهاية. (ولو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاد الصين، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها).

أعلن قتيبة التعبئة العامة، وقال. (لا يجوزن أحد [ نهر جيحون عائـداً إلـى مـرو] إلا بجواز)، أي بإذن رسمي خطي يؤهله العودة من ما وراء النهر إلى مرو، ومضى قتيبة وجنده إلى فرغانة، وأرسل إلى شعب عصام سلاح المهندسين (الفَعلَة) ليسهلوا لـه الطريـق إلـى كاشغر، وهي أدنى مدائن الصين.

لقد فتح قتيبة مدينة كاشغر، وعبر بذلك نهر سيحون، النهر الذي يشكل الحد الطبيعـي الفاصل بين الفرس والترك وبين المغول، وعبور قتيبة له كان أول تحد مباشر من المـسلمين للشعوب المغولية.

طلب إمبراطور الصين (يوانغ جونغ) بعد فتح كاشغر وفداً يمثل قتيبة، وكتب إلى قتيبة كتاباً جاء فيه. (ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم، ونـسائله عـن ديـنكم)، فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً من أفناء القبائل، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس، بعدما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه، فكلمهم قتيبة وفاطنهم فـرأى عقـولاً وجمالاً، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشي واللين من البيـاض والرقيق والنعال والعطر، وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم، ودواب يركبونها.

وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوهاً بسيط اللسان فقال قتيبة. يا هبيرة كيـف أنـت صانع ؟ قال. أصلح الله الأمير، قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله وآخذ به، قال. سيروا علـى بركة الله وبالله التوفيق، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد، فإذا دخلتم عليه فـأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم.

سار الوفد، وعليهم هبيرة بن المشمرج، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الـصين يـدعوهم، فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل – الثياب الذي يلبس تحت الدروع – ثم مسوا الغالية – نوع من الطيب –، وتدخنوا ولبسوا النعال والأردية، ودخلوا عليه، وعنـده عظماء أهل مملكته، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا، فقال الملـك لمـن حضره. كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا. رأينا قوماً ما هم إلا نساء، ما بقي منا أحـد حـين رآهـم ووجد رائحتهم إلا اشتهى النساء.

فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليـه، فلمـا دخلوا عليه قيل لهم. ارجعوا، فقال لأصحابه. كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا. هذه الهيئة أشـبه بهيئة الرجال من تلك الأولى، وهم أولئك.

فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم، فشدوا عليهم سلاحهم، ولبـسوا البـيض والمغـافر، وتقلدوا السيوف، وأخذوا الرماح، وتنكبوا القسي، وركبوا خيولهم، وغدوا، فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين، فقيل لهم

قبل أن يدخلوا. ارجعوا، لما دخل قلوبهم من خوفهم. فانصرفوا فركبوا خيـولهم، واختلجـوا رماحهم، ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها، فقال الملك لأصحابه. كيف ترونهم ؟ قـالوا. مارأينا مثل هؤلاء قط.

فلما أمسى أرسل إليهم الملك، أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم رجلاً، فبعثوا إليه هبيرة، فقال له حين دخل عليه. قد رأيتم عظيم ملكي، وإنه ليس أحد يمنعكم مني، وأنتم في بـلادي، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي، وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم، قال. سل، قال. لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث ؟

قال هبيرة. أما زينا في يومنا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا، وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا، فإذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا، قال الملـك. ما أحسن ما دبرتم دهركم ! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف، فـإني قـد عرفـت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه، قال له هبيرة. كيف يكـون قليـل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون – بلاد الشام - ! وكيف يكون حريصاً من خاف الدنيا قادراً عليها وغزاك ! وأما تخويفك إيانا بالقتـل فـإن لنـا آجـالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه.

فقال ملك الصين. فما الذي يرضي صاحبك ؟ فقال هبيرة. إنه قد حلـف ألا ينـصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويعطى الجزية، فقال ملك الصين. فإنا نخرجه من يمينـه، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزيـة يرضاها، ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم، فساروا فقدموا بما بعث به، فقبل قتيبة الجزيـة، وختـم الغلمة، وردهم، ووطئ التراب.

وبعد فتح كاشغر جاء إلى قتيبة خبر موت الوليد بن عبدالملك أمير المـؤمنين، وتـولي سليمان بن عبدالملك مكانه، فانكسرت همته لذلك، وعاد أدراجه، فقتل في فرغانة.

## فتح سمرقند.

في سنة ٩٣هـ وبعد أن فتح قتيبة بن مسلم الباهلي بخارى وما حولها قال المجشر بـن مزاحم السلمي لقتيبة. إن لي حاجة فأخلني، فأخلاه، فقال. إن أردت الصغد يوماً مـن الـدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام، قال. أشار بهذا عليك أحد ؟ قال. لا، قال. فأعلمته أحداً ؟ قال. لا، قال. والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك، فأقام يومه ذلك، فلما أصبح من الغد دعا أخاه عبد الرحمن بن مسلم الباهلي فقال. سـر فـي

الفرسان والرماة، وقدم الأثقال إلى مرو. فوجهت الأثقال إلى مرو يومه كله، فلما أمسى كتب إليه. إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو، وسر في الفرسان والرماة نحو الصغد، واكتم الأخبار، فإني بالأثر.

عبر عبد الرحمن ومن معه النهر، وسار إلى سمرقند، وعبر قتيبة بالأثر، وعبر ومن معه نهر جيحون، وحوصرت سمرقند.

استنجد (غورك) ملك الصغد بعد خوفه من طول الحصار بملك الشاش وبملك فرغانة، وكتب إليهما. إن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم. فأجمع ملك الشاش وفرغانة على نجدة الصغد، وأرسلا أن شاغلوا قتيبة ومن معه كي نفاجئهم على حين غرة.

انتخب أهل الشاش وفرغانة كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء والأشداء الأبطال وأمروهم أن يسيروا إلى قتيبة ليفاجئوه، ولكن استطلاع قتيبة يقظ فجاءته الأخبار، فانتخب ستمائة من أهل النجدة وجعل عليهم أخاه صالح بن مسلم أميراً، ووضع على العدو عيوناً حتى إذا قربوا منه قدر ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم فكلمهم وحضهم، فخرجوا من العسكر عند المغرب، فساروا، فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم، ففرق صالح خيله، وأكمن كميناً عن يمينه، وكميناً عن يساره، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت، وصالح واقف في خيله، فلما رأوه شدوا عليه، حتى إذا اختلفت الرماح، شد الكمينان عن يمين وعن شمال، فلم نسمع إلا الاعتزاء، فلم نر قوماً كانوا أشد منهم.

لم يفلت من هذه النجدات إلا النفر اليسير، وغنم المسلمون أسلحتهم، وقال بعض الأسرى. تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك، أو بطل من الأبطال المعدودين بمئة فارس، أو بألف فارس.

وقال فارس مسلم من الجند الذين كانوا في كمين صالح. إنا لنختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة، وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة، فقلت. كيف ترى بأبي أنت وأمي ! قال. اسكت دق الله فاك ! قال. فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد، وأقمنا نحوي الأسلاب ونحتز الرؤوس حتى أصبحنا، ثم أقبلنا إلى العسكر، فلم أر جماعة قط جاؤوا بمثل ما جئنا به، ما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه، وأسير في وثاقه.

لقد منع قتيبة بهذا الكمين وصول النجدات إلى ميدان المعركة، مع إشغال النجدات قبل وصولها بكمين ليلي، ريثما يتسنى له سحب قطعاته من حوالي أسوار سمرقند، والقيام بحركة

خاطفة ليلية للقضاء على أرتال النجدات في معركة ليلية، في الوقت الذي يكون الكمـين قـد أوقف تقدمها.

نصب قتيبة المجانيق حول سمرقند، ورمت بتركيز دقيق على سور المدينة، فثلمت فيها ثملة، فرممها المدافعون عنها بسرعة كبيرة، وجاء رجل قام على الثلمة، فشتم قتيبة (بعربيـة فصيحة (، وكان مع قتيبة قوم رماة، يسمون (رماة الحدق) لدقة تصويبهم، فقال لهـم قتيبـة. اختاروا منكم رجلين، فاختاروا، فقال. أيكما يرمي هذا الرجل، فإن أصابه فله عـشرة آلاف، وإن أخطأه قطعت يده، فتلكأ أحدهما وتقدم الآخر، فرماه فلم يخطئ عينه، فـأمر لـه بعـشرة آلاف.

قال خالد مولى مسلم بن عمرو. كنت في رماة قتيبة، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور، فأتيت مقام ذلك الرجل الذي كان فيه، فوجدته ميتاً على الحائط، ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه.

قال غوزك (ملك الصغد) لقتيبة. إنما تقاتلني بإخواني وأهل بيتي، فـاخرج إلـي فـي العرب، فغضب قتيبة عند ذلك، وميز العرب من العجم، وأمر العجم باعتزالهم، وقدم الشجعان من العرب، وأعطاهم جيد السلاح، وزحف بالأبطال على المدينة، ورماها بالمجانيق، فثلم فيها ثلمة، وقال قتيبة. (ألحوا عليها حتى تعبروا الثلمة)، فقاتلوهم حتى صاروا على ثلمة المدينـة، عندها قال غوزك لقتيبة. ارجع عنا يومك هذا ونحن نصالحك غداً، فقال قتيبة. لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثلمة، ومجانيقنا تخطر على رؤوسهم ومدينتهم.

وسمع قسم من المسلمين قتيبة يناجي نفسه. حتى متى يا سمرقند يعشعش فيك الشيطان، أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية.

وفي اليوم التالي، والمسلمون على الثلمة، عاود غوزك يطالب بالصلح، فصالحه قتيبـة على. الجزية، وتحطيم الأصنام وما في بيوت النيران، وإخلاء المدينة مـن المقاتلـة، وبنـاء مسجد في المدينة ووضع منبر فيه.

وتم الصلح، وأخلوا المدينة، وبنوا المسجد، واستلم قتيبة ما صالحهم عليه، وصلى فـي المسجد وخطب فيه، وأتى بالأصنام، وألقيت بعضها فوق بعض. حتـى صـارت كالقـصر العظيم، ثم أمر بتحريقها، فتصارخ الأعاجم وتباكوا، وقالوا. إن فيها أصناماً قديمة، من أحرقها هلك، فقال قتيبة. أنا أحرقها بيدي، وجاء غوزك فنهى عن ذلك، وقال لقتيبة. أيها الأمير، إني لك ناصح، وإن شكرك علي واجب، لا تعرض لهذه الأصنام، فقام قتيبة، ودعا بالنار، وأخـذ شعلة بيده، وقال. أنا أحرقها بيدي، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، وسار إليها وهو يكبـر الله

عز وجل، وألقى فيها النار، فاحترقت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها مـن مـسامير الـذهب والفضة خمسين ألف مثقال.

وصنع غوزك طعاماً، ودعا قتيبة، فأتاه غي عدد من أصحابه، فلما تغدى، استوهب منه المدينة، فقال قتيبة. إني لا أريد منكم أكثر مما صالحتكم عليه، ولكن لا بد من جنـد يقيمـون عندكم من جهتنا، وأن ينتقل عنها غوزك، فانتقل عنها ملكها غوزك، فتلا قتيبة (وأنـه أهلـك عاداً الأولى، وثمود فما أبقى)، ثم ارتحل قتيبة راجعا إلى مرو، مستخلفاً على سـمرقند أخـاه عبد الله بن مسلم، وخلّف عنده عدداً من الجند كبيراً، وآلة من آلة الحرب كثيرة، مع تعليمـات حازمة تتعلق بالداخلين إلى سمرقند، والخارجين منها.

وكان أهل خراسان يقولون. إن قتيبة غدر بأهل سمرقند، فملكها غدراً.

## ٧٠٥ م. تولى الوليد بن عبد الملك امور الخلافة.

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ولد عام ٥٠ هـ في خلافة معاويـة بـن أبي سفيان. بويع بولاية العهد في عهد أبيه وأصبح خليفة للمسلمين عام ٨٦ هـ بعد وفاة أبيه. ترك عبد الملك للوليد دولة مترامية الأطراف هادئـة مـستقرة ممـا سـاعده علـى القيـام بالاصلاحات الكثيرة.

توسعت الدولة الاسلامية في الشرق والشمال والغرب ففتحت بـلاد مـا وراء النهـر (تركستان حاليا) وأصبح المسلمون على أبواب الصين واصبحت بلاد الأندلس تحـت الحكـم العربي، وامتد الاسلام الى جنوب آسيا الصغرى وتطلع المسلمون الى فتح القسطنطينية. وكان الوليد يرسل في كل غزوة لبلاد الروم أحد بنيه مما يدل على اهتمامه بهذه الجبهة.

اهتم الوليد بالاصلاح الداخلي فواصل تعريب الدواوين واهتم بالمرضى والمقعدين فسهر على راحتهم وأكرم حفظة القرآن وقضى عنهم ديونهم. ونالت حركة العمارة والبنيان اهتمـام الوليد فبنى مسجد الصخرة المشرفة وأقام المسجد الأموي في دمشق ووسـع الحـرم المكـي والحرم النبوي.

واهتم باصلاح الطرق وحفر الآبار وزودها بما يلزم من خانات تـساعد علـى راحـة المسافرين وتخفف ما يلاقونه من مشاق ومتاعب.

من قادة الوليد ومساعديه عمر بن عبد العزيز والحجاج بن يوسف الثقفي وموسى بـن نصير وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم. كانت وفاة الوليد عام ٩٦ هـ بعد حكـم دام قرابـة عشر سنوات.

- ٧٠٧ م. بدء الحصار البحري للقسطنطينية بقيادة "مسلمة بن عبد الملك" في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك
- ٧١٠ م. حملة طريف بن مالك الاستطلاعية على الاندلس

**٧١١ م. نزول "طارق بن زياد" على الهضبة المعروفة باسمه "جبل طارق" بعد عبوره البحر المتوسط إلى الأندلس لفتحها بعد أن تم الاتفاق مع "يلويان" حاكم "سبتة". وقد تمكن طارق بن زياد من تحقيق انتصارات عظيمة مكّنت المسلمين من فتح بلاد الأندلس.**

طارق بن زياد الليثي قائد مسلم في جيش الدولة الأموية من قبائل البربر التي تعيش شمال أفريقيا، و قد فتح الأندلس سنة ٧١١م.

يعتبر طارق بن زياد من أشهر القادة العسكريين في التاريخ و يحمل جبل طارق جنوب أسبانيا أسمه حتى يومنا هذا و قد توفي في سنة ٧٢٠م.

ولد طارق بن زياد فى القرن الأول من الهجرة وأسلم على يد موسى بن نصير، وكان من أشد رجاله، فحينما فتح موسى بن نصير طنجة ولى عليها طارقا سنة ٨٩ هـ، وأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ ولما أراد موسى بن نصير غزو الأندلس جهز جيشا من ١٢ ألف مقاتل معظمهم من البربر المغربيون، وأسند قيادة الجيش إلى طارق بن زياد.

**فتحه للأندلس.**

ونزل طارق بجنوده البحر واستولى على الجبل الذى سمي جبل طارق، وفتح حـصن قرطاجنة، وتغلغل فى أرض الأندلس.

قاد طارق بن زياد جيش المسلمين في معركة وادي لكة بينه وبـين القـوط الغـربيين وأغلب الظن أن هذه المعركة فيها قتل رودريك (لذريق) ملك القوط. اتجه بعدها طارق شمالا نحو إشبيلية ففتحها، وكاف بفتح قرطبة، ومالقة، ثم فتح طليطلة عاصـمة الأنـدلس، وتوجـه شمالا فعبر وادى الحجارة، ووادیا أخر سمى فج طارق، وكان بذلك قد تمكن من فتح عدة مدن منها مدينة سالم التى يقال إن طارقا عثر فيها على مائدة سليمان.

وعاد طارق إلى طليطلة سنة ٩٣ هـ، فالتقى بموسى بن نصير وكان قد حـذره مـن التوغل فى الفتوح والمغامرة بمن معه من الجنود فعاقبه بالعزل من القيادة. وأعاد الوليد بـن عبد الملك طارقا إلى القيادة وأصلح ما بينه وبين موسى بن نصير، فعاد طارق إلى غزواتـه، وصعد من طليطلة شرقا إلى منابع نهر التاجة، واحتل طرطوشة، وبلنسية، وشاطبة، ودانيـة. واستدعى الوليد بن عبد الملك طارقًا إلى الشام، فرجع هو وموسى بن نصير سنة (٩٦هـ ـ) بعد أن فتح الله عليه بلاد الأندلس. وتوفى طارق بن زياد نحو عام (١٠٢هـ).

عرف طارق بن زياد بشجاعته وذكائه و عندما وصل اسطول جيشه إلـى شـواطىء جنوب أسبانيا أمر بحرق السفن و قال عبارته الشهيره أيها الناس، أين المفـر؟ البحـر مـن ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر.

## ٧١١ م (٩٢ هـ). معركة وادى لكه.

معركة وادي لكة معركة وقعت في ١٩ يوليو ٧١١ م بين قوات الدولة الأمويـة تحـت إمرة طارق بن زياد وجيش الملك القوطي الغربي رودريغو الذي يعرف في التاريخ العربـي باسم لذريق. انتصر الأمويون انتصارا ساحقا أدى لسقوط دولة القوط الغربيين وبالتالي سقوط معظم أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية تحت سلطة الخلفاء الأمويين.

### التسمية.

تسمى المعركة باسم النهر التي وقعت بالقرب منه وعلى ضفافه وهو نهـر وادي لكـة الذي يسمى بالإسبانية جواديليتي. يطلق بعض المؤرخين على المعركة مسمى معركـة سـهل البرباط أو معركة شذونة. أيضا، تسمى المعركة بالإسبانية بمعركة دي لا جونا دي لا خانـدا والتي تعني معركة بحيرة لا خندا الواقعة بالقرب من ميدان المعركة.

### ما قبل المعركة.

عين موسى بن نصير من قبل الدولة الأموية واليا للمغرب خلفا لحسان بـن النعمـان وواجه في بداية فترة حكمه العديد من الثورات من قبل البربر عمل على قمعها واستعادة مـا استولي عليه من مدن المغرب كطنجة التي حررت واختار موسى طارق بن زياد واليا لها.

بعد أن قضى موسى على الفتن المنتشرة ودانت له جميع أراضيها لم تبق له سوى مدينة سبتة التي كان يحكمها الكونت يوليان التي تقول بعض المصادر أنه كان مواليا لحكام أيبيريـا القوطيين وتيزا الذي يعرف في التاريخ العربي باسم غيطشة وابنه أخيلا الثاني وكان أن قـام لذريق بانقلاب على غيطشة مما أثار حنق يوليان وأراد الانتقـام وبالتـالي اسـتعان بـالقوة الإسلامية المتنامية لدحر لذريق. تذكر بعض المصادر الأخرى أمورا أخرى بأنه كانت ليوليان ابنة أرسلها لبلاط لذريق -كما كان يفعل جميع النبلاء في ذاك العصر- لتخدم عنده فأعجـب بها لذريق وراودها عن نفسها وفض بكارتها مما أثار غضب يوليان وعزم على الأخذ بالثأر.

أخبر يوليان موسى بن نصير برغبته وأنه سيساعده إذا أراد فتح الأندلس خاصـة وأن موسى كان يرنو لذلك ويطمح إليه. استشار موسى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فأجابه قائلا «خضها بالسرايا حتى تختبرها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شـديد الأهـوال». أرسـل موسى سرية للاستطلاع قوامها ١٠٠ فارس و٤٠٠ من المشاة تحت قيادة طريف بـن مالـك الذي قام بالتوغل في الأندلس حتى وصل الجزيرة الخضراء.

بعد الحملة بعام تقريبا انطلقت قوات المسلمين تحت قيادة طارق بن زياد وفـي سـفن الكونت يوليان حاكم طنجة حتى وصلت للمنطقة الصخرية الساحلية التي تعرف اليـوم باسـم جبل طارق. وتقدم طارق وجيشه المقدر بحوالي ٧٠٠٠ شخص من البربر والعرب نحو قادس التي فتحها والجزيرة الخضراء التي قاوم حاكمها سانتشو مقاومة عنيفة الأمـر الـذي ألحـق بعض الخسائر في صفوف المسلمين مما استدعى من موسى بن نصير إرسال ٥٠٠٠ جنـدي لمعونة طارق بن زياد.

في هذه الأثناء كان لذريق يقوم بإخماد ثورة في بمبلونة في شمال البلاد التـي كانـت غارقة في الحروب والنزاعات الأهلية وبمجرد أن سمع بتحركات طارق اتجه مباشرة جنوبـا صوب قرطبة بجيش قوامه ٤٠ ألف مقاتل ليواجه المسلمين عند وادي لكة قرب مدينة قادس.

## المعركة.

انضم لجيش طارق بن زياد الكونت يوليان وبعض كبار الدولة القوطية من أعداء لذريق وعدد من جنودهم. تلاقى الجمعان قرب نهر وادي لكة. دامت المعركة ٨ أيام وقـاوم القـوط مقاومة عنيفة في بادئ الأمر إلا أن انسحاب لوائين (أحدهم بقيادة أخيه الأرشيدوق أوباس) من أصل ٣ ألوية من جيش لذريق أدى لضعضعة الأمور وإرباك الجيش.

يذكر أن لذريق اختفى أثره بعد المعركة، ويجمع أغلب الرواة على أنه مات كما يجمـع أغلب المؤرخين على مقتل كل وجهاء البلاد ما عدا الأستورياسي بيلايو الذي هـرب دون أن يشارك في القتال واتجه شمالا.

## ما بعد المعركة.

كان لقتل كبار ووجهاء الدولة أثر بالغ في تساقط المدن القوطية واحدة تلو الأخرى كما أن سرعة تحرك المسلمين لفتح المدن بعد المعركة لم تؤهل القوط لاختيار حاكم لهم فقد أرسل طارق بن زياد أحد قادة جيشه مغيث الرومي لفتح قرطبة واتجه هو لفتح بقية المدن كمريـدا وغرناطة وملقة وعاصمة القوط طليطلة. يذكر أن يهود الأندلس ساعدوا المـسلمين الفـاتحين لرغبتهم في التخلص من الاضطهاد الذي كانوا يعانون منه في تلك البلاد. قـدم موسـى بـن نصير بنفسه على رأس جيش قوامه ١٨ ألف مقاتل ليكمل فتح البلاد ويعاون جيوش طارق بن زياد ففتحت برشلونة وبلنسية وغيرها. لم تزد مدة فتح الأندلس عن ٥ سنين في الوقت الـذي مكث فيها المسلمون قرابة ٨ قرون.

لم يبق في الأندلس مقاومة تذكر سوى من بيلايو الأستورياسي الـذي أسـس مملكـة أستورياس في الركن الشمالي الشرقي من البلاد ويجعله مؤرخي الغرب قائد حروب الاسترداد وأول من بدأ بها حيث خاض معركة كوفادونجا مع نفر قليل من رجاله وانتصر فيها.

## ٧١٢ م. موسى بن نصير يعبر الى الاندلس لالستكمال الفتح مع طارق.

أبوعبد الرحمن موسى بن نصير بن عبد الرحمن زيد اللخمي (٦٤٠-٧١٦ م/١٩ هـ - ٩٧ هـ) نشأ في دمشق وولي غزو البحر لمعاوية بن أبي سفيان، فغزا قبرص، وبنـى بهـا حصونًا، وخدم بني مروان ونبه شأنه، وولى لهم الأعمال، فكان على خراج البصرة فى عهـد الحجاج [١].

لما تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة قام بعزل حسان بن النعمان واستعمل موسى بـن نصير بدلا منه وكان ذلك في عام ٨٩ هـ وكان أن قامت ثورة للبربر في بلاد المغرب طمعا في البلاد بعد مسير حسان عنها فوجه موسى ابنه عبد الله ليخمد تلك الثورات ففتح كل بـلاد المغرب واستسلم آخر خارج عن الدولة وأذعن للمسلمين. قام موسى بن نصير بإخلاء ما تبقى من قواعد للبيزنطيين على شواطئ تونس وكانت جهود موسى هذه في إخماد ثـورة البربـر وطرد البيزنطيين هي المرحلة الأخيرة من مراحل فتح بلاد المغرب العربي. لم يكتف موسى بذلك بل أرسل أساطيله البحرية لغزو جزر الباليار البيزنطية الثلاث مايوركا ومينورقة وإيبيزا وأدخلها تحت حكم الدولة الأموية.

بعد أن عمل موسى على توطيد حكم المسلمين في بلاد المغرب العربي، بدأ يتطلع إلى فتح الأندلس التي كانت تحت حكم القوط الغربيين. قام موسى باستئذان الخليفة الوليد بن عبـد الملك في غزوها فأشار له الوليد ألا يخاطر بالمسلمين وأن يختبرها بالسرايا قبل أن يفتحهـا. بعد أن قام موسى بإرسال السرايا واختبار طبيعة الجزيرة الأيبيرية قام بتجهيز جـيش بقيـادة مولاه البربري المسلم طارق بن زياد، وبمعاونة من يوليان حاكم سبتة دخل المسلمون الأندلس وانتصروا على القوط الغربيين انتصارا حاسما في معركة وادي لكة عام ٧١٢ م/٩٢ هـ.

والأندلس اليوم هي إسبانيا والبرتغال أو ما يسمى بشبه الجزيرة الأيبيرية تبلغ مساحتها نحو ٦٠٠ ألف كيلومتر مربع أي ثلثي مساحة مصر، فتحها المسلمون أيام الدولـة الأمويـة، وتحديدا في منتصف خلافة الوليد بن عبد الملك رحمه الله.

ينسب اسمها لقبائل الفندال التي وصلت تلك الأراضي في البداية قبل أن تخـرج منهـا وتسيطر عليها قبائل القوط المسيحية.

وقال آخرون إن الأندلس (بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال المهملة وضـم الـلام وآخره سين مهملة) هي جزيرة متصلة بالبر الطويل، والبر الطويـل متـصل بالقـسطنطينية العظمى، وإنما قيل للأندلس جزيرة لأن البحر محيط بها من جهاتها إلا الجهة الشمالية وهـي مثلثة الشكل والركن الشرقي منها متصل بجبل. وحكي أن أول من عمرها بعد الطوفان أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه.

## الفتـــح.

كان موسى بن نصير قد فتح شمال إفريقيا إلا مدينة سبتة وهي الآن من المدن المغربية ويفصل بينها وبين الأندلس مضيق جبل طارق الذي يصل عرضه في بعـض المنـاطق ١٣ كيلومترا وفي مناطق أخرى ٣٧ كيلومترا وعلى حدودها ميناءين كبيرين هما مينـاء طنجـة وميناء سبتة، فميناء طنجة فتح بعد أن تولى أمره طارق بن زياد وهو أحد قادة موسـى بـن نصير المهرة.

وضع موسى بن نصير فتح الأندلس نصب عينيه إلا أن عدة عقبات اعترضت مشروعه أهمها.

المسافة الفاصلة بين المغرب والأندلس تبلغ ١٣ كيلومترا على الأقـل والمـسلمون لا يملكون الكثير من السفن لتحمل جيشا تنقله إلى الأندلس.

سيطرة الروم على جزر البليار القريبة جدا من إسبانيا، ولو أن موسى بن نصير فـتح الأندلس وترك هذه الجزر فلن يكون ظهره محميا.

سيطرة الروم على ميناء سبتة بقيادة جوليان الذي احتفظ بعلاقات طيبة مع ملك إسـبانيا الأسبق غَيطَشه والذي حدث عليه انقلاب وتولى الحكم بعده رجل يسمى لوذريق، كما كانـت تسميه العرب أو رودريغو فكان من الصعب أن يتجه موسى بن نصير إلى الأنـدلس حيـث لوذريق ويترك في ظهره جوليان فربما عقد هذا الأخير اتفاقا مع لوذريق على الـرغم مـن وجود خلافات بينهما إلا أن الأمر غير آمن.

## مصاعب في وجه الفتح.

كما اعترضت مصاعب أخرى مشروع موسى بن نصير لفتح الأندلس في البداية منهـا أن.

قوات الفاتحين المسلمين التي جاءت من الشام وبلاد الحجاز واليمن قوات محدودة العدد ومنتشرة على الشمال الإفريقي كله وإذا قام بجمعها فقد تنقلب عليه بعض دول شمال إفريقيـا وقد لا يستطيع هذا العدد المحدود أيضا فتح الأندلس.

جيوش الأندلس كبيرة وضخمة جدا في العدد والعتاد وكان لوذريق رجلا قويا حـصن سيطرته على البلاد بحصون وقلاع كثيرة.

موسى بن نصير والمسلمون لا يعلمون شيئا عن طبيعة الأنـدلس، فهـم لا يعرفـون جغرافية هذا البلد ولم تطأ أقدامهم بلدا جبليا له طبيعة صعبة لم تألفها جيوش الفاتحين العرب.

## موجزر تاريخ الاندلس.

### الإعداد.

ومع ذلك أصر موسى بن نصير على فتح الأندلس فعمد إلى بناء موانئ على سـواحل البحر المتوسط كان أهمها وأشهرها ميناء القيروان، وجعل موسى بن نصير فـي القيـروان حوضا ضخما لبناء السفن.

كما بدأ تعليم البربر الإسلام في مجالس خاصة ثم كون منهم فرقا مقاتلة مـع جيوشـه، معتمدا على عقيدتهم الإسلامية في تحويلهم من أعداء محاربين إلى جنود أشداء في جيوشه.

في هذه الأثناء فتح ابن نصير جزر البليار الواقعة إلى الشرق من الأندلس حتى يحمـى ظهره من ناحية الشرق.

وفي مفاجأة يسرت على جيوش المسلمين فتح الأندلس أرسل جوليان إلى طارق بن زياد والي طنجة والمتوثب لعبور البحر إلى الأندلس رسولا يعرض عليه تسليمه ميناء سبتة الـذي صعب على المسلمين فتحه، ومد جيوش المسلمين بسفن تعينهم على عبور البحر إلى شواطئ الأندلس، وتزويدهم بالمعلومات الجغرافية اللازمة لمعرفة طـرق العبـور والممـرات فـي الأندلس.

ومقابل هذه طلب جوليان لنفسه أخذ ثلاثة آلاف ضيعة كانت لغيطشه ملك القوط السابق الذي قتله لوذريق وصادرها الأخير، وكان جوليان في اتفاقه يسعى للثأر من لوذريق الذي قتل حليف جوليان غيطشه ونجدة أبناء الأخير الذين طلبوا حاكم سبتة بنصرتهم على عدوهم، كما كان جوليان يخشى المسلمين على عرشه وهو يعلم عجزه عن العودة للأندلس بوجود عـدوه لوذريق.

وافق موسى بن نصير بعد استشارة الخليفة الأموي على عرض جوليان غير أنه خشي الغدر فأرسل بعثة استكشاف إلى الأجزاء الجنوبية من البلاد للتعـرف عليهـا والتأكـد مـن المعلومات التي أمدهم بها جوليان.

## العبور إلى الأندلس.

جهز موسى بن نصير سرية من خمسمائة رجل على رأسهم طريف بن مالك أو طريف بن ملُوك حسب اختلاف الروايات وهو من البربر أيضا، عبر طريف مضيق جبل طارق إلى الأندلس في رمضان سنة ٩١ من الهجرة، بعد التعرف على طبيعة المناطق الجنوبية والتأكـد من ملاءمتها لإقامة قاعدة متقدمة للجيوش الإسلامية.

من جهته أمضى موسى بن نصير عاما كاملا يجهز فيه جيوشه التـي سـتعبر البحـر للأندلس وولى على الجيش طارق بن زياد، وكان طارق رجل يجمع بـين الـورع والتقـوى والكفاءة الحربية وهو قادر على التفاهم وقيادة البربر وهم غالبية مقاتلي الجيوش الفاتحة.

بدأ جيش المسلمين العبور إلى الأندلس في شعبان سنة ٩٢ من الهجرة بقيادة طارق بن زياد والذي نزل على جبل سمِي بعد ذلك باسمه وهو يحمل حتى الآن اسم جبل طارق حتـى في اللغة الأسبانية ثم اتجه منه إلى منطقة واسعة تسمى الجزيرة الخضراء وهناك هزم الجيش الجنوبي للقوط، وكان جيشا صغيرا يقوم بدور الحامية.

## معركة برباط.

بلغت أنباء نزول المسلمين أرض الأندلس وهزيمة حاميتها الجنوبية لوذريق في عاصمة ملكه طليطلة الواقعة وسط الأندلس فجهز جيشا يقال إن عدد مقاتليه بلغ مئة ألف رجـل مـن الفرسان وكان غالبية جيش طارق بن زياد من المشاة، اتجه لوذريق بجيشه من الشمال إلـى الجنوب. بينما استنجد طارق بموسى بن نصير طالبا المدد فأرسل له جيشا قوامه خمسة آلاف من المشاة على رأسهم طريف بن مالك الذي اسكتشف الأندلس من قبل.

بعد وصول المدد انشغل طارق بن زياد بالبحث عن ميدان لمعركة أراد لها أن تكـون فاصلة حتى لا يتمزق جيشه في معارك متوالية، وقد وجد ضالته فـي وادي بربـاط أو وادي لكة، وقد اختارها لأن من خلفها جبل وعن يمينها جبل حتى يحمي خلفه ويحمي ميمنته وعـن شمال هذا الوادي بحيرة عظيمة جدا فلا يستطيع أحد أن يلتف من يساره فيباغته ثم وضع على المدخل الجنوبي لهذا الوادي فرقة لحمايته بقيادة طريف بن مالك حتى لا يدخل عليه أحد مـن ظهره فيباغته وتصبح فقط جهة الشمال هي الجهة المفتوحة لمواجهة جيوش لوذريق.

من جانبه وصل لوذريق المنطقة مع جيشه ويقال أنه اصطحب معه بغال عليها حبـال أراد أن يقيد بها جيوش المسلمين بعد أن يهزمهم فيقودهم إلى أرضه.

تقابل الجيشان في ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ واستمرت ثمانية أيام متصلة تخللها يـوم العيد وهو عيد الفطر، ورغم شدة القتال إلا أنه انحسر بعد أن قُتل لوذريق وقيل هرب نحـو الشمال واختفى ذكره وسيطر المسلمون على دولته.

## فتح طليطلة.

اتجه طارق بن زياد من وادي برباط إلى إشبيلية وهي أعظـم مـدن الجنـوب علـى الإطلاق ولما اقترب منها فتحت المدينة أبوابها للمسلمين ورضي أهلها بـدفع الجزيـة علـى الرغم من قوة الحامية في هذه المدينة وحصونها وقلاعها وأسوارها العالية إلا أنها استـسلمت للمسلمين، ثم فتح طليطلة.

بعد فتح طليطلة حضر موسى بن نصير إلى الأندلس وأعاد فتح المدن التى أنتقضت بعد فتحها وقضى علي كل المقاومات في سائر المدن وبعد مرور الشتاء بدأ المسلمون فى صـف الجيش مرة أخرى ففتحوا شمال الشرق ثم الغرب وفرت قوات القوط الغربيين إلـى صـخرة بلاى فلم تتبعهم جيوش المسلمين.

بعد أن استتب له الأمر في البلاد غادر موسى بن نصير الأندلس متوجها للحج، وولـى ابنه عبد العزيز على الأندلس، توفي ابن نصير فى المدينة المنورة ولم يعد للأندلس وبوفاتـه بدأ عصر الولاة الأمويين هناك.

## عصر الولاة.

١. عبد العزيز بن موسى بن نصير استكمل الفتوحات وكان ورعاً تقياً تزوج أرملة لذريق وأسلمت وسميت أم عاصم وأسلم الكثير على يديه كما يقول المؤرخون.
٢. أيوب بن حبيب حكم خمسة أشهر.
٣. الحر بن عبد الرحمن الثقفى حكم سنتين وعدة أشهر.
٤. السمح بن مالك الخولانى ولاه على الأندلس الخليفة عمر بن عبد العزيز فأعاد تنظيم البلاد واستقرت الأندلس أمنياً ومالياً وأنشأ قنطرة قرطبة وأنشأ المـدارس ثم تحرك فى أواخر عهده نحو فرنسا فأخضع جنوبها وما حول بـاريس مـن مدن، لكن لقلة جيشه استطاع الروم والقوط محاصرته وقتله وكل من معه.
٥. عبد الرحمن بن عبدالله الغافقى تولى شهرين فقط، وهو غيـر عبـد الـرحمن الغافقي صاحب بلاط الشهداء.

٦. عنبسة بن سحيم الكلبى أزدادت الأندلس إستقراراً فى عهده وأكمل الجهاد ففتح جنوب فرنسا حتى وصل إلي مدينة سانس وهي تبعد عن باريس ثلاثون كيلـو مترا فقط ولكنه فشل فى مقاومة قوة الروم وقتل هناك.

٧. عذرة بن عبد الرحمن الفهرى.

٨. يحي بن سلمة الكلبى.

٩. حذيفة القيسى.

١٠. عنبسة الخزعمى.

١١. الهيثم بن عدى الكلابى كان يتبع سياسة القمع القوة مع الناس فعزله الخليفـة من منصبه.

١٢. عبد الرحمن الغافقى أكمل مسيرة الجهاد وجهز جيشاً وتحرك نحـو فرنـسا واقترب من باريس مرة أخرى فاجتمعت له قوات أوروبية متعددة ودارت رحى المعركة المشهورة ببلاط الشهداء واستشهد فيها الغافقى وقتل عدد كبيـر مـن المسلمين، بعد أن كانت الغلبة لهم في بداية المعركة.

١٣. عقبة بن حجاج السلولى أعاد الفتوحات فى جنوب فرنسا وكان ينزل للأسرى بنفسه يدعوهم للإسلام وتصدى للقوط داخل الأندلس وواجه الروم فـى فرنـسا واستشهد هناك.

١٤. عبد الملك بن قطن الفهرى.

١٥. البلق بن بشر.

١٦. أبو الخطار حسام بن زرار الكلبى.

١٧. يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

انشغل بمواجهة الثورات ففقد المسلمون فى عهده السيطرة على جنوب فرنسا فـسيطر عليها الروم والقوط وتأسست مملكة مسيحية فى الشمال بقيادة ألفونس سميت مملكة ليون.

## الأمويون في الأندلس.

بعد سقوط الدولة الأموية في الشرق استطاع فتى صغير يدعى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك أن ينجو بنسه من بطش العباسيين، وفر من دمشق تلاحقـه جيـوش العباسيين حتى وصل إلى المغرب.

## صقر قريش.

كان هذا الفتى الصغير صقر قريش أو عبد الرحمن الداخل قال فيه الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور فيما بعد (عبد الرحمن الداخل هو صقر قريش الذى تخاص بكيده مـن سـنن الأسنة عبر القفر وركب البحر حتى دخل بلادا أعجمياً) الأندلس (فمصر الأمصار وجند الأجناد وأقام ملكاً بعد إنقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه).

أوفد الداخل مولاه بدراً إلى الأندلس واتصل بالموالى الأموية وكان عددهم كبيرا ولمـا تمهدت له الأمور بعث له بدر يستدعيه فتوجه نحو إلبيرة وكان يحكم الأندلس حينذاك يوسـف بن عبد الرحمن الفهرى والصميل ولما وجدا أن أمر الداخل بدأ فى الأنتشار أرسلا إليه الهدايا والوفود لإستمالته لكنه ما أعطاهم العهد أنه سيخضع لهم وجمع جيوشه وقرر الهجـوم غلـى قرطبة فاشتبك مع جيوش الفهرى والصميل وانتهت المعركة بإنتصار الداخل وسـيطر علـى باقى الأندلس عام ٧٥٠م وانصرف إلى تشجيع أهل بيته من الأمويين على الوفود إليه ومـن ضمنهم عبد الملك بن عمر المراونى الذى أكرمه الداخل وعينه حاكما على إشبيلية.

## ثورات في وجه الأمويين.

لكن الأمر لم يستتب للداخل بسهولة ويسر فقد نشبت في عهده عدة ثورات من أنـصار الخليفة العباسي وبدعم منه، كان أهمها.

١. ثورة يوسف الفهرى الذى حشد أنصاره فى ماردة وحدث قتال عنيف بينه وبين جيش الدولة بقيادة أمية بن عبد الملك المروانى والذى عندما سـمع بـضخامة جيوش الفهرى فر هارباً فأمر عبد الملك بقتل إبنه عقاباً له على فراره وذهـب وقاد الجيش بنفسه وأنتهت المعركة بهزيمة الفهـرى وإستـشهاد عبـد الملـك المروانى.

٢. ثورة العلاء بن مغيث اليحصبى الذي أُرسل من قبل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور للسيطرة على الأندلس والتف حوله الكثير من الناس ورفع الرايـات السود شارات بني العباس آنذاك. توجه ابن المغيث نحو إشبيلية وسيطر عليهـا وحاصر الداخل فى قرمونة شهرين ثم فوجىء العلاء بفتح الحصون وخـروج سبعمائة رجل أحدثوا مقتلة فى جيش العلاء وقتلوه وقطعوا رأسـه، ويقـال أن الداخل لف رأس العلاء بن المغيث بعلم العباسيين وبعث به للمنـصور، فقـال الأخير "عرضنا هذا البائس لحتفه وما هذا (الداخل) إلا شيطان وما فيـه مـن مطمع والحمد لله الذى جعل بيننا وبينه بحرا".

٣. ثورة شقنا بن عبد الواحد الذى ادعى أنه من نسل فاطمة الزهراء فصدقه البربر وتجمعوا حوله واستولى على قورية و سانتا ماريا فتتبعه الداخل وتغلب عليه وفر شقنا إلى الجبال وقتل على يد أصحابه الذين أتوا برأسه للداخل.

٤. ثورة عبد الرحمن الصقلبى الذى أتى من إفريقيا داعياً للعباسيين عند ساحل تُدميرفسار إليه الداخل وحرق سفنه فهرب الصقلبى لجبال فالنسيا إلى أن إغتاله أحد أصحابه.

## خلافات في البيت الأموي.

١. ولأول مرة يثور الأمويون على الداخل بقيادة سليمان بن يقظان الأعرابى الذى إستعان بشارلمان ملك الفرنجة وقام جيش شارلمان وحاصر سرقسطة ولكن ثورة اندلعت فى فرنسا أضطرت شارلمان للعودة إلى بلاده وفك الحصار.

٢. ثار عليه ابن أخيه المغيرة بن الوليد طمعاً فى الحكم فقتله الداخل وأرسل الأموال إلى أخيه الوليد وطلب منه الرحيل عن الأندلس.

حكم الداخل أربعة وثلاثون عاماً واجه فيها خمسة وعشرون ثورة إستطاع أن يخضعها كلها وانقطعت الأندلس فى عهده عن باقى الخلافة الإسلامية، لكنها كانت أكثر استقرارا، مما أتاح للمسلمين إقامة حضارة فريدة في تلك البلاد مازال العالم أجمع يذكرها بإجلال.

ومما يذكر للداخل من إنجازات أنه

كون جيشاً قوياً وأسس أسطولاً بحرياً

بنى سور ومسجد قرطبة

إستجلب أشجار النخيل والرمان لزراعتها فى الأندلس.

كان ورعاً تقياً يخطب فى المساجد ومات فى ١٧٢ هجرية والأندلس هادئة مستقرة.

# عصر الأمراء الأمويون

## عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل حكم في الفترة ١٧٢-١٨٠هجرية.

لقب بهشام الرضا وكان من أفضل أمراء الأسرة الأموية حسبما يقول المؤرخون.

لما تولى الإمارة بعهد من أبيه فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله، ينازعانـه الإمـارة، وامتدت ثورتهما إلى عهد ابنه الحكم الأول.

وقد تمكن هشام من صد هجمات ملـوك الفرنجـة واسـتولى علـى بعـض قلاعهـم وحصونهم، وأضاف إلى جامع قرطبة المئذنة، وجدد بناء القنطرة على نهر قرطبة المعـروف باسم (الوادي الكبير)، وكان السمح بن مالك أمير الأندلس قد بناها سنة ١٠٠هجريـة. وفـى عهده دخل مذهب الإمام مالك إلى الأندلس.

## عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن. حكم في الفترة ١٨٠ -٢٠٦ هجرية.

رغم الأزمات التي شهدها عهده إلا أنه تمكن من إخماد ثـورة عميـه فقتـل سـليمان واستسلم عبد الله.

فى عهده سقط شمال الأندلس فى يد الفرنجة بقيادة لويس بن شارلمان وانـصرف عـن الدين والجهاد للهو والمجون فبدأ الفقهاء يثيرون العامة عليه حتى حدث إحتكاك بسيط بين أحد العامة وأحد مماليك الحكم، وبسبب ما وقع ثار الأهالي في الضاحية الجنوبيـة مـن قرطبـة عرفت لاحقا باسم ثورة الربض.

حاصر الناس الحكم وجنوده فى قصره فاستعان الحكم بابن عمـه عبيـد الله البلنـسى وحاجبه عبد الكريم بن مغيث فافتعلا حيلة اخترقا بها الحصارلبيوت أهالي الربض وأشـعلوا فيها النار فدب الزعر فى صفوف أهل الربض وانقلبوا لديارهم لإنقاذ ذويهم ففك الحصار عن الحكم فأمر بالهجوم على الربض.

قتل في ذلك الهجوم من قتل وطرد الحكم بن هشام الباقين من البلاد فهاجر أهل الربض إلى فاس بالمغرب ثم إلى الإسكندرية وأقاموا فيها عشر سنوات ثم طـردوا منهـا فتوجهـوا لجزيرة كريت واستولوا عليها وأسسوا دولة للربضين استمرت مائة عام إلـى أن اسـتعادها البيزنطيون.

لقب الحكم بن هشام بسبب هذه الثورة بالحكم الربضى إلا أنه فى آخر عهده تاب ونـدم على هذه الفعلة واعترف بذنبه وتحلى بالتقوى والورع ومات زاهداً عابداً.

## عهد عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٠٦-٢٣٨ هجرية.

هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل كان من أهل التقوى والثقافة والذوق الإجتماعى ومع أن الفتن لم تنقطع فى عهده إلا أنه استطاع بحسن سياسته أن يخمدها. ومن تلك الفتن فتنة بين اليمينية والمضرية على منطقة تدمير، قمعها الحكم وأمر بهدم تـدمير وأقام مكانها مرسى للسفن، فسميت مرسية، وأخمد عصيان أهل طليطلة الذين تحالفوا مع ملك جليقية، وتابع غزو ممالك الفرنجة.

غزت سواحل الأندلس في عهده وقيل في عهد ولده على اختلاف بين المصادر قبائـل همجية تدعى النورمان أو الفايكونغ وسيطرت على إشبيلية فأرسل لهم عبد الـرحمن جيـشاً بقيادة قائد البحرية الأندلسية خشخاش بن سعيد فهزمهم وأرغمهم على الإرتداد إلى بلادهم.

## فتنة الشهداء القديسين.

فى أواخر عهد الأوسط ظهر بعض المتعصبين من النصارى بقيادة راهب يدعى إليخيو الذى أرسل أحد أنصاره إلى المسلمين فى عيد الفطر فقام وسب الإسلام والرسول فقدمه الناس للقاضى فأمر بإعدامه وأخذ إليخيو بإرسال أنصاره الرجل تلو الآخر يسبون الإسلام والرسول فكان مصيرهم الإعدام جميعاً ثم انتهك النصارى مسجد قرطبة ودنسوه بالأوساخ فأمر الأوسط بإعدام كل من فعل ذلك. أخذ إليخيو يقلب النصارى على الأوسط حتى وصلت أصداء الحركة إلى أوروبا وكادت أن تحدث فتنة طائفية فعقد الأوسط مؤتمراً كنائسياً في قرطبة وفيه أعلـن القساوسة إدانة هذه الحركة وتم حبس المحرضين عليها مقابل أن يلقب من مـاتوا مـن قبـل بالشهداء وأُعدم إليخيو بعدها.

## عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٣٨-٢٧٣هجرية.

بدأت في عهده فترة الضعف والتمزق وظهرت دويلات الطوائـف الأولـى فانقـسمت الأندلس لدول مستقلة صغيرة وظهرت ثورة عمر بن حفصون واستمرت أكثر مـن أربعـين عاماً. وكان ابن حفصون محتالا وقاطع طريق ينتمى لأسرة من أصل قوطى أسلمت بعد الفتح لكنهم أسروا نصرانيتهم واستطاع أن يجمع حوله المولدين وهم الذين تزوج آبائهم من العـرب بعد الفتح وكون جيشاً واحتل منطقة بربشتر وكان الأمير محمد يرسل له القوات لكنها كانـت تهزم.

## عهد المنذر بن محمد بن عبدالرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٧٣-٢٧٥ هجرية.

ورث حكما ممزقاً وأرهقته ثورة عمر بن حفصون، لكن حكمه لم يدم سوى سنتين، فلما توفي خلفه أخوه عبد الله.

## عهد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط حكم في الفترة ٢٧٥-٣٠٠هجرية.

زادت الأندلس في عهده تمزقاً لكنه هزم بن حفصون عند حصن بلاى ففر ابن حفصون للجنوب، وفي عهده ثارت إشبيلية على الحكم الأموي.

# عصر الخلافة الأموية

## عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن (الثالث) بن محمد حكم فـي الفتـرة ٣٠٠ - ٣٥٠ هجرية.

هو حفيد عبد الله بن محمد استلم الحكم وعمره إثنين وعشرون عاما وحكم خمسون عاما ً وكل ما نسمعه عن أمجاد الأندلس إنما ظهر أمره فى عهد الناصر.

## انجازات الناصر.

فقد اهتم بالحركة العمرانية في البلاد وبنى مدينة الزهراء التى مازالت بقاياها موجـودة إلى الآن، بعد أن كانت آية من آيات الفن والجمال. ضاعف مساحة مسجد قرطبة وتطـورت الزراعة في عهده وأنشأ داراً لسك النقود وارتفع شأن القضاة والفقهاء فى عهـده وانتـشرت حركة الترجمة للغة العربية وتقدمت التنظيمات العسكرية و بناء السفن ووفد إليه سفراء ملوك أوروبا وانتشرت اللغة العربية فى أوروبا كما انتشر الترف والغنـاء وظهـرت الموشـحات الأندلسية.

بعد فترة من حكم الناصر أعلن الخلافة وأضحى لا مفر من الصدام المسلح مع الخلافة الفاطمية في الشرق فاستعد الناصر بحرياً وبدأ هو بالهجوم على شمال المغرب وسيطر علـى سبتة فأوقف التهديد الفاطمي.

كما استطاع أن يستعيد بعض ماسيطر عليه عمر بن حفـصون وبـدأ يرتـب أمـوره للسيطرة على باقى أراضى الأندلس وخصوصاً الشمال الذي احتله النصارى.

فى هذه الأثناء مات بن حفصون فاستغل الناصر الموقف واستمال إليه سليمان بن عمر بن حفصون واستولى على باقى ما سيطر عليه بن حفصون فقويت شوكة الناصر وبدأ بعـدة غزوات لإستعادة شماال الأندلس.

## غزوات الناصر.

١. غزوة موبش ٣٠٨ هجرية تحرك الناصر بجيشه نحو مدينة سـالم واحتلها وسيطر على ما حولها من الأراضى التى كان النـصارى يفرون منها وتقدم أكثر حتى وصل لحصن موبش وسيطر عليه.
٢. غزوة بنبلونة قادها الناصر بنفسه فتحرك نحو مملكتى ليون و نبرة فسيطر عليهما ووقع فى يده عدد كبير من الأسرى ثم اقتحم بنبلونة وأضطر ملكها إلى مهادنته.

٣. معركة الخندق عاد النصارى بقيادة روميرو فـى العـدوان علـى الممالك الإسلامية فاستولوا على حصن مجريط وهو مدينة مدريـد الحالية فأصبح يهدد طليطلة فتحرك الناصر إليه بجيش قوامه مائة ألف مقاتل واستطاعوا فتح حصون سمورة وبدأ جـيش النـصارى يتراجع ولكن جيش المسلمين أعجبتهم كثرتهم واهتمـوا بالغنـائم وتهاونوا فى القتال فاستغل النصارى هذا التهاون فهجمـوا علـى جيش المسلمين وأحدثوا فيهم مقتلة وتساقطت جثث المسلمين فـى الخندق الذى حفره النصارى حول مدينة شنت منكش وفرالناصـر ومعه خمسون رجلا إلى قرطبة وتبعه روميرو ولولا أن رجلا من المسلمين ممن تحالفوا مع النصارى ضد الناصر قد أخذتـه نخـوة الإسلام وأقنع روميرو أن الناصر أعد له كميناً فدب الخوف فـى قلوب النصارى فتراجع روميرو.

## عهد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر)المستنصر) حكم في الفترة ٣٥٠ - ٣٦٦ هجرية.

كان شغوفاً بالعلم وأهله وأنشأ مكتبة قرطبة الكبيرة وأقام معامل صناعة الورق وشـجع حركة الترجمة وأشهر العلماء الذين ظهروا فى عهده المؤرخ ابن القوطية والخشنى والزبيدى كما أجرى توسعة لمسجد قرطبة. حارب ملوك قشتالة و ليون و نافار وقهرهم وصد هجماتهم. في عهده أغار النورمان على السواحل الأندلسية للمرة الثانية فصدهم. ازدحم العلمـاء علـى بابه، وغصت بهم مجالسه، وترجمت إلى العربية كتب كانت تهدى إليه من أباطرة الروم، وقد أنشأ مكتبة حوت أربعمائة ألف مجلد، ولم يكن من أهل الأندلس في عهده من لا يعرف القراءة والكتابة.

## الخليفة المؤيد بالله هشام بن المستنصر حكم في الفترة ٣٦٦ – ٣٩٩ هجرية.

بعد وفاة المستنصر تولى ولده هشام الحكم وهو مازال صبياً فانقسم رجال الدولة إلـى قسمين الأول بقيادة الحاجب جعفر المصحفي و محمد بن أبى عامر وهؤلاء يؤيـدون ولايـة هشام، أما القسم الآخر بقياة المغيرة عم هشام فكان يرفض ولايته.

صبي في الحادية عشر من عمره.

ويقول مؤرخون إن الخليفة الحكم بن المستنصر كان مع فضله قد استهواه حـب الولـد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا فلما مات الحكم أخفى جـؤذر وفـائق فتياه ذلك وعزما على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة.

وقال فائق إن الأمر لا يتم إلا بقتل المصحفي فرفض جؤذر، وقال ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا، فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا إلى المصحفي ونعيا إليه الحكم وعرفـاه رأيهما في المغيرة فقال لهما المصحفي وهل أنا إلا تبع لكما وأنتما صاحبا القـصر ومـدبرا الأمر فشرعا في تدبير ما عزما عليه.

وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى إليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر وفائق في المغيرة وقال لهم إن نصرنا ابن مولانا كانت الدولة لنا وإن بدلنا استبدلنا فقـالوا الـرأي رأيك فبادر المصحفي بإرسال محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند إلى دار المغيرة لقتلـه فوافاه ولا خبر عنده فنعى إليه الحكم أخاه فجزع واسترجع، وابلغه ابي ابـي عـامر كـذلك بتنصيب ابنه هشام في الخلافة، فقال المغيرة أنا سامع مطيع فكتب ابـن أبـي عـامر إلـى المصحفي بحاله وما هو عليه من الاستجابة، مقترحا الإبقاء على الرجل لكن المصحفي أصر على التخلص منه وأمر ابن أبي عامر بذلك وإلا وجه غيره ليقتله فقتل ابن أبي عامر المغيرة خنقا فلما قتل استوثق الأمر لهشام بن الحكم وسمى بالمؤيد بالله.

## مجلس الوصاية.

ولأن هشام كان مازال صبياً فقد قرر من حوله وعلى رأسهم أمه صبح إقامـة مجلـس للوصاية بقيادة وزير الدولة جعفر المصحفى وصاحب مدينة فارس شـيخ المـوالي وفـارس الأندلس آنذاك غالب الناصري ومحمد بن ابى عامر.

## ظهور ابن أبي عامر.

لما تولى هشام الحكم طمع نصارى الشمال فى ضعفه وخرجـوا علـى أهـل الثغـور فوصلوا إلى باب قرطبة، ولم يجد الناس عند المصحفي حلا لما ألم بالناس، وكان جل ما فعله أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولـم تقـع حيلته، التي رأى فيها العامة عجزا مع وفور الجيوش وجموع الأموال، أما ابن أبـي عـامر فأنف من هذه الدنية وأشار على جعفر بأن الجيوش إنما وجدت للجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على راي ابن ابي عامر إلا من شذ منهم.

اختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزو واستصحب مائة ألف دينار وسار بـالجيش حتى هزم النصارى في حصن الحافة ودخل الربض وغنم الغنائم بعد أن ردهـم بعـد اثنـين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الأجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه مـن كرمه.

وفى نهاية العام انطلق ابن أبي عامر بجيشه للإنضمام مع جيش غالب الناصـري فـى الشمال وسار نحو مجريط ففتحوا الحصون وحققوا إنتصارات عدة على النصارى فعلا نجـم العامرى أكثر كما أنه إستطاع أن يستصدر أمراً من الخليفة بتعينه رئيساً للجيش والشرطة معاً ماعدا جيش الشمال ثم تزوج إبنة غالب قائد جيش الشمال وأصبح تحالفهما قوى ضد وزيـر الدولة المصحفى.

بعدإخضاعه لحصون شلمنقة وإرهاق النصارى فى الشمال عاد لقرطبة واستصدر أمراً من الخليفة بتعينه حاكم عام على قرطبة وجعل غالب وزيراً مشاركاً للمـصحفى ثـم عـزل المصحفى وسجن بدعوي الفساد في المال العام وانفرد ابن أبي عامر غالب بمجلس الوصـاية ثم عين العامري وزيراً للدولة وتنازل عن قيادة الجيش وعـين عليـه جعفـر بـن حمـدون الأندلسى.

# الدولة العامرية

## الحاجب المنصورمحمد ابن أبي عامر حكم في الفترة من ٣٧٠-٣٩٢هجرية.

واصل المنصور تقربه للفقهاء والعلماء ونزولاً عند رغبتهم أمر بحـرق كـل الكتـب البيزنطية لما فيها من إنحراف دينى وخلقى فحفظ عقائد الناس.

ثم بدأ يقلل من شأن الأمويين فاستعان فى شئون البلاد بالبربر كما أنـه أنـشأ مدينـة الزاهرة بالقرب من مدينة الزهراء فدخلت مرحلة النسيان بعد أن كانت حاضرة الأندلس.

نقل للزاهرة الأموال والأسلحة ودواوين الحكم وأصبحت مركز الحكم وفى نهاية هـذا العام أمر بحبس الخليفة المؤيد بالله هشام فى قصره وأن لا يدخل عليه أحد إلا بإذن ابن أبـي عامر نفسه بحجة حمايته.

وتحول المؤيد بالله إلى مجرد رمز فقد سكت النقود بإسم ابن أبي عامر والخليفـة معـا ودعي للاثنين على المنابر وكانت الدعوة على المنابر ضربا من الاعتراف الشعبي.

## بسط السيطرة على المغرب.

ومما أعلى من خبر المنصور ونشر الاعتراف بسلطته بين الناس قضائه على حركـة الحسن بن قنون فى المغرب ومواجهة جيش الفاطميين وبذلك سيطر علـى المغـرب وعـين الحسن السلمى والياً عليها.

أما في مجلس الوصاية حيث تقاسم المنصور وغالب الناصري النفوذ فقد خاف غالـب الناصري من إزدياد نفوذ المنصور فدبر له مؤامرة لقتله ولكن المنصور نجا منهـا واسـتدار على غالب فقتله وأصبح متفرداً بحكم مجلس الوصاية.

ويقول مؤرخون إن غالب الناصري حضر مع ابن أبي عامر فـي بعـض الغـزوات وصعدا إلى بعض القلاع لينظرا في أمرها فجرت محاورة بين ابن أبي عامر وغالـب فـسبه غالب، وقال له يا كلب أنت الذي أفسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت في الدولة وسل سيفه فضربه لكن بعض من حضروا مواجهة الحليفين السابقين حبس يد الناصري فلم تتم الـضربة وشجه فألقى ابن أبي عامر نفسه من رأس القلعة خوفا من أن يجهز عليه فقضى الله تعالى أنه وجد شيئا في الهواء منعه من الهلاك فاحتمله أصحابه وعالجوه حتى برئ.

أما غالب فلما نجا المنصور من محاولته أدرك أنه هالك فلحق بالنصارى واستعان بهم على غزو الأندلس وقابله ابن أبي عامر بمن معه من جيوش الأندلس فحكمت الأقدار بهـلاك غالب وتم لابن أبي عامر ما جد له وتخلصت دولته من الشوائب.

## غزوات المنصور.

توجه المنصور بعد أن استتب له الأمر في الداخل نحـو ليـون وحاصـرها بجيوشـه واستطاع لأول مرة منذ فتح موسى بن نصير وطارق بن زياد أن يعيد ليون لحكم المـسلمين وأسر ثلاثين ألف من القوطز

ثم حاصر برشلونة وفتحها وهزم الفرنسيين وأرعب النصارى فى الـشمال وأصـبحوا يدفعون الجزية له ثم عزم المنصور على إعادة جليقية وهى آخر معاقل النصارى فى الشمال لحكم المسلمين وكان النصارى في ذلك الوقت يعدون كنيسة شانت ياقب (سان دياجو) بمنزلة الكعبة عند المسلمين فجهز جيشاً برياً وآخر بحرياً واستطاع بحنكته وبراعته الحربية الوصول إلى سانت ياقب فى شهرين فقط ولم يكن النصارى يتوقعون ذلك فهربوا منها فدخلها المنصور وهى فارغة من أهلها وغنم منها مغانم هائلة.

وصل المنصور فى عزه إلى درجة أنه فى إحدى الغزوات حمل النصارى أموالهم لـه إلى قرطبة وكانوا يزيحون له قتلاهم من الطريق ليمر هو وجيشه.

ظل المنصور على جهاده حتى بلغ الستين من عمره وفى آخر غزواته أصابه المرض وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكـان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به، وهجر الأطباء في تلك العلة لاخـتلافهم فيهـا وأيقن بالموت.

واشتغل ذهنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملـك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصايته وكلما أراد ولده أن ينصرف رده وعبد الملك يبكـي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن علـى العسكر وخرج عبد الملك إلى قرطبة ومعه القاضي أبو ذكوان فدخلها أول شوال ليعلن وفـاة الحاجب المنصور.

صنع المنصور ابن أبي عامر مجداً لم يصنعه أحد في الأندلس وخاض خمسين معركة لم يهزم فيها مرة.

كان يجمع غبارملابسه بعد المعارك وقد أمر بدفنها معه لتشهد على جهاده فى سبيل الله يوم القيامة ولما توفى نقش على قبره.

آثاره تنبيك عن أخباره

حتى كأنك بالعيون تراه

تالله لا يأتى الزمان بمثله أبداً ولا يحمى الثغور سواه

## الحاجب المظفر عبد الملك بن محمد العامري حكـم فـي الفتـرة ٣٩٢ -٣٩٩ هجرية.

تولى بعد وفاة أبيه المنصور أمور الحجابة وواصل سياسة أبيه الجهاديـة وقـام بعـدة غزوات تأديبية للممالك الأوروبية أرغم فيها ملوك أوروبا على تجديد الولاء له وحكـم سـبع سنوات فقط تولى بعدها أخيه الحكم.

## الحاجب المأمون عبد الرحمن بن محمد العامرى (شنجول) تولى الحكـم ثلاثـة أشهر.

قيل إن اسمهه سنجول بالسين أو سانشو لأن أمه كانت ابنة سانشو ملك نفارا.

كان شاباً طائشاً مغروراً أفسد ما صنعه أبوه من مجد فأرغم الخليفة هـشام أن يجعلـه ولى عهده مما أثار بنى أمية عليه فاستغل محمد بن هشام حفيد عبد الرحمن الناصر خـروج شنجول لإحدى الغزوات واستولى على الحكم وعزل الخليفة هشام ولقب نفسه بمحمد المهدى.

أما شنجول فقتل على يدأحد أعدائه ولم يكن قد بقى فى الحكم سوى ثلاثة أشهر وبموته انتهت الدولة العامرية فكان سبباً فى ضياع ملك الآباء وبداية إنحـدار دولـة الإسـلام فـى الأندلس.

## مسجد قرطبة عبر العصور

ليس لهذا المسجد ميزة دينية زائدة على أمثاله من سائر بيوت الله.. إلا أنه لقـي مـن اهتمام أمراء الأندلس وخلفائها ما لم يلقه غيره من مساجد الدنيا.. اللهم إلا الحرمين الشريفين من مساجد الدنيا.

كما كتب عنه المؤرخون، ونعته الوصافون بما لم يكتب وينعت به مسجداً آخـر فـي الدنيا، إلى الحد الذي كدنا لانصدق ماقيل، أو أن نعتبره مبالغة واضحة، لولا أن هذا المـسجد لايزال ماثلاً للعيان شاهداً على صدق ماقيل عنه..

إنه المسجد الجامع في قرطبة، قمة من قمم الفن المعماري العالمي على مر العـصور، وأروع الآثار الإسلامية الباقية على الإطلاق.

## مسيرة طويلة... قبل الكمال.

ولقد استغرق بناء مسجد قرطبة حتى وصل إلى أوج كماله أكثر من قـرنين ونـصف القرن من الزمان، فقد بدىء في إنشائه على صورته الحالية أيام عبدالرحمن

الداخل سنة /١٧٠/ هـ واستغرقت المرحلة الأولى منه سبع سنين، بينما تمت المرحلة السادسة والأخيرة من بنائه أيام المنصور عام ٣٧٧ هـ أي بعد مئتي عام.

فإذا علمنا أنه كان مسجداً قائما من قبل منذ أيام فتح الأندلس عام ٩٢هـ، وأنه لم يفـت أميراً في قرطبة توسيعه والزيادة فيه إلى أيام المنصور، كان ماقلناه عن عمر بنائـه حقيقـة لاخيالا.

## أسباب وجيهة وراء الاهتمام البالغ.

وكان مبعث اهتمام أهل الأندلس بجامع قرطبة وتعظيمهم له أن ثلة من خيار التـابعين من رواد الفتح الأول للأندلس، وعلى رأسهم حنش الصنعائي التابعي الجليل،

هم الذين اختطوا المسجد، ووقفوا على تحديد قبلته باتجاه الكعبـة المـشرفة، بعـد أن شاطروا النصارى نصف كنيستهم التي كانت في موقعه، والتي كات تسمى (شَنْت بنْجنت) أي القديس منصور، فأخذوا نصفها وأبقوا لهم نصفها الآخر، وكان المسجد في تلك المرحلة فـي منتهى البساطة.

ولما كثر المسلمون في قرطبة، ونزل فيها أمراء العرب من جند الشام ضاق بهم مسجد قرطبة، وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة، ليؤمنوا للناس مكاناً مظللاً للـصلاة فيـه إلا أن مجموع تلك السقائف قد ضايق المصلين، وشوه المنظر، لتلاصقها وقصر أبوابهـا وتطـامن سقفها، حتى مايمكن أكثر المصلين من القيام على اعتدالٍ لتقارب سقفها من الأرض.

## الخطوات الأولى في الصرح المشيد.

وبقي الأمر هكذا طيلة ثمانين عاماً، إلى أن كانت إمارة عبـد الـرحمن بـن معاويـة المرواني المسمى بالداخل، بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق، فاشترى مـن النـصارى النصف الآخر من كنيستهم، وهدم البناء القديم للمسجد، ورفع مكانه بناء جديداً، وصرف همته

ليكون هذا المسجد الجديد الجامع في حاضرة ملكه (قرطبة)...تحفة فريدة من حيث بهاؤه ودقة زخارفه ورواء منظره.

فأرسل في طلب الأعمدة اللازمة له من قرطاجنة وايطاليا، كما طلب الرخام الموشـى من أريوله واشبيلية في الأندلس ومن مدينة قسطنطينية، حتى اجتمع له الرخام الأبـيض مـع المرمر الشفاف الوردي أو الأخضر، حتى بلغ ما أنفقه ثمانين ألف دينار ذهبية، غير مادفعـه للنصارى ثمن كنيستهم وهو مئة ألف دينار.

## مساحات وأبعاد البناء الأول.

وكان بيت الصلاة في مسجد قرطبة في بنائه الأول هذا يبلـغ ٧٥ متـراً طـولاً و٦٥ عرضاً، يضاف إليه صحن فسيح تعدل مساحته مساحة بيت الصلاة تقريباً.

وكان بيت الصلاة مكونا من ١٢ رواقاً موازيا لجدار المحراب وتسع أروقـة عموديـة على جدار القبلة وكان الرواق الأوسط أوسع من بقية الأروقة...

وقد عهد عبد الرحمن الداخل إلى عبد الله صعصة بن سلام ـ صاحب الـصلاة فـي المسجد ـ بفرش صحن المسجد الجامع بالأشجار، حتى جاء بناء هذه المرحلة مـن المـسجد رائعاً جميلاً، نتيجة تعدد ألوان الأعمدة والعقود، من جهة وارتفاع السقف فوق الأعمـدة مـع مانقش على الخشب الملبس على السقف من أيات قرآنية ورسوم زاهة بألوان بديعـة... وقـد استغرقت المرحة الأولى من جامع قرطبة ثلاث سنين.

## تتابع الجهود بعد المرحلة الأولى.

وفي سنة١٧٢ هـ توفي عبد الرحمن الداخل فخلفه ولده هـشام، فـزاد فـي المـسجد صومعة (منارة) بلغ ارتفاعها أربعين ذراعاً إلى وقوف المؤذن للأذان.

كما بنى بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء وأمر ببناء الميضأة بشرقي الجامع..

ثم لما كانت خلافة عبد الرحمن الأوسط ـ رابع خلفاء بني أمية الأندلسيين ـ زاد فيـه زيادتين. الأولى بسيطة، والثانية عام ٢٣٤هـ عندما ضاق بالناس المسجد، وأخل كثير مـنهم بشهود الجمعة، فأمر بتوسعته من جهة القبلة بزيادة بهوين مسقوفين إلى ابهاء المسجد التـسعة الأولى، وصير سعة كل بهو من هذين المزيدين تسعة أذرع ونصف.

وفتح في هذين البهوين بابين بسور المشرق والمغرب للمسجد فكملت أبـواب الجـامع السبع.

وصارت مقاييسه بعد ذلك ١٣٠متراً طولاً و٧٥ متراً عرضاً بما في ذلك الصحن، كما صارت سواريه المضافة فقط ثمانين وصنع للمسجد محراباً جميلاً.

كما ابتنى في مؤخر صحن المسجد سقيفة شمالية لها ثلاث وعشرون سارية ليوسع بها مصلى النساء...

وقد قام ولده محمد بن عبد الرحمن من بعده باستكمال هذه التوسعة وزخرفة المسجد، وأضاف إليها المقصورة إلى يمين المحراب، والقنطرة العليا (الممر الخاص) فوق الشارع الرئيسي بين القصر والجامع، ليسلكها إلى المسجد دون مرور في الشارع.

## المنارة البديعة.

وفي سنة ٣٤٠هـ بنى عبد الرحمن الناصر المئذنة الحالية محل المئذنة القديمة التي بناها من قبل هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكانت هذه المنارة منذ القديم ولاتزال - من بدائع المنارات وغرائبها، ويقال لها. المنار الأعظم بقرطبة.

وقد حفر أساسها فبلغ به الماء، ثم ارتفع في البناء على هيئة برج ضخم يرتفع حوالي خمسة وثلاثين متراً في الهواء، وعرض كل جانت من جوانبه ٥ر٨ متراً، وعدد أدراجها مئة وسبع أدراج، وأعجب مافيها أن نظام بنائها يقوم على أساس كتلتين من الحجارة، يتلف حول كل كتلة درج مستقل، لايرى من يرتقيه الآخرين على الدرج الثاني فيها، ولكل درج باب مستقل، فهي من الخارج منارة، ومن الداخل منارتان، يجمع بين درجيها بيت المؤذن في أعلى المنارة، فكان المؤذن يدخل من باب الطريق، فيرقى المنارة ويؤذن، ثم ينزل من الدرج المفضي إلى داخل المسجد.

وفي أعلا المنارة سفود ركبت فيه ثلاثة تفاحات أو شمسات. ثنتان من ذهب خالص، والثالثة من فضة اكسير، فإذا سطعت الشمس عكست التفاحات الثلاث أشعتها بقوة تُغشي النواظر، وتخطف ببريقها الأبصار.

كما أمر الناصر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة، وقاية للناس من حر الشمس، وأمر بترميم الجامع والعناية به عناية فائقة، حتى قال المقري نقلا عن ابن بشكوال بلغت النفقة في جامع قرطبة أيام الناصر إلى مائتي ألف دينار، وكان الذي يشرف على هذه الأعمال ابنه وولي عهده الحكم الملقب بالمستنصر، وقاضي الجماعة بقرطبة المنذر ابن سعيد، أما الذي نفذها فهو سعيد بن أيوب صاحب مباني الخليفة.

## جامع قرطبة... أول قرارات المستنصر.

وبعد أن تولى الخلافة الحكم المستنصر عام ٣٥٠هـ رأى مايعانيه المصلون من ضيق مسجد قرطبة ـ على سعته بهم ـ يقول ابن عذارى المراكشي. وافتتح خلافته بـالنظر فـي المسجد الجامع بقرطبة، وهو أول عهد (قرار سلطاني (أنفذه، وقلد ذلك (أمر به) حاجبه وسيف دولته جعفر بن عبد الله الصقلبي، وذلك لأربع خلون من رمضان من سنة ٣٥٠هـ وهو اليوم الثاني من يوم خلافته، وكان قطر قرطبة (محيطها) قد كثر به الناس، فـضاق الجـامع عـن حملهم، ونالهم التعب في ازدحامهم، فسارع المستنصر إلى الزيـادة فيـه، فخـرج لتقـديرها وتفصيل بنيانها، وأحضر لها الأشياخ والمهندسين، فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد إلى آخر الفضاء ماداً بالطول لاثني عشر عقدا، وكانت كل هذه الزيادة من الشمال إلى الجنوب خمـسة وتسعين ذراعا (حوالي ٤٠ متراً) وعرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع سواء.

وقطع من هذا سباط القصر (القنطرة) المتخذ لخروج الخليفة إلى الصلاة إلـى جانـب المنبر بداخل المقصورة، فجاءت هذه الزيادة أحسن مازيد في المسجد قبل، وأشده واتقنـه... وبهذه الزيادة وصل الجامع إلى ضفة النهر.

## محراب قرطبة... لا نظير له.

وقد أضاف المستنصر إلى جامع قرطبة محراباً أجمع كل المؤرخين على أنـه أجمـل مافي مسجد قرطبة الجميل بل أجمعوا أنه أجمل محاريب الدنيا...

يقول المقري. والجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله، فيه من النقـوش والرقـوم مالايقدر أحد على وصفه، وبقبلته صناعات تدهش العقول، وعلى فرجة المحراب سبع قـسي قائمة على عمد، طول كل قوس فوق القامة، قد تحير الروم والمسلمون من حـسن وضـعها، وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان لازورديان وليس لهما قيمة لنفاستها.

ويتابع المقري واصفاً منبر جامع قرطبة فيقول. وبه منبر ليس علـى معمـور الأرض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته، وخشبه ساج وأبنوس وبقم وعمود باقلّي، وقد اسـتغرق صنعه سبع سنين.

وفوق المنبر شيد المستنصر قبة ضخمة جعلت فوق المنبـر، وزخرفـت بالفسيفـساء الجميلة التي قام بها عمار مهرة متخصصون، أرسلهم قيصر القسطنطينية رومـانوس الثـاني كنوع من التودد والتقرب للمستنصر وشعبه، وهي واحدة من ثلاث قباب رائعـة فـي بيـت الصلاة.

قال لسان الدين الخطيب. إن المستنصر زين الجامع بالفسيفساء المجتلبة من قبل ملـك القسطنطينية مع الصناع المحكمين لذلك، محاذياً بفعله مافعله الوليد بن عبـد الملـك بمـسجد دمشق، ففاق خدمه ومماليكه في تعلم ذلك (صنعة وتركيب الفسيفساء) وبرعوا فيه إلى أن كمل ما أراده.

## قنوات ماء... ومقاصير للخدمات العامة.

كما أضاف المستنصر إلى جامع قرطبة القنوات التي مد فيهـا المـاء إلـى الـسقايات والميضآت التي بناها، وقد أوصل الماء إلى المسجد عبر قناة مدها من سفح جبـل العـروس قرب قرطبة، ليجري فيها الماء محفوظاً من كل دنس كما يفعل اليوم في مجاري مغلقة، ويقول فيها الشاعر محمد بن شخيص.

**وقد خرقت بطون الأرض عن نطف  من أعذب الماء نحو البيت تجريها**

وأضاف المستنصر كذلك عدداً من المقاصير، منها. مقـصورة دار الـصدقة غربـي الجامع، وهي أشبه ماتكون بمركز لتوزيع الصدقات، ومقصورة أخرى قبالة الباب الغربي كان الفقراء يتخذونها مسكناً لهم، ومقصورة ثالثة جعلها مكتباً لخطباء وواعظي الجامع وعماله.

وجعل حول الجامع ثلاثة مكاتب لمعلمي أولاد الفقراء، وبالغ في إكرام أولئك المؤذنين، وحبس حوانيت السراجين بقرطبة عليهم ليضمن دوام مرتباتهم.

وقد بلغت مساحة الزيادة المستنصرية ثلث المساحة الاجمالية للجامع، واستمرت قرابـة أربع سنين من عام ٣٥١ ـ ٣٥٥هـ.

## آخر الزيادات في التحفة القرطبية.

وآخر الزيادات في جامع قرطبة العظيم زيادة المنصور ابن أبي عامر، فقد أولى هـذه الرجل جامع قرطبة عناية خاصة فوق ماكان يحظى به من عناية أسلافه، حتى أطلـق عليـه بعض العلماء اسم جامع المنصور، وقد كان يشترك أحياناً بنفسه في أعمال البناء.

وقد تمت هذه الزيادة سنة ٣٧٧هـ، وكانت بطول المسجد كله مـن ناحيـة الـشرق، وتحرى فيها المنصور أن تتفق في الهيئة والروح العام من بقية بنيان المسجد فأعطت المسجد، عمقاً وسعة وجلالا، بعد أن بلغت أروقة المسجد الذاهبة إلى جدار القبلة ١٩ رواقـاً وأصـبح عدد أروقته الموازية لجدار القبلة ٣٥ رواقاً، وأصبحت مقاييس المسجد ١٢٥ × ١٨٠ متـراً أي ٢٢,٥٠٠ متراً مربعا، يشغل بيت الصلاة وحده منها أكثر من نصفها وهذا أضـخم بيـت صلاة بني في الإسلام.

وقد بلغت الأعمدة التي زادها المنصور وحده في جامع قرطبة ٣٤٥ عموداً، أما مـافي جميع المسجد فكان ألفاً ومائتين وثلاثة وتسعين عموداً، من الرخام الجميل..

وأضاف المنصور إلى أعماله تلك تجديد الإنارة في الجامع، حتى بلغت الثريات التـي تسرج داخل البلاطات ـ سوى مامنها على الأبواب ـ مائتان وأربع وعشرون ثريـا، منهـا أربع معلقة في البلاط، أكبرها الثريا الضخمة المعلقة في القبة الكبرى التي فيهـا المـصاحف حيال المقصورة، زعموا أن فيها وحدها ألفاً وأربعة وخمسون سـراجا فقـط.. كمـا وسـع المنصور صحن المسجد بمقدار الثلث.

## نشاط علمي رائد.

ولايفوتنا أبداً أن ننوه بوضوح إلى الدور العلمي والفكري الذي قام به جامع قرطبة في الأندلس في مختلف عصوره، حتى تحول إلى جامعة حقيقية يتحـدث عـن نـشاطها علمـاء المسلمين وغيرهم، ومن هؤلاء المستشرق الهولندي دوزي الذي أطلق على الجامع اسم جامعة قرطبة، وأشاد برعاية المستنصر للعلماء من مختلف الملل والنحل مسلمين وغير مسلمين وبين هذا المستشرق أن اغداقه على العلماء الأسبان ـ يعني المسلمين الأندلسيين ـ والأجانـب ـ يعني النصارى ـ لم يعرف حدا، بل كان يشجع الجميع بمن فيهم الفلاسـفة الـذين طرحـوا آراءهم بكل حرية وجرأة.

وقال أيضا. أما جامعة قرطبة فقد كانت يومئذ أشهر جامعات العالم، وكـان مركزهـا المسجد الجامع، وتدرس في حلقاتها مختلف العلوم، وكان يدرس الحديث أبو بكر بن معاويـة القرشي، ويملي أبو علي القالي دروسه عن العرب قبل الإسلام وعن لغتهم وأمثالهم، وكان ابن القوطية يدرس النحو، وكان الطلبة يفدون بالآلاف.

وكان عدد العاملين في جامع قرطبة والمتصرفين فيه (أي عدد الإداريين والعلميين) من أئمة وخطباء ومقرئين ومؤذنين وسدنة وموقدين وخدم مائة وتسعة وخمسين شخصا.

## الأسبان... يعاقبون جامع قرطبة.

ولايفوتنا ونحن نختم الحديث عن أروع قطعة فنية معمارية تركها المسلمون شاهدة على مدى حضارتهم وتقدمهم، أن نذكر بكل أسى وحسرة أن الأسبان عندما دخلوا قرطبة غـالبين عليها، ألقوا القبض على جامع قرطبة بتهمة التوحيد والعبادة، فحولوا بعض أجزائه بـصورة شاذة، إلى كاتدرائية، كما عاقبوا منارته الرائعة البديعة على تهمة الأذان والتكبير فحولوها إلى برج للنواقيس، كما بالغوا في تتبع نشاطه العلمي الفكري فألغوا كل حلقة علمية، وطاردوا كل

مدرس مختص، وأغلقوا كل كتاب مفتوح فيه.. وتلك لعمري شواهد إثبـات علـى الهمجيـة والحقد.

وما يزال مسجد قرطبة الجميل حبيس آسريه، يذرف الدمع ويفجره في مقلة كل مسلم.. لقد كان بمساحاته وأعمدته، وقبابه ومنارته، وزخارفه ورسوماته، وكل الأعمال المدهشة التي فيه، يستحق من الوصف أكثر مما قاله فيه الكاتبون والمؤرخون، وهذا يدل على أن يد البنـاء المسلم وهي تطوع الحجر الأصم أقدر من لسان الكاتب البليغ وقلمه وهـو ينـسخ حـروف الكلمات وتراكيبها.

## ٧١٣ م. مولد بشار بن برد

بشّار بن برد 167 - 95هـ 783 - 713 / م بشار بن برد العقيلي، أبو معاذ.

أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونـسبته إلـى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق. كان ضريراً.

نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في ديوان. اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة

- ٧١٤ م. وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي، أحد رجالات الدولة الأموية، وواحد من مـشاهير التاريخ الإسلامي، اشتهر بالقوة والعنف في معاملة الخصوم وأعداء الدولة، وفي الوقـت نفسه أسدى للدولة خدمات جليلة، يأتي في مقدمتها. استتاب الأمن، واسـتئناف الفتوحـات الإسلامية، وإنشاء مدينة واسط، ونقط المصحف الشريف٧١٧ م. حصار المسلمين بقيـادة مسلمة بن عبد الملك للقسطنطينية في عهد الدولة الأموية. وقد تم فتح القـسطنطينية بعـد ذلك على يد محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ = ١٤٥٣م.
- ٧١٥ م (٩٦ هـ). وفاة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، الخليفة السادس في سلـسلة خلفاء بني أمية، وقد تميز عصره بالاستقرار، واستكمال الفتوحات الإسلامية في الـشرق والغرب، وازدهار العمران وتوفير الخدمات للناس

## ٧١٥ م. تولى سليمان بن عبد الملك امور الخلافة.

سابع الخلفاء الأمويين وهو احد ابناء الخليفة عبد الملك بن مروان تولى الخلافـة بعـد وفاة اخيه الوليد عام ٩٦ هـ / ٧١٥ م وحتى ٧١٧ م. اشتهر سليمان بفصاحته وحبه للعـدل وميله للغزو والتوسع حيث ارسل البعوث الى بلاد الروم وحـاول جاهـدا الـسيطرة علـى القسطنطينية، فسير جيشا للاستيلاء عليها بقيادة اخيه فسلمه واصدر تعليماته له بعدم العودة الا

بعد فتحها ولكن المدينة استعصت عليه لمناعة حصونها وكثرة المدافعين عنها فمـات دون ان تتحقق رغبته. أسس مدينة الرملة بفلسطين وفتحت في عهده طبرستان و جرجان و الـسقالبة وحصن الحديد. من اعمال سليمان التي تحسب له عزل عمال الحجاج واخراج من كان فـى سجن العراق، كما اتخذ من الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز مستـشارا لـه وعهـد اليـه بالخلافة من بعده. وكعادة جميع خلفاء الدولة الاسلامية في التخاص والتنكيـل بمؤيـدي مـن سبقهم من الخلفاء فقد انتهج سليمان سياسة القسوة في معاملة بعض قادة الفتح الإسلامي وهـم من رجالات دولة الوليد ومنهم موسى بن نصير و قتيبة بن مسلم و محمد بن القاسـم الثقفـي الذي قيد بالحديد وحمل الى العراق فقال متمثلا قول الشاعر.

**اضاعوني وأي فتى اضاعوا**

**ليوم كريهة وسـداد ثغر**

فبكى اهل السند على القائد محمد الذي تم حبسه بمدينة واسط فكانت نهايتـه مأسـاوية. توفى سليمان بن عبد الملك عام ٩٩هـ بعد حكم دام قرابة ثلاث سنوات وكان عمـره قرابـة ٤٥ عاما

## ٧١٦ م. مولد سفيان الثورى.

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في التقوى وعلوم الدين والفقـه. ولـد ونشأ في الكوفة، وكان أبوه فقيهاً من علماء الكوفة، وآية في الحفظ. رفض سـفيان القـضاء ورعاً، فنقم منه الخليفة أبو جعفر المنصور، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ، وعـاش بقيـة عمره في مكة والمدينة مستتراً. ثم انتقل إلى البصرة فمات بها مستخفياً أيام خلافة المهدي. له من الكتب. "الجامِع الكبير" و "الجامِع الصغير"، وكلاهما في الحديث، وكتاب في الفرائض .

- ٧١٧ م (٩٩ هـ). وفاة الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، بعد أن ظل فـي منـصب الخلافة نحو ثلاث سنوات حافظ خلالها على ما كانت عليه الدولـة الأمويـة مـن رقـي وحضارة
- ٧١٧ م. تولى عمر بن عبد العزيز امور الخلافة

**٧٢٠ م (١٠١ هـ). وفاة الخليفة الأموي عمر بن عبـد العزيـز، المعـروف بخامس الخلفاء الراشدين، وهو الخليفة الثامن في سلسلة خلفاء الدولة الأموية، وشهدت الدولة في فترة خلافته أزهى عصورها؛ حيث ساد العدل والمسـاواة، ونَعِم النـاس بالأمـن والرخـاء.**

تابعي جليل من التابعين، لُقِّب بخامس الخلفاء الراشدين لسيره في خلافته سير الخلفـاء الراشدين. تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك. قال عنه محمد بن علي بن الحسين رحمه الله. " أما علمت أن لكل قوم نجيبا، وأن نجيب بني أمية "عمر بن عبد العزيز"، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ".

## مبايعته بالخلافة.

بويع بالخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك وهو لها كاره فأمر فنـودي فـي النـاس بالصلاة، فاجتمع الناس إلى المسجد، فلما اكتملت جموعهم، قام فيهم خطيبا، فحمد الله ثم أثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال. أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني فيه ولا طلب له... ولا مشورة من المسلمين، وإني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم خليفة ترضونه. فصاح الناس صيحة واحدة. قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بـك، قَـل أمرنا باليمن والبركة. فأخذ يحض الناس على التقوى ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة، ثم قال لهم. " أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له على أحـد، أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم " ثم نـزل عـن المنبر.

## ما دار بينه وبين ابنه بعد توليه الخلافة.

اتجه عمرإلى بيته وآوى إلى فراشه، فما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبـل عليـه ابنه عبد الملك وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاما، وقال. ماذا تريـد أن تـصنع يـا أميـر المؤمنين؟ فرد عمر. أي بني أريد أن أغفو قليلا، فلم تبق في جسدي طاقة. قال عبد الملـك. أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر. أي بني إنـي قـد سـهرت البارحة في عمك سليمان، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله. فقال عبد الملك. ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟! فقام عمر وقبّـل ابنه وضمه إليه، ثم قال. الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني الله اكبر.

**عـدله.**

اشتهرت خلافة عمر بن عبد العزيز بأنها الفترة التى عم العدل و الرخائ ارجاء الدولة الاموية حتى ان الرجل كان ليخرج الزكاة من امواله فيبحث عن الفقراء فلا يجد من في حاجة اليها. كان عمر رحمه الله قد جمع جماعة من الفقهاء والعلماء وقال لهم. " إني قـد دعـوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، فما ترون فيها؟ فقالوا. يا أمير المؤمنين. إن ذلـك أمرا كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غصبها "، فلم يرتح عمر إلى قولهم وأخذ بقول جماعة آخرين منهم ابنه عبد الملك الذي قال له. أرى أن تردها إلى أصحابها مـا دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل كنت شريكا للذين أخذوها ظلما. فاستراح عمر لهـذا الرأي وقام يرد المظالم إلى أهلها.

**وفـاته.**

استمرت خلافته فترة قصيرة جدا، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلا في الرعية قائما فيها بأمر الله تعالى.

**٧٢٠ م. تولى الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك بن مـروان مقاليـد الدولـة الأموية، خلفا لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهو يعد الخليفة التاسع في سلسلة خلفاء بني أمية، ولم يستطع يزيد أن يسير بالدولة على ما كانت عليه في عهـد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز من العدل والمساواة.**

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي. أبو خالد. أمه عاتكة بنت يزيد بـن معاوية بن أبي سفيان ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ بعهـد مـن أخيـه سليمان بن عبد الملك كانت أيامه أيام غزوات وحروب، أعظمها حرب الجراح الحكمي مـع الترك وانتصاره عليهم. خرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة فوجه إليه أخاه مسلمة بن عبـد الملك فتغلب عليه وقتله في (العقر) بين واسط وبغداد، قرب بابل. كان من أصحاب المروءات مع إفراط في طلب اللذات، فقد هام حبا بجاريتين، إحداهما تدعى (حبابة) والأخـرى تـسمى (سلامة) وقد تتيم بحب حبابة ومات بعد موتها بأيام يسيرة، ولا يعلم خليفة مات عشقا غيـره. لما تولى الخلافة قال. سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز فأتوه بأربعين شيخا شـهدوا لـه أن الخلفاء لا حساب لهم ولا عذاب. غير أن بعض المؤرخين، ومنهم ابن تغري بردي صـاحب النجوم الزاهرة/ يرفضون قبول هذه الروايات التي وضعت في عصر متأخر عن عـصرهم،

وقد وضع أكثرها محاباة للعباسيين. مات وعمره ٣٤ سنة ومدة حكمه أربع سنوات وبـضعة أشهر.

- ٧٢١ م. السمح بن مالك والى الاندلس يزحف على اكيتانيا ويستولى على اربونه ويستشهد هناك

## ٧٢١ م. مولد جابر بن حيان.

جابر بن حيان شخصية بارزة، ومن أعظم علماء القرون الوسطى. وهو أبـو موسـى جابر بن حيان الأزدي. ويلقب أحياناً بالحراني والصوفي. وعرف عند الأوربيين في القـرون الوسطى باسم Geber. ويقال إنه كان من الصابئة ومن ثم جاء لقبه الحراني. ودخل جابر في الإسلام بعد ذلك وأظهر غيرة عظيمة على دينه الجديد، ويذكر الأب جورج قنواتي أن جـابراً أرسل إلى الجزيرة العربية بعد وفاة والده، وهو صغير حيـث درس القـرآن والرياضـيات، وذهب ابن النديم في "الفهرست" إلى أن الناس اختلفوا في نسبة جابر إلى جهة معينة كالـشيعة والبرامكة والفلاسفة، >بل هناك من أنكر وجوده أصلاً<، لذلك يجب التحفظ بشأن نسبته إلـى الصابئة. وإن كان أصله من خراسان فقد عاش معظم حياته في الكوفة. ولد جابر في طـوس حوالي ١٠٢/٧٢١م، وتوفي حوالي ١٩٩ هـ موافق سنة ٨١٥م على اختلاف بين المؤرخين.

مارس جابر الطب في بداية حياته تحت رعاية الوزير جعفر البرمكـي أيـام الخليفـة العباسي هارون الرشيد. وبعد نكبة البرامكة سجن في الكوفة وظل في السجن حتى وفاته.

## إسهاماته العلمية.

كانت أهم الإسهامات العلمية لجابر في الكيمياء، فهو الذي أدخل البحث التجريبي إلـى الكيمياء، وهو مخترع القلويات المعروفة في مصطلحات الكيمياء الحديثـة باسـمها العربـي Alkali، وماء الفضة. وهو كذلك صاحب الفضل فيما عرفه الأوربيون عن ملح النشادر، وماء الذهب، والبوتاس، وزيت الزاج. كما أنه تناول في كتاباته الفلزات، وأكـسيدها، وأملاحهـا، وأحماض النتريك والكبريتيك، وعمليات التقطير، والترشيح، والتصعيد.

ومن أهم إسهاماته العلمية كذلك، أنه أدخل عنصري التجربة والمعمـل فـي الكيميـاء وأوصى بدقة البحث والاعتماد على التجربة والصبر على القيام بها. فجابر يعـد مـن رواد العلوم التطبيقية. وتتجلى إسهاماته في هذا الميدان في تكرير المعـادن، وتحـضير الفـولاذ، وصبغ الأقمشة ودبغ الجلود، وطلاء القماش المانع لتسرب الماء، واسـتعمال ثـاني أكـسيد المنغنيز في صنع الزجاج.

**وقد قسم جابر المواد حسب خصائصها إلى ثلاثة أنواع مختلفة، وهي.**

١. الكحـوليات، أي تلك المـواد التـي تتـبخر عنـد تسخينها مثل الكافور وكلوريد الألمنيوم ؛
٢. المعادن مثل الذهب، والفضة، والرصاص، والحديد ؛
٣. المركبات، وهي التي يمكن تحويلها إلـى مـساحيق. وخلاصـة القـول، حـسب "سارطون"، إنه لا يمكن معرفة القيمة الحقيقية لما قام به جابر إلا إذا تـم تحقيـق وتحرير جميع مؤلفاته ونشرها.

**مؤلفاته.**

**تعود شهرة جابر بن حيان إلى مؤلفاته العديدة، ومنها.**

ـ"كتاب الرسائل السبعين"، ترجمه إلى اللاتينية جيرار الكريموني سنة ١١٨٧م ؛
ـ"كتاب أصول الكيمياء" ؛
ـ"صندوق الحكمة" ؛
ـ" كتاب الملك" ؛
ـ"كتاب الموازين الصغير" ؛
ـ" كتاب الرحمة" ؛
ـ "كتاب الخواص" ؛
ـ "كتاب السموم ودفع مضارها".

وتضاف إلى هذه الكتب تصانيف أخرى عديدة تتناول، إلى جانب الكيميـاء، شـروحاً لكتب أر سطو وأفلاطون ؛ ورسائل في الفلسفة، والتنجيم، والرياضيات، والطب، والموسيقي. وجاء في "الأعلام" للزركلي أن جابراً >له تصانيف كثيرة تتراوح ما بـين مـائتين واثنـين وثلاثين (٢٣٢) وخمسمائة (٥٠٠) كتاب، لكن ضاع أكثرها. وقد ترجمت بعض كتب جـابر إلى اللغة اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر، كما ترجم بعضها من اللاتينية إلى الإنجليزيـة عام ١٦٧٨م. وظل الأوربيون يعتمدون على كتبه لعدة قرون، وقد كان لها أثـر كبيـر فـي تطوير الكيمياء الحديثة. وفي هذا يقول ماكس مايرهوف. يمكن إرجاع تطور الكيميـاء فـي أوربا إلى جابر ابن حيان بصورة مباشرة. وأكبر دليل على ذلك أن كثيراً من المـصطلحات التي ابتكرها ما زالت مستعملة في مختلف اللغات الأوربية.

إن جابر بن حيان هو الذي وضع الأسس العلمية للكيمياء الحديثة والمعاصـرة، وشـهد بذلك كثير من علماء الغرب.

فقال عنه Berthelot برتيلو. "إن لجابر في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق".

وقال عنه الفيلسوف الإنكليزي (باكون). (إن جابر بن حيان هو أول مـن علـم علـم الكيمياء للعالم، فهو أبو الكيمياء.

ويقول ماكس مايرهوف. يمكن إرجاع تطور الكيمياء في أوربا إلى جابر ابـن حيـان بصورة مباشرة .وأكبر دليل على ذلك أن كثيراً من المصطلحات التـي ابتكرهـا مـا زالـت مستعملة في مختلف اللغات الأوربية.

لقد عمد جابر بن حيـان إلـى التجربـة فـي بحوثـه، وآمـن بهـا إيمانـا عميقـا. وكان يوصي تلاميذه بقوله. "وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب، لأن من لايعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان. فعليك يابني بالتجربة لتصل إلى المعرفة."

## أصل كلمة كيمياء.

يذكر بعض المؤرخين أن العلماء المسلمين الذين اشتغلوا بعلم الكيمياء منذ عهد جابر بن حيان اشتقوا لفظ) الكيمياء) من نفس لغتهم العربية.

وأصل كلمة كيمياء في اللغات الأجنبية هو (الكمـي ـ ـ ـ ـ .) Alchemy وتـدل أداة التعريف (الـ) على الأصل العربي ولاشك. ويقول نفر من المؤرخين أن كلمة (كمي (مـن أسماء مصر القديمة وتعني الأرض السوداء.

وهناك فئة تقول بأن الكلمة أصلها يوناني قديم وعن الأصل نقل جابر وأمثاله من العلماء العرب والمسلمين ومعنى الكلمة اليونانية هو صهر المعادن وصبها. وكانت صناعة المعـادن آنئذ جزءاً لا يتجزأ من عمل علماء الكيمياء والمشتغلين بهذا الفن بصفة عامة.

## علماء المسلمين حرروا علم الكيمياء من الخرافة.

بدأت الكيمياء خرافية تستند على الأساطير البالية، حيث سيطرت فكرة تحويل المعـادن الرخيصة إلى معادن نفيسة. وذلك لأن العلماء في الحضارات ما قبل الحضارة الإسلامية كانوا يعتقدون المعادن المنطرقة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديث والرصاص والقصدير مـن نوع واحد، وأن تباينها نابع من الحرارة والبرودة و الجفاف والرطوبة الكامنـة فيهـا وهـي أعراض متغيرة (نسبة إلى نظرية العناصر الأربعة، النار و الهواء و الماء والتـراب)، لـذا يمكن تحويل هذه المعادن من بعضها البعض بواسطة مادة ثالثة وهي الإكسير.

ومن هذا المنطلق تخيل بعض علماء الحضارات السابقة للحضارة الإسلامية أنه بالإمكان ابتكار إكسير الحياة أو حجر الحكمة الذي يزيل علل الحياة ويطيل العمر.

فعلم الكيمياء مر بحقبة من الزمن سادتها الخرافات و الشعوذة ولكن علماء العرب المسلمين هم الذي حرروها من ذلك الضجيج الفاسد الذي لا يعتمد على علم، بل كان مصدرها الوهم والبلبلة.

وبالفعل تأثر بعض العلماء العرب و المسلمين الأوائل كجابر بن حيان و أبو بكر الرازي بنظرية العناصر الأربعة التي ورثها علماء العرب والمسلمين من اليونان. لكنهما قاما بدراسة علمية دقيقة لها ؛ أدت هذه الدراسة إلى وضع وتطبيق المنهج العلمي التجريبي في حقل العلوم التجريبية.

فمحاولة معرفة مدى صحة نظرية العناصر الأربعة ساعدت علماء العرب والمسلمين في الوقوف على عدد كبير جداً من المواد الكيماوية، وكذلك معرفة بعض التفاعلات الكيماوية، لذا إلى علماء المسلمين يرجع الفضل في تطوير اكتشاف بعض العمليات الكيميائية البسيطة مثل. التقطير- التسامي- الترشيح - التبلور – التكسيد مكتشفات ابن حيان في مجال الكيمياء كانت أهم الإسهامات العلمية لجابر في الكيمياء إدخال البحث التجريبي إلى الكيمياء، وهو مخترع القلويات المعروفة في مصطلحات الكيمياء الحديثة باسمها العربيAlkali ، وماء الفضة .

وهو كذلك صاحب الفضل فيما عرفه الأوربيون عن ملح النشادر، وماء الذهب، والبوتاس، وزيت الزاج (حمض الكبريتيك) كما أنه تناول في كتاباته الفلزات، وأكسيدها، وأملاحها، وأحماض النتريك والكبريتيك، وعمليات التقطير، والترشيح، والتصعيد .

ومن أهم إسهاماته العلمية كذلك، أنه أدخل عنصري التجربة والمعمل في الكيمياء وأوصى بدقة البحث والاعتماد على التجربة والصبر على القيام بها، فجابر يعد من رواد العلوم التطبيقية.

وتتجلى إسهاماته في هذا الميدان في تكرير المعادن، وتحضير الفولاذ، وصبغ الأقمشة ودبغ الجلود، وطلاء القماش المانع لتسرب الماء، واستعمال ثاني أكسيد المنغنيز في صنع الزجاج .

وشرح بالتفصيل كيفية تحضير الزرنيخ، والأنتيمون، وتنقية المعادن وصبغ الأقمشة.

و اكتشف أن الشب يساعد على تثبيت الألوان، كما أنه صنع ورقاً غير قابل للاحتراق، وحضر أيضاً نوعاً من الطلاء يمنع الحديد من الصدأ.

كما أن جابر هو أول من استعمل الموازين الحساسة، والأوزان المتناهية في الدقة في تجاربه العلمية.

واكتشف "الصودا الكاوية" أو القطرون، و هو أول من استحضر ماء الذهب والفضة بخلطهما بحامض الكبريت وحامض النتريك، و أول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحلّ بواسطة الأحماض، وهي الطريقة السائدة إلى يومنا هذا.

وأول من اكتشف حمض النتريك و حمض الهيدروكلوريك، و أدخل تحسينات على طرق التبخير والتصفية والإنصهار والتبلور والتقطير.

## مؤلفاته.

جاء في "الأعلام" للزركلي أن جابراً له تصانيف كثيرة تتراوح ما بين مائتين واثنين وثلاثين وخمسمائة كتاب، لكن ضاع أكثرها. وقد ترجمت بعض كتب جابر إلى اللغة اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر، كما ترجم بعضها من اللاتينية إلى الإنجليزية عام ١٦٧٨م، وفي سنة ١٩٢٨م أعاد هوليارد صياغتها، وقدم لها بمقدمة وافية، وظل الأوربيون يعتمدون على كتبه لعدة قرون.

## من أهم هذه الكتب.

١. كتاب " السموم ودفع مضارها ". كتاب في خمسة فصول تبحث أسماء السموم و أنواعها وتأثيراتها المختلفة على الإنسان والحيوان. والعلامات والعلاج والحذر من السموم وفيه قسم السموم إلى سموم حيوانية ونباتية وحجرية كالزئبق والزرنيخ والزاج. وهذا الكتاب يعتبر همزة وصل بين الطب والكيمياء.
٢. نهاية الاتقان. وهو مؤلف رائد في الكيمياء.
٣. أصول الكيمياء
٤. استقصاءات المعلم
٥. الموازين الصغير
٦. كتاب الرسائل السبعين. ويشمل سبعين مقالة حول أهم تجاربه في
٧. الكيمياء والنتائج التي توصل إليها ويمكن اعتباره خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء عند العرب في عصره.

توفي جابر بن حيان حوالي عام ١٩٩ هـ ـ، الموافـق ٨١٥ م علـى اخـتلاف بـين المؤرخين.

## ٧٢٣ م (١٠٥ هـ). وفاة ابان بن عثمان بن عفان.

يعد اقدم من الف فى السيرة النبوية، جمع له تلميذه عبد الرحمن بن المغيرة كتابـا فـى سيرة الرسول الكريم، واشتهر بمعرفته الواسعة بالتاريخ والحديث.

## ٧٢٤ م. هشام بن عبد الملك يتولى امور الخلافة.

الخليفة الأموي العاشر (من ٧٢٤ - ٧٤٣ م). في عهده بلغت الامبراطورية الاسلامية اقصى اتساعها. حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على مدينة ناربون في فرنسا عام ٧٢٠ م التي حصنها العرب وجعلوا منها مستودعا لمعدات الحرب ومؤن الجيش في غاراتهم التاليـة على فرنسا، ثم بلغت جيوشهم ابواب بواتييه في فرنسا حيث وقعت معركة بلاط الشهداء عـام ٧٣٢ م بين المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي، والافرنج بقيادة شارل مارتل وقد هزم فيهـا المسلمون وقتل قائدهم الغافقي، وأبيد معظم الجيش الاسلامي فكانت نهاية تقدمهم نحو حـتلال المزيد من الأراضي الاوربية. توفي هشام عام ٧٤٣ م.َ

## ٧٢٤ م. مولد ابن المقفع.

ابو عمرو عبد الله بن داذويه. موسوعي ومؤرخ واديـب فارسـي. ولـد فـي جـور بخوزستان (الاهواز) عام ٧٢٤ م، وقتل في البصرة عام ٧٥٩م. نشأ في عائلـة مزدوكيـة، وكان والده عبد الله مترجما واديبا وعاملا لبيت المال في جور، واتهم بالاستيلاء على بعـض مال السلطان، فضرب ضربا شديدا قفعه، فعرف بابن المقفع. وقد عمل ابن المقفع في خدمـة عيسى بن علي، وعلى يديه دخل في الاسلام، ومن بعده في خدمة الخليفة المنـصور، ولكنـه اتهم بتحوير كتابة بعض ما كاف كتابته للخليفة، مما اغضب عليه الخليفة، فأمر واليـه علـى البصرة بقتله، فقتل ولم تتجاوز حياته السادسة والثلاثين. ويشتهر ابن المقفـع بكتابـه (كليلـة ودمنة) الذي نقله من اللغة الفهلوية، وهي لغة الجنس الآري من شـعب ايـران القـديم الـى العربية. وقد اخذ الكتاب اسمه من ثعلبين بهذا الاسم يدور بينهما الحديث في الكتاب. وقد ألف (كليلة ودمنة) بيدبا الفيلسوف الهندي لدبلشيم ملك الهند الذي اعقب غزو الاسكندر، ثم سـمع بالكتاب بعد ثمانية قرون من تأليفه كسرى انوشروان، فبعث طبيبه برزويه الـى الهنـد كـي يترجمه له. وبعد قرنين آخرين، وقع عليه ابن المقفع فترجمه الى العربية مع مقدمة لـه، ثـم ادخل على (كليلة ودمنة) بابين آخرين كتبهما علي بن شاه الفارسي، وقد فقد الاصلان الهندي والفهلوي، ولم يبق من الكتاب الا ترجمته العربية. ويقع (كليلة ودمنة) في ١٥ بابا، كلها مـن

اقاصيص تجري على السنة الحيوان. كذلك ترجم ابن المقفع عن الفارسية (سير ملوك العجم ) . وألف في التاريخ وبالفارسية (ابن نامه)، وبالعربية (الدرة الثمينة فـي طاعـة الملـوك)، و (رسالة الصحابة)، و (الادب الكبير)، و (الادب الصغير). وترجم (المدخل) لفرفوريوس.

- ٧٢٥ م. والى الاندلس عنبسة بن سحيم الكلبى يتوغل فى اقليم برجنديا الفرنسى
- ٧٢٦ م. مقتل عنبسة بن سحيم فى ظروف غامضة
- ٧٢٩ م (١١٠ هـ). وفاة الحسن البصري.

## ٧٢٩ م (١١٠ هـ). وفاة أبي بكر محمد بن سيرين رائد علم تفسير الأحـلام، أحد أئمة ورواة الحديث من التابعين، وهو أحد الفقهاء المعـدودين المعـروفين بالزهد والورع.

اشتهر بتفسير الأحلام وكان في تأويله للرؤى يأمر بتقوى الله ويبشر الناس أن من رأي ربه في المنام دخل الجنة، إنه التابعي الجليل محمد بن سيرين الذي كان مثـالا يحتـذي فـي الورع والزهد والعبادة، مما جعل الناس في زمانه إذا رأوه كبروا، ويقول أحد معاصريه كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وسمتا وخشوعا فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله.

محمد بن سيرين يكنى أبا بكر، وقال ابن عائشة كان سيرين والده من أهـل جرجرايـا وكان يعمل قدور النحاس فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد. وكـان مـولى أنس بن مالك كاتبه أنس، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال هذه مكاتبة سـيرين عندنا هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون على كذا وكذا ألفا وعلى غلامين يعمـلان عليه.

وعن بكار بن محمد قال حدثني أبي أن أم محمد بن سيرين صفية مولاة أبي بكـر بـن أبي قحافة طيبها ثلاث من أزواج رسول الله ودعوته لها وحضر إملاكها ثمانية عشر بـدريا منهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون.

كان بن سيرين من أعلام التابعين، وإماما من أئمة الزهد والورع، قال ابن عون كـان محمد بن سيرين إذا حدث كأنه يتقى شيئا أو يحذر شيئا.

وله كتاب مشهور في ذلك و كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال اتق الله عز وجل في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام.

## ومن عجائب تفسيره للأحلام.

١. عن يوسف الصباغ عن ابن سيرين قال من رأى ربه تعالى في المنام دخل الجنة.

٢. عن خالد بن دينار قال كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال يا أبا بكر رأيـت فـي المنام كأني أشرب من بلبلة لها مثقبان فوجدت أحدهما عذبا والآخر ملحا قال ابـن سيرين اتق الله لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها.

٣. عن أبي قلابة أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأني أبول دما قال تـأتي امرأتـك وهي حائض قال نعم قال اتق الله ولا تعد.

٤. عن أبي جعفر عن ابن سيرين أن رجلا رأى في المنام كأن في حجره صبيا يصيح فقص رؤياه على ابن سيرين فقال اتق الله ولا تضرب العود.

٥. عن حبيب أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال ابن سيرين اللبن فطرة والحية عدو وليست من الفطرة في شيء هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

٦. رأى الحجاج بن يوسف في منامه رؤيا كأن حوراوين أتتاه فأخذ إحـداهما وفاتتـه الأخرى فكتب بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه عبد الملك هنيئا يا أبا محمد فبلغ ذلك ابن سيرين فقال أخطأت هذه فتنتان يدرك إحداهما وتفوته الأخـرى قـال فـأدرك الجماجم وفاتته الأخرى.

٧. رأى ابن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا فأخذ في وصيته قال يمـوت الحـسن البصري وأموت بعده هو أشرف مني.

٨. قال رجل لابن سيرين إني رأيت كأني ألعق عسلا من جام من جوهر فقال اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ثم نسيته.

٩. وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أحرث أرضا لا تنبت قال أنت رجل تعزل عن امرأتك.

١٠. قال رجل لابن سيرين رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي وهو لا ينقـى قـال أنت رجل مصارم لأخيك.

١١. وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أطير بين السماء والأرض قال أنت رجل تكثر المنى.

١٢. جاء رجل إلى ابن سيرين فقال إني رأيت كأني على رأسي تاجا مـن ذهـب فقال له ابن سيرين اتق الله فإن أباك في أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه قال فما راده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتابا مـن أبيـه يذكر فيه ذهاب بصره وأنه في أرض غربة ويأمر بالإتيان إليه.

## ٧٣١ م. تأسيس جامع الزيتونة.

جامع الزيتونة هو ثاني الجوامع التي أقيمت بإفريقية بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان. وينسب أمر تشييده عام ١١٦ هـ إلى عبيد الله بن الحبحاب وإلى هشام بن عبدالملك الأمـوي على إفريقية، كما ينسب إلى حسان بن النعمان فاتح تونس وقرطاجنة فيكون أمر بنائـه لأول مرة سنة ٧٩ هـ، وهذا هو الأرجح حسب أغلب المؤرخين لأنه لا يحتمل أن تكـون مدينـة تونس قد بقيت بدون جامع بين فتحها وبين سنة116 هـ وبناء على هذا فـإن عبيـد الله بـن الحبحاب يكون قد أتم فقط عمارة الجامع وزاد في ضخامته.

## تعددت الروايات... والجامع واحد.

لقد اختلفت الروايات حول تحديد من قام ببناء هذا الجامع الذي بات ذكر تونس مقترنـا به، ومكّن افريقية من سبق تأسيس أول جامعة علمية اسلامية. فالبكري في كتابـه "المـسالك والممالك" وابن خلدون في كتابه " العبر "وكذلك السراج صاحب "الحلل السندسية في تـاريخ البلاد التونسية" وحسن حسني عبد الوهاب في كتابه "خلاصة تاريخ تونس" يـرون أن بـاني الجامع هو عبيد الله ابن الحبحاب سنة (١١٤ هـ أو ١١٦ هـ / ٧٣١ م).

أما المؤرخ التونسي أحمد بن أبي الضياف في كتابه "اتحاف أهل الزمان بأخبار ملـوك تونس وعهد الأمان" فإنه يرى أن بانيه هو حسان بن النعمان سنة (٨٤ هـ). وقد أصاب ابـن أبي دينار في كتابه (المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس) حين غزا تأسيس المسجد إلى حـسان بن النعمان والزيادة في ضخامته إلى عبيد الله بن الحبحاب. ذوهناك من يرى أن حسان بـن النعمان قد بنى مجسدا صغيرا بالقرب من جامع الزيتونة ومن ثم فإن فكرة تأسـيس المـسجد يمكن أنّها كانت لحسان لكن البناء لم يبدأ إلا في عهد عبيد الله.

واختلف المؤرخون أيضا في تحديد سنة بناء الجامع، فمنهم من قال ان ذلك كـان سـنة (١١٤ هـ) إلا أن البعض وبالرجوع الى تاريخ دخول ابن الحبحاب الى افريقية واليا عليهـا (١١٦ ـ ١٢٣ هـ/٧٣٦ ـ ٧٤٢م) رجح أن يكون تاريخ بناء جامع الزيتونة هو سنة (١١٦ هـ) وقد رجح ابن أبي الضياف في كتابه "الاتحاف" هذا الرأي الذي تؤكـده جـلّ المؤلفـات

المشرقية منها كتاب "الكامل" لابن الاثير. لكن الثابت والأكيد أن أمراء الدولة الاغلبيـة فـي القرن الثالث الهجري قد قاموا بتوسيعه وتحسين هندسته وزخرفته ومرافقه .

يقول عنه السراج في كتابه "الحال السندسية" ."جامع الزيتونة مسجد اذا بدا لـك تـبلّج نوره اللامع أيقنت أنه الجامع المفرد والمفرد الجامع... ما سرح ناظر المؤمن فـي أثنائـه الا امتلأ علما من بادرات ثنائه يحاكي بجماله أجمل عروس صيغ لها من معادن الطروس قائـد حلق الدروس، لا عيب فيه غير أنه غدا بين أقرانه بمرتبة الصدر واختص بأن يشرح لوارديه الصدر فما ضاق صدر مهموم ودخله إلاّ انفرج وانفتحت له بلطيف عنايته أبواب الفرج."

من جهته ذكر العالم الطرابلسي محمد بن مصطفى الأزهري إثر زيارته الى تونس وقد أورده ابن دينار في كتابه "المؤنس". "لو سئلت عن ثلاث لأجبت بلا ولو قطع رأسي لو قيل لي هل رأيت أسر من جامع الزيتونة لقلت لا وهل رأيت أصلح من الشيخ ابراهيم اللقاني لقلت لا وهل رأيت أكرم من حمودة باشا المرادي لقلت لا ."

لقد أشع جامع الزيتونة المعمور بنور علمه على مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فكـان عبر الأحقاب التاريخية منارة علم ودين أضاءت على العالم العربي شـرقا وعلـى المغـرب العربي غربا وعلى إفريقيا جنوبا وعلى الأندلس شمالا.

وإن ما تميز به الجامع من طرق تدريس ومناهج متطورة تشمل اللغة والعلـوم الدينيـة والفقه جعل منه بالفعل جامعة بالمعنى العلمي للكلمة، وهو بذلك يكون قد سبق الأزهر بمصر من حيث أهمية اضطلاعه بنشر العلوم الدينية والمحافظة علـى مكونـات الهويـة العربيـة الإسلامية لا سيما في فترات الانحطاط التي مر بها العالم العربي والإسلامي.

ويجمع الدارسون على أن دور جامع الزيتونة الحضاري لم يقتصر فقط علـى تـونس وإنما تعداها إلى أنحاء متعددة من العالم العربي والإسلامي، كما يجمع الدارسـون علـى أن الدور الذي اضطلع به الجامع لم ينحصر فقط في تلقين علوم المقاصد والوسائل، وإنما كان له دور عميق في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية داخل تونس وخارجها.

لقد كان الفضل كبيرا لجامع الزيتونة في تخريج نخبة من العلماء الأجلاء والمـصلحين المتنورين والمجتهدين النابغين الذين طبقت شهرتهم الآفاق من أمثال الإمام بن عرفة والإمـام سحنون والعلامة عبد الرحمان بن خلدون والشيخ محمد بن مصطفى بيرم المعـروف ببيـرم الخامس والشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمود قابادو، والـشيخ سالم بوحاجب، والشيخ عبد العزيز الثعالبي والعلامة محمد الطاهر بن عاشور وكـذلك ابنـه محمد الفاضل والمصلح الاجتماعي الطاهر الحداد وشاعر تونس الكبير أبو القاسـم الـشابي، وغيرهم من رواد الإصلاح والتجديد.

ولأنها جامعة تميزت بدور حضاري ريادي فقد تجاوز إشعاعها حدود تونس إلى كامـل المغرب العربي وكان له دور كبير في إحياء روح الاجتهاد، فقد كان مقصد الإخوة الجزائريين وفيه تخرج المصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس. كما أن الصلات بين جامعة الزيتونـة وجامع القرويين في المغرب الأقصى ظلت وثيقة بفضل ما كان للزيتونة من تأثير كبيـر فـي تطوير مناهج العلوم الشرعية.

وشهر في المشرق أحد خريجيه وهو الشيخ محمد الخضر حسين الذي درس في الأزهر خمسا وعشرين سنة وتولى المشيخة فيه لمدة سنتين ( 1952 ـ ١٩٥٤)، أثبت خلالها مكانـة خريجي جامعة الزيتونة ومنزلتهم العلمية والدينية المتميزة في المشرق العربي.

واعترافا بجليل فضائل الزيتونة على العالم الإسلامي في تجذير هويته، كانت الزيتونـة مقصد العديد من العلماء والمصلحين الذين وجدوا فيها منارة علم ودين واجتهاد. ومـن بـين العلماء والمصلحين الذين وقفوا على أهمية دور هذا المعلم الـديني والعلمـي نـذكر الـشيخ والمصلح محمد عبده الذي زار تونس مرتين إحداهما سنة ١٨٨٤، والثانية سـنة ١٩٠٣ فـي بداية هذا القرن وأشاد بالدور العظيم الذي تضطلع به الزيتونة في نشر علوم الدين والدنيا.

## ٧٣٢ م (١١٤ هـ). معركة بلاط الشهداء.

توفي سليمان بن عبد الملك في (العاشر من صفر سنة ٩٩هـ ـ = ٢٢ مـن سـبتمبر ٧١٧م) وخلفه ابن عمه عمر بن عبد العزيز، فبدأت بلاد الأندلس في خلافته عهـدا جديـدا؛ حيث جعلها تابعة له مباشرة، شأنها في ذلك شأن بعض الولايات الإسلامية الأخرى، وكانـت الأندلس من قبل تابعة لولاية إفريقية، واختار لها واحدا من الرجال الصالحين الأكْفاء القادرين على النهوض بمسئولياتهم في إيمان ونزاهة. وكان الخليفة العادل حريصا علـى ذلـك أيمـا حرص؛ فكانت أمور المسلمين شغله الشاغل.

وكان ذلك الوالي الكفء الذي اختاره الخليفة لولاية الأندلس هـو "الـسمح بـن مالـك الخولاني"، تخيره الخليفة لأمانته وكفاءته وإخلاصه. وتذكر الروايات التاريخية أن من عـادة خلفاء بني أمية أنهم كانوا لا يدخلون خزائن بيت المال شيئا

مما يرسله ولاتهم من أموال الخراج إلا إذا شهد ١٠ من عدول الجند في الولايـة بـأن هذا المال هو المستصفى الحلال لبيت المال، بعد دفع أعطيات الجند والإنفاق علـى مـصالح الولاية وشئونها؛ فلما أقبلت أموال ولاية إفريقية في أحد أعوام خلافة سليمان، كان يـصحبها ١٠ من العدول الذين اختارهم الوالي، وكان فيهم إسماعيل بن عبيد الله، والسمح بن مالك، فلما طلب الخليفة شهادتهم حلف ٨ بصحة هذا المال، ورفض الرجلان أن يحلفا على ذلك. وكـان

عمر بن عبد العزيز حاضرا هذه الجلسة، فأعجب بنزاهة الرجلين وشـجاعتهما، فلمـا ولـي الخلافة استعان بهما في إدارة ولايات دولته.

## ولاية السمح بن مالك.

ولم يقدم الخليفة عمر بن عبد العزيز على النظر في شئون المغرب والأندلس إلا بعـد مضي أكثر من عام من خلافته؛ فقد شغلته أمور الدولة الأخرى عن متابعة ما يجـري فـي الأندلس، وكان يفكّر في إرجاع المسلمين من الأندلس وإخلائهم منها؛ فكان يخشى تغلّب العدو عليهم لانقطاعهم من وراء البحر عن المسلمين.

غير أن هذه الفكرة تبددت لديه، وعزم على إصلاح أمـور الأنـدلس حديثـة العهـد بالإسلام، فاختار لولايتها السمح بن مالك، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وطلب منه أن يكتب له بصفة الأندلس، وأنهارها وبحرها، فلما اسـتقر السمح هناك كتب إليه يعرفه بقوة الإسلام وكثرة مدائنهم، وشرف معاقلهم؛ فلما استوثق الخليفة عمر من أهمية الأندلس، وثبات أقدام المسلمين فيها أولاها من عانيته ما هي جديرة به. ولـم يكد السمح بن مالك يتولى أمر الأندلس حتى ظهر أثر كفايته وصلاحه في الـبلاد، فانتظمـت أمورها، ونعم الناس بالأمن والسلام، وتحسنت موارد الدولة، واجتمع له من المال مبلغ كبيـر منه، استغله في إصلاح مرافق الولاية.

وحدث أن قنطرة "قرطبة" الرومانية التي كانت مقامة على نهر الوادي الكبير للاتصال بنواحي جنوبي الأندلس قد تهدمت، واستعان الناس بالسفن للعبور، وكان في ذلك مشقة عليهم، وأصبح المسلمون في حاجة إلى بناء قنطرة متينة يستطيعون العبور عليها من الجنـوب إلـى قرطبة عاصمتهم الجديدة، ووجد السمح بن مالك أن خير ما ينفق فيه هذا المال هو بناء تلـك القنطرة، فكتب إلى الخليفة عمر في دمشق يستأذنه في بناء القنطرة فأذن له، فقام السمح ببنائها على أتم وأعظم ما يكون البناء. وكان لهذه القنطرة أهميتها فـي تـاريخ الأنـدلس الـسياسي والفكري، فربطت بين قرطبة بجنوبي الأندلس وشمالي أفريقيا، وكانت من الجمـال والبهـاء بحيث أصبحت متنزه أهل قرطبة ومدار خيال شعراء الأندلس.

## الاتجاه إلى الفتح.

وبعد أن اطمأن السمح بن مالك إلى أحوال أمور الأندلس، ووثق الخليفة عمر باستقرار المسلمين بها، بدأ السمح يفكر في معاودة الفتح، ورد المتربصين بولايته من أمراء مـا وراء جبال ألبرت، فأعد العدة لذلك، وجهز جيوشه لهذه المهمة.

واخترقت جيوش السمح جبال ألبرت من الشرق، وسيطر على عدد من القواعد هنـاك، واستولى على "سبتمانيا" في جنوبي فرنسا، وأقام بها حكومة إسلامية، ووزع الأراضي بـين الفاتحين والسكان، وفرض الجزية على النصارى، وترك لهم حرية الاحتكام إلى شرائعهم، ثم زحف نحو الغرب ليغزو "أكوتين".

وكانت مملكة الفرنج حينما عبر المسلمون إلى غاليا –فرنسا- تفتـك بهـا الخلافـات والحروب بين أمرائها، غير أن الأمير "أدو" دوق أكوتين كان أقوى أمراء الفرنج فـي غاليـا وأشدهم بأسا، نجح في غمرة الاضطراب الذي ساد المملكة أن يستقل بأكوتين، ويبسط نفـوذه وسلطانه على جميع أنحائها في الجنوب من اللوار إلى البرنية.

فلما زحف السمح بن مالك إلى الغرب ليغزو أكوتين قاومه البـشكنس -سـكان هـذه المناطق- أشد مقاومة، لكنه نجح في تمزيق صفوفهم، وقصد إلى تولوشة تولوز. وفي أثنـاء سيره جاءت الأخبار بأن الدوق "أدو" أمير أكوتين جمع جيشا كبيرا لرد المسلمين، وإخـراجهم من فرنسا، فآثر السمح بن مالك ملاقاة عدوه على كثرة عددهم عن مهاجمة تولوشة، والتقـى الفريقان بالقرب منها، ونشبت بينهما معركة هائلة في ٩ من ذي الحجة ١٠٢هـ = ٩ مـن يونيو ٧٢١م، سالت فيها الدماء غزيرة، وكثر القتل بين الفريقين، وأبدى المسلمون رغم قلتهم شجاعة خارقة وبسالة وصبرا، وتأرجح النصر بين الفريقين دون أن يحسم لصالح أحـد مـن الفريقين، حتى سقط "السمح" شهيدا من على جـواده، فاختلـت صـفوف المـسلمين، ووقـع الاضطراب في الجيش كله، وعجز قادة الجيش أن يعيدوا النظـام إلـى الـصفوف، وارتـد المسلمون إلى "سبتمانيا" بعد أن فقدوا زهرة جندهم، وسقط عدد من كبار قادتهم.

## العودة إلى الأندلس.

وعلى إثر استشهاد السمح بن مالك اختار الجيش أحد زعمائه "عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي"، فبذل جهدا خارقًا ومهارة فائقة في جمع شتات الجيش، والتقهقر به إلـى الأنـدلس، وأقام نفسه واليا على الأندلس عدة أشهر قليلة حتى يأتي الوالي الجديد، وفي هذه المدة القليلـة نجح عبد الرحمن الغافقي في ضبط أمور الولاية، والقضاء على الفـتن التـي ظهـرت فـي الولايات الجبلية الشمالية.

ثم تولى عنبسة بن سحيم الكلبي أمر الأندلس في (صفر ١٠٣هـ = أغـسطس ٧٢٢م)، وكان من طراز السمح بن مالك كفاءة وقدرة وورعا وصلاحا، له شغف بالجهاد وحرص على نشر الإسلام وتوسيع دولته، وما إن استقرت الأمور في الأندلس بعد اضطراب واختلال حتى عاود الفتح، وخرج على رأس جيشه من قرطبة، وسار نحو سبتمانيا التي فقد المسلمون كثيرا من قواعدها، وتابع زحفه شمالاً في وادي الرون، ولم تقف هذه الجملة الظافرة إلا قرب بلـدة

"سانس" على بعد ثلاثين كيلومترا جنوبي بـاريس، وخـشي "أدو" دوق أكـوتين أن يهاجمـه المسلمون مرة أخرى، فسعى إلى مفاوضتهم ومهادنتهم، وبذلك بسط المسلمون نفـوذهم فـي شرق جنوبي فرنسا.

ولما لم يكن في نية عنبسة الاستقرار في تلك المناطق، فقد عاد إلى بلاده بعد أن أعـاد نفوذ المسلمين في مملكة غالة، قاطعا نحو ألف ميل شمالي قرطبة، وفي طريق العودة داهمته جموع من الفرنجة، فالتحم معها في معركة أصيب أثناءها بجراح بالغة توفي على إثرها فـي (شعبان ١٠٧هـ = ديسمبر ٧٢٥م)، بعد أن انفرد بين الفاتحين المـسلمين بفخـر الوصـول برايات الإسلام إلى قلب أوروبا الغربية، ولم يدرك هذا الشأو بعد ذلك فاتح مسلم آخر.

وقد تكررت محاولات المسلمين لفتح مملكة غالة والاستقرار بها ثم التوسع فـي قلـب أوروبا لنشر الإسلام بها، لكنها لم تلقَ نجاحا، وكانت آخر تلك المحاولات ما قام بـه القائـد العظيم عبد الرحمن الغافقي، لكن استشهاده في معركة بلاط الشهداء (رمـضان ١١٤هـ = أكتوبر ٧٣٢م) قضى على أحلام المسلمين في الفتح والتوسع.

معركة بلاط الشهداء أو معركة تورز وقعت ١٠ أكتـوبر عـام ٧٣٢ م بـين قـوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الإفرنج بقيادة تشارلز مارتل. هزم المسلمون فـي هذه المعركة وقتل قائدهم وأوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظـت المسيحية كديانة سائدة فيها.

## التسمية.

البلاط في اللغة العربية تعني القصر، وسميت هذه المعركة ببلاط الشهداء في التـاريخ الإسلامي لأن المعركة وقعت بالقرب من قصر مهجور وأضيفت كلمة الشهداء لكثرة ما وقـع في تلك المعركة من قتلى للمسلمين. أما الأوروبيون فينسبون المعركة لمدينة تورز التي وقعت المعركة بالقرب منها فيسمونها معركة تورز وتسمى كذلك معركة بواتييـه لوقوعهـا أيـضا بالقرب من بلدة بواتييه في فرنسا.

## ما قبل المعركة.

بعد أن فتح المسلمون الأندلس ووطدوا حكمهم فيها عبروا جبال البرانس وبدأوا في فتح الأراضي الإفرنجية (فرنسا في الوقت الحاضر) على يد قائدهم في ذلك الوقت السمح بن مالك الخولاني وتم على يده فتح مدن منطقة سبتمانيا أربونة وبيزارس وآجده ولوديفيه ومـاغيولون ونييمس. رجع السمح إلى الأندلس ليجمع جيشا يحاصر به مدينة طولوشة (أو تولوز) ويقـال أنه جمع أكثر من ١٠٠ ألف شخص من الفرسان والمشاة. قام المسلمون بحصار تولوز طويلا

حتى كاد أهلها أن يستسلموا إلا إن الدوق أودو دوق أقطانيا (أكوينتين) باغته بإرسـال جـيش ضخم فقامت هنالك معركة عرفت في التاريخ باسم معركة طولوشة وقاوم المسلمون فيها قليلا بالرغم من قلة عددهم واستشهد قائدهم السمح بن مالك فاضطرب الجيش وانسحب المـسلمون لقاعدتهم في بلاد الإفرنج مدينة أربونة وكان ذلك في ٩ يونيو ٧٢١ م.

كان السمح هو والي الأمويين في بلاد الأندلس وبعد وفاته قام الأندلسيون بتعيين عبـد الرحمن الغافقي كوال مؤقت حتى ينظر الخليفة في من سيعين عليهم.

عين عنبسة بن سحيم الكلبي كوال للأندلس فقام بإكمال ما بدأ به السمح بن مالك وقـد توغل كثيرا في الأراضي الفرنسية حتى بلغ مدينة أوتون في شرق فرنسا وفي طريق عودتـه إلى الأندلس فاجأته قوات إفرنجية فأصيب إصابة بليغة لم يلبث أن مـات علـى إثرهـا فـي ديسمبر ٧٢٥ م. ثم جاء ٤ ولاة للأندلس لم يحكم أغلبهم أكثر من ٣ سنين حتى عـين عبـد الرحمن الغافقي عام ٧٣٠ م.

قام عبد الرحمن بإخماد الثورات القائمة في الأندلس بين العرب والبربر وعمـل علـى تحسين وضع البلاد الأمني والثقافي. وفي تلك الأثناء قام الدوق أودو بالتحالف مع حاكم إقلـيم كاتلونيا المسلم عثمان بن نيساء وعقد صلحا بينه وبين المسلمين وتوقفت الفتوحات الإسـلامية في بلاد الإفرنج. كان الدوق أودو يعلم أن عدوه الأبرز هو تشارلز مارتـل -وخاصـة بعـد معركة طولوشة- وأنه إذا صالح المسلمين فإنه سيأمن هجماتهم من جهـة وسيـشكلون قـوة ورادعا في وجه تشارلز مارتل من جهة أخرى إذ لن يفكر تشارلز في مهاجمته خوفـا مـن المسلمين.

قام عثمان بن نيساء في مالم يكن في الحسبان فقد قام بإعلان استقلال إقليم كاتلونيا عن الدولة الأموية فما كان من عبد الرحمن الغافقي إلا أن أعلن الحرب ضده بصفته خائنـا ولـم يستثن عبد الرحمن الدوق أودو من هذا الأمر فجهز جيشه وأخضع كاتلونيا لدولته ثـم اتجـه صوب أراض أودو وحاصر مدينة البردال (بوردو) وفتحها المسلمون وقتلوا من جـيش أودو الكثير حتى قال المؤرخ إسيدورس باسينسيز "إن الله وحده يعرف عدد القتلى".

## المعركة.

وجد تشارلز مارتل الوضع في بلاده مناسبا لإخضاع الأقاليم الجنوبيـة التـي طالمـا استعصت عليه وكان يعلم أن العقبة الوحيدة في طريقه هي جيش المـسلمين. كـان الجـيش الإسلامي قد انتهى بعد زحفه إلى السهل الممتد بين مدينتي بواتييه وتور بعد أن استولى علـى المدينتين، وفي ذلك الوقت كان جيش تشارلز مارتل قد انتهى إلى نهر اللـوار دون أن ينتبـه

المسلمون بقدوم طلائعه، وحين أراد الغافقي أن يقتحم نهر اللوار لملاقاة خصمه على ضفته اليمنى قبل أن يكمل استعداده فاجأه مارتل بقواته الجرارة التي تفوق جيش المسلمين في الكثرة، فاضطر عبد الرحمن إلى الرجوع والارتداد إلى السهل الواقع بين بواتييه وتور، وعبر تشارلز بقواته نهر اللوار وعسكر بجيشه على أميال قليلة من جيش الغافقي [١]. لقد اختار مارتل بحنكته مكان المعركة وتوقيتها أي أنه أجبر المسلمين على التواجد في المكان الذي يريده لهم.

حصلت بعض المناوشات بين الجيشين وكأن المعركة حرب استنزاف، من يصمد أكثر من الطرفين ينتصر. ومكث الطرفين على هذه الحال من ٦ إلى ٩ أيام (هناك اختلاف بين المؤرخين على مدة المعركة) وفي اليوم الأخير للمعركة قامت معركة قوية بين الجيشين ولاح النصر للمسلمين. رأى مارتل شدة حرص جنود المسلمين على الغنائم التي جمعوها فأمر بعض أفراد جيشه بالتوجه لمخيم المسلمين والإغارة عليه لسلب الغنائم فارتدت فرقة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة لرد الهجوم المباغت وحماية الغنائم، فاضطربت صفوف المسلمين واستطاع الإفرنج النفاذ في قلب الجيش الإسلامي. ثبت عبد الرحمن مع قلة من جيشه وحاولوا رد الهجوم بلا جدوى وقتل عبد الرحمن فازداد اضطراب المسلمين وانتظروا نزول الليل حتى ينسحبوا لقاعدتهم أربونة قرب جبال البرانس.

ومع صباح اليوم التالي قام الإفرنج لمواصلة القتال إلا أنهم فوجئوا بانسحاب المسلمين ولم يجرؤ مارتل على اللحاق بهم وعاد بجيشه لبلاده.

## ما بعد المعركة.

أدت المعركة إلى توقف الزحف الإسلامي في أوروبا الغربية وقد أعطي تشارلز لقب مارتل (أي المطرقة) بعد المعركة. وقد اختلف المؤرخون، قديمون أو معاصرون، مسلمون أو مسيحيون في أهمية تلك المعركة فالبعض وصفها بأنها حفظت المسيحية من الفناء وأنقذت أوروبا من الإسلام فيقول المؤرخ إدوارد جيبون في كتابه اضمحلال الإمبراطورية الرومانية.

خط انتصار [المسلمين] طوله ألف ميل من جبل طارق حتى نهر اللوار كان غير مستبعد أن يكرر في مناطق أخرى في قلب القارة الأوروبية حتى يصل بالساراكنز [يقصد المسلمين] إلى حدود بولندا ومرتفعات أسكتلندا، فالراين ليس بأصعب مرورا من النيل والفرات وإن حصل ما قد ذكرت كنا اليوم سنرى الأساطيل الإسلامية تبحر في التايمز بدون معارك بحرية ولكان القرآن يدرس اليوم في أوكسفورد ولكان وعاظ الجامعة اليوم يشرحون للطلاب المختونين قداسة وصدق الوحي النازل على محمد.

يختلف العديد من المؤرخين مع وجهة نظر جيبون فيخبرون عن فتوحات المسلمين أنها لم تكن تتوقف لهزيمة أو خسارة معركة فللمسلمين العديد من المحاولات لفتح القسطنطينية قبل أن فتحت في عهد العثمانيين وقد هزم المسلمون أكثر من مرة في الهند وبلاد ما وراء النهرين إلا أن ذلك لم يكن ليمنعهم من مواصلة القتال. ويشير أولئك المؤرخـون أن المـسلمين لـم يكونوا طامحين في مواصلة القتال في القارة الأوروبية لأن تلك الأراضي كانت تعـيش فـي وضع اجتماعي وثقافي وحضاري منحط.

كما أن الأمويون في الأندلس عانوا الأمرين بسبب وجود جيوب المقاومة المسيحية في شمال البلاد والتي أرهقتهم وأشغلتهم عن مواصلة القتال في القلب الأوروبي وعـانوا كـذلك بسبب العباسيين الذين كانوا يتحينون الفرصة لإزالة دولتهم والحصول على أراضـيها وبلـغ الأمر لحد تعاون الخليفة العباسي هارون الرشيد مع الفرنجة ضد الأمويين في الأندلس الأمـر الذي أدى لجعل حروب الدولة الأموية الأندلسية حروب دفاع لا حروب فتح وتحرير.

## ٧٣٢ م. وفاة بن منبه.

ابو عبد الله وهب بن منبه. مؤرخ يمني. توفي ٧٣٢م. نشأ فـي صـنعاء مـن اصـل فارسي، وولي قضاءها للخليفة عمر بن عبد العزيز، ولكنه اتهم بالزندقة فعزل وحبس ثم افرج عنه. وكان وهب متبحرا في الاساطير القديمة، خصوصا الاسرائيلية منها، وهو مـن اوائـل المؤرخين المسلمين الذين احاطوا باخبار الانبياء والاقدمين، ويشتهر بكتابه (التيجان في ملوك حمير)، أو (ذكر الملوك المتوجة من حمير)، و(قصص الانبياء)، و (قصص الاخبار).َ

## ٧٣٢ م. وفاة الضحاك بن قيس.

الضحاك بن قيس الشيباني. زعيم الخوارج الحرورية (نسبة الى حروراء وهي مدينـة في العراق (. استولى على الكوفة واتخذها مركزا لرد هجمات مروان الثاني آخر خلفاء بنـي أمية. احتل الموصل ولكن مروان تمكن منه وقتله في نواحي ماردين عام ١٢٩ هـ/٧٤٦ م.

## ٧٤٧َ م. مولد محمد بن عمر الواقدى.

محمد بن عمر. مؤرخ حجازي (٧٤٧م-٨٢٣م). نشأ في المدينة المنورة، وكان تـاجرا ثم فسدت تجارته، فرحل الى العراق، ودخل في خدمة هارون الرشيد الذي جعله قاضيا فـي الجانب الشرقي من بغداد. وقيل انه كان يمتلك مكتبة ضخمة، وألف كثيرا من الكتـب منهـا كتاب (المغازي)، وكتاب (فتوح الشام)، وكتاب (فتوح مصر)، وكتاب (فتوح البهنسا)، وكتاب

(فتوح العجم والعراق)، و(فتح افريقية). وهو اول من كتب عن الفتوحات الاسـلامية، ولكـن رواياته محشوة بالاساطير والمبالغات والاخطاء التاريخية.

## ٧٤٧ م. مولد ابو العتاهية 211 - 130هـ 826 - 747 / م.

إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق.

شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بـشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد.

كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجـر الـشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد.

## ٧٥٠ م (١٣٢ هـ). معركة الزاب وبدء النهاية للدولة الاموية وبداية الدولة العباسية.

كانت الخلافة الأموية قد وصلت إلى مرحلة الضعف فى عهد مروان بن محمد ، وعمت الثورة - التي قام بها أتباع العباسيين ضده - منطقة خراسان، وعلا شأن بنى العباس، فتوجه مروان إلى الثوار في جيش كبير.

زحف الخليفة الأموي بين مروان بن محمد بجيشه حتى وصل إلى الموصـل، ونـزل دجلة، وسار إليه جيش العباسيين، وعسكر على الزاب الأكبر بقيادة عبد الله بن علـي .فكـان النهر بينهما.

قطع العباسيون الجسر فغرق من جيش مروان أكثر ممن قُتل.

فر مروان إلى مصر ثم تتبعه العباسيون حتى قتلوه في سنة (١٣٢ه = ٧٥٠ م)

وسقطت الخلافة الأموية، وقامت الخلافة العباسية.

مرت الدولة الأموية في الفترات الأخيـرة مـن حياتهـا بفـتن، وقلاقـل، وثـورات، واضطرابات، ولم تكن هذه المرة من أعدائها والخارجين عليها، وإنما أشعلها أهل البيت نفسه دون مراعاة لوحدة الأسرة الحاكمة أو المحافظة على سلامة الدولة، وانشغل كل ثائر بنفسه لا يرى سواها ولا يرى الحق إلا فيها، وكانت هذه الفتن هي أخطر ما واجهته الدولة الأمويـة، فاجأتها وهي منهكة القوى من طعنات الثائرين عليها، مفككة البنيان بعد أن فعلـت العـصبية القبلية أفاعيلها في جسد الدولة، فإذا أضيف إلى ذلك أن خلفاء الدولة المتأخرين لم يكونوا على قدر المسؤولية، وتعجز ملكاتهم عن قيادة إمارة صغيرة فكيف يفعلون بدولة عملاقة كالدولـة الأموية؟ تجمع ذلك كله وسار في اتجاه سقوط الدولة وحاول مـروان بـن محمـد أن يعيـق تصاريف القدر أو يؤجل وقوع المصيبة، فما استطاع على قدرته وكفاءته، فكانت الأقدار أكبر منه والأحداث سريعة متلاحقة أعجزته عن تدبير أمره، فوقع ما ليس منه بد، وانهـار البنـاء الشامخ، وكان يظن أنه راسخ كالجبال.

## أحوال الدولة الأموية.

تتابع خلال ثلاثة أعوام ثلاثة من خلفاء الدولة الأموية، فتولى الوليد بن يزيد بـن عبـد الملك الخلافة سنة (١٢٥هـ = ٧٤٢م)، ولم يمكث طويلا في الخلافـة، وثـار عليـه أبنـاء عمومته من أبناء الوليد بن عبد الملك وأخيه هشام، وانتهى الأمر بقتلـه سـنة (١٢٦هـ = ٧٤٣م)، وتولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الخلافة، لكنه عجز عن ضبط أمور الدولة التـي اضطربت، وانشغل أبناء البيت الأموي بالصراعات وتدبير المؤامرات، وزاد الأمـر سـوءاً اشتعال العصبيات القبلية، وانتقل الخلل من عاصمة الدولة إلى الأقـاليم، وفـي وسـط هـذه الأحداث الهائجة والأحوال الثائرة توفي يزيد بن الوليد، ولم يتجاوز حكمه ستة أشـهر تاركـًا دولته تموج بها الفتن، وتشيع فيها الفوضى، وبعد وفاته تولى أخوه إبراهيم بن الوليد الخلافة، ولكن الأمر لم يتم له، ولم يستطع أن يمسك بزمام الأمور، حيث نازعه مـروان بـن محمـد الحكم، ونجح في إزاحته عن منصبه، وتولى الأمر بدلاً منه.

## ولاية مروان بن محمد.

كان مروان بن محمد قبل أن يتولى الخلافة الأمويـة حاكمـا علـى ولايـة أرمينيـة وأذربيجان تولاها سنة (١١٤هـ = ٧٣٢م) من قبل هشام بن عبد الملك، فأظهر كفاءة وقدرة في إدارة شؤون ولايته وبذل جهدا كبيرا في ضبط أمورها، ورد غارات الترك والخزر علـى حدود ولايته، وظل مروان على ولايته حتى نجح في الجلوس على كرسي الخلافة الأموية بعد أن لعبت به الأهواء.

ولم تكن الظروف التي تولى فيها مروان بن محمد تساعده على الخروج بدولة الخلافـة من أزمتها، بل كانت مضطربة تغلي كالمرجل فتحمل هو عبء أوزارها، وحاول بكـل مـا يملك من قوة إصلاح اعوجاجها، ولكنه كلما خاص من أزمة ظهرت له أخرى، كأنها تنتظـره فأنهكت قواه، واستغرقت جهده ووقته، ولم تدع له فرصة للتفسير الهادئ والتأمل الرزين.

وكانت دمشق معقل الأمويين ومركز أنصارهم منقسمة على نفسها شيعا وأحزابا، وامتد هذا إلى الشام كله، وأصبح الأمر كله منذرا بالخطر، فحاول مروان أن يهدئ النفوس، ويسكن القلوب الثائرة بأن عرض على أهل الشام أن يختاروا من يرضونه واليا عليهم دون نظر إلى عصبيته وقبيلته، ففعلوا ذلك، وبهذه الخطوة الطيبة نجح مروان في أن يرتب أوضـاع الـشام وأن يعيد الهدوء والنظام إليها.

## اشتعال الثورات ضد الخليفة.

ولم يكد يطمئن الخليفة مروان بن محمد في حران التي اتخذها مقرا لحكمه حتى تبـدد الحلم، وانهار صرح السلام بعد أن جاءته الأخبار بثورة أهل حمص عليه بزعامة ثابت بـن نعيم الجزامي، وكان مروان قد أبدى معه تسامحا ولينًا، على الرغم من غدره بـه مـن قبـل وإثارته الناس عليه، فعينه واليا على فلسطين بناء على رغبة أهلها، ولكن "ثابت" لـم يحفـظ عهدا أو يراع ودا، وغلبت عليه نفسه الأمارة بالسوء فكاتب الناس، ودعـاهم إلـى الثـورة، وحضهم على الخروج على الخليفة، ولم يصبر مروان على هذا الأمـر فخـرج علـى رأس جيشه، ونجح في قمع الفتنة واقتلاع جذورها. وفي الوقت الذي كان مروان بن محمد مشغولاً بقمع ثورة حمص شبت ثورة هائجة في غوطة دمشق، وولى أهلها عليهم زعيما يمنيا هو يزيد بن خالد القسري، وساروا إلى دمشق، فحاصروه غير أن مروان أرسل إليهم وهو في حمص جيشًا تمكن من القضاء على الفتنة وقتل متزعمها.

## محاولة الصلح بين أبناء البيت الأموي.

حاول مروان بن محمد أن يقيم صلحا بين أبناء البيت الأموي، وأن يحل الوئام بيـنهم، وأن يكونوا عونًا للدولة لا حربا عليها، فزوج ابنيه عبيد الله وعبد الله من ابنتي هشام بن عبد الملك آملا من أن تكون هذه المصاهرة سببا في رأب الصدع، ولم الـشمل، والتفـرغ لقتـال الخوارج الذين ثاروا بالعراق تحت قيادة الضحاك بن قيس الشيباني، منتهزين فرصة انـشغال الدولة بثورات أهل الشام، وفي الوقت الذي كان فيه مروان يشرف على تجهيز جـيش لقتـال الخوارج فاجأته ثورة عارمة قادها صهره سليمان بن هشام بن عبد الملـك فـي الرصـافة، وانضم إليه ١٠ آلاف من أهل الشام الذين استنفرهم مروان بن محمد لقتال الخوارج.

وشجع هؤلاء المنضمون سليمان على الخروج على الخليفة الـشرعي، وخلـع بيعتـه، فاستجاب لهم لهوى في نفسه دون أن يعبأ ببيعته التي في عنقه، ودون مراعاة لمصالح الدولة، وأمنها الذي تهدده ثورات الخوارج، واستفحلت ثورة سليمان واجتمع حوله سبعون ألفًـا مـن الجند.

ولم يكن أمام هذه الأنباء المفجعة إلا أن يخرج الخليفة بنفسه للقضاء على هذا الخطـر المتصاعد الذي يكاد يعصف بالدولة، والتقى بخصمه عند قرية تسمى خـساف مـن أعمـال قنسرين، ودارت بينهما معركة حامية سنة (١٢٧هـ = ٧٤٤م) هزم فيها سليمان، وقتل نحـو

ثلاثين ألفًا من أتباعه، وهرب بمن بقي معه إلى حمص، فتابعه مروان وحاصر حمص حتـى استسلمت.

## ثورات الخوارج.

ولم تكد الأحوال تستقر قليلاً ويعود إليها شيء من السكينة والهـدوء ويفـرغ الخليفـة مروان لإدارة دولته التي تأثرت كثيرا بانقسام البيت الأموي، واحتدام الصراع بين أبنائه، حتى فاجأه اندلاع ثورات في أماكن مختلفة من أنحاء دولته، فشبت ثورة عارمة قادها عبد الله بـن معاوية من أحفاد جعفر بن أبي طالب في العراق فيما بين سنتي (١٢٧-١٢٩هـ = ٧٤٤-٧٤٦م)، كما اشتعلت في الوقت نفسه فتنة هائجة للخوارج بقيادة الضحاك بن قيس الشيباني في العراق وقويت هذه الفتنة بانضمام بعض أبناء البيت الأموي، وهددت سلطة الخلافـة بكثـرة أتباعها، ولولا يقظة مروان بن محمد لعصفت بالدولة فتعامل معها بكل حزم وقوة حتى نجـح في القضاء عليها سنة (١٢٩هـ – ٧٤٦م).

وقبل أن ينتهي مروان من القضاء على ثورة الضحاك بن قيس وخلفائه من الخوارج في العراق والجزيرة حتى شبت ثورة الخوارج في جنوبي الجزيرة العربية بقيـادة أبـي حمـزة الخارجي سنة (١٢٨هـ = ٧٤٥م) وبدأت من حضرموت وزحفـت إلـى مكـة والمدينـة، واستولت عليها، واتجهت إلى الشام مهددة أمن الخلافة الأموية، فاضطر مروان على الـرغم من الأخطار المحدقة به أن يرسل جيشًا للقاء الخوارج، فتقابل الفريقان فـي "وادي القـرى"، وانتهت المعركة بهزيمة الخوارج وقتل قائدهم.

## ظهور العباسيين.

وفي الوقت الذي كان فيه مروان يقضي على الفتن والثورات ويعيد إلى الدولة هيبتهـا كان العباسيون يضعون الخطط الأخيرة للقيام بحركتهم للانقضاض علـى الدولـة، منتهـزين انشغال الدولة بالثورات التي انبعثت في معظم أنحائها وكلفتها ثمنًا غاليا من الأموال والأرواح للقضاء عليها.

وكان العباسيون قد انتقلوا بعد مرحلة الدعوة السرية، وجذب الأعوان والأنـصار إلـى مرحلة العمل المسلح للقضاء على الأمويين، ولم تكن هناك فرصة مواتية أسنح مما كانت عليه الدولة الأموية في هذه الفترة، ولم يكن هناك مكان أصلح لبدء حركتهم من خراسـان ملتقـى أنصارهم وأعوانهم، وكانت هناك فتنة بين العرب اليمنية والمضرية ساعدت على إنجاح مهمة العباسيين، وفوق ذلك قاد ثورة العباسيين أبو مسلم الخراساني وهو رجل مـن أكفـأ القـادة وأمهرهم في ميادين القتال والحروب.

وفي غمرة انشغال مروان بن محمد بأحوال الدولة المضطربة فاجأته ثورة العباسيين في خراسان سنة (١٢٩هـ = ٧٤٦م) وانتقلت كالسيل المنهمر براياتها نحو العراق مكتسحة كل قوة للأمويين أمامها ولم تنجح محاولة واحدة في إيقافها حتى دخلت الكوفة، وأعلنت قيام الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ = ٧٥٠م) ومبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة.

## النهاية الحزينة وسقوط الدولة.

وفي أثناء ذلك كان مروان بن محمد يستعد للقاء الحاسم لاستعادة دولته ورد العباسيين، فتحرك بقواته من حران إلى الموصل، والتقى بالعباسيين عند نهر الزاب الكبير -أحد روافد دجلة-، ودارت بينهما معركة هائلة لم يستطع جيش الأمويين على ضخامته أن يحسمها لصالحه، فحلت بهم الهزيمة في (جمادى الآخرة ١٣٢هـ = يناير/ فبراير ٧٥٠م)، وفر مروان بن محمد من أرض المعركة، وظل ينتقل من بلد إلى آخر يستعين بالناس فلا يجد معينًا فقد أدبرت عنه الدنيا، وانصرف عنه الأنصار، وانتهت به الحال إلى مصر، فدخلها طلبا للنجاة والعباسيون من ورائه يتعقبونه، حتى لحقوا به وقتلوه في قرية تسمى "زاوية المصلوب" التابعة لبوصير الواقعة جنوبي الجيزة في (١٣ من ذي الحجة ١٣٢هـ = ٢٣ من يوليو ٧٥٠م)، وبوفاته انتهت الدولة الأموية في المشرق، وقامت الدولة العباسية.

- ٧٥٠ م. مقتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء الدولة الأموية.. بذل جهدا خارقًا في المحافظة على دولته، والقضاء على الفتن والثورات، ولكنه لم ينجح على الرغم من قدرته وكفاءته في وقوف زحف العباسيين من خراسان، فنجحوا في القضاء عليه وإقامة دولتهم

## ٧٥٠ م. قيام الخلافة العباسية.

يرجع أصل العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب عم محمد بن عبد الله رسول الإسلام، فهم بذلك من أهل البيت. بمساعدة من أنصار الدعوة العلوية إستطاع أبو العباس السفاح (٧٤٩-٧٥٤) و بطريقة دموية القضاء على الأمويين و مظاهر سلطتهم، قام هو و أخوه أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥) باتخاذ تدابير صارمة لتقوية السلطة العباسية، في عام ٧٦٢ تم إنشاء مدينة بغداد. بلغت قوة الدولة أوجها و عرفت العلوم عصر إزدهار في عهد هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة ٨٠٣) ثم في عهد ابنه عبد الله المأمون (٨١٣-٨٣٣) الذي جعل من بغداد مركزاً للعلوم و رفع من مكانة المذهب المعتزلي حتى جعله مذهباً رسمياً للدولة.

ويعد العصر العباسى الأول العصر الذهبى لبنى العباس، فقد سيطر الخلفاء العباسـيون خلاله على مقاليد السلطة، ورغم ظهور بعض الدول المستقلة وأهمها الدولة الأموية بالأندلس ودولة الأدارسة بالمغرب والدولة الرستمية في الجزائر ودولة الأغالبة فى تونس، إلا أن الدولة ظلت متماسكة حتى نهاية هذا العصر. وكانت تجمع هذه الدول جميعا راية الإسلام وتـربطهم حضارة واحدة هى الحضارة الإسلامية التى قامت على الوحدانية المطلقة لله، والإستقامة على منهجه، وآمنت بالمبادئ الإنسانية مثل التسامح الدينى والمساواة العنصرية والقيم الرفيعة مثل الأخلاق الحربية والرفق بالحيوان والوعى بالزمن، وقد أثبت التاريخ أنها حـضارة إنـسانية عالمية.

ونعود إلى العصر العباسى الأول وقد قلنا انه أزهى عصور الدولة العباسية ورغم ذلك فقد توقفت فيه الفتوحات الإسلامية الكبيرة ويرجع هذا إلى عدة أسباب منها انشغال العباسـيين بالصراعات الداخلية مع العلويين فى العراق والحجاز ومع الأمويين فى الأندلس بالإضافة إلى الصراع المستمر مع الخوارج. ولا يكاد يوجد غزو أو فتوحات مهمة سوى فتح عمورية فـى بلاد الروم بقيادة المعتصم، وفتح صقلية بقيادة الفقيه القائد أسد بن الفرات، بالإضافة إلى فـتح بعض الثغور والقرى الصغيرة فى العمليات العسكرية التى كانت تـسمى بـ «الـصوائف والشواتى».

والحق يقال ان عهد هارون الرشيد الذى ولى الخلافة من عام ١٧٠ هـ وحتـى عـام ١٩٣ هـ يعد أقوى وأزهى فترات الدولة العباسية فى جميع عصورها، فقد استطاع بشخصيته القوية أن يقضى على حركات النزاع على الحكم التى تضعف الدولة، وكـان الرشـيد كثيـر الغزو لبلاد الروم مما أدى الى تأمين الحدود الخارجية للدولة وبذلك استتب الأمن واسـتقرت الأحوال، ونظم العباسيون شئون الحكم وطوروا فى مؤسسات الدولة التى كانت موجودة قبـل ذلك فاهتموا بتنظيم الجيش وتحديد رتبه وقياداته، وكذلك الـشرطة لحفـظ الأمـن الـداخلى، وتطورت مؤسسة القضاء وأضيف إليها منصب قاضى القضاة وهو الذى كان يباشر بنفسه مع الخليفة أحكام ديوان النظر فى المظالم، ونتيجة للإستقرار الإقتصادى اهتم العباسيون بتطـوير دواوين الخراج والسكة.. وجعلوا الوزارة منصبا رسميا لأول مرة.

## المعالم الحضارية للدولة العباسية.

ومع استقرار الدولة بدأت تظهر نتائج الحضارة الإسـلامية فـى العلـوم والمعـارف والفنون.

## العلم والفكر.

من مفاخر العصر العباسى الأول أنه ظهر فيه حشد كبير من العلماء فى مختلف العلوم والفنون والآداب، ويكفى هذا العصر فخراً أنه اجتمع فيه أئمة «الفقـه» الأربعـة أصـحاب المذاهب الفقهية المعروفة وعلى رأسهم الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان وفقيه «المدينة» الإمام مالك بن أنس والإمام الشافعى والإمام الممتحن أحمد بن حنبل وظهرت فى الفقـه الإسـلامى مدرستان علميتان كبيرتان هما مدرسة أهل الرأى فى العراق، ومدرسة أهـل الحـديث فـى المدينة المنورة. وحفل هذا العصر أيضا بأئمة علوم القرآن وعلوم اللغة العربية فظهر مـنهم سيبويه والخليل بن أحمد وأبو عمرو بن العلاء والإمام الفراء والكسائى وظهرت فـى علـوم اللغة أيضا مدرستان علميتان هما. مدرسة «البصرة»، ومدرسة «الكوفة». وفى التاريخ ظهر أول تاريخ كامل للسيرة النبوية الشريفة فى كتابى «سيرة ابـن هـشام» وكتـاب «الطبقـات الكبرى» لمحمد بن سعد. وأما عن تطور العلوم فى العصر العباسى الأول، فقد انتقلت العلوم من مرحلة التلقين الشفوى إلى مرحلة التدوين والتوثيق فى كتب وموسوعات، وظهـرت أول مؤسسة علمية من نوعها وهى «دار الحكمة» التى تأسست فى عهد الرشيد ووصلت إلى أوج نشاطها العلمى فى التصنيف والترجمة فى عهد المأمون، ومن الجدير بالذكر أن المسلمين لـم يكتفوا بمجرد الترجمة بل كانوا يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه وكانت «المجـالس والندوات العلمية» منتدى خصبا للحوار بين العلماء. ومن الإنجازات العلمية المهمة فى هـذا العصر المرصد الفلكى الذى شيده الخليفة المأمون فى بغداد،وكان أكبر المراصد الفلكية فـى هذا العصر، وقد عمل فيه أكبر علماء «الفلك» المسلمين وقد تمكنوا -من خلاله- من تفـسير ظاهرة الجاذبية، وتعيين خط العرض وقياس طول محيط الارض وقد ساعدهم فى هذا علماء الجغرافيا و الهندسة، ولا أنسى جهود العلماء المسلمين فى العلوم الطبية وخاصة علم التخدير وطب العيون.

وقد كان للعديد والعديد من العواصم والمدن الكبرى إشعاع حضارى وعلمى ذو بريق، ومنها مكة والمدينة بالحجاز، والفسطاط والإسكندرية فى مصر، وفاس والقيروان بـالمغرب، وحلب ودمشق فى الشام، ومدن ما وراء النهر كبخـارى وطـشقند وخـوارزم وسـمرقند، ونيسابور فى خراسان، وأشبيلية وقرطبة فى الأندلس، بالإضافة إلى بغداد عاصمة الخلافة.

منذ العام ٨٠٠ م بدأت عدة مناطق تعلن استقلالها عن الدولة العباسية و تحولـت إلـى إمارات أو ممالك تحكمها سلالات متعددة. بعد مقتل المتوكل (٨٤٧-٨٦١) بدأت قوة الدولـة تتراجع، حتى أنه في النهاية وقع الخلفاء العباسيين تحت سيطرة العديد مـن الـسلالات ذات الطابع العسكري، البويهيون (٩٤٥-١٠٥٥)، السلاجقة (١٠٥٥-١١٩٤) و شاهات خـوارزم

(١١٩٢-١٢٢٠)، و حصرت سلطة الخلفاء رمزياً في الجانب الديني فقط. إستطاع الخليفة الناصر (١١٨٠-١٢٢٥) أن يعيد إلى الخلافة بعضاً من سلطتها و أن يستقل بها. آخر الخلفاء المستعصم (١٢٤٢-١٢٥٨) الذي رفض أن ينظم إلى معاهدة السلام التي عرضها عليه المغول، فكان أن سقط ضحية للعاصفة المغولية. قامت بعد ذلك خلافة عباسية رمزية في القاهرة ١٢٦٠-١٥١٧ تحت وصاية المماليك.

- ٧٥٤ م (١٣٦ هـ). وفاة الخليفة العباسى الأول ابو العباس السفاح وتولى ابو جعفر المنصور الخلافة
- ٧٥٥ م (١٣٦ هـ). مقتل ابو مسلم الخراسانى صاحب الجهد الأكبر فى قيام الخلافة العباسية على يد ابو جعفر المنصور

## ٧٥٦ م (١٣٨ هـ). عبد الرحمن الداخل يعبر للاندلس ويتولى امارتها.

هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (- ٧٨٨) الملقب بصقر قريش. حكم قرطبة من ٧٥٦-٧٨٨. جده الخليفة هشام بن عبد الملك عاشر الخلفاء الأمويين

تمكن عبدالرحمن الداخل من الهرب إلى اخواله في المغرب بعد خمس سنوات من التجول والتخفى عن عيون العباسيين الذين تمكنوا من القضاء على الدولة الأموية في المشرق.

أفلت دولة الأمويين في المشرق كما تأفل الشمس عند مغيبها مهيبة حزينة دامعة، وتخضب أفق زوالها بدماء الكثير من أمرائها ورجالها الذين أعمل فيهم العباسيون السيف قتلاً وذبحا، واستباحوا أموالهم وممتلكاتهم كما استباحوا دماءهم.

وسيطر العباسيون على زمام الأمور في المشرق، ومضوا يتعقبون الأمويين في كل مكان، حتى أفنوا عددا كبيرا منهم، وتفرق من بقي أو كُتبت له النجاة في أنحاء البلاد، وأعيت العباسيين الحيلة في طلبهم أو الوصول إليهم، لاستئصالهم وإبادتهم حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك.

### صفاته.

قد كان عبد الرحمن كريماً و متواضعا، ويخالط العامه ويصلى بالناس، ويحضر الجنائز ويعود المرضى، ويزور الناس ويخاطبهم، وكان منقوشاً على خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راض و بالله يثق عبد الرحمن به يعتصم، وكان شاعرا بليغًا عالما بأحكام الشريعة.

## خدعة العباسيين.

تظاهر العباسيون بالندم لبث الثقة والأمن في نفوس الأمويين الفارين، وأعلـن الخليفـة "عبد الله السفاح" أنه يفتح صفحة جديدة للصفح عن الأمويين، وكتب كتابا يتعهد فيه بالأمـان للأمويين، ويدعو رجاله وأعوانه إلى عدم التعرض لهم بمكروه، واستأمن الخليفة بذلك الكتاب عددا من أمراء البيت الأموي.

وأخذ العباسيون يقربون الأمويين وينزلونهم في معسكر "صالح" بالقرب من نهر "أبـي فطرس" وخدعوهم بالوعود الكاذبة، والمواثيق الخادعة.

وصدق الأمويون وعود العباسيين، وخدعتهم تلك الحيلة، وغرهم منهم ذلك اللين الزائف وتلك المودة المصطنعة، فأقبلوا عليهم يسلمون إليهم رقابهم، وهم لا يدرون أنهم إنما يـساقون إلى الذبح، ولا يشعرون أن العباسيين قد أعدوا العدة لقتلهم وإبادتهم جميعا.

## مقتل يحيى بن معاوية.

وكان "يحيى بن معاوية بن هشام" -شقيق "عبد الرحمن الداخل"- فيمن فر من بني أمية، وعندما بلغته دعوة العباسيين ساورته الظنون في صدق نواياهم، فلم يتعجل بالرجوع وتـسليم نفسه إليهم، وسرعان ما صدقت ظنونه وكشف العباسيون عن حقيقة نواياهم فقتلوا جميع مـن لجأ إليهم من الأمويين، وعندئذ قرر "يحيى" الفرار والنجاة، ولكن العباسيين اكتـشفوا مكانـه، وأدركوه قبل أن يتمكن من الهرب وقتلوه.

## السعي إلى الفرار.

وعندما علم "عبد الرحمن الداخل" بمقتل أخيه فلم يجد أمامه غير الهرب، فعـزم علـى الفرار إلى إفريقية لبعدها عن مقر الخلافة، وصعوبة وصول أنصار الخليفة إليهـا، خاصـة بعدما بدأ سلطان العباسيين يتقلص عن تلك البلاد في ظل اشتعال الصراع بين قبائل العـرب المضرية واليمنية حول أمور الحكم فيها، وشجعه على ذلك أن كثيرا من أمـراء بنـي أميـة سبقوه في الفرار إليها.

## صورة دامية.

خرج "عبد الرحمن" مع أخ له صغير السن –لم يتجاوز الثالثة عشرة- وبعـض أهلـه، واتجه إلى رجل من معارفه فطلب منه أن يشتري له عددا من الدواب، ويهيئ له ما يتزود به في سفره، ولكن بعض عيون العباسيين دلوا عليه، فانطلقوا في إثره؛ فخرج حتى وصل إلـى شاطئ الفرات، فأحاطت به خيول العباسيين، فألقى بنفسه في الماء ومعـه أخـوه، وانطلقـا

يسبحان نحو الشاطئ الآخر، وكان الشاطئ بعيدا، فأخذ عبد الرحمن يسبح بقوة وحماس وكان يجيد السباحة، بينما بلغ أخاه التعب وهو في منتصف النهر، وخشي الغرق، ففترت عزيمتـه، وضارت قواه، وأراد العودة إلى الشاطئ، وهم يخدعونه وينادونه بالأمان، فراح عبد الرحمن يناديه ويحثه على السباحة، ويحذره من غدر العباسيين وخداعهم، إلا أنه كان قد بلغ من التعب والإجهاد ما جعله يغتر بأمانهم ويؤمل في عهودهم، فرجع إليهم، وما كاد يصل إليهم وتتلقـاه أيديهم، حتى أحاطوا به بعد أن تمكنوا منه، وضربوا عنقه أمام أخيه، وهو ينظـر إليـه، ولا يملك له شيئًا.

وظلت تلك الصورة الدامية لمصرع أخيه محفورة في ذهنه، ماثلة أمام عينيه، وكأنهـا مطبوعة على مقلتيه، تلهب حماسه للثأر من العباسيين والانتقام لأخيه الصغير الـذي ذبحـوه أمام عينيه.

## الوصول إلى إفريقية.

وصل "عبد الرحمن الداخل" إلى إفريقية بعد عناء شديد، وما لبث أن لحق بـه مـولاه "بدر" الرومي ومولاه "سالم"، ومعهما كثير من أمواله التي تركها هناك.

ولم تكن الأمور في "إفريقية" بأقل سوءا مما تركها في المشرق، فقد صار "عبد الرحمن بن حبيب الفهري" –والي إفريقية- يسوم الأمويين الفارين إلى بلاده قـتلاً وذبحـا، يـستحل دماءهم وينهب أموالهم، بعد أن كان حليفًا لهم بالأمس القريب.

## عبد الرحمن عند أخواله من البربر.

ونزل "عبد الرحمن الداخل" على أخواله "بني نفزة" –من بربر طرابلس- وعندما علـم "عبد الرحمن بن حبيب ذلك أخذ يتحين الفرصة لقتله، ويحتال لاستدراجه، كما فعل بغيره من أبناء عمومته.

وأدرك "عبد الرحمن الداخل" ما يدبره له؛ فخرج إلى مكناسة، ونزل على قوم من قبيلة زناته البربرية؛ فأحسنوا استقباله وناصروه، ولكن "عبد الرحمن بن حبيب" لم يكف عن طلبـه وتتبعه، فهرب إلى "برقة"، وظل مستخفيا بها مدة طويلة، استطاع خلالها الاتصال بعدد كبيـر من قبائل البربر، واستجار ببني رستم ملوك تيهرت، وراح يجمع حوله أشتات الأمويين الذين فروا من اضطهاد العباسيين، وأمراء البيت المرواني الذين نجوا من الذبح.

## الطريق إلى الأندلس.

وكان "عبد الرحمن الداخل" طوال تلك المدة يراقب الأمور من حوله بـوعي وحـذر، ويدرس أحوال الأندلس بعناية ليتحين الفرصة المناسبة للعبور إليها.

واستطاع "عبد الرحمن" بمساعدة مولاه "بدر" الاتصال بعدد كبير من الموالين للأسـرة المروانية وأنصار الأمويين في الأندلس، وراح يوثق علاقاته بكل خصوم العباسيين في تلـك البلاد؛ فالتف حوله عدد كبير من المؤيدين، واستطاع كسب المزيد من الأنصار خاصـة مـن جماعات البربر، الذين وجدوا فيه الأمل لاستعادة نفوذهم، وعقدوا عليه الرجاء في الـتخلص من الأوضاع المتردية التي صاروا إليها.

وتجمع حول "عبد الرحمن الداخل" أكثر من ثلاثة آلاف فارس، كلهم يدين له بـالولاء، ويوطن نفسه على أن يقتل دونه.

وتقدم "عبد الرحمن" نحو "قرطبة" حاضرة الأندلس وعاصمتها، واستعد له واليها "يوسف بن عبد الرحمن الفهري"، فيمن تمكن من حشده من قوات.

## ودقت طبول الحرب.

وكان "يوسف الفهري" كبير السن ضعيف البنية، فكان جل اعتماده على "الصّميل" الذي قرر أن يستعين بأهل السوق للاشتراك في القتال، فخرجوا يحملون العصي والسيوف، وخرج الجزارون بسكاكينهم وأرباب الحرف بآلاتهم.

وأصبح "الصّميل" هو القائد الأعلى لقوات "يوسف الفهـري" وموضـع ثقتـه، ومحـل مشورته. وسعي "الصّميل" إلى المكر والخداع، ورأى في صغر سن "عبد الـرحمن الـداخل" وقرب عهده بزوال ملك آبائه ما يغريه بالرضا بالأمان والقناعة بالنعمة ورغد العيش بدلاً من حياة الأخطار والصعاب التي يواجهها، فأشار على "يوسف الفهري" أن يغري "عبد الـرحمن" بالزواج من ابنته ويجعله واحدا من قواده ليأمن جانبه ويتقي خطره، ولكن فشلت تلك الحيلـة، ولم يعد هناك من سبيل غير الحرب.

## الانتصار العظيم وميلاد دولة الأمويين في الأندلس.

والتقى الفريقان بالقرب من "قرطبة"، وبالرغم من صغر سن "عبد الرحمن الداخل" الذي لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، فإنه أبدى من صنوف المهارة والفروسية والقيادة ما جعله يتمكن من إحراز انتصار حاسم والتغلب على قوات "عبد الـرحمن الفهـري" وإلحـاق هزيمة منكرة بجيشه.

ودخل "عبد الرحمن" قرطبة فصلّى بالناس، وخطب فيهم، فكان ذلك بمثابة إعلان ميلاد الدولة الأموية في الأندلس، وبويع له بالخلافة في (١٠ من ذي الحجة ١٣٨هـ= ١٨ من مايو ٧٥٦م)، ليصبح أول أموي يدخل الأندلس حاكما، ويطلق عليه ذلك اللقب الذي عرف به "عبد الرحمن الداخل"، ومؤسس تلك الدولة الفتية التي أصبحت حضارتها منبعا لحـضارة أوروبـا الحديثة، وظلت منارا للعلم والمدنية عبر قرون طويلة من الزمان.

## ٧٦١ م. مولد اسد بن الفرات.

أسد بن الفرات في (حران) من ديار بكر، ولد أبو عبد الله الحراني، أسد بـن الفـرات سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م، ثم قدم القيروان وهو ابن سنتين مع أبيه الذي كان من أعيان الجند في جيش (محمد بن الأشعث الخزاعي) والي إفريقية من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور.

تلقى (أسد) دراسته الأولى بالقيروان، ثم رحل مع أبيه إلى تونس فأقام بها تـسع سـنين لزم خلالها الفقيه المعروف (علي بن زياد) وتعلم منه وتفقه عليه، ولم يكتفِ بذلك، بل أراد أن يستزيد من العلم فقرر الرحيل إلى المدينة المنورة سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، لينهل من علم الإمام مالك عدة سنين تعلم فيها الكثير، وبعدها قرر الرحيل إلى العراق، فدخل على الإمـام مالـك مودعا وشاكرا، وسأله أن يوصيه، فقال له. (أوصيك بتقوى الله، والقرآن، والنصيحة للناس).

ورحل (أسد) إلى العراق حيث الإمام محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة، فلزمه، فكان يحضر دروسه العامة، ثم أحب أن يكون له درس خاص يغرف فيه ما استطاع من علـم الإمام محمد ليحمله إلى بلاده، فأخذه الإمام محمد إلى بيته، وأعطاه غرفة كان يسهر معه فيها الليل كله، ويضع أمام التلميذ قدح ماء، فإذا نعس نضح وجهه ليصحو، فكان (أسـد) أول مـن جمع بين مذهب الإمام مالك ومذهب أبي حنيفة، ولم يكتفِ أسد بن الفرات بذلك العلم، بل رحل إلى مصر حيث يوجد بها عالمان من تلاميذ الإمام مالك همـا (أشـهب بـن عبـد العزيـز) و(ابن القاسم) وهناك جمع ما أخذه من ابن القاسم من مسائل، وأفاض عليها من ذهنه وجعلهـا في رسالة مدونة سميت بـ (الأسدية). (ثم قدم ابن الفرات إلى (القيروان) عاصـمة المغـرب سنة ١٨١هـ بعد غيبة امتدت نحو عشرين سنة صام نهارها وأحيا ليلها بالعلم والدرس فيهـا، ولم ينفق لحظة في راحة ولا لعب، ولم يصحب فيها إلا الأئمة والعلماء، حتى قارب الخمسين، فجلس للتدريس والإفتاء، وكان من تلاميذه (سحنون بن سعيد) و(معمر بن منصور) و(سليمان بن عمر) ثم تقلد القضاء مع (أبي محرز) فكان أبو محرز فيه لينًا، وأما أسد فكان شديدا فـي الحق، ومتمكنًا من علمي الحديث والفقه.

وكان مع توسعه في علمه فارسا شجاعا مقداما، فقد طلب أسد بن الفرات أن يكون مـع المجاهدين في الحرب ضد الروم في جزيرة صقلية فأبى الأمير خوفًا عليه، فألح أسد في طلبه

وقال. (وجدتم من يسير لكم المراكب من النوتية (الملاحين) وما أحوجكم إلى من يسيرها لكم بالكتاب والسنة. (وكان يريد أن يكون جنديا متطوعا لا يريد الإمارة، فلما أعطيها تألم وقـال للأمير. أبعد القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟! فقال. مـا عزلتـك عن القضاء، ولكن أضفت إليك الإمارة فأنت قاضٍ وأمير، وكان أول من جمع له المنـصبان، واجتمع الناس لوداع الجيش والأمير أسد بن الفرات، فقال أسد للناس في وداعهـم. (والله يـا معشر الناس ما ولي لي أب ولا جد ولاية قط، وما رأى أحد من أسلافي مثل هذا قـط، ومـا بلغته إلا بالعلم، فعليكم بالعلم، أتعبوا فيه أذهانكم، وكدوا به أجسادكم تبلغوا به الدنيا والآخرة). وزحف الجيش إلى جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، وخرج لهم صاحب صقلية في مائـة ألف وخمسين ألفًا، قال رجل. رأيت أسدا وبيده اللواء يقرأ سورة (يس) ثم حمل بالجيش حملة عنيفة على صاحب صقلية، حتى سقط أسد بن الفرات شهيدا سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، وهو يحمل راية النصر ولم يعرفْ له قبر.

## ٧٦٢ م (١٤٥ هـ). تأسيس مدينة بغداد على يد ابو جعفر المنصور.

بغداد عاصمة دولة العراق، تقع على خط طول°75 وخط عرض 34ْ. تقع في وسـطها ويخترقها نهر دجلة بناها المنصور في القرن الثاني الهجري عاصمةً للدولة العباسية. كانـت من اهم مراكز العلم على تنوعه و ملتقى للعلماء و الدارسين. غزاها المغول تحـت رئاسـة هولاكو خان في منتصف القرن السادس الهجري ودمـروا الثـروة العلميـة - مـن كتـب ومخطوطات - التي كانت بغداد تحتضنها ورموا قسما كبيرا منها في نهر دجلة حتـى تغيـر لون الماء بلون الحبر.

مدينة «بغداد» التى بناها المنصور سنة ١٤٦ هـ فيها نشاهد روائع العمارة الإسـلامية فى العصر العباسى الأول وخاصة «قصر الأخيضر» الـذى يعـد أجمـل وأروع القـصور العباسية ولا يضاهيه فى الجمال سوى «قصر المعتصم» فى «سامراء» وهى العاصمة الثانية للخلافة العباسية، وأما عن «عمارة المساجد» فنلاحظ التطور الذى حدث فيها فـى «المـسجد الجامع» فى «سامراء» والذى يتميز بتصميم فريد لم يظهر من قبـل وخاصـة فـى مئذنتـه الحلزونية الشهيرة، والزائر للمسجد يلاحظ تقنية الصوتيات المعمارية المتقدمة. وفـى الآثـار المعمارية للعباسيين نشاهد روائع الفن الإسلامى فى ذلك العصر فنرى ونـشاهد «التـصوير الجدارى» فى القصور العباسية بالإضافة إلى الزخارف الجصية من خلال فن «النحت علـى الحجر» برسم تفريعات نباتية ذات أوراق كبيرة كما ظهر فن «النحت على الخشب» فى قطعة خشبية عثر عليها علماء الآثار فى سامراء. وينسب إلى أوائل العصر العباسى مجموعة مـن الأوانى الخزفية التى ظهرت فيها ابتكارات المسلمين فى «فن الخزف».

# التاريخ

بنى أبو جعفر المنصور على نهر دجلة عاصـمته بغـداد (١٤٥- ١٤٩ هـ ـ) ٧١٠ ميلادية على شكل دائري، وهو اتجاه جديد في بناء المدن الإسـلامية، لأن مـ ـعظم المـدن الإسلامية، كانت إما مستطيلة كالفسطاط، أو مربعة كالقاهرة، أو بيضاوية كـصنعاء. ولعـل السبب في ذلك يرجع إلى أن هذه المدن نشأت بجوار مرتفعات حالت دون استدارتها. ويعتبر تخطيط المدينة المدورة (بغداد)، ظاهرة جديدة في الفن المعماري الإسلاميد ولاسيما في المدن الأخرى التي شيدها العباسيون مثل مدينة سامراء وما حوته من مساجد وقصور خلافية فخمة. وإلى جانب العمارة وجدت الزخرفة التي وصفت بأنهما لغة الفن الإسـلامي، وتقـوم علـى زخرفة المساجد والقصور والقباب بأشكال هندسية أو نباتية جميلة تبعث في الـنفس الراحـة والهدوء والانشراح. وسمي هذا الفن الزخرفي الإسلامي في أوروبا باسم أرابسك.

وفي عام ١٥٠٩ سيطر الصفويون بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي المدينة، وبقيت تحـت سيطرة الصفويين حتى انتزعها العثمانيون من يـد الـصفويين ١٥٣٥ م، ولكـن مـا لبـث الصفويون أن عادوا ليسطروا عليها عام ١٦٢٤ حتى ١٦٣٩ حيث دخلها السلطان العثمـاني مراد الرابع وفي مارس ١٩١٧ سيطر الإنجليز على المدينة وفي عام ١٩٢٠ ثار العراقيـون على الإنجليز، ووقعت بغداد كمعظم مناطق العراق الأخرى تحت الإنتداب البريطاني.

ومن اسماء بغداد المدينه المدورة و دار السلام و الـزوراء. فـي التـاريخ المعاصـر استمرت بغداد عاصمة للعراق، و يقع فيها احد اكبر وانشط المجامع اللغوية.

- ٧٦٤ م. عبد الرحمن الداخل يفتح طليطلة.

## ٧٦٧ م. مولد ابن سلام الجمحى.

مؤرخ واديب ولد بالبصرة وتوفى فى بغداد عام ٨٤٦ م اشهر اعماله " طبقات الشعراء " ويعد اقدم كتاب فى تاريخ الادب العربى وطبقاته

- ٧٦٧ م (١٥٠ هـ). وفاة النعمان بن ثابت بن النعمان، المعروف بـأبي حنيفـة، أحد الأئمة الأربعة ومؤسس المذهب الحنفي، ولد في الكوفة وبها نشأ وتعلم، آلت إليه رئاسة الفقه في الكوفة بعد وفاة شيخه، كان له تلاميذ نجباء دونوا المـذهب، وعملوا على نشره وذيوعه

هو النعمان بن ثابت بن زوطى - بضم الزاي وفتح الطاء، التيمي، الكوفي، أبو حنيفة. وقد أجمعت كتب التراجم على ذلك، ولم تختلف إلا مارواه الصيمري عن إسماعيل بن حمـاد

حيث قال. أنا إسماعيل بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبـان وقـد نقلهـا أصـحاب التراجم عنه، كالخطيب في تاريخ بغداد والذهبي في السيروغيرهما.

## نشأته وطلبه للعلم.

نشأ بالكوفة مكان ولادته وذلك في أسرة مسلمة، صالحة، غنية، كريمة، ويبدو أنه كـان وحيد أبويه، وكان والده خزازاً، يبيع الأثواب في دكان له بالكوفة، وأخذ أبو حنيفة من والـده هذه المهنة وخَلَفه بعد وفاته، وكان يتكسب منها، وكان مضرب المثل في الأمانـة والـصدق. وقد وفق لحفظ القرآن في صغره، شأن أمثاله من ذوي النباهة، والصلاح، مع اشـتغاله ببيـع الخز مع والده، ويبدو أيضاً أنه لم يلتحق بسماع دروس العلماء وحضور حلقاتهم، ولم يطلـب العلم في مجالسهم إلى أن وافق لقاء بينه وبين الشعبي، وكان ذلك فاتحة خير عظيم في حيـاة أبي حنيفة، قال أبو حنيفة. مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني، وقـال. إلـى مـن تختلف؟ فقلت. أختلف إلى السوق، وسميت له أستاذي، فقال. لم أعن الاختلاف إلى الـسوق، عنَيت الاختلاف إلى العلماء، فقلت له. أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال لـي. لا تفعـل وعليـك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة، قال. فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم فنفعني الله بقوله.

وقد اجتهد في الطلب ويبدو أن أول ما اتجه إليه علم النحو، ثم علم الكلام، ومناقشة أهل الإلحاد والضلال، حتى بلغ فيه مبلغاً يشار إليه بالأصابع، ودخل البصرة أكثر من سبع عشرة مرة، يناقش ويجادل، ويرد الشبهات عن الشريعة، ويدفع عنها ما يريد أهل الضلال الإلـصاق بها، وقد ناقش جهم بن صفوان حتى ألجمه وأسكته، وجـادل الملاحـدة، ونـاظر المعتزلـة والخوارج فألزمهم الحجة، بل جادل غلاة الشيعة وأخرسهم.

ثم اتجه أبو حنيفة لعلم الفقه، ولزم حلقة شيخه حماد ابن أبي سليمان شيخ فقهاء الكوفة، وانصرف للفقه بكليته، وأكب على التفقه، وكانت ملازمته لشيخه التي بلغت ثماني عشرة سنة قد أكسبته فقهاً جماً، وما زال يداوم على حضور حلقة شيخه حتى بز أقرانه وتجـاوز أمثالـه وسابقيه، وكان أدبه مع شيخه موضع العجب، فلقد كان يقصده في بيته وينتظره عنـد البـاب حتى يخرج لصلاته وحاجته، فيسأله ويصحبه، وبلغ به الأمر أنه كان إذا جلس في بيته لا يمد رجليه جهة بيت شيخه حماد، وكان إذا صلى دعا لشيخه حماد مع والديه.

واستمر على هذه الحال من الصحبة والملازمة حتى توفي حماد، فـاتفق رأي تلامذتـه على استخلاف أبي حنيفة النعمان مكان شيخه فكان خير خلف لخير سلف، وانتهت إليه رئاسة مدرسة الكوفة التي عرفت بمدرسة الرأي، وأصبح إمام فقهاء العراق غير منـازع، وسـارت بذكره الركبان، واشتهر في الآفاق، وقد اجتمع بعلماء عصره بالبصرة ومكة، والمدينـة، ثـم

ببغداد لما بناها المنصور، واستفاد منهم، واستفادوا منه، وما زالت شهرته تتسع حتى غـدت حلقته مجمعاً علمياً يجتمع فيه من كبار المحدثين كعبدالله بن المبارك، وحفـص بـن غيـاث، وغيرهما، مع كبار الفقهاء كأبي يوسف، ومحمد، وزفر، مع كبـار الزهـاد كالفـضيل ابـن عياض، وداود الطائي وغيرهم.

## سبب طلبه للفقه.

طلب أبو حنيفة الحديث وأكثر منه في سنة مئـة ومـا بعـدها كمـا قـال الـذهبي. قلت. ورواياته كما سيأتي قليلة مع أن الذهبي يقول بأنه أكثر من الرواية! ولكن النسائي وهـو المتقدم وصفه - كما سيأتي بقلة الرواية - ولعل مراد النسائي من قلة الرواية مقارنة بأقرانـه كالثوري وشعبة والأوزاعي ومالك. ويتوجه كلام الذهبي من أن أبا حنيفة أكثر من الرواية من جهة أنه حصل حديثاً كثيراً إلا أنه لم يحدث إلا بما يحفظ كما قال يحيى بن معين، ثـم اتجـه بكليته للفقه حتى برز وأصبح المقدم فيه وتروى بعض الحكايات في سبب انقطاعه للفقه، فعن زفر بن الهذيل، قال سمعت أبا حنيفة يقول. كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغاً يـشار إلي فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان، فجاءتني امـرأة يومـاً فقالت لي. رجل له امرأة أمة، أراد أن يطلقها للسنة، كم يطلقها؟ فلم أدر ما أقول. فأمرتها أن تسأل حماداً، ثم ترجع تخبرني. فسألته، فقال. يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة، ثم اتركها حتى تحيض حيضتين، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج، فرجعت، فأخبرتني فقلت. لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله، فأحفظ قولـه، ثـم يعيدها من الغد فأحفظها، ويخطئ أصحابه، فقال. لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبـي حنيفة، فصحبته عشر سنين، ثم نازعتني نفسي الطلب للرئاسة، فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي. فخرجت يوماً بالعشي، وعزمي أن أفعل، فلما رأيته لم تطب نفسي أن أعتزلـه، فجاءه تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة، وترك مالاً، وليس له وارث غيره. فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت علي مسائل لم أسمعها منه، فكنت أُجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم، فعرضت عليه المسائل، وكانت نحواً من ستين مسألة، فـوافقني في أربعين، وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت.

قال الحافظ الذهبي متعقباً هذه الحكاية. وهذه أيضاً الله أعلم بصحتها، ومـا علمنـا أن الكلام في ذلك الوقت كان له وجود، والله أعلم.

وقال أحمد بن عبدالله العجلي حدثني أبي قال. قال أبو حنيفة. قدمت البصرة فظننت أني لا أسأَلُ عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت علـى نفسي ألا أفارق حماداً حتى يموت فصحبته ثماني عشرة سنة.

## ثناء العلماء على فقهه وعلمه.

قال علي بن عاصم. لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح بهـم. وقـال حفص بن غياث. كلام أبي حنيفة في الفقه، أدق من الشعر، لا يعيبه إلا جاهل. وقال جريـر. قال لي مغيرة. جالس أبا حنيفة تفقـه، فـإن إبـراهيم النخعـي لـو كـان حيـاً لجالـسه. وقال ابن المبارك. أبو حنيفة أفقه الناس. وقال الشافعي. الناس في الفقه عِيالٌ على أبي حنيفة. وقال الذهبي. الإمام فقيه الملة، عالم العراق، وقال. عني بالآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى والناس عليه عِيال في ذلك

- ٧٧٥ م. وفاة الفقيه الحنفي "زفر بن الهذيل" أحد التلامذة الكبـار لأبـي حنيفـة النعمان، وواحد من كبار المجتهدين في تاريخ الفقه الإسلامي، خلف شـيخه أبـا حنيفة في حلقته، وكان واحدا ممن أسهموا في نشر المذهب الحنفي والتمكين له
- ٧٧٦ م. ثورة المقنع الخراسانى

## ٧٧٧ م. مولد ابن ماسويه.

زكريا بن يوحنا الدمشقي. مترجم وطبيب فارسي سرياني نسطوري. ولد في جنديسابور بفارس عام ٧٧٧م، وتوفي في بغداد عام ٨٥٧م. عينه الرشيد رئيسا لبيـت الحكمـة وكلفـه بترجمة الكتب التي غنمها المسلمون في انقرة و عمورية. كذلك خدم ابن ماسـويه الأمـين، وعينه المأمون ثم المتوكل طبيبا لهما. وقد اضاف المأمون الى كتب بيت الحكمة مما اشـتراه من بلاد البيزنطيين وما حصل عليه من صقلية، وجعلها كلها تحت امرة ابن ماسويه. وقيل ان الخلفاء الاربعة لم يكونوا يأكلون شيئا من اطعمتهم الا بحضرته، وأنه كان دائما علـى رأس المائدة ومعه الادوية الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية شـتاء، والاشـربة المبردة صيفا.َ

وقد بنى المعتصم مختبرا لابن ماسويه على ضفاف دجلة ليقوم فيه بالتشريح. وكان اذا افتقد اجسام البشر زوده المعتصم بالقرود كما فعل جالينوس من قبل. وقيل ان تلـك القـرود كانت تجلب من بلاد النوبة في مصر. وقد ترك ابن ماسويه ملاحظات كثيرة على تـشريحاته تؤكد انه قام فعلا بتشريح الانسان، وربما كان في عمله هذا من أوائل الاطباء المسلمين.َ

وكان ابن ماسويه حاد المزاج، سريع الغضب، وقد غضب عليه ابنـاء ملتـه لاتخـاذه الجواري، فرد عليهم قائلا. لقد امرنا المسيح في موضع واحد الا نتخذ امرأتين، ولا ثـوبين، فقولوا لرئيس ملتنا ان يطرح عنه اثوابه العشرين أترك أنا جواري.َ

ولابن ماسويه مؤلفات كثيرة، أهمها في التشريح (كتاب التشريح)، و (كتـاب تركيـب خلق الانسان واجزائه)، و في الطب والاغذية (كتاب الجذام) الذي قيل انه اول مؤلـف فـي موضوعه عند المسلمين، و (تركيب الادوية المسهلة)، و (كتاب دفـع مـضار الاغذيـة)، و (كتاب السموم وعلاجها). وقد كتب له تلميذه حنين بن اسحاق (النوادر الطبية) التي ترجمـت الى اللاتينية.

- ٧٧٨ م. حملة شارلمان الفاشلة على الاندلس

## ٧٨٠ م. مولد مولد الجاحظ

ابو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ لجحوظ عينيه. موسوعي واديـب ومعتـزل عراقي. ولد بالبصرة عام ٧٨٠م وتوفي فيها عام ٨٦٨ م. نشأ في البصرة في عائلة قيل انها من اصل افريقي، ومات ابوه وهو صغير، وفكان يتكسب من بيع الخبز والاسماك في سـوق المدينة، ولكنه شغف بقراءة الكتب، وكان نهما فيها حتى كان يؤجر دكاكين الوراقين للقـراء فيها في الليل. وقد تتلمذ على ابن سيار النظام واصبح من شيوخ المعتزلـة. وزار الجـاحظ دمشق و انطاكية وربما القاهرة، ثم قرأ له المأمون بعض كتبه، فاستدعاه الى بغـداد وجعلـه على رأس ديوان رسائله. ولكن الجاحظ لم يستطع الاستمرار تحت قيود وظيفتـه، حتـى وان استمر في خدمة المأمون ثم المعتصم و الواثق ووزيرهما ابن الزيات. ولما انتهى امـر ابـن الزيات خدم الجاحظ منافسه القاضي احمد. ولكن نجم الجاحظ اخذ فـي الافـول منـذ بـدأت الخلافة تتحول عن المعتزلة. وكان الجاحظ قد انضم اليهم ودرس فلسفتهم، فعاد الى البصرة، ونسبت اليه فرقة خاصة هي (الجاحظية) وألف كتابه (الامامة على مـذهب الـشيعة)، وقـد اصيب الجاحظ في اخريات حياته بالفالج، وتوفي به وقد ناهز عمره تسعين عاما.

والى جانب جحوظ عينيه، تميز الجاحظ بالدمامة الشديدة، ولكن شخصيته كانـت قويـة وفريدة. وكان عقله موسوعيا، وربما كان علميا ايضا. اذ قيل عنه انـه كـان يجـرب فـي الحيوانات فيضعها تحت اوان زجاجية، ويسقيها الخمر، ويراقب سلوكها. وكان يبقر بطونهـا ويدرس اعضاءها الداخلية. وكان الجاحظ يميل في كتاباته الى امتاع القارىء وتـسليته الـى جانب تعليمه. والى هذا تفرد بملاحظات ذكية، حتى وام مال الى الاستطراد والحشو وافتقـر الى التبويب والتنظيم.

وقد أحاط الجاحظ إحاطة جيدة بعلوم وآداب عصره، واعتبر من من الكتاب الـواقعيين والمنهجيين ذوي الفكر الحر، والملاحظة الدقيقة والمعالجة الطريفة. وهو ممن ادلوا بـدلوهم في مواضيع كثيرة، واستطاعوا تطويع لغتهم لكل موضوع منها. وقد قيل انه ألف ٣٥٠ كتابا، اهمها (كتاب الحيوان) وهو في سبعة اجزاء. وقد بحث فيه الجاحظ شؤون الفقه والادب مثلما

بحث في العلوم ومزج كتاباته العلمية والموسوعية بحشو كثير من النثر والشعر. وقـد قـسم الجاحظ الحيوان الى حيوان يمشي ويطير ويسبح وينساح، أي يزحف. وقسم الحيوانات التـي تمشي الى فصيحة كالانسان، واعجمية، كالبهائم والسباع والحشرات. وقال انه ليس كـل مـا يعوم من الاسماك. وضرب المثل بكلاب الماء، وعنز الماء، وخنزير الماء، والرق والسلحفاة والضفدع والسرطان والتمساح والدخس والدلفين. وتناول في كتابه مواضيع كـأثر الخـصاء على الانسان والحيوان، وطريقة تكوين البيضة في الفروج، وسبب بناء الطيـور للاعـشاش، وحقيقة النوم في الحيوان الخ.َ

وللجاحظ ايضا كتاب (القول في البغال) الذي يتحدث فيه عن اصل هذا الحيوان وصفاته وحياته، ثم يستطرد، على ما فعل ايضا في (الحيوان)، وكذا في (البخلاء) و (مناظرة الغلمان والجواري)، الى احاديث جنسية خالصة.

وللجاحظ ايضا (كتاب النساء) الذي يتناول فيه الفروق البيولوجية والاجتماعيـة بيـنهن وبين الرجال. وكذا (الزرع والنحل) و (المعادن) الذي يتناول فيهما مواضيع التربة والنباتـات والحشرات. و (كتاب المسائل) الذي يبحث فيه قضايا الانسان. ورسالة (التبصير في التجـارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرقيقة والاعلاق النفيسة والجـواهر الثمينـة) الذي يعالج الشؤون الاقتصادية والتجارة واسعار السلع وطرق غشها.َ

وللجاحظ كتب ادبية كثيرة، واهمها (البيان والتبيين) و (التـاج). ومـن بـين مؤلفاتـه المفقودة لنا (كتاب الامصار وعجائب البلدان) الذي اشار اليه المقدسي باسم (المـدن العـشر الكبرى). ويقال ان الجاحظ قد حدد في هذا الكتاب منابع واحدة للنيل والسند، مـستمدا هـذه الفكرة على ما يظهر من النظرية المسيحية اليهودية القديمة التي تقول ان كل منـابع الانهـار تنبثق عن (الفردوس). وقد انكر المسعودي على الجاحظ كلامه، واتهمه البيروني من اجلهـا بالسذاجة والسطحية.َ

صفحة من كتاب ( الحيوان ) للجاحظ

**٧٨٦ م. تولي الخليفة العباسي "هارون الرشيد بن محمـد المهـدي" الخلافـة العباسية بعد أخيه موسى الهادي، والرشيد هو الخليفة الخامس من خلفاء الدولة العباسية.**

هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمـد بـن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان مولده بالري حين كان أبوه أميـرا عليهـا وعلى خرا سان في سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران وهـى أم الهـادي وفيها يقول مروان ابن أبى حفصة.

**يا خيزران هناك ثم هناك *** أمسى يسوس العالمين ابناك**

أغزاه أبوه بلاد الروم وهو حدث في خلافته.

**توليه الخلافة.**

ولي الخلافة بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في ليلة السبت السادس عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة بعد الهادي، قال الصولي. هذه الليلة ولد له فيهـا عبـد الله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة إلا هـذه الليلـة وكان يكنى أبا موسى فتكنى بأبي جعفر.

وكان ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة وله نظر جيد في الأدب والفقه، قيل إنـه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ويتـصدق مـن صلب ماله كل يوم بألف درهم.. قال الثعالبي في اللطائف قال الصولي خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار.

وكان يحب المديح ويجيز الشعراء ويقول الشعر، أسند عن معاوية بن صالح عن أبيـه قال أول شعر قاله الرشيد أنه حج سنة ولى الخلافة فدخل دارا فإذا في صدر بيت منها بيـت شعر قد كتب على حائط.

**ألا أمير المؤمنين أما ترى *** فديتك هجران الحبيب كبيرا**

**فدعا بدواة وكتب تحته بخطه.**

**بلى والهدايا المشعرات وما *** مشى بمكة مرفوع الأظل حسيرا.**

**ولداود بن رزين الواسطى فيه.**

**بهارون لاح النور في كل بلدة *** وقام به في عدل سيـرته النهـج**

**إمـام بـذات الله أصبح شغله *** فأكثر ما يعنى بـه الغزو والحـج**

**تضيق عيون الخلق عن نور وجهه *** إذا ما بدا للناس منظره البلج**

**تفسحت الآمال في جود كفه *** فأعطى الذي يرجوه فوق الذي يرجو**

وكان يقتفي آثار جده إلا في الحرص.

وقال محمد بن على الخرساني الرشيد أول خليفة لعب بالصوالجة والكرة ورمى النشاب في البرجاس و أول خليفة لعب بالشطرنج من بنى العباس.

قال الجاحظ اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة وقاضيه القاضـي أبـو يوسف وشاعره مروان بن أبي حفصة ونديمه العباس بن محمد عم والده وحاجبه الفضل بـن الربيع أتيه الناس ومغنيه إبراهيم الموصلي وزوجته زبيدة.

## حبه للعلماء.

وكان الرشيد يحب العلماء ويعظم حرمات الدين ويبغض الجدال والكلام، وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشـيد فإنـه رحـل بواديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله.

ولما بلغه موت عبد الله ابن المبارك حزن عليه وجلس للعزاء فعزاه الأكابر.

قال أبو معاوية الضرير ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد إلا قـال صلى الله على سيدي ورويت له حديثه "وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى ثم أقتـل فبكى حتى انتحب" وعن خرزاذ العابد قال حدث أبو معاوية الرشيد بحديث احتج آدم وموسـى فقال رجل شريف فأين لقيه فغضب الرشيد وقال النطع والسيف زنديق يطعن في الحديث فمـا زال أبو معاوية يسكنه ويقول بادرة منه يا أمير المؤمنين حتى سكن.

وعن أبي معاوية الضرير قال صب على يدي بعد الأكل شخص لا أعرفه فقال الرشيد تدري من يصب عليك قلت. لا. قال. أنا إجلالا للعلم.

وكان العلماء يبادلونه التقدير، روي عن الفضيل بن عياض أنه قال. ما من نفس تموت أشد علي موتا من أمير المؤمنين هارون ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره، قال فكبر ذلك علينا فلما مات هارون وظهرت الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس على القول بخلق القرآن قلنا الشيخ كان أعلم بما تكلم.

**بكاؤه عند سماع الموعظة.**

قال منصور بن عمار. ما رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة الفضيل بـن عيـاض والرشيد وآخر.

وقال عبيد الله القواريرى لما لقي الرشيد الفضيل قال له يا حسن الوجه أنت المـسئول عن هذه الأمة. وتقطعت بهم الأسباب قال. الوصلة التي كانت بينهم في الدنيا فجعل هـارون يبكى ويشهق.

روى أن ابن السماك دخل على الرشيد يوما فاستسقى فأتى بكوز فلما أخذه قـال علـى رسلك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها قال بنصف ملكي قال اشـرب هنأك الله تعالى فلما شربها قال أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشترى خروجها قال بجميع ملكي قال إن ملكا قيمته شربة ماء وبوله لجدير أن لا ينافس فيـه فبكـى هـارون الرشيد بكاء شديدا.

وقال ابن الجوزي قال الرشيد لشيبان عظني قال لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف فقال الرشيد فسر لي هذا قـال من يقول لك أنت مسئول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول

أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم فبكى الرشيد حتـى رحمه من حوله.

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها في ثالث من جمادى الآخرة سـنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس وأربعون سنة وصلى عليه ابنه الصالح قال الـصولى خلـف الرشيد مائة ألف ألف دينار ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته ألف ألف دينـار وخمسة وعشرون ألف دينار.

وقيل إن الرشيد رأى مناما أنه يموت بطوس فبكى وقال احفروا لي قبرا فحفر له ثم حمل في قبة على جمل وسيق به حتى نظر إلى القبر فقال يا ابن آدم تصير إلى هذا وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختما وهو في محفة على شفير القبر ولما مات بويع لوالده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد فأتاه الخبر فصلى الناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد إلى الناس وبايعوه.

**ولأبى الشيص يرثى الرشيد.**

**غربت في الشرق شمس فلها عيني تدمع**

**مـا رأينا قط شمسا غربت من حيث تطلع**

**وقال أبو النواس.**

**جـامـع بيـن العـزاء والهناء جترت جـوار بالسعـد والنحـس**

**فنحن في مأتم وفي عرس القلب ضاحكة فنحن في وحشة وفي أنس**

**يضـحكنـا القـائـم الأميـن ويبـكينـا وفـاة الإمـام بالأمـس**

**بدران بدر أضحى ببغداد في الخـلد وبدر بطـوس فـي الرمـس**

## ٧٨٦ م. مولد الخليل بن احمد الفراهيدى.

الخليل بن احمد الازدي الفراهيدي. اكبر علماء اللغـة والأدب العـرب فيمـا يتعلـق بتصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. هو اول من استخرج العروض وهي بحـور الشعر. تعلم على يديه سيبويه و الاصمعي وغيرهما من علماء العربية. له كتاب (العين) وهو أول قاموس عربي، وسمي كذلك لأنه رتبه ابتداء من حرف العين لكنه توفي قبل أن يكملـه. توفي في البصرة عام ٧٨٦ م.

## ٧٨٩ م. تأسيس دولة الادارسة بالمغرب

الأدارسة أسرة كبيرة من آل البيت جدها الأعلى هو إدريس بن عبـد الله الكامـل بـن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول. التجـأ إدريس، كما هو معلوم، إلى المغرب فرارا من بطش العباسيين وأسس دولته لكنه اغتيل فتولى بعده ابنه إدريس الذي كان قد تركه جنينا في بطن أمه. وعن إدريس الثـاني تنحـدر فـروع الأسرة الإدريسية المنتشرة بسائر أنحاء المغرب وبجهات أخرى من الجزائر.

ونركز اهتمامنا هنا على الأدارسة كأسرة حاكمة أي كدولة. وجودهـا يقتـرن بـالفترة ١٧٢. ٣٧٥/ ٧٨٥,٩٩٠. لكن لابد من التمييز داخل هاته الفترة بين أطوار مختلفة.

١) طور التأسيس الذي اقترن بعهد إدريس الأول (١٧٢. ١٧٧ / ٧٨٨. ٧٩٣ (أي قيـام الدولة بالتفاف فريق مهم من سكان المغرب حول إدريـس تـضمهم قبائـل كبـرى ومبايعتهم له، حسب التقاليد الإسلامية.

٢) طور الهيكلة والتنظيم ويقترن بعهد إدريس الثاني (١٧٧. ٢١٣./ ٧٩٣. ٨٢٨) حيث جرى تدعيم الدولة الناشئة باستحداث عدد من البنيات والمؤسسات كان من أهمها. بنا ء فاس واتخاذها كعاصمة للدولة ؛ واتخاذ بعض النظم الإسلامية كـالوزارة والكتابـة والقضاء والإمامة ؛ وتجريد العاصمة الجديدة من تأثير العصبيات والطـابع القبلـي، وذلك باحتضانها لفئات مهمة من السكان الوافدين من القيروان والأندلس، مما جعـل العناصر المختلفة من سكان المدينة تنصهر في وحدة بـشرية تمثـل، بوجـه عـام، التركيب السكاني الجديد الذي بدأ يعم الغرب الإسلامي انطلاقا من عهد الفتح. إضافة إلى بداية إشعاع اللغة العربية من فاس كلغة دين وثقافة ؟ ونمو رقعة المملكة بحيـث أصبحت أهم كيان سياسي بالمغرب الأقصى وكان لها اتصال مباشر بسائر النـواحي في البلاد.

٣) طور التقسيم. ترك إدريس الثاني غداة وفاته عدة أولاد منهم الكبار والصغار وتـولى أكبرهم محمد خلافته، إلا أنه اعتبر المملكة التي تركها له أبوه إرثا لا بد من توزيعـه على الورثة. هل استند في ذلك إلى المبادئ الشرعية ؟ أم هل استمع إلـى نـصيحة جدته كنزة كما تذكر بعض المصادر؟ أم هل كان المقصود من ذلـك التوزيـع هـو حضور الدولة الإدريسية بصورة مباشرة في أقاليم مختلفة ؟ ليست لدينا عناصر كافية للجواب على هذا السؤال. والذي نستطيع تأكيده هو أن التقسيم كانـت لـه سـلبيات وايجابيات. فتقسيم المملكة إلى عدة ولايات أدى إلى إضعاف السلطة المركزية ونشوء إمارات إقليمية تنزع بطبيعتها إلى الاستقلال الذاتي على أوسع مدى. وقبـل إعطـاء

مثال على المشاكل التي ترتبت عن ذلك التوزيع، من الـضروري إعطـاء صـورة إجمالية عن التوزيع.

قسم محمد بن إدريس المملكة إلى ما لا يقل عن تسع ولايات، نذكرها الآن حسب رواية القرطاس، منبهين إلى وجود اختلافات طفيفة بين المصادر التي تناولت الموضوع.

- محمد بن إدريس فاس وناحيتها.
- القاسم بن إدريس طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر وتطوان وبلاد مـصمودة ومـا والاها.
- داود بن إدريس هوارة وتسول ومكناس وجبال غياثة وتازة.
- عيسى بن إدريس شالة وسلا وأزمور وتامسنا.
- يحيى بن إدريس البصرة وأصيلا والعرائش إلى بلاد ورغة.
- عمر بن إدريس مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة.
- أحمد بن إدريمس مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا.
- عبد الله بن إدريس أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة وسوس.
- حمزة بن إدريس تلمسان وأعمالها.

تلك هي الولايات التسع التي تدل على مدى امتداد الدولة الإدريـسية شـمالا وجنوبـا وشرقا وغربا، وهي معلومات تؤكدها كل المصادر التاريخية كما تؤكدها الأبحـاث الخاصـة بتاريخ النقود الإدريسية. فالدراسة المهمة التي قام بها "دانييل اوستاش" في هذا الصدد تقدم لنا قائمة بدور السكة تعنى الأماكن التالية. أصيلا، البصرة، تدغة، تلمسان، تهليت، سبو، طنجـة، العالية، مريرة، ورغة، وازقور، واطيط، وليلي، إيكم.

لم يكن توزيع الولايات على هاته الصورة، في نية محمد بن إدريس، يهدف إلى تجريد السلطة المركزية بفاس من حقها في مراقبة الولاة الإقليميين والمحافظة على وحـدة المملكـة الإدريسية. لكن الخلاف ما لبث أن نشب بين الإخوة، إذ ثار عيسى بن إدريس، علـى أخيـه محمد، فكلف هذا الأخير أخاه القاسم الوالي على طنجة بالذهاب لمعاقبة الثائر. لكـن القاسـم رفض القيام بالمهمة. فكلف محمد عمر بها. فتوجه هذا الأخير الذي كان واليا علـى غمـارة وعزل عيسى عن ولايته كما تصدى للقاسم الذي التجأ إلى أصيلا.

لم تذكر المصادر المكتوبة أسباب الخلاف. ولكن يظهر حسب التحريات التي قام بهـا "أوستاش" أن أسباب الثورة راجع لكون محمد سحب عن الولاة رخصة سك النقـود. وكـان عيسى حاكما على منطقة وازقور التي يوجد بها معدن مهم للفضة. فلم يرضخ لهـذا القـرار

الذي يحرمه من مورد مالي مهم، عن طريق سك الدراهم. وترتب عن ذلك قراره بقطع إمداد دار السكة بفاس بمعدن الفضة.

وهكذا نشب الخلاف، إلا أنه لم يؤد، مع ذلك، إلى تقاطع. والظاهر أن الصلح وقع بعـد ذلك بين الإخوة. والجدير بالذكر هو حصول نوع من الاستقرار السياسي داخـل الإمـارات الإدريسية المنتشرة بأنحاء المغرب. فلم تسجل ثورات للسكان ولا معارضة للقبائل. هل يرجع ذلك إلى التقديس الذي حظيت به الأسرة في أعين المغاربة المعاصرين أم إلى أسباب أخرى ؟

الملاحظ هو اندماج الأسرة الإدريسية في المجتمع المغربي عـن طريـق المـصاهرة والتطبع بأخلاق أهل البلاد مما جعل السكان في مختلف الأقاليم لا يتعاملون معهـم كأجانـب ودخلاء، بل يعتبرونهم منهم ويحترمونهم ويضعونهم في الصدارة لشرف نسبهم. ويمكننـا أن نعتبر أن احترام الشرفاء كسلوك شعبي بدأ منذ ذلك العهد يتحول إلى مبدإ سياسي بعـد ذلـك بعدة قرون. ومع تكون عدة إمارات إدريسية، يصبح تاريخ الأدارسة متشعبا. وسنقتصر هنـا على ذكر أهم الأحداث والأشخاص.

٥) الأدارسة بفاس. ظلت فاس هي الحاضرة المركزية للدولة وتولى فيها عدد من الأمراء نذكرهم بالتتابع.

أ- علي بن محمد بن إدريس (٢٢١. ٢٣٤ هـ) تذكر المصادر أنه سار بسيرة أبيـه وجده وأن أيامه كانت أيام سلام ورخاء.

ب- يحيى بن محمد. أخو السابق (٢٣٤.. ٢٤٩هـ) في أيامه كثرت العمـارة بفـاس وتوافد إليها المهاجرون من جميع جهات الغرب الإسلامي، مما دعا إلـى توسـيع المدينة والبناء في أرباضها. وفي عهده بني المسجدان المشهوران. جامع الأنـدلس وجامع القرويين.

ج- يحيى بن يحيى (٢٤٩. ٢٥٢هـ) في عهده حدثت أزمة بسبب سوء سيرته وثـار عليه عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي واستولى على عدوة القرويين ومات يحيى في تلك الأثناء وجاء صهره علي بن عمر فاستولى على المدينة وتولى الإمارة.

د- علي بن عمر. لا تحدد المصادر تاريخ ولايته بعد فترة من الاسـتقرار، اصـطدم بثورة عبد الرزاق الفهري الخارجي وهزمه واضطر للالتجاء إلى أوربـة، بينمـا دخل عبد الرزاق إلى عدوة الأندلس فاستولى عليها إلا أنه صادف مقاومة من لدن عدوة القرويين التي نادى أهلها على يحيى بن القاسم بن إدريس.

ه- يحيى بن القاسم بن إدريس (المتوفى سنة ٢٩٢هـ) استطاع أن يحافظ على وجود الدولة الإدريسية بفاس حيث طرد عبد الرزاق الخارجي من عدوة الأندلس وخرج

لمقاتلة الصفرية. والظاهر أنه قضى عهده في مباشرة الحـروب إذ نجـده يـسقط صريعا في ساحة الوغى وهو يقاتل ربيع بن سليمان سنة ٢٩٢.

و- يحيى بن إدريس بن عمر (٢٩٢.. ٣٠٩ هـ) تطنب المصادر في الثنـاء عليـه. فابن خلدون ينعته أنه ´´كان أعلى بني إدريس ملكا´´ بينما يصفه روض القرطاس بقوله. ´´كان يحيى هذا أعلى بني إدريس قدرا وصيتا وأطيـبهم ذكـرا وأقـواهم سلطانا (... (وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان ومع ذلـك كـان بطلا شجاعا حازما".

إلا أن المصادر لا تذكر شيئا عن أعماله، وذلك، ولا شك، لأن أحداثا خطيـرة جـاءت لتهدد الدولة الإدريسية في وجودها. فقد قامت الدولة الفاطمية بأفريقيـة فـي أواخـر القـرن الهجري الثالث وسعت لأن تبسط سيطرتها على مجموع بلاد المغرب.

وهكذا جاء، مصالة بن حبوس المكناسي، عامل الفاطميين على المغرب الأوسط، علـى رأس جيش لمحاربة الأدارسة، وجرت بينه وبين يحيى معركة قرب مكناس انتهـت بهزيمـة الأمير الإدريسي. وبعد ما ضرب عليه مصالة الحصار بفاس، اضطر إلى الاستسلام وتوصل مع خصمه إلى صلح، أمكنه بمقتضاه أن يحتفظ بإمارته مقابل إعلانه الخضوع والتبعية للخليفة الفاطمي.

إلا أن مصالة أسند في نفس الوقت رئاسة قبيلة مكناسة بالمغرب إلى ابن عمه موسي بن أبي العافية. فاجتهد هذا الأخير منذ ذلك الوقت في القضاء على الأدارسـة. وأخـذ يحـرض مصالة على يحيى ويوغر صدره عليه. وهكذا تمكن بدسائسه من أن يحمـل مـصالة علـى اعتقال يحيى وأنصاره ثم نفاه إلى أصيلة. وانتهت حياة يحيى بمأساة إذ سجن عشرين سنة ثم مات جوعا وهو في طريقه إلى إفريقية سنة ٣٣٢ هـ.

ومنذ انهزام يحيى قام صراع مرير بين موسى ابن أبي العافية والأدارسة. فقد حـاول الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس المعروف بالحجام أن يسترجع سلطة الأدارسة، فاستولى على فاس وخرج لمحاربة موسى وانتصر عليه في جولة أولى. لكن موسى أعاد الكرة عليـه وطارده إلى فاس حيث غدر به عاملها ومات الحسن في تلك الأثناء.

خلا الجو بعد ذلك لموس ابن أبي العافية واستطاع أن يستولي على ما كان بيد الأدارسة من أراض في شمال المغرب وطاردهم وضيق عليهم الخناق حتى اضطروا إلـى الاعتـصام بحصن منيع في حجر النسر بجبال الريف. والواقع أن المأساة التي عاشها الأدارسة في تلـك الآونة راجعة إلى الصراع الكبير الذي نشب بين الخلافتـين الفاطميـة بإفريقيـة والأمويـة بالأندلس، وكان مسرح هذا الصراع بلاد المغرب، وبخاصة المغرب الأقصى.

وحاول الأدارسة أن يحافظوا على استقلالهم وحيادهم في الحرب الضروس الدائرة بين الطرفين. لكنهم، بسبب ضعفهم وبسبب الضغوط العسكرية القوية التي تعرضوا لها، تارة مـن جهة الفاطميين، وطورا من جهة الأمويين، لم يجدوا بدا من الخضوع، حسب الظروف، تـارة لأولئك وتارة لهؤلاء. ولعل ارتباطهم بالأمويين كان أقوى، نظرا لقصر المسافة بين المغـرب والأندلس، ولكون الخلفاء الأمويين ربما عاملوا زعماء الأدارسة بشيء من التقدير والاحترام. والوضع الذي عرفه الأدارسة في تلك الآونة هو نفس الوضع الذي عاشه غيرهم من زعمـاء البربر مثل موس بن أبي العافية المكناسي وأولاده.

وبرغم الاضطهاد والمضايقات التي تعرض لها الأدارسة طوال مدة لم تكن بالقـصيرة أثناء القرن الرابع، فقد برهنوا على أن وجودهم أصبح متجذرا في عدة أنحاء مـن المغـرب، وأنهم ظلوا يكونون قوة سياسية متمثلة في زعامات محلية نستطيع أن نذكر منها.

أ- بني عمر. الذين كان مقر نفوذهم في صدينة ببلاد صنهاجة جنوبي الريف. واليهم ينتسب الحموديون، الذين تولوا الخلافة بقرطبة، ثم كانوا من جملة ملوك الطوائف بالأندلس.

ب- بنى داود. الذين امتد نفوذهم في جهة وادي سبو، ومن أمرائهم حمزة بن داود.

ج- بني القاسم. ويمثلون فرعا مهما من الأسرة إذ امتد نفوذها في الهبط. فكـان لهـا مركز بالبصرة وآخر بأصيلا. ومن أبرز أمرائهم إبراهيم بن القاسم.

د- بني عيسى. الذين كان مقرهم بوازقور في جهة الأطلس المتوسط. وكانوا يتوفرون على معدن الفضة بجبل عوام.

ه- بني عبيد الله. الذي سيحل بجنوب المغرب، حيث ستنتشر ذريتـه. واليـه يعـزى تأسيس مدينتين مهمتين. تامدولت، الواقعة في قدم السفح الجنوبي للأطلس الصغير وبها معدن الفضة، وإگلي التي جعل منها عاصمته بعد اسـتيلائه علـى سـوس. وسيمتد نفوذه إلى لمطة ومشارف الصحراء جنوبا وإلى أغمات ونفـيس شـمالا. ويمكن القول إن هاته الأسرة كان لها نفوذ روحي قبل كل شـيء فـي المنطقـة المذكورة

و- ومن فروع العلويين المتصلين بالأدارسة، نذكر بني سليمان بن عبد الله وهو أخـو إدريس الأول. وتختلف الروايات في شأنه هل قتل في معركة فخ أم هل تمكن من الفرار ونجح في الوصول إلى تلمسان. ومهما يكن، فإن ولده محمد تتفق المصادر على ذكر اسمه كأمير على تلمسان وما حولها من أقاليم في المغرب الأوسط. وهو الذي قدم عليه إدريس الثاني ليستلحق إمارة تلمسان بمملكة الأدارسة، وتركه على

رأسها. وعن محمد بن سليمان تفرعت عدة فروع انتشرت بجهات مختلفـة مـن المغرب الأوسط. إلا أن المصادر تشح كثيرا، بالأخبار عن هاته الأسرة المرتبطة بالأدارسة.

## نهاية الأدارسة بالمغرب.

برغم المصائب التي توالت على الأدارسة منذ تصدى لهم موسى ابن أبي العافية، فقـد أمكنهم أن يصمدوا وأن يحافظوا على وجودهم السياسي على يد بني القاسم بن إدريس. فقـد اتفق الأدارسة على تولية القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس واستمر في إمارتـه إلـى أن توفي سنة ٣٣٧ هـ. فتولى بعده ولده أبو العيش أحمد. وتميز بالعلم والفقه والـورع. وكـان مواليا لبني أمية الذين ازداد نفوذهم توطدا بالمغرب. وفضل أبـو العـيش أن ينهـي حياتـه مجاهدا، إذ توجه للأندلس حيث استشهد في ساحة القتال سنة ٣٤٣ هـ. فكان الذي خلفه بعـد انصرافه إلى الجهاد أخوه الحسن بن گنون. وفي عهده وقع هجوم جديـد للفـاطميين علـى المغرب كان الهدف منه استرجاع سطوتهم على البلاد. فاضطر الحسن أمام قوة الهاجمين إلى التحول بولائه إلى جهة المهاجمين. لكنه لم يتخذ ذلك الموقف إلا تقية، إذ رجع بولائـه إلـى الأمويين بمجرد انصراف جيوش الفاطميين عن المغرب.

وبعد مدة، جاء جيش فاطمي آخر بقيادة بلكين بن زيري. فاضطر الحسن، مرة أخرى، إلى نفض يده من بيعة الأمويين وتجديد بيعته للفاطميين. وفي هذه المرة انضم إلـى معـسكر الفاطميين بصورة فعالة وساهم في التنكيل بأنصار الأمويين في البلاد مما أحقد عليه الخليفـة المرواني الحكم المستنصر الذي وجه جيشا كبيرا إلى المغرب للانتقام منـه وبعـد معـارك ضارية، اضطر الحسن للالتجاء إلى حجر النسر ثم للاستسلام والذهاب مع ذويه إلى قرطبـة (٣٦٣ هـ / ٩٧٤ (لكن، ما لبث أن حدثت نفرة بينه وبين الحكم بعـد سـنتين مـن إقامتـه بقرطبة. فنفاه الخليفة الأموي هو وذويه عن الأندلس فالتجأوا إلى الفاطميين بمـصر، حيـث وجدوا استقبالا حسنا وظلوا هنالك إلى غاية ٣٧٣. وحينئذ أمر الخليفة الفاطمي بتجهيز الحسن بجيش ليذهب إلى المغرب ويستعيد إمارته باسم الفاطميين. لكن المنصور بن أبي عامر بعـث لقتاله جيشا قويا. فاضطر إلى طلب الأمان. لكن المنصور لم يف له وأمر باغتياله وهو فـي الطريق إلى قرطبة (٣٧٥ / ٩٨٥). وبذلك ´´انقرضت أيام الأدارسة بالمغرب بموت الحـسن بن كنون آخر ملوكهم ´´. (القرطاس ص ٩٤).

بالرغم على التدهور الذي حصل للأدارسة طوال أزيد من قرن، يمكن القول أنهم قاموا بدور أساسي في تاريخ المغرب.

- على أيديهم تم تحويل المغرب، بصورة فعالة إلى عهد الإسلام الذي عملوا علـى نشره في أنحاء مختلفة من البلاد.
- بمبادرتهم جرت أول محاولة لتجاوز القبلية وذلك بتأسـيس دولـة علـى الـنمط الإسلامي لها حاضرتها فاس. فكان عملهم أول انطلاقة فعلية للدولة المغربية فـي التاريخ.
- مجهودهم على المستوى العمراني باستحداث مدن جديدة أو انعاش القديمـة مـع تنشيط الحركة التجارية وإنشاء عدد مهم من دور السكة في جهات مختلفـة مـن المغرب.

## تأسيس مدينة فاس

مدينة فاس هي ثالث أكبر مدن المملكة المغربية بعد الدار البيضاء والرباط بعدد سـكان يزيد عن ٩٤٦ ألف نسمة (إحصائيات ٢٠٠٤ م). تعد فاس مدينة تاريخية عريقة وهـي أول عاصمة سياسية للمغرب، أسسها المولى إدريس الأزهر سنة ١٧٢ هـ. تقسم فاس إلى أقـسام ٣، فاس البالية وهي المدينة القديمة وفاس الجديدة وقد بنيت في القرن الثالث عشر المـيلادي والـVille Nouvelle (المدينة الجديدة بالفرنسية) وقد بناها الفرنسيون إبان فتـرة الاسـتعمار الفرنسي.

اختيرت مدينة فاس كأحد مواقع التراث العالمي من قبل اليونسكو عام ١٩٨١ م. تعـد المدينة القديمة في فاس أكبر منطقة خالية من المركبات والسيارات في العالم.

## تاريخ

### مدرسة بن يوسف

يعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري، عندما قام إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة عام ١٧٢هـ الموافق لعام ٧٨٩ م ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فـاس.

وفد إلى مدينة فاس عشرات العائلات العربية من القرويين ليقيموا أول الأحياء في المدينة والذي عرف باسم عدوة القرويين. كما وفد إليها الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة من الأندلس ليكونوا حي عدوة الأندلسيين. وكان هناك حي خاص لليهود وهو حي الملاح. بعد وفاة إدريس الأول بعشرين سنة أسس ابنه إدريس الثاني المدينة الثانية على الضفة اليسرى من النهر. وقد ظلت المدينة مقسمة هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيدهما وجعلهما مدينة واحدة فصارت القاعدة الحربية الرئيسية في شمال المغرب للدول المتتالية التي حكمت المنطقة بالإضافة لكونها مركزا دينيا وعلميا في شمال أفريقيا وأسست فيها جامعة القرويين عام ٨٥٩ م التي كانت مقصد الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي وأوروبا.

كانت مدينة فاس أحد ركائز الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في شمال أفريقيا. ظلت المدينة تحت سيطرة الأمويين في الأندلس لمدة تزيد على الثلاثين عاما وتمتعت خلال تلك المدة بالازدهار الكبير. وعندما سقطت الخلافة الأموية بقرطبة وقعت مدينة فاس تحت سيطرة أمراء زناتة الحكام المحليين للمغرب في تلك الفترة، سيطر بعدها المرابطون على المدينة، وتلاهم الموحدين الذين أخذوا المدينة حصار دام تسعة أشهر ودخلوها في عام ١١٤٣ م. قام بنو مرين بالسيطرة على المدينة بعد سقوط دولة الموحدين واتخذوها مركزا لهم بدلا من مراكش، وأنشأوا مدينة ملكية وإدارية جديدة عرفت بالمدينة البيضاء. في عهد المرينيين عرفت مدينة فاس عصرها الذهبي إذ قام أبو يوسف يعقوب ببناء فاس الجديدة سنة ١٢٧٦ م وحصنها بسور وخصها بمسجد كبير وبأحياء سكنية وقصور وحدائق.

وقعت مدينة فاس تحت قبضة العثمانيين عام ١٥٥٤ م. ثم أصبحت مركزا للدولة العلوية في المغرب في ١٦٤٩ م، وبقيت مركزا تجاريا هاما في شمال أفريقيا. ظلت المدينة المصدر الوحيد للطربوش الفاسي حتى القرن التاسع عشر الميلادي، عندما بدأ يصنع في كل من تركيا وفرنسا.

في التاريخ الحديث، كانت فاس عاصمة للمملكة المغربية حتى عام ١٩١٢ م فترة الاحتلال الفرنسي والتي استمرت حتى ١٩٥٦ م وتم فيها تحويل العاصمة إلى مدينة الرباط. هاجر العديد من سكان فاس إلى المدن الأخرى وخاصة يهود المدينة، إذ أفرغ حي الملاح تماما من ساكنيه، وكان لهجرة السكان من المدينة أثرا اقتصاديا سيئا.

# بناء مسجد القرويين بفاس

## المسجد عبر العصور.

وأول من بنى جامع القرويين هو ادريس الثاني عندما تحول إلى فاس من مدينة)وليلى) ليتخذ فاس عاصمة له ومركزاً لجماعته، وذلك عام ١٩٢هـ.

وكان جامع القرويين في نشأته صغيراً بسيطاً اطلق عليه أولاً اسم جامع الشرفاء.

وكان موقعه في عدوة القرويين، في مقابل جامع الاشياخ الموجود في عدوة الأندلسيين من مدينة فاس... وليس بين أيدينا معلومات أكثر عن هذا المسجد في مرحلته الأولى هـذه... فقد قفزت المراجع التي أرخت لجامع القرويين مباشرة إلىعام ٢٤٥هـ لتذكر لنـا أن مدينـة فاس شهدت مع المغرب العربي إذ ذاك رخاء اقتصادياً واستقراراً سياسـياً فـي أوج الدولـة الادريسية، فاتسعت رقعتها، ووفد إليها الناس من عرب وبربر من كل فج عميق، مما أدى إلى تزاحم الناس في جامع القرويين، وحاجتهم الماسة إلى توسعته ليتناسب والأعداد الوفيرة التـي تؤمه كل جمعة وعيد ومناسبة.

## فاطمة بنت محمد بن عبدالله الفهري.

وكان من ضمن هؤلاء المهاجرين إلى فاس رجل عربي من القيروان اسمه محمد بـن عبدالله الفهري، كان ذا مال عريض وثروة طائلة، ولم يكن له من الأولاد سوى بنتين همـا. فاطمة ومريم، أحسن تربيتهما واعتنى بهما حتى كبرتا، فلما مات ورثته ابنتاه ورأتـا ضـيق المسجد بالمصلين أحبتا أن تخلدا ذكر والديهما بخير ما درج عليه المسلمون باتخاذ المـساجد سلماً للمجد. عمدت فاطمة بنت محمد بن عبدالله الفهري إلى مسجد القرويين فأعادت بناءه مما ورثته من أبيها عام ٢٤٥هـ، وضاعفت حجمه بشراء الحقل المحيط به من رجل من هوارة، وضمت أرضه إلى المسجد، وبذلت مالاً جسيماً برغبة صادقة حتى اكتمل بناؤه فـي صـورة بهية وحلية رصنية.

## صورة مفصلة لعمل جليل.

وينقل لنا الجزنائي شيئاً عن العمل في ذلك فيقول. فحفر في أرضه، وأخذ منها التـراب والكذان لبنائه، وحفر بها بئر لأخذ الماء لبنائه، ونصبت قبلته على نحو قبلة جـامع الـشرفاء الذي أسسه الإمام ادريس.

ويصفه لنا الدكتور السيد عبدالعزيز سالم فيقول. وكان هذا الجامع الأول يتـألف مـن قسمين. بيت الصلاة والصحن.

وكان بيت الصلاة يشتمل على أربع بلاطات عرضية تمتد من الـشرق إلـى الغـرب، تتوسطها بلاطة وسطى أكثر ارتفاعاً من البلاطات العرضية الأخرى.

وكان طول بيت الصلاة من الشرق إلى الغرب حوالي ٣٠ مترا.

ويقول الدكتور حسين مؤنس. فتضاعف حجمه، وزاد بيت الصلاة عمقاً بما أضيف إليه من العقود الجديدة (الاساكيب) ووسع الصحن أيضاً، وأعيد بناء المجنبات.

وأنشىء للجامع محراب ومنبر جديدان.

وبنيت المئذنة التي ما زالت تستوقف الأنظار - إلـى اليـوم - بارتفاعهـا الـشامخ وخطوطها الهندسية الرائعة.

## مريم... أخت فاطمة.

وقبل أن نستطرد في سرد تاريخ جامع القرويين لنا وقفة عابرة مع شقيقة فاطمة الفهرية (مريم) فإنها لم تكن بأقل من أختها ديانة وبراً بوالدها.

فكما عنيت فاطمة بجامع القرويين خير عناية فقد عنيت الأخيرة بالجامع الآخر لفـاس (جامع الاشياخ) فجددت عمارته، وأنفقت عليه من إرثها من أبيها الشيء الكثير، لتبرهن على أصالة المرأة المسلمة وثمار حسن تربيتها اليافعة.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال. (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث. صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

## في أيام بني زناته.

وظل جامع القرويين بفاس على ما بنته السيدة فاطمة الفهرية، ردحاً من الزمن إلـى أن زالت دولة الادارسة من المغرب، وقامت دولة بني زناتة، وتوطد حكمهم، فكان مما عملوه أن الأمير أحمد ابن أبي بكر وسع الجامع من الشرق مسافة خمسة عقود، ومن الـشمال مـسافة أربعة عقود فأعطت هذه الزيادة لجامع القرويين مزيداً من الاتساع والجمال.

إضافة إلى أن هذا الأمير أعاد بناء المئذنة الجميلة فأصبح كل ضلع من أضلاعها نحـو خمسة أمتار، وارتفاعها أربعة أمثال قاعدتها أي حوالي عشرين مترا، وجعل بابها من جهـة الجنوب، وبناها من الحجر المنحوت المحكم وركب على رأسها فوق القبة التي تختم المئذنـة تفاحات حجرية صغيرةً مموهة بالذهب تنتهي تبركاً بسيف الإمام ادريس الثاني الـذي أنـشأ عدوة القرويين وكساها بالقاشاني فاكتسبت جمالاً يأخذ بالألباب.

## الدور المريني.

وقد أعيد ترميم هذه المئذنة وتجديدها عام ٦٨٨هـ على يد السلطان المريني أبي يعقوب يوسف بن عبدالحق، الذي أمر قاضيه على فاس أبا عبدالله بن أبي الصبر بإصلاحها وتبييضها من أموال أعشار الروم، فأتقن هذا القاضي كسوتها بالجص والجيار وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء، ثم صقلها بعد ذلك حتى أصبحت كالمرآة المصقولة لمعاناً وملاسة.

كما أتقن نوافذ المئذنة المتخذة فيها لإنارة داخلها، وزينها بشرافات على هيئة الأهرام حتى غدت عروساً مجلية على علو شاهق وسط فاس الجميلة.

## وجهود طيبة للمرابطين.

أما جامع فاس نفسه فإنه عانى من الضيق بالناس مرة أخرى أيام دولة المرابطين، حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع والطرق المحيطة بالجامع، وكانوا يعانون من الحر صيفاً والبرد شتاء، فأمر الأمير علي بن يوسف قاضي القضاة عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطي أن يزيد في المسجد، ويعتني به بنفسه. فأضاف إلى المسجد عام ٥٢٨هـ ثلاث بلاطات فأصبحت بلاطات، بيت الصلاة عشرا، وزود المسجد بمحراب ومنبر جديدين منقوشين في غاية الاتقان، وأعاد بناء الباب الغربي الكبير المعروف بباب الفخارين (وهو الذي يسمى اليوم باب الشماعين) وبنى على الباب قبة بداخلها نقش جميل بديع، وكسى جميع أبواب المسجد بالنحاس الأصفر، وجعل فوق كل باب قبة، إضافة إلى قبة فوق المحراب زينت بنقوش الذهب واللازورد، وأضاف الأصبغة، فبهرت الناس بحسنها ولألائها، وركب في شماسات القبة (شبابيكها المزخرفة) اشكالاً رائعة من الزجاج الملون...

وقد استغرق بناء المنبر مدة طويلة من الزمن، فلم يتم في عهد القاضي عبد الحق بل أتمه من بعده القاضي عبدالملك القيسي، وقد تولى صناعته وتركيبه الشيخ أبو يحيى العتاد من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب، ويعتبر هذا المنبر من أجمل منابر الإسلام، ويرتفع بمقدار تسع درجات، وتزين جانبيه تشابكات رائعة متعددة الضلوع قوامها أشكال نجمية ذات رؤوس ثمانية.

وذكر المؤرخون أن الفقيه أبا عبدالله بن داود فرش صحن الجامع واعتنى به، وصنع بكراً وأشرطة غليظة ركبها في قلاع من شقاق الكتان في سعة الصحن، فإذا اشتدت حرارة الصيف شدت البكرات، فنصبت القلاع وظللت الصحن كله.

وقد اشترك في الأعمال المعمارية في جامع القرويين معماريون ومزخرفون اسـتقدموا من الأندلس قبل سقوطه.

## خوف من الموحدين... واخفاء للزخرفة.

ولا يفوتنا أن نورد هنا حالة خاصة لجامع القرويين في فاس تولدت من خوف أهل فاس على جامعهم من تشدد الموحدين، الذين لا يرون تزويق المساجد ولا زخرفتها ـ كمـا هـو الأصل المطلوب في الإسلام ـ فإن الموحدين لما دخلوا فاس عام ٥٤٠هـ خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن يأخذ الموحدون عليهم هذا الاسراف في النقش والزخرفة والتـذهيب بـالمحراب والقباب،.فأتى الحمامون وعمال البناء الجامع تلك الليلة على عجل، فنصبوا على ذلك الـنقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغيد، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبيـاض وذلك حتى أخفت تلك الطبقة المصطنعة وراءها كل الزخارف والتنميقات فنجت مـن أيـدي الموحدين، وحفظت للأجيال من بعدهم، وقد أزيلت تلك الطبقة عام ١٩٤٩ أي بعـد حـوالي ثمانمائة عام ونصف فظهرت النقوش والزخارف الزاهية كأنها رسمت بالأمس.

## أرقام ومعلومات.

ومن المفيد أن ننقل هنا عن الحسن الوزان ـ أحد مؤرخي المغرب ـ ما ذكـره عـن مسجد القرويين. قال.

ومساحته نحو ميل ونصف باعتبار اضافة أبنية الطلاب الملحقة به، وله ثلاثة عشر باباً ضخمة البناء، ويبلغ طول الجزء السقوف من المسجد مئة وخمسين ذراعاً، ولا يقل عرضـه عن ثمانين ذراعا.

وتحيط بالجامع من الشرق والغرب والشمال أروقة ذات أقواس عرض كل منها ثلاثون ذراعاً وطوله أربعون ذراعاً وفي أسفلها (أي أسفل الأروقـة خـزائن يـودع فيهـا الزيـت والمصابيح والحصر وغيرها).

وتوقد في الجامع في كل ليلة تسعمائة مصباح على كل قوس منهـا مـصباح. وفـوق الأقواس التي تشق وسط الجامع قبالة المحراب مائة وخمسون مصباحاً، وهناك ثريـات مـن النحاس تسع ألفاً وخمسمائة مصباح اتخذت من نواقيس نقلها بعض ملوك فاس مـن كنـائس النصارى.

## مركز اشعاع علمي رائد.

ويضيف الدكتور حسن الإبراهيم واصفاً الدورالعلمي الكبير لجامع القرويين في بث العلم ونشر المعرفة وإحياء الدين فيقول. وحول حيطان الجامع كراسي منصوبة مختلفة الأشكال، يجلس عليها العلماء المدرسون، الذين يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم، ويبدءون دروسهم قبل طلوع الشمس بساعة وينتهون في الساعة الواحدة بعد الزوال، وفي الصيف يبدءون في الساعة الثامنة مساء وينتهون في الساعة الواحدة والنصف صباحا. ويقومون بتدريس العلوم الدينية والعقلية والاجتماعية ويتقاضون رواتب عالية فوق ما يصرف لهم من الكتب والشمع للقراءة ليلا.

لقد غدا مسجد القرويين بما درج عليه منذ القديم من طرق التدريس المنهجية، ومراحل التعليم المتدرجة، وتخصيص كراسي الاستاذية، وشروط التعيين في وظائف التدريس، ومراسيم تعيين العلماء، ودرجات كل منهم، وما يمنحونه للطلبة من اجازات، مع ما احواه مسجد القرويين من مساكن للطلبة والأساتذة، وما في جوانبه من مكتبات ومراجع، وما دأب عليه من عادات وحفلات التخرج وابتداء التدريس، غدا بذلك كله جامعة حضارية عملية منذ تأسيس، قبل أن يتحول إلى جامعة دينية حديثة في الآونة الأخيرة لها نشاطها البارز المميز.

## موقع المدينة:

لموقع فاس ميزة ذات أهمية في المغرب، وهي غزارة مياهها حيث تمتص الطبقات الكلسية في الأطلس المتوسط لتكون منطقة من المياه الجوفية تتفجر منها في سهل يسمى سهل سايس ينابيع كثيرة تتجمع وتتحد لتغذي نهر فاس أو على الأصح أنهار فاس يضاف إلى ذلك الينابيع التي تتفجر من العدوات الشديدة الانحدار التي حفرها نهر فاس مسيلا له. وتمتد بمدينة فاس قنوات المياه مثل الشرايين لتصل إلى كل مسجد ومدرسة وبيت، ويتفجر فيها عيون نهر سبو وروافده. وهو ما جعل المدينة ذات موقع إستراتيجي واستطاعت أن تصمد تحت الحصارات المتتالية عبر التاريخ.

وتقع مدينة فاس في واد خصيب وكأنها واسطة العقد بين التلال المحيطة بها من كل الجهات. ويوجد قرب المدينة الغابات التي تتوفر فيها أشجار البلوط والأرز والتي يستخرج منها أخشاب عالية الجودة، وتحيط بها أراض كثيرة صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكروم والزيتون وأنواع عديدة من أشجار الفاكهة. ولكثرة بساتين البرتقال والتين والرمان والزيتون بصورة خاصة تبدو المدينة زمردية اللون محاطة بعقود من الحدائق والبساتين وبجبال خضراء داكنة متوجة بشجر الأرز والصبير وزهر عود السند. ومن

الارتفاعات العالية يبدو اللون الأخضر هو الغالب على كل الألوان بينما تتخلله نقاط بيضاء ما هي إلا الخراف والماعز والأبقار التي تنتشر في المراعي.

يوجد بفاس معالم آثرية تدل على حضارتها عبر العصور الإسلامية، ومن أهم ما بقـي من هذه الآثار السور وبواباته الثمانية (باب محروق ،باب الدكاكين، باب المكينة، بـاب أبـي الجنود، باب الفتوح، باب البرجة، باب السمارين، باب جبالة، باب الكيسة، باب سيدي بوجيدة، باب الخوخة، باب زيات، باب الحديد) بأقواسها الرائعة والنقوش والتخريم البارز فوقها والتي ترجع إلى عهد المرينين. وقد تجدد بعضها في العصور التالية ولكنها ظلت محتفظة بطابعها.

وفي داخل الأسوار تميزت المدينة بوجود عشرة آلاف بناية أصلية، وسبعين كيلو مترا من القنوات المتدفقة من مياه الوادي والعيون، وبها أربعة آلاف نافورة وسقاية. تميز المدينـة قصورها التي شيدها المرينيون على التلال التي تطل على فاس من جهـة الـشمال، وكـذلك المنازل القديمة المكونة من طابقين حولها أفنية ضيقة لكنها كسيت بحشوات مـن الفسيفـساء الخزفية، والأبواب المزخرفة بزخارف جصية محفورة، ويحاط بعـض المنـازل بالحـدائق والبساتين.

البيمارستانات. تعددت بفاس المستشفيات وكثرت، ويوجد عدد كبير من المستشفيات في خارج أبواب المدينة إلا أنها تقل جمالا عن تلك التي كانت بداخلها. وكانت هذه المستـشفيات غنية جدا إلا أنه في أيام حرب سعيد عندما كان السلطان في أشد الحاجة إلى المـال أشـاروا عليه ببيع إيراداتها وأملاكها، وبقيت المستشفيات فقيرة محرومة تقريبا من وسائل العمل. وكان بالقرب من سوق العطارين و سوق الحناء مكان يقيم به المرضى بأمراض عقلية، وكان بناؤه قديما يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني مرين، حيث بنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب هذا المارستان لما تولى الملك سنة ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م، وعهد إدارته إلى أشهر الأطباء وخصص له الأوقاف الكثيرة من العقار للصرف عليه، ولما عظم أمر المارستان واتسعت أعماله أدخـل عليه السلطان أبو عنان زيادات عظيمة. وفي سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٥ م لما أقام أهل الأنـدلس من المسلمين في فاس تولى رئاسة هذا البيمارستان طبيب من بنـي الأحمـر يـسمى فـرج الخزرجي ولذلك سمي بيمارستان فرج، فأصلح فيه وجعل الموسيقيين يعزفون أمام المرضى.

## المساجد:

انتشرت بفاس العديد من المساجد إلا أن أشهرها على الإطلاق هو جامع القرويين الذي أسس في ٨٥٧ م حيث كانت مساحته صغيرة ثم هدم وقام بتشييده علي بن يوسف المرابطـي وزاد في مساحته زيادة كبيرة، وقام بزخرفته صناع أندلسيون، وقد بنى مئذنته الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على نفقته الخاصة. وما زال مسجد القرويين يحتفظ بمنبره المصنوع من

الخشب المحفور والمطعم. وقد زود هذا المسجد بثريا فخمة وحجرة للوضوء. ومـن أجمـل الآثار الباقية جامع الأندلسيين وهو من التحف الخالدة حيث تميز بسقف المصلى، وهو أثر فني خالد بجمال نقوشه وفسيفساء نوافذه الزجاجية التي تجتمع في رسومها ألوان شتى كما تميـزه نجفته النحاسية المدلاة من السقف وجمال تخريمها وقد أعيد بناؤه في عهـد محمـد الناصـر وشيده تشيدا عظيما.

كما يوجد أيضا العديد من المساجد مثل مسجد الحمراء، ومسجد الرصيف وغيرها مـن المساجد المنتشرة في أنحاء المدينة. وجميعها لا تقل روعة معمارها عن مسجد الأندلسيين.

**بهو احد مدارس فاس التاريخية**

**احدى بوابات المدينة التاريخية**

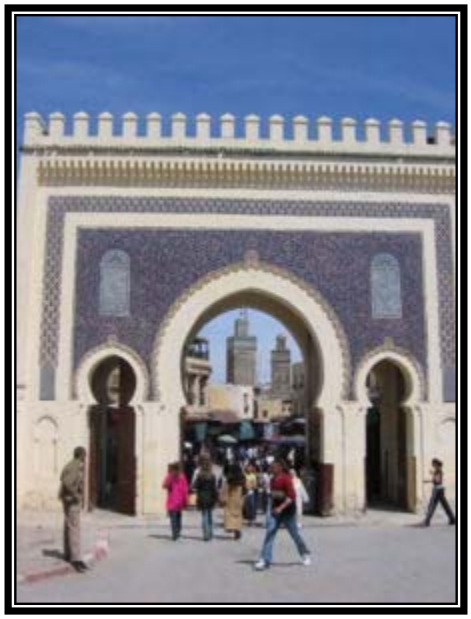

يوجد في مدينة فاس واحد من أعرق وأقدم المؤسسات العلمية وهو جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩ م بعد تأسيس المدينة بمدة (٥١) عاما. وقد بقي الجامع والجامعة العلمية الملحقة به مركزا للنشاط الفكري والثقـافي والـديني قرابة الألف سنة. وبعد أن وسعه أبو يوسف يعقوب المريني صار الجامع يستوعب (٢٢) ألف مصل. كما صار يدخل إليه من (١٧) بابا منها بابان لدخول النساء، وكان هذا الجامع الفريـد في بنائه وهندسته يضاء في عصوره الأولى بـ (٥٠٩) مصباح قائم فوق قواعد قـد يزيـد وزنها على (٧٠٠) كيلو جراما. وتعتبر جامعة القرويين في العصر الحديث أقدم جامعة ثقافية في العالم حيث تخرج فيها معظم علماء الغرب وفيها تعلم جربرت دي لوفرينه الثـاني الـذي أصبح فيما بعد سلفستر الثاني. وفيها تعلم (الصفر العربي) في علم الحساب وهو الذي نـشر ذلك في أوروبا. كما درس له في جامع القرويين أيضا ابن الشيخ الفيلسوف الرئيس موسى بن ميمون اليهودي القرطبي الذي كان من أعظم الأطباء في عصره والذي غادر الأنـدلس إلـى المشرق وعين طبيبا لصلاح الدين الأيوبي ثم عين مدرسا بالقاهرة.وفضلا عن هذا الجامع فإن فاس كانت تضم (٧٨٥) مسجدا جميعها أو معظمها كانت مدارس بالضبط كمـساجد البـصرة والكوفة تدرس فيها علوم الدين وعلوم اللغة والتاريخ وغير ذلك من العلوم ولعل مـن أكبـر مدارس فاس مدرسة السلطان أبو عنان المريني التي أسسها عام ٧٥٦هـ / ١٣٥٥ م وكان قد ألحق بها مسجدا للصلاة يتحلى بمنارة "مئذنة" لا مثيل لها في الجمال والأناقة. وتميزت فـاس بمدارسها التي بنيت حول جامع القرويين وانتشرت في أنحاء المدينة خـصوصا فـي القـرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي على يد العديد من الأمراء، وقد زينت هذه المـدارس بذوق فني رفيع ومتنوع وهي تشكل واحدة من أروع التشكيلات الزخرفية في مدينـة فـاس. ويأتي في مقدمة هذه المدارس مدرسة فاس، والمدرسة المصباحية التي أسسها أبو الحسن سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٣ م، والمدرسة التي أسسها أبو عنان وهي المدرسة الوحيدة المزودة بمنبـر ومئذنة، وغيرها كثير من المدارس. أما أقدم مدارس فاس فهي مدرسة الصفارين التـي أمـر ببنائها أبو يوسف المريني عام ٦٧٨هـ / ١٢٨٠ م وزودها بمكتبة ثرية وقد نقلت فيما بعـد إلى جامعة مسجد القرويين. وتعتبر مدرسة العطارين أصغر مدرسة في زمانها ولكنها كانـت من حيث الهندسة المعمارية من أجملها وأبهاها وكانت تقع عنـد طـرف سـوق العطـارين ومؤسسها هو السلطان أبو سيد. وكانت هذه المدارس تدرس فيها العلوم الابتدائية بـدءا مـن القرآن والكتابة والقراءة إلى مبادئ الحساب وغيرها ثم يلتحقون بعدها بالجامعة وكانت مـدة الدراسة في جامعة القرويين تستغرق بين خمسة أعوام و١٥ عاما وكان الطـلاب يختـارون بمحض إرادتهم أساتذتهم كل أستاذ حسب اختصاصه في مادة أو أكثر فيجلسون في حلق ات حول الأستاذ الذي كان يستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد.

وكان كل من السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان يهتم بتثقيف الناشـئة والأسـاتذة ويرعى شئون المسلمين رعاية بالغة وقد أعطيا كل اهتمامهما إلى تـدريس القـرآن الكـريم والحديث وعلوم اللغة. ولقد اشتهر من فاس جماعة من أهل العلم ونسبوا إليها منهم أبو عمرو عمران بن موسى الفاسي فقيه أهل القيروان في وقته. وأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمـان الشهير بابن البناء وهو أشهر رياضي في عصره، وأبو بكر محمد بن يحيـى بـن الـصائغ الشهير بابن باجة وكان ممن نبغوا في علوم كثيرة منها اللغة العربية والطب وكان قد هـاجر من الأندلس وتوفي بفاس. ومن العلماء الذين أقاموا بفاس ودرسوا بجامعتهـا ابـن خلـدون المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي الحكيم وابن مرزوق.

**٧٨٦ م. نشوب معركة "فخ" بالقرب من مكة بين العلويين والدولـة العباسـية، وانتهت بانتصار العباسيين، وقد تمكن أحد أبناء البيت العلوي "إدريس بن عبـد الله" من النجاة بنفسه، والفرار إلى المغرب الأقصى حيث نجح في إقامـة دولـة هناك، عرفت بدولة الأدارسة...**

لم تنقطع ثورات آل البيت منذ أن استشهد الحسين بن علي في معركـة كـربلاء، فـي العاشر من المحرم سنة ٦١هـ، وكانت نتيجة هذه المعركة مأساة أدمتْ قلوب المسلمين حزنًا على الحسين، ريحانة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وبعد أكثر من نصف قرن من مقتل الحسين أعلن حفيده زيد بن علي بن الحسين الثورة على الخليفة الأمـوي سـنة ١٢١هـ، وتكررت المأساة نفسها؛ فلم يكن معه من القوة والرجال ما يضمن له النجاح والظفـر، لكنـه انخدع ببيعة أهل الكوفة، حتى إذا جد الجد وظهرت معادن الرجال انفضوا عنه وتركوه يلقـى مصيره المحتوم أمام يوسف بن عمر الثقفي والي الكوفة الذي نجح في القـضاء علـى تلـك الثورة، وقتل مفجرها زيد بن علي.

ولم تنقطع ثورات العلويين بعد تولي أبناء عمومتهم العباسيين الخلافة، وإعلانهم أنهـم أحق بها منهم، وقابل العباسيون ثورات أبناء العمومة بكل شدة وقسوة، ونجـح أبـو جعفـر المنصور في القضاء على ثورة "محمد النفس الزكية"، الذي كان معروفًا بالتقوى والفضل وفي مقدمة سادات بني هاشم خلقًا وعلما وورعا، وانتهت ثورته باستـشهاده سـنة (١٤٥هـ = ٧٦٢م)، ولم تكن ثورة أخيه إبراهيم أفضل حالاً من ثورته، فلقي مصرعه في السنة نفـسها، واطمأن أبو جعفر المنصور على سلطانه، واستتب له الأمر.

## معركة فخ بالقرب من مكة:

وبعد فشل هاتين الثورتين قامت حركات لبعض العلويين في اليمن وخراسان، لكنها لـم تلقَ نجاحا، وأصابها مثل ما أصاب ما قبلها من ثورات، وعاش من بقي من آل البيت العلوي في هدوء، وربما استخفوا حتى يتمكنوا من إعداد العدة للخروج وهم مكتملو القـوة والعـدد، وظلت الأمور على هذا النحو من التربص والانتظار حتى حدث نزاع صغير بين والي المدينة المنورة وبعض رجال من آل البيت أساء التعامل معهم، وأهانهم وأغلظ القول لهم، فحرك ذلك مكامن الثورة في نفوسهم، وأشعل الحمية في قلوبهم، فثار العلويون في المدينة بقيادة الحـسين بن علي بن الحسن، وانتقلت الثورة إلى مكة بعد أن أعلن الحسين البيعة لنفسه، وأقبل النـاس عليه يبايعونه.

ولما انتهى خبر هذه الثورة إلى الخليفة العباسي موسى الهادي، أرسل جيشًا على وجـه السرعة للقضاء على الثورة، قبل أن يمتد لهيبها إلى مناطق أخرى؛ فيعجز عن إيقافها، فتحرك الجيش العباسي إلى مكة، والتقى بالثائرين في (٨ من ذي الحجة ١٦٩هـ = ١١ من يونيـو ٧٨٦م) في معركة عند مكان يسمى "فخ" يبعد عن مكة بثلاثة أميال، وانتهت المعركة بهزيمة جيش الحسين، ومقتله هو وجماعة من أصحابه.

## نجاة إدريس بن عبد الله:

**زاوية إدريس ابن عبد**

وكان ممن نجا من قادة الثائرين فـي هـذه المعركـة "إدريس بن عبد الله بن الحسن"، واتجه إلـى مـصر ومعـه خادمه راشد، وكان شجاعا عاقلاً وفيا لسيده، وظل أمرهمـا مجهولاً حتى بلغا مصر مستخفين في موكب الحجـيج، ولـم يكن اختفاؤهما أمرا سهلاً؛ فعيون الخلافة العباسـية تتبعهمـا وتقتفي أثرهما، ولم تكن لتهدأ وتطمئن قبل أن تعثـر علـى إدريس بن عبد الله حيا أو ميتًا، لكنهما نجحا في التحرك والتخفي؛ لا لمهارتهما في ذلك، ولكن لحب الناس آل البيت، وتقديم يد العون والمساعدة لهما.

ومن مصر خرج إدريس وخادمه "راشد" إلى بلاد المغرب، ويقال. إن هذا الخادم كـان بربري الأصل، وساعدهما على الخروج من مصر عامل البريد بها؛ فقد كـان متـشيعا لآل البيت، فلما علم بوجودهما في مصر قدم إليهما في الموضع الذي يستخفيان به، وحملهما على البريد المتجه إلى المغرب. وتذهب روايات تاريخية إلى أن الذي أعان إدريس على الفرار من مصر هو "علي بن سليمان الهاشمي" والي مصر، وأيا ما كان الأمر فإن إدريس لقـي دعمـا

ومساعدة لتمكينه من الخروج من مصر، سواء كان ذلك بعون من والي مصر أو من عامـل البريد.

## رحلة شاقة.

وبعد أن وصل إدريس بن عبد الله إلى برقة تخفى في زي خشن، يظهر فيـه بمظهـر غلام يخدم سيده "راشد"، ثم سلكا طريقًا بعيدا عن طريق إفريقية إمعانًا في التخفي، وخوفًا من أن يلتقي بهما أحد من عيون الدولة العباسية التي اشتدت في طلبهما، حتى وصلا إلى تلمسان سنة (١٧٠هـ = ٧٨٦م)، وأقاما بها عدة أيام طلبا للراحة، ثم استأنفا سيرهما نحـو الغـرب، فعبرا "وادي ملوية"، ودخلا بلاد السوس الأدنى، حيث أقاما بعض الوقت في "طنجـة" التـي كانت يومئذ أعظم مدن المغرب الأقصى، ثم واصلا سيرهما إلى مدينة "وليلى"، وهي بالقرب من مدينة مكناس المغربية، واستقرا بها بعد رحلة شاقة استغرقت حوالي عامين.

## في وليلى.

وبعد أن استقر إدريس في وليلى (قصر فرعون حاليا) اتصل بإسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة "أوربة" البربرية، صاحبة النفوذ والسيطرة في "وليلى"، فلما اطمـأن إليـه إدريس عرفه بنسبه، وأعلمه بسبب فراره من موطنه؛ نجاة بنفسه من بطش العباسـيين، وقـد رحب إسحاق بضيفه الكبير، وأنزله معه داره، وتولى خدمته والقيام بشأنه شهورا عديدة، حتى إذا حل شهر رمضان من السنة نفسها جمع إسحاق بن محمد إخوته وزعماء قبيلـة أوربـة، وعرفهم بنسب إدريس وبفضله وقرابته من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكرمـه وأخلاقـه وعلمه؛ فرحبوا جميعا به، وأعربوا عن تقديرهم له، وبايعوه بالخلافة في (١٤ من رمـضان ١٧٢هـ = ١٥ من فبراير ٧٨٨م)، وبعد ذلك خلع "إسحاق بن عبد الحميد" طاعة بني العباس حيث كان من ولاتهم، وتنازل لإدريس عن الحكم.

وتبع ذلك دعوة لإدريس بين القبائل المحيطة، فدخلت في دعوته قبائل. زناتة، وزواغة، وزوارة، ولماية، وسراته، وغياشة، ومكناسة، وغمارة، وباعيتـه علـى الـسمع والطاعـة، واعترفت بسلطانه، وقصده الناس من كل مكان.

استقرت الأمور لإدريس بن عبد الله، ورسخت أقدامه بانضمام كل هـذه القبائـل إلـى دعوته، ودانت له معظم قبائل البربر، وبدأ يطمح في مد نفوذه وسلطانه إلـى القبائـل التـي تعترف بحكمه، ونشر الإسلام بين القبائل التي لا تـزال علـى المجوسـية أو اليهوديـة أو المسيحية، فأعد جيشًا كبيرا زحف به نحو مدينة "شالة" قبالة مدينة الرباط، ففتحها، ثم تحـول في كل بلاد "تامسنا" فأخضعها، وأتبع ذلك بإخضاع إقليم "تاولا"، وفـتح حـصونه وقلاعـه،

وأدخل كثير من أهل هذه البلاد الإسلام، ثم عاد إلى "وليلى" للراحة والاستجمام في (آخر ذي الحجة ١٧٢هـ = مايو ٧٨٩م)، ثم عاود حملته الظافرة عازما على دعوة من بقي من قبائل البربر إلى الإسلام، ونجح في إخضاع قبائل. قندلاوة ومديونة وبهلولة وغيرها من القبائل البربرية التي كانت متحصنة بالجبال والحصون المنيعة، ثم رجع إلى وليلى في (١٥ من جمادى الآخرة ١٧٣هـ = ١٠ من أكتوبر ٧٨٩م).

## فتح تلمسان.. وبناء مسجدها

أقام إدريس بن عبد الله شهرا في وليلى، ثم عاود الفتح، واتجه ناحية الشرق هذه المرة، عازما على توسيع ملكه في المغرب الأوسط على حساب الدولة العباسية، فخرج في منتصف رجب ١٧٣هـ = نوفمبر ٧٨٩م متجها نحو تلمسان، وفي أثناء زحفه استولى على مدينة "سبتة"، ولم يكد يصل إلى "تلمسان" حتى خرج إليه صاحبها "محمد بن خرز"، وأعلن خضوعه له دون قتال، وبايع إدريس بن عبد الله، وتبعته قبائل. مغراوة وبني يفرده.

ولما دخل الإمام إدريس تلمسان أقام بها مسجدا للمدينة جامعا، وصنع منبرا جميلاً كان يحمل نقشًا يحدد تاريخ إنشائه، ونصه. بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وذلك في شهر صفر ١٧٤هـ، وهذا يعني أن إدريس أقام في تلمسان حتى هذا التاريخ، ثم كر راجعا إلى عاصمة ملكه.

ولم تكد تصل هذه الفتوحات إلى عاصمة الخلافة العباسية حتى فزع الخليفة هارون الرشيد، وشعر بالقلق والذعر من النجاح الذي يحققه إدريس بن عبد الله، الذي نجح فيما فشل فيه غيره من أبناء البيت العلوي؛ فلأول مرة ينجحون في إقامة دولة لهم بعد إخفاقات عديدة ومآس دامية، ثم اشتد خوف الخليفة العباسي حين جاءته الأخبار بعزم إدريس بن عبد الله على غزو أفريقية (تونس)، ففكر في إرسال جيش لمحاربة هذا العلوي المظفر، وبينما الرشيد على هذه الحال من القلق والاضطراب تدخلت الأقدار، وأراحته مما كان يفكر فيه، فتوفي إدريس بن عبد الله في (سنة ١٧٧هـ = ٧٩٣م) على أرجح الروايات، بعد أن نجح في تحدي الصعوبات، وأقام دولة عرفت باسمه "دولة الأدارسة" بعيدا عن وطنه بين قبائل متطاحنة تعتز بعنصريتها، وتتخذ من قوتها وسيلة لفرض سيطرتها على من حولها، نهاية الإمام إدريس

وهذه تُحسب له، وتجعله واحدا من كبار رجال التاريخ. ويضاف إليه أن المغرب مدين له في نشر الإسلام في أماكن لم يكن قد وصل إليها من قبل.

## ٧٩٥ م (١٧٩ هـ). وفاة الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجـرة، ومؤسـس المذهب المالكي، وصاحب كتاب الموطأ.

### نسبه.

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث، ينتهي نـسبه إلى عمرو بن الحارث ذي أصبع الحميري من ملوك اليمن.العربي الصريح.

ولد في ربيع الأول سنة ثلاث و تسعين من الهجرة، و لا تربطه بالصحابي انـس بـن مالك الخزرجي سوى صلة الإسلام

### نشأته و مشائخه.

بدأ الإمام مالك يطلب العلم صغيرا تحت تأثير البيئة التي نشأ فيها و تبعا لتوجيه أمه له، فقد حكي أنه كان يريد أن يتعلم الغناء فوجهته أمه إلى طلب العلم.

يقول الإمام مالك. حينما بلغت سن التعليم جاءت عمتي وقالت. اذهب فاكتـب (تريـد الحديث (. ولعلها كانت تريد أن تسترجع فيه علم جده مالك.

انطلق يلتمس العلم و حرص على جمعه و تفرغ له ولازم العديد من كبار العلماء، لعل أشدهم أثرا في تكوين عقليته العلمية التي عرف بها هو أبو بكر بن عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز المتوفى سنة ١٤٨ هـ،فقد روي عن مالك أنه قال.{{ كنت آتي ابن هرمـز مـن بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل. }}

و كذلك يعد مالك أكثر و أشهر الفقهاء و المحدثين الذين لازموا نافع مولى ابن عمر و راويتُه

يقضي معه اليوم كله من الصباح إلى المساء سبع سنوات أو ثماني، وكان ابن هرمـز يجله و يخصه بما لا يخص به غيره لكثرة ملازمته له و لما ربط بينهما من حب و تـآلف و وداد.

و أخذ الإمام مالك عن الإمام ابن شهاب الزهري و هو أول من دون الحـديث و مـن أشهر شيوخ المدينة المنورة و قد روى عنه الإمام مالك فـي موطئـه ١٣٢ حـديثا بعـضها مرسل.

كما أخذ عن الإمام جعفر الصادق من آل البيت و أخرج له في موطئه ٩ أحاديث منهـا ٥ متصلة مسندة أصلها حديث واحد طويل هو حديث جابر في الحج و الأربعة منقطعة.

وكذلك روى عن هشام بن عروة، محمد ابن المنكدر، يحي بن سعيد الأنصاري، سـعيد بن أبي سعيد المقبري و غيرهم، وقد بلغ عدد شيوخه على ما قيل ٣٠٠ من التـابعين و ٦٠٠ من أتباع التابعين.

**من صفاته.**

عرف عن الإمام مالك أنه كان قوي الحافظة، و جيد التحري في رواية الحديث مـدققا في ذلك كل التدقيق، لا ينقل الا عن الإثبات ولا يغتر بمظهر الراوي أو هيئته.

قال الإمام مالك. {{ لقد أدركت في هذا المسجد (مسجد المدينة المنورة) سـبعين ممـن يقول. قال فلان قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فما أخذت عنهم شيئا، وأن أحـدهم لـو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا عليه إلا ظانهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن. }}

لم يرحل الإمام مالك في طلب الحديث مع أن الرحلة في ذلك الوقت كانت من الـسمات المميزة لرجال الحديث، على أنه لم يخسر شيئا بعدم الرحلة، لكون المدينة المنورة كانت ملاذ العلماء ولم يخل محدث ممن رحلوا من المرور بها لزيارة القبر الشريف و لتلمس العلم مـن مكانه و الحديث من مصدره فالتقى الإمام مالك بأكثرهم و استفاد منهم.

عرف عن الإمام مالك احترامه للحديث و صاحب الحديث صلى الله عليه و سلم، حيث كان (رحمه الله) إذا أراد أن يحدث توضأ و سرح لحيته و جلس متمكنا في جلوسه على صدر فراشه في وقار و هيبة و حدث فقيل له في ذلك ؟، فقال. أحب أن أعظم حـديث رسـول الله صلى الله عليه و سلم، و لا أحدث إلا على طهارة متمكنا. وكان يكره أن يحدث في الطريـق أو وهو قائم أو يستعجل.

قال الإمام مالك. أحب أن أفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و عن ابن مبارك. كنت عند مالك و هو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فلدغته حشرة كالعقرب ست عشرة مرة، و مالك يتغير لونه و يتصبر و لا يقطع الحديث، فلما فرغ من المجلس و تفرق الناس قلت له. لقد رأيت منك عجبا ؟ فقال. نعم، انما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.

كما كان الإمام مالك يتتبع الآثار النبوية و يميل الى الأخذ برأي أهل المدينة و يتجنـب أصحاب الأهواء و أهل الفرق و يأبى كل الاباء أي انحراف عن الدين.

كان الإمام مالك جودا كريما سمح المحيا و كان مهيبا نبيلا محترم المجلس و الجلـساء حازما عن الدفاع عن الحق، يكره الجدال و اللغط و رفع الصوت خاصة في مجلس الحديث، و من كلماته.

الدنو من الباطل هلكة، و القول بالباطل بعد عن الحق، و لا خير في شيء و إن كثـر من الدنيا بفساد دين المرء و مرءته.

## وفاته.

بعد حياة عريضة حافلة توفي (رحمه الله) في ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ عـن عمـر يناهز خمسا و ثمانين سنة، حيث صلى عليه أمير المدينة عبد الله بـن محمـد بـن ابـراهيم العباسي و شيع جنازته و اشترك في حمل نعشه و دفن في البقيع (رضي الله عنه) و أرضاه.

## آثاره.

أهم مؤلفاته وأجل آثاره كتابه الشهير الموطأ وهو الكتاب الذي طبقت شـهرته الآفـاق واعترف الأئمة له بالسبق على كل كتب الحديث في عهده وبعد عهـده إلـى عهـد الامـام البخاري.

قال الإمام الشافعي. ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالـك، وفي رواية أكثر صوابا وفي رواية أنفع و هذا القول قبل ظهور صحيح البخاري.

قال البخاري "أصح الأسانيد كلها. مالك عن نافع عن ابن عمر"، وكثيرا مـا ورد هـذا الإسناد في الموطأ. قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي. الموطأ هـو الأصـل واللباب وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، و عليهمـا بنـى الجميـع كمـسلم والترمذي.

- ٧٩٦ م. وفاة الخليفة الأندلسي الحكم بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستنصر، تولى الخلافة في ٣ من رمضان ٣٥٠هـ= ١٦من أكتوبر ٩٦١م خلفًا لأبيه عبـد الرحمن الناصر، وقد ازدهرت الدولة في عهده ازدهارا عظيما.
- ٧٩٨ م. وفاة يعقوب بن إبراهيم بن حبيب المعروف بأبي يوسف، صاحب أبـي حنيفة، وأول من تولى منصب قاضي القضاة
- ٨٠٠ م. استقلال الدولة الاغلبية عن الدولة العباسية

## ٨٠٠ م. مولد الفيلسوف الكندى

يلقب الكندي بفيلسوف العرب، ويعد من الإثني عشر عبقرياً الذين هم من الطراز الأول في الذكاء وهو عالم موسوعي، فإضافةً إلى شهرته كفيلسوف، فقد كان عالمـاً بالرياضـيات، والفلك، والفيزياء، والطب، والصيدلة، والجغرافيا.

واسمه الكامل هو يعقوب بن إسحاق ابن الصباح الكندي، أبو يوسف. وهو مـن قبيلـة كنده. ويعرف عند اللاتينيين باسم Alkindus ولد بالكوفة، وكان والده أميراً عليها.

نشأ الكندي في البصرة ودرس بها، ثم أتم تحصيله على يد أشهر العلماء فـي بغـداد. وكانت له معرفة واسعة بالعلوم والفلسفة اليونانية. عاصر ثلاثة من الخلفاء العباسـيين وهـم المأمون، والمعتصم، والمتوكل. كما عاصر الإخوة الفلكيين الثلاثة بنو موسى، والفلكي سند بن علي. وقد بلغ منزلة كبيرة عند المأمون والمعتصم، حتى إن المأمون عهد إليه بترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان. كما أن المتوكل استخدمه كخطاط، لكـن نظـراً لآرائـه الفلسفية ووشاية بعض الحاسدين به، فقد أمر المتوكل بمصادرة جميع كتبه ؛ غير أنها أعيدت إليه جميعها.

## إسهاماته العلمية.

كتب أربعة كتب عن استعمال الأرقام الهندية. كما قدم الكثير في مجال الهندسة الكروية لمساعدته في دراساته الفلكية.

راقب أوضاع النجوم والكواكب ـ خاصة الـشمس والقمر ـ بالنسبة للأرض، وما لها من تأثير طبيعي ومـا ينشأ عنها من ظواهر. وأتى بآراء خطيرة وجريئة في هذه البحوث، وفي نشأة الحياة على ظهر الأرض، ممـا جعـل الكثيرين من العلماء يعترفون بأن الكندي مفكر عميق مـن الطراز الرفيع.

أما في الكيمياء فقد عارض الفكرة القائلة بإمكانيـة استخراج المعادن الكريمة أو الثمينة كالذهب، من المعـادن الخسيسة. وكتب في ذلك رسالة سماها "رسالة في بطـلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم".

أما في الفلك، فلم يكن الكندي يؤمن بأثر الكواكـب في أحوال الناس، ورفض ما يقـول بـه المنجمـون مـن التنبؤات القائمة على حركات الأجرام. ووجه اهتمامه إلـى الدراسة العلمية للفلك وعلم النجوم وأرصادها. ويعده بعض المؤرخين واحداً من ثمانية أئمة لعلوم الفلك فـي القـرون الوسطى.

**السلم الموسيقي الـذي وضـعه الكندي هو سلم الموسيقى العربية المستعمل الآن. والصورة صفحة من كتاب الموسيقى للكندي.**

وقدم الكندي في علم الفيزياء الكثير في البصريات الهندسية والفيزيولوجية، وألف فيها كتاباً كان له تأثير فيما بعد على روجر بيكون (Roger Bacon) ووايتلو (Witelo) وغيرهما.

كما أن الكندي كان مهندساً بارعاً، يرجع إلى مؤلفاته ونظرياته عند القيام بأعمال البناء، خاصة بناء القنوات، كما حدث عند حفر القنوات بين دجلة والفرات.

وتتجلى إسهاماته في الطب في محاولته تحديد مقادير الأدوية على أسس رياضية. وبذلك يكون الكندي هو "أول من حدد بشكل منظم جرعات جميع الأدوية المعروفة في أيامه".

## مؤلفاته.

ألف الكندي وشرح كتباً كثيرة، اختلف في تقدير عددها ما بين ٢٣٠، و٢٧٠، و٣٠٠ ما بين رسالة وكتاب ؛ تناولت مواضيع مختلفة منها الفلسفة، والفلك، والحساب، والهندسة، والطب، والفيزياء، والمنطق، والمد والجزر، وعلم المعادن، وأنواع الجواهر، وأنواع الحديد، والسيوف. كما كان من أوائل مترجمي مؤلفات اليونان إلى العربية.

وسنكتفي، فقط، بذكر بعض مؤلفاته، وذلك استناداً إلى ما ذكره كل من طوقان والزركلي.

- "رسالة في المدخل إلى الأرثماطيقى. خمس مقالات" ؛
- "كتاب رسالة في استعمال الحساب الهندسي. أربع مقالات" ؛
- "رسالة في علل الأوضاع النجومية" ؛
- "رسالة في صنعة الإسطرلاب" ؛
- "رسالة في التنجيم" ؛
- "إلهيات أرسطو" ؛
- "الأدوية المركبة" ؛
- "رسالة في الموسيقي" ؛
- "المد والجزر" ؛
- "السيوف وأجناسها".

وقد ترجم "جيرار الكريموني" في القرن الثاني عشر للميلاد، معظم كتب الكندي إلى اللغة اللاتينية.فكان لها تأثير كبير على تطور علوم كثيرة على امتداد عدة قرون.

## ٨٠١ م مولد يعقوب ابن السكيت

لغوى مات بسامراء ٨٥٧ م واصله من دورق بالاهواز ادب ابنـاء الطـاهريين فـى سامراء ثم ابناء المتوكل الذى اتخذه نديما له ثم قتله لتشيعه، اهم اعماله " اصلاح المنطق " و " الألفاظ والاضداد "

## مخطوطة نادرة للسكيت

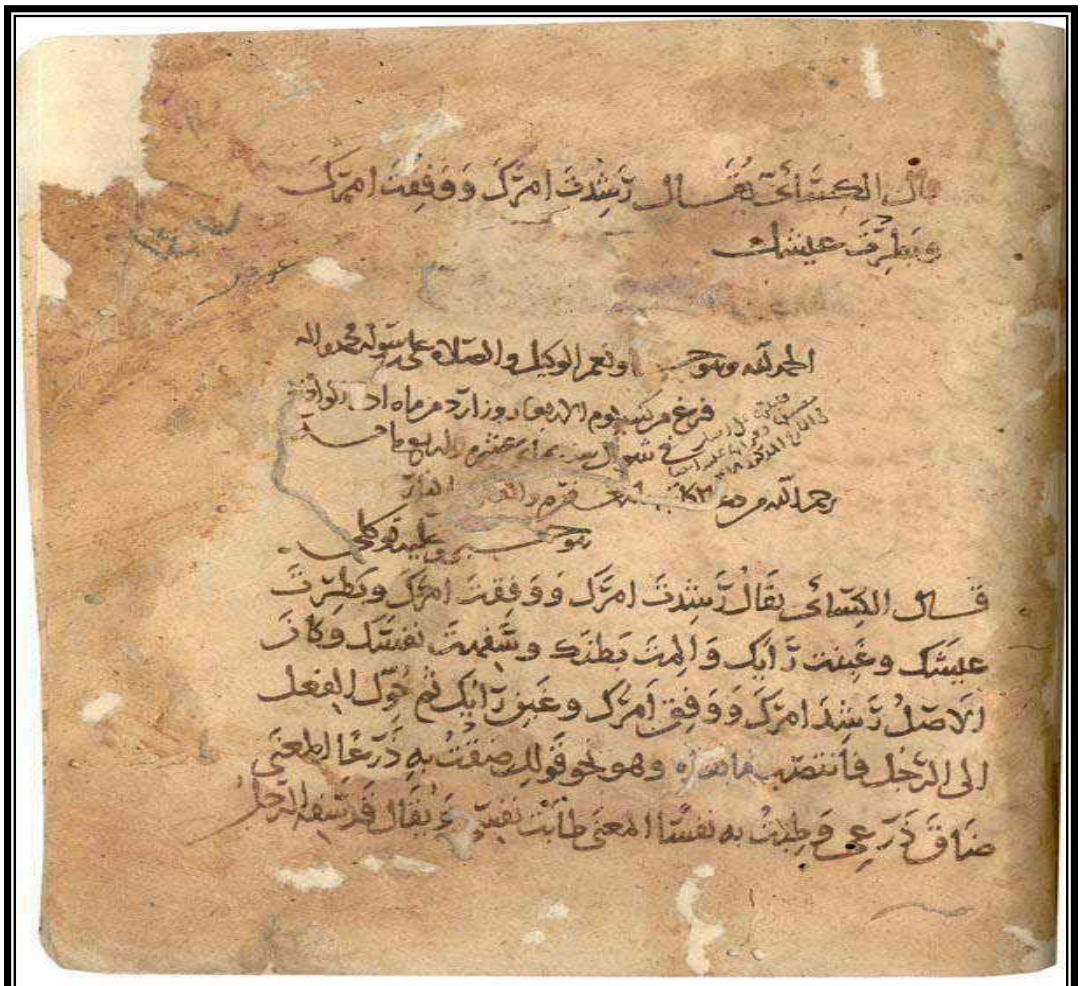

قال الكسائى يقال رشدت امرك ووفقت امرك وطرت عيشك وغبنت رايك والمت بطنك وشغمت نفسك وكان الاصل رشد امرك ووفق امرك وغبن رايك ثم حول الفعل الى الرجل فانتصب ما بعده وهو نحو قولك ضقت به ذرعا المعنى ضاق ذرعى وطبت به نفسا المعنى طابت نفسى ويقال فرشفه الرجل

إصلاح المنطق ، للسكّيت
بلدية الإسكندرية

**٨٠٣ م. مقتل جعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد، في النكبة المعروفة بـ"نكبة البرامكة" الذين كانوا يتولون شئون الدولة في مطلع الخلافة العباسـية، حيث عزلهم هارون الرشيد من مناصبهم، وقتل بعضهم بسبب اتهامهم بأسـباب متعددة ذكرها المؤرخون، منها استبدادهم بالأمر دون هارون الرشـيد، ومنهـا اتهامهم بالزندقة.**

ترجع اصول البرامكة إلى برمك المجوسي، وقد كان للبرامكة منزلة عاليه واسـتحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي ارضعته زوجة يحيى بن خالد البرمكي الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد ان اراد الخليفة الهادي بخلع هارون الرشيد.

نكبة البرامكة مصطلح يشير إلى ما وقع للبرامكة على يد الخليفـة العباسـي هـارون الرشيد من قتل وتشريد، ومصادرة أموال، وقد كانوا وزراء الدولة وأصحاب الأمر والسلطان.

والنكبة من أهم الأحداث السياسية المؤثرة في حكم هـارون الرشـيد، وفـي التـاريخ السياسي الإسلامي بشكل عام، إذ أنها كانت حلقة في سلسلة نكبـات طالـت وزراء الدولـة العباسية منذ قتل أبي مسلم الخراساني بتدبير الخليفة أبو جعفر المنصور، وقتل معظم المقربين من الخلفاء العباسيين، كآل سهل فيما بعد.

أيضاً، كان للنكبة أثر كبير، من حيث توصيفها للعلاقة بين العرب والفرس في السلطان.

## مكانة البرامكة.

كانت للبرامكة مكانة عالية في الدولة العباسية، فقد كان يحيى بن خالد البرمكي مسؤولاً عن ترلابية الرشيد، اما زوجته فقد ارضعت الخليفة هارون الرشيد، وقد قام يحيى بـن خالـد على امر وزارة الرشيد وقد فوضه الرشيد بكل الأمور. اما الفضل بن يحيى بن خالد فقد كان اخو الرشيد من الرضاعة ووكله على تربية ابنه الأمين بن هارون الرشيد.

يرجع أصل أسرة البرامكة إلى جدهم الأول برمك المجوسي، وكان من سدنة بيت النار وخدامه الكبار، ولا يذكر له إسلاما، وترتيب هذه الأسرة كما يلي.

برمك المجوسي ← خالد بن برمك [من دعاة الدولة العباسية، وتولى الوزارة في عهـد السفاح] ← يحيى بن خالد [أشهر شخصية في الأسرة، ووزير الرشيد وأبوه في الرضاعة] ← ١ ـ الفضل بن يحيى [خليفة أبيه والقائد الكبير]، ٢ ـ جعفر بن يحيى [نديم الرشـيد وسـبب

النكبة]، ٣ ـ موسى بن يحيى [القائد الحربي، أشجعهم على الإطلاق]، ٤ ـ محمد بن يحيـى [ليس له كبير ذكر، ولكنه من أسباب النكبة].

- لقد كانت أسرة البرامكة غرة على جبين الدولة العباسية، لما كان لهم من المـآثر والفضائل والسخاء الشديد، والأعمال العظيمة في الدولة، وخاصة أيـام الرشـيد؛ فالأب يحيى بن خالد كان المسئول عن تربية الرشيد، وزوجته أرضعت هـارون الرشيد، وهو الذي حافظ لهارون على ولاية العهد عندما هم الخليفة الهادي بخلـع أخيه الرشيد، وهو الذي قام على أمر وزارة الرشيد أفضل قيام حتى فوض الخليفة الرشيد له كل الأمور، أما ابنه الفضل ـ وكان أكبر أخوته ـ كان أخو الرشيد في الرضاعة والمسئول عن تربية الأمين ابن الرشيد، واستطاع أن يقضي على فتنـة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم، وولي خراسان وغيرها، واتخذ من جندها جيـشًا كبيرا تعداده ٥٠ ألف جندي، جعل ولاءهم له مباشرة، وسماهم 'العباسية'.

أما جعفر سبب النكبة فهو نديم الرشيد وخليله في المجالس، وله من الأعمـال الكبيـرة أيضا؛ فهو الذي قضى على العصبية القبلية في الشام سنة ١٨٠ هـ، ثـم جعـل لـه ولايـة خراسان والشام ومصر، وجعله مسئولاً عن تربية ابنه المأمون. أما موسى الأخى الثالث فكان كل همه القتال والغزو بحكم شجاعته الفائقة، وتولى أمر الشام سنة ١٨٦هـ، وكانـت هـذه الشجاعة أحد أسباب نكبتهم؛ حيث غار منه بعض القواد الآخرين وسعوا فيه عند الرشيد.

أما محمد الأخ الرابع فليس له ذكر معلوم في التاريخ، إلا أنه كان بعيد الهمـة، ودوره في هذه الفترة يحيطه الغموض.

- اختلف المؤرخون فيما بينهم في السبب الذي دفع الرشيد بالتخلص مـن الأسـرة البرمكية على الرغم من أعمالهم العظيمة، واختلقت روايات كاذبة عن ذلك، أجمع المحققون على بطلانها، أمثال قصة العباسة أخت الرشيد مع جعفر، ولكن نستطيع أن نلخص من خلال الروايات التاريخية المحققة الأسباب التي أدت بالبرامكة لهذه النهاية الأليمة في الآتي.

١) حادثة يحيى بن عبد الله الطالبي. الذي خرج إلى بلاد الديلم ودعا لنفسه هناك، وبايعه كثير من الناس، وقويت شوكته، وذلك سنة ١٧٦ هـ، فأرسـل إليـه الرشيد الفضل بن يحيى، واستطاع الفضل أن يستنزل يحيى بالسلام على أمان له عند الرشيد، وذلك من غير أن تهراق نقطة دم، وعد ذلك من أفضل أعمال الفضل، وبعد فترة ظهر من يحيى ما أوجب عند الرشيد نقض الأمان، فـأمر بحبسه عند جعفر بن يحيى، وفي ذات ليلة اجتمع يحيى مع جعفر، ومـا زال

به حتى أطلقه جعفر وزوده بالمال اللازم لخروجه من بغداد، فوصل الخبـر للرشيد، وكان ذلك يعد خيانة عظمى عند العباسيين لشدة خوفهم من الطالبيين، فخاف الرشيد من تآمر آل برمك مع الطالبيين من أجل إقـصاء العباسـيين، فأمر بقتل جعفر وحبس باقي الأسرة.

٢) الترف الشديد. كان البرامكة يعيشون في ترف شديد جدا، حتى أنهـم كـانوا يبنون قصورهم ويضعون على الحوائط بلاط الذهب والفضة، وبنـى جعفـر بيتًا له كلفه عشرين مليون درهم، وكان الرشيد في سفر ذات يوم، فلـم يمـر على قصر ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له. هذا لجعفر، وعندما عاد الفضل من حربه في الديلم أطلق لمادحيه ثلاثة مليون درهم. وهذا السرف جعل الرشـيد يتابعهم في الدوواوين والكتابات، فأكتشف وجود خلل كبير فـي مـصاريف الدولة.

٣) الفضل بن الربيع. وكان من موالي العباسيين، وكان شديد العـداء للبرامكـة، ويقال أنه هو الذي سعى بهم عند الرشيد، وأظهر عيوبهم، وغطى محاسـنهم، ووضع عليهم العيون، حتى استطاع أن يرصد حادثة هروب يحيى الطـالبي عند جعفر، فأخبر بها الرشيد، وزين له أن البرامكة يريدون الخلافة للطابيين.

٤) أصل البرامكة. حاول بعض المؤرخين الربط بـين أصـل البرامكـة وهـم مجوس، وبين ما حدث لهم على يد الرشيد، فيما أنهم حاولوا إظهار الزندقـة، وإعادة دين المجوس مرة أخرى، وأنهم أدخلوا النار في الكعبة حتـى تعبـد هناك، والذي ساعد على ترويج هذه الفكرة مصاحبة جعفر بن يحيى لـبعض الزنادقة أمثال أنس بن أبي شيخ الذي قتله هارون الرشيد بيده، ولكـن هـذا السبب بعيد المأخذ، ولا دليل عليه.

٥) جيش البرامكة. ولعل هذا السبب هو الأوضح والأقوى مـع حادثـة يحيـى الطالبي، وأصل هذا الجيش كما ذكرنا كونه الفضل بن يحيى من جند خراسان [وتلك البلاد معروفة تاريخيا بولائها للعباسيين، ولكن ميلهم أكثـر للطـالبيين وآل البيت]، وتعداده خمسين ألفًا جعل ولاءه له مباشرة دون غيره، ثم استقدم منهم عشرين ألفًا لبغداد وسماهم 'الكرنبية' مما حرك هواجس الرشيد، غير أنه لم يتحرك حتى جاءه خبر من والي خراسان علي بن عيسى بـن ماهـان أن السبب في اضطراب خراسان هو موسى بن يحيى من بغداد، فتحقـق الظـن عند الرشيد، واجتمعت عنده كل ما سبق من الأسباب، وعندها قرر الرشـيد عند رجوعه من الحج، وفي آخر ليلة من المحرم سنة ١٨٧ هـ ـ بالإيقـاع

بالبرامكة، فأمر بقتل جعفر وصلبه على جسر بغداد، وحبس باقي البرامكة في السجون، والاستيلاء على أموالهم وقصورهم وكل ما لديهم وسـاموهم فـي السجن سوء العذاب، وتبدل نعيمهم بؤسا، وماتوا واحـدا تلـو الآخـر فـي السجون.

ولقد ظهر من يحيى بن خالد صبر عظيم ورضا بقضاء الله وقدره، ومن عجيـب مـا يذكر في أسباب هذه الحادثة أن يحيى بن خالد كان يحج ذات مرة، فوقف عند بـاب الكعبـة، ودعا قائلاً. 'الهم إن كان يرضيك عني سلب جميع مالي وولدي وأهلي فافعل ذلك' فكان الأمر كما دعا هو بنفسه، والله أعلم بالعاقبة.

## ٨٠٦ م. وفاة يوحنا ابن البطريق

يوحنا بن البطريق. عاش في أيام المنصور، واختلف في تـاريخ وفاتـه بـين عـامي (٧٩٨و٨٠٦). وكان ممن يقـرأ علـيهم كتـاب اقليـدس، وغيـره مـن كتـب الهندسـة. ذكره القفطي فقال كان أمينا على الترجمة، حسن التأدية للمعاني، ألكن اللسان فـي العربيـة، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب، وهو تولى ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة، وتـرجم من كتب بقراط مثل حنين وغيره، ومن الكتب التي نقلها كتاب الأربعـة فـي علـم النجـوم (استخرجه في أيام المنصور، ثم نقله ثانية ابراهيم بن الصلت، وأصلح هذه النسخة حنين بـن اسحق).

ويرى أولبري أن يوحنا وضع ترجمة عربية لمؤلف في التنجيم لبطليموس، وقد كتـب عمر بن الفرخان المتوفي حوالي ٨١٥م تعليقا على هذا الكتاب، وشرحه محمد بن جابر بـن سنان ٩٢٩م.

ويروى أن يوحنا بن البطريق (أخرج قصة طيماوس لأفلاطون، وأنه ترجم أيضا كتاب أرسطو في الآثار العلوية وكتاب الحيوان ومختصرا له في النفس).

ويؤكد أولبري، أن يوحنا بن البطريق، السرياني الأصل، قد لعب دورا كبيرا في نقـل علوم الهندسة والفلسفة والطب الى العرب.

## ٨٠٧ م. وفاة العباس بن الاحنف

أبو الفضل العباس بن الأحنَف 192 - ?هـ / ؟ - ٨٠٧ م العبـاس بـن الأحنـف بـن الأسود، الحنفي (نسبة إلى بني حنيفة)، اليمامي، أبو الفضل.

شاعر غَزل رقيق، قال فيه البحتري. أغزل الناس، أصله من اليمامة بنجد، وكان أهلـه في البصرة وبها مات أبوه ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل بالبصرة.

خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يهج بل كان شعره كله غزلاً وتشبيباً، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، قال في البداية والنهاية. أصله من عرب خراسان ومنشأه ببغداد.

| | |
|---|---|
| كُنتُ أغنَى النّاس كُلّهم | عنكِ لولا الشؤم والنّكد |
| إنما أبكي على جسدٍ | قد براه الشّوقُ والكمد |
| ليتَهم إن عوقبوا بدمي | وجدوا مِثلَ الذي أجِد |
| منعوا عيني الرقاد وهم | لا يبالوني إذا رقدوا |

- ٨٠٧ م. أرسل الخليفة العباسي هارون الرشيد،هدية عجيبة إلى صديقه، شارلمان ملك الفرنجة "وكانت الهدية عبارة عن ساعة ضخمة تتحرك بواسطة قـوة مائيـة وعند تمام كل ساعة يسقط منها عدد معين من الكرات المعدنيه بعضها فـي أثـر بعض بعدد الساعات فوق قاعدة نحاسية ضخمة،فيسمع لها رنين موسيقى يـسمع دويه في أنحاء القصر.. وفي نفس الوقت يفتح باب من الأبـواب الاثنـي عـشر المؤدية إلى داخل الساعة ويخرج منها فارس يدورحول الساعة ثم يعود إلى حيث خرج، فإذا حانت الساعة الثانية عشرة يخرج من الأبواب اثنا عشر فارسـا مـرة واحدة، ويدورون دورة كاملة ثم يعودون فيدخلون من الأبواب فتغلق خلفهم، كان هذا هو الوصف الذي جاء في المراجع الأجنبية والعربية عن تلك الـساعة التـي كانت تعد وقتئذ أعجوبة الفن، وأثارت دهشة الملك وحاشيته.. ولكن رهبان القصر اعتقدأ أن في داخل الساعة شيطان يحركها.. فتربصوا به ليلا، واحضروا الـبلط وانهالوا عليها تحطيما إلا أنهم لم يجدوا بداخلها شيئا"، وتو اصل مراجع التـاريخ الرواية.. فتقول. إن العرب قد وصلوا في تطوير هذا النوع مـن الآلات لقيـاس الزمن بحيث أنه في عهد الخليفة المأمون أهدى إلى ملك فرنسا ساعة أكثر تطورا تدار بالقوة الميكانيكية بواسطة أثقال حديدية معلقة في سلاسل وذلك بدلا من القوة المائية.
- ٨٠٩ م (١٩٣ هـ). وفاة الخليفة هارون الرشيد

## ٨٠٩ م. بدء الفتنة بين الامين واخيه المأمون

اتبعت الدولة العباسية منذ قيامها نظاما أدى في نهاية الأمر إلى تفرق الكلمـة وكثـرة الصراعات وضعف دولة الخلافة العباسية، على الرغم من طول مدتها، ألا وهو نظام البيعـة لأكثر من ولي للعهد متعاقبين، فالخليفة العباسي الأول 'السفاح' أوصى لأخيـه أبـي جعفـر

المنصور ومن بعده لعيسى بن موسى ابن عمه، فلما ولي أبو جعفر أجبر عيسى على أن يخلع نفسه، وبايع لابنه المهدي، ثم كرر المهدي نفس الخطأ، وعهد للأمر من بعده لولـده الهـادي ومن بعده لولده الثاني الرشيد، فلما ولي الهادي حاول خلع أخيه الرشيد فلم يسعفه الأجل ومات قبل ذلك، فلما ولي الرشيد ارتكب نفس الخطأ ولكن بصورة أشد، أدت لحصول هذه المأسـاة؛ حيث جعل ولاية العهد لابنه الأمين رغم أنه أصغر من المأمون، لمحبتة لزبيـدة أم الأمـين، ولما أحس بخطئه أحب أن يعالجه؛ فزاد الطين بلة، حيث أعطى للمأمون امتيـازات تجعلـه مستقلاً تماما عن أخيه الأمين، ثم إنه لم يقتصر على ذلك، بل أضاف إليهما أخًا ثالثًـا، هـو القاسم، وأعطاه امتيازات الجزيرة وأرمينية، كل ذلك أدى لاشتعال نار الخلاف بين الأخـوة، وهو ما حدث بالفعل بين الأمين والمأمون.

لما مات الخليفة هارون الرشيد، قام على أمر بيعة الأمين حاجب الرشيد الفـضل بـن الربيع، فبايعه الناس والقواد ومعظم الجيش، وثقل ذلك على المأمون جدا، ولكنه دخل في بيعة أخيه على دغل عنده، وكان وزير المأمون والمقدم عنده هو الفضل بن سهل، وهو الذي زين له أمر البيعة لنفسه، ولكن أمره بالتمهل، وألا يقدم على أخيه في بغداد.

كان الفضل بن الربيع مستوليا على الأمين؛ فهو الذي قام بأمر بيعته يكره المأمون جدا، ويرى أن المأمون لو صار يوما خليفة لذهب جاهه وسلطانه ونفوذه الذي بناه عبر السنين منذ أيام الرشيد، لذلك زين للأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وعقد الولاية بالعهد لابنـه موسى بن الأمين، ولم يكن للأمين نية في خلع أخيه المأمون، ولكن الفضل بن الربيـع ظـل وراءه حتى قطع الخطبة لأخيه، وأزال اسمه من السكك والمناشير، وكان ذلك إيذانًا بالمجاهرة بالعداوة والخلاف، وبداية لحروب وأهوال طويلة بين المسلمين، أثرت فيما بعد.

أعد المأمون جيشًا كبيرا من أهل خراسان، وجعل قيادته للداهية طاهر بـن الحـسين، وأحسن تدبير الأمور جدا، فحين أعد أخاه الأمين جيشًا لمحاربة أخيه في خراسان بقيادة علي بن عيسى بن ماهان، وكان ذلك اختيارا غير موفق بالمرة، وذلك لأن علي بن عيسى هذا كان واليا على خراسان أيام الرشيد وأساء السيرة منهم جدا، وأيضا كان مغرورا ومتكبرا لأقـصى درجة، غير مبالٍ ولا يكترث بطاهر ومن معه، وهذا أدى في النهاية لهزيمة جـيش الأمـين، وقتل قائده علي بن عيسى، مما قوى جانب المأمون على الأمين، ثم أرسل الأمين جيشًا آخـر بقيادة عبد الرحمن بن جبلة، فهزم أيضا، وقتل قائده، فاضطربت الأمور على الأمين.

مما زاد موقف الأمين صعوبة، هو حدوث فتنة عصيبة في صفوف جنود الشام الـذين قدموا لنصرته، مما أدى لتفرقهم عنه، بل تطور الأمر أكثر من ذلك، فدخل بعض قادة جنـد

الشام، وهو الحسين بن علي، فخلع الأمين وبايع للمأمون، ولكنه ما لبـث أن قُتـل، وازدادت الأمور اضطرابا، وفي نفس الوقت كانت جيوش المأمون سامعة مطيعة في غاية النظام.

ثم حدث أن بايع أهل مكة والمدينة المأمون، وخلعوا الأمين لما رأوا منه من نكـصان للعهد السابق لأخيه، ولما رأوا منه من لهو ولعب واشتغال بالباطل عن أمر الخلافة، في حين أن المأمون كان يجالس العلماء والفقهاء والأدباء.

بدأت الجيوش تفد من كل الاتجاهات لحصار بغداد وإرغام الأمين على التنازل لأخيـه، وشُدد الحصار على بغداد حتى أصاب الخراب معظم ديارها، وانتشر الفزع والخوف والغلاء والمجاعة في بغداد، واجتهد الأمين في المصابرة ودفع الجيوش، ولكن الناس انفـضت مـن حوله، فلما يأس من أمره حاول أن يستأمن لنفسه عند أخيه المأمون، وذلك عن طريق القائـد هرثمة بن أعين، فلما أحس القائد الآخر ـ وهو طاهر بن الحسين ـ بالأمر، خشى أن يفوتـه الشرف والمكانة، وتضيع جهوده السابقة كلها وتنسب لهرثمة، فأمر بالاحتياط على الأمين، ثم أمر بعض جنوده من الأتراك غير العرب بقتل الأمين، فدخلوا عليه ليلة الأحد ٢٥ محرم سنة ١٩٨ هـ، وقتلوه بالسيوف، ثم احتزوا رأسه ونصب رأسه على رمح، ثم دخل طـاهر بـن الحسين بغداد، وخطب الناس خطبة بليغة مهدت الأمور للمأمون، وبتلك الفعلة الشنيعة انتهـت فصول هذه المأساة التي لم تقف عند هذا الحد، بل كانت فاتحة لسلـسلة طويلـة مـن الخلـع والخلاف بين الخفاء وولاة العهود، وسنة سيئة، وضع لبنتها الأولى الأمين والمأمون، ودفعت الأمة الإسلامية ثمنها عبر العصور اللاحقة.

**٨١٠ م. مولد أبي عبد الله محمد بـن إسـماعيل بـن إبـراهيم، المعـروف بالبخاري، أمير المؤمنين في الحديث النبوي، وصاحب الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري، أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى. وللبخاري مؤلفـات أخـرى عظيمة، يأتي في مقدمتها. التاريخ الكبير، والتاريخ الصغير، والأدب المفرد.**

**أمير أهل الحديث.**

الإمام الجليل والمحدث العظيم محمد بن إسماعيل البخاري أمير أهل الحديث وصـاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، يقول البخاري. صنفت الصحيح في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

ولم يشهد تاريخ الإسلام مثله في قوة الحفظ ودقة الرواية والصبر على البحث مع قلـة الإمكانات، حتى أصبح منارة في الحديث وفاق تلامذته وشيوخه على السواء.

ويقول عنه أحد العلماء. لا أعلم أني رأيت مثله كأنه لم يخلق إلا للحديث.

فمع سيرة البخاري ومواقف من حياته.

## نسبه ومولده.

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري وكلمـة بردزبه تعني بلغة بخارى "الزراع"

أسلم جده "المغيرة" على يدي اليمان الجعفي والي بخارى وكان مجوسيا وطلب والـده إسماعيل بن إبراهيم العلم والتقى بعدد من كبار العلماء، وروى إسحاق بن أحمد بن خلف أنـه سمع البخاري يقول سمع أبي من مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه.

ولد أبو عبد الله في يوم الجمعة الرابع من شوال سنة أربع وتسعين.

ويروى أن محمد بن إسماعيل عمي في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليـل عليه السلام فقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو كثـرة دعائـك شـك البلخي فأصبحت وقد رد الله عليه بصره.

ووهب الله للبخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدى بهـا أقوى الاختبارات التي تعرض لها في عدة مواقف.

يقول محمد بن أبي حاتم. قلت لأبي عبد الله. كيف كان بدء أمرك قال ألهمـت حفـظ الحديث وأنا في الكتاب فقلت كم كان سنك فقال عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعـد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له. إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له ارجع إلى الأصـل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي. كيف هو يا غلام؟ قلت.هو الزبير بن عدي عن إبراهيم.

فأخذ القلم مني وأحكم (أصلح) كتابه وقال. صدقت.

فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه قال ابن إحدى عشرة سنة.

ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان أبو عبـد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع فقال لنا يوما بعد ستة عشر يومـا إنكمـا قـد أكثرتما على وألححتما فاعرضا على ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد علـى خمـسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال أتـرون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

وقال ابن عدي حدثني محمد بن أحمد القومسي سمعت محمد ابن خميرويه سمعت محمد بن إسماعيل يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح

قال وسمعت أبا بكر الكلواذاني يقول ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلماء فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرة.

## طلبه للحديث.

رحل البخاري بين عدة بلدان طلبا للحديث الشريف ولينهل من كبار علماء وشيوخ عصره في بخارى وغيرها.

وروي عن البخاري أنه كان يقول قبل موته. كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث كانوا يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ونعود إلى البخاري في رحلته في طلب العلم ونبدأها من مسقط رأسه بخارى فقد سمع بها من الجعفي المسندي ومحمد بن سلام البيكندي وجماعة ليسوا من كبار شيوخه ثم رحل إلى بلخ وسمع هناك من مكبن بن إبراهيم وهو من كبار شيوخه وسمع بمرو من عبدان بن عثمان وعلي بن الحسن بن شقيق وصدقة بن الفضل. وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى وجماعة من العلماء وبالري من إبراهيم بن موسى.

وفي أواخر سنة ٢١٠هـ قدم البخاري العراق وتنقل بين مدنها ليسمع من شيوخها وعلمائها. وقال البخاري دخلت بغداد آخر ثمان مرات في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودعته يا أبا عبد الله تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان قال فأنا الآن أذكر قوله.

ثم رحل إلى مكة وسمع هناك من أبي عبد الرحمن المقرئ وخلاد بن يحي وحسان بن حسان البصري وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقي والحميدي.

وسمع بالمدينة من عبد العزيز الأويسي وأيوب بن سليمان بن بلال وإسماعيل بن أبي أويس.

وأكمل رحلته في العالم الإسلامي آنذاك فذهب إلى مصر ثم ذهب إلى الشام وسمع من أبي اليمان وآدم بن أبي إياس وعلي بن عياش وبشر بن شعيب وقد سمع من أبي المغيرة عبد القدوس وأحمد بن خالد الوهبي ومحمد بن يوسف الفريابي وأبي مسهر وآخرين.

## مؤلفات البخاري.

عد العلماء كتاب الجامع الصحيح المعروف بـ"صحيح البخاري" أصح كتاب بعد كتاب الله، ويقول عنه علماء الحديث "هو أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير من الأحاديث وذلك لأن أبا عبد الله أسن الجماعة وأقدمهم لقيا للكبـار أخـذ عـن جماعة يروي الأئمة الخمسة عنهم"

ويقول في قصة تأليفه "الجامع الصحيح "." كنت عند إسحاق بن راهويه فقـال بعـض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب"

**ويقول في بعض الروايات.**

- أخرجت هذا الكتاب من زهاء ست مائة ألف حديث.
- ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.
- ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب.

**ويروي البخاري أنه بدأ التأليف وعمره ١٨ سنة فيقول.**

"في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيـد الله بن موسى، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله في الليالي المقمرة وقل اسم فـي التاريخ إلا وله قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب، وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم فقلت. اثنـين وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوما"

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم قلت لأبي عبد الله تحفظ جميـع مـا أدخلـت فـي المصنف فقال لا يخفى علي جميع ما فيه، وسمعته يقول صنفت جميع كتبي ثلاث مرات.

## دقته واجتهاده.

ظل البخاري ستة عشر عاما يجمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمـل دؤوب، وصبر على البحث وتحري الصواب قلما توافرت لباحث قبله أو بعده حتى اليوم، وكان بعـد كل هذا لا يدون الحديث إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين.

يروي أحد تلامذته أنه بات عنده ذات ليلة فأحصى عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنـا بيـت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها.

وروي عن البخاري أنه قال. لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمله الحديث إن كان الرجل فهما، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصله ونسخته فأما الآخرون لا يبالون ما يكتبون وكيف يكتبون.

وكان العباس الدوري يقول. ما رأيت أحدا يحسن طلب الحديث مثل محمد بن إسماعيل كان لا يدع أصلا ولا فرعا إلا قلعه ثم قال لنا لا تدعوا من كلامه شيئا إلا كتبتموه.

## تفوقه على أقرانه في الحديث.

ظهر نبوغ البخاري مبكرا فتفوق على أقرانه، وصاروا يتتلمذون على يديه، ويحتفون به في البلدان.

فقد روي أن أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شابا لم يخرج وجهه.

وروي عن يوسف بن موسى المروروذي يقول كنت بالبصرة في جامعهـا إذ سـمعت مناديا ينادي يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فقاموا في طلبه وكنت معهم فرأينا رجلا شابا يصلي خلف الأسطوانة فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم فلما كان الغد اجتمع قريب من كذا كذ ألف فجلس للإملاء وقال يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون منها.

وقال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ سمعت عدة مشايخ يحكـون أن محمـد بـن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة

حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا لإسناد هذا و إسناد هذا لمتن هذا ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس فاجتمع الناس وانتدب أحـدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته فقال لا أعرفه وسأله عن آخر فقال لا أعرفـه وكـذلك حتى فرغ من عشرته فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز ثم انتدب آخر ففعل كما فعـل الأول والبخـاري يقـول لا أعرفه ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علـم أنهـم قـد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فكذا والثاني كذا والثالث كذا إلى العـشرة

فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ فكان ابـن صـاعد إذا ذكره يقول الكبش النطاح.

وروي عن أبي الأزهر قال كان بسمرقند أربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة البخاري فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وإسناد الـيمن فـي إسـناد الحرمين فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن.

وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخارى قال محمد بن إسماعيل يوما رب حديث سـمعته بالبصرة كتبته بالشام ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر فقلت له. يا أبا عبد الله بكمالـه قال. فسكت.

## وفاة البخاري.

توفي البخاري ـ رحمه الله ـ ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين وقد بلغ اثنتين وستين سنة، وروي في قصة وفاته عدة روايات منها.

قال محمد بن أبي حاتم سمعت أبا منصور غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبـو عبد الله يقول. إنه أقام عندنا أياما فمرض واشتد به المرض، فلما وافى تهيأ للركـوب فلـبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل آخذ معي يقـوده إلى الدابة ليركبها فقال رحمه الله أرسلوني فقد ضعفت فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله فسال منه العرق شيء لا يوصف فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلـك فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك فدام ذلك أياما ثم علـت سـواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره فجعل الناس يختلفون ويتعجبون وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس وغلبنا على أنفـسنا فنصبنا على القبر خشبا مشبكا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعـون مـا حول القبر من التراب ولم يكونوا يخلصون إلى القبر وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياما كثيـرة حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاتـه وخـرج بعـض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب قال محمد بن أبي حاتم ولم يعش أبو منصور غالب بن جبريل بعده إلا القليل وأوصـى أن يـدفن إلـى جنبه.

وقال محمد بن محمد بن مكي الجرجاني سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي يقـول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضـع فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت ما وقوفك يا رسول الله قال

أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرت فإذا قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

رحم الله الإمام البخاري رحمة واسعة وجزاه الله خيرا عن الإسلام والمـسلمين وعـن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

- ٨١٣ م. تولي "المأمون" خلافة الدولة العباسية بعد أخيه الأمين بن هارون الرشيد، وقد كان عهد المأمون عهد علم ورقي مما أثـرى الحـضارة الإنـسانية عامـة والإسلامية خاصة

## ٨١٣ م. مولد حنين بن اسحق

حنين بن اسحق (٨١٣-٨٧٣م). كان أبوه سريانيا من العباديين في الحيرة، وكان يشتغل بالصيدلة فلما نشأ حنين أحب العلم. ودرس الطب في مدرسة جنديسابور، وحـضر مجـالي يوحنا بن ماسويه في بغداد، غير أن يوحنا أنكر عليه تعلم الطب لأنه من أهل الحيـرة ()ولأن هؤلاء الجنديسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم، ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهـم، ويرى ماكس مايرهوف أن حنينا كره كره من استاذه ما جبل عليه من غطرسـة وكبريـاء، وصمم على تعلم اللغة اليونانية لأنه رأى فيها خير مساعد له على ارواء غلتـه مـن الثقافـة الطبية، وقد اندفع بقوة في هذا الاتجاه.

فقصد البصرة وكانت في ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية وملتقى أقطابها.

وهناك لزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي وبذلك أصبح حنين يجيد أربعا هي الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التي هي لغته الأصلية. وقد أعانه ذلـك علـى أن ينقل الكتب السريانية واليونانية الى العربية.

وحوالي سنة ٢١١ه اتصل حنين بجبريل بن يختشوع طبيب المأمون فامتدح ذكاءه، قال يوسف الطبيب. دخلت يوما على جبرييل بن يخيشوع فوجدت عنده حنينا، وقد ترجم له بعض التشريح وجبرييل يخاطبه بالتبجيل ويسميه الرهبان. فأعظمت ما رأيت، وتبين ذلك جبرييـل مني، فقال لي لا تستكثر هذا مني في أمر هذا الفتى، لئن مد له في العمر ليفضحن سـرجيس، وسرجيس هذا هو الرأس الكبير والذي نقل أغلب علوم اليونانيين الى السريانية.

يقول المؤرخ السرياني الكبير ابن العبري. ولم يزل أمره)حنين) يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر في النقـل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم، ومعدنا للفضائل. واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر باحضاره، واختاره للترجمـة وائتمنه عليها. وجعل له كتابا نحارير عـالمين بالترجمـة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا.

ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن حنينـا تـرجم الـى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابا، وتـرجم الى العربية منها تسعة وثلاثين.

**صفحة من كتاب" عشر مقـالات في العين "لحنين بن إسحاق الذي يعد نقطة انطلاق في علم الكحالة (طب العيون) عند العرب.**

كذلك ذكر أنه كان يؤلف الكتب الطبيـة والفلـسفية والفلكية بالسريانية أو يترجمها اليهـا لعلمـاء النـصارى وأطبائهم، بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها اليهـا لعلماء المسلمين.

ويذكر جميع مؤرخي ذلك العصر،أن حنينا كان يترجم الى اللغة السريانية، ثم ينقل ابنه اسحق ما يترجمه الى اللغة العربية.

ويقررأولبرى أن بعض ترجمات حنـين قـد نقحهـا فيمـا بعـد كتـاب متـأخرون. ولقد استطاع حنين بفضل تضلعه في اليونانية اضافة الى لغته الأم الـسريانية، اسـتطاع أن يوضح معاني كتب (جالينوس)، ويلخصها أحسن تلخيص، ويكشف ما استغلق منها، ويقدم لها.

فمن ذلك ما فعله في كتاب (الفصد) اذ (نقله من اليونانية الى العربية، وهذبه، وزاد فيه مقدمة فيما يجب على الطبيب اعتماده في الصنعة والعلاج، وتلاه بكلام جالينوس في الفـصد. ولم ينحصر مجال حنين في ترجمة الكتب الطبية فقد قيل أنه عرب كتاب (اقليدس)، وكتـاب (بطليموس) المسجطي- أكبر كتبه الفلكية، وأصلحها ونقحها.

كذلك عرب حنين عددا كبيرا من كتب ابقراط وارسطو، كما (جعل المنهج الكامل فـي مدرسة طب الاسكندرية في متناول أيدي الطلاب العرب، واشتمل على مجموعة مختارة مـن كتب جالين، فأفاد الأمة العربية افادة جزيلة، اذ لولا ذلك التعريب الذي قام به حنين وغيره من المترجمين السريان، لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان.

ولم يشأ حنين أن يقف عند حدود النقل والتعريب، فقد أحس قدرته على التأليف في هذه الموضوعات التي طالما اشتغل بالترجمة فيها، وقد أورد القفطي قائمة كاملة لمؤلفاتـه، وقـد

كانت باللغتين السريانية والعربية، وكانت كتبه الطبية صورة متماثلة مع الكتب الطبية اليونانية والتي استنفذ في ترجمتها أهم قسط من نشاطه في حياته العلمية.

وقد ذكر ماكس مايرهوف. أهم كتبه (تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس) وقد ترجم الى اللغة اللاتينية، (والمسائل في الطب) وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة، ثم كتاب، العشر مقالات في العين، وكتاب (المسائل في العين).

ويرى أولبري، أن الفضل في حنين يجب أن ينسب الى جنديسابور بالرغم من أن معلوماته الأوسع والأدق انما جاءته عن طريق بلاد الاغريق لأن هذه الأسفار والدراسات لم يدفعه اليها الا ما تعلمه في جنديسابور على يد ملافنة السريان وكبار علمائهم.

- ٨١٥ م. وفاة ابان بن عبد الحميد اللاحقى شاعر بصرى، عاش ببغداد، ومدح البرامكة والخليفة هارون الرشيد.
- ٨١٨ م. أهالي قرطبة يقومون بثورة عارمة ضد الأمير "الحكم بن هشام" عرفت بثورة "أهل الربض" كادت أن تزعزع الملك، وقد قابل الحكم هذه الثورة ببطش شديد، ندم عليه عند موته سنة ٢٠٦هـ ندما شديدا.
- ٨١٨ م. رحيل آلاف الأندلسيين من قرطبة بعد فشل ثورتهم ضد حكم الأمير "الحكم بن هشام" الذي بطش بالثوار بطشا شديدا، وهدم منازلهم وشردهم في الأندلس، فاتجهت جماعة منهم تبلغ زهاء ١٥ ألف إلى مصر، ثم ما لبثوا أن غادروها إلى جزيرة أقريطش كريت سنة ٢١٢هـ، وأسسوا بها دولة صغيرة استمرت زهاء قرن وثلث.

## ٨١٩ م. مولد ابن طيفور

ابو الفضل احمد بن ابي طاهر الماروزي الكاتب المقلب بابن طيفور. مؤرخ واديب وجغرافي عراقي (٨١٩م-٨٩٣م). ولد في بغداد في عائلة يرجع نسبها الى ملوك خراسان. له تصانيف كثيرة في السفر والرحلات واخبار الشعراء، ويعزى الى ابن طيفور اول مؤلف تاريخي عن بغداد هو (تاريخ بغداد)، أو (كتاب بغداد) الذي لم ينتقل الينا منه غير الجزء السادس، ولكنه كان من مصادر الطبري الأساسية. ويهتم كتاب ابن طيفور اهتماما خاصا بعصر المأمون، فيفيض فيه ويبحث في المسائل الادارية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد وفي ذلك العصر.

**٨٢٠ م. وفاة الإمام محمد بن إدريس بن العباس، المعروف بالشافعي، مؤسس المذهب الشافعي، وواضع علم الأصول، وناصر السنة. ولد بغزة، وتلقى تعليمه في مكة والمدينة وبغداد، وانتهى به المطاف في مصر، وظل بها إلى أن توفي. ترك مؤلفات عظيمة، أهمها كتابا. الأم، والرسالة.**

## إسمه و مولده و كنيته:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطّلبي الشافعي الحجازي المكي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف. ولد في سنة مائة وخمسين وهي السنة التي توفي فيها ابو حنيفة. ولد بغزة، وقيل. بعسقلان، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين.

## سيرته.

نشأ يتيما في حجر أمه في قلة من العيش، وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء، ويكتب ما يستفيده في العظام، ونحوها، حتى ملأ منها خبايا، وقد كان الشافعي في ابتداء أمره يطلب الشعر، وأيام العرب، والأدب، ثم إتجه نحو تعلم الفقه فقصد مجالسة الزنجي مسلم بن خالد، وكان مفتي مكة.

ثم رحل الشافعي من مكة إلى المدينة قاصدا الأخذ عن أبي عبد الله مالك بن أنس رحمه الله، لما قدم عليه قرأ عليه الموطأ حفظا، فأعجبته قراءته، ولازمه، وكان للشافعي رحمه الله حين أتى مالكا ثلاث عشرة سنة ثم نزل باليمن.

واشتهر من حسن سيرته، وحمله الناس على السنة، والطرائق الجميلة أشياء كثيرة معروفة. ثم ترك ذلك، وأخذ في الاشتغال بالعلوم، ورحل إلى العراق، وناظر محمد بن الحسن، وغيره، ونشر علم الحديث، ومذهب أهله، ونصر السنة، وشاع ذكره، وفضله، وطلب منه عبد الرحمن بن مهدي إمام أهل الحديث في عصره أن يصنف كتابا في أصول الفقه فصنف كتاب الرسالة، وهو أول كتاب صنف في أصول الفقه، وكان عبد الرحمن ويحيى بن سعيد القطان يعجبان به، وكان القطان، وأحمد بن حنبل يدعوان للشافعي في صلاتهما.

وصنف في العراق كتابه القديم، ويسمى كتاب الحجة، ويرويه عنه أربعة من جلة أصحابه، وهم أحمد بن حنبل،، وأبو ثور، والزعفراني، والكرابيسي.

ثم خرج إلى مصر سنة تسع وتسعين، ومائة، وقيل. سنة مائتين، ولعله قدم فـي آخـر سنة تسع جمعا بين الروايتين، وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر، وسار ذكـره فـي البلـدان، وقصده الناس من الشام، والعراق، واليمن، وسائر النواحي للأخذ عنه، وسماع كتبه الجديدة،، وأخذها عنه، وساد أهل مصر، وغيرهم، وابتكر كتبا لم يسبق إليها، منها أصول الفقه، ومنهـا كتاب القسامة، وكتاب الجزية، وقتال أهل البغي، وغيرها.

## مصنفاته.

- كتاب الأم
- رسالة في أصول الفقه
- كتاب القسامة
- كتاب الجزية
- قتال أهل البغي
- سبيل النجاة
- ديوان شعر

## وفاته.

توفي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة قال تلميذه الربيع. تـوفي الشافعي رحمه الله ليلة الجمعة بعد المغرب، وأنا عنده، ودفن بعد العصر يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وقبره بمصر.

### من أشعاره

**دع الأيام تفعل مـا تشـــاء — وطب نفسا إذا حكم القضاء**

**ولا تجزع لحـــادثة اللیـالي — فما لحوادث الدنيـا بقـــاء**

**وكن رجلا على الأهوال جلدا — وشيمتك السماحة والوفـاء**

**وإن كثرت عيوبك في البرايـا — وسرك أن يكون لها غطـاء**

**تستر بالسخـــاء فكل عيـب — يغطيه - كما قيل -السخـاء**

**ولا تر للأعـــداء قـــط ذلا — فإن شماتة الأعـــداء بـلاء**

**ولا ترج السماحة من بخيـل — فما في النار للظمآن مـــاء**

**ورزقك ليس ينقصه التـــأني — وليس يزيد في الرزق العناء**

ولا حزن يدوم ولا سـ ـرور ولا بؤس عليك ولا رخـاء

إذا ما كنت ذا قلب قنـ ـوع فأنت ومالك الدنيا سـ ـواء

ومن نزلت بساحته المنايـ ـا فلا أرض تقيه ولا سمـ ـاء

وأرض الله واسعـ ـة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

دع الأيام تغدر كل حيـ ـن فما يغني عن الموت الـدواء

## ٨٢١ م. مولد ابن خرداذبة

ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خِرداذْبة. جغرافي واديب وموسيقي فارسي (٨٢٠-٩١٢ م). ولد في اسرة كبيرة خدمت الولاة العباسيين، وكان جده مجوسيا وأسلم، ووالده واليا على طبرستان. وقد رأس ابو القاسم ديوان البريد في بعض اقاليم الدولة العباسية. وقد قيل ان مناصب ابن خرداذبة الرسمية قد حددت الى أي مدى بعيد اعماله الجغرافية والادبيـة، فكـان اول من وصف الطريق البري الى الصين، واول من ألف مصنفا جغرافيا كاملا.َ

وهو اول من شرحوا بوضوح معنى الجاذبية الارضية، اذ قال. « فالارض جاذبة لمـا في ابدانهم من الثقل، لأن الارض بمنزلة الحجر (يقصد المغناطيس) الذي يجتذب الحديـد ». وقد اهدى ابن خرداذبة كتابه (المسالك والممالك) لأحد الامراء العباسيين. وتضمن كتابه دليلا للطرق الرئيسية ووصفا للمدن التي تقع عليها. وقد جمع ابن خرداذبة مواد كتبه من الوثـائق الرسمية تحت يده ومما سبقه من المؤلفين. ولهذا فالكتاب غير متناسق، وقد اختلف فيه النقاد.َ

ويظن المستشرق والباحث (دي غويه) ان ابن خرداذبة قد اصدر طبعة الكتاب الاولـى قبل عام ٨٥٠ م، ثم اضاف اليه ونشره مرة ثانية في عام ٨٨٦م، ومع ذلك لم يصل الينا مـن طبعتي الكتاب غير ملخص لهما. ولكن تأثير ابن خرداذبة على من تبعه من جغرافيين كـان كبيرا جدا، فأخذ منه اكثرهم الى جانب المضمون اسم الكتاب ومنهجه. كذلك الف ابن خرداذبة عدة كتب في الانساب والاسمار والموسيقى والطعام والشراب، اهمها (الملاهي والاسـمار)و (كتاب الطبيخ) و (كتاب الشراب).

## ٨٢١ م (٢٠٥ هـ). بداية الدولة الطاهرية فى خراسان.

ورثت الدولة الطاهرية مناطق نفوذ الدولة الرسولية وهي معظم اليمن باستثناء منـاطق الجبال الشمالية التي تنافس عليها الأئمة الزيديون، والموطن الأصلي لبني طاهر هـو منطقـة جبن من بلاد رداع حيث كانت لهم الرياسة فيها، وقد توطدت العلاقة بين بني طـاهر ودولـة بني رسول في أواخر الدولة الرسولية بمصاهرة تمت عام ٨٣٦ هـ/ ١٤٣٢م بـين الملـك الظاهر الرسولي وابنة كبير آل طاهرالشيخ طاهر بن معوضة، ثم صار آل طـاهر ولاة لآل رسول في جهاتهم، بل وامتد حكمهم إلى عدن في فترات لاحقة، وعندما أيقن آل طاهر منـأن أمر الرسوليين إلى زوال لا محالة أعد الشيخ علي بن طاهر بن معوضة الملقب بالمجاهد الذي سيقدر له مع أخيه عامر الملقب بالظافر أن يكون أول ملوك دولة الطاهريين، أعد حملة لحرب

الملك الرسولي المسعود في عدن، ولكنه عاد من حملته خائبا ولم يتمكن مـن القـضاء علـى خصمه المسعود، ثم اعد نفسه إعدادا افضل فكرر حملته على عدن فـي العـام ٨٥٨ هـ / ١٤٥٣م وتمكن هذه المرة من طرد المسعود منها فتوجه إلى بلاد موزع ومنها إلى مدينة حيس بصحبة المماليك الذين أرادوا دخول عدن ثانية معه لكنه خلع نفسه هناك كملك، ليبقـى فـي الساحة الملك المؤيد الذي دخل عدن إثر انسحاب الطاهريين الطوعي منها إلى المقرانة مقـر حكمهم لمزيد من الاستعداد، ثم أعادوا الكرة الأخيرة في شهر رجب من العام نفسه وتمكنـوا من دخول عدن وأسر المؤيد هناك آخر ملوك دولة بني رسـول، وكـان الأخـوان المجاهـد والظافر من آل طاهر يحكمان معا دون تقدم أحدهم على الآخر،

وقد أمضى الطاهريون سني حكمهم كغيرهم من الدول التي سبقتهم في تثبيت حكمهم في تعز وعدن وجهات تهامة حيث المماليك يفرضون إرادتهم هناك بالتعاون مع بعـض القبائـل كالمعازبة، كما مد الطاهريون سلطتهم الى الشحر في حضرموت بعد ان حاول ملك الـشحر غزو عدن فردوه على أعقابه ووليها بالنيابة عن الطاهريين أسعد بن إسماعيل النهمـي، بـل وتمكن من السيطرة على صنعاء وثبت فيها نائبا له، في وقت كان الأئمة الزيديون فيه في حالة كمون إثر صراعاتهم الدامية فيما بينهم، ولم يلبث ان نشطوا ثانية فسيطروا على جهات متفرقة متعاصرين ومتقاتلين، وكانت صنعاء خاضعة لنفوذ الإمام المؤيد، وهـو مـا دعـى الملـك الطاهري الظافر إلى التحرك صوب صنعاء لاستعادتها وفي المجابهة بـين قـوات الظـافر والأمير الزيدي على صنعاء سقط الملك الظافر قتيلا في الميدان عام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٦م، وهو ما اقنع أخوه الملك المجاهد بالتخلي عن طموحه للاستيلاء على صنعاء، فتركهـا ومـا حولها للأئمة الزيديين الذين رغبوا هم أيضا عن مد نفوذهم إلى الجهات السفلى من اليمن، وبعد الملك المجاهد الذي وافته منيته عام ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨ م بعد حكم دام خمسة وعشرين سـنة قضاها في توطيد الحكم ومقاتلة المتمردين سلم الحكم لابن أخيه عبد الوهاب بن داود الطاهري الملقب بالمنصور وفي عهده انتقلت عاصمة الطاهريين من جبن برداع إلى عدن حينا وتعـز حينا آخر، أمضى الملك المنصور أحد عشر عاما في الحكم صرف معظمها في تثبيت حكمـه في جهات تهامة بالذات حيث قام بتصميم نظام لتوزيع مياه وادي زبيد بالعدل كما بنى عـددا من المدارس والمساجد واصلح ما تخرب منها، وخاف الملك المنصور عبد الوهاب ابنه عامر الذي لقب بالظافر وقد لقي معارضة من أسرته فجرت حروب كثيرة بينهما سـيطر خـصومه خلالها على حصن جبن، واخذ عامر بن عبد الوهاب يجيش من مقره في تعز ضد خـصومه وكانت الغلبة له في كل المعارك التي استنزفت الجانبين رجالا ومالا، وتمكنـت خـلال هـذه الحرب القبائل التهامية من استغلال الضعف والتمرد ثانية علـى الدولـة الطاهريـة، لكنهـا

اضطرت للخضوع ثانية بعد أن وجه إليها الملك عامر بن عبد الوهاب جيشا قضى على كـل تمرد فيها فأمنت السبل وعم السلام، وأخذ الملك عامر بن عبد الوهاب يطمح في السيطرة على صنعاء وتوحيد اليمن تحت حكمه، فتقدم إلى ذمار التي اعتبرت مدخلا للسيطرة علـى الـبلاد الواقعة تحت حكم الأئمة الزيديين وتمكن من الاستيلاء عليها عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م وبعـد ان وطد أقدامه في ذمار والجهات الساحلية تحرك الملك عامر بن عبد الوهاب عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م نحو صنعاء بجيش ضخم جدا تمكن به من حصار صنعاء ودخولها بعدئذ دخـول الفاتحين، ووقع الإمام الوشلي، الذي يسميه مؤرخ الرسوليين ابن الديبع، رئيس أهـل البدعـة ومؤسس الفتنة، وقع مع أمراء حربه أسرى ونقلوا إلى تعز حيث حددت إقامتهم، أمـا الملـك الطاهري فقد أقام في صنعاء يسير أمورها ويخضع ما تبقى من حصونها وقلاعهـا ليـسيطر على معظم اليمن، وعاد إلى تعز في العام التالي، في الوقت الذي أعلن فيه طامح جديـد مـن الأئمة هو الإمام شرف الدين نفسه إماما جديدا وأخذ يدعوا لنفسه في منطقـة الجبـال بحجـة ويبحث عن الأعوان لحرب الطاهريين الذين اعتبرهم أعداء جائرين لله، بل انه أخذ بمراسـلة من سماهم الغزاة الكرماء وهم المماليك الشراكسة الذين أخـذوا يجوبـون البحـر الأحمـر وسواحل اليمن لمجابهة قوة البرتغاليين النشطة هي الأخرى في سواحل البحر الأحمر والعربي والتي أخذت تهدد عدن وجزيرة كمران،

وقد لعبت رسالة الإمام شرف الدين لقائد قوات المماليك حسين الكردي المـرابط فـي جزيرة كمران دورا في التعجيل بنهاية الطاهريين، فقد طلب القائد المملوكي من الطاهريين ان يجهزوا معه قوة لمحاربة البرتغاليين الغازين للسواحل الإسلامية، إلا ان الطاهريين رأوا عدم إجابة هذا الطلب، وعلى إثر ذلك قرر المماليك النزول بقواتهم إلى السواحل اليمنيـة لمقاتلـة الطاهرية وهو بالضبط ما أراده الإمام شرف الدين، وقد نزل المماليك إلى الـساحل اليمنـي بأسلحتهم الجديدة مثل المدافع والبنادق والتي لا عهد للناس بها وهي البنادق التي وصفها ابـن الديبع ووصف فزع الناس منها،، ودارت الحرب بين الطاهريين من جهـة والمماليـك ومـن تعاون معهم مثل الإمام شرف الدين وبعض القبائل من جهة أخرى، وقد كانت المعارك مع ما يرافقها من سلب ونهب سجالا تخللتها حالات مفاوضات وصلح قصير الأمد، مع خلافات بين أفراد القوة الغازية، وكانت ساحات القتال بلاد تهامة وتعز ورداع والمقرانة وصنعاء، وكانـت آخر المعارك بين الطاهريين وخصومهم من الغزاة وأعوانهم قرب صنعاء لقي فيهـا الملـك الظافر عامر بن عبد الوهاب حتفه وذلك عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م ، بعد حكم دام ثلاثة عقـود لتنتهي بموته الدولة الطاهرية بعد خمس وستين عاما، ولم يبقى من الدولة الطاهرية إلا جيـب عدن الذي تمكن الأمير عامر بن داود الطاهري من الاحتفاظ به حتى قضى عليـه الأتـراك

بعدئذ، ومن ابرز منجزات الظافر عامر بن عبد الوهاب المعمارية بناءه لمسجد العامرية فـي رداع والذي الحق به مدرسة أخذت تواصل نشر العلم بعد ان جاب إليها العلماء من كل مكان، ولا يزال هذا المسجد بزهوه الفني المعماري قائما إلى اليوم، خاصة بعد ترميمه في الـسنوات الأخيرة وهو ما أعاد إلى المسجد رونقه وبهاءه،

- ٨٢٣ م (٢٠٧ هـ). وفاة المؤرخ الكبير محمد بن عمر الواقدي، من أكثر الناس علما بالمغازي والسير، ولد بالمدينة وتعلم على علمائها، ثم انتقـل إلـى بغـداد واستقر بها حتى تُوفي، نال شهرة واسعة في فنون التاريخ. له مؤلفـات كثيـرة، أشهرها كتاب المغازي

## ٨٢٦ م. مولد ثابت بن قرة

ابو الحسن بن مروان (زهرون (بن ثابت بن زكرايا بن ابراهيم بن كرارا بن مارينوس بن سالايونوس. مترجم وفيلسوف ورياضي وفلكي وطبيب تركي. ولد في حران بتركيا عـام ٨٢٦م، وتوفي في بغداد عام ٩٠١م. نشأ في حران من اصل يوناني، وعمل فيهـا صـرافا، ولكنه حوكم لاعتناقه بعض الآراء الحرة، وخير بين انكارها او مبارحة المدينة. فترك حـران هائما حتى قابله بنو موسى بن شاكر، وكانوا في طريق عـودتهم الـى بغـداد بعـد شـراء مخطوطات الروم، فلما رأوا معرفته بالعلوم ومهاراته في اللغات اليونانية والسريانية والعربية اخذوه معهم الى بغداد، فخدمهم، ثم قدموه الى الخليفة المعتضد الذي الحقه بمنجميه.َ

وقد درس ثابت بن قرة العربية في بغداد، وتحول بعد ذلك لدراسـة الطـب والفلـسفة والترجمة، فبرز فيه جميعا، وقد قيل ان مقامه عند المعتضد كان كبيرا جدا، حتى كان يجلسه الى جانبه ويترك وزيره واقفا. وقيل ان اصل صلته القوية به يعود الى مواساته له وزياراتـه المتكررة له كل يوم عندما غضب والد المعتضد عليه وسجنه، فانتهز ابن قرة الفرصة واخـذ يعلمه الفلسفة والطب، وقد لاذ بابن قرة في بلاط المعتضد وفي بغداد كثيرون من اهله وابنـاء مدينته، فحماهم وساعدهم جميعا. ولكن فقد ابن قرة كثيرا من نفوذه بعد وفاة المعتضد، وقيـل انه تحول الى الاسلام.َ

وقد ألف ثابت بن قرة في نظرية الاعداد المتحابة، واتم قياسات القطع المكافئ والاجسام الفراغية المتولدة عنه، وحسب طول السنة النجمية، فوجدها ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و٩ دقائق و١٠ ثوان (أي اكثر من الواقع بنصف ثانية (. وحسب ميل دائرة البروج على دائـرة خـط الاستواء، فوجده ٢٣ درجة و ٣٣ دقيقة، ولاحظ ان هذا الميل يتغير مع الايام. وقد قال ابـن قرة بحركتين لنقطة الاعتدال. مستقيمة ومتقعرة. وترجم ابن قرة وألف عشرات الكتب، وذكر القفطي انها تزيد على سبعين، وقيل انها ١٥٠ كتابا اكثرها في الرياضيات والطبيعة والفلك.َ

وقد ترجم ابن قرة لابولونيوس وجالينوس وارشميدس واقليدس وبطليموس. وعـارض الكندي في رسالة كتبها بالسريانية وقد اثنى عليها اسحاق بن حنين. وصحح ابن قـرة لابـن حنين كتابيه (العناصر (لاقليدس، و (المجسطي (لبطليموس.َ

وقد ألف ابن قرة (المدخل الى المجسطي)، و (تسهيل المجسطي). وكتاب (مقدمة لعلـم الاعداد لنيكوماخوس)، وهو احد المصادر الاساسية في هذا العلم عند المـسلمين، و (كتـاب الكرة والاسطوانة)، و (قياس الدائرة)، و(في العمل بالكرة)، و (في قطع الاسطوانة). وتـرجم لابولونيوس (المخروط)، ولاقليدس (المدخل)، وقدم حلولا هندسية لبعض المعادلات التكعيبية.َ

ومن كتبه ايضا (كتاب في المسائل الهندسية)، و (كتاب في المربع وقطره)، و (كتـاب في الشكل الملقب بالقطاع)، و (كتاب في المخروط المكافئ)، و (كتاب في تـصحيح مـسائل الجبر بالبراهين الهندسية). ومن مؤلفاته في الفلك (كتاب في الهيئة)، و(كتـاب فـي تركيـب الافلاك)، و (كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج)، و (كتاب في علة الكسوف)، و (كتاب في طبائع الكواكب وتأثيرها)، و (مقالة في حساب خسوف القمر والشمس).

وألف ابن قرة في الطب (كتاب الذخيرة) الذي ربما كان اهم مؤلفاته، و(كتاب في اوجاع الكلى والمثاني)، و (كتاب في المولودين سبعة اشهر)، (كتاب في اجناس ما تنقـسم الادويـة اليه)، و (كتاب في اجناس ما توزن به الادوية). وترجم لجالينوس (جوامع الادوية المفـردة)، و (الامراض الحادة)، و و (تشريح الرحم)، و (تفسير جالينوس لكتاب ابقراط فـي الادويـة والمياه والبلدان). وله ايضا كتاب (الموسيقى) الذي يضم خمسة عشر فصلا. وله بالـسريانية كتابات كثيرة دينية في الاعتقاد والابتهال وتكفين الموتى وغيرها. ومن مؤلفاته الدينية (رسالة في اعتقاد الصابئين)، و (رسالة في الرسم والفروض والعبادات).َ

## ٨٢٧ م. فتح صقلية على يد اسد بن الفرات

ترجع صلة العرب بصقلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان، فقد أرسل إليها سميه معاوية بن خديج الكندي، فكان أول عربي غزاها، ثم لم تزل تغزى حتى فتحها الأغالبة، وكان معاوية بن أبي سفيان، كما قال البلاذري، يغزو براً وبحراً، وهو أول من أسس أسـطولاً إسـلامياً، ووجه إلى صقلية أيضاً عبد الله بن قيس بن مخلد الدزقي فأصاب منها أصنام ذهـب وفـضة مكللة بالجواهر، ووجه بها معاوية إلى البصرة ثم إلى الهند لتباع هناك، وأغزى جنادة بن أمية الأزدي أيضاً جزيرة رودس ففتحها، وأقام المسلون بها سبع سنين في حصن اتخذوه لهم. وقد استرد يزيد بن معاوية جيش المسلمين وعادت الجزيرة الكبرى صقلية وما حولها إلى الحكومة البيزنطية. وكان من حسنات معاوية أنه أقام في الجزر التي فتحها جاليات إسلامية، وبنى فيها مساجد، وترك مقرئين يعلمون ويقرئون القرآن، هذا مع أن فتوحه كانت جزئية.

وتوقفت غزوات المسلمين البحرية بعد معاوية، وشغلت الدولة بحـروب داخليـة مـدة كبيرة، ولما هدأت الأحوال بها لم يكن غزوها البحري نشيطاً، وكانت نهاية موسى بن نـصير نهاية له وللإسلام وللدولة الإسلامية، ولكن البحريين من المسلمين في الشرق وفـي إسـبانيا ناوشوا جزر البحر الأبيض وشواطئ أوروبا، ولم تأت أعمالهم بفتـوح ذات قيمـة تاريخيـة ولكنهم لفتوا أنظار هذه البلاد إلى قوة العرب..

## فتح صقلية..

كان قد مضى على صقلية ثلاث قرون وهي تحت حكم الدولة البيزنطية، وكانت سنين عجافاً سادها الفقر الفكري، وترتب على سيادة الجهل وجمود الأذهان. تفرق بـين الـسكان، فكان كبار الملاك والتجار يتبادلون المكايد وينشطون في دس الدسائس وبث أسـباب العـداء، وكان من بين هؤلاء الكبار في المال والصغار في النفس رجل يدى إيو فيموس (Euphemius) وكان مغيظاً من حاكم الجزيرة، فرأى الانتقام منه أن يستعين بالأمير الأغلبي الثالـث، وهـو زيادة الله، في غزو الجزيرة والقضاء على الحكم البيزنطي كله. وتردد الأمير الأغلبـي فـي بادئ الأمر في غزو بلاد مهادن له، وكان على رأسه القاضيان المسنان. ابـن الفـرات وأبـو محرز. وكان ابن الفرات متحمساً لهذا الغزو مستدلاً بالآية القرآنية. «فلا تهنوا وتدعوا إلـى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم». وكان ابن الفرات فقيهـاً مالكيـاً طالـت رحلته وتنقلاته في الشرق، وتلقىالفقه المالكي والحنفي، وجعل من مدونتي مالك وابن القاسـم وآرائه الخاصة مدونة فقهية باسمه، وكان أيضاً محارباً شجاعاً، ورأى زيـادة الله أن يجعلـه على رأس هذه الحملة، ويظهر أن إخلاصه في الجهاد أضفى على الجيش كله روح التضحية وحب الاستشهاد. ووصل الجمع إلى ميناء مزارا التي في جنوب الجزيرة، فألقى ابن الفـرات فيهم خطبة لم تشر إلى شيء من الحرب والغنائم كما فعل طارق بن زياد عندما نزل جيـشه بأرض الأندلس بل حثهم فقط على التقوى وتحصيل العلوم.

استهل خطبته بالشهادة، وأقسم لجيشه أنه ما كان من آبائه من ولي جيشاً، ثـم قـال. «فأجهدوا أنفسكم، وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه، وكاثروا عليه واصبروا على شدته، فإنكم تنالون به خيري الدنيا والآخرة..» والخطبة بوجه عام توحي بالزهد، وتؤذن بأن الـدنيا تخضع لذوي العلم والدين.

لم يكن فتح هذه الجزيرة هيناً ولا سريعاً، مع أن الحملة كان بها سبعون سفينة عليهـا عشرة آلاف مقاتل، وسبعمائة فرس، ولكنها اعتمدت على الحصار، وشـقت طريقهـا إلـى باليرمو Palermo، فاتخذها عاصمة، وهي في مستعمرة فينيقية، فجعلوها قاعدة حربية توجـه

منها الحملات، وأخذت الجزيرة تسقط تدريجياً في أيديهم، ولم يتم فتحها نهائياً إلا في العهد الفاطمي.

## صقلية بعد الفتح..

صارت صقلية بعد فتحها إمارة أغلبية، يتولى أمرها والٍ من قبلهم، وكان الأغالبة في نزاع ومناوشات مستمرة مع الدولة الفاطمية التي نشأت بالمغرب، وتريد الزحف نحو الشرق، وكان هناك أقوى بين المذهبين السني والشيعي، وكان ذلك ينعكس على جزيرة صقلية، وكان بين سكانها نزاع بين العرب والبربر من قبل.

ونوجز القول فنقول. إن الفاطميين تغلبوا على بني الأغلب في إفريقية، وحلوا محلهم في متسهل القرن الحادي عشر الميلادي، ثم انتزعوا منهم صقلية، وهي على انقسامها وتفرقها، فاضطروا إلى إعمال الشدة، فشهدت الجزيرة أياماً قاسية سوداً، حتى عين الخليفة المنصور الفاطمي الحسن بن علي بن أبي الحسن والياً عليها، فبدأ عهداً جديداً عرف بعهد الكلبيين، والذي امتد قرناً من الزمان، كانت الدولة فيه كلبية فعلاً وإن لم تنقطع عن الفاطميين، ولم يدم هذا العهد طويلاً، ولسنا بسبيل الأسباب التفصيلية لسقوط الكلبيين، غير أن نهاية عهدهم كانت بداية فوضى واضطراب، وتقسمت الجزيرة الصغيرة إلى دويلات وأشتات قبائل وأحزاب، وعادوا جميعاً بعد الإسلام كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعضهم. وكان بين رؤوسهم رجل يدعى ابن الثمنة ففعل فعلة أيو فيميوس وطلب تدخل النورمانديين، فوجدوا الجزيرة فريسة سهلة، فاستولوا عليها وضموها إلى جنوب إيطاليا، وبذا انتهى العهد الإسلامي في هذه الجزيرة بعد قرنين ونصف قرن أو ما يزيد عن ذلك ببضعة عشر عاماً.

وكان موقف المسلمين في صقلية كموقف المسلمين في إسبانيا، إذ ترقبوا نجدة من الدول الإسلامية، وعلى الأخص بني زيري الذين خلفوا الفاطميين على غرب إفريقية، ولكن لم يمد أحد لهم يد المساعدة، فاضطروا إلى التسليم والاستسلام.

## أثر الفتح الإسلامي لصقلية.

دخل النورمانديون صقلية فأدهشهم ما نقلها المسلمون إليه من رقي وحضارة. لقد بذلوا جهداً في ترقيتها في كل جوانب الحياة حتى بدا الفرق بينها وبين الدول التابعة لبيزنطة بعيداً جداً، شيدوا مبانٍ عظيمة، ونشطوا وسائل التجارة، وعملوا على استصلاح الأراضي وزرعها، وأدخلوا أنواعاً من النباتات ومن الحيوانات لم يكن للأوروبيين بها عهد ولا علم، إلى جانب ذلك كله وجدوا فنوناً راقية وأدباً عالياً، وعديداً من المساجد بها حلقات التعليم، تبدأ بتعليم الكتابة العربية والقرآن الكريم، وتنتهي بدراسات عليا في علوم كثيرة دينية وغير دينية.

وهكذا تقدم ورقي في كل شيء. إن الفرق واسع جداً بين ما وجد العرب صقلية عليه بعد خروج البيزنطيين، وبين ما وجدها عليه النورمانديين بعد خروج المسلمين.

كان النورمانديين على حظ من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، لهذا لم يفعلوا بآثار المسلمين ما فعل بها الإسبان. فهناك –وهذا بعد تنصير صقلية بزمن بطويل- أفتى القسس بأن المسلمين رجس وآثارهم نجس لا يطهره إلا إحراقه بالنار، حتى الجدران أفتوا بهدمها وإحراقها، وبهذا تأخرت حضارة إسبانيا ثمانية قرون حقاً، أما هؤلاء فرأوا الإبقاء والمحافظة على حضارة العرب، وحاكوهم واستفادوا من كل ما تركوا إلا الدين الإسلامي، فقد كانت عداوة الإسلام، وعلى الأصح، كانت الصورة التي قرت في أذهانهم عنه مما يصعب محوه، ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمانديون الإسلام واتخذوه ديناً لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمناً وأبقى.

## العهد العربي النورماندي.

أطلق على هذا العهد اسم «العهد العربي النورماندي».. ذلك لأن مظاهر الحياة العربية ظلت بادية على كل شيء فيه حتى على حياة الملوك والحكام، وحتى على كنائس النصارى ومنازلهم، وعلى نسائهم وأطفالهم، واستمر ذلك كله أكثر من قرن ونصف القرن، وحقق ذلك ما قيل من أن المسلمين انتصروا في ميدان العلم والحضارة حين هزموا في ميادين الحرب والأعمال العسكرية.

وقبل أن نوضح جوانب هذا الانتصار، نشعر بسؤال تعجبي يبدوا أمامنا يضطرنا أن نوضح إجابة أولاً.

كيف حقق المسلمون ذلك كله وعهدهم كان مليئاً بالنزاع والخلافات المذهبية والعنصرية؟ وقد حكموا مدة لم تكمل ثلاثة قرون بثلاثة أنواع من الحكومات، أو على وجه الدقة بأربعة، وكانت كل حكومة تخالف الأخرى وكل واحدة لها أتباع يتعصبون لها ضد الآخرين؟

هناك أمران جديران بملاحظة كل مؤرخ أو باحث في تاريخ صقلية.

أولهما. أن هذه الجزيرة فتحت باسم الدين الإسلامي، وأول وصاة من أول قائد كانت تدعو إلى العلم وتحصيله، وظل حكامها المختلفون المتنازعون يعملون على التوسع في بناء المساجد وتشجيع الدعوة الإسلامية بمعناها الواسع الكبير، فلم يكن ثمة عائق للحركة العلمية

واستمرار الآداب والفنون في ازدهارها، ولم يملوا الإقامة في صقلية إلا في الأيام الأخيـرة، وقبيل الغزو النورماندي.

والأمر الثاني. أن المسلمين دخلوا هذه الجزيرة وهم فـي أوج ازدهـارهم ورقـيهم الحضاري، وكان المشارقة قد ترجموا من علوم الأمم الأخرى، ودرسوا وابتكروا شيئاً كثيراً، فكانت البلاد الأوروبية التي دخلها المسلمون تتلقى ثماراً ناضجة وعلوماً قد آتت أكلهـا فـي جوانب الفكر والحضارة، ولم تكن صقلية منقطعة عن الشرق، كما لم تكن إسبانيا منقطعة، بل كانت رحلات الحج وطلب العلم ولقاء العلماء مما يغذي تيارات الثقافة بهـا، فظـل النـشاط الثقافي والحضاري بها مستمراً متجدداً.

وقد أعطانا ابن حوقل الذي زار باليرمو في عهد الكلبيين صورة عما شاهده فيها مـن كثرة المساجد، فقال. «إنها كانت نيفاً وثلاثمائة مسجداً، وإنه عد في مـساجد الـسنيين سـتة وثلاثين صفاً، في كل صف نحو مائتي شخص، وكان بمدارسها العمومية ثلاثمائـة مـدرس، كانوا يمتازون بالصلاح والتقوى، ومن أعظم الناس رقياً وحسن مظهر.» كما ذكر. «أنه كان بجوار مسجد الشيخ القفصي –الفقيه المالكي- فرأى على مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره، وبعضها في مقابلة الآخر لا يفصلها إلا عرض الطريـق، وعلـم أن القـوم لتباهيهم وتفاخرهم كان كل واحد يحب أن يكون له مسجد باسمه، وربما كان أخوان دورهمـا متلاصقة، ولكل واحد منهما مسجده الخاص به»، وكثرة المساجد اسـتلزمت كثـرة الدراسـة وسعة التعليم مما جعل بعض الباحثين يؤكد أن صقلية الإسلامية لم يكن فيها شخص أمـي لا يقرأ ولا يكتب أو يحفظ حظاً من القرآن، وهذا سر ما نجده من كثرة العلماء وما نقرؤه مـن أسماء من ينتسبون إلى صقلية..

## النورمانديون.. أنصار الثقافة العربية.

ورث النورمانديون هذه الحضارة فلم يسعهم إلا الخضوع لها والاقتباس منها، وبـرز بين الحكام أنصار الثقافة العربية (روجر الأول) فاتح الجزيـرة، وابنـه (روجـر الثـاني)، وسماهما ابن خلدون في تاريخه باسم (روجار)، والملك (فريدريك الثاني ووليم الثاني).

لم يكن روجر الأول مثقفاً ولكن كان ذا تسامح، ورأى أن يستفيد من المسلمين في كل شيء وجده، فكان في جيشه عدد من المسلمين يكون غالبيته، وكان حوله من المسلمين فلاسفة وأطباء، وكان بلاطه بلاط ملك شرقي، وكان كثير من كبار موظفيه مسلمين. وكـان روجـر الثاني يلبس ملابس المسلمين، ويطرز رداءه بحروف عربية، وكانت هذه ظاهرة شائعة، ولكن خصومه وصفوه بأنه نصف وثني، يعنون نصف مسلم! وجرى حفيده وليم الثـاني على نهج أسلافه، ولكن أسمى ازدهار للحضارة العربية كان أثناء حكم روجر الثاني.

كان الإدريسي، صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» يعيش في بلاطـه ويحظى برعايته وتشجيعه، وقد سمى كتابه هذا باسم «الروجري». والإدريسي من مـشهوري الجغرافيين والرسامين للخرائط، ولا ينافسه أحد في هذا الميدان خلال العصور الوسطى كلها. وقد صنع لروجر كرة سماوية وخريطة للدنيا على شكل كرة، وكلاهما من الفضة.

وبنى روجر الثاني كنيسة في باليرمو زخرفَ سقفها بنقوش كوفيه. وكانـت النـساء النصرانيات يلبسن الملابس الإسلامية، وكان الصناع العرب والـزراع العـرب والملاحـون العرب يقومون بكل الأعمال التي تتطلبها حال الدولة، ولم يكن عجيباً بعد هـذا أن يفـد رواد الدراسة الاستشراقية من أوروبا إلى صقلية، وأن تتبوأ هذه الجزيرة زعامة البحـر الأبـيض، وكل ذلك بفضل العرب فلاسفة وعلماء وعمالاً.

أما فريدريك الثاني – حفيد روجر الثاني – فكان أبرز وأعجب ملوك صـقلية. كـان وريث عرش ألمانيا من قبل أمه، ووارث الملك في صقلية من قبل أبيه وعن طريق زواجـه من الأميرة إيزابيلا ولية عهد أبيها في ملك بيت المقدس – تلك المملكة التـي نـشأت أثنـاء الحروب الصليبية- صار أيضاً ملك بيت المقدس، ثم هو شأن النورمانديين جميعاً إمبراطـور لإيطاليا، وكان يسمى إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة. وقد شارك في الحروب الـصليبية بغية الحكم والسيادة، ولكن اختلاطه بالمسلمين في الشرق جعله يوليهم تقديراً واحتراماً أكثـر، وجعلت العادات والمظاهر الشرقية تتأصل فيه وفي دولته.

كان بعد حلمته الصليبية الفاشلة على صلة بخلفاء صلاح الدين، وكان هـو والملـك الكامل محمد يتبادلات الهدايا، ولم تخل سيرته من غرابة، أهمها. أنه كانت يجمع بين الأعمال الجادة النافعة والأعمال اللاهية التي لا طائل وراءها غير الأبهة والتباهي. كان في بلاطه عدد من الفلاسفة وفدوا من الشرق، وكانوا ذوي لحى طويلة وملابس فـضفاضة، وكـان النـاس يحاكونهم في زيهم وسائر مظاهر حياتهم، وكان في بيته راقصات يهوديات من الشرق، وكان له مجموعة من الحيوانات النادرة ومن الطيور، وكان كلفاً بها حتى إنه يصطحبها في تنقلاتـه في أوروبا وحين يرحل من صقلية إلى ألمانيا. ولكن هذا اللهو لم يخل من وجهة نظر علمية، فقد أحضر من سورية مدربين للصقور التي لديه، ولكنه قام بتجربـة علميـة إذ ذاك، وهـي تغطيته أعين الصقور بغطاء محكم ليرى مدى اهتدائها بحاسة الـشم، وكـان يقـرأ الفلـسفة والرياضة والفلك، ولما صادفته مرة مسائل معضلة فيها ولم يستطع حلها، أرسلها إلى السلطان الكامل الأيوبي طالباً للحل أو معجزاً لعلمائه، ولكن بعض العلماء المصريين حلها حلاً شـافياً، وأضيف هذا إلى ما أخذ الغرب عن الشرق. وطلب مرة أخرى علمـاء مـصريين ليجربـوا تجارب على بيض النعام كي يمكن تفريخه وفقسه على حرارة الشمس، وترجمت لـه كتـب

عربية وفارسية في تدريب الصقور، وأخرج هو نفسه كتاباً عنها، كما ترجمت له كتب أرسطو عن الحيوان والنبات، وشروح ابن سينا عليها. وهكذا كان هذا الملك جاداً في لهوه، ولم يكـن يعبث فيما يعمل ولا يجعل عمله لمجرد الإمتاع.

كان عصر هذا الإمبراطور يمثل فجر النهضة الأدبية في إيطاليا، وهي بداية النهضة الأوروبية كلها. وكنا نود من هذا الملك الحصيف بعد ما رأى من ثمار التسامح مع المـسلمين ألا يحدث منه اضطهاد ينغصهم وينغص سيرته، ولكنه لم يستطع التخلص من التيارات التـي كانت تعاصره، ولا من سيطرة الروح الصليبية عليه.

## الخلاصة.

ومهما يكن من أمر صقلية فإنها أسهمت بحظ وافر في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغـات، وسـادت فيها اللغات الحية إذ ذاك الواسعة الانتشار، اليونانية واللاتينية والعربية، وكانـت بهـا يهـود مترجمون أيضاً على نحو ما كان في طليطلة. وفي صقلية ترجم المجسطي من اليونانية إلـى اللاتينية مباشرة، وترجم في الأندلس من العربية. وفيها ترجم كتاب البـصريات الـذي كـان بطليموس أخرجه في الاسكندرية، وفيها ترجمت كتب أدبية أخرى. وتوج فريـدريك الثـاني أعماله الجميلة بتأسيسه جامعة نابل في إيطاليا الجنوبية وأودعها مجموعة كبيـرة مـن كتبـه الخاصة، ودرست فيها مؤلفات ابن رشدج، وهذا عمل له قيمته، لأن أوروبا عادت فلسفة ابـن رشد مدة طويلة، وقيمة جامعة نابل أنها أول جامعة رسمية، وكانت الجامعات الأخرى إلى ما بعد ذلك العهد جامعات أهلية تابعة للأديرة والكنائس، وكانت تقوم على التبرعات والهبات، أما جامعة نابل فقد نشأت ملكية مشمولة برعاية إمبراطور عالم، واستعارت منها بعض الجامعات الأخرى، وعلى الأخص جامعة باريس ما لديها من التراجم التي أمر بها فريدريك، ومن الذين تخرجوا في هذه الجامعة توما الإكويني، وأثره معروف في نشر الفلسفة والثقافة الشرقية فـي أوروبا.

ويكفي صقلية، وهي جزيرة صغيرة بجانب إسبانيا الواسعة، أن تكون قد أسهمت فـي نقل الحضارة الشرقية إلى الغرب، وأن يكون لها نصيب غير خفي في إيقاظ أوروبا العـصر الوسيط من سباتها العميق، وأن تكون برزخاً في نقل جزء كبير من حـضارة الـشرق إلـى الغرب.

هذا، وأخبار صقلية مبعثرة في مصادر كثيرة عربية، بعضها يكمل بعضاً، أو يوضح ويفصل ما أجمله الآخر، وقد جمع المستشرق الصقلي ميكي أماري أخبارهـا مـستوفاة فـي مجموعة أسماها «تاريخ مسلمي صقلية»، ويقوم على درس هذه الحقبة من تاريخ هذه الجزيرة

الآن الأستاذ أمبرتو ريزيتانو، وتنبئ كتابته وكتابة أماري عن المجهود الجبار الذي بذله كـل منهما في قراءة الموسوعات العربية حتى خرجا بهذه المعلومات الدقيقة القيمة، وكـل منهمـا أنصف المسلمين وأنصف أعمالهم النافعة، وما أخذاه على المـسلمين نـشاركهم أيـضاً فـي مؤاخذتهما به، أخذا عليهم تفرقهم وميلهم إلى الأثرة، وحبهم مصالح أنفسهم أكثر من مـصالح أوطانهم، وأخذا عليهم كما أخذ مستشرقون منصفون أنهم بعدوا بسرعة عما لهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أنهم بوجه عام خـالفوا الإسـلام الـذي بنـى نهـضتهم وحضارتهم، فسلبوا العزة التي جاءت بسببه، وهو كلام أولى أن يقوله المسلمون.

- ٨٢٨ م. الفتح الاسلامى لكورسيكا
- ٨٢٨ م. وفاة "إدريس بن إدريس بن عبد الله"، ثاني حكام دولة الأدارسـة التـي قامت بالمغرب العربي، وفي عهده امتدت الدولة واتسع نفوذها حتى امتـد إلـى منطقة "السوس" في الغرب، ومدينة "تلمسان" في الشرق.

## ٨٣٣ م. وفاة سند بن على

أبو الطيب سند بن علي المنجم، عالم فلكي ورياضي اشتهر في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. ولد سند لأسرة يهودية تدين بالديانة الموسوية، ولكنه اعتنق الإسلام في عهد الخليفة المأمون الذي قربه إليه .

عمل سند في مرصد الشماسية في بغداد الذي أنشأه الخليفة المأمون، وعمل فيه سند مـع كل من العباس بن سعيد الجوهري، ويحيى بن منصور، و أحمد الفرغاني، و أبناء موسى بـن شاكر، وعلم الدين البغدادي، وثابت بن قرة. وقد شارك سند في البعثة العلميـة التـي كلفهـا الخليفة المذكور لقياس محيط الأض. وكتب سند مذكرة عن ذلك وردت فيهـا أسـماء علمـاء ومهندسين شاركوا في ذلك العمل منهم خالد بن عبد الملك المـروزي، وعلـي بـن عيـسى الأسطرلابي. وقد جرت عملية القياس المذكورة بالقرب من سنجار ما بـين واسـط وتـدمر، وبلغت الدرجة المقاسة (٥٧ ميلا عربيا) .

كما كان سند بن علي من المهندسين المتميزين لدى الخليفة المتوكل، وقد كلفه الخليفـة بالتحقق بما ترامى له من أخبار عن خطأ قد ارتكبه بني موسى في حفر قناة الجعفري قـرب البصرة. وكان بنو موسى قد كلفوا بدورهم الفرغاني بالإنشاء، الذي أخطأ في تقدير منـسوب المياه فلم تكن القناة لتمتلئ بالماء إلى العمق المطلوب. وقد توعد المتوكل بني موسى بالعقـاب في حالة صحة الخبر. وقد هرع بنو موسى إلى سند بن علي في أن يساعدهم على إخفاء ذلك الأمر، فاشترط عليهم أن يساعدهم إن هم أعادوا للكندي كتبه وكان صديقا له، ذلـك أن بنـي موسى كان بينهم وبين الكندي مشاحنات فألبوا المتوكل عليه واستولوا علـى مكتبتـه. وقـد

استجاب بنو موسى لهذا الشرط، وقال سند بأنه سوف يعلم الخليفة بأنه لا يوجد أي خطأ في حفر القناة لأن نهر دجلة كان في ذروة ارتفاعه ولن يستطيع أن يلحظ أحد الخطأ طيلة أربعة شهور. ولقد اغتيل المتوكل بعد شهرين ونجا بنو موسى من العقاب .

أما عن إنجازات سند بن علي الأخرى فقد تعاون مع يحيى ابن أبي منصور في وضع زيج فلكي كما كان له بحوث في الثقل النوعي. ترك سند بن علي عددا من المؤلفات في الرياضيات منها كتاب الحساب الهندي، وكتاب الجمع والتفريق. وفي الشروح الرئيسية لكتاب إقليدس.

## ٨٣٣ م (٢١٨ هـ). وفاة الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، الخليفة السابع في سلسلة خلفاء الدولة العباسية.

ولد عبد الله المأمون في [١٥ من ربيع الأول ١٧٠ هـ – ٦ من سبتمبر ٧٨٦م]، في اليوم الذي استُخلف فيه الرشيد، وقد سماه المأمون تيمنًا بذلك، وكانت أمه "مراجل" جارية فارسية، وما لبث أن توفيت بعد أيام من ولادته متأثرة بحمى النفاس.

وبالرغم من أن المأمون كان هو الابن الأكبر للخليفة هارون الرشيد، ومع كل ما كان يتميز به المأمون من نجابة وذكاء وعلو همة، وما حظي به من ثقة أبيه فيه.. فإن الرشيد آثر أن يجعل البيعة بولاية العهد للأمين، وقد كان لزبيدة أم الأمين الدور الأكبر في ذلك؛ فقد كان لها من المكانة لدى الرشيد ما لم يكن لأم المأمون، فاستغلت حظوتها لديه ومنزلة أخوال ولدها الأمين ومكانتهم لدى زوجها الرشيد في حثه على إعلان ولاية العهد لابنها للأمين وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره سنة [[١٧٥ هـ –٧٩١هـ]، ولكن الرشيد عاد فأشرك المأمون مع أخيه في ولاية العهد سنة [١٨٣ هـ – ٧٩٩م].

وأراد بذلك أن تستقر الأمور بين الأخوين من بعده، فلا يثور الخلاف بينهما ولا يحدث ما كان يحدث عادة من صراع حول الحكم بعد كل خليفة، فاستوثق لكل منهما من أخيه سنة (١٨٦ هـ – ٨٠٢م) وأشهد على ذلك كبار رجال دولته.

### الطريق إلى العرش.

توفي الخليفة هارون الرشيد وتولّى الأمين الخلافة من بعده، وبدأ الخلاف يدب بين الأخوين، خاصة بعد تراجع الأمين عما قطعه لأبيه من عهود ومواثيق، فجعل ابنه موسى وليا للعهد بدلاً من أخويه المأمون و"المؤتمن"، كما رفض أن يردّ إلى أخيه المأمون مائة ألف دينار كان والده قد أوصى بها إليه، وسرعان ما تطور الخلاف بين الأخوين إلى صراع وقتال، ودارت حرب عنيفة بين الجانبين، وقامت جيوش المأمون بمحاصرة بغداد وانتهى الأمر بمقتل

الأمين عام (١٩٨هـ – ٨١٣م)، وتولى المأمون على إثر ذلك الخلافة من بعده في [٢٥ من المحرم ١٩٨هـ - ٢٥ سبتمبر ٨١٣م].

## القضاء على الفتن والثورات.

سعى المأمون منذ الوهلة الأولى للعمل على استقرار البلاد، والقضاء على الفتن والثورات، فتصدى بحزم وقوة لثورات الشيعة وواجه بحسم وعنف حركات التمرد ومحاولات الخروج على سلطة الخلافة، قضى على حركة "ابن طباطبا العلوي" سنة [١٩٩هـ – ٨١٤م]، وثورة "الحسن بن الحسين" في الحجاز، و"عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب" في اليمن سنة (٢٠٧هـ – ٨٢٢م).

وفي مقابل ذلك فإنه أقدم على خطوة جريئة، وأمر لم يسبقه إليه أحد من الخلفاء، فقد اختار أحد أبناء البيت العلوي وهو "علي بن موسى الرضا" ليكون وليا للعهد من بعده، وقد أثار هذا الأمر غضب واستياء العباسيين؛ مما دفعهم إلى مبايعة "إبراهيم بن المهدي" –عم المأمون– بالخلافة سنة [٢٠٢هـ –٨١٧م].

فلما علم المأمون بذلك جهز جيشًا كبيرا، وسار على رأسه من خراسان قاصدا بغداد، فهرب إبراهيم بن المهدي من بغداد وفي ذلك الوقت توفي علي بن موسى، فكان لذلك أكبر الأثر في تهدئة الموقف، فلما دخل المأمون بغداد عفا عن عمه.

# من ثمار النهضة العلمية

## النهضة العلمية والحضارية في عصر المأمون

شهد عصر المأمون نهضة حضارية كبيرة، فقد كان المأمون محبا للعلم والأدب وكان شاعرا وعالما وأديبا، يحب الشعر ويجالس الشعراء ويشجعهم، وكان يعجب بالبلاغة والأدب، كما كان للفقه نصيب كبير من اهتمامه، وكان العلماء والأدباء والفقهاء لا يفارقونه في حضر أو سفر، وقد أدى تشجيعه للشعراء في أيامه إلى إعطاء الشعر دفعة قوية، وكان تشجيعه للعلوم والفنون والآداب والفلسفة ذا أثر عظيم في رقيها

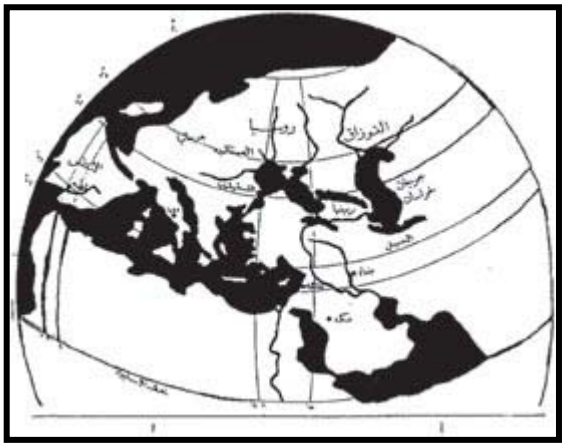

**الخريطة المأمونية رسمها الجغرافيون العرب للخليفة المأمون وبينوا عليها الجزء المعمور من الأرض.**

وتقدمها، وانبعاث حركة أدبية وعلمية زاهرة، ونهضة فكرية عظيمة امتدت أصـداؤها مـن بغداد حاضرة العالم الإسلامي ومركز الخلافة العباسية إلى جميـع أرجـاء المعمـورة، فقـد استطاع المأمون أن يشيد صرحا حضاريا عظيما، وأن يعطي للعلم دفعة قوية ظلـت آثارهـا واضحة لقرون عديدة.

فقد أرسل البعوث إلى "القسطنطينية" و"الإسكندرية" و"أنطاكية" وغيرها من المدن للبحث عن مؤلفات علماء اليونان، وأجرى الأرزاق على طائفة من المترجمين لنقل هذه الكتب إلـى اللغة العربية، وأنشأ مجمعا علميا في بغداد، ومرصدين أحدهما في بغداد والآخر في "تـدمر"، وأمر الفلكيين برصد حركات الكواكب، كما أمر برسم خريطة جغرافية كبيرة للعالم.

## ازدهار حركة الترجمة في عصر المأمون.

وكان لتشجيعه حركة الترجمة أكبر الأثر في ازدهارها في عهده، فظهر عدد كبير مـن علماء الدين قاموا بدور مهم في نقل العلوم والفنون والآداب والفلسفة إلى العربيـة، والإفـادة منها وتطويرها، ومن هؤلاء.

- "حنين بن إسحاق" الطبيب البارع الذي ألف العديد من المؤلفات الطبية، كما ترجم عددا من كتب أرسطو وأفلاطون إلى العربية.
- و"يحيى بن ماسويه" الذي كان يشرف على "بيت الحكمة" في بغداد وكـان يؤلـف بالسريانية والعربية، كما كان متمكنًا من اليونانية، وله كتاب طبي عن الحميـات اشتهر زمنًا طويلاً، ثم ترجم بعد ذلك إلى العبرية واللاتينية.
- و"ميخائيل بن ماسويه" وكان طبيب المأمون الخاص، وكان يثق بعلمه فلا يـشرب دواء إلا من تركيبه.

## المأمون والروم.

ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهور تلك النهضة الحضارية والعلمية في عصر المأمون، ذلك الهدوء الذي ساد الأجواء بين الخلافة العباسية والروم، والذي استمر لأكثر من عشرة أعوام.

ولكن ما لبث أن تبدد ذلك الهدوء حينما بدأ المأمون حملاته ضد الروم عام [٢١٥هـ – ٨٣٠م] ففتح عددا من الحصون القريبة من حدود دولته، مثل حصن "قرة" و حصن "ماجدة" و حصن "سندس" وحصن "سنان" ثم عاد إلى الشام، ولكن الروم أغاروا على "طرسوس" وقتلـوا نحو ألف وستمائة من أهلها، فعاد إليهم المأمون مرة أخرى، واستطاع أخـوه "المعتـصم" أن يفتح نحو ثلاثين حصنًا من حصون الروم.

وفي العام التالي أغار عليهم المأمون مرة أخرى، حتى طلب منـه "تيوفيـل" – ملـك الروم- الصلح، وعرض دفع الفدية مقابل السلام.

ولم يمر وقت طويل حتى توفي المأمون في "البندون" قريبا من طرسـوس فـي [[[١٨ رجب]] ٢١٨هـ - ١٠ أغسطس ٨٣٣م] عن عمر بلغ ثمانية وأربعين عاما، قضى منهـا فـي الخلافة عشرين عاما.

## ٨٣٣ م. عهد الخليفة العباسى المعتصم وبدء السيطرة التركية.

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور المعتصم بالله العباسى (- ١٨ ربيع الأول ٢٢٧هـ= ٥ يناير ٨٤٢) المشهور عنه قصة وامعتصماه. نقل عاصـمة الخلافة العباسية الى سامراء وهو من خلفاء الدولة العباسية. ولد المعتصم بالله سنة (١٧٩هـ) وكره التعليم فى صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أُمّيا. بويع بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) بعد وفاة أخيه المأمون وبعهد منه. وقد سلك مسلك المأمون فى سيرته، وفتح عمّورية من بلاد الروم الشرقية، وبنى مدينة سامراء سنة (٢٢٢هـ) حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول مـن أضاف اسمه إلى اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله وكان يقال له المثمّن لأنه ثامن الخلفاء من بنى العباس، وثامن أولاد الرشيد، وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وعاش ثمانية وأربعين سنة، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية بنين وثمانية من البنات. وتُوفى المعتصم فى سامراء سنة (٢٢٧هـ).

## حدود الدولة العباسية.

آلت دولة الخلافة العباسية إلى المعتصم بالله بعد أن استقرت أحوالها، وامتدت أطرافها، وانتعشت الحياة الاقتصادية بها، وازدهرت الزراعة، فنمـت غلتهـا، ورخـصت أسـعارها، وتقدمت الصناعة، واستُخرجت الثروات المعدنية من باطن الأرض، وانتعشت التجارة علـى نحو لم تعرفه الدولة الإسلامية من قبل بسبب الطرق الآمنة، وسهولة الانتقال من شرق البلاد إلى غربها دون عوائق تذكر.

وكان من أثر تلك النهضة الاقتصادية أن نمت موارد الخلافة، وزادت إيـرادات بيـت المال؛ الأمر الذي جعل الدولة تعمل على تحسين المرافق العامة وتيسير الحياة على النـاس، وتأمين حدود الدولة المترامية، وتشجيع العلم ومكافأة أهله والعناية بالترجمة، وبناء المؤسسات العلمية، وإنشاء المكتبات.

## ولاية المعتصم بالله.

مرض الخليفة المأمون في طرسوس، ولم يكن قد عقد لأحد بعده بولاية العهد، فاستدعى أخاه المعتصم وعهد إليه بالخلافة من بعده، دون ابنه العباس الذي كان موجـودا معـه فـي طرسوس للقيام بغزو الدولة البيزنطية، ورد هجماتها، لكن مرضه حال دون إتمام ذلك.

ولعل الذي جعل المأمون يؤثر أخاه بالحكم دون ابنه أن الخلافة العباسية كانت تتهـددها الأخطار من الداخل والخارج في ثورة بابك الخرمي في فارس، وهجمات البيزنطيين، وكـان المعتصم بطلا شجاعا متمرسا بالحرب خبيرا بشئونها، فآثر المأمون المصلحة العليا للخلافـة بتولية من يصلح لهذه الفترة، وتمت البيعة بعد وفاته في (١٩ رجب ٢١٨هـ = ١٠ أغـسطس ٨٣٣).

وكان المعتصم يتميز بقوته الجسدية وشدته في الحرب، حتى قيل عنه إنه كان يـصارع الأسود ويحمل ألف رطل، ويمشي بها خطوات، غير أنه لم يكن معنيا بالعلوم والآداب كأخويه الأمين والمأمون.

وبالغ بعض المؤرخين فذكر أنه كان أميا لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على قول ابن خلكان، وابن كثير، لكن ذلك لم يكن له أدنى تأثير في الحركة الفكرية والعلمية التي عمت الخلافة فقد كانت البلاد مدفوعة بطاقة عارمة نحو الرقي والتقدم.

## القضاء على الفتن والثورات.

كانت وصية المأمون لأخيه المعتصم أن يقضي على فتنة بابك الخرمي، وكـان زعـيم طائفة ضالة، يعتقد أصحابها بالحلول والتناسخ، ويدعون إلى الإباحية الجنسية، وبـدأت تلـك الفتنة في أذربيجان ثم اتسع نطاقها إلى همدان وأصبهان وبلاد الأكراد، وجرجان، وأصـبحت خطرا يحدق بالدولة العباسية، ووجدت عونًا ومساندة من الروم.

وحاول المأمون أن يقضي على تلك الفتنة التي اشتعل أوارها، وأرسل إليها الحمـلات العسكرية، لكنها لم تستطع القضاء على تلك الفتنة، وتوفي المأمون دون أن يتحقق أمله، وحمل المعتصم مهمة القضاء على هذه الحركة، فنجح في ذلك على الرغم من مهارة بابك الخرمـي العسكرية، وقدرته على وضع الخطط العسكرية، مستغلا معرفته بطبيعة الإقليم الذي يتحصن فيه، من جبال ومضايق ووديان.

وامتدت الحرب أربع سنوات، حتى تمكن "الأفشين" أبرع قادة المعتصم من إخماد الفتنة، والقبض على بابك الخرمي في (١٠ شوال ٢٢٢هـ = ١٦ سبتمبر ٨٣٧)، وكانت هذه الفتنـة من أعظم الفتن التي تعرضت لها الدولة العباسية، شغلت الخلافة أكثر من عشرين سنة، وقُتل

من أجل القضاء عليها آلاف المسلمين، قدرهم الطبري المؤرخ بنحو مائتين وخمسين ألف مسلم، وأنفقت الدولة العباسية من أجلها ملايين الدراهم والدنانير.

ولم يكد المعتصم يستريح من فتنة بابك الخرمي حتى شبت فتنة أخرى في إقليم طبرستان، حيث قام وليها "المازيار" بشق عصا الطاعة، ومحاولة الاستقلال بالإقليم بعيدا عن سلطة الدولة العباسية، ولم تفلح المحاولات التي بذلها المعتصم لحل المشكلة سلما مع المازيار الذي تمادى في غيه، فلجأ المعتصم إلى السيف، حتى تمكن من القضاء عليه في سنة (٢٢٤هـ = ٨٣٩).

# بناء سامراء

منظر عام لمدينة سامراء

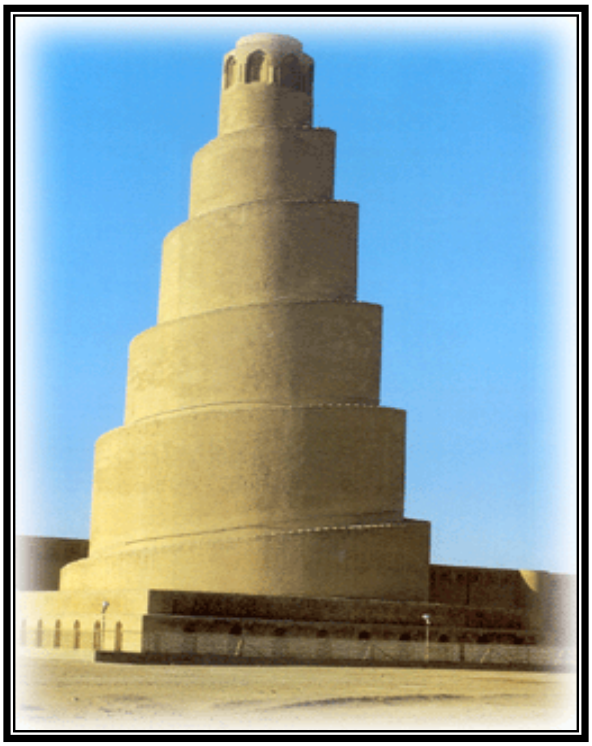

جامع الخليفة المتوكل على الله في سامراء
٢٣٤ ـ ٢٣٧ هـ / ٨٤٩ ـ ٨٥٢ م

لم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجـيش، ولـم تـسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم.

واختار المعتصم لعاصمته الجديدة مكانا يبعد ١٣٠ كم رأسا من شمال بغداد، شرقي نهر دجلة، وشرع في تخطيط عاصمته سنة (٢٢١هـ= ٨٣٦م) وبعث إليها بالمهندسين والبنّـاءين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتـاج إليه البناء.

وعني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمها باعتبارها مركزا حضاريا ومعـسكرا لجيـشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعـضها عـن بعـض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو ١٩ كم، وكان تخطيط المدينة رائعا، يتجلى فـي شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريـق دروب عـدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم ١٩ كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريبا.

وعِني المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينـة، وشـجع قادتـه علـى المساهمة في الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمعا للصناعات المعروفـة فـي عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة مثلما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل شارع الخليج الذي على دجلة رصيفًا ومرسى لسفن التجارة.

وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتـسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ"سر من رأى"، وزاد إقبـال النـاس علـى السكنى بها.

وتكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري.

## وامعتصماه.. فتحت عمورية.

استغل الروم انشغال الخليفة المعتصم في القضاء على فتنة بابك الخرمـي، وجهـزوا جيشا ضخما قاده ملك الروم، بلغ أكثر من مائة ألف جندي، هاجم شمال الـشام والجزيـرة، ودخل مدينة "زيطْرة" التي تقع على الثغور، وكانت تخرج منها الغزوات ضد الـروم، وقتـل الجيش الرومي من بداخل حصون المدينة من الرجال، وانتقل إلى "ملطية" المجـاورة فأغـار

عليها، وعلى كثير من الحصون، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين، وسملَ أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة.

وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أسماع الخليفة، وحكى الهاربون الفظائع التي ارتكبها الروم مع السكان العزل؛ فتحرك على الفور، وأمر بعمامة الغزاة فاعتم بها ونادى لساعته بالنفير والاستعداد للحرب.

ويذكر بعض الرواة أن امرأة ممن وقعت في أسر الروم قالت. وامعتصماه، فنُقل إليه ذلك الحديث، وفي يده قدح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه، ونادى بالاستعداد للحرب.

وهذا ما عناه أبو تمام في قوله مادحا للخليفة بعدما حقق نصر.

**لبيت صوتًا زبطريا هرقْتَ له**

**كأس الكرى ورضاب الخُرِدِ العربِ**

وخرج المعتصم على رأس جيش كبير، وجهزه بما لم يعده أحد من قبله من السلاح والمؤن وآلات الحرب والحصار، حتى وصل إلى منطقة الثغور، ودمرت جيوشه مدينة أنقرة ثم اتجهت إلى عمورية في (جمادى الأولى ٢٢٣هـ= أبريل ٨٣٨) وضربت حصارا على المدينة المنيعة دام نصف عام تقريبا، ذاقت خلاله الأهوال حتى استسلمت المدينة، ودخلها المسلمون في (١٧ رمضان سنة ٢٢٣هـ= ١٣ أغسطس ٨٣٨) بعد أن قُتل من أهلها ثلاثون ألفا، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وأمر الخليفة المعتصم بهدم أسوار المدينة المنيعة وأبوابها وكان لهذا الانتصار الكبير صداه في بلاد المسلمين، وخصه كبار الشعراء بقصائد المدح، ويأتي في مقدمة ذلك، بائية أبي تمام الخالدة التي منها قوله.

**فتْح الفتوح تعالى أن يحيط به**

**نظم من الشعراء أو نثر من الخُطَبِ**

**فتْح تفتّح أبواب السماء له**

**وتبرز الأرض في أثوابها القُشُب**

**يا يوم وقعةِ عمورية انصرفت**

**عنك المنى حفّلاً معسولة الحلب**

**أبقيت جد بني الإسلام في صعد**

**والمشركين ودار الشرك في نصب**

## وفاة المعتصم.

ظل المعتصم يواصل فتوحاته وغزواته، ففُتحت بعض مدن صـقلية، وغـزت جنـوده "قِلّورية" وتقع في جنوب إيطاليا، وتسمى الآن "كالبريا"، وكذلك جزيرة "مالطة" ولم تكن غُزيت من قبل.

## ٨٣٣ م (٢٢٣ هـ). فتح عمورية.

كانت وصية الخليفة المأمون لأخيه المعتصم وهو على فراش المرض أن يقضي علـى فتنة بابك الخُرمي، وكان زعيم فرقة ضالة، تؤمن بالحلول وتناسـخ الأرواح، وتـدعو إلـى الإباحية الجنسية. وبدأت تلك الفتنة تطل برأسها في أذربيجان، ثم اتسع نطاقها لتشمل همـدان وأصبهان، وبلاد الأكراد وجرجان. وحاول المأمون أن يقضي عليها فأرسل الحملات تتـرى لقمع تلك الفتنة، لكنه توفي دون أن يحقق نجاحا، تاركًا للمعتصم مهمة القضاء عليها.

وما إن تولى المعتصم الخلافة حتى انصرف بكليته للقضاء على فتنة بابك الخرمي مهما كلفه الأمر، وخاصة بعد أن شغلت الخلافة سنوات طويلة، وأنهكت ميزانية الدولة، وأهلكـت الرجال والأبطال. واستغلت الدولية البيزنطية انشغال الخليفة المعتصم بالقضاء على تلك الفتنة الهوجاء وراحت تعتدي على حدود الدولة العباسية، وجهزت لذلك جيشًا ضخما قادة إمبراطور الدولة، حيث هاجم شمال الشام والجزيرة.

وكان بابك الخرمي -حين ضاق عليه الحصار، واشتد الخناق عليه، وأيقن ألا مفر مـن الاستسلام- قد اتصل بإمبراطور الروم يحرضه على غزو الدولة العباسية؛ ليخـف الحـصار عليه، وزين له أمر الهجوم بأن معظم جيوش الدولة مشغول بالقضاء عليه، ولـم يبـق فـي العاصمة قوة تدافع عنها، ووعده باعتناق المسيحية هو وأتباعه.

عزز ذلك الأمر من رغبة الإمبراطور في الهجوم على الدولة العباسية، ودخل بقواتـه مدينة "زبطرة" التي تقع على الثغور وكانت تخرج منها الغزوات ضد الروم. وقتـل الجـيش البيزنطي من بداخل المدينة من الرجال، ثم انتقل إلى "ملطية" المجاورة، فأغار عليها وعلـى كثير من الحصون، ومثّل الجيش الرومي بمن وقع في يده من المسلمين، وسمل أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى أكثر من ألف امرأة مسلمة، ورجع الجيش البيزنطي إلى القـسطنطينية فرحا بما حقق، واستُقبل من أهلها استقبالا رائعا.

## النفير.

وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أسماع الخليفة المعتصم وكان قد أوشك على قمع فتنـة بابك الخرمي. وحكى الهاربون الفظائع التي ارتكبها الروم مع المسلمين، فاستعظم الخليفة مـا حدث، وأمر بعمامة الغزاة فاعتم بها، ونادى لساعته بالنفير والاستعداد للحرب، وبعث بنجـدة إلى أهل زبطرة بقيادة "عجيف بن عنبسة"، استطاعت أن ترد إليها الهاربين من أهلها تطمئنهم، وفي هذه الأثناء تمكن "الأفشين" أبرع قادة المعتصم من القضاء على الفتنة وألقى القبض على بابك الخرمي في (١٠ من شوال ٢٢٢هـ = ١٦ من سبتمبر ٨٣٧ م).

وكان المعتصم قد سأل. أي بلاد الروم أمنع وأحصن؟ فقيل. عمورية؛ لم يعـرض لهـا أحد من المسلمين منذ كان الإسلام وهي عين النصرانية، فسارع بتعبئة الحملة وتجهيز الجيش بكل ما يحتاجه، حتى قيل. إنه لم يتجهز قبله مثله، وخرج إلى عمورية في (جمـادى الأولـى ٢٢٣هـ= إبريل ٨٣٨م) ولم تكن من عادة الحملات الكبرى الخروج في ذلك الوقت، غير أن الخليفة كان متلهفا للقاء، ورفض قبول توقيت المنجمين الذين تنبئوا بفشل الحملة إذا خرجـت في هذا التوقيت، وهذا ما عبر عنه الشاعر الكبير "أبو تمام" في بائيته الخالدة التـي اسـتهلها بقوله.

**السيف أصـدق أنبـاء مـن الكتـب ** في حده الحد بـين الجـد واللعـب**

**بيض الصفائح لا سود الصحائف في ** متـونهن جـلاء الـشك والريـب**

**والعلم في شـهب الأرمـاح لامعـةً ** بين الخميسين لا في السبعة الشهب**

**أين الرواية؟ أم أين النجـوم؟ ومـا ** صاغوه من زخرف فيها ومن كذب**

**تخرصـــا وأحاديثـــا ملفقـــة ** ليست بنبـع إذا عـدت ولا غـرب**

**عجائبـــا زعمـــوا الأيـــام مجفلـــة ** عنهن في صفر الأصفار أو رجـب**

## فتح أنقرة.

وعند "سروج" قسم المعتصم جيشه الجرار إلى فرقتين. الأولى بقيادة الأفشين، ووجهتها أنقرة، وسار هو بالفرقة الثانية، وبعث "أشناس" بقسم منها إلى أنقرة ولكن من طريـق آخـر، وسار هو في إثره، على أن يلتقي الجميع عند أنقرة.

علم المعتصم من عيونه المنتشرين في المنطقة أن الإمبراطور البيزنطي قد كمن شهرا لملاقاة الجيش الإسلامي على غرة، وأنه ذهب لمفاجأة الأفشين، وحاول الخليفة أن يحذر قائده، لكنه لم يستطع، واصطدم الأفشين بقـوات الإمبراطـور عنـد "دزمـون" وألحـق الأفـشين بالإمبراطور البيزنطي هزيمة مدوية في (٢٥ من شعبان ٢٢٣ هـ= ٨٣٨م) ولم يحـل دون النصر الضباب الكثيف الذي أحاط بأرض المعركة أو المطر الغزير الذي انهمر دون انقطاع، وهرب الإمبراطور إلى القسطنطينية، وبقي قسم من جيشه في عمورية بقيادة خالـه "يـاطس" حاكم "أناتوليا".

دخلت جيوش المعتصم أنقرة التي كانت قد أخليت بعد هزيمة الإمبراطور، وتوجهت إلى عمورية فوافتها بعد عشرة أيام، وضربت عليها حصارا شديدا.

## حصار عمورية.

بدأ الحصار في (٦ من رمضان ٢٢٣هـ= ١ من أغسطس ٨٣٨م)، وأحاطت الأبـراج الحربية بأسوار المدينة، في الوقت نفسه بعث الإمبراطور البيزنطي برسوله يطلـب الـصلح، ويعتذر عما فعله جيشه بزبطرة، وتعهد بأن يبنيها ويرد ما أخذه منها، ويفـرج عـن أسـرى المسلمين الذين عنده، لكن الخليفة رفض الصلح، ولم يأذن للرسول بالعودة حتى أنجـز فـتح عمورية.

ابتدأت المناوشات بتبادل قذف الحجارة ورمي السهام فقُتل كثيرون. وكـان يمكـن أن يستمر هذا الحصار مدة طويلة، لولا أن أسيرا عربيا قد أسره الروم دلّ الخليفة المعتصم على جانب ضعيف في السور، فأمر المعتصم بتكثيف الهجوم عليه حتى انهار، وانهارت معه قوى المدافعين عنه بعد أن يئسوا من المقاومة، واضطر قائد الحامية "ياطس" إلى التـسليم، فـدخل المعتصم وجنده مدينة عمورية في (١٧ من رمضان ٢٢٣هـ= ١٢ من أغسطس ٨٣٨م). وقد سجل أبو تمام هذا النصر العظيم وخلّد ذكرى المعركة، فقال.

**فتح الفتـوح تعـالى أن يحـيط بـه ** نظم من الشعر أو نثر من الخطـب**

**فـتح تفـتّح أبـواب الـسماء لـه ** وتبرز الأرض في أثوابهـا القـشب**

**يا يـوم وقعـة عموريـة انـصرفت ** عنك المنى حفّلا معـسولة الحلـب**

**أين الرواية؟ أم أين النجـوم؟ ومـا ** صاغوه من زخرف فيها ومن كذب**

**تخرصـــا وأحاديثـــا ملفقـــة ** ليست بنبـع إذا عـدت ولا غـرب**

**عجائبـا زعمـوا الأيـام مجفلـة ** عنهن في صفر الأصفار أو رجـب**

ثم يصور الأهوال التي نزلت بالمدينة حتى اضطرت إلى التـسليم تـصويرا رائعـا، فيقول.

**لقـد تركـتَ أميـر المـؤمنين بهـا ** للنار يوما ذليـل الـصخب والخـشب**

**غادرت فيها بهيم الليـل وهـو ضـحى ** يـشلّه وسـطها صـبح مـن اللهـب**

**يـا يـوم وقعـة عموريـة انـصرفت ** عن لونها وكأن الـشمس لـم تغـب**

ثم يهنّأ الخليفة بهذا النصر الذي ناله بعد تعب ومشقة، فيقول.

**خليفـة الله جـازى الله سـعيك عـن ** جرثومة الـدين والإسـلام والحـسب**

**بـصرت بالراحـة الكبـرى فلـم ترهـا ** تُنـال إلا علـى جـسر مـن التعـب**

**إن كان بـين صـروف الـدهر مـن رحـم ** موصـولة أو زمـام غيـر منقـضب**

**فبـين أيامـك اللاتـي نُـصرت بهـا ** وبـين أيـام بـدر أقـرب النـسب**

**أبقت بني الأصفر الممـراض كمـا سـمهم ** صفْر الوجوه وجلّـت أوجـه العـرب**

وبعد هذا النصر قرر المعتصم المسير إلى القسطنطينية، لكن هذا المشروع لم يقيض له أن ينفذ، بعد أن اكتشف المعتصم مؤامرة للتخلص منه دبرها بعض أقربائـه، كمـا أن فـتح القسطنطينية يحتاج إلى قوى بحرية كبيرة لم يكن يملكها ساعتها، فتوقف المشروع إلى حين.

## ٨٣٣ م. مولد ابن مسرة.

محمد بن عبد الله القرطبي الجبلي الصوفي الباطني. فيلسوف وفقيه وصـوفي اندلـسي (٨٣٣م-٩٣١م). نشأ في قرطبة، وتفقه في علوم الفلسفة والدين حتى اصبح من رواد المعتزلة الاندلسيين. وتستمد فلسفته جذورها عن انبدوقليس، وعن صاعد بن احمد الاندلسي، والقفطي. وقد حاول ابن مسرة الجمع في فلسفته بين تعاليم المشرق والمغرب الاسلاميين، وان يوفق بين الفلاسفة الاغريق، وخصوصا افلاطون، وبين الافلاطونية الجديدة. وقيل ان ابن مـسرة قـد ابتدع مذهبا جديدا تأثر فيه بالباطنية الى جانب تأثره بانبدوقليس. ولكن مذهب ابن مسرة لـم يلق قبول اهل الاندلس، ففر منها الى المغرب حين اتهم بالزندقة، وهناك رفضه اهلها لعزوفهم عن قبول الآراء الباطنية التي تعارض عقيدتهم السنية. ويتلخص مذهب ابن مسرة فـي أن «

الصفة هي عين الذات ». وقد أثرت فلسفته بشدة في عديد من فلاسفة المغرب الاسلامي مـن مسلمين ويهود.

## ٨٣٤ م. وفاة الأزرقى.

الأزرقي، ابن الوليد احمد بن محمد بن الوليد بن عقبة، مؤرخ وجغرافي عربي. تـوفي عام ٨٣٤ م. ينحدر من اسرة غسانية تربطها الرواية بالحديث النبوي الشريف. ويشتهر بكتابه (تاريخ مكة) و (اخبار مكة) الذي اعتبر اول كتاب جمع بين تاريخ المدينة وجغرافيتها وبـين طريقة الحج واداء الشعائر الدينية. بيد ان الذي صنف اخبار الكتاب هو الحفيد ابو الوليد محمد بن عبد الله الازرقي المتوفى بعيد سنة ٨٥٨ م.

- ٨٣٥ م. مولد "أحمد بن طولون" مؤسس الدولة الطولونية، ولد ببغـداد، وتلقـى تعليمه العسكري والديني بها، وبعدما شب لفت الأنظار إليه بعلمه وشجاعته، ثـم ولي مصر سنة ٢٥٤هـ = ٨٦٨م، ونجح في أن يقيم دولة قوية شـملت مـصر والشام والحجاز، ولا يزال مسجده الكبير في القاهرة شاهدا على ما بلغته دولتـه من رقي وتقدم

## ٨٣٦ م. جعل سامراء عاصمة للخلافة العباسية بدلا عن بغداد.

بنيت مدينة سامراء لتكون عاصمة الخلافة العباسية، وكان المكان الذي شـيدت عليـه المدينة مستوطناً منذ أقدم العصور، وكان لسكانه نصيب من الحضارة تمتـد إلـي عـصور سحيقة، ولما انتقل المعتصم العباسي من بغداد إلي سامراء، راح يفتش عـن موضـع لبنـاء عاصمته الجديدة، فلما كان يتحري المواضع وصل إلي موضع يبعد عن بغداد ١١٨ كم، فوجد فيه ديراً للمسيحيين، فأقام فيه ثلاثة أيام لتتأكد له ملاءمة المحل، فاستحسنه واستطاب هـواءه، واشتري أرض الدير بأربعة آلاف دينار، وأخذ في سنة (٢٢١ هجرية) بتخطيط مدينته التـي سميت (سر من رأي).

وعندما تم بناؤها انتقل مع قواده وعسكره اليها، ولم يمض إلا زمن قليل حتي قـصدها الناس وشيدوا فيها مباني شاهقة وسميت بالعسكر والنسبة اليه عسكري، واشتهرت بـسامراء، وهي كلمة مشتقة من (سر من رأي) يوم كانت المدينة عامرة ومزدهرة، ثم أصبحت (ساء من رأي) لما تهدمت وتقوضت عمارتها.

## المئذنة الملوية.

وقام هارون الرشيد بحفر أول نهر في المدينة وشيد قصراً له سـمي باسـمه وأراد أن يبني مدينة في منطقة القاطول لكنه لم يتمها.

وفي عهد المأمون العباسي (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) بنيت قرية المطيرة والتي كانـت مـن منتزهات بغداد وسامراء.

وسنة ٢٤٥ هـ بني المتوكل العباسي مدينة المتوكلية وشيد المسجد الجـامع ومئذنتـه الشهيرة (الملوية).

وبعد سنتي ٢٥٤ هـ وسنة ٢٦٠ هـ، ولما توفي الإمامان علـي الهـادي والحـسن العسكري (عليهما السلام) اتخذ مرقداهما مزاراً بنيت حولهمـا العمـارات وأنـشئت الـدور والمنازل العامة فحافظت المدينة علي عمرانها الي ما بعد انقراض الدولة العباسية.

وفي سنة ٣٣٣ هجرية وسع ناصر الدولة الحمداني المدينة وأحاطها بسور.

وفي سنة ١٢٥٠ هجرية عمر الشيخ زين العابدين السلماسي سور المدينة، وأنفق علـي تعميره أحد ملوك الهند. وفي سنة (١٢٩٩ هجرية - ١٨٨١ ميلاديـة) بنيـت أول مدرسـة ابتدائية في مدينة سامراء.

وفي سنة (١٢٩٤ هجرية - ١٨٧٨ ميلادية) ايام الدولة العثمانية نُصب أول جسر علي نهر دجلة يربط مدينة سامراء بالضفة الاخري له.

وفي سنة (١٢٥٨ هجرية) أعاد الملك أمجد علي شاه بناء سور المدينة وتعميره بواسطة السيد إبراهيم بن السيد باقر القزويني، ثم قام الميرزا محمد حسن الشيرازي بأعمال عدة فـي المدينة وجعلها مركزاً علمياً مرموقاً إذ بني مدرسة علمية كبيرة لازالت باقية الي اليـوم.فـي سنة (١٣٧٥ هجرية - ١٩٥٥ ميلادية) أمرت الحكومة بشق شارع يمتد من بـاب القـاطول حتي باب الحضرة العسكرية، بعد تهديم الباب المذكور، وبنـي صـرح لهـا ودور للبلديـة ومستشفي ومدرسة ودائرة للبرق والبريد.وفي سنة ١٩٥٢ بوشر العمل بتنفيذ مشروع الثرثار الذي يعد من أهم المشاريع الاروائية في المدينة.

## مساجد سامراء.

وتضم سامراء العديد من المساجد، من أشهرها جامع سامراء الكبير الذي شيده المعتصم عند بداية بناء المدينة سنة (٢٢١ هـ)، وجامع القلعة، ومسجد حسن باشـا، ومـسجد حميـد الحسون، ومسجد سيد درويش، ومسجد البورحمان، ومسجد علي بن أبـي طالـب، ومـسجد

الحاج صالح الرحماني، ومسجد الارقم، ومسجد أولاد الحسن وجامع الفاروق. ويعد جامع أبي داف وملويته والذي يبعد نحو ١٥ كم عن شمال المدينة من الآثار العباسية المهمة في المدينة.

## المراقد والمقامات.

ويعد ضريحا الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، أهم معالم مدينـة سامراء، فضلاً علي مشهد صاحب الزمان، وقبة سرداب الغيبة وقبر الـسيدة نـرجس زوج الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقبر السيدة حليمة بنت الإمام الجواد عليه السلام ومرقـد السيد محمد بن الإمام علي الهادي عليه السلام، وقبر أبي هاشم داود من ذرية عبـد الله بـن جعفر وقبر الإمام محمد الدري الذي ينتهي نسبه إلي الإمام الكاظم عليه السلام، وقبر الـشيخ محمد الجاجيري وقبر الشيخ كمر بن هلال ومرقد بنات الكاظم عليه السلام في الدجيل، ومرقد بنات الحسن عليه السلام في منطقة الجلام، ومرقد آمنة بنت الإمام الحسن عليه السلام، ومرقد إبراهيم بن مالك الإشتر النخعي رضي الله عنه، وقبر أحمد الدنبلي الخـوئي وقبـر محمـود الطهراني وقبر مهدي الشيرازي ومرقد إبراهيم النوري وقبر محسن الزنجاني.

- ٨٣٧ م. مولد ابن دريد، وهو لغوى واديب، ولد بالبصرة ومات ببغداد يعد عـالم عصره باللغة والأنساب وواضع البذرة الأولىللمقامات بأحاديثه واشـهر اعمالـه الاشتقاق

## ٨٣٩ م. مولد ابن جرير الطبرى.

ابو جعفر محمد بن جرير الطبري. مؤرخ وفقيه طبرستاني (٨٣٩م-٩٢٣م). ولد فـي آمل من بلاد طبرستان، ودرس في الري وبغداد والبصرة والكوفة، وزار مصر وسورية. كان الطبري في اول الامر شافعيا ثم خرج بمذهب جديد هو الجريرية فعـاداه بـسببه الحنابلـة. ويشتهر الطبري بمؤلفه (تاريخ الامم والملوك)، أو (اخبار الرسل والملوك) الذي ضمنه تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصره، والذي نقل عنه ابن الاثير واليعقوبي. ويعتمد الكتاب على مصادر غير موثوق بها، وهو في اربعة اجزاء تنتهي في عام ٩١٥م. وقد ذيل عليه مؤرخون عديدون. ومن كتبه الاخرى (تاريخ الرجال)، وتفسيره المعروف باسم (جامع البيان في تفسير القرآن).

## ٨٤٠ م. مولد اليعقوبى.

ابو العباس الكامل احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسـي. جغرافي ومؤرخ عراقي. ولد في بغداد عام ٨٤٠م، وتوفي فيها عام ٨٩٧م أو ٩٠٥م. كـان

جده من موالي الخليفة المنصور ومن اصل فارسي او ارمني، ثم اصبح من عمال بريده ثـم حاكما على ارمينية ومصر. وربما تقلد ابو العباس ايضا مناصب اخرى رسمية، ولكنه عاش في بغداد اكثر حياته. وبقي في مصر سنوات تحت رعاية الطولونيين، وقد طـوف اليعقـوبي ايضا في ارمينية وفارس والهند والمغرب.

واليعقوبي مؤرخ مدقق ومجدد، ويشتهر بمؤلفه (كتاب البلدان) الذي الفه لعمال الخليفـة ولمن يريد التعرف على البلدان الإسلامية. ويهتم اليعقوبي في (البلدان) اهتماما خاصا ببغـداد وسامراء، وبفنون العمارة والبناء، فيورد اسماء المهندسين الذين بنوا كل بناء وما اتبعوه مـن اساليب. وله كذلك (تاريخ اليعقوبي) الذي تتفق رواياته مع روايات الطبـري فـي (الرسـل والملوك)، ويتألف من جزأين، ويبدأ من بدء الخليقة حتى عام ٨٧٢م، ويهتم بالانثولوجيا، أي علم الأجناس البشرية، مثل اهتمامه بالتاريخ.

- ٨٤٢ م (٢٢٧ هـ). وفاة الخليفة العباسي المعتصم بالله بـن هـارون الرشـيد، الخليفة الثامن في سلسلة خلفاء الدولة العباسية، وتولى ابنه الواثق بالله الخلافة من بعده
- ٨٤٤ م. الأندلسيون بقيادة محمد بن رستم ينتصرون على الأسطول النورمانـدي الذي غزا شواطئ الأندلس، في معركة قرب إشبيلية، قتل فيها من النورمانـديين زهاء الألف وأسر زهاء الأربعمائة، وأحرق من سفنهم ثلاثون سفينة.
- ٨٤٤ م. وفاة عبد الله بن طاهر، أحد القادة العظام في العـصر العباسـي الأول، ومن مؤسسي الدولة الطاهرية

## ٨٤٥ م. وفاة زرياب.

هو أبو الحسن علي بن نافع مولى المهدي الخليفة العباسي. واسم زرياب طيـر أسـود اللون عذب التغريد، نشأ زرياب في بغداد وكان تلميذا لإسحق الموصلي بصورة سرية إلى أن أتقن في الغناء عليه، ففي ذات يوم طلب الخليفة هارون الرشيد من أسحق الموصلي بأن يأتي معه بمغني جديد يجيد الغناء، فأحضر إسحق زرياب فاستأذن من الخليفة بأن يغني فأذن له.

يا أيها الملك الميمون طائره هارون راح إليك الناس وابتكروا إلى أن أكمل نوبته فطار الرشيد فرحا وتعجب منه كثيرا وطلب من أستاذه إسحق أن يعتز به، إلا أن إسـحاقا داخلـه الحسد والحقد فهدد زريابا وخيره بالخروج من بغداد أو يغتاله، فرجح زرياب الخـروج مـن بغداد فخرج وتوجه إلى الأندلس وكان الخليفة هناك آنذاك عبد الرحمن الثاني، فكتب زريـاب إلى الخليفة يستأذنه بالدخول إلى بلاطه فرد عليه حسنا ورحب به، وبعد أن دخل بلاط الخليفة وأصبح من حاشيته غنى بحضرته وما أن سمعه الخليفة حتى شغف به وقربه إليـه وأصـبح

نديمه ومن أقرب الناس إليه. وعندما اشتهر زرياب في الأندلس وتمركز بها، أسس مدرسة للغناء وللموسيقى وتعتبر هذه أول مدرسة أسست لتعليم علم الموسيقى زرياب يعتبر هو السبب في اختراع الموشح لأنه عمم طريقة الغناء على أصول النوبة، وكانت هذه الطريقة هي السبب في اختراع الموشح. وقد أدخل زرياب على فن الغناء والموسيقى في الأندلس تحسينات كثيرة

أولا. جعل أوتار العود خمسة مع العلم أنها كانت أربعة أوتار.

ثانيا. أدخل على الموسيقى مقامات كثيرة لم تكن معروفة من قبله.

ثالثا. جعل مضراب العود من قوادم النسر بدلا من الخشب.

رابعا. افتتاح الغناء بالنشيد قبل البدء بالنقر، كما أنه أول من وضع قواعد لتعليم الغناء للمبتدئين وأهمها هي.

- يتعلم المبتدئ ميزان الشعر ويقرأ الأشعار على نقر الدف ليتعلم الميزان الغنائي
- يعطى اللحن للمبتدئ ساذجا خاليا من كل زخرفة
- يتعلم المبتدئ الزخرفة والتغني في الألحان مع الضروب بعد تعلمه الميزان والضرب واللحن .وقد وضع أسسا وقواعد لفحص المبتدئين قبل قبولهم وهي أن يجلس المبتدئ في مكان عال ثم يوعز إليه بأن يصبح بجواب صوته ثم ينزل تدريجيا إلى قراره، وبهذه الطريقة كان يعرف مدى صوته وحلاوته.

توفي في قرطبة سنة ٢٣٠ هـ، ٨٤٥ م.

## ٨٥٠ م. وفاة الخوارزمي.

يعد الخوارزمي من أكبر علماء العرب، ومن العلماء العالميين الذين كان لهم تأثير كبير على العلوم الرياضية والفلكية. وفي هذا الصدد يقول ألدو ميبلي. وإذا انتقلنا إلى الرياضيات والفلك فسنلتقي، منذ البدء، بعلماء من الطراز الأول، ومن أشهر هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي.

لا يعرف تاريخ ميلاد الخوارزمي، كما أن تاريخ وفاته غير مدقق. وكل ما يعرف عنه أنه ولد في خوارزم (خيوة) (أوزبكستان اليوم) جنوب بحر الآرال، وعاش في بغداد أيام حكم المأمون العباسي، وأن المأمون عينه على رأس خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها. وقد استفاد الخوارزمي من الكتب التي كانت متوافرة في خزانة المأمون فدرس الرياضيات، والجغرافية، والفلك، والتاريخ، إضافةً إلى إحاطته بالمعارف اليونانية والهندية.

## إسهاماته العلمية.

يعد الخوارزمي مؤسس علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب، وقد أخذه الأوربيون عنه. كما أنه أول من استعمل كلمة "جبر" للعلم المعروف الآن بهذا الاسم. فلحد الآن ما زال الجبر يعرف باسمه العربي في جميع اللغات الأوربية. وترجع كل الكلمات التي تنتهي في اللغات الأوربية بـ "algorism/algorithme" إلى اسم الخوارزمي. وهو أول من ألف في الجبر. كما يرجع إليه الفضل في تعريف الناس بالأرقام الهندية (وهي التي تعرف بالأرقام العربية). ومن الإسهامات الهامة للخوارزمي في الرياضيات اكتشافه بعض القواعد وتطويرها، ومنها. قاعدة الخطأين، والطريقة الهندسية لحل المربعات المجهولة وهي التي تسمي اليوم باسم المعادلة من الدرجة الثانية، كما نشر الخوارزمي أول الجداول العربية عن المثلثات للجيوب والظلال، وقد ترجمت إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر.

إضافةً إلى إسهاماته الكبرى في الحساب، أبدع الخوارزمي في علم الفلك وأتى ببحوث جديدة في المثلثات، ووضع جداول فلكية (زيجاً). وقد كان لهذا الزيج الأثر الكبير على الجداول الأخرى التي وضعها العرب فيما بعد، إذ استعانوا به واعتمدوا عليه وأخذوا منه.

ومن أهم إسهامات الخوارزمي العلمية التحسينات التي أدخلها على جغرافية بطليموس سواء بالنسبة للنص أو الخرائط.

## مؤلفاته.

### ألف الخوارزمي عدة كتب من أهمها.

- كتاب "الجبر والمقابلة" وهو يعد الأول من نوعه، وقد ألفه بطلب من الخليفة المأمون. وهذا الكتاب >لم يؤد فقط إلى وضع لفظ الجبر وإعطائه مدلوله الحالي، بل إنه افتتح حقاً عصراً جديداً في الرياضيات. وقد ترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وكانت هذه الترجمة هي التي أدخلت هذا العلم إلى الغرب. وظل هذا الكتاب قروناً عديدة مرجعاً في أوربا. وقد حققه الأستاذان علي مصطفى مشَرفَة ومحمد مرسي أحمد، ونشر أول مرة في القاهرة سنة ١٩٣٩م.
- "كتاب صورة الأرض"، وهو مخطوط موجود في ستراسبورغ بفرنسا، وقد ترجم إلى اللاتينية، وتمت مقارنة المعلومات الموجودة فيه بمعلومات بطليموس.
- "كتاب العمل بالأسطرلاب" و"كتاب عمل الأسطرلاب".

وخلاصة القول إن الخوارزمي يعد من أعظم العلماء في عصره، وقد >كان له أعظم الفضل في تعريف العرب والأوربيين، من بعدهم، بنظام العدد الهندي. فهو واضع علم الجبر

وواضع كثير من البحوث في الحساب والفلك والجغرافيا. وقد عبر ألدو ميبلي عـن عظمـة الخوارزمي بقوله. >وقد افتتح الخوارزمي افتتاحاً باهراً سلسلة من الرياضيين العظـام. وقـد ظلت كتبه تدرس في الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر.

- ٨٥٢ م. الخوارج على السلطة يقومون بثورة في طليطلة بالأنـدلس ضـد حكـم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، واستمرت هذه الثورة سـنوات طويلـة، ونشبت حروب بين الجانبين، لعب نصارى الأندلس دورا في إذكاء نارها، حتى تم إخمادها نهائيا بعد خمسة وثلاثين عاما...

## ٨٥٥ م (٢٤١ هـ). وفاة الإمام أحمد بن حنبل، أحد أئمـة الفقـه الإسـلامي، وصاحب المذهب الحنبلي المعروف.

هو أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المزوزي ولد في بغداد وتنقّل بين الحجـاز واليمن ودمشق. سمع من كبار المحدثين ونال قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، حتى قال فيـه الإمام الشافعي. "خرجت من بغداد فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقَه من ابن حنبل".

فهو إذن، إمام أئمة الإسلام.

وعن إبراهيم الحربي، قال. "رأيت أحمد ابن حنبل، فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما يشاء ويمسك عما يشاء". ولم يكن ابن حنبل يخـوض فـي شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا.

**مذهبه.**

مذهب ابن حنبل من أكثر المذاهب السنية محافظة على النصوص وابتعاداً عن الـرأي. لذا تمسك بالنص القرآني ثم بالبينة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلا في حالات نادرة.

- منهجه العلمي ومميزات فقهه. إشتُهر الإمام أنه محدِّث أكثر من أن يشتهر أنه فقيـه مع أنه كان إماماً في كليهما. ومن شدة ورعه ما كان يأخذ من القيـاس إلا الواضـح وعنـد الضرورة فقط وذلك لأنه كان محدِّث عصره وقد جمِع له من الأحاديث ما لم يجتمع لغيـره، فقد كتب مسنده من أصل سبعمائة وخمسين حديث، و كان لا يكتب إلا القرآن والحديث مـن هنا عرفَ فقه الإمام أحمد بأنه الفقه بالمأثور، فكان لا يفتي في مسألة إلا إن وجد لها من أفتى بها من قبل صحابياً كان أو تابعياً أو إماماً. وإذا وجد للصحابة قولين أو أكثر، اختار واحـداً من هذه الأقوال وقد لا يترجّح عنده قول صحابي على الآخر فيكون للإمام أحمـد فـي هـذه المسألة قولين.

وهكذا فقد تميز فقهه أنه في العبادات لا يخرج عن الأثر قيد شعرة، فليس من المعقـول عنده أن يعبد أحد ربه بالقياس أو بالرأي و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. " صلوا كما رأيتموني أصلي "، ويقول في الحج. " خذوا عني مناسككم ". كان الإمام أحمد شديد الورع فيما يتعلق بالعبادات التي يعتبرها حق لله على عباده وهذا الحق لا يجوز مطلقاً أن يتساهل أو يتهاون فيه.

أما في المعاملات فيتميز فقهه بالسهولة والمرونة و الصلاح لكل بيئـة وعـصر، فقـد تمسّك أحمد بنصوص الشرع التي غلب عليها التيسير لا التعسير. مثال ذلك. " الأصـل فـي العقود عنده الإباحة ما لم يعارضها نص "، بينما عند بعض الأئمة الأصل في العقود الحظـر ما لم يرد على إباحتها نص.

وكان شديد الورع في الفتاوى وكان ينهى تلامذته أن يكتبوا عنه الأحاديـث فـإذا رأى أحداً يكتب عنه الفتاوى، نهاه وقال له. " لعلي أطلع فيما بعد على ما لم أطلع عليه من المعلوم فأغير فتواي فأين أجدك لأخبرك؟.

**محنته.**

اعتقد المأمون برأي المعتزلة في مسألة خلق القرآن، وطلب من ولاته فـي الأمـصار عزل القضاة الذين لا يقولون برأيهم.

وقد رأى أحمد بن حنبل ان رأي المعتزلة يحوّل الله سبحانه وتعالى إلى فكرة مجردة لا يمكن تعقّلها فدافع ابن حنبل عن الذات الإلهية ورفض قبول رأي المعتزلة، فيما أكثر العلمـاء والأئمة أظهروا قبولهم برأي المعتزلة خوفاً من المأمون وولاته.

وألقي القبض على الإمام ابن حنبل ليؤخذ إلى الخليفة المأمون. وطلب الإمام من الله أن لا يلقاه، لأن المأمون توعد بقتل الإمام أحمد.

وفي طريقه إليه، وصل خبر وفاة المأمون، فتم رد الإمام أحمد إلى بغداد وحبس وولي الخلافة المعتصم، الذي امتحن الإمام، وتم تعرضه للضرب بين يديه.

وقد ظل الإمام محبوساً طيلة ثمانية وعشرين شهراً. ولما تولى الخلافة الواثق، وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم، أمر الإمام أن يختفي، فاختفى إلى أن توفّي الواثق.

وحين وصل المتوكّل ابن الواثق إلى السلطة، خالف ما كان عليه المـأمون والمعتـصم والواثق من الاعتقاد بخلق القرآن، ونهى عن الجدل في ذلك. وأكرم المتوكل الإمام أحمد ابـن حنبل، وأرسل إليه العطايا، ولكن الإمام رفض قبول عطايا الخليفة.

## وفاته.

توفي الإمام يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين للهجرة، وله من العمر سبع وسبعون سنة. وقد اجتمع الناس يوم جنازته حتى ملأوا الشوارع. وحضر جنازته من الرجال مائة ألف ومن النساء ستين ألفاً، غير من كان في الطرق وعلى السطوح. وقيل أكثر من ذلك.

وقد دفن الإمام أحمد بن حنبل في بغداد. وقيل انه أسلم يوم مماته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس، وأن جميع الطوائف حزنت عليه، وأنه كانت له كرامات كثيرة وواضحة.

فعن ابنه عبد الله، قال. رأيت أبي حرج على النمل أن تخرج من داره، ثم رأيت النمل قد خرجت نملاً أسود، فلم أرها بعد ذلك.

وعن الإمام أبي الفرج الجوزي، قال. لما وقع الغريق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة وغرقت كتبي، سلم لي مجلد فيه ورقات من خط الإمام أحمد بن حنبل.

## الإمام ابن حنبل بين فكّي التاريخ.

كانت وقفة الإمام احمد بن حنبل في وجه الظلم وفي وجه حملة تحريف الدين الإسلامي وفي وجه هرطقة المعتزلة وتخبطهم في علوم وخفايا الدين وقفة عظيمة. وقد صمد الإمام بالرغم من التعذيب والضرب بالسياط والحبس والملاحقة والإغراء.

**من أشعاره وهو في السجن.**

**لعمرك ما يهوى لأحمد نكبة**
**من الناس إلاّ ناقص العقل مغْور**
**هو المحنة اليوم الذي يبتلى به**
**فيعتبر السِّني فينا ويسبر**
**شجى في حلوق الملحدين وقرّةٌ**
**لأعين أهل النسك عفٌّ مشمِّر**
**لريحانة القرّاء تبغون عثرة**
**وكِلِّكُم من جيفة الكلب أقذر**
**فيا أيها الساعي ليدرك شأوه**
**رويدك عن إدراكه ستقصِّر**

**وقال عنه الأمام الشافعي.**

**أضحى ابن حنبل حجّةً مبرورةً**

**ويحبّ أحمد يعرفُ المتنسِّك**

**وإذا رأيت لأحمد متنقِّصاً**

**فاعلم بأنّ ستوره ستُهتّك**

## مؤلفاته.

- المسند. ويحوي أكثر من أربعين ألف حديث.
- الناسخ والمنسوخ.
- العلل.
- السنن في الفقه.

## ٨٥٨ م. مولد البتاني.

هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الرقي الحراني، المعروف بالبتاني. كنى بالرقي، نسبة إلى "الرقة" بلدة على نهر الفرات. ويعرف البتاني عند الغربيين في العصور الوسطى باسم Albategnius أو Albategni.

ولد البتاني في "بتان" من نواحي حران الواقعة على أحد روافد نهر الفرات بالعراق، وتاريخ ولادته غير معروف بدقة، إلا أن المرجح أنه ولد سنة ٢٤٤هـ / ٨٥٨م. وإذا كان هناك شك في تاريخ ميلاده، "فقد أجمع المؤرخون على أن تاريخ وفاته كان عام ٣١٧هـ/٩٢٩م"، قرب مدينة الموصل في العراق. ويعد البتاني من أكبر علماء الفلك عند العرب، فقد أوقف حياته على رصد الأفلاك من عام ٢٦٤هـ حتى وفاته. درس في البداية على يد والده جابر البتاني الذي كان بدوره عالماً مشهوراً، ثم انتقل إلى "الرقة" حيث انكب على دراسة مؤلفات من سبقوه، وخاصة مؤلفات "بطليموس"، ثم انتقل إلى ميدان البحث في الفلك، والمثلثات، والجبر، والهندسة، والجغرافيا. وقد عاش حياته العلمية متنقلاً بين "الرقة" و"إنطاكية" في سوريا، وبها أنشأ مرصداً يحمل اسمه (مرصد البتاني).

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية، أن البتاني يعد أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة، وهيئة الأفلاك، وحساب النجوم. كما يجمع علماء الإفرنج على أن البتاني كان في علمه أسمى مكانة من الفلكي الإغريقي بطليموس. "وقال لالاند Lalande الفلكي الفرنسي، إن البتاني من الفلكيين العشرين الأئمة الذين ظهروا في العالم كله".

وذكر قدري طوقان في كتابه "تراث العرب العلمـي فـي الرياضـيات والفلـك" أن "كاجوري" و"هاليه"يعدان البتاني من أقدر علماء الرصد، وسماه بعض البـاحثين "بطليمـوس العرب". كما وصفه جورج سارطون بأنه أعظم فلكيي جنسه وزمنه، ومـن أعظـم علمـاء الإسلام.

## إسهاماته في الفلك.

مـن أهـم إسهامات البتـاني في علم الفلك اكتشافه السمت azimuth والنظيـر nadir، وتحديد نقطتيهما في السماء ؛ كما أنه حدد بدقة ميل الدائرة الكسوفية، وطول السنة الداريـة، والفصول، والمدار الحقيقي والمتوسط للشمس. وخالف بطليموس في ثبـات الأوج الشمـسي، وبرهن على تبعيته لحركة المبادرة الاعتدالية. وله أرصاد دقيقة للكسوف والخـسوف اعتمـد عليها الغربيون (دنثورن Dunthorne سنة ١٧٤٩م) في تحديد تسارع حركة القمر في حركته خلال قرن من الزمن.

أما أهم أرصاده، فهي تصحيح حركات القمر والكواكب، ووضع جداول جديدة لموقعها، إضافةً إلى تحقيق مواقع عدد كبير من النجوم ضمنها زيجه الشهير الذي اعتمد عليه علمـاء الفلك قروناً عدة.

ويعترف "نللينو" بأنه استنبط نظرية جديدة "تشف عن شيء كثير من الحذق وسعة الحيلة لبيان الأحوال التي يرى فيها القمر عند ولادته".

## إسهاماته في الرياضيات.

يعد البتاني من أوائل العرب الذين استعملوا الجيب بدل الوتر، كما أنه اسـتعمل الظـل وظل التمام في المثلث الكروي، وبحث بعض المسائل التي عالجها اليونان بالطرق الهندسـية وحاول حلها بالجبر. والبتاني من الذين أسسوا علم المثلثات، ومن الذين عملوا علـى توسـيع نطاقها.

## مؤلفاته.

### نذكر من مؤلفاته المهمة.

١) كتاب "زيج الصابي" وهو أهم مؤلفات البتاني جميعاً، وهو يحتوي على نتائج أرصاده للكواكب الثابتة لسنة ٢٩٩هـ، وجداول تتعلق بحركات الأجـرام التـي هـي مـن اكتشافاته الخاصة، وما قام به من الأعمال الفلكية المختلفة التي امتدت طوال اثنتـين وأربعين سنة، من سنة ٢٦٤ إلى ٣٠٦هـ، فقد كان أول زيج (الزيج هو لفظ يطلـق

على الجداول الفلكية القديمة، وأصل اللفظ فارسي) يحتوي على معلومـات صـحيحة دقيقة. وكان للكتاب أثر بالغ في تقدم علم الفلك والرياضيات سـواء خـلال النهـضة العربية الإسلامية أو عند بداية النهضة الأوربية. فقد اعتمد عليه كثيـر مـن علمـاء العرب في حساباتهم، كما قام بعضهم باقتباس بعض محتوياته أو تفسيرها.

وقـد ترجـمه إلى اللاتيـنية بلاتـوف تيفوك Platoof Tivok في القرن الثاني عـشر الميلادي باسـم "Sttellarum Sciencia de" ويقابلها في اللغة الإنجليزية "Science of Stars" أو علم النجوم. وطبع في نورمبرغ عام ١٥٣٧م. وفي القرن الثالث عشر الميلادي، أمر ألفونس العاشر ملك قشتالة بأن يترجم هذا الزيج من العربية إلى الإسبانية مباشرة. ويوجـد مخطـوط غير كامل لهذه الترجمة في باريس. كما توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الفاتيكان. وقـد نشر كارلو نللينو بروما ١٩٠٧-١٨٩٩ طبعة للأصل العربي منقولاً عن النـسخة الموجـودة بمكتبة الأسكريال في ثلاثة مجلـدات مـصحوبة بترجمـة لاتينيـة وتعليـق علـى بعـض الموضوعات.

١) "كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك"، يتناول البتاني فـي هـذا المؤلف الحل الرياضي للمسألة التنجيمية لاتجاه الراصد.
٢) "رسالة في مقدار الاتصالات".
٣) "رسالة في تحقيق أقدار الاتصالات".

وقد تناول البتاني في هاتين الرسالتين موضوع اتفاق كوكبين في خط الطول أو في خط العرض السماوي، سواء أكانا على فلك البروج، أو كان أحدهما أو كلاهما خارج هذه الدائرة.

٤) "شرح المقالات الأربع لبطليموس"، وهي أربع مقالات ذيل بها بطليموس كتابه "المجسطي" عالج فيها مسائل التنجيم وتأثير النجوم على المسائل الدنيوية.
٥) "كتاب تعديل الكواكب"، بحث البتاني في هذا الكتاب الفـرق بـين حركـات الكواكب في مساراتها باعتبارها ثابتة المقدار، وبين حركاتها الحقيقيـة التـي تختلف من موضع لآخر.

وخلاصة القول إن البتاني من عباقرة العالم الذين وضعوا نظريات هامة، وأسهموا فـي إغناء التراث العلمي للإنسانية بإضافة أبحاث جديدة في الفلك، والجبر، والمثلثات. فقد اشـتهر برصد الكواكب والأجرام السماوية، وتمكن من القيام بأرصاد ما زالت تحظى باهتمام العلماء وتثير إعجابهم

## ٨٥٩ م. تأسيس جامع القرويين.

جامع القرويين هو جامع في مدينة فاس المغربية، بني عام ٢٤٥ هـ ـ/٨٥٩ م.قامـت ببنائه فاطمة الفهرية حيث وهبت كل ما ورثته لبناء المسجد. كـان أهـل المدينـة وحكامهـا يقومون بتوسعة المسجد وترميمه والقيام بشؤونه. أضاف الأمراء الزنـاتيون بمـساعدة مـن أمويي الأندلس حوالي ٣ آلاف متر مربع إلى المسجد وقام بعدهم المرابطون بإجراء توسـعة أخرى.

لا تزال الصومعة المربعة الواسعة في المسجد قائمة إلى الآن من يوم توسعة الأمـراء الزناتيين عمال عبد الرحمن الناصر على المدينة، تعد هذه الـصومعة أقـدم منـارة مربعـة موجودة في بلاد الغرب الإسلامي.

قام المرابطون بإجراء إضافات على المسجد فغيروا من شكل المسجد الذي كان يتـسم بالبساطة في عمارته وزخرفته وبنائه إلا أنهم حافظوا على ملامحه العامة. كان هناك تفنن من قبل المعماريين في صنع القباب ووضع الأقواس ونقش آيات القرآن والأدعية. أبرز ما تركـه المرابطون في المسجد هو المنبر الذي لا يزال قائما إلى اليوم. بعد المرابطين، قام الموحدون بوضع الثريا الكبرى والتي تزين المسجد الفاسي إلى اليوم.

لمسجد القرويين سبعة عشر بابا وجناحان يلتقيان في طرفي الـصحن الـذي يتوسـط المسجد. كل جناح يحتوي على مكان للوضوء من المرمر، وهو تصميم مشابه لتصميم صحن الأسود في قصر الحمراء في الأندلس.

عرف الجامع المزيد من الاهتمام في مجال المرافق الـضرورية فـزين بالعديـد مـن الثريات والساعات الشمسية والرملية وأضيفت للمسجد مقصورة القاضي والمحراب الواسـع وخزانة الكتب والمصاحف. طراز الجامع المعماري بشكل عـام هـو الطـراز المعمـاري الأندلسي.

## جامعة القرويين.

بعد بناء الجامع قام العلماء بإنشاء حلقات لهم فيه، كان يجتمع حولها العديد من طـلاب العلم، وبفضل الاهتمام الفائق بالجامع من قبل حكام المدينة المختلفين تحولت فاس مـن إلـى مركز علمي ينافس مراكز علمية ذائعة الصيت كقرطبة وبغداد.

يعتقد أن القرويين قد انتقل من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعيـة فـي العهـد المرابطي، حيث قام العديد من العلماء باتخاذ المسجد مقـرا لدروسـهم. حـسب النـصوص المتوفرة فإن القرويين دخل مرحلة الجامعة الحقيقية في العصر المريني حيث بنيت العديد من المدارس حوله وعزز الجامع بالكراسي العلمية والخزانات.

## ٨٦٠ م. مولد ابن عبد ربه الاندلسى.

ابن عبد ربه الأندلسي 328 - 246 هـ / ٨٦٠ - ٩٣٩ م أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم أبو عمر.

الأديب الإمام صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة. كان جده الأعلى سالم مولى هـشام بن عبد الرحمن بن معاوية.

وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال فـي أخبـار الأدب وجمعهـا. له شعر كثير، منه ما سماه الممحصات، وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بهـا كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب.

وكانت له في عصره شهرة واسعة وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر.

أما كتابه (العقد الفريد -ط) فمن أشهر كتب الأدب سماه العقد وأضف النساخ المتأخرون لفظ الفريد.

وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم!! ولم يذكر علياً فيهم وقـد طبع من ديوانه خمس قصائد وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام.

العقد الفريد ليس الكتاب الوحيد في بابه في التراث العربي الإسلامي الأدبي، فقد ألـف في هذا الباب. البيان والتبيين، والكامل والأمالي، وعيون الأخبار والعقد ونحو ذلك كثير ولكن على الرغم من أنها كتب مختارات فإن لكل كتاب طعماً يدل على ذوق صـانعه، كمـا قـال المحققون في مقدمة الكتاب، ولوناً يدل على شخصية مصوره، هذا الجاحظ يدل كتابـه علـى استغلاله لتجاربه وظروفه الاجتماعية، وعلى ما للمتكلمين من خصائص في تفتيق الموضوع وتشقيق الكلام، وهذا المبرد أديب نحوي متحفظ في مجونه عربي لا غير في ثقافته يتأثر ذوقه إلى حد كبير بفروق النحاة والعلماء أكثر مما يتأثر به ذوق الأدباء، وهذا أبو علي القالي تغلب عليه اللغة أكثر مما يغلب عليه النحو، فهو مؤلف البارع في اللغة وشارح المعلقات، ومؤلـف في الإبل ونتاجها والخيل ومشياتها.... وهذا ابن قتيبة واسع الثقافة في آداب العرب والعجـم، يخلط الجد بالمزح ولكن في تحفظ علماء الدين، ينقل أكثر مما ينقد، ويروي أكثر ممـا يبـدع شأنه في ذلك شأن المحدثين.

## فكرة العقد الفريد.

لقد تصور المؤلف كتابه عقداً كما سماه مؤلفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتـا عشرة في جانب واثنتا عشرة أخرى في جانب ولكن لم يسم إلا الاثنتي عشرة الأولى فلؤلـؤة وفريدة، وزبرجدة وجمانه، ومرجانة وياقوتة، وجوهرة وزمـرة، ودرة ويتيمـة، وعـسجدة ومجنبة أما الاثنتا عشرة التي في الجانب الآخر فهي هذه الأسماء مكررة، فـاللؤلؤة الثانيـة، والفريدة الثانية، وهكذا وفي الوسط، وهي الثالثة عشرة ـ جوهرة تسمى الواسطة.

## تفرد العقد الفريد.

العقد الفريد ـ كما رأينا سابقاً ـ منظوم من جواهر كريمة فيه من كل صنف جوهرتان إلا الواسطة، وهو خيال شاعر لطيف لا أعرف أحداً سبق إليه، ولا أظن أنه وقف طويلاً عند اختيار اسم الجوهرة لتشاكل الموضوع، فاللؤلؤة الأولى في السلطان، واللؤلـؤة الثانيـة فـي الفكاهات والملح، والفريدة الأولى في الحروب، والثانية في الطعام والشراب... الخ.

## منهج التأليف للعقد.

ـ أوضح المؤلف منهجه في التأليف في مقدمة الكتاب فذكر أنه.

- تخيره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان.

- وأنه ليس له إلا تأليف الاختيار وحسن الاختيار، وفرش لدرر كل كتاب.
- وأنه تطلب نظائر الكلام وأشكال المعاني فقرن كل جنس منها إلى جنـسه، وجعل كل جنس باباً على عدته.
- وأنه عمد في اختياره من جملة الأخبار وفنون الآثار إلى أشرفها جـوهراً، وأظهرها رونقاً، وألطفها معنى، وأجزلها لفظاً، وأحسنها ديباجة، وأكثرهـا حلاوة وطلاوة.
- وأنه حذف الأسانيد طلباً للتخفيف والإيجاز.
- وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه هذا كافياً جامعاً لأكثـر المعـاني التي تجري على أفواه الخاصة والعامة.
- وأنه أتبع ذلك بشواهد من الشعر في تجانس الأخبار، وقرن بهـا غرائـب شعره.

- ٨٦١ م. الاتراك يغتالون المتوكل ابن المعتصم

## ٨٦١ م. مولد ابن المعتز.

ابن المعتَز 296 - 247هـ / ٨٦١ - ٩٠٨ م عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكـل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس.

الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكـان يقـصد فـصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.

آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلو على ابـن المعتز، فلقبوه (المرتضى بالله)، وبايعوه للخلافة، فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلمان المقتـدر فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه.

وللشعراء مراث كثيرة فيه.

| | |
|---|---|
| **ألا انتظروني ساعةً عند أسماءِ** | **وأترلِيها، منهن برئي وأدوائي** |
| **ثنين الذيولَ وارتدين بسابغ** | **كحباتِ رمل، وانتَقَبن بحنّاءِ** |
| **و ولين ما بالين من قد قتلنه،** | **بلا ترةٍ تُخشَى ولا قَتل أعدائي** |
| **رددتُ سهامي عنك بيضاً وخُضبت** | **سِهامك في قلبٍ عميدٍ وأحشاءِ** |
| **فلم أر مثلَ المنع أغرى لحاجةٍ،** | **و لا مثلَ داءِ الحبّ أبرح من داءِ** |

## ٨٦١ م. وفاة الفرغانى

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني. ولد في فرغانة وعاش في بغداد أيام المأمون العباسي في القرن التاسع الميلادي. ويعرف عند الأوربيين باسم Alfraganus. ويعـد من أعظم الفلكيين الذين عملوا مع المأمون وخلفائه. يقول سارطون عنه. >كان مازال علـى قيد الحياة في ٨٦١م. وهو من معاصري الخوارزمي وبني موسى وسند بن علي.

## إسهاماته العلمية.

كان الفرغاني عالماً في الفلك وأحكام النجوم ومهندساً. من إسهاماته أنـه حـدد قطـر الأرض بـ ٦٥٠٠ ميل، كما قدر أقطار الكواكب السيارة.

يقول ألدو ميبلي. >والمقاييس التي ذكرها الفرغاني لمسافات الكواكب وحجمها عمـل بها كثيرون، دون تغيير تقريباً، حتى كوبرنيكوس. وبذلك فقد كان لهذا العالم الفلكـي المـسلم تأثير كبير في نهضة علم الفلك في أوربا. وفي سنة ٨٦١ كلفه الخليفـة المتوكـل علـى الله بالإشراف على بناء قياس منسوب مياه نهر النيل في الفسطاط، فأشرف عليه وأنجـز بنـاءه وكتب اسمه عليه.

## مؤلفاته.

### ترك الفرغاني عدداً من المؤلفات القيمة، من أشهرها.

- كتاب "جوامع علم النجوم والحركات السماوية". وقد ترجمه جيرار الكريموني إلـى اللاتينية في القرن الثاني عشر للميلاد كما ترجم إلى العبرية. وكان له تـأثير كبيـر على علم الفلك في أوربا قبل ريجيومونتانوس Regiomontanus الرياضي الفلكي الذي برز في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد طبعت ونشرت ترجمات هذا الكتاب عدة مرات خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.
- كتاب "في الأسطرلاب"، و"كتاب الجمع والتفريق".

- ٨٦٤ م. تأسيس الدولة الزيدية فى طبرستان على يد الحسن بن زيد بن محمد

## ٨٦٥ م. مولد ابو بكر الرازى

هو محمد بن زكريا الرازي، أبو بكر، ويعرف عند اللاتينيين باسـم Rhazes. طبيـب، وكيماوي، وفيلسوف مسلم. وقد أجمع المؤرخون على أن الرازي أعظم أطباء الإسلام، وأشهر أطباء القرون الوسطى، "وأحد مشاهير أطباء العالم في كل زمن... كان واسع الإطلاع إلـى

درجة الإحاطة بكل علم وفن". وقد وصفه ابن خلكان بأنه. >كان إمام وقته في علـم الطـب والمشار إليه في ذلك العصر، وكان متقناً لهذه الصناعة، حاذقـاً فيهـا، عارفـاً بأوضـاعها وقوانينها، تشد إليه الرحال في أخذها عنه".

ولد الرازي في الري جنوب طهران. درس الرياضيات، والفلك، والفلسفة، والكيميـاء، والمنطق، والأدب. ثم درس الطب على يد إسحاق بن حنين، الذي كان متضلعاً فـي الطـب اليوناني، والفارسي، والهندي. ورغم أنه درس الطب بعد أن تجاوز الأربعين من عمره، فقـد حقق فيه إنجازات مهمة ونال فيه شهرة واسعة. وقد عمل رئيساً لبيمارستان الري، ثم رئيـساً لبيمارستان بغداد الذي أمر ببنائه الخليفة العباسي المقتدر.

## إسهامات الرازي في الطب.

إن إسهامات الرازي في الطب كثيرة ومتنوعة، ولذا سنكتفي بالإشارة إلى البعض منها، ونذكر من ذلك اهتمامه بالملاحظات السريرية التي تتعلق بدراسة سير المرض مـع العـلاج المستعمل، وتطور حالة المريض ونتيجة العلاج (5). كما أنه سبق إلى الاهتمـام بـالأحوال النفسية في تشخيص الأمراض، وكان يرى أن بعض أمراض الجهاز البطنـي تكـون ناتجـة بالدرجة الأولى عن أسباب نفسية. ويعتبر تشخيص مرض الجذري ومرض الحصبة من أعظم منجزات الرازي الطبية، فقد وصف المرضين وصفاً دقيقاً، خاصة فيما يتعلـق بأعراضـهما الأولية وطريقة علاجهما. وكان يؤكد على أهمية الممارسة والخبرة والتجربـة فـي عـلاج المرضى، كما كان يجرب العقاقير الجديدة على الحيوان قبل أن يصفها للمرضى.

ويعترف الغربيون بابتكارات الرازي في أمراض النساء والـولادة، وفـي الأمـراض التناسلية، وجراحة العيون. كما تعرض لشلل الوجه وأسبابه، وميز بين الشلل الناتج عن سبب مركزي في الدماغ، والناتج عن سبب محلي، ووصـف تـشعب الأعـصاب فـي القفـص الصدري.كما أن الرازى من أوائل الذين طبقوا معلوماتهم في الكيمياء على الطـب، وممـن ينسبون شفاء المريض إلى تفاعل كيماوي في جسمه.

## إسهاماته في الكيمياء.

لم يكن الرازي طبيباً عظيماً فحسب، بل كان أيضاً كيماوياً ذا مقام رفيع. وهـو أحـد الأوائل الذين جعلوا من الكيمياء علماً صحيحاً. ويعده بعض الباحثين مؤسس الكيمياء الحديثة. قام بتجارب كيماوية مهمة، حيث استحضر بعض الحوامض، ولا تزال الطرق التي اتبعها في ذلك مستعملة حتى الآن. فهو أول من ذكر حامض الكبريتيك، وقد سـماه "زيـت الـزاج" أو "الزاج الأخضر". واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة، وكان يـستعمله

في الصيدليات، لاستخراج الأدوية والعلاجات. ويتجلى فضل الرازي على الكيميـاء بـصفة واضحة، في تصنيفه للمواد الكيماوية إلى ثلاثة أصناف. نباتية، وحيوانية، ومعدنيـة ؛ وهـذا التصنيف ما زال حتى الآن ثابتاً في العلم الحديث.

## مؤلفاته.

ألف الرازي مجموعة من التصانيف، يذكر البعض أنها تزيد عن المـائتين والعـشرين مؤلفاً، لكن أغلبها ضاع ولم يبق منها إلا القليل.

ففي الطب، ألف الرازي العديد من الكتب المهمة، وهي تشتمل إضـافةً إلـى أبحاثـه المبتكرة، علوم اليونان والهنود. ومن أشهر هذه الكتب.

- كتاب "الحاوي". يعتبر هذا المؤلف من أشهر ما كتبه الرازي. وهو أكبر موسوعة طبية عربية، جمع فيها الرازي، مقتطفات أخذها من الأطباء الإغريق والعـرب، وأضاف إليها النتائج التي توصل إليها من تجاربه وآرائه الخاصة. وقـد ترجمـه إلى اللاتينية، الطبيب اليهودي "فرج بن سالم" بأمر من شارل الأول ملك صـقلية (سنة ١٢٧٩م)، واستبدلت بكلمة "الحاوي" مقابلها باليونانية' Continens' وتـرجم مرات عديدة في أوربا حتى سنة ١٥٤٢م. واعتمد عليه كبار علماء أوربا، وأخذوا منه الشيء الكثير، وبقي مرجعهم في مدارسهم وجامعاتهم حتى القـرن الـسادس عشر.
- "كتاب الجذري والحصبة". يشتمل على صورة مفصلة ودقيقة عن هذين المرضين وعن طرق علاجهما. وقد ترجم إلى اللاتينية بالبندقية سنة ١٥٦٥، ثم ترجم إلـى عدة لغات أوربية، ونشر في أوربا أربعين مرة ما بين ١٤٩٨ و١٨٦٦.
- "طب الفقراء". وهو عبارة عن قـاموس شـعبي يـصف فيـه كـل الأمـراض وظواهرها، وطرق علاجها، بالأغذية الرخيصة بدلاً من شراء الأدوية المرتفعـة الثمن والتراكيب النادرة.
- كتاب "المنصوري". سماه المنصوري نسبة إلى المنصور بن إسحاق حاكم خـراسان. تناول فيه موضوعات طبية متعددة كالجراحة، وأمراض العيون، وأمراض البطن. نشر لأول مرة في ميلانو سنة ١٤٨١م. وترجم إلى اللاتينية، وظل معتمداً من قبل الأطباء في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر للميلاد.

**ومن أشهر كتبه في الكيمياء، نذكر.**

- كتاب. "الأسرار في الكيمياء". يصف الرازي في هذا الكتاب الطريقة التي يتبعها في القيام بتجاربه الكيماوية، وكيفية تحضير المواد الكيماوية، وكيفية استعمالها ؛ كما يصف الآلات والأدوات التي كان يستعملها.

**ومن أشهر كتبه في الفلك.**

- "كتاب هيئة العالم". يبرهن الرازي في هذا الكتاب. "على أن الأرض تدور حول محورين، وبأن الشمس أكبر حجماً من الأرض والقمر أصغر حجماً منها".

وللرازى كتب أخرى في الطب، و الصيدلة، والفلك والرياضيات، والفيزياء، والمنطق، والفلسفة، والعلوم الشرعية.

وخلاصة القول، إن الرازي قد أسهم، بفضل كتاباته واختراعاته، إسهاماً فعالاً في تقدم الطب والكيمياء، وتطور البحوث فيهما، وظلت كتبه مرجعاً في الطب في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر.

٨٦٦ م. تولي المعتز بالله محمد أبي عبد الله بن المتوكل علي بن جعفر بن المعتصم خلافة الدولة العباسية، وهو الخليفة الثالث عشر في سلسة خلفاء الدولة العباسية.

٨٦٩ م. وفاة الإمام "محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة"، المعروف بالإمام البخاري، أمير المؤمنين في الحديث، وصاحب "صحيح البخاري"، أصح كتاب بعد كتاب الله، و"التاريخ الكبير"، و"الأدب المفرد"...

## ٨٦٩ م. الاغالبة يفتحون مالطة

الأغالبة، بنو الأغلب. سلالة عربية حكمت في إفريقية (شرق الجزائر، تونس، غرب ليبيا (مع جنوب ايطاليا و صقلية ٨٠٠-٩٠٩م.

كان مؤسس هذه السلالة واسمه الأغلب بن سالم بـن عقـال التميمـي قائـداً لجـيش العباسيين، قبل أن يصبح ابنه إبراهيم ح)٨٠٠-٨١٢م) والياً على إفريقية من طرف هـارون الرشيد ابتداء من سنة ٧٨٧ م، ليستقل الأخير بالأمر سنة ٨٠٠م بعـد أن حـول العباسـيون اهتماههم إلى ناحية المشرق. عرفت دولة الأغالبة أثناء عهدها الأول عدة ثورات قاد أغلبهـا دعاة من بربر، ثم استقر أمر الدولة في عهد عبد الله بن إبراهيم (٨١٢-٨١٧ م) و زيادة الله بن إبراهيم (٨١٧-٨٣٨م) و بلغت أوج قوتها.

ابتداءا من سنة ٨٢٧م شرع الأغالبة في غزو صقلية، ثم استولوا على مدينة باري -في إيطاليا- عام ٨٤١م، فاجتاحوا رومية (روما) ونهبوها عام ٨٤٦ م -إلا أنهم انـسحبوا بعـد ذلك-، ثم غزوا مالطة (مالطا) عام ٨٦٨ م، و بلغت سطوة الأغالبة مبلغاً كانت معه كل الدول النصرانية على ساحل إيطالية تدفع لهم الجزية. داخلياً كان الأغالبة فـي صـراع دائـم مـع الثورات ذات الطابع الديني -الخوارج- أو بدوافع من العصبية - البربر-.

بدأت مرحلة الأفول أثناء عهد إبراهيم بن أحمد (٨٧٥-٩٠٢ م) و فيها تم فقدان بعض المناطق لصالح البيزنطيين -كالابرية-، فليبيا لصالح الطولونيين، ثم تمرد بعض القبائل على الحكم الأغلبي. انتهت دولتهم على أيدي الفاطميين سنة ٩٠٩ م.

## الدولة الأغلبية.

الأغالبة، بنو الأغلب. سلالة عربية حكمت في إفريقية (شرق الجزائر، تونس، غـرب ليبيا (مع جنوب ايطاليا و صقلية ٨٠٠-٩٠٩ م.

كان مؤسس الأسرة الأغلب بن سالم بن عقال التميمي قائداً لجيش العباسيين، ثم أصـبح إبنه إبراهيم (٨٠٠-٨١٢) والياً على إفريقية من طرف هارون الرشيد إبتداء من سـنة ٧٨٧، غير أنه استقل بالأمر سنة ٨٠٠ بعد تراجع دور العباسيين. بعد القضاء على عـدة ثـورات كانت أغلبها من طرف دعاة بربر إستقر الأمر في عهد عبد الله بن إبـراهيم (٨١٢-٨١٧) و زيادة الله بن إبراهيم (٨١٧-٨٣٨) و بلغت الدولة أوجها. بعد سنة ٨٢٧ تم غزو صقلية مـن طرف الأغالبة، ثم الإستيلاء على مدينة باري -في إيطالية- عام ٨٤١، ثم إجتياح روميـة - روما- و نهبها عام ٨٤٦ -إلا أنهم إنسحبوا بعد ذلك-، فغزو مالطا عام ٨٦٨، و بلغت سطوة الأغالبة مبلغاً كانت فيه كل الدول النصرانية على ساحل إيطالية تدفع لهم الجزية.

داخلياً كان الأغالبة في صراع دائم مع الثورات ذات الطابع الـديني - الخـوارج- أو بدوافع من العصبية - البربر-. بدأت مرحلة الأفول أثناء عهد إبراهيم بن أحمد (٨٧٥-٩٠٢)

و فيها تم فقدان بعض المناطق لصالح البيزنطيين -كالابري-، فليبيا لصالح الطولونيين، ثـم تمرد بعض القبائل على الحكم الأغلبي. إنتهت دولتهم على أيدي الفاطميين سنة ٩٠٩ م.

## ٨٦٩ م. ثورة الزنج فى جنوب العراق.

في هذه الفترة الحرجة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية قامت ثورة كبـرى عرفـت باسم ثورة الزنج، هددت كيان الدولة العباسية أكثر مما هددها الأتراك، وهؤلاء الزنج كـانوا جماعات من العبيد السود المجلوبين من أفريقيا الشرقية للعمل في استصلاح الأراضي الواقعة بين مدينتي البصرة وواسط، وكان عددهم كبيرا يعد بالألوف ويعملون في جماعات، ويحيـون حياة سيئة ولا يتقاضون أجورا يومية ولا يتجاوز قوتهم اليومي قليلا مـن الطحـين والتمـر والسويق.

استغل "علي بن محمد" هذه الأوضاع وكان رجلا طموحا مغامرا فنجح فـي اسـتمالة الزنج إليه، مستغلا أوضاعهم السيئة فمنّاهم بالتحرر من العبودية وتمكينهم من الوصول إلـى السلطة، ثم اشتط في دعوته فادعى صفات النبوة، وأعلن أنه مرسل مـن الله لإنقـاذ العبيـد البائسين، وانتحل نسبا إلى آل البيت.

نجح صاحب الزنج في فترة قصيرة (٢٥٥-٢٦١هـ = ٨٦٩-٨٧٥م) من أن يـسيطر على البصرة وما حولها، بعد نجاحه في هزيمة جيش الدولة، ثم امتد نفوذه ليـشمل الأهـواز وعبادان وواسط، وكانت سياسته تجنح إلى العنف والإرهاب وإراقة الدماء؛ فدمر المدن التـي احتلها وأباد كثيرا من أهلها وعاث فيها فسادا، والذي فعله بالبصرة خير دليل على ذلك؛ حيث ذكر المؤرخون أن الزنج قتلوا أكثر من ٣٠٠ ألف إنسان بالبصرة وحدها، وأسروا عددا كبيرا من النساء والأطفال.

## الموفق والقضاء على ثورة الزنج.

بعد تولي المعتمد على الله منصب الخلافة عهد إلى أخيه الموفق بمهمة القضاء على هذه الفتنة قبل أن يستفحل خطرها؛ فخرج من بغداد إلى واسط في شهر (صفر ٢٦٧ هـ= ٨٨١م) وهزم فريقا كبيرا من الزنج، وتوالت انتصاراته حتى أجلاهم عن الأهواز، وحاصر مـدينتهم "المختارة"، وبنى مدينة بإزائها تسمى الموفقية نسبه إليه، وجعلها معسكرا دائما لـه ولجيـشه. وفي الوقت نفسه ضرب حصارا اقتصاديا على المختارة؛ لمنع وصول المؤن إليها حتى نجـح في اقتحام المدينة والاستيلاء عليها.

وبعد القضاء على الحركة الثائرة أصدر الموفق بيانا أعلن فيـه انتهـاء الاضـطرابات والفوضى بعد حرب دامت أكثر من ١٤ سنة (٢٥٥–٢٧٠هـ)، ودعا سكان هـذه المنـاطق

للرجوع إلى مدنهم وقراهم.. وهكذا نجحت الخلافة العباسية –وهي تمر بمرحلة عصيبة في تاريخها- من القضاء على حركة عنيفة؛ مما يدل على ما تضمه الدولة من إمكانات كامنة في مؤسسة الحكم يمكن أن تُستغل إذا وجدت الخليفة المناسب.

## محاولة نقل الخلافة للقاهرة.

يئس الخليفة العباسي المعتمد من تسلط أخيه الموفق وفرض سيطرته عليه؛ فصار كالمحجور عليه، ولم يكن له حول ولا قوة فبعث برسالة إلى أحمد بن طولون واليه على مصر ينبئه بأنه خارج إليه فِرارا من سيطرة أخيه، واستجابةً لرسالة كان ابن طولون قد كتبها إليه في سنة (٢٦٨ هـ = ٨٨٢م) يعده فيها بالحماية والنصرة.

وانتهز الخليفة فرصة انشغال أخيه الموفق بإخماد ثورة الزنج فخرج من مدينة سامراء عاصمة الخلافة آنذاك متظاهرا بالصيد، واتجه صوب الرقة للحاق بابن طولون الذي كان في دمشق؛ فلما علم الموفق بأمر هذه المحاولة أمر عامله على الموصل برد الخليفة إلى سامراء في شعبان (٢٦٩هـ = فبراير ٨٨٣م) وبذلك فشلت فكرة نقل الخلافة إلى القاهرة بفضل يقظة الموفق.

## ملامح حضارية.

على الرغم من المشكلات الضخمة التي ألمت بالدولة العباسية في عصرها الثاني فإن هذه الفترة تُعد من أخصب فترات التاريخ الإسلامي في عطائها الحضاري وثرائها الفكري، ويكفي أن نعلم أن هذه الفترة شهدت تألق عمدة المحدثين وسيد الحفاظ الإمام "البخاري" المتوفى سنة (٢٥٦هـ = ٨٧٠ م) صاحب الجامع الصحيح، أصح كتب السنة، والتاريخ الصغير، والتاريخ الكبير.. بالإضافة إلى مجموعة أخرى من أعلام المحدثين من أمثال. الإمام مسلم النيسابوري المتوفى سنة (٢٦١هـ= ٨٧٥م) صاحب كتاب الجامع الصحيح، أصح كتب السنة بعد صحيح البخاري. والإمام ابن ماجه المتوفى سنة (٢٧٣هـ = ٨٨٦م) وأبو داود المتوفى سنة (٢٧٥هـ = ٨٨٨م) والترمذي المتوفى سنة (٢٧٩ هـ = ٨٩٢م).

وشهد هذا العصر تألق عدد كبير من النابهين في اللغة والأدب والشعر، من هؤلاء. محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ = ٨٩٨م) وصاحب كتاب الكامل، وكان إمام النحاة في عصره، ولمع أيضا ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (٢٧٦هـ=٨٨٩م) وقد ترك لنا هذا العالم الكبير عددا من الموسوعات ذات الشأن مثل. عيون الأخبار، والشعر والشعراء، وأدب الكاتب الذي تحدث فيه عما يحتاج إليه الأديب من فنون الثقافة والمعرفة ليمارس الكتابة.

ولمع في مجال الشعر كوكبة من أعظم شعراء العربية مثل. البحتـري المتـوفى سـنة (٢٨٤هـ=٨٩٧م) صاحب الديباجة الشعرية الرائعة والموسيقى العذبة الراقية، وابن الرومـي المتوفى (٢٨٣هـ=٨٩٦م) الذي اشتهر بقدرته على توليد المعاني وابتكار الصور والأخيلة.

ونشطت حركة التأليف التاريخي، وتألق عدد من كبار المؤرخين كابن قتيبه الذي أشرنا إليه.. وهو عالم موسوعي يضرب في كل فن من المعرفة بسهم وافر، واليعقوبي المتوفى سنة (٢٧٨هـ =٨٩١م) صاحب كتاب تاريخ اليعقوبي، والبلدان الذي يعد من أقدم ملفات التـراث الجغرافي العربي، والبلاذري المتوفى سنة (٢٧٩هـ = ٨٩٢م) وهو من أبرز مؤرخي هـذه الفترة وله كتابان عظيمان هما. فتوح البلدان، ويعد من أوثق الكتب التي تحدثت عـن تـاريخ الفتوح الإسلامية، وأنساب الأشراف وهو موسوعة كبيرة تتناول التاريخ الإسلامي من خـلال الإنسان، كما حظيت العلوم الطبية والرياضية والفلكية والطبيعية بنصيب وافر مـن العنايـة والدراسة.

## وفاة الموفق.

نجح الموفق في كل ما قام به من أعمال أن يعيد للدولة العباسـية سـلطانها وللخلافـة هيبتها، وأن يكبح بحكمته وحزمه جماح الأتراك، وأن يعيـد تنظـيم الجـيش ويقـر الأمـن والاستقرار؛ لذا لم يكن غريبا أن يطلق المؤرخون على هذه اليقظة "صحوة الخلافة".. وتوفي الموفق في (٢٢ من صفر ٢٧٨ هـ = ٥ من يونيو ٨٩١م).

## ٨٦٩ م. وفاة ابن سهل.

سابور بن سهل. طبيب وصيدلي فارسي مسيحي. تـوفي عـام ٨٦٩م. مـن اطبـاء جنديسابور المشهورين الذين قدموا الى بغداد وعملوا فيها، وقد طبب ابن سهل المتوكل ومـن تلاه من الخلفاء. وقد كتب ابن سهل اول كتاب بالعربية في الاقرابادين وهو (كتاب اقرابـاذين الكبير) الذي جعله في ١٧ بابا وحل محل كتاب جالينوس (تقريب الادوية). وقد كثر اسـتخدام الكتاب في المستشفيات ودكاكين الصيادلة والعطارة قرونا كثيرة. كذلك الف ابن سهل (قـوى الاطعمة ومضارها ومنافعها)و (كتاب الرد على حنين)، أي حنين بن اسحاق في كتابـه فـي الادوية المسهلة و (كتاب القول في النوم واليقظة). و (الاقرابادين) هو علـم الأدويـة عنـد العرب.

- ٨٧٠ م (٢٥٤ هـ). احمد بن طولون يؤسس الدولة الطولونية
- ٨٧٠ م (٢٥٦ هـ). قيام الدولة الصفارية

## ٨٧٠ م. وفاة بختيشوع بن جبرائيل.

ابن جبرائيل بن بحتيشوع. طبيب فارسي نسطوري. توفي ٨٧٠ م. طبيب المأمون في اخريات ايام جبرائيل ولكن هذا غضب عليه، قيل لدسائس منافسيه، فنفاه الى جنديسابور وصادر املاكه وضياعه. ولما اشتد مرض الاستسقاء بالمأمون استدعاه لمساعدته. ولكن المأمون مات قبل بختيشوع ثم انصلحت احواله وزادت امواله زمن المتوكل، وقيل ان احدا لم يكن ينافسه غنى ولباسا وفرشا وصناعة غير الخليفة ذاته. ثم غضب عليه المتوكل فنفاه الى مدينة السلام وصادر امواله، ولكن لما ثقل عليه المرض عاد فاستدعاه واعتذر له ورد له أشياءه. ولما استطاع المتآمرون بالمتوكل ان يوغلوا صدره غضبا عليه مرة أخرى وهو في جلسة شراب عاد فنفاه الى البصرة واخذت منه امواله. ثم استدعاه المهتدي واعادها اليه بعد حين. وانصلحت احواله سنوات. ولكن قيل ان الخليفة غضب عليه في اخريات ايامه ونفاه الى البحرين حيث توفي هناك. وقيل انه قد توفي في بغداد. وقد خلف بختيشوع ولدا هو عبيد الله وثلاث بنات، قيل ان الوزراء والنظار قد تابعوهم بالمطالبات والمصادرات حتى تفرقوا واختلفوا. ثم اقيم الابن عبيد الله على خزائن المقتدر حتى مات فصودرت امواله.َ

## ٨٧٠ م. مولد الفارابى.

"كان الفارابي فيلسوفاً ورياضياً فذاً ذائع الصيت، بالإضافة إلى كونه موسيقياً بارعاً".

وهو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني لدراسته كتب أرسطو (المعلم الأول) وشرحه لها. ويعرف الفارابي في اللاتينية باسم Alpharabius. ولد في مدينة "فاراب" في تركستان حيث كان والده تركياً من قواد الجيش.

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي. >إنه لا يعرف شيء يقيني عن طفولة الفارابي الأولى أو مراحل حياته التالية. وكل ما يعرف عنه أنه درس في مسقط رأسه مجموعة من المواد المختلفة كالعلوم، والرياضيات، والآداب، والفلسفة، واللغات خاصة التركية، والفارسية، واليونانية، والعربية. وفي سن متقدمة، غادر مسقط رأسه وذهب إلى العراق لمتابعة دراساته العليا، فدرس الفلسفة، والمنطق، والطب على يد الطبيب المسيحي يوحنا بن حيلان، كما درس العلوم اللسانية العربية والموسيقي. ومن العراق انتقل إلى مصر والشام، حيث التحق بقصر سيف الدولة في حلب واحتل مكانة بارزة بين العلماء، والأدباء، والفلاسفة.

وبعد حياة حافلة بالعطاء في شتى علوم المعرفة طوال ثمانين سنة، توفي الفارابي أعزب، بمدينة دمشق سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م.

## إسهاماته العلمية.

يعد الفارابي أكبر فلاسفة المسلمين. وقد أطلق عليه معاصروه لقـب "المعلـم الثـاني" لاهتمامه الكبير بمؤلفات أرسطو "المعلم الأول"، وتفسيرها، وإضـافة الحواشـي والتعليقـات عليها. ومن خصائص فلسفة الفارابي أنه حاول التوفيق من جهة، بين فلسفة أرسطو وفلـسفة أفلاطون، ومن جهة أخرى بين الدين والفلسفة. كما أنه أدخل مـذهب الفـيض فـي الفلـسفة الإسلامية ووضع بدايات التصوف الفلسفي.

ورغم شهرة الفارابي في الفلسفة والمنطق، فقد كانت له إسهامات مهمة في علوم أخرى كالرياضيات والطب والفيزياء. فقد برهن في الفيزياء على وجود الفراغ. وتتجلى أهم إسهاماته العلمية في كتابه "إحصاء العلوم" الذي وضع فيه المبادئ الأساس للعلوم وتـصنيفها ؛ حيـث صنف العلوم إلى مجموعات وفروع، وبين مواضيع كل فرع وفوائده.

وبجانب إسهامات الفارابي في الفلسفة، فقد برز في الموسيقى. وكانت رسالته فيها النواة الأولى لفكرة اللوغارتم حسب ما جاء في كتاب "تراث الإسلام"، حيث يقـول كـارا دي فـو Carra de Vaux. >أما الفارابي الأستاذ الثاني بعد أر سطو وأحد أساطين الأفلاطونية الحديثة ذو العقلية التي وعت فلسفة الأقدمين، فقد كتب رسالة جليلة في الموسيقى وهو الفن الذي برز فيه، نجد فيها أول جرثومة لفكرة النسب (اللوغارتم)، ومنهـا نعـرف علاقـة الرياضـيات بالموسيقى. وتؤكد زغريد هونكه الفكرة نفسها حين تقول. >إن اهتمام الفـارابي بالموسـيقى ومبادئ النغم والإيقاع قد قربه قاب قوسين أو أدنى من علم اللوغارتم الذي يكمـن بـصورة مصغرة في كتابه عناصر فن الموسيقى.

## مؤلفاته.

### من بين أهم الشروح والكتب التي ألفها الفارابي في العلوم نذكر ما يلي.

- شرح كتاب "المجسطي" في علم الهيئة لبطليموس ؛
- شرح المقالتين الأولى والخامسة من كتاب إقليدس في الهندسة ؛
- كتاب في المدخل إلى الهندسة الوهمية ؛
- كلام في حركة الفلك ؛
- مقالة في صناعة الكيمياء ؛
- كتاب إحصاء العلوم. قسم الفارابي، في هذا الكتاب، العلوم، إلى ثماني مجموعات، ثم ذكر فروع كل مجموعة، وموضوع كل فرع منها، وأغراضه، وفوائده. ترجمه جيرار الكريموني إلى اللاتينية.

- صناعة علم الموسيقى. شرح فيه الفارابي مبادئ النغم والإيقاع.

**وللفارابي عدد كبير من المؤلفات الأخرى في الفلسفة والمنطق ومن أشهرها.**

- "آراء أهل المدينة الفاضلة" ؛
- "الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الإلهي و أرسطوطاليس". وهو كتاب يوفق فيه الفارابي بين آراء أفلاطون وأرسطو.

وأكثر الكتب التي ألفها الفارابي، إما أنها فقدت أو أنها لا تزال في الخزائن والمكتبات، والمعروف منها إلى الآن قليل، إذا قيس بمجموع ما كتبه في شتى العلوم والفنون.

## ٨٧٤ م. وفاة المروزي.

احمد بن عبد الله حبش الحاسب. رياضي وفلكي عراقي. توفي بين عامي ٨٦٤م و ٨٧٤م. يعتبر عند البعض اول الفلكيين العرب، وصاحب اول زيج عربي أسس زمن المأمون على ارصاد العرب. وهو من اوائل الذين قاموا بتحديد الزمن برصد ارتفاع الشمس، ورصد الكسوف والخسوف، واشتغل بحساب المثلثات وجداول الظلال.

وقد ذكر ابن النديم في (الفهرست) انه عاش حتى بلغ المائة من عمره. وقد ألف المروزي كتبا كثيرة منها (الزيج الدمشقي) ، و (الزيج المأموني)، و (الزيج الممتحن)، و (الزيج الصغير)، و (كتاب الابعاد والاجرام)، و (كتاب الرخائم والمقاييس)، و (كتاب الدوائر الثلاث المماسة وكيفية الاوصال)، و (كتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمنحرفة)، وكتاب (عمل الاسطرلاب).

## ٨٧٤ م (٢٦٠ هـ). تأسيس الدولة السامانية.

السامانيون سلالة إيرانية حكمت في بلاد ماوراء النهر أجزاء من فارس وأفغانستان مابين ٨١٩/٧٤-٩٩٩ م.

ينحدر مؤسس السلالة سامان من أسر البراهمة (الرهبان في الديانة الفارسية القديمة). أصبح أحفاده الأربعة بعد ٨١٩ م ولاة من قبل الطاهريين على كل من سمرقند، فرغانة، شاش وهراة. تلى نصر الأول بن أحمد (٨٧٤-٨٩٢ م) أباه في الولاية على سمرقند سنة ٨٦٤ م. بعد سقوط دولة الطاهريين سنة ٨٧٤ م أصبح واليا على ماوراء النهر من قبل العباسيين. ثم استقل بالأمر. قام أخوه اسماعيل (٨٩٢-٩٠٧ م) بالقضاء على دولة الصفاريين (حتى سنة ٩٠٣ م) ثم ضم إليه أفغانستان وأجزاء كبيرة من فارس مع خراسان. بلغت الدولة أقصى اتساعها أثناء عهد نصر الثاني (٩١٤-٩٤٣ م). من بغداد، كرمان و مازندان (على

الخليج الفارسي) حتى تركستان وحدود الهند. بعد ٩٤٥ م أزاح البويهيـون الـسامانيين عـن ماوراء النهر وخراسان.

في عهد منصور الأول (٩٦١-٩٧٦ م) ثم نوح الثاني (٩٧٦-٩٩٧ م) عرفت الحيـاة الفكرية عصر ذهبيا، وأصبحت العاصمة بخارى مركزا للثقافة الفارسية وآدابها. بعد حـروب طويلة مع القبائل التركية الضاربة على حدود الدولـة الـشرقية. أنهكـت الدولـة. اسـتولى الغزنويون سنة ٩٩٤ م على خراسان ثم ضم القراخانات مناطق ما وراء النهر سـنة ٩٩٩ م. قتل آخراء الأمراء السامانيين سنة ١٠٠٥ م أثناء محاولته الفرار.

**أصل الدولة**

## الدولة السامانية:

ينتسب السامانيون إلى أحد رجالات الفرس يدعى سامان والذى كان مجوسياً واعتنـق الإسلام فى أواخر عهد الدولة الأموية. وهذه الأسرة السامانية جدها الأعلى يدعى "سامانخذاه" وهو من الدهاقنة. وكان أمير بلدة سامان من أعمال بلخ واضطر للفرار من بلاده إلى والـى خراسان أسد بن عبد الله القسرى أيام يزيد بن عبد الملك؛ فأعانـه علـى خـصومه فـدخل "سامانخذاه" فى الإسلام وسمى أحد أبنائه باسم أسد. وظهر أولاد أسد كزعمـاء فـى عـصر المأمون فولى.

- أحمد بن أسد. فرغانة.
- نوح بن أسد. سمرقند.

- يحيى بن أسد. الشاش، وأشرونه.
- إلياس بن أسد. هراة وذلك حوالى (٢٠٤هـ).

ولما آلت خراسان إلى طاهر بن الحسين أقر أولاد أسد بن سامان على ما تحت أيديهم. غير أن فرع الأسرة الذى جاء منه أحمد بن أسد كان الفرع الذى قامت عليه الأسرة، فقد توفى سنة (٢٥٠هـ) وهو على سمرقند، ولما انهارت بعد ذلك دولة الطاهريين كان نصر بن أحمد أبرز الولاة فيما وراء النهر فأقطعها الخليفة له. وقد ولى نصر أخاه إسماعيل على بخـارى، فأخمد إسماعيل فتن المنطقة وقمع المشاغبين سنة (٢٦٠هـ)، ونزل له رافع بن هيثمة عـن حكم خراسان متحالفًا معه ضد أخيه نصر بسبب الدسائس بين الأخوين، فقامت الحـرب، ثـم اصطلحا. لكنها عادت سنة (٢٧٥هـ)، وانتصر فيها إسماعيل ولكنه قبل يد أخيه ورده إلـى موضعه حيث ولاية سمرقند. ولما مات أحمد سنة (٢٨٩هـ) صارت زعامة الأسرة كلها إلى إسماعيل الذى أمن حدود بلاده الغربية من ناحية طبرستان بالانتصار على منافـسه الأميـر محمد بن زيد العلوى، والامتداد حتى خليج البصرة مع الجبال، وأمن حدوده من الشرق مـع الترك سنة (٢٩١هـ) حين أغاروا عليه، وبقى فى الحكم حتى سنة (٢٩٥هـ) حين مات فـى بخارى. ولا يزال قبره هناك. وقد توفى بعد زيادة ملكه إلى الضعف عـدا مـا وراء النهـر وخراسان اللتين خلصتا له بعد القضاء على الصفاريين.

وقد ولى ابنه أبا نصر محمد على الولاية التى كانت أشبه بإمبراطورية صغيرة تضم ما بين تركستان وأطراف الهند والخليج العربي وقزوين ومركزها فى العاصمة سمرقند وبخارى فهو الذى مهد للحكام ما وراء النهر بعد عهد حكام خراسان، لكن حكمه لم يدم سـوى سـت سنوات فقد قتل عام (٣٠١هـ)، وخلف أبا نصر ابنه نصرا وكان صغيرا فاستصغرته أسرته، فطلب أعمامه ولاية خراسان. إلا أن الخليفة أقر نصرا على البلاد التى كانت لأبيه رغم صغر سنه. وما إن سارت الأمور فى بلاد ما وراء النهر وخراسان باسم نصر بن أحمد حتى ثـار عليه عم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد السامانى وابنه إلياس بن إسحاق وسارا نحـو بخـارى، غير أنهما قد هزما أمام جيوش نصر التى استولت على سمرقند، وأسر إسحاق بعد اختفائـه. أما إلياس فقد فر إلى بلاد فرغانة. وثار ابن إسحاق الثانى وهو منـصور عـام (٣٠٢هـ) وانضم إليه بعض قواد نصر واستولوا على سجستان وحكموها باسم منصور وكـذلك علـى نيسابور، واستمرت الحرب بين نصر ومنصور حتى عام (٣٠٦هـ)، حيث انتـصر نـصر وعادت إليه نيسابور وسجستان.

وتقدم إلياس بن إسحاق مرة ثانية عام (٣١٠هـ) نحو سمرقند لمنازلة نـصر غيـر أن الهزيمة قد حلت به واضطر للرجوع إلى فرغانة عام (٣١٢هـ)، فثار أبو على بـن إليـاس

على نصر بن أحمد واستولى على كرمان؛ فأرسل له نصر جيشًا كبيرا هزم أبا علي محمد بن إلياس ودخل كرمان. وتولى نوح بن نصر أمر السامانيين عام (٣٣١هـ) بعـد وفـاة أبيـه واختلف مع ركن الدولة البويهي على خراسان وهزم أمامـه، ولكنـه اسـتعاد مافقـده عـام (٣٣٣هـ)، وخرج عليه أحد قادته وهو أبو على بن محتـاج واسـتطاع أن يـستولى علـى نيسابور، ومرو، وبخارى عام (٣٣٥هـ) فسار إليه نوح بن نصر. وتصالح نوح بن نصر مع القائد المتمرد أبى على؛ فقوى أمره واسترد ما فقده فى الرى وبلاد الجبل. وعادت الحرب عام (٣٥٦هـ) واستمرت حتى (٣٦١هـ) بين ركن الدولة البويهى ومنصور بن نوح الذى تـولى بعد عبد الملك بن نوح سنة (٣٥٦هـ). وتوفى منصور بن نوح عام (٣٦٦هـ)، وقام بعـده ولده أبو القاسم نوح بن منصور وكانت فترة حكمه طويلة وكانت مليئـة بـالفتن والثـورات والحروب الأهلية بسبب صغر سن الأمير، كما كثر تدخل أمه فـى شـئون الحكـم وكـذلك الوزراء.

- ٨٧٥ م (٢٦١ هـ). وفاة الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وردان، أحد أئمـة المحدثين المعروفين، وصاحب كتاب المسند الصحيح المعروف بـصحيح مـسلم الذي يعد مع صحيح البخاري أصحي كتابيين بعد كتاب الله، ولد سنة ٢٠٦ هـ = ٨٢١م وطلب العلم صغيرا، وطوف بالبلاد سماعا للحديث، وتـرك لنـا إنتاجـا عظيما في ميدان السنة النبوية

## ٨٨٠ م. وفاة الماهانى.

ابو عبد الله محمد بن عيسى. رياضي وفلكي فارسي. تـوفي ٨٧٤م أو ٨٨٠م. عـالج الماهاني مسألة ارشميدس الخاصة بالمستوى الذي يقطع الكرة الى جـزئين حجمهمـا بنـسبة معلومة، كما وضع معادلته المشهورة باسمه (معادلة الماهاني) وهي من معـادلات الدرجـة الثالثة. وقد اشتغل الماهاني بالفلك، وألف أرصادا فلكية، واستخدم ابن يونس ارصاده للكسوف والخسوف خلال الاعوام ٨٥٣ م و ٨٦٦ م في وضع نظرياته. كذلك اصلح الماهاني كتابـات اقليدس في كتاب يحتوي على ٢٦ شكلا توضيحيا، وله ايضا (كتاب في النـسبة)، و (كتـاب شرح ما ألفه ارخميدس في الكرة والاسطوانة)، و (رسالة عروس الكواكب).

- ٨٨٦ م. وفاة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أشهر حكام الأندلس من بني أمية، ولد عام ٢٠٧هـ، وتولى الحكم عام ٢٣٨هـ، وشهد عصره ثورة كبيـرة فـي طليطلة استمرت ٣٥ عاما، وكان محبا للجهاد، ويقود جيشه بنفسه.
- ٨٨٦ م. المنذر بن محمد بن عبد الرحمن يتولى الحكم في الأندلس بعد وفاة والده، ولد عام ٢٢٩هـ = ٨٤٤م في قرطبة، وشهد عـصره "ثـورة المولـدين" فـي

الأندلس، وتوفي أثناء حصاره لأسوار مدينة ببشتر في صفر ٢٧٥هـ = ٨٨٨م بعد حكم لم يستمر سوى عامين فقط.

- ٨٨٦ م. وفاة الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، صاحب سنن ابن ماجه، أحد كتب الصحاح الستة، التي تشمل صحيح البخاري ومسلم، وسنن النسائي والترمذي، وأبي داود وابن ماجه
- ٨٨٧ م. وفاة "أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان" –أبو علي الفارسي- أحد علماء العربية المعدودين، وصاحب كتاب "الإيضاح" وكتاب "التكملة" في النحو.
- ٨٨٩ م. وفاة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعروف بابن قتيبة، أحد أعلام اللغة والأدب والتاريخ والحديث في القرن الثالث الهجري، وصاحب المؤلفات المعروفة، مثل. الشعر والشعراء، وأدب الكاتب، وتأويل مشكل القرآن، والمعارف...

## ٨٩٠ م. بداية ظهور القرامطة فى العراق.

القرامطة كانت طائفة إسماعيلية عاشت في شرق شبه الجزيرة العربية (حالياً. الإمارات العربية المتحدة، وقطر، والبحرين، وبعض أجزاء المملكة العربية السعودية). أشهر ما عرف عنهم قيامهم بثورة ضد الخلافة العباسية في السنوات القلة الأخيرة من القرن التاسع الميلادي، الأمر الذي أدى إلى الكثير من الاضطرابات، منها سرقة الحجر الأسود من مكة المكرمة.

مؤسس مذهب القرامطة هو حمدان بن الأشعث الذي يلقب "بقرمط". قدم من الأهواز إلى الكوفة سنة (٢٧٨ هـ/٨٩١م)وأقام بها. دخل في بداية حياته في مذهب الإسماعيلية على يد حسين الأحوازي. وقد عرف حمدان بقوة شخصيته وعلاقاته الاجتماعية. انقلب على الإسماعيلية الباطنية وقام بإنشاء مذهباً خاصاً به، مركزه في الكوفة في عام ٨٩٠ م وأطلق عليه اسم "دار الهجرة". داعياً إلى إمام من آل البيت، فلقيت دعوته نجاحا عند أنصار العلويين. وبعد أن وثق من بعضهم بدأ في بث دعوته الغريبة وأفكاره البعيدة عن الإسلام.

انتشرت الفرقة القرمطية في الكوفة وواسط والبصرة في العراق، ومن ثم في البحرين والقطيف. ثم اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها في البحرين "أبي سعيد الجنّابي" سنة (٢٨٦ هـ = ٨٩٩م)، واستطاع أن يبسط نفوذه على "البحرين" و"هجر"، وكسب أنصارا كثيرين، وتحولت البحرين إلى مركز للقرامطة ومعقلاً لنشاطهم، وخرجت منه حملاتهم الحربية لنشر أفكارهم الهدامة تحت شعارات براقة، يخدعون بها البسطاء.

وانتشروا في الأحساء والطائف حتى اليمن. ثم ساروا إلى بعلبك وسلمية. استولوا على دمشق في عام ٨٧٣ م، ثم توجهوا إلى مصر ثم المغرب وعمان.

ولم ينجح المعتضد في القضاء على هذه الحركة؛ لأنه لم يقدر خطورتها حـق قـدرها، وصرف جهده إلى قمع فتن كانت تبدو لديه أكثر خطورة منها.

## أشهر الشخصيات.

- حمدان بن الأشعث، المعروف أيضاً باسم "قرمط"
- أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي في البحرين
- عبدان الداعية
- أبو طاهر سليمان بن الحسن الهجري
- أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي
- يحيى بن زكرويه

تشير أكثر المصادر إلى أن مؤسس مذهب القرامطة هو حمدان بن الأشـعس الملقّـب بقرمط، وكان أكاراً من الكوفة وأصله فارسي مجوسي، وقيل صابئي. وكان قد دخل في بداية حياته في مذهب الإسماعيلية الباطنية على يد حسين الأهوازي ابن مؤسس المذهب الإسماعيلي العبيدي عبدالله بن ميمون بن ديعان القداح اليهودي، وقد عرف عن حمدان شخصيته القويـة وعلاقاته الاجتماعية الكثيرة ورأيه المقنع، وكان يعيش ضمن مجتمع يحقـد علـى الخلافـة العباسية، كلّ هذه الأمور مجتمعة ساعدته على نشر مذهبه، لكن حمدان القرمطي سرعان مـا انقلب على الإسماعيلية الباطنية منشئاً مذهبه الخاص به، كما أنشأ مركزاً له في الكوفة عـام ٢٧٧هـ أسماه دار الهجرة. ومن هذا المركز بدأ حمدان بإرسال دعاته الذين انتقاهم بدقّة لنشر دعوته بين جهلة الناس عامة وبين المجوس المتستّرين وأحفاد اليهود بصورة خاصـة، ومـن أشهر دعاته أخوه مأمون وزكرويه بن مهرويه الذي ورث عن أبيه كره الإسلام وأمل القضاء عليه وتأسيس دولة فارسية على أنقاضه تقوم على أساس الدين المجوسي، وكذلك كان ابن عم حمدان وصهره عبدان مفكّر القرامطة وأبو الفوارس قائد تمردهم عـام ٢٨٩، وأبـو سـعيد الجباني في البحرين، ومن أشهر من كتب لهم محمد بـن أحمـد النـسفي صـاحب كتـاب المحصول، وأبو يعقوب السجزي المعروف ببذاته صاحب كتاب أساس الدعوة وكتاب تأويـل الشرائع وكتاب كشف الأسرار عقيدتهم إعتمدت عقيدة القرامطة كغيرها من فرق الباطنية على إخفاء ما يؤمنون به وإظهار أنفسهم على أنّهم مسلمون ليسهل عليهم الاندماج فـي المجتمـع والدعوة إلى دينهم، حتّى إذا وثقوا من تابعهم أطلعوه على خفايا عقيدتهم. وهم يتأولون الأحكام الشرعية على ما يوافق ضلالاتهم وأهوائهم، فيتأولون قوله سبحانه وتعالى {واعبد ربك حتّـى

يأتيك اليقين} [الحجر. ٩٩] على أنّه من عرف التأويل فقد أتاه اليقين، وعليه فمن عرف معنى العبادة فقد سقط عنه فرضها، وأولوا كذلك أركان الشريعة. فالصلاة عندهم مـوالاة إمـامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والصوم هو الإمساك عن إفشاء سر الإمام لا الإمـساك عـن الطعام والشراب، والمراد بالزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق.

وقد اختلف المؤرخون والمصنّفون في أصل مذهبهم، فمنهم من قال بأنّهم صابئة، ومنهم من ذكر بأنّهم من المجوس الإباحية أتباع فزدك المؤبد كما ذكر ابن حزم الظـاهري، حـين وصفهم فقال. ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسـماعيلية والقرامطـة، وهمـا طائفتـان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة، ثم مذهب مزدك المؤبد... وكـان يقول بوجوب تواسي (تساوي) الناس في النساء والأموال.

وقد نسبهم الإمام عبدالقاهر الإسفرائيني إلى الدهرية الزنادقة، فيقول. الذي يصح عندي من دين الباطنية أنّهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلّها، لميلهـا إلى استباحة كلّ ما يميل إليه الطبع. ويستدلّ على قوله برسالة عبدالله بن الحسين القيروانـي إلى سليمان بن الحسين بن سعيد الجنابي في كتابهم «الـسياسة والـبلاغ الأكيـد والنـاموس الأعظم» يوصيه فيها. أدع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كلّ واحد منهم بأنّك منهم، فمن آنست منه رشداً فاكشف له الغطاء وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسـفة معولُنا، وأنا وإياهم مجموعون على رد نواميس الأنبياء، وعلى القول بقدم العـالم لـولا مـا يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لا نعرفه...

وأنا أميل إلى أنّهم قد جمعوا بين الدهرية الزنادقة والمجوسية الإباحية فقد قال القيرواني في آخر رسالة له إلى سليمان بن الحسن. «وما العجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها يحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي، ولو عقـل الجاهل لعلم أنّه أحقّ بأخته وبنته من الأجنبي، وما وجه ذلك إلاّ أنّه صـاحبهم حـرم علـيهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل، وهو الإله الذي يزعمونه، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبـداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتّى أتعبهم بذلك عاجلاً، وجعلهم له في حياتـه ولذريته من بعد وفاته خَولاً (عبيداً أو خدماً) واستباح بذلك أموالهم بقوله {لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى} [الشورى. ٢٣]. فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعد لا يكون، وهل الجنّة إلاّ هذه الدنيا ونعيمهـا، وهل النار وعذابها إلاّ ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فـي الـصلاة والـصيام والجهاد والحج..

وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذّاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس، فهنيئاً لكم على مـا نلـتم مـن الراحة عن أمرهم».

ومما ذكرت آنفاً يتبين أخذهم بعقيدة المجوسي من ناحية زواج الأخت والبنت، واتّباعهم لمذاهب الدهرية الزنادقة من نفي النبوة والرسالة والشرائع.

**نشر مذهبهم.**

لقد استغلّ القرامطة -كغيرهم من الحركات الباطنية الهدامة- الظروف المحيطة بهـم، خاصة وأن بداية دعوتهم وافقت القضاء على حركة الزنج، ولقد كانت الدولة الإسلامية آنذاك في بداية ضعفها وتسلّط العسكر عليها من ناحية، وانتشار الشعوبيون في أرجائها، وعم الجهل في تعاليم الإسلام بين أبنائها، ولقد ركّز القرامطة في دعـوتهم علـى الأراضـي الخـصبة بنظرهم، كالموالي والعبيد الحاقدين على أسيادهم والأُجراء والمزارعين الناقمين على أصحاب المهن والأراضي، لاعتقادهم بأنّهم لا يعطونهم ما يـستحقّونه لقـاء كـدهم وتعـبهم. ولكـي يستقطبونهم ابتدعوا فكرة إشاعة المال وشيوعية الأراضي، وكـذلك بثّـوا بـين الـشعوبيين الحاقدين على دولة الإسلام وعدهم بالقضاء على المسلمين وسلطانهم وإعادة الملك لهم سـواء كانوا مجوساً أو هنوداً أو يهوداً ونصارى... وبقي عندهم العنصر الرئيسي ألا وهو الـشباب، الوقود الأساسي لكلّ تمرد وثورة.. ووجدوا أن خير أسلوب لجذبهم هو بثّ الفكر الانحلالـي وجذبهم بالشهوات.. فاستباحوا الزنى والخمر واللواط وسائر المحرمات، وجعلوا النساء مشاعاً بينهم، وأباحوا نكاح الأقارب من أخوات وبنات وما شابه هذا، بالإضافة إلى التخطيط الـدقيق والإرهاب والبطش.. كلّ ذلك جعل العنصر الشبابي ينجذب إليهم انجذاب الفراش للنار...

وقد اعتمدوا في نشر دعوتهم على مراحل وأقسام أسموها -كما ذكرها الإمام عبدالقاهر الإسفرائيني- على النحو التالي. التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتلقين، والربط، والتـدليس، والتأسيس، والمواثيق بالأيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ.

فالتفرس. أن يعرف الداعي من يدعو وكيف يدعوه، مميزاً من يطمع في إغوائه ممن لا يطمع فيه، وقد قالوا في وصاياهم لدعاتهم. لا تضعوا بذرتكم في أرض سبخة، ولا تتكلّموا في بيت فيه سراج، يقصدون من عنده علم. ومن شروط الداعي عندهم أن يكون عالمـاً بـأنواع الناس وأصنافهم واختلاف مذاهبهم ونقاط ضعفهم والأبواب التي يدخل على كلّ واحد مـنهم.. فمن كان مشتغلاً بالعبادة حببها إليه وحضه عليها، ثم سأله عـن معـاني العبـادات وعلـل الفرائض، وشكّكه فيها حتى أبدعها وأدخله مذهبه. ومن كان رافضياً جاراه فـي تعظـيم آل البيت وحب علي ويطعن في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطّاب وخيار الصحابة ثم يبغـضه

في بني تميم لكون الصديق منهم وبني عدي لانتساب الفاروق إليهم، ويبغض في بنـي أميـة لكون عثمان ومعاوية رضي اللـه عنهما منهم، وكذلك الأنصار لعـدم وقـوفهم مـع علـي ومطالبتهم بحقّه في الخلافة.. ثم يدخل عليه من باب الولاية والتأويل حتّى يخرجه من الدين.

وإن رآه ممن يحب الشيخان مدحهما عنده ورفع من شأنهما وذكـر لـه بـأن صـحبة الرسول لأبي بكر في الغار كان القصد منها تعليمه التأويل، فإذا سأله المسكين عـن التأويـل يكون قد وقع في المصيدة، ووصل درجة التأنيس.. وأما إن كان المراد جذبه من أهل الفـسق والمجون، فإنّه هو الصيد السهل، فيذكر أمامه قول الشاعر الماجن.

**أتُرك لذة الصهباء صرفاً لما وعدوه من طم و ضمر**

**حياةٌ ثم موتٌ ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو**

ويشجعونه على الانغماس في المعاصي واستباحة الحرمات وإنكـار البعـث والثـواب والعقاب وإنكار اللـه والخروج من الإسلام.

ثم تأتي المرحلة الثانية، التأنيس. وهو التفرس تقريباً، إلاّ أنّه بعد أن يزين للصيد مذهبه ويشكّكه فيه لما يسأله عن التأويل.. فإذا سأله المدعو عن علم ذلك أجابـه بـأن علمـه عنـد الإمام.. ويكون قد انتقل إلى مرحلة التشكيك، وهو الوصول بالضحية إلى الاعتقاد بأن المراد بالفرائض والظواهر شيئاً آخر غير معناها اللغوي أو الشرعي.. ينهون عليه ترك الفـرائض وارتكاب الموبقات، ويكون قد أصبح جاهزاً لمرحلة الربط، والربط عندهم طلب المدعو إلـى معرفة تأويل أركان الشريعة، فيتأولونها به، فإن قبلها على الوجه الذي دفعوها إليه، وإلا بقـي على الشك والحيرة فيها.

أما التدليس.. فهو قولهم للضحية الجاهل إن الظواهر عذاب وباطنهـا فيـه الرحمـة.. ويستدلّون بقوله تعالى {فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمـة وظـاهره مـن قبلـه العذاب} [الحديد. ١٣]، وإن لكلّ عبادة أو أمر ظاهراً هو كالقشر وباطنه كاللّب، واللب خيـر من القشر، فإذا سألهم عن تأويل باطن الباب.. طلبوا منه وأخذوا منـه المواثيـق والأيمـان المغلّظة كالطلاق والعتاق وتسبيل الأموال والبراءة من اللـه ورسوله.. إلى آخر هذه الأيمان والنذور.. بأن لا يحدث أحداً بما سيخبرونه إلاّ بإذنٍ من الإمام صاحب الزمان، أو المأذون له في دعوته، وأن يستر أمرهم ويحمي جماعتهم.

فإن فعل المقرر به ذكروا له حقيقة دينهم واعتقادهم، فإن قبل الجاهل مذهبهم فقد انسلخ من الملّة وخلع الإسلام من عنقه، وإن رفض الدخول في عقيدتهم لعدم تقبله لها واستهجانه بها

لم يستطع أن يذيع سرهم ويدلّ عليهم، بل إنّه يكتم أمرهم، وقد يساعدهم، وذلك لما أخذوه منه من أيمان ومواثيق ونذر يظن لجهله أن لا فكاك منها ولا يمكن حلّها.. وبذلك يضمن القرامطة عدم إفشاء سرهم حتّى وإن لم يقبل المغرر به الدخول في مذهبهم ودينهم..

## قرامطة البحرين وخروجهم على الخلافة.

لقد مكث القرامطة عهداً من الزمن ينشرون دينهم ويبثّون عقيدتهم الباطنية بين العـوام والجهلة، ومع ازدياد أعدادهم اتّجهوا إلى تنظيم صفوفهم وإعداد خططهم، فلما قويت شوكتهم واشتد ساعدهم ووجدوا أن الفرصة سانحة للخروج على دولة الخلافة أعلنوا تمردهم. وكانـت بدايتهم من البحرين عام ٢٨٦ هـ، وكان على رأسهم أبو سعيد الجنابي القرمطي، ويقال أنّـه كان يعمل كيالاً في البصرة، ويعود أصله إلى الأهواز، وفي رواية أخرى من البحرين. وكان جلّ جنده آنذاك من بقايا فلول الزنج والخرمية وبعض الأعراب. وقد بدأ تمرده بغزو القـرى المجاورة لمكان إقامته في الأحساء يعيث إفساداً فيها مرتكباً الأعمال الوحشية من قتل وتـذبيح واستباحة أموال وأعراض، وقد كان يتّبع خطّة الإرهاب لغايتين اثنتين، أولهما إرضاء أتباعه وشفاء صدورهم وبثّ الأحقاد التي يكنّونها تجاه المسلمين، والثانية لإرهاب أعدائـه وجعلهـم يتركون له حواضرهم وأموالهم قبل دخوله لبلادهم. ولم يمض عام ٢٨٦هـ حتّى كون لنفسه جيشاً عظيماً واحتلّ أغلب المناطق المحيطة به كالقطيف وغيرها من المدن، وحـول وجهتـه للبصرة بقصد أخذها. وقد وجه لهم الخليفة العباسي المعتضد جيشاً قوامه عشرة آلاف بـإمرة العباس بن عمرو الغنوي، والتقى الجيشان في الطريق إلى البصرة وكانت نتيجة المعركـة أن أُسِر الجيش العباسي بكامله وأميرهم معهم، وكان جزاؤهم كما يروي ابن خلكان في وفيـات الأعلام [٤٣١/٦] أنّه أُحضر الأسرى جميعاً فأمر بقتلهم وتحريقهم ولم يبق منهم إلاّ أميـرهم العباس بن عمرو الذي أرسله إلى الخلفية العباسي نذيراً وليعلمه بمقدار قوته.

وقد استمر أبو سعد الجنابي في حربه للمسلمين وفتكه بهم، وإن كان النصر في أغلـب حروبه معهم بجانبه إلاّ أنّه هزم مراراً، وأشهر المعارك التي خسرها كانت معركة عام ٢٨٨ هـ مع الجيش الإسلامي بقيادة الأمير بدر. وكانت نهايته لعنه اللـه على يد خادم لـه عـام ٣٠١هـ حيث قتله وقتل معه عدداً من قادة القرامطة. واختلف المؤرخون في سبب قتل خادم أبي سعيد له، وإن كانوا قد اتّفقوا على طريقة مقتله. والقول الأرجح أنّه في إحـدى غزواتـه أسر أحد الغلمان واستخلصه لنفسه وجعله على طعامه، وكان هذا الغلام لا يزال علـى ديـن الإسلام يكتمه عن أبي سعيد، فلما رأى فسق أبي سعيد وفجوره أكمن في نفسه قتله والتخلّص منه، وقد حانت له الفرصة حين دخل والقرمطي الحمام وحاول أن يفجر به فقتله الغلام، ثـم ذهب الغلام وأخبر أحد قواد القرمطي بأن أبا سعيد يطلبه في الحمام، فلما دخل ذلـك القائـد

الحمام عمد إلى قتله أيضاً، وفعل ذلك بخمسة منهم أيضاً، ولما اكتشف القرامطة أمره قبضوا عليه وقرضوا لحمه بالمقاريض فتوفّي رحمه اللـه بعد أن خلّص الأمة من خمسة مـن أشـد أعداء الإسلام ومن قواد جيش الكفر.

واستلم بعده قيادة القرامطة ولده سعيد ثم سليمان الذي خرج على أخيه. وقد كان سليمان من أشد ما ابتُلي به المسلمون من أعداء في تاريخهم، وقد كان زيادة على كفره وخروجه عن الملّة الإسلامية قد أباح نكاح المحارم وأشاع اللواط ونكاح الغلمان، بل أنّه أوجب قتل الغـلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به. وكذلك أمر بمعاقبة كلّ من أطفأ ناراً، فإن أطفأها بيـده قطعت يده، وإن أطفأها بالنفخ قطعوا لسانه، وذلك يظهر تعصبهم لدين آبائهم من المجـوس. ولم يترك -لعنه اللـه- رذيلة إلاّ فعلها. وقد كان يفعل ما يعجز اللسان عن ذكره من أفاعيـل إجرامية بكلّ أرض وشعب تصل قبضته إليه، وهو أول من سن هتك الأعراض الجماعي أمام أعين محارمهم، وقد أدت أفعاله تلك إلى نشر الرعب في بلاد المسلمين. وقد دخل البصرة عام ٣١١هـ في ربيع الآخر فاستباح الحريم والأموال وذبح الشيوخ والأطفال وأحـرق المـسجد الجامع ومسجد طلحة، وكذلك قطع الطريق على حجاج العراق عام ٣١٢هـ، فأخذ الأمـوال والحريم والمتاع وترك الرجال بدون طعام أو ماء أو ركب فمات أغلبهم جوعاً وعطشاً، ثـم أرسل يطلب من الخليفة المقتدر أن يتخلّى له عن الأهواز، وحين رفض المقتدر ذلك اتّجه إلى الكوفة فدخلها وقتل أهلها ونهب ما استطاع نهبه وجعلها مباحة لجنده وزبانيته. وقد حاول قطع الطريق على حجاج العراق مرة أخرى ولكن حماة الركب العراقي اشـتبكوا معهـم بحـرب خاطفة حتّى استطاعوا إعادة الركب إلى العراق ولم يحجوا عامهم ذلك. وبقي على حاله تلـك في قطع طريق الحجاج أكثر أيامه، حتّى أن حجاج خراسان والعراق والمشرق توقّفـوا عـن الذهاب إلى الحج. وفي عام ٣١٥هـ قصد بغداد والتقى بجيش المسلمين في الأنبار وكان عدد جيشه ألف فارس وسبعمائة راجِل، وجيش الخليفة أربعين ألف فارس. وعلى الرغم من ذلـك فقد فر جيش العراق حتّى قبل أن يلتقوا بجنود القرمطي، فدخل القرمطي الأنبار وحاول دخول هيت ولكن أهلها حصنوها وأنقذوها من يد القرمطي. وفي عام ٣١٦هـ دخل القرمطي الرحبة وقتل رجالها واستحلّ نساءها وأموالها وحاول دخول الرقة إلاّ أنّه رد عنها. ولم يحج أحد في هذه السنة خوفاً من القرامطة. وفي عام ٣١٧هـ اتّجه عدو اللـه سليمان أبو طاهر القرمطي إلى مكّة فدخلها يوم التروية فقتل الحجيج في المسجد الحرام وداخل البيت المعمـور ورمـى جثثهم في بئر زمزم وقتل أمير مكّة ابن محارب وعرى البيت وقلع بابه وقلع الحجر الأسـود وأخذه معه إلى عاصمته هجر، وأقام بمكّة ستّة أيام. وقد روي أنّه قد قتل ثلاثـين ألفـاً مـن الحجاج ومن سكّان مكّة، وكان ينشد وهو يقتل الحجاج والأبرياء من سكّان مكّة.

**أنا بالله و بالله أنا  يخلق الخلق وأفنيهم أنا**

و كان من جملة من قُتل ذلك العام التابعي الجليل عبدالرحمن بن عبداللـه بن الزبيـر، وقد سبى ما يقارب الثلاثين ألفاً من النساء والغلمان وبقي في إفساده وقتله للمـسلمين وقطـع طريق الحجاج وتقتيلهم حتّى امتنع الناس عن الحج كما حصل مع حجاج بغـداد بـين عـام ٣١٩-٣٢٧هـ، حيث لم يذهبوا لتأدية فريضة الحج خوفاً منهم ومن بطـشهم. وقـد حـاول الركب العراقي خلال هذه الفترة أكثر من مرة الذهاب للحج كما حدث عام ٣٢٣هـ ـ، إلاّ أن تعرض القرمطي لهم وقتل الحجاج وسبي الحريم جعلهم يقلعون عن محاولاتهم تلـك، حتـى أمنهم القرامطة مقابل دفع ضريبة مقدارها خمسة دنانير على كلّ جمل وذلك عام ٣٢٧هـ ـ، وكانت أول مرة يدفع الحاج ضريبة لقاء توجهه لأداء فرضٍ شرعه اللـه عليه.

ومع هلاك سليمان القرمطي عام ٣٣١هـ وانقسام الحكم بين أبنائه، خفّت قوة القرامطة وتهديدهم لدولة الإسلام، واقتصرت أعمالهم على قطع الطريق وبعض الهجمات الخفيفة لتأمين مصدرٍ لعيشهم. وقد كان الزمن كفيلاً بزيادة ضعفهم وحاجتهم إلى المـال، فمـا أتـى عـام ٣٣٩هـ حتّى استبدلوا الحجر الأسود بخمسين ألف دينار أعطاهم إياها الخليفة المطيع، وذلك إن دلّنا على شيء فإنّما يدلّنا على مقدار ضعفهم وحاجتهم. وقد تكفل اللـه سبحانه وتعالى أمر تلك الطائفة، وإن كان قد أمهلها بعض الوقت، فقضى عليهم ومحى ذكرهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر، ولم يبقَ في أيامنا هذه إلاّ بقايا لهم في تلك الديار.

## قرامطة الشام.

يعتبر مؤسس القرامطة في بلاد الشام زكرويه بن مهرويه، إذ أنّه عندما شـقّ حمـدان وعبدان عصى الطاعة على مؤسس مذهبهم الإسماعيلي وأسس حمدان قرمط مذهبه الخاص، بقي زكرويه على ولائه للقداحيين، وذلك لغاية في نفسه. وقد حاول مـراراً الـتخلّص مـن مؤسسي المذهب القرمطي كعبدان وغيره، وقد نجح في قتل عبدان إلاّ أن نقمة أتباع عبـدان عليه جعلته يختبئ في جنوب العراق وبعث أبناءه إلى بـلاد الـشام عامـة وإلـى الـسلمية الإسماعيلية بشكل خاص لبثّ دعوته والسيطرة على أتباع أسرة ميمون القداح، وقد نجح فـي ذلك مما دفع أبناء ميمون القداح للهجرة إلى المغرب، فأسسوا هناك دولة العبيديين (الفاطميين) وإن كان أبناء زكرويه اتّخذوا أسماء أخرى وانتسبوا إلى إسماعيل بن جعفر الصادق كما فعل يحيى بن زكرويه حين ادعى أنّه حفيد إسماعيل بن جعفر الصادق إلاّ أنّهم لـم يـستطيعوا أن يلصقوا أنفسهم بأهل البيت كما نجح العبيديون.

**خروجهم عن الخلافة.**

بعث زكرويه من مخبئه في العراق ابنه يحيى إلى بلاد الشام مع أتباع له من الـسلمية ومن بادية الشام وذلك عام ٢٨٩هـ، وهاجموا الرقة وانتصروا على عسكرها وسـاروا إلـى دمشق وحاصروها، إلاّ أن جيوشها والمدافعين عنها رفضوا تسليمها واستطاع المدافعون عنها الصمود بمساعدة من أتاهم من مصر ومن الموصل بعد معارك طاحنة قتل فيها الكثيـر مـن الجيش الإسلامي، وما أن آلت إمارة الجيوش إلى بدر الحمامي صاحب ابـن طولـون حتّـى انقلبت موازين المعركة لصالح المسلمين، فهزم عساكر القرامطة وقتل يحيـى بـن زكرويـه القرمطي، وقبل مقتله -لعنه اللـه- أخبر جيشه بأنّه سيتركهم ويطلع إلى السماء، وأنّه سيبقى فيها أربعين يوماً وأن أخاه الحسين سيأتي ليحلّ محلّه في قيادة الجيش وأمرهم بالسمع لأخيـه والطاعة له، ومع استلام الحسين لإمارة الجيش القرمطي انسحب من دمـشق وهـاجم حمـاة والمعرة وبعلبك، وكان يبثّ حقده على كلّ منطقة يصل بطشه إليها فيقتـل أهلهـا ويـستحلّ نساءها ويعيث في الأرض الفساد. وقصد حلب في عام ٢٩١هـ غير أنّهم هزموا وعادوا إلى حمص، ولكنّهم فوجئوا بجيش الخليفة هناك وعلى رأسه محمد بن سليمان الذي مـا لبـث أن اشتبك معه في معركة كان النصر فيها للمسلمين والخزي والعار للقرامطة، وأُسِر الحسين هذا وأُرسِل إلى الخليفة ببغداد، فعذّبهم وقطّع أيديهم ثم أحرقهم. فلما رأى زكرويه أنّه قد فقد وليه رأى أن لا شيء أمامه إلاّ أن يظهر نفسه، فجمع جموعاً واتّجه بهم إلى الكوفة وقاتل أهلها في عام ٢٩٣هـ يوم النحر وقاتله أهلها قتالاً ثبتوا فيه وردوا جيوشـه إلـى القادسـية، ووجـه الخليفةجيشاً لحربهم إلاّ أن جيش الخليفة هزم شر هزيمة، مما أعطى قوة معنويـة لزكرويـه القرمطي، وبدأ في قطع الطريق على الحجاج كصاحبه القرمطي السابق، وكان إذا اعتـرض قافلة للحجاج لا يترك أحداً من رجالها إلاّ وقتله وأخذ أمواله، ولم يترك امرأة في ذلك الركب إلاّ سباها واستحلّ عرضها. وفي عام ٢٩٤هـ اعترض قافلة فيها نـساء وخواصـاً للخليفـة وأموالاً وخزائن له، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخذوا الأموال، فلما علم الخليفـة المكتفـي بذلك أرسل جيشاً على رأسه وصيف بن صوارتكين والتقى جيش الخليفة بجـيش القرمطـي، وبعد معركة طاحنة استبسل فيها جيش المسلمين انتهى اليوم الأول فيها سجالاً، وما إن أصبح الصبح حتّى رجحت كفّة جيش المسلمين وأعملوا بجيش اللعين السيف، ومع حلول الظهيـرة جرح زكرويه وقتل أغلب جيشه وفر من بقي منهم فماتوا عطشاً في البادية، وحمِل زكرويـه إلى الخليفة إلاّ أنّه هلك في الطريق بعد خمسة أيام، فشقّوا بطنه وحملوه إلى بغـداد ليجعلـوه عبرةً لمن يعتبر، ومع مقتله لعنه اللـه انتهت سطوى القرامطة في العراق والـشام، وبقيـت فلول لهم غير ذات أثر هناك.

## القرامطة في العصر الحديث.

بقيت آثار للقرامطة تغير جلودها واسمها من آن لآخر حسب الظروف التي تحيط بهم، وكانوا على مر العصور يحملون الحقد في صدورهم للأمة الإسلام، فما إن تـأتيهم الفرصـة للكيد للمسلمين حتّى تراهم يسرعون في اقتناصها والعمل بها سواء كانت خيانـة أو مـساعدة لغاز محتل، كما حصل بمساعدتهم للتتار في العراق وبلاد الشام، وكـذلك وقـوفهم بجانـب الصليبيين في حملاتهم المشهورة ضد المسلمين فـي مـصر والـشام. ومـن بقايـاهم الآن النصيريين في بلاد الشام وتركيا، وهناك جزء منهم في عمان واليمن يلقّبـون بالـصوالحيين والمكرمية، ولا تزال بقايا للإسماعيليين البهرة في العراق وفارس والهند، وما زالوا يتربصون الفرصة للفتك بالمسلمين وإعادة دولتهم من الشام إلى الجزيرة العربية، وبفضل اللـه ثم وعي بعض المسلمين على مر العصور فإنّهم لم ولن يستطيعوا القضاء على بيضة الإسلام، وذلـك لوعد اللـه بنصرة دينه واستخلاف عباده في الأرض.

- ٨٩١ م. مولد عبد الرحمن الناصر ثامن أمراء الأندلس من بني أمية، وأول مـن تسمى بها بأمير المؤمنين، وتلقب بألقاب الخلافة، ويعد عصره الذي امتد خمسين عاما، من أزهى فترات الأندلس قوة حضارة
- ٨٩٢ م. بغداد تعود العاصمة من جديد عهد الخليفة المعتمد
- ٨٩٢ م (٢٧٩ هـ). وفاة المحدث الكبير أبي عيسى محمد بن عيسى بن سـورة، المعروف بالترمذي، نسبة إلى ترمذ التي ولد بها، وهي بلدة قـرب بلـخ، ولـد ضريرا، وتفرغ منذ صغره لطلب العلم حتى صار حافظا معروفا، اشتهر بكتابـه الجامع الصحيح أو سنن الترمذي؛ أحد الكتب الستة المعروفة في الحديث النبوي.
- ٨٩٥ م. وفاة "أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع"، المعروف بابن سعد، من كبار المحدثين والمؤرخين، وصاحب الطبقات الكبرى التي اشتهرت بـ"طبقـات ابـن سعد

## ٨٩٥ م. وفاة ابو حنيفة الدينورى.

ابو حنيفة احمد بن داود الحنفي. موسوعي ومؤرخ ورياضي ولغوي عراقـي. تـوفي ٨٩٥ م. نسب الى موطنه دينور قرب حمدان بالعراق وقد ولد في عائلة من اصـل فارسـي واشتهر برصده من مرصد دينور. ولكنه اشتغل بعلوم كثيرة وترك اكثر من عشرين كتابـا. وقد ألف في الحساب (البحث في حساب الهند) وفي التاريخ (الاخبار الطـوال) الـذي يـولي الحياة الاجتماعية عند الفرس اهتماما خاصا. وفي النبات (كتاب النبـات) الـذي رتـب فيـه

النباتات على حروف المعجم، واهتم بكامل ما قيل فيها نثرا وشعرا. ولعـل اهـم مـا خلفـه الدينوري هو كتابه في الانواء، أي الطقس أو الظروف الجوية، المسمى (تقويم قرطبة).

## ٨٩٥ م. وفاة احمد بن داوود.

ابو حنيفة احمد بن داود الحنفي. موسوعي ومؤرخ ورياضي ولغوي عراقـي. تـوفي ٨٩٥ م. نسب الى موطنه دينور قرب حمدان بالعراق وقد ولد في عائلة من اصـل فارسـي واشتهر برصده من مرصد دينور. ولكنه اشتغل بعلوم كثيرة وترك اكثر من عشرين كتابا.

وقد ألف في الحساب (البحث في حساب الهند) وفي التاريخ (الاخبار الطـوال) الـذي يولي الحياة الاجتماعية عند الفرس اهتماما خاصا. وفي النبات (كتاب النبات) الذي رتب فيـه النباتات على حروف المعجم، واهتم بكال ما قيل فيها نثرا وشعرا. ولعـل اهـم مـا خلفـه الدينوري هو كتابه في الانواء (الطقس) المسمى (تقويم قرطبة).

- ٨٩٦ م. وفاة الشاعر الكبير "أبي الحسن علي بن العباس بن جريج"، المعـروف بابن الرومي، اشتهر بغزارة شعره وقدرته على الوصف وتوليد المعاني المبتكرة، ويعد ديوانه من أكبر دواوين الشعر العربي
- ٩٠٠ م (٢٨٥ هـ). وفاة "المبرد" أحد أعلام الأدب واللغة في العصر العباسـي، وشيخ اللغويين والنحاة في بغداد وصاحب كتاب " الكامل "

## ٩٠٣ م. وفاة ابن رسته يتم عمله الشهير الأعلاق النفيسة.

ابو علي احمد بن عمر بن رستة. جغرافي ومعماري واديب فارسي. عاش في القـرن العاشر الميلادي. نشأ في اصفهان وقيل انه كان استاذا للقزويني، وهـو اديـب اكثـر منـه جغرافي، ومعماري وناقل ومؤلف مدقق. وكان يبلغ به الحرص كلما تحدث فـي التنجـيم ان يلجأ الى الاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث. ويشتهر ابـن رسـتة بموسـوعته الـضخمة (الاعلاق النفيسة (التي كتبها حوالي عام ٩٠٣ م، والتي لا نملك منها بين ايدينا الآن الا الجزء السابع، وهو الخاص بالفلك والجغرافيا. وقد قيل انه اعتمد فيها في الجغرافية على الجيهـاني، وفي الرياضيات على ابي معشر البلخي والفرجاني. ويهتم ابن رستة اهتماما خاصـا بـبلاد فارس، ويولي المعمار التفاته، ومن هنا اهميته الفائقة. فقد كتب عن عمارة الكعبة والحـرمين الشريفين، وتتبع عمارة مسجد الرسول من بدايتها الاولى حتى بناء المسجد. وفي حديثه عـن مصر التفت التفاتا خاصا الى عمارة جامع عمرو بالفسطاط وبيت المال ومقياس النيل. ومـن ملاحظات ابن رستة الذكية في (الاعلاق النفيسة) حول كروية الارض، قولـه « ان الارض على مثال الكرة، والدليل على ذلك ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعهـا ولا

غروبها على جميع من في الارض في وقت واحد، بل يرى طلوعها على المواضع المشرقية من الارض قبل طلوعها على المواضع المغربية وغيبوبتها»

## ٩٠٨ م. مولد ابراهيم بن سنان.

إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان أبو إسحق الحراني عالم رياضيات وفلك عاش ببغداد في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

كان إبراهيم بن سنان بارعا في الهندسة المستوية، وله معرفة بالطب، وكان ذكيا عاقلا شهد له معاصروه بأنهم لم يروا أذكى منه، فقد بدأ يؤلف وهو في سن السادسة عشرة من عمره كتابا في الفلك أسماه. آلات الإظلال وأطال فيه إطالة كرهها بعد ذلك فخففها، وجعل كتابه على ثلاث مقالات، وصححها وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره. وأثناء ذلك كتب كتابه الثاني عن الرخامات التي بسائطها مسطحة في عمل واحد يعمها بين فيه أمر الرخامات كلها، وأقام عليها البرهان. ثم ألف بعد ذلك كتابا نقد فيه بطليموس في بعض المسائل الخاصة باستخراج اختلافات زحل والمريخ والمشترى تلك المسائل التي اعتقد إبراهيم بن سنان أن بطليموس قد عالجها بتسرع، وكان يرى أن بطليموس عليه أن يسلك فيه طريقا غير طريق القياس المنطقي الذي اتبعه. وقد أتم إبراهيم بن سنان كتابه وهو في سن الرابعة والعشرين من عمره .

وفي الهندسة المستوية كتب إبراهيم بن سنان ثلاث عشرة مقالة في الدوائر المتماسة بين فيها أوجه تماس الدوائر والخطوط التي تمر على أي نقطة بهذه الدوائر. وألف مقالة مستقلة بين فيها الوجه في استخراج المسائل الهندسية بالتحليل والتركيب، وذكر ما يعرض للمهندسين ويقع عليهم من الغلط نتيجة للاختصار الذي يسلكونه في التحليل إذا اختصروه على حسب ما جرت به عاداتهم. وكتب مقالة طريفة في رسم القطوع الثلاثة وبين فيها كيف يمكن أن توجد كثيرة بأي عدد شئنا على أي قطع أردنا من قطوع المخروط .والمقالة الأخيرة من هذه المقالات بها إحدى وأربعون مسألة هندسية من صعاب المسائل في الدوائر والخطوط والمماسات والدوائر المتماسة وسواها، وسلك فيها طريق التحليل من غير أن يذكر تركيبا إلا في ثلاث مسائل .

وكانت وفاة إبراهيم بن سنان عن عمر قصير لم يزد عن ستة وأربعين عاما، وكانت العلة التي توفي بها ورما في كبده، وبالرغم من قصر عمره فإن كتب تأريخ العلم ذكرت له العديد من الإنجازات .

ولإبراهيم بن سنان كتاب بعنوان. كتاب في حركة الشمس، ذكر فيه عددا من النظريات عن الشمس وحركتها، وارتباط حركة القمر والأجرام السماوية بحركتها، وتحدث عن الـضوء والهواء، وعن كيفية انع كاس الضوء من الشيء إلى العين، وعن اسـتقامة شـعاع النيـرين والكواكب، ويرى أن حركة الشمس من الحركات السماوية الظاهرة ولا سـبيل إلـى ضـبط حركات القمر وسائر الأجرام السماوية إلا بعد معرفة حركة الشمس، ويرى كذلك أن الهـواء مشف فالضياء فيه غير مدرك، والاستنارة حالة تلحق الجسم العديم الشفوف عند استقبال الجسم النير مع توسط مشف فيما بينهما، وأن استقبال الشعاع يوجب الاستقامة فـي المـسافة، لهـذا فشعاع النيرين الشمس والقمر مستقيم الامتداد .

ولإبراهيم بن سنان مؤلفات أخرى في الرياضيات من أهمهـا. رسـالة فـي الهندسـة والنجوم، رسالة في المعاني المستخرجة من علم الهندسة وعلم النجوم، أصول الهندسة، مساحة القطع المكافئ. وله في الفلك مقالة. الأسطرلاب، وعدة رسائل في المخروطات.

## ٩٠٨ م. وفاة اسحاق بن حنين.

اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي. مترجم وطبيب نسطوري. تـوفي ٩١١ م. تعلـم الترجمة والطب على والده، وحذا حذوه في خدمة الخليفة المعتضد ووزيره القاسم بـن عبيـد الله، وقد اجاد اليونانية (وصحح بعض ترجماته منها ثابت بـن قـرة) وأجـاد كـذلك اللغـة السريانية، وكان يترجم منها الى العربية. وقد ترجم اسحاق الـى العربيـة مؤلفـات كثيـرة لافلاطون وارسطو، منها للاول (محاورة السوفسطائي)، وللثاني (ما بعد الطبيعة) و (الـنفس) و(الكون) و (الفساد) و (العبارة) وكان ابوه قد ترجمها كلها الـى الـسريانية. كـذلك تـرجم لبطليموس وارخميدس واقليدس وفرفوريوس واريفوس. ومـن كتبـه (الادويـة المفـردة) و (الادوية الموجودة بكل مكان) و (اصلاح الادوية المسهلة) و (في النبض) و (كناش خفيف) . وقد كتب اسحاق على ما ذكر ابن النديم في (الفهرست) اول كتاب في تاريخ الطب هو (تاريخ الاطباء) ولكن الكتاب لم يصل الينا.

## ٩٠٨ م. وفاة ابن المعتز.

أبو العباس عبد الله بن المعتز، شاعر وأديب وأمير عباسي. ولي الخلافة ليـوم واحـد ولقب. بالمرتضي بالله. له ديوان شعر، و كتاب (طبقات الشعراء)، و (كتاب البـديع). مـات خنقا عام ٩٠٨ م. هو القائل.

**اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله**

**فالنار تأكل بعضهـا إن لم تجد ما تأكله**

- ٩١٠ م (٢٩٧ هـ). إعلان الدولة الفاطمية في المغرب، بعد نجاح "أبي عبد الله الشيعي" في دعوته، وجذب الأعوان والأنصار لها، وقيامه بمبايعة "عبيد الله المهدي" بالخلافة.

بدأ الضعف يدب في أوصال الخلافة العباسية السنّية، وظهرت أمارات الإعياء على جسدها الواهن، ولاحت آيات الضعف في ملامح الوجه والقسمات، وذلك في مطلع القرن الرابع، بعد أن تفككت الدولة، وصارت دولاً وممالك صغيرة، لا يربطها بدولة الخلافة سوى الاسم والدعاء للخليفة على المنابر.

وشهد هذا القرن بزوغ ثلاث خلافات، تنازعت السلطة في العالم الإسلامي. الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في إفريقية، والخلافة الأموية في قرطبة، وأصبح للعالم الإسلامي -لأول مرة- ثلاثة من الخلفاء في ثلاثة أماكن مختلفة، يقتسمون الحكم، ويتنازعون فيما بينهم.

## قيام الدولة الفاطمية

نجح أبو عبد الله الشيعي داعية الإسماعيلية في إعلان قيام الدولة الفاطمية في "رقادة" عاصمة دولة الأغالبة في (٢١ من ربيع الآخر ٢٩٧هـ= ٨ من يناير ٩١٠م)، ومبايعة عبيد الله المهدي بالخلافة، وجاء هذا النجاح بعد محاولات فاشلة قام بها الشيعة منذ قيام الدولة الأموية للظفر بالخلافة.

وقد نجح أبو عبد الله الشيعي منذ أن وطأت قدماه بلاد "كتامة" في المغرب العربي في منتصف ربيع الأول (٢٨٨هـ= فبراير ٩٠١م) في جمع الأتباع، وجذب الأنصار إلى دعوته، مستغلاً براعته في الحديث، وقدرته على الإقناع، وتظاهره بالتقوى والصلاح، ثم صارح بعض زعماء كتامة بحقيقة دعوته بعد أن اطمأن إليهم، وأنه داعية للمعصوم من أهل البيت، ولمح إلى أنهم هم السعداء الذين اختارهم القدر ليقوموا بهذه المهمة الجليلة.

وبعد أن أحسن أبو عبد الله الشيعي تنظيم جماعته، والتزموا طاعته، بدأ في مرحلة الصدام مع القوى السياسية الموجودة في المنطقة، فشرع في سنة (٢٨٩هـ = ٩٠١م) في مهاجمة دولة الأغالبة، ودخل معها في عدة معاركة، كان أشهرها معركة "كينوتة" في سنة (٢٩٣هـ=٩٠٦م) وعدت نقطة تحول في ميزان القوى لصالح أبي عبد الله الشيعي؛ حيث توالت انتصاراته على دولة الأغالبة، فسقطت في يده قرطاجنة، وقسنطينة، وقفصة، ودخل "رقادة" عاصمة الأغالبة في (أول رجب ٢٩٦هـ = ٢٦ من مارس ٩٠٩م).

## عبيد الله المهدي.

لا يستطيع أحد القطع برأي حاسم في نسب "عبيد الله المهدي"، فالـشيعة الإسـماعيلية يؤكدون صحة نسبه إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، في حين يذهب المؤرخون من أهل السنّة وبعض خصوم الفاطميين من الشيعة إلى إنكار نسب عبيد الله إلى علي بـن أبـي طالب.

ولكن على أية حال نحن أمام رجل يسمى عبيد الله، ويدعي أنه صاحب الحق في إمامة المسلمين، وأنه من سلالة الإمام جعفر الصادق، وقد نجح أحد دعاته في إقامة دولة باسمه في إقليم إفريقية، وجزء كبير من المغرب الأوسط.

خرج عبيد الله المهدي من مكمنه في "سلمية" من أرض حمص ببلاد الشام فـي سـنة (٢٩٢ هـ = ٩٠٥م)، واتجه إلى المغرب، بعد الأنباء التي وصلته عن نجاح داعيته أبي عبد الله الشيعي في المغرب، وإلحاح كتامة في إظهار شخصية الإمام الذي يقاتلون من أجله، وبعد رحلة شاقة نجح عبيد الله المهدي في الوصول إلى "سجلماسة" متخفيا في زي التجار، واستقر بها.

ومن ملجئه في سجلماسة في المغرب الأقصى أخذ عبيد الله المهدي يتصل سـرا بـأبي عبد الله الشيعي الذي كان يطلعه على مجريات الأمور، ثم لم يلبث أن اكتـشف "اليـسع بـن مدرار" أمير سجلماسة أمر عبيد الله؛ فقبض عليه وعلى ابنه "أبي القاسم" وحبسهما، وظلا في السجن حتى أخرجهما أبو عبد الله الشيعي بعد قضائه على دولة الأغالبة.

وكان أبو عبد الله الشيعي حين علم بخبر سجنهما قد عزم على السير بقواته لتخليصهما من السجن، فاستخلف أخاه "أبا العباس" واتجه إلى سجلماسة، ومر في طريقـه إليهـا علـى "تاهرت" حاضرة الدولة الرسمية فاستولى عليها، وقضى على حكم الرستميين، وبلغ سجلماسة فحاصرها حتى سقطت في يده، وأخرج المهدي وابنه من السجن.

ويذكر المؤرخون أن أبا عبد الله الشيعي حين أبصر عبيد الله المهدي ترجل وقابله بكل احترام وإجلال، وقال لمن معه. هذا مولاي ومولاكم قد أنجز الله وعده وأعطاه حقه وأظهـر أمره.

وأقام أبو عبد الله الشيعي وعبيد الله المهدي في سجلماسة أربعين يوما، ثم رحلوا عائدين فدخلوا رقادة في يوم الخميس الموافق (٢٠ من شهر ربيع الآخر ٢٩٧هـ = ٧ مـن ينـاير ٩١٠م).

وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالإمام المهدي، وفي يوم الجمعة التالي أمر عبيد الله أن يذكر اسمه في الخطبة في كل من رقادة والقيروان، معلنـا بـذلك قيـام الدولـة الفاطمية.

## خلافة عبيد الله الفاطمي.

استهدف عبيد الله الفاطمي منذ أن بويع بالخلافة واستقامت له الأمور أن يدعم مركـزه، وأن تكون كل السلطات في يديه، وأن يكون السيد المطلق علـى الدولـة الناشـئة والـدعوة الإسماعيلية، وكان لا بد من أن يصطدم مع أبي عبد الله الشيعي مؤسس الدولـة، ولـم يجـد غضاضة في التخلص منه بالقتل في سنة (٢٩٨هـ= ٩١١م) بعد أن أقام لـه دعـائم ملكـه، وأنشأ دولة بدهائه وذكائه قبل سيفه وقوته.

أثار مقتل أبي عبد الله الشيعي فتنة كبيرة قام بها أتباعه من أهل كتامة، وقـدموا طفـلا ادعوا أنه المهدي المنتظر، وامتدت هذه الدعوة وقويت، واضطر عبيد الله إلى إرسال حملـة قوية إلى أرض كتامة بقيادة ابنه لقمع هذه الفتنة، فألحق بهم الهزيمة وقتل الطفل الذي ولّـوه باسم المهدي.

## بناء المهدية.

خاب أمل أهل المغرب في عبيد الله المهدي، وساء ظنهم به بعد أن ذهبت الوعود التي وعدهم بها أبو عبد الله الشيعي سدى، فلم ينقطع الفساد بخلافة المهـدي، ولـم يحـل العـدل والإنصاف محل الظلم والجور، بالإضافة إلى السياسة المالية المتعسفة التي انتهجها الفاطميون في جمع الضرائب، والتفنن في تنويعها حتى فرضوا ضريبة على أداء فريضة الحج.

وزاد الأمر سوءا قيام عبيد الله المهدي ودعاته بسب الصحابة على المنابر فيمـا عـدا علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والتغيير في صيغة الأذان، وهو ما لا يمكن أن يقبله شعب نشأ على السنة، وتعصب لمذهب الإمام مالك.

وكان من نتيجة ذلك أن اشتعلت عدة ثورات ضد عبيد الله المهدي، ولكنه وإن نجح في إخمادها فإنه أصبح غير مطمئن على نفسه في مجتمع يرفض مذهبه ويقاطع دولتـه مقاطعـة تامة؛ ولذا حرص على أن يبعد عن السكنى في رقادة مركز المقاومة السنّي، وأسـس مدينـة جديدة عرفت باسم "المهدية" في سنة (٣٠٣هـ= ٩١٥م) على طرف الساحل الشرقي لإفريقية (تونس) فوق جزيرة متصلة بالبر، ولم ينتقل إليها إلا في سنة (٣٠٨هـ= ٩٢٠م) بعـد أن استكمل بناءها وتشييدها، وأقام تحصيناتها ومرافقها المختلفة، وأصبحت المهدية قلعة حـصينة

للفاطميين بالمغرب ومركزا لعملياتهم الحربية والبحرية، وظلت حتى مطالع العصر الحـديث أكبر مركز إسلامي للجهاد في البحر المتوسط.

## التفكير في غزو مصر.

تطلع المهدي إلى فتح مصر والأندلس؛ لأنه رأى أن المغرب لم تـسلس لـه قيادتهـا، وتشتعل فيها الثورات من وقت لآخر، كما أنها قليلة الموارد، وبدأ في التأهـب لفـتح هـذين الإقليمين؛ فوجه أولى حملاته إلى مصر بقيادة "حباسة بن يوسف" فـي سـنة (٣٠١هـ = ٩١٣م) فدخل مدينة "سرت" بالأمان، ثم زحف إلى "أجدابية"، واستولى عليها بالأمان، ثم دخل "برقة".

وفي أثناء إقامته ببرقة التقى بالجيوش العباسية، ودارت بينهما عـدة معـارك انتهـت بهزيمة العباسيين، وزحف حباسة نحو الإسكندرية، وأدركه "أبو القاسم بن عبيد الله المهـدي" بجيش كبير فدخلا الإسكندرية معا، بعد أن غادرها أهلها، وواصلا الزحف حتى الفيوم، لكـن الحملة اضطرت إلى الرجوع والانسحاب بعد ظهور قوات العباسيين بقيادة "مؤنس الخادم"، ثم تكررت المحاولة سنة (٣٠٧هـ= ٩١٩م) ولكن لم يكتب لها النجاح، كما أن محاولات المهدي لفتح الأندلس باءت بالفشل.

وقد نبهت هذه المحاولات الخلافة العباسية إلى أن استمرار هـذه المحـاولات يتطلـب وجودا عسكريا قويا في مصر، بعد أن اكتشف القائد مـؤنس الخـدام الـذي تـصدى لهـذه المحاولات وجود موالين للفاطميين في مصر؛ فأسند العباسيون إلى "ابن طغج الإخشيد" ولاية مصر، بالإضافة إلى ولايته على الشام؛ حتى يتمكن من مواجهة خطط الفاطميين.

## وفاة عبيد الله المهدي.

وبعد فترة حكم ناهزت ربع قرن من الزمان توفي المهدي في (١٥ مـن ربيـع الأول ٣٢٢ هـ= ٥ من مارس ٩٣٤م) وخلفه ابنه أبو القسام محمد، وكانت فترة عبيد الله المهـدي بمثابة عهد التأسيس وإرساء القواعد، بعد عهد التمهيد والإعداد على يد الداعي أبي عبـد الله الشيعي.

- ٩١٠ م. وفاة الفقيه الظاهري محمد بن داود بن علي، أحد أئمة الفقه فـي القـرن الثالث الهجري، خلف أباه في حلقته الفقهية، ونشر المذهب الظاهري الذي أسـسه أبوه، واشتهر بكتابه "الزهرة"...
- ٩١٢ م. عبد الرحمن الناصر فى الاندلس يتولى الحكم

## ٩١٢ م. مولد ابن جنى.

نحوى ولد بالموصل ومات ببغداد وحذق اللغة والنحو وبرز فى الصرف وتوفى عـام ١٠٠٢ م

## ٩١٢ م. وفاة قسطا بن لوقا.

قسطا بن لوقا البعلبكي (توفي ٩١٢م). ذكره المؤرخ السرياني الكبير، ابن العبري فقال ((دخل الى بلاد الروم، وحصل من تعاليمهم الكثيرة، وعاد الى الشام، كما ذكر النفطي أنـه)) استدعى الى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونان الى لسان العرب، كم أسند اليـه الاشراف على ترجمة المراجع الاغريقية في بغداد.

وكان قسطا جيد الترجمة لأنه ((كان فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة العربية)) ويشير ماكس مايرهوف الى ما نقله فيقول (انه ترجم كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكيـة، كما ترجم الى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة أو منحولة).

وقد أصلح قسطا نقولا كثيرة، كما ألف، رسالة قصيرة في الفرق بين الـنفس والـروح ترجمت الى اليونانية، وبقيت الى أيامنا، وقد ذكرها الباحثون وانتفعوا بها.

## ٩١٢ م. وفاة الاصطخرى.

### صورة العالم للإصطخري

ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي والمعـروف ايضا بالكرخي. جغرافي فارسي. توفي في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي. ينسب الى اصطخر، فارس. زار العراق وشبه الجزيرة العربيـة وسـوريا ومـصر. يشتهر بمؤلفه الجغرافي. (المسالك والممالك) الذي قـسم فيه ممالك العالم في زمانه الى اربعة، والدولة الاسلامية الى ٢٠ قسما، ويتحدث في كل قسم من اقـسامها عـن حـدوده ومدنـه وطرقـه ومـسافاته واجناسـه واقتصادياته. وربما استطرد احيانا الى ذكر بعض تاريخ هذه الاقسام ورجالاتهـا ومنازلهـا ومكاييلها ونقودها الخ.َ

وقد امتاز كتاب الاصطخري (المسالك والممالك) بعنايته بالخرائط، فأفرد لكـل اقلـيم خارطة منفصلة. وقد انتشر كتابه في المشرق الاسلامي بخاصة. واخذ عنه كثيرون بينهم ابن

فضلان. ومع ذلك فقد لاحظ عدد من النقاد بينهم ابن حوقـل قـديما ودي غويـه حـديثا، ان التطابق يكاد يكون تاما بين بعض اجزاء كتاب الاصطخري وكتاب معاصره ابي زيد احمد بن سهل البلخي. وقد قيل ان هذه الفقرات في كتاب البلخي تمثل مسودات كتاب الاصطخري.

## ٩١٥ م (٣٠٣ هـ). وفاة الامام النسائي.

الامام احمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، ابو عبد الـرحمن النسائي. محدث وحافظ وفقيه من الأئمة الكبار. شهرته نسبة الى (نـسا) وهـي مدينـة فـي خراسان. رحل الى جميع البلاد الاسلامية طلبا للعلم والتعليم، ثم أقام وتوفي بمكة المكرمة عام ٣٠٣ هـ ٩١٥ / م. من اشهر اعماله كتاب (السنن) وهو فرع من فروع التصنيف في الحديث النبوي الشريف يتم فيه تنصيف الاحاديث حسب السنن الواردة فيها. ومن أعمالـه الأخـرى (كتاب الضعفاء والمتروكين).َ

## ٩٢٠ م. مولد ابن حوقل.

ابو القاسم محمد بن علي الموصلي. جغرافي ورحالة عراقي. ولد في نصيبين بالعراق عام ٩٢٠ م، وتوفي في بغداد عام ٩٧٧ م. نشأ في بغداد، ولكنه تركها في شـبابه للدراسـة والتجارة، فجاب انحاء العالم الاسلامي من المشرق الى المغرب وزار الهند وايطاليـا، وقـد استغرقت رحلته هذه حوالي ٣٠ عاما، قضى منها سـنوات كثيـرة فـي مـصر والمغـرب والاندلس، وكانت له معرفة جيدة بالبحر المتوسط وحركة الرقيق فيه. وقد اتهمه دوزي بانـه كان جاسوسا فاطميا، وان هذا كان سبب تحامله على بعض الحكام من غيـر اهـل الـشيعة. والحق ان ابن حوقل لم يقدر حكام او شعب الاندلس والمغرب، وانعكست هذه الكراهية علـى كتاباته. وقد تعجب ابن حوقل من استمرار انظمتهم، ولكنه شهد ان بلادهم كانت زاهرة. وقـد رد المؤرخ الاندلسي ابن سعيد في القرن الثالث عشر على اتهامات ابن حوقل للاندلس، واعاد كتابة تاريخها في كتاب ابن حوقل (صورة الارض).

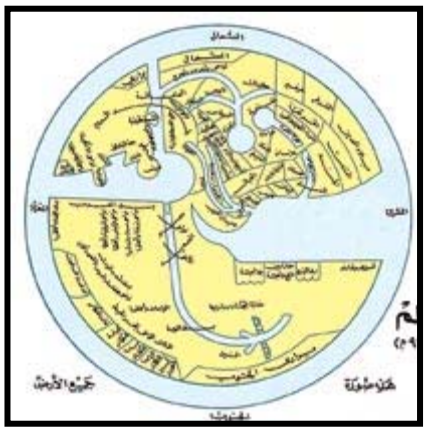

خريطة العالم لابن حوقل

وقد الف ابن حوقل (المسالك والممالـك) المـسمى احيانا (كتاب صورة الارض) الذي قيل انـه كـان اصـلا للاصطخري، وان الاصطخري قد رغب الى ابن حوقل ان يراجعه فانتحله هذا لنفسه. ولكن هذا الادعاء ليس مؤكـدا. وقد اعتنى ابن حوقل في كتابه بالجغرافية الوصفية، فرسـم لكل اقليم خارطة مستقلة، وجمع خرائطه جميعا في اطلـس واحد.

ولأطلس ابن حوقل اهمية بالغة، اذ هو اول الاطالس الاسلامية التي يظهر فيها العـالم المعروف وقتئذ اهليجيا بدلا من مستديرا. والظن انه كان لكتاب ابن حوقل ثـلاث مـسودات نشرت اولاها عام ٩٦٧ م، والثانية عام ٩٧٧، والثالثة بعد ذلك بقليـل. ويقـول كـراوس ان الفرق بين المسودات الثلاث قليل. وقد عرف ابـن حوقـل فـي الغـرب باسـم. Ibn Houkalo.

- ٩٢٣ م (٣١٣ هـ). وفاة العالم الكبير أبي بكر محمد بن زكريا الـرازي أبـي الطب العربي، وأحد الرواد العظام في الثقافة والحضارة العربية، شملت إنجازاته العظيمة فروعا مختلفة من المعرفة؛ فشملت إلى جانب الطـب علـوم الطبيعـة والكيمياء
- ٩٢٩ م (٣١٦ هـ). اعلان الناصر الخلافة فى الاندلس

## ٩٢٩. الدولة الحمدانية.

ترجع الجذور الأولى للحمدانيين إلى تغلب بن وائل بن قاسط رأس قبيلة تَغْلِب الشهيرة، والذي ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار.

وكانت تغلب من أعظم قبائل ربيعة شأنا في بلاد العرب قبل الإسلام لعهدها القديم، فلما أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية، وسارعت قبائل العرب إلى الدخول فـي الإسـلام، كانت قبيلة تغلب من القبائل التي ناصبت الإسلام والمسلمين العداء، بل إنها ناصرت سـجاح حينما ادعت النبوة، وساندتها وأتباعها في حربهم المسلمين، وحتى عندما انتهى أمرها وتبددت دعوتها بعدما تصدى أبو بكر الصديق للمرتدين، وقضى على أدعياء النبوة، فإن تغلـب لـم تستطع أن تُخفي عداءها للمسلمين، فوقفت في صف الروم في حربها ضـد المـسلمين سـنة ١٢هـ = ٦٣٧م.

## بنو تغلب عبر التاريخ

ومع اتساع الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية وما حولها، لم يتغيـر موقف بني تغلب كثيرا؛ فلم يدخل منها في الإسلام إلا قليل، وبقي معظمهم على نـصرانيتهم، ومع ذلك فإن الخليفة الثاني الفاروق "عمر بن الخطاب" لم يفرض عليهم الجزية التـي كانـت تؤخذ من أهل الكتاب، وإنما اكتفى بأن أخذ منهم الصدقة التي كانت تؤخذ من المسلمين، ولكنه ضاعفها عليهم.

وفي عصر الدولة الأموية حظي أبناء تغلب من الشعراء بمكانة عظيمة، فظهر الأخطل والقطافي -وهما شاعران نصرانيان-، وكان لهما حظ وفير من المجد

والشهرة في بلاد الأمويين.

فلما جاءت الدولة العباسية، كان لبني تغلب مكانة مرموقة في كنف الأسـرة العباسـية، وتمكنوا من إنشاء دولتهم المستقلة التي كان لها دورها الكبير في حركة التـاريخ، وسـاهمت بشكل فعال في إرساء نهضة حضارية وفكرية عظيمة.

## ظهور وتغلغل.

ولكن البداية الحقيقية لظهور الحمدانيين على مسرح الأحداث ترجع إلى مؤسـس هـذه الأسرة "حمدان بن حمدون التغلبي" صاحب قلعة "ماردين" القريبة من "الموصل"، وذلك عندما خاض حمدون على رأس جنوده عدة معارك قوية ضد الروم، إلا أن بداية علاقـتهم الفعليـة بالعباسيين لم تتحدد إلا بعد عام (٢٧٢هـ=٨٨٥م)، عندما تحالف مـع "هـارون الـشاري" الخارجي، واستطاعا غزو الموصل والاستيلاء عليها، وقد أدى ذلك إلى ثورة الخليفة العباسي المعتضد وغضبه عليه، فقبض عليه وحبسه.

ومع استفحال أمر "الشاري" ظلّ الخليفة يفكر في وسيلة للقضاء عليه، ووجدها "الحسين بن حمدان" فرصة لإظهار قدراته واكتساب ثقة الخليفة وإطلاق سـراح أبيـه مـن الحـبس، واستطاع الحسين هزيمة الشاري بعد معركة قوية، وأسره وقدمه إلى الخليفـة يرسـف فـي أغلاله؛ فسر الخليفة بذلك، وأطلق سراح أبيه، وبدأ مرحلة جديدة من التعاون مع بني حمدان؛ فاستعان بهم في محاربة القرامطة والتصدي لخطرهم، كما وجههم إلى العديد من الفتوحات في فارس ومصر والمغرب.

وهكذا استطاع الحمدانيون الوصول إلى أخطر المراكز، وتقلـدوا أعلـى المناصـب، وشاركوا مشاركة فعلية في الحياة السياسية في بغداد لفترة غير قصيرة، واستطاعت الأسـرة الحمدانية أن توثق صلاتها بالعباسيين، وأخذ نفوذهم يزداد، وتوغلوا في جميع مرافق الدولـة، بالرغم من الدسائس والمؤامرات المستمرة التي ظلت تحاك ضدهم من بعض العناصر غيـر العربية في بلاط العباسيين، وبرز عدد كبير من أبناء هذه الأسرة كان في مقـدمتهم الأميـر "سيف الدولة الحمداني".

## سيف الدولة.. الأمير الفارس.

ولد الأمير "سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدون التغلبي" في (٣٠٣هـ = ٩١٥م) في مدينة "ميافارقين" -أشهر مدن ديار بكر- على إثر تولي أبيه إمارة الموصل.

وقد عني أبوه بتعليمه وتنشئته على الفروسية منذ نعومة أظفاره، وأظهر سيف الدولـة استعدادا كبيرا ومهارة فائقة في القنص والرمي وركوب الخيل منذ صغره.

ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى صار فارسا لا يشَقّ له غبار، وخاض العديد من المعارك الطاحنة ضد أعداء الدولة والمتمردين عليها؛ سواء في الداخل أو في الخارج.

واستطاع الأمير الشاب أن يحقق انتصارا عظيما على البريديين الذين اقتحموا بغداد عام (٣٣٠هـ = ٩٤٢م) ودفعوا الخليفة العباسي "المتقي لله" إلى الخروج منها، واللجوء إلى الموصل للاستنجاد بالحمدانيين، فلما حقّق الأمير الشاب "علي بن أبي الهيجاء" النصر على البريديين بعد أن تعقبهم إلى المدائن، أنعم عليه الخليفة بلقب "سيف الدولة"، وأمر أن تُضرب باسمه الدنانير والدراهم.

## الانتصار على البيزنطيين.

وبدأ نجم سيف الدولة يعلو ويسطع منذ ذلك الحين؛ فحقق المزيد من الانتصارات على الروم والبيزنطيين، واستطاع أن يصد هجماتهم، كما تمكن من المحافظة على حدود الدولة الإسلامية ضد غاراتهم، واستطاع أن يتوغل داخل حدود الدولة البيزنطية.

وقد عني سيف الدولة بتسليح جيشه في مواجهة استعدادات الجيش البيزنطي العسكرية القوية وتنظيمه الجيد، وتنوع تسليحه، فاتجه إلى توفير المال اللازم لتجهيز الجيش وتسليح الجنود، واهتم بتدريب رجاله وتربية جنوده تربية عسكرية صارمة.

واتخذ سيف الدولة مدينة "حلب" مركزا ليبدأ منها مرحلة جديدة من حياته؛ حيث أعلن إمارته على مناطق حلب والجزيرة الفراتية وإقليم الثغور والعواصم، وبدأ يدخل في مرحلة جديدة من الصراع مع الروم البيزنطيين والحروب الطاحنة معهم، واستطاع خلالها أن يحقق عدة انتصارات عليهم، ووجه إليهم العديد من الضربات المتلاحقة الموجعة، وألحق بهم سلسلة من الهزائم المتتالية.

## الصراع مع الإخشيديين

وقد أثارت انتصارات سيف الدولة على الروم البيزنطيين حفيظة والإخـشيديين الـذين وجدوا عليه تلك البطولات والأمجاد، وخشوا من تعاظم نفوذه وقوة شوكته؛ فتحركوا لقتالـه، ولكنهم ما لبثوا أن آثروا الصلح معه بعد أن لمسوا قوته وبأسه.

وبدأ الروم البيزنطيون يعيدون ترتيب صفوفهم وتنظيم قوتهم، وراحوا يهاجمون الثغور العربية في سنة (٣٣٦هـ = ٩٤٧م)، ولكن الأمير سيف الدولة الحمداني تصدى لهم وتعقبهم، وجدد البيزنطيون هجماتهم مرة أخرى بعد عام، فتعقبهم سيف الدولة، وقتل منهم عددا كبيرا.

ولكن هجمات الروم البيزنطيين لم تتوقف؛ مما دفع سيف الدولة إلى تجهيز حملة كبيرة قوامها ثلاثون ألف فارس، وانضم إليهم جيش طرطوس في أربعة آلاف مقاتـل، واسـتطاع اقتحام حدود الدولة البيزنطية، والتوغل داخل أراضيها، وفتح عددا مـن حـصونها، وألحـق بالبيزنطيين هزيمة منكرة، وأسر عددا من قادتهم؛ مما دفع

البيزنطيين إلى طلب الهدنة منه، بعد أن ضاقوا ذرعا بالحروب الطاحنة التـي كبـدتهم العديد من الخسائر وأصابتهم بالوهن.

## نهضة شاملة.

وبالرغم من الطابع العسكري والحربي لدولة الحمدانيين بصفة عامة، وإمـارة سـيف الدولة على نحو خاص، فإن ذلك لم يصرف الأمير "سيف الدولة" عـن الاهتمـام بالجوانـب الحضارية والعمرانية.

فقد شيد سيف الدولة قصره الشهير بـ"قصر الحلبة" على سفح جبل الجوشـن، وتميـز بروعة بنائه وفخامته وجمال نقوشه وزخارفه، وكان آية من آيات الفن المعماري البديع، كمـا شيد العديد من المساجد، واهتم ببناء الحصون المنيعة والقلاع القوية.

وشهدت الحياة الاقتصادية ازدهارا ملحوظا في العديد من المجالات؛ فمن ناحية الزراعة كثرت المزروعات، وتنوعت المحاصيل من الحبوب والفاكهة والثمار والأزهار، فظهر البـر والشعير والذرة والأرز والبسلة وغيرها. كما ظهرت أنواع عديدة من الفاكهة كالتين والعنـب والرمان والبرقوق والمشمش والخوخ والتوت والتفاح والجوز والبندق والحمـضيات. ومـن الرياحين والأزهار والورد والآس والنرجس والبنفسج والياسمين. كما جادت زراعة الأقطـان والزيتون والنخيل. وظهرت صناعات عديدة على تلك المزروعات، مثل. الزيتون، والزبيب، كما ظهرت صناعات أخرى كالحديد والرخام والـصابون والكبريـت والزجـاج والـسيوف والميناء.

ونشطت التجارة، وظهر العديد من المراكز التجارية المهمة في حلب والموصل والرقة وحران وغيرها.

وشهدت الحياة الفكرية والثقافية نهضة كبيرة ونشاطا ملحوظا في ظل الحمدانيين؛ فظهر الكثير من العلماء والأطباء والفقهاء والفلاسفة والأدباء والشعراء.

وكان سيف الدولة يهتم كثيرا بالجوانب العلمية والحضارية في دولته، وظهر في عصره عدد من الأطباء المشهورين، مثل "عيسى الرقي" المعروف بالتفليسي، و"أبـو الحـسين بـن

كشكرايا"، كما ظهر "أبو بكر محمد بن زكريا الرازي" الذي كان أعظم أطباء الإسلام وأكثرهم شهرة وإنتاجا.

ومن أبرز الفلكيين والرياضيين الذين ظهروا في عصر الحمدانيين في بلاد الشام "أبـو القاسم الرقي"، و"المجتبى الإنطاكي" و"ديونيسيوس" و"قيس الماروني"، كما عنـي الحمـدانيون بالعلوم العقلية كالفلسفة والمنطق، فلمع نجمع عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين الإسلاميين في بلاط الحمدانيين، مثل. "الفارابي"، و"ابن سينا".

أما في مجال العلوم العربية؛ فقد ظهر عدد من علماء اللغة المعـروفين، مثـل "ابـن خالويه"، و"أبو الفتح بن جني"، و"أبو على الحسين بن أحمد الفارسي"، و"عبد الواحد بن علـي الحلبي" المعروف بأبي الطيب اللغوي.

كما لمع عدد من الشعراء المعروفين، مثـل "المتنبـي"، و"أبـو فـراس الحمـداني"، و"الخالديان. أبو بكر، وأبو عثمان"، و"السرى الرفاء" و"الـصنوبري"، و"الـوأواء الدمـشقي"، و"السلامي" و"النامي".

وظهر كذلك عدد كبير من الأدباء المشهورين، وفي طليعتهم "أبو الفـرج الأصـفهاني" صاحب كتاب "الأغاني" الذي أهداه إلى سيف الدولة؛ فكافأه بألف دينار، و"ابن نباتة"، وظهـر أيضا بعض الجغرافيين، مثل. "ابن حوقل الموصلي" صاحب كتاب "المسالك والممالك"...

ولم يلبث سيف الدولة أن عاجله المرض، ثم تُوفي في (٢٥ من صفر ٣٥٦هـ = ١٠ من فبراير ٩٦٦م)، وقيل في رمضان، وهو في الثالثة والخمسين من عمره.

وقد ظلت آثار تلك النهضة الثقافية والحضارية ذات أثر كبير في الفكر العربي والثقافة الإسلامية على مدى قرون عديدة وأجيال متعاقبة.

- ٩٣٠ م. قضاء الخليفة العزيز بالله الفاطمي على فتنة القرامطة وأفتكين في الشام، وبذلك توطد سلطان الفاطميين في سورية، وأصبحت ولاية فاطميـة حاضـرتها دمشق.

## ٩٣٢ م (٣٢٠ هـ). الدولة البويهية.

البويهيون، بنو بويه. سلالة من الديلم (جنوب بحر الخزر) حكمت في غرب إيـران و العراق سنوات ٩٣٢/٤٥-١٠٥٦/٦٢ م.

بنحدر بنو بويه من أعالي جبال الديلم و يرجعون في نسبهم إلى ملوك الفرس الساسانية (حسب ادعائهم). استمدوا اسمهم من أبو شجاع بويه، والذي لمع اسمه أثناء عهـد الـدولتين السامانية ثم الزيارية. استطاع ثلاثة من أبنائه الاستيلاء على السلطة في العراق و فارس. خلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة.

استولى "علي عماد الدولة" (٩٣٢-٩٤٩ م) على فارس و أسس فرعا دام إلى حدود سنة ١٠٥٥ م. الإبن الثاني حسن ركن الدولة (٩٣٢-٩٧٦ م) استولى علـى الـري و همـذان و اصفهان. دام فرعه حتى سنة ١٠٢٣ م.

وأخيرا استولى بدوره أحمد معز الدولة (٩٣٢-٩٦٧ م) علـى العـراق، (الأحـواز) وكرمان. دام فرعه حتى ١٠١٢ م. قام الأخير بالاستيلاء على بغداد سنة ٩٤٥ م وأعلن نفسه حامي الخلافة (حتى ١٠٥٥ م). من أهم حكام هذه الأسرة علي بن خـسرو عـضد الدولـة (٩٤٩-٩٨٣ م) والذي استطاع أن يتملك دولة واسعة الأطراف شملت كل العراق المعـروف اليوم و مناطق أخرى. شجع البويهيون المظاهر الإيرانية في دولتهم، ومـن بينهـا المـذهب الشيعي. تصارعت فروع الأسرة فيما بينها فعمت الاضرابات أرجاء الدولة. انتهت الأمر بأن قسمت الدولة إلى فرعين في العـراق (١٠٢٠-١٠٥٥ م) و آخـر فـي كرمـان (١٠١٢-١٠٥٦م).

قضى الغزنويون سنة ١٠٢٣ م على فرع البويهيين في الري، ثم أنهى السلاجقة ماتبقى من دولتهم وحلوا محلهم في بغداد. آخر فرع لهم حكم في كرمان حتى سنة ١٠٦٢ م.

*** سلاطين البويهيون (فرع فارس)**

| م | الحاكم | الحياة | الحكم |
|---|---|---|---|
| ١ | عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه | ....-٩٥١ | ٩٣٦-٩٥١ |
| ٢ | عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة | ٩٣٧-٩٨٣ | ٩٥١-٩٨٣ |

*** سلاطين البويهيون (فرع بغداد)**

| م | الحاكم | الحياة | الحكم |
|---|---|---|---|
| ١ | معز الدولة أحمد بن بويه | ....-٩٦٧ | ٩٥٦-٩٦٧ |
| ٢ | عز الدولة أبو منصور بختيار بن أحمد | ٩٤٣-٩٧٨ | ٩٦٧-٩٧٨ |
| ٣ | عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة | ٩٣٧-٩٨٣ | ٩٧٨-٩٨٣ |
| ٤ | صمصام الدولة مرزبان بن عضد الدولة | ....-.... | ٩٨٣-٩٨٧ |
| ٥ | شرف الدولة شرزيل بن عضد الدولة | ٩٧١-٩٩٠ | ٩٨٧-٩٩٠ |
| ٦ | بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة | ٩٧٢-١٠١٣ | ٩٩٠-١٠١٣ |
| ٧ | شرف الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن بهاء الدولة | ....-١٠٢٥ | ١٠١٣-١٠٢٥ |
| ٨ | جلال الدولة أبو طاهر فيروزجرد بن بهاء الدولة | ٩٩٣-١٠٤٤ | ١٠٢٥-١٠٤٤ |
| ٩ | العزيز أبو منصور شيرزيل بن جلال الدولة | ....-١٠٥١ | ١٠٤٤-١٠٤٥ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٠ | أبو كاليجار مرزبان بن شرف الدولة | ....-١٠٤٩ | ١٠٤٥-١٠٤٩ |
| ١١ | الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن أبي كاليجار | ١٠٠٩-١٠٥٨ | ١٠٤٩-١٠٥٥ |

*** سلاطين البويهيون (فرع الري وإصفهان)**

| م | الحاكم | الحياة | الحكم |
|---|---|---|---|
| ٢ | ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه | ....-٩٧٧ | ٩٣٣-٩٧٧ |
| ٣ | مؤيد الدولة بن ركن الدولة | ....-٩٨٤ | ٩٧٧-٩٨٤ |

## ٩٣٢ م. مولد ابو فراس الحمدانى.

أبو فِراس الحمداني 357 - 320هـ / ٩٣٢ - ٩٦٧ م الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي، أبو فراس.

شاعر أمير، فارس، ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويجله ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبج وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج ويتنقل في بلاد الشام.

جرح في معركة مع الروم، فأسروه وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة.

قال الذهبي. كانت له منبج، وتملك حمص وسار ليتملك حلب فقتل في تدمر، وقال ابن خلّكان. مات قتيلاً في صدد (على مقربة من حمص)، قتله رجال خاله سعد الدولة.

## ٩٣٣ م. وفاة ابن دريد.

أبو بكر محمد بن دريد الأزدي، شاعر وعالم في اللغة. من مؤلفاته. (الجمهرة في اللغة)، وهو معجم شهير، و (المقصورة). ولد في بغداد وتوفي فيها عام ٩٣٣ م

- ٩٣٤ م. وفاة "عبيد الله المهدي" مؤسس الدولة الفاطمية، وأول خلفائها في المغرب العربي
- ٩٣٥ م. انشاء منصب امرة الامراء فى بغداد

## ٩٣٨ م. مولد الصاحب بن عباد.

بلغت الدولة البويهية التي حكمت منطقة فارس والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين مبلغا عظيما من الجاه والسلطان، وخضع لنفوذها خلفاء الدولة العباسية في الفترة

التي امتدت بين سنتي (٣٣٤ - ٤٤٧هـ = ٩٤٥ – ١٠٥٥م) وأطلق على هذه الفترة عـصر نفوذ البويهيين؛ حيث أصبح الخليفة العباسي مجردا من كل سلطان، ليس له من رسوم الخلافة سوى الدعاء على المنابر وكتابة اسمه على السكة، وتعيين القضاة وخطباء المساجد.

## وزراء بني بويه.

وكان "بنو بويه" يحبون العلم والأدب، ويستعينون بالعلمـاء والكتـاب والـشعراء فـي المناصب الكبرى بدولتهم كالوزارة التي تولاها نفر من سدنة العلم وأعلام الأدب والكتابة كأبي الفضل بن العميد الذي ولي الوزارة لركن الدولة البويهي سنة (٣٢٨هـ = ٩٣٩م) وظل فـي منصبه ٣٠ عاما، وكان يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة حتى لقب بالجـاحظ الثـاني، وقيلت فيه العبارة السائرة. "بدئت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد". والمقـصود بعبـد الحميد هنا هو "عبد الحميد بن يحيى" كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

وبعد وفاة أبي الفضل ابن العميد خلفه ابنه أبو الفتح في الوزارة، وكـان كاتبـا بليغـا وسياسيا ماهرا، ويضاف إليهما الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي.

وكان هؤلاء الوزراء من أصحاب الكفايات النادرة، التي تجمع إلى جانب الفطنة والذكاء والبلاغة والفصاحة مقدرةً فذة على إدارة شئون الدولة، وتسيير أمورهـا، وضـبط أحوالهـا المالية، وقيادة جيوشها في المعارك، فكان الوزير منهم يجمع في منصبه اختصاصات وزارات عدة كالخارجية والداخلية والمالية والحربية، وهو أمر لم تشهده الوزارة من قبل.

## الصاحب بن عباد.

ولد إسماعيل بن عباد في "اصطخر" في (١٦ من ذي القعـدة ٣٢٦ هـ = ١٤ مـن أكتوبر ٩٣٨م)، وكان أبوه كاتبا ماهرا، ولي الوزارة لركن الدولة البويهي، وقبـل أن يكـون وزيرا كان من أهل العلم والفضل، سمع من علماء بغداد وأصفهان والري، وروى عنه جماعة من العلماء، وعني بتربية ابنه، وتعهده بالتعليم والتثقيف؛ حتى يكون كاتبا مثله، يتصل بـبلاط الملوك، ويخلفه في الوزارة.

اتصل إسماعيل بن عباد بأبي الفضل بن العميد الوزير المعروف، وتتلمذ علـى يديـه، وتدرب على طريقته في الكتابة والقيام بأعمال الوزارة، وكان دائم الصحبة لـه حتـى لُقـب بالصاحب، كما تتلمذ على يد العالم الكبير أبي الحسين أحمد بن فارس، المتوفى سنة (٣٧٥هـ = ٩٨٥م)، وتوثقت بينهما أسباب الصلة والمودة، حتى إن ابن فارس لما ألّف كتابه في فقـه اللغة أطلق عليه لقب تلميذه، فسماه الصاحبي، وأهداه إليه بعدما أصبح وزيرا معروفًا.

## منصب الوزارة.

التحق الصاحب بن عباد بمؤيد الدولة ابن ركن الدولة البويهي أمير الـري وأصـفهان، وعمل له كاتبا، وظل مقدما عنده، ثم ولي له منصب الوزارة في سنة (٣٦٦هـ = ٩٧٦م)، وظل في الوزارة حتى وفاة مؤيد الدولة سنة (٣٧٣هـ = ٩٨٣م)، ثم أقره أخوه "فخر الدولة" على وزارته، وقد نجح الصاحب في إدارة شئون الدولة وتدبير أمورها على خير وجه، وجمع إلى جانب ما يتمتع به من ثقافة موفورة وعمل غزير وقدرة عالية على كتابة الرسائل الديوانية –كفاية حربية وموهبة عسكرية؛ فكان قائدا شجاعا حتى إنه فتح في خلال وزارتـه خمـسين قلعة حصينة، وكان إداريا عظيما؛ فظلت الأنظمة الإدارية التي استحدثها تطبق في عهد مـن خلفه الوزراء.

وقد أعلت هذه الملكات الخاصة من شأن الوزير النابه؛ فوثق به الأميران. مؤيد الدولـة وأخوه فخر الدولة، وأطلقا يده في إدارة شئون البلاد التابعة لهما، وفرضت كفايتـه وخبرتـه احترام كبار رجال الدولة له، حتى قيل إن قواد بني بويه وحكامهم كانوا يقفون ببابـه، ومـن يؤْذَن له في الدخول عليه يظن أنه قد بلغ الآمال وأقبلت عليه الدنيا.

وبلغ من علو مكانته وتأثيره في سياسة الدولة أن الأمير عضد الدولة أعظم أمراء دولة بني بويه كان يقول لجلسائه. إنه لا يحسد أحدا من الملوك إلا أخـاه مؤيـد الدولـة؛ لتـولي الصاحب بن عباد الوزارة له، وكان الأمير عضد الدولة – الذي كان يحكم العراق وما حولها – يخرج بنفسه لاستقبال الصاحب إذا قدم إليه؛ فقد خرج في سنة (٣٧٠هـ = ٩٨٠م) علـى رأس كبار رجال دولته إلى خارج مدينة بغداد لاستقبال الصاحب بن عباد وإكرامه.

## ثقافة متنوعة.

لم يكن الصاحب كاتبا موهوبا ووزيرا قديرا فحسب، وإنما جمع إلى ذلك مشاركة فـي علوم كثيرة؛ فله معرفة ورواية في الحديث النبوي؛ إذ سمع الحديث من أعلامه فـي العـراق والري وأصبهان، وترجم له الحافظ الكبير أبو نعيم الأصبهاني في كتابه "ذكر أخبار أصبهان"، باعتباره محدثا لا رجل دولة، وذكر في أخباره أنه كان يناظر ويدرس ويملي الحديث.

ووصف الصاحب بأنه كان من أفقه علماء الشيعة، وعقد له في وقـت مـن الأوقـات مجلس للإملاء وإلقاء الدرس، فاحتفل الناس لحضوره واحتشد لسماعه وجوه الأمراء وكبـار العلماء، وكان ممن يكتب عنه القاضي عبد الجبار الهمـذاني وأمثالـه مـن كبـار الفقهـاء والمحدثين، وإلى جانب ذلك كان إماما في اللغة، متمكنا من علومها وأدواتها، يشهد له بـذلك المعجم الكبير الذي ألفه، والمعروف باسم المحيط، وقد رتب مواده اللغوية وفق ترتيب مخارج

الحروف، مثلما فعل الخليل بن أحمد في معجمه العين؛ أول المعاجم العربية، وقد نـشر هـذا العمل الكبير في العراق.

## رسائل الصاحب.. وثائق مهمة.

غير أن الذي رفع مكانة الصاحب بن عباد وأفسح له مكانا متميزا بين أصـحاب القلـم والبيان في تاريخ الأدب العربي هو رسائله الإخوانية والديوانية، وهي رسائل بليغـة العبـارة وصافية الديباجة، متأنقة في اختيار اللفظ. ومن كلامه الذي يجري مجرى الأمثال. "من كَفَـر النعمة استوجب النقمة"، و"من يهزه يسير الإشارة لم ينفعه كثير العبـارة"، و"العلـم بالتـذكر والجهل بالتناكر".

ورسائل الصاحب المنشورة معظمها ديوانية، وتُعد وثائق بالغة القيمة والأهميـة عـن الدولة البويهية، عرض فيها لحروبهم وإدارتهم لشئون الدولة، ومعاهداتهم، وعهودهم لـولاتهم وقادتهم وقُضاتهم.

ومن نماذج ما كتبه الصاحب من عهود. كتابه إلى قاضي القضاة "عبد الجبار بن أحمد"، وهو من كبار رجال القرن الرابع الهجري حين عينـه فـي ولايـة القـضاء فـي جرجـان وطبرستان، وتضمنت هذه الرسالة الفريدة التوجيهات التي تتصل بمصالح الرعيـة، وتكفـل العدل لها، وتحقق المساواة بين أفرادها.

فبعد أن استعرض أصول التشريع ومصادر الأحكام التي هي كتاب أو سـنة – ذكّـر القاضي بضرورة الالتزام بالشورى، وحذّره من الاستبداد وإطاعة الهوى، ونبهه إلى أهميـة تهذيب نفسه، والعدل بين الخصوم، والعناية باختيار الأعوان، وفحص الشهود، والاستيثاق من عدالتهم، ورعاية اليتامى وأموالهم.. وإليك مقتطفات من تلك الرسالة. "... وأمـره أن يهـذب نفسه قبل أن يهذب عمله، ويؤدب عاداته قبل أن يؤدب من قبله، ويروض أخلاقه على الحلم؛ لئلا يقضي في حالة غيظ أو حنق أو ضجر أو ملال... وأمره بأن يعدل بين الخـصوم فـي مجالس قضائه، ويعمهم بحسن استماعه وإصغائه... لئلا يطمع قوي في انظلام الـضعيف، أو يجزع مشروف من اهتضام شريف، فالحق أكبر من كل ذي محل وثروة، والدين أعظم مـن كل ذي منزلة وحظوة.

.. وأمره أن يتخير كفاته وخلفاءه وكُتابة وأمناءه؛ فمن نصح وعفّ وصلح وكفّ أمره، ومن صدف عن التورع والظلف (الزهد)، وانحرف إلى الجشع والنطف (الفساد) قدم عزلـه، فالمرء مسئول عن بطانته، كما هو مسئول عن أمانته...".

والرسالة طويلة، تعرض فيها لما يتصل بعمل القاضي من واجبات وأمور يجب الالتزام بها.

وللصاحب شعر جيد في المديح والوصف والغزل والإخوانيات، وقد جمع أشعاره "محمد آل ياسين"، ونشرها في النجف بالعراق، وله أيضا إسهامات في النقد الأدبي، وتـرك رسـالة بعنوان "الكشف عن مساوئ المتنبي"، وهي لا تخلو من نظرات نقديـة صـائبة، وإن شـابها تحامل على الشاعر الكبير.

وتُوفي الصاحب بن عباد ليلة الجمعة في (٢٤ من صفر ٣٨٥هـ = ٣٠ مـن مـارس ٩٥٥م) بالري، وأُغلقت المدينة لموته، وحضر الأمير "فخر الدولة البويهي" وكبار رجال دولته جنازته، ثم جلس لاستقبال المعزين فيه عدة أيام.

- ٩٤٠ م. تولّى "المتقي أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر" خلافة الدولة العباسية، وهو الخليفة الحادي والعشرون في سلسلة خلفاء الدولة العباسية، وكانت فترة خلافتـه مليئة بالصراعات والفتن، فلم تدم فترة حكمه سوى أربع سنوات.

## ٩٤٠ م. وفاة متى بن يونس.

ابو بشر بن يونان المنطقي. مترجم وفيلسوف كردستاني نسطوري. توفي عـام ٩٤٠م. ولد قرب بغداد من اصل يوناني، وقيل انه قد تتلمذ على المروزي الذي اخذ علمه من علمـاء الاسكندرية وانطاكية مباشرة. وقيل ان الفارابي قد تتلمذ بالتالي على ابن يـونس. وقـد رأس متى بن يونس اهل المنطق في بغداد، وتبعه على رئاستهم تلميذه يحيى بن عدي. وقـد اجـاد متى بن يونس في اللغات اليونانية والسريانية والعربية، وترجم لاسـحاق بـن حنـين كتابـه (البرهان) من السريانية الى العربية. وترجم (انالوطيقا)، و (الشعر) لارسطو، و (ايساغوجي) لفرفوريوس من اليونانية الى العربية. كما ألف متى كذلك (المقاييس الشرطية).

## ٩٤٠ م. مولد الزهراوى.

ابو القاسم خلف بن عباس الانصاري. طبيب وجراح اندلسي. ولد في الزهراء، ضاحية قرطبة عام ٩٤٠ م، وتوفي فيها عام ١٠١٣ م. تلتصق حياتـه كإسـمه بعاصـمة الناصـر (الزهراء) التي بناها هذا الحاكم الاندلسي الفذ كضاحية للحكام شمال غربي عاصمته قرطبـة. فقد ولد ابو القاسم في احد بيوتها الشريفة بعد انشائها، وقضى حياته فيها طبيبا في بلاط عبـد الرحمن الثالث، وتوفي بها ايضا بعد خرابها بعامين.

وقد لقب المستشرق الفرنسي (سارتون) الزهراوي باكبر جراحي الاسلام، وقـال عنـه الدكتور نجيب محفوظ انه فخر الجراحة العربية. ومع ذلك لم يخصص ابـن ابـي اصـيبعة

للزهراوي غير سطور ثلاث في موسوعته التي تحفل باسماء الممارسين والادباء والـشعراء الى جانب الاطباء. وليس لهذا من تفسير سوى ان الزهراوي لم يقدر حق قدره زمن ابن ابي اصيبعة، وانما في السنوات الاخيرة بعد ما درست اعماله بالاهتمام الواجب. ومع ذلـك فقـد اشتهر الزهراوي في اوربا القرون الوسطى، وقامت على اعماله مدرسة كاملة في فرنسا، هي مدرسة (مونبلييه)، واخذ عنه الطبيب الفرنسي (دي شولياك المتوفى عام ١٣٦٨م) في عمليات الفتق والعيون. واخذ عنه الطبيب الميلاني (لانفراشي) في وسائل ربط الاوعية الدمويةَ.

ومما لا شك فيه ان الزهراوي قد اخذ كثيرا عن جالينوس، وانه احاط احاطـة كافيـة بالتشريح، وبرز في الجراحة وامراض النساء وعلاج الجروح وتجبير العظام. وقد توصل الى طريقة لتوسيع المجاري البولية، واستأصل الحصى المثانية في المرأة عن طريـق المهبـل. واستخدم امعاء الحيوانات وخيوط الحرير والصوف في خياطة الجروح وشق القصبة الهوائية. واستخدم الكي في علاج الجروح السرطانية. والى هذا صمم الزهـراوي وصـنع واسـتخدم حوالي مائتي آلة جراحية لمختلف الجراحات ومنها الشق والبتر والولادة والاسنان الخ.َ

وقد فهم الزهراوي بما لا يدع مجالا للشك اهمية التشريح في الجراحة حيث قـال. «.. والسبب الذي لا يوجد فيه طبيب محسن في زماننا هو ان صـناعة الطـب طويلـة، ينبغـي لصاحبها ان يرتاض قبل دخولها علم التشريح حتى يقف علـى منـافع الاعـضاء وهيئتهـا ومزاجها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والاعصاب والعضلات وعـددها ومخارجهـا، والعروق النوابض والسواكن ومواضع مخارجها، لأن من لا يعلم بكل هذا من امور التشريح، لم يأمن الوقوع في خطأ قتل الناس. وقد شاهدت بنفسي كثيرا من اخطاء من تصوروا المعرفة بهذا العلم، والادعاء به بدون دراية. »َ.

وللزهراوي رسائل كثيرة في امراض النساء، وتحضير الادويـة، وعلاقـة المـريض بطبيبه. ولكن اكثر ما يشتهر به هو مؤلفه (التصريف لمن عجز عن التأليف) وهو موسـوعة كاملة من ثلاثة اقسام وثلاثين بابا. وتختص اقسامها بالطب الاكلينيكي او الباطني والجراحـة والصيدلة. وتضم الجراحة ثلاثة ابواب، اعتمد الزهراوي في بعضها علـى كتابـات بـولس الاجنطي، واولى الولادة وجراحة العينين والاذنين والاسنان وكذا الكـي والادويـة القابـضة والمؤثرة على النزيف اهمية خاصة. ويمتاز (التصريف) بكثرة رسومه وباشكاله الكثيرة التي توضح مئات الآلاف الجراحية التي صمم اكثرها ووصفها واستخدمها الزهراوي في عملياته. وبالكتاب مقالات في اخراج الجنين الميت من بطن الحامل، وعمليات استخراج حصى المثانة بالشق والتفتيت، ومعالجة الكسور والخلوع. ووصف الشلل الناتج عن كسر عظام الحـوض، وطرق تعليم القوابل والممرضات.

وقد ترجم جيراردو الكريموني (التصريف) الى اللاتينية، ولكنه لم يطبع مرة واحدة، بل طبع الجزء الخاص بالعقاقير منه في البندقية عام ١٤٧١ م، والجزء الخاص بالجراحـة عـام ١٤٩٧ م، والجزء الباطني في اوجزبرغ بالمانيا عام ١٥١٩م، والجـزء الخـاص بـامراض النساء في بازل بسويسرا عام ١٥٦٦م. وقد تـرجم (التـصريف) كـذلك الـى العبريـة و البروفنسالية ثم الى لغات اوربية عديدة.

ومن مؤلفات الزهراوي التي انتقلت الينا كذلك (المقالة في عمل اليد على فن الجراحة). وغني عن القول ان الطب الاوربي عامة، والجراحة بوجه خاص قد تأثرا بأعمال ومؤلفـات الزهراوي تأثرا كبيرا تزيده الدراسات الجديدة وضوحا على الايام. وقد عرف الزهراوي فـي الغرب باسم Albucasis تحريفا للقبه وهو ابو القاسم.

## ٩٤٢ م. وفاة سنان بن ثابت.

ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة. طبيب وفلكي من اصل تركي حراني. تـوفي ٩٤٢م. خدم الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي، وقد ذكر ابن النديم في (الفهرست) ان القاهر قـد اراد ابا سعيد على الاسلام، فخاف وهرب الى خراسان، ثم عاد واسلم وتوفي في بغداد مسلما.

وقد اشرف سنان بن ثابت على البيمارستان المقتدري في بغداد، وهو مستشفى عام بناه الخليفة المقتدر، وبلغ عند المقتدر ووزيره عيسى بن علي مكانة عالية. فرأس المقتدري وكلف مكافحة الاوبئة، فأرسل اطباءه الى المدن والقرى، وندب من يقوم منهم بتطبيـب المـساجين. كذلك كلف سنان الاشراف على مهنة الطب في بغداد واجازة من يصلح لها من اطباء. وقـد ألف سنان بن ثابت وترجم في الطب والرياضيات والفلك. وكتب رسالة في (تـاريخ الملـوك السريان)، وأخرى في شرح مذاهب الصابئة.

- ٩٤٤ م. خلع الخليفة العباسي "إبراهيم المتقي بن المعتمد بن أحمد الموفق طلحة"، المعروف بالمتقي من منصب الخلافة العباسية، وهو الخليفة الحادي والعـشرون من الخلفاء العباسيين.
- ٩٤٤ م. وفاة ابى منصور محمد بن محمد الماتريدى الحنفى المذهب وينسب اليه فكر الماتريديبة ويرى البعض ان الماتريدية تتميز بميلها الى استخدام العقل وتمثل تطور فكرى لأهل السنة فى مواجهة تيار المعتزلة
- ٩٤٥ م. معز الدولة البويهى يستولى على بغداد ويعزل المستكفى وبدء ما يـسمى بعصر نفوذ البويهيين الذي امتد أكثر من قرن من الزمان.

## ٩٤٦ م. مولد المقدسي.

شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن البناء الشامي البشاري. جغرافي ورحالة فلسطيني. ولد في القدس عام ٩٤٦م، وتوفي فيها عام ١٠٠٠م. كان جده بناء شـهيرا، بنـى ميناء عكا وتحصيناته لابن طولون. وقد طوف شمس الدين فـي شـبابه بمعظـم الاقطـار الاسلامية، ماعدا الاندلس التي نقل معلوماته عن حاجين التقى بهما اثنا حجةَ.

وشمس الدين المقدسي مؤرخ دقيق واصيل، وقد لقبـه المستـشرق كـراوس بـأكثر الجغرافيين العرب اصالة. وقال عنه شبرنجر انه ربما كان اعظم جغرافي عرفتـه البـشرية قاطبة. ومع ذلك فقد كان المقدسي شديد الاعتداد بنفسه وعمله، قاسيا في نقد غيـره، وكانـت خرائطه بدائية حتى وان حاول تطويرها عن اصول من سبقه من الجغرافيين بالتصرف فـي تقسيمها، كما ان في طريقة عرضه واسلوبه تكلف مصطنعَ.

ويشتهر المقدسي بكتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقـاليم) الـذي يـدرس جغرافيـة الشعوب والحياة الاجتماعية والاقتصادية، ويهمل الجغرافية الطبيعية. وتوجـد مـن (احـسن التقاسيم) مسودتان، ترجع الاولى منها لعام ٩٨٦م، وقد اهداها المقدسي لآل سلمان، وترجـع الثانية لعام ٩٨٩م وقد اهداها للفاطميين. وقد استفاد ياقوت الحموي اسـتفادات كثيـرة مـن المسودة الثانية. ويتألف (احسن التقاسيم) من مقدمة وابواب عديدة في وصف البحار والانهار والاقاليم السبعة والاقطار الاسلامية ومناخها واقسامها وسكانها، وينتهي الكتاب بخرائط ملونة.

## ٩٥٠ م. مولد المجريطي.

"كان المجريطي إمام الرياضيين بالأندلس، وأوسعهم إحاطة بعلـم الأفـلاك وحركـات النجوم". وهو أبو القاسم مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي، ولـد فـي مدريـد بإسبانيا سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م. وعاش في قرطبة، وتوفي بها سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م.

سافر إلى الشرق واتصل بعلماء العرب والمسلمين وتداول معهم في ما توصل إليه من أبحاثه في الرياضيات وعلم الفلك. وبنى مدرسة في قرطبة تتلمذ عليه فيها عـدد مـن كبـار علماء الرياضيات، والفلك، والطب، والفلسفة، والكيمياء، والحيوان.

## إسهاماته العلمية.

كان المجريطي يعد حجة عصره في الكيمياء، وقد كانت له في هذا المجـال إسـهامات عديدة، فقد ميز بين الكيمياء والسيمياء، وحرر علم الكيمياء من الخرافات والسحر، ودعا إلى دراسة الكيمياء دراسة علمية تعتمد على التجربة والاستقراء. وكـان يـرى أن الرياضـيات

ضرورية في دراسة الكيمياء. كما أولى المجريطي عناية خاصة للتجارب الخاصة بالاحتراق والتفاعلات التي تنتج عنه. واشتهر بتحضيره أوكسيد الزئبق حيث لم يسبقه أحد إلى تحويـل الزئبق إلى أوكسيد الزئبق.

أما في مجال علم الفلك، فقد اختصر الجداول الفلكية للبتاني، فكان مختـصره مرجعـاً لعلماء الفلك. وهو أول من علق على الخريطة الفلكية لبطليموس. كمـا أن المجريطـي نـال شهرة عظيمة "بتعليقه وتقويمه للجداول الفلكية للخوارزمي وتعويض تاريخها الفارسي بالتاريخ الهجري"، كما أنه طور نظريات الأعداد وهندسة إقليدس.

وإضافةً إلى ذلك، اهتم المجريطي كثيراً بعلم الحيوان، فقد تكلم عن تكوين الحيوانـات وتفضيل بعضها على بعض وفوائدها.

## مؤلفاته.

ألف المجريطي في علوم مختلفة كالكيمياء، والفلك، والرياضيات، والحيوان ؛ ومن هذه المؤلفات ما ذكره سارطون والزركلي.

- "رتبة الحكيم"، تكلم فيه عن السيمياء والكيمياء والفرق بينهما ؛ وتبرز فيه تجربته عن الزئبق.
- "غاية الحكيم"، يشتمل على تاريخ الكيمياء. ترجم إلى اللاتينية سنة ١٢٥٢ بـأمر من الملك ألفونس تحت عنوان Picatrix.
- "رسالة في الاسطرلاب"، ترجم إلى اللاتينية ؛
- "شرح كتاب المجسطي لبطليموس" ؛
- "كتاب ثمار العدد في الحساب".

ونشير إلى أن كتب المجريطي العلمية ظلت تدرس لعدة سنوات في الجامعات الأوربية، وأن علماء الغرب هم أول من أبرز إنتاج المجريطي وعرفوا به.

و مجريط. التحريف العربي لإسم مدريد عاصمة اسبانيا الحالية. وكعادة المحتلين فـي كل العصور، فقد لجأ العرب الى تحريف أسماء جميع المدن الاجنبية التي احتلوها في اسبانيا، ولكن تلك المدن استعادت أسماءها الأصلية بعد طرد المحتلين العرب منها

## ٩٥٠ م. مولد ابو بكر الباقلانى.

القاضي أبو بكر الباقلاني. (٣٢٨ـ٤٠٢هـ) (٩٥٠ـ١٠١٣م) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذب بحوث الأشعري، وتكلم في مقدمات البـراهين العقلية للتوحيد وغالى فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهـى إلـى

مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصـناف التـأويلات التي يستعملها المؤولة وذلك في كتابه. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القـسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه. إعجاز القرآن، الإنـصاف، مناقـب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية.

## ٩٥١ م. وفاة ابن الداية

ابو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم المصري. مؤرخ وطبيب ومنجم عراقي. تـوفي عام ٩٥١ م. نشأ في العراق ثم هاجر مع اسرته الى مصر واقام وعمل في القاهرة. يـشتهر ابن الداية بسيره الجامعة (سيرة احمد بن طولون وابنه خمارويه). وقد استوعب ابـن سـعيد اكثر هذا الكتاب في كتابه (المغرب في حلى المغرب). ومن مؤلفات ابن الداية ايضا (اخبـار الاطباء) و (اخبار المنجمين) و كتاب (المكافأة) و كتاب (السياسة) لافلاطون.َ

## ٩٥٦ م (٣٤٥ هـ). وفاة المسعودى

ابو الحسن علي بن الحسين بن علي الشافعي البغدادي. جغرافي ومؤرخ واديب عراقي. ولد في بغداد عام ٩٢١م، وتوفي في القاهرة عام ٩٥٦م. نشأ في بغداد، واحاط فيهـا بعلـوم عصره، ثم طوف في فارس والهند وسيلان ومدغشقر وربما الصين وبعض جـزر الـشرق الاقصى وجنوب غربي روسيا والبلقان وسوريا، ثم استقر في مصر وتوفي بالفسطاط.

وقد افتتن المستشرق رينان بالمسعودي فـي أواخـر القـرن ١٩ المـيلادي، وسـماه المستشرق كراوس« أكثر جغرافي الشرق اصالة ». وقيل عنه ان عقله كان منفتحا ومحايـدا وخاليا من كل أثر من آثار التعصب. ولكنه اتهم ايضا بقلـة الـوعي النقـدي، وبالـسرعة، وبالسطحية، وبأنه مثلا قد خلط بين اسماء الاندلسيين والعواصم الاندلسية، وبأنه لم يفرق بين الجغرافية والتاريخ، وبأنه كان اديبا اكثر منه جغرافيا أو مؤرخا. ومن الآراء التي عابها عليه المؤرخون من بعده، قوله أن جميع العواصم الكبرى في العالم تقع على خط عـرض واحـد، وان الشعوب الشمالية تتصف بالغباوة والجفاء والهمجية.َ

ومع ذلك فقد ردد المسعودي الارهاصات الاولى لتأثير البيئة على علوم الاجتماع، وهي التي طورها بعد ذلك ابن خلدون. والمح المسعودي الى تطور وارتقاء الكائنات، وهي النظرية الدارونية التي اكتملت حلقاتها منذ اواخر القرن ١٩ الميلادي. ومما كتبه المـسعودي حـول كروية الارض. «.. وان الشمس اذا غابت في اقصى الصين، كان طلوعها علـى الجزائـر

العامرة في بحر اوقيانوس الغربي. واذا غابت في هذه الجزيرة، كان طلوعهـا فـي اقـصى الصين، وذلك نصف دائرة الارض.َ

ومن الصعب الحكم على المسعودي حكما موضوعيا كاملا، اذ قد ضاعت لنا اكثر كتبه، واهمها (ذخائر العلوم) و (اخبار الامم من العرب والعجم). واشهر ما انتقل الينا من كتبه هـو (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وهو كتاب ادبي يبحث في تاريخ الخليقة منذ بـدايتها حتـى زمانه. ويبدأ الكتاب بالحديث عن خليقة زمانه، ثم يعود للحديث عن اخبار الملوك والامـراء الذين سبقوا الاسلام، ثم النبي والخلفاء، ثم يتناول زمن الامويين و العباسيين.

وللمسعودي كذلك (التنبيه والاشراف) وهو كتاب تاريخي جغرافي يبحث فـي الاقـاليم البيزنطية وفي تاريخ الكنيسة المسيحية مثلما يبحث في اقاليم المسلمين وتـاريخهم. ويتنـاول الافلاك، والعناصر، والفصول، والاركي. ويضم كتابه فهرسا بأسماء الامـاكن. وقـد قـسم المسعودي شعوب العالم الى سبع مجموعات اثنولوجية، هي الفرس والكلدانيين (ويضم الـيهم العرب واليهود)، والاوربيون والليبيون (سكان شمال افريقيا) والافارقة والترك والهند والـسند والصينيون. وقد انتهى المسعودي في كتابه (التنبيه والاشراف) في عام وفاتـه، فهـو يـضم خلاصة معارفه وتجاربه، وبحث فيه في تأثير المناخ على نفسية الشعوب مثلمـا فعـل بعـده بخمسة قرون ابن خلدون. كما نسب للمسعودي تأليفه كتاب (اخبار الزمان وعجائب البلـدان)، أو (مختصر العجائب والغرائب) بينما لم يؤلف المسعودي مثل هذا الكتاب.

ابو الحسن على بن الحسين، ولد فى بغداد وقضى السنوات الاخيرة من حياته فى سوريا ومصر وتوفى بالقاهرة وهو معتزلى، رحالة، وجغرافى ومؤرخ بارع اهـم كتبـه " مـروج الذهب ومعادن الجوهر " وهو موسوعة تاريخية وجغرافية كتبها سنة ٩٤٧ م ولـه ايـضا " التنبيه والاشراف.

## ٩٥٨ م. مولد ابن دراج القسطلى.

ابن دراج القسطلي 421 - 347هـ 1030 - 958 / م أحمد بن محمد بن العاصي بن دراج القسطلي الأندلسي أبو عمر.

شاعر كاتب من أهل (قسطلّة دراج) قريـة غـرب الأنـدلس، منـسوبة إلـى جـده . كان شاعر المنصور أبي عامر، وكاتب الإنشاء في أيامه.

قال الثعالبي. كان بالأندلس كالمتنبي بالشام.

وأورد ابن بسام في الذخيرة نماذج من رسائله وفيضاً من شعره.

- ٩٦١ م (٣٥٠ هـ). وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر

- ٩٦١ م. بيزنطة تسقط تكريت

## ٩٦٢ م (٣٥١ هـ). الدولة الغزنوية.

الغزنويون، بنو سبكتكين. سلالة تركية حكمت في أفغانستان خراسان وشمال الهند مابين ٩٧٧-١١٥٠م، ثم في البنجاب حتى ١١٨٦م.

المقر. غزنة. ٩٧٧-١١٥٦م لاهور. منذ ١١٥٦م.

بعد قيام قائد السامانيين ألبطغين بفتح غزنة سنة ٩٦٢ م أصبح خليفته سبكتكين (٩٧٧-٩٩٧ م) واليا على المدينة. تطور الأمر فصار الوالي الجديد يحكم المنطقة باستقلال شبه تـام عن السامانيين. ضم سبكتكين إليه مناطق خراسان (طخرستان، زبلستان و غور).

كان ابنه و خليفته محمود بن سبكتكين (٩٩٨-١٠٣٠ م) من كبار القادة والفاتحين الذين عرفتهم دولة الإسلام. في عهوده الأولى قضى الأخير على الوجود السامانى فـي خراسـان (سنة ٩٩٩ م). غزا بلوشستان وخوارزم اصطلح مع القراخانات على حدود مشتركة حـارب البويهيين ومذهبهم الشيعي (استولى على الري. ١٠٢٩م). خلع عليه الخليفة العباسـي لقـب السلطان. بدأ منذ ١٠٠١م القيام بحملات منظمة لغزو الهند، بلغ في فتوحه كجـرات، الـسند وقناوج (وسط الهند). اعتبر بذلك أول من مهد الطريق للاسلام لدخول إلى الهند.

ركز ابنه مسعود (١٠٣٠-١٠٤٠ م) كل جهوده نحو الهند. انهزم أمام الـسلاجقة فـي دندكان سنة ١٠٤٠ م. ثم أزاحهم هؤلاء (السلاجقة) عن خراسان نهائيا وإلى ناحية الـشرق. فقد إبراهيم (١٠٥٩-١٠٩٩ م) أكثر مناطق الدولة الواقعة شرق نهر جيحون. انحصرت رقعة الدولة في منطقتي شرق أفغانستان و شمال الهند. حكم بهرام شـاه (١١٨-١١٥٢ م) تحـت سيطرة السلاجقة في البنجاب. مع دخول الغوريين و استيلاءهم على غزنة، تزايـد الـضغط على الغزنويين. كانت النهاية سنة ١١٨٦ م عندما دخل الغوريون لاهـور وأنهـوا الوجـود الغزنوي فيها.

اهتم الخلفاء الراشدون بفتح بلاد الهند؛ فبعثوا منذ عهد عمر بن الخطاب عدة حمـلات على أطراف هذه البلاد، غير أن الفتح المنظم بدأ في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، حيث قام عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بهذه المهمة العظيمـة، فأعـد حملـة عسكرية وجهزها بما يكفل لها النجاح من عدة وعتاد، وأسند قيادتها إلى واحد من أكفأ القـادة وأمهرهم هو ابن أخيه محمد بن القاسم، وكان دون العشرين من عمره، فنهض بهذه المهمـة على خير وجه، وتمكن من التوغل في بلاد الهند، وفتح مدينة "ديبل" وأقام بها مسجدا، وتـرك بها حامية من أربعة آلاف جندي، وأصبحت ديبل أول مدينة عربية في الهند.

وهذه المدينة كان موقعها قريبا من "كراتشي" لكنها اندرست ولم يعد لهـا وجـود الآن، وواصل القائد المظفر حملته الناجحة في شمال الهند، وهو ينتقل من نصر إلى نصر، وأهالي البلاد تقبل عليه؛ فرحا به لسماحته وحسن سياسته، وتعـده محررهـا مـن ظلـم الهنـدوس واستعبادهم.

غير أن هذا الحلم الجميل بدا يتحطم ويتبدد؛ فقد توفي الحجاج الثقفـي صـاحب اليـد البيضاء في هذا الفتح، ومن بعده الخليفة الوليد بن عبد الملك، وتولى العـراق حـاكم جديـد، فأوقف الفتح وعزل محمد بن القاسم عن ولاية السند.

وظلت السند تابعة للدولة الأموية ومن بعدها الدولة العباسية، وحافظ المسلمون على ما فتحوه، وتوسعوا قليلا في ضم أجزاء أخرى إلى دولتهم، حتى سيطر المسلمون على المنطقـة الواقعة بين كابل وكشمير والملتان.

## قيام الدولة الغزنوية.

كانت "غزنة" بأفغانستان ولاية نائية، تخضع للدولة السامانية التي تحكم خراسـان ومـا وراء النهر، ويقوم عليها ولاة من قِبلها، وشاءت الأقدار أن يلي غزنة سنة (٣٦٦هـ= ٩٧٦م) والٍ يسمى "سبكتكين" كان يتمتع بهمة عالية وكفاءة نادرة، وطموح عظيم، فنجح في أن يبسط نفوذه على البلاد المجاورة، وشرع في غزو أطراف الهند، وسيطر على كثير مـن المعاقـل والحصون هناك، حتى تمكن من تأسيس دولة كبيرة في جنوبي غرب آسـيا، وتـوفي سـنة (٣٨٧هـ=٩٩٧م).

## ولاية محمود بن سبكتكين.

بعد موت سبكتكين خلفه ابنه إسماعيل، بعد أن عهد إليه أبوه بالملك من بعده، غيـر أن أخاه الأكبر محمود -وكان سند والده في غزواته وحروبه- رفض أن يقـر لأخيـه بالملـك لضعفه وسوء تدبيره، فنهض عليه واستطاع بعد سبعة أشهر أن ينتزع الملك لنفسه، ويقـبض على زمام الأمور، وبدأ عهد جديد لم تشهده المنطقة من قبل، فلم يكد يستقر الأمر له، حتى بدأ نشاطًا واسعا في الفتوح، وأثبت أنه واحد من كبار الفاتحين في تاريخ الإسلام، حتى قيـل إن فتوحه تعدل في المساحة فتوح عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قضى محمود الغزنوي الفترة الأولى من حكمه في تثبيت أركان دولته، وتوسيع رقعتها على حساب الدولة السامانية التي دب الضعف في أوصالها، فرأى الفرصة سـانحة للقـضاء عليها، وتم له ذلك في (جمادى الأولى ٣٨٩هـ= أبريل ٩٩٩م) بعد انتصاره على عبد الملـك

بن نوح السامانى في موقعة حاسمة عند مرو، وأصبحت خراسان خاضعة لـه، ثـم تـصدى للدولة البويهية، وانتزع منها الري وبلاد الجبل وقزوين.

## فتح الهند.

بعد أن استقرت الأحول لمحمود الغزنوي واستتب له الحكم، وأقرته الخلافـة العباسـية على ما تحت يده من بلاد، تطلّع إلى بسط سيطرته على بلاد الهند، ومد نفوذه إليهـا ونـشر الإسلام بين أهلها؛ ولذلك تعددت حملاته على الهند حتى بلغت أكثر من سبع عـشرة حملـة، وظل يحارب دون فتور نحوا من سبع وعشرين سنة، بدأت من عام (٣٩٠هـ = ١٠٠٠م)، حيث قاد حملته الأولى على رأس عشرة آلاف مقاتل، والتقى عند مدينة بشاور بجيش "جيبال" أحد ملوك الهندوس، وحقق نصر غاليا، ووقع الملك الهندي في الأسر، الذي لـم يـستطع أن يتحمل هزيمته والعار الذي لحق به، فأقدم على حرق نفسه، بعدما أطلق الغزنـوي سـراحه مقابل فدية كبيرة.

ثم تعددت حملات الغزنوي، وفي كل مرة كان يحقق نصرا، ويضيف إلى دولته رقعـة جديدة، ويبشر بالإسلام بين أهالي المناطق المفتوحة، ويغنم غنائم عظيمة، حتى توج فتوحاتـه في الهند بفتح بلاد "الكجرات"، ثم توجه إلى مدينة "سومنات" سنة (٤١٦هـ = ١٠٢٥م) وكان بها معبد من أكبر معابد الهند، يحوي صنما اسمه "سومنات" وكان الهندوس يعظمونه ويحملون إليه كل نفيس، ويغدقون الأموال على سدنته، وكانت مدينة سومنات تقع في أقـصى جنـوب الكجرات على شاطئ بحر العرب، فقطع الغزنوي الصحاري المهلكة حتـى بلغهـا، واقـتحم المعبد، وهزم الجموع الغفيرة التي حاولت إنقاذ المعبد، ووقع آلاف الهندوس قتلـى، وسـقط المعبد في أيدي المسلمين.

وغنم الغزنوي أموالا عظيمة قُدرت بنحو عشرين مليون دينار، وعاد إلى غزنة سـنة (٤١٧هـ=١٠٢٦م) وظلت ذكرى هدم معبد سومنات عالقة في ذاكرة الهندوس لم يمحها كـر السنين، ولا تغيرها الأحول، حتى إذا ما ظفرت الهند باستقلالها عمدت إلى بناء هذا المعبد من جديد في احتفال مهيب.

ولم يكن الغزنوي مدفوعا في فتوحاته برغبة جامحة في كسب الغنائم أو تحقيـق مجـد يذكره له التاريخ، ولكن قاده حماسه لنشر الإسلام، وإبلاغ كلمة التوحيد في مجتمـع وثنـي، وكانت تلك الحملات مسبوقة بطلب الدخول في الإسلام، وإلى هذا أشار السير "توماس أرنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" بقوله. وفي الحق أن الإسلام قد عرض في الغالب على الكفـار من الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون.

وكانت حصيلة جهود محمود الغزنوي أن أتم فتح شمال شبة القارة الهندية، ففتح إقليم كابلستان، وملتان، وكشمير، وأخضع البنجاب، ونشر الإسلام في ربوع الهند، وفتح طريقا سلكه من جاء بعده.

وقد نظر المؤرخون المسلمون إلى أعماله نظر إعجاب وتقدير، فقد بلغ بفتوحاته إلى "حيث لم تبلغه في الإسلام راية، وأقام بدلا من بيوت الأصنام مساجد الإسلام".

## النهضة الحضارية والثقافية.

اكتسب الغزنوي مكانته في التاريخ بفتوحاته التي لم تُسبق، وبجهوده الحضارية التي لم يشغله عنها فتوحاته وغزواته، وكان العزنوي نفسه مولعا بعلم الحديث، يستمع إلى علمائه كما كان فقيها له مؤلفات، ولا يكاد يسمع بعالمٍ له مكانة حتى يستدعيه إلى دولته، فاستقدم "أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني" المتوفى سنة (٤٤٠هـ= ١٠٤٩م) الذي نبغ في علوم كثيرة، في مقدمتها الرياضة والفلك، وعد من أعظم رجال الحضارة الإسلامية، وتُرجمت كتبه إلى اللغات الأوروبية، وأطلقت روسيا اسمه على جامعة أنشأتها حديثا.

وعني السلطان بالشعر وكان له به شغف، ومن أشهر الشعراء الذين ازدانت بهم دولته الشاعر الفارسي "عنصري" وكان نديما للسلطان وشاعرا له، منحه لقب "ملك الشعراء" في مملكته، و"المسجدي"، و"الفرخي" وهو شاعر فارسي عظيم قيل فيه. إن الفرخي لدى الفرس بمثابة المتنبي لدى العرب.

أما أبرز الشعراء في هذا العصر فهو "الفردوسي" صاحب "الشاهنامة" التي نظمها في خمسة وعشرين عاما من الجهد والإبداع، وتشمل أخبار الفرس القدامى، وهي من عيون الأدب العالمي.

ومن أبرز كتّاب الدولة ومؤرخيها "أبو الفتح البستي" وكان كاتبا للسلطان وموضع سره ومستشاره في كثير من الأمور، وله شعر رائق ونظم جيد، و"أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي" مؤرخ الدولة الغزنوية وكاتب السلطان مع أبي الفتح البستي، له كتاب "اليميني" نسبة إلى يمين الدولة لقب السلطان محمود الغزنوي، تناول فيه تاريخ الدولة الغزنوية.

وأصبحت غزنة في عهد السلطان محمود منارة للعلم ومقصدا للعلماء، وغدت عامرة بالمساجد والقصور والأبنية التي لا تقل بهاء وجمالا عن المنشآت الهندية التي اشتهرت بدقة التصميم وجمال العمارة.

- ٩٦٥ م. وفاة الإمام الكبير محمد بن أحمد بن حبان البستي، أحد أئمة الحديث في القرن الرابع الهجري، اشتهر بمؤلفاته في السنة المطهرة، في مقدمتها. صحيح بن حبان، الثقات، روضة العقلاء.
- ٩٦٥ م (٣٥٤ هـ). وفاة ابن حبان صاحب الصحيح وكتاب الثقات

## ٩٦٥ م (٣٥٤ هـ). وفاة ابو الطيب المتنبى.

أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٥ - ٩٦٥م) من أشهر شعراء العرب. ولد بـ الكوفة ونشأ بـ الشام. وله مع سيف الدولة الحمداني أخبار كثيرة وشهيرة. قتله فاتك بـن أبي جهل الأسدي غربي بغداد.

## نسبه و مولده.

أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٥ - ٩٦٥م اسمه أحمد بن الحـسين بـن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي. ولد بالكوفة ونشأ بالشام.

و في نسبه خلاف، إذ قيل هو نفل، و قيل هو ابن سقاء كان يسقي الماء بالكوفة، و قيل أصوله من كندة، و هم ملوك يمنيون، و دس خصومه في نسبه، و ادعوا أنه فارسي، و قوى الآراء المتناقضة في نسبه أنه لم يشر إلى أبيه في شعره أبداً.

و الغالب أن طفولته كان تتميز بالحرمان، و بالتنقل في العراق و الشام حيـث كانـت الفتن تمور.

## من أين جاء لقب المتنبي؟

يقال أنها حادثة شهيرة في حياة المتنبي حيث إدعى النبوة في بداية شبابه، فـي باديـة السماوة، و لئن كان قد جوزي على ادعائه بالسجن بأمر من والي حمص، إلا أن حادثة تنبؤه تبدو حيلة سياسية ليس إلا، أو تدليساً من الحاكم ضد الثائر الشاب.

و يرى أبو العلاء المعري في كتابه معجز أحمد أن المتنبي لُقب بهذا من النَبوة، و هي المكان المرتفع من الأرض، كناية عن رفعته في الشعر. لا عن إدعائه النُبوة.

## المتنبي و سيف الدولة الحمداني.

و كان المتنبي قد عرف سيف الدولة من قبل، و سمع عن أفضاله الكثير، و كانا في سن متقاربه، فوفد عليه المتنبي، و عرض عليه أن يمدحه بشعره على ألا يقف بين يديـه لينـشد قصيدته كما كان يفعل الشعراء، فأجاز له سيف الدولة أن يفعل هذا.

و أجازه سيف الدولة على قصائده بالجوائز الكثيرة، و قربه إليه فكـان مـن أخلـص خلصائه، و كان بينهما مودة و احترام، و تعد سيفياته أصفى شعره. غير أن المتنبـي حـافظ على عادته في إفراد الجزء الأكبر من قصيدته لنفسه، و تقديمه إياها على ممدوحة، فكـان أن حدثت بينه و بين سيف الدولة جفوة وسعها كارهوه و كانوا كثراً في بلاط سيف الدولة.

و قيل أن ابن خالويه رمى دواة الحبر على المتنبي في بلاط سيف الدولة، فلم ينتـصف له سيف الدولة، و طعن في هذه الرواية كثيرون لأسباب متعددة.

بعد تسع سنوات في بلاط سيف الدولة جفاه الأخير، و زادت جفوته له بفضل كـارهي المتنبي، و لأسباب غير معروفة قال البعض أنها تتعلق بحب المتنبي المزعوم لخولـة شـقيقة سيف الدولة التي رثاها المتنبي في قصيدة ذكر فيها حسن مبسمها، و كان هذا مما لا يليق عند رثاء بنات الملوك.

انكسرت العلاقة الوثيقة التي كانت تربط سيف الدولة بالمتنبي، و غادره المتنبـي إلـى مصر حزيناً خائباً ليواصل النظر في أطماعه السياسية بعد أن قال فـي حـضرته قـصيدته الشهيرة.

**وا حر قلباه ممن قلبه شبم**

**و من بجسمي و حالي عنده سقم**

التي مدح فيها نفسه و سيف الدولة، و اعتذر إليه، و عاتبه قبل أن يغادره إلى مصر.

## المتنبي و كافور الإخشيدي.

الشخص الذي تلا سيف الدولة الحمداني أهمية في سيرة المتنبي هو كافور الإخشيدي، و كان مبعث ذهاب المتنبي إليه على كرهه له لأنه عبـد طمعـه فـي ولايـة يوليهـا إيـاه. و لم يكن مديح المتنبي لكافور صافياً، بل بطنه بالهجاء و الحنين إلى سيف الدولة الحمـداني، فكان مطلع أول قصيدته مدح بها كافور.

**كفى بك داء أن ترى الموت شافياً**

**و حسب المنايا أن يكن أمانيا**

و كان كافور حذراً، داهية، فلم ينل المتنبي منه مطلبه، بل إن وشاة المتنبي كثروا عنده، فهجاهم المتنبي، و هجا كافور و مصر هجاء مرا ومما نسب إلى المتنبي في هجاء كافور. لا تأخذ العبد إلا والعصاة معه إن العبيد لأنجاس مناكير و استقر في عـزم المتنبـي أن يغـادر مصر بعد أن لم ينل مطلبه، فغادرها في يوم عيد، و قال يومها قصيدته الشهيرة التي ضـمنها ما بنفسه من مرارة على كافور و حاشيته، و التي كان مطلعها.

**عيد بأية حال عدت يا عيد**
**بما مضى أم بأمري فيك تجديد**

**مقتله.**

كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة، مطلعها.

**ما أنصفَ القوم ضبه**
**وأمه الطُرطُبّه**

فلما كان المتنبي عائدا يريد الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه محسد وغلامـه مفلـح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبة، وكان في جماعة أيضا. فاقتتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربي بغداد.

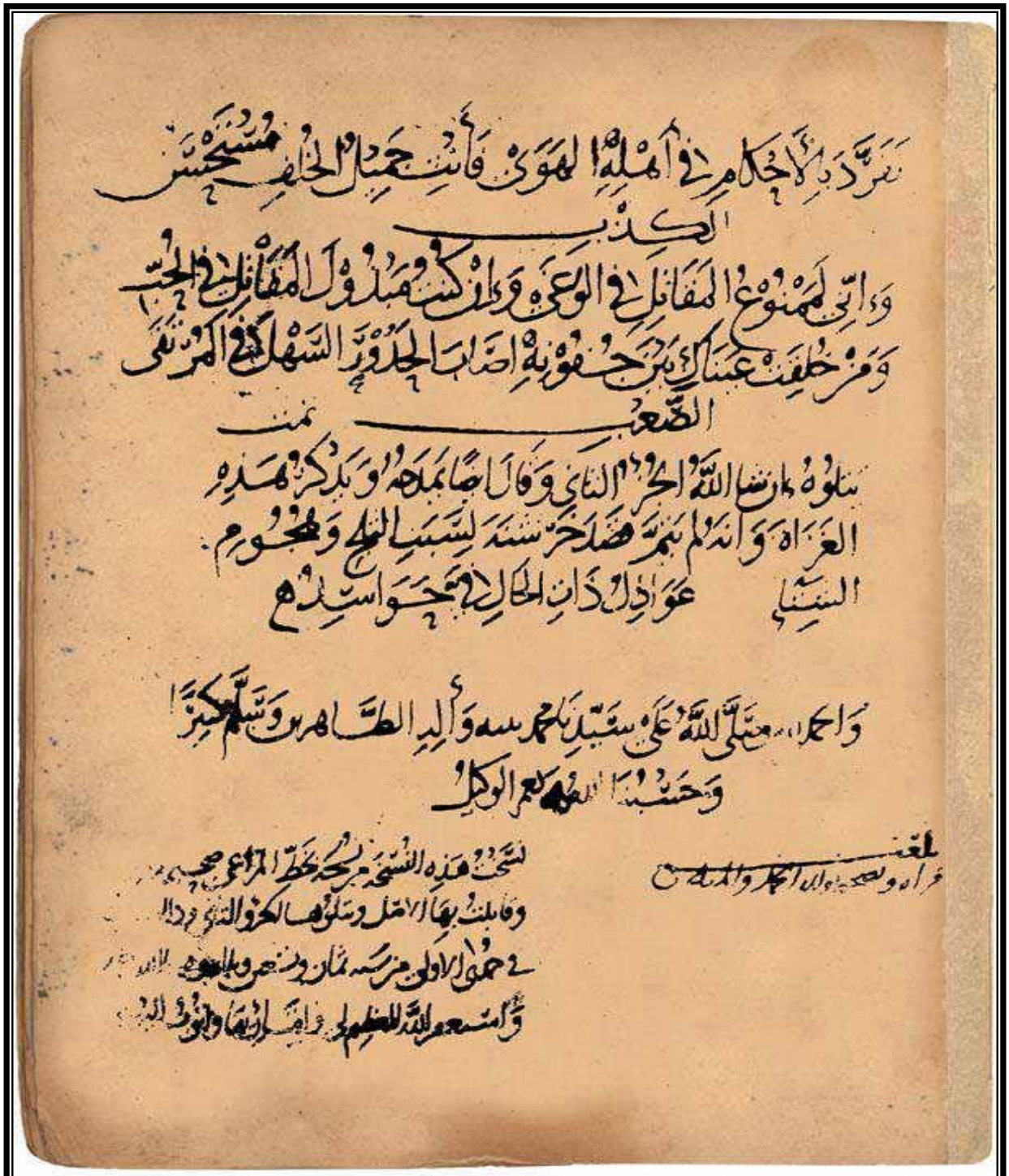

**ديوان المتنبي**

المكتبة البريطانية

## ٩٦٦ م (٣٥٦ هـ). وفاة سيف الدولة الحمداني أبرز أمراء الدولة الحمدانيـة، وباعث النهضة الحضارية والثقافية في عهد الحمدانيين.

سيف الدولة الحمداني (٩١٩ - ٩٦٧) هو علي بن عبد الله بن حمدان الحمداني التغلبي، من بني حمدان الذين تنتسب إليهم الدولة الحمدانية. و سيف الدولة لقبه و قد غلب عليه.

لقبه الخليفة العباسي سيف الدولة حين وفد عليه مع أبيه عبد الله بن حمـدان، و أخيـه الأكبر، فوصل الخليفة الأب، و أعطى ولديه لقبين، فلقب الأكبر الحـسن ناصـر الدولـة، و الأصغر سيف الدولة.

غلبت دولة سيف الدولة ما عداها، بدأ صاحب حلب، ثم غلبت دولته ما عداها، و ارتفع به شأن بني حمدان حتى بلغوا شأواً عالياً.

كان راعياً للفنون و العلماء، و تزاحم على بابه الشُعراء و العلماء، ففتح لهم بلاطـه و خزائنه، حتى كانت له عملة خاصة يسكها للشعراء من مادحيه، و فيهم المتنبي و ابن خالويـه النحوي المشهور، و الفارابي الفيلسوف الشهير، كما اعتنى بابن أخته أبو فراس الحمـداني. و قال هو نفسه الشعر، و له أبيات جيدة.

اشتهر سيف الدولة بمقارعته الروم البيزنطيين على الحدود العربية، و كانـت الحـرب بينه و بينهم سجالاً.

## المولد والنشأة.

ولد الأمير "سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدون التغلبي" في (٣٠٣هـ = ٩١٥م) في مدينة "ميافارقين" -أشهر مدن ديار بكر- على إثر تولي أبيه إمارة الموصل.

وقد عني أبوه بتعليمه وتنشئته على الفروسية منذ نعومة أظفاره، وأظهر سيف الدولـة استعدادا كبيرا ومهارة فائقة في القنص والرمي وركوب الخيل منذ صغره.

ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى صار فارسا لا يشَقّ له غبار، وخاض العديد مـن المعارك الطاحنة ضد أعداء الدولة والمتمردين عليها؛ سواء في الداخل أو في الخارج.

واستطاع الأمير الشاب أن يحقق انتصارا عظيما على البريديين الذين اقتحموا بغداد عام (٣٣٠هـ = ٩٤٢م) ودفعوا الخليفة العباسي "المتقي لله" إلى الخروج منهـا، واللجـوء إلـى الموصل للاستنجاد بالحمدانيين، فلما حقّق الأمير الشاب "علي بن أبي الهيجاء" النـصر علـى البريديين بعد أن تعقبهم إلى المدائن، أنعم عليه الخليفة بلقب "سيف الدولة"، وأمر أن تُـضرب باسمه الدنانير والدراهم.

## الانتصار على البيزنطيين.

وبدأ نجم سيف الدولة يعلو ويسطع منذ ذلك الحين؛ فحقق المزيد من الانتصارات على الروم والبيزنطيين، واستطاع أن يصد هجماتهم، كما تمكن من المحافظة على حدود الدولة الإسلامية ضد غاراتهم، واستطاع أن يتوغل داخل حدود الدولة البيزنطية.

وقد عني سيف الدولة بتسليح جيشه في مواجهة استعدادات الجيش البيزنطي العسكرية القوية وتنظيمه الجيد، وتنوع تسليحه، فاتجه إلى توفير المال اللازم لتجهيز الجيش وتسليح الجنود، واهتم بتدريب رجاله وتربية جنوده تربية عسكرية صارمة.

واتخذ سيف الدولة مدينة "حلب" مركزا ليبدأ منها مرحلة جديدة من حياته؛ حيث أعلن إمارته على مناطق حلب والجزيرة الفراتية وإقليم الثغور والعواصم، وبدأ يدخل في مرحلة جديدة من الصراع مع الروم البيزنطيين والحروب الطاحنة معهم، واستطاع خلالها أن يحقق عدة انتصارات عليهم، ووجه إليهم العديد من الضربات المتلاحقة الموجعة، وألحق بهم سلسلة من الهزائم المتتالية.

## الصراع مع الإخشيديين.

وقد أثارت انتصارات سيف الدولة على الروم البيزنطيين حفيظة الإخشيديين الذين وجدوا عليه تلك البطولات والأمجاد، وخشوا من تعاظم نفوذه وقوة شوكته؛ فتحركوا لقتاله، ولكنهم ما لبثوا أن آثروا الصلح معه بعد أن لمسوا قوته وبأسه.

وبدأ الروم البيزنطيون يعيدون ترتيب صفوفهم وتنظيم قوتهم، وراحوا يهاجمون الثغور العربية في سنة (٣٣٦هـ = ٩٤٧م)، ولكن الأمير سيف الدولة الحمداني تصدى لهم وتعقبهم، وجدد البيزنطيون هجماتهم مرة أخرى بعد عام، فتعقبهم سيف الدولة، وقتل منهم عددا كبيرا.

ولكن هجمات الروم البيزنطيين لم تتوقف؛ مما دفع سيف الدولة إلى تجهيز حملة كبيرة قوامها ثلاثون ألف فارس، وانضم إليهم جيش طرطوس في أربعة آلاف مقاتل، واستطاع اقتحام حدود الدولة البيزنطية، والتوغل داخل أراضيها، وفتح عددا من حصونها، وألحق بالبيزنطيين هزيمة منكرة، وأسر عددا من قادتهم؛ مما دفع البيزنطيين إلى طلب الهدنة منه، بعد أن ضاقوا ذرعا بالحروب الطاحنة التي كبدتهم العديد من الخسائر وأصابتهم بالوهن.

## أعماله العسكرية.

سيف الدولة الحمدانى كان أمير حلب، وكان بينه وبين الروم صراع دائم بصفته أمير الثغور، أو أن الثغور قد آلت إمرتها إليه، لا بصفته مجاهدا أو بطلاً مغوارا، إذ لم يكن كذلك

كما تصفه كتب الأدب من خلال مدح المتنبى له. فقد كان سيف الدولة فى المعارك فى مؤخرة الجيش لا أمامهم؛ فينجو عند الهزيمة ويفخر عند النصر.

(٣٣٧هـ) دخل سيف الدولة بجيش كثيف بلاد الروم؛ غير أنه هزم وأخذ الروم كل ما بأيدى هذا الجيش الحمدانى، كما نال أهل "طرطوس" أذى كثيرا من الروم، ولم يستطع سيف الدولة حماية أحد من رعاياه لما اتصف به من خوف وخور.

(٣٣٩هـ) عاد سيف الدولة فدخل بلاد الروم بجيش عظيم فانتصر وأخذ عددا كبيرا من الروم أسارى، غير أن الروم قد قطعوا عليه الطريق أثناء العودة فهزموه وأخذوا ما معه من الأسرى وقتلوا أكثر من معه، ونجا سيف الدولة بنفر يسير معه لأنه كان فى مؤخره الركب.

(٣٤٣هـ) أغار على زبطرة وملاطية وهى ثغور إسلامية استولى عليها الروم، فقتل وأحرق وسبى، والتقى مع قسطنطين بن الدمستق فانتصر عليه وقتل أعظم رجاله، ثم التقى بجيش الدمستق عند "مرعش" وتغلب عليه، وأسر صهر الدمستق وابن ابنته.

(٣٤٥هـ) أحرز انتصارا كبيرا، وعاد إلى حلب غانما، فثارت ثائرة الروم وجمعوا جموعهم، وهاجموا بعض مدن المسلمين، وقتلوا وأحرقوا وسبوا ما شاء لهم هواهم، كما ركبوا البحر إلى ميناء طرطوس فقتلوا من أهلها ثمانمائة وألف، وسبوا عددا آخر وأحرقوا عدة قرى.

وكانت أعظم انتصارات سيف الدولة على الروم فى عام (٣٤٨هـ). فقد دخل الروم "الرها" و"طرطوس" وقتلوا وسبوا وأخذوا الأموال، فقابل سيف الدولة بذلك بلاد الروم عام (٣٤٩هـ) واستطاع إحراز النصر وفتح عدة حصون.

(٣٤٩هـ) قطع الروم على سيف الدولة طريق الرجعة، فقتلوا أكثر جيشه ونجا بصعوبة مع ثلاثمائة فارس، وسار جيش عظيم من أنطاكية باتجاه طرطوس فخرج عليه كمين من الروم فقتلوهم عن بكرة أبيهم ولم يفلت منهم سوى أمير أنطاكية وبه جراحات، ومن جهة ثانية دخل "نجا" غلام سيف الدولة بلاد الروم ورجع غانما.

(٣٥١هـ) دخل الدمستق حلب، واستولى على دار سيف الدولة وكانت بظاهر حلب، وأخذ ما فيها من أموال وأمتعة ونساء، وقتل كثيرا من أصحاب سيف الدولة، أما الأمير سيف الدولة فقد فر من بيته ومن حاضرته بعد أن ترك نساءه لخصمه، وبقى جيش الدمستق فى حلب تسعة أيام، وقد فعل الجند فيها كل ما هو سيئ، وكان الروم قد دخلوا قبل ذلك عين زربة وهى أحد ثغور المسلمين المهمة.

ثم أعاد سيف الدولة بناء ثغر عين زربة وأرسل غلامه "نجا" فدخل بلاد الـروم، إلا أن "نجا" لم يلبث أن خلع طاعة مولاه، وتحصن فى مدينة "حران"، ثم سار إلى أذربيجان وساعده فى التغلب عليها "أبو الورد" أحد الأعراب فى المنطقة فسار إليه سيف الدولة وتمكن من قتله.

(٣٥٤هـ) ثار أحد القرامطة واسمه مروان فى مدينة حمص وامتلكها من سيف الدولة، فأرسل إليه سيف الدولة مولاه بدر، فالتقيا فى معركة أصيب فيها مروان ومات، وفى الوقـت نفسه أسر بدر فى هذه المعركة وقتله أصحاب مروان.

(٣٥٥هـ) تمت المفاداة بين سيف الدولة والروم، وكان من أسرى الحمدانيين أبو فراس الحمداني، ولم يلبث أن توفى سيف الدولة عام (٣٥٦هـ).

## نهضة شاملة.

وبالرغم من الطابع العسكري والحربي لدولة الحمدانيين بصفة عامة، وإمـارة سـيف الدولة على نحو خاص، فإن ذلك لم يصرف الأمير "سيف الدولة" عـن الاهتمـام بالجوانـب الحضارية والعمرانية.

فقد شيد سيف الدولة قصره الشهير بـ"قصر الحلبة" على سفح جبل الجوشـن، وتميـز بروعة بنائه وفخامته وجمال نقوشه وزخارفه، وكان آية من آيات الفن المعماري البديع، كمـا شيد العديد من المساجد، واهتم ببناء الحصون المنيعة والقلاع القوية.

وشهدت الحياة الاقتصادية ازدهارا ملحوظا في العديد من المجالات؛ فمن ناحية الزراعة كثرت المزروعات، وتنوعت المحاصيل من الحبوب والفاكهة والثمار والأزهار، فظهر البـر والشعير والذرة والأرز والبسلة وغيرها. كما ظهرت أنواع عديدة من الفاكهة كالتين والعنـب والرمان والبرقوق والمشمش والخوخ والتوت والتفاح والجوز والبندق والحمـضيات. ومـن الرياحين والأزهار والورد والآس والنرجس والبنفسج والياسمين. كما جادت زراعة الأقطـان والزيتون والنخيل. وظهرت صناعات عديدة على تلك المزروعات، مثل. الزيتون، والزبيب، كما ظهرت صناعات أخرى كالحديد والرخام والـصابون والكبريـت والزجـاج والـسيوف والميناء.

ونشطت التجارة، وظهر العديد من المراكز التجارية المهمة في حلب والموصل والرقة وحران وغيرها.

وشهدت الحياة الفكرية والثقافية نهضة كبيرة ونشاطا ملحوظا في ظل الحمدانيين؛ فظهر الكثير من العلماء والأطباء والفقهاء والفلاسفة والأدباء والشعراء.

وكان سيف الدولة يهتم كثيرا بالجوانب العلمية والحضارية في دولته، وظهر في عصره عدد من الأطباء المشهورين، مثل "عيسى الرّقي" المعروف بالتفليسي، و"أبـو الحـسين بـن كشكرايا"، كما ظهر "أبو بكر محمد بن زكريا الرازي" الذي كان أعظم أطباء الإسلام وأكثرهم شهرة وإنتاجا.

ومن أبرز الفلكيين والرياضيين الذين ظهروا في عصر الحمدانيين في بلاد الشام "أبـو القاسم الرّقي"، و"المجتبى الإنطاكي" و"ديونيسيوس" و"قيس الماروني"، كما عنـي الحمـدانيون بالعلوم العقلية كالفلسفة والمنطق، فلمع نجمع عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين الإسلاميين في بلاط الحمدانيين، مثل. "الفارابي"، و"ابن سينا".

أما في مجال العلوم العربية؛ فقد ظهر عدد من علماء اللغة المعـروفين، مثـل "ابـن خالويه"، و"أبو الفتح بن جني"، و"أبو على الحسين بن أحمد الفارسي"، و"عبد الواحد بن علـي الحلبي" المعروف بأبي الطيب اللغوي.

كما لمع عدد من الشعراء المعروفين، مثـل "المتنبـي"، و"أبـو فـراس الحمـداني"، و"الخالديان. أبو بكر، وأبو عثمان"، و"السرى الرفاء" و"الـصنوبري"، و"الـوأواء الدمـشقي"، و"السلامي" و"النامي".

وظهر كذلك عدد كبير من الأدباء المشهورين، وفي طليعتهم "أبو الفـرج الأصـفهاني" صاحب كتاب "الأغاني" الذي أهداه إلى سيف الدولة؛ فكافأه بألف دينار، و"ابن نباتة"، وظهـر أيضا بعض الجغرافيين، مثل. "ابن حوقل الموصلي" صاحب كتاب "المسالك والممالك"...

ولم يلبث سيف الدولة أن عاجله المرض، ثم تُوفي فـي (٢٥ صـفر ٣٥٦هـ = ١٠ فبراير ٩٦٦م)، وقيل في رمضان، وهو في الثالثة والخمسين من عمره.

وقد ظلت آثار تلك النهضة الثقافية والحضارية ذات أثر كبير في الفكر العربي والثقافة الإسلامية على مدى قرون عديدة وأجيال متعاقبة.

- ٩٦٧ م. وفاة علي بن الحسين بن محمد، المعروف بأبي الفرج الأصفهاني، أحـد أعلام الأدب العربي في القرن الرابع الهجري، وصاحب كتاب "الأغاني" أشـهر المؤلفات الأدبية

ينتهي نسب أبي الفرج الأصفهاني إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. ولد سـنة (٢٨٤هـ = ٨٩٧م) ولا يعرف على وجه اليقين موضع ولادته، فقالوا إنه أصفهاني المولـد استنادا إلى لقبه الذي عرف به واشتهر، وقالوا إنه بغدادي المنشأ والمسكن، ولعل أجداده كانوا يعيشون في أصفهان بعد سقوط دولتهم، ثم نزح أحفادهم إلى بغداد وأقاموا بها.

وكان جده محمد بن أحمد الأصفهاني من كبار رجالات سامراء وعلى صلة متينة بوزرائها وأدبائها وكتابها، وكان أبوه الحسين بن محمد يقطن بغداد، ويحرص على طلب العلم والثقافة الشائعة في عصره، وكذلك كان عمه الحسن بن محمد من كبار الكتاب في عصر المتوكل. وروى عنه أبو الفرج كثيرا في كتابه الأغاني، وهو الذي تولى تربيته وتثقيفه.

أما نسب أبي الفرج من ناحية أمه فهو ينتسب إلى آل ثوابة المعروفين في عصرهم بالكتابة والأدب والشعر. وذكر ابن النديم عددا منهم في كتابه الفهرست.

وفي هذا الجو المعبق بعطر العلم وأريج الثقافة نشأ أبو الفرج الأصفهاني وتعلم، ثم تطلعت همته إلى مصادر أخرى للمعرفة، فولّى وجهه شطر الكوفة في فترة مبكرة من حياته، وأخذ الحديث والتاريخ واللغة عن شيوخها الكبار من أمثال. مطين بن أيوب، والحسين بن الطيب الشجاعي، ومحمد بن الحسين الكندي مؤدبه في الكوفة... وغيرهم، ثم رجع إلى بغداد وبدأ حياة علمية جادة، وأظهر جلدا وشغفا بالعلم، واتصل بأعداد هائلة من شيوخ بغداد وعلمائها الذين كانت تمتلئ بهم مساجدها، وحسبك أن يكون من شيوخه. يحيى بن علي المنجم، المتوفى سنة (٣٠٠هـ = ٩١٢م) وكان أديبا ناقدا عالما بالغناء والموسيقى، وأبو عبد الله اليزيدي المتوفى سنة (٣١٠هـ = ٩٢٢م) وكان إماما في النحو والأدب، ومحمد بن جرير الطبري الإمام المؤرخ المفسر الفقيه المتوفى سنة (٣١٠هـ = ٩٢٢م) وعنه روى أبو فرج الأصفهاني معظم أخبار العرب القديمة ومغازي الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأشعارا لشعراء الدعوة الإسلامية.

ولازم أيضا عددا من كبار أئمة اللغة مثل. علي بن سليمان الأخفش، المتوفى سنة (٣١٥هـ = ٩٢٧م) وأبي بكر الأنباري، المتوفى سنة (٣٢٨هـ = ٩٣٩م) وابن دريد العالم اللغوي الفذ، المتوفى سنة (٣٢١هـ = ٩٣٣م) وأبي بكر الصولي، المتوفى سنة (٣٣٥هـ = ٩٤٦م) وصاحب كتابي. "الأوراق"، و"أدب الكاتب".

## في موكب العلم والتدريس.

وبعد هذا التحصيل العلمي الجاد والإصرار على الدرس جلس للتدريس في نحو سنة (٣١٣هـ = ٩٢٥م)، وكان قد انتهى من كتابة أول مؤلفاته "مقاتل الطالبيين" فجلس لإملائه على تلاميذه الذين اتصلوا به ولازموه، بعد أن ذاعت شهرته، وقصد حلقاته عدد كبير من المحدثين والأدباء والشعراء. ومن تلاميذه المعروفين الإمام الدارقطني، وأبو زكريا يحيى بن مالك الأندلسي، وعلي بن دينار، ومحمد بن أحمد المغربي راوية المتنبي، وأبو علي الحسن بن علي بن محمد التنوخي.

واتصل أبو الفرج بالحسن بن محمد المهلبي وزير معز الدولة البويهي، وكانت له بـه صلة قبل أن يتولى الوزارة، فلازمه ١٣ سنة حتى توفي المهلبـي فـي سـنة (٣٥٢هـ = ٩٦٣م)، وكان الوزير يوالي أبا الفرج بصلاته، ويقربه إليه، ويجعله من ندمائـه المقـربين، وكان للوزير مجلس مشهور يؤمه كبار الشعراء والكتاب من أمثال أبي القاسم التنوخي، وأبي إسحاق الصابئ، وأبي العلاء صاعد خليفة، والشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي. وكـان أبـو الفرج رأس هذا المجلس، ونديم صاحبه، كثير المدح له، وكان من ثمرات هذه العلاقـة آثـار كثيرة في مؤلفات أبي الفرج وأشعاره.

وتذكر المصادر التاريخية أن لأبي فرج صلات بملوك الأندلس من بني أمية، يؤلف لهم الكتب ويرسلها لهم فيصلونه بجوائز كبيرة. وأما صلته بسيف الدولة فليس فـي أخبـاره مـا يوضح حقيقتها، ويلقي الضوء عليها سوى أنه أهداه كتاب الأغاني فأعطاه عليه ألف دينار.

**شخصيته.**

رسمت كتب المعاصرين له صورة ذات ألوان قاتمة وظلال شـاحبة فهـو لا يعتنـي بمظهره، يبدو دائما متسخ الثياب، قذرا في شكله وفعله، بعيدا عن مظـاهر الـسلوك الحميـد والتصرف الأنيق الذي يتصف به دائما من ينادم الملوك والأمراء.

وأيا ما كان الرأي حول هذه الصفات ومدى مبالغتها في رسم هذه الصورة السيئة، فإن هناك إجماعا من المؤرخين على سعة علمه، وكثرة محفوظه، وجودة شعره، وكثـرة تأليفـه، وأضافوا إلى ذلك أنه كانت له رحمة وألفة بصنوف الحيوان، يأنس بـصحبتها، ويعالجهـا إذا أصابتها العلة، ويأسى لموتها، وقد أُثرت عنه أبيات رقيقة في رثاء ديك له مات، جاء فيها.

**أبكـــي إذا أبـــصرت ربعـــك موحـــشا بتحـــــــنن وتأســـــــف وشـــــــهيق**

**ويزيـــدني جزعـــا لفقـــدك صـــادح فـــي منـــزل دان إلـــي لـــصيق**

**فتأســـفي أبـــدا عليـــك مواصـــل بـــسواد ليـــل أو بيـــاض شـــروق**

ألف أبو الفرج الأصفهاني أكثر من ٣٠ كتابا، لم تسلم كلها من عوادي الزمن، ووصل إلينا منها. "الإماء الشواعر"، و"مقاتل الطالبيين" وتناول فيه سيرة أكثر مـن ٢٠٠ مـن قتلـى الطالبيين وشهدائهم منذ زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الوقت الذي انتهى فيه مـن تأليفه سنة (٣١٣هـ = ٩٢٥م)، وكانت شخصية علي بن أبي طالب هي أهم شخصية تناولها بالترجمة، فأفرد لها صفحات كثيرة، ثم تتابعت شخصيات العلويين لتشمل الحـسن والحـسين ابني علي بن أبي طالب وغيرهما من آل البيت.

## كتاب الأغاني.

غير أن أهم كتبه هو "الأغاني" الذي نال شهرة واسعة وصِيتا ذائعا لم ينله كتـاب فـي الأدب العربي منذ أن ظهر للناس في القرن الرابع الهجري حتى يومنا هـذا، ووصـفه ابـن خلدون بأنه "ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن...".

ويذكر لنا أبو الفرج الباعث على تأليف كتابه في مقدمته، فيقول. "والذي بعثنـي علـى تأليفه أن رئيسا من رؤسائنا كلفني جمعه له، وعرفني أنه بلغه أن الكتاب المنسوب إلى إسحاق الموصلي في الغناء مدفوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل الفائدة، وأنـه شـاك فـي صحته..." وموضوع الكتاب هو الغناء، ألفه ليكون بديلا عن الكتاب المنسوب إلـى إسـحاق الموصلي، ولذلك صدر كتابه بذكر "المائة صوت المختـارة للرشـيد الـذي أمـر إبـراهيم الموصلي، وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء باختيارها له من الغناء، ثم رفعت إلى الواثق بالله، فأمر إسحاق بن إبراهيم أن يختار له منها ما رأى أنه أفضل مما كان اختير متقدما...".

وكان أبو الفرج يبدأ بذكر الصوت الذي اختاره والشعر المتعلق به، ثم يستطرد إلى ذكر أشعار أخرى قيلت في المعنى نفسه، وتغني بها، ثم يتناول المناسبة التـي قيلـت فيهـا هـذه الأشعار، وقد تكون المناسبة اجتماعية أو سياسية فيبين ذلك، وهو في أثناء ذلك يتعرض لذكر الإنسان وأخبار القبائل، وقصص وأشعار وملح، فيقف القارئ على ألوان مختلفة من الحيـاة، وعادات متفرقة في بيئات مختلفة، وطرائق الحياة في البادية والقصور من لهو وتسلية فراغ.

ولم يلتزم أبو الفرج في اختيار الأصوات التي ذكرهـا بالترتيـب الزمنـي للـشعراء والمغنين، وإنما رتبها حسب الأصوات المائة التي اختارها المغنون الثلاثة للرشيد، وقد حوى كتاب الأغاني تراجم لزهاء ٣٠٠ شاعر وقرابة ٦٠ من المغنيين والمغنيات.

ومعظم من ترجم لهم كانوا من شعراء الجاهلية والإسلام، ولم يلتزم في أخبارهم ترتيبا تاريخيا، وإنما ينثر ما انتهى إليه من أخبار الشاعر حينما اتفق. واتبع طريقة المحـدثين فـي إسناد كل خبر إلى رواته.

وقد أنفق أبو الفرج في تأليف كتابه ٥٠ سنة، واعتمد في كتابته على مـصادر متعـددة بعضها شفوية استمدها من أفواه الرواة والأدباء والمجالس الأدبية التي كـان يحـرص علـى حضورها، وبعضها أخذها من الكتب التي تعنى بالشعر والغناء، وهو إن أغفـل ذكـر اسـم الكتاب لا يهمل اسم المؤلف لأهمية ذلك في الثقة بالخبر وتقويمه.

وعلى الرغم من أهمية الكتاب التي لا يختلف عليها الباحثون في التاريخ والحـضارة، فقد وجه للكتاب عدد من المآخذ، وإن كانت لا تقلل من شأن الكتاب، لكنها تبصر القارئ بـأن

الكتاب ليس مصدرا للتاريخ يعتمد عليه وحده، وأنه يصور جانبا من حياة بعض الناس لا حياة الأمة كلها، ومن تلك المآخذ أنه ركز على تصوير الحياة اللاهية في المجتمع البغدادي، وأبرز الجوانب الضعيفة في حياة بعض أفراده من خلفاء وقادة وشعراء، واختزل حياتهم في جانب المجون والخلاعة، وأغفل ما كان منها جادا ورزينا، حتى يكاد القارئ يتصور أن بغداد - مدينة العلم وكعبة الثقافة- كانت مركزا للمجان والخلعاء لا مركزا للثقافة الجادة وحلقات العلم التي كانت تمتلئ بها مساجدها.

## مختصرات الأغاني.

نظرا لضخامة كتاب الأغاني وأهميته في الوقت نفسه فقد عمد كثير من العلماء لاختصاره بمناهج مختلفة ليسهل تداوله ويعم الانتفاع به، ومن أشهر تلك المختصرات.

- "تجريد الأغاني من المثالث والمثاني" لـ"جمال الدين محمد بن سالم" المعروف بابن واصل الحموي المتوفى سنة (٦٩٧هـ = ١٢٩٧م) جرد الكتاب من الأسانيد والأصوات، وكل ما يتصل بفن الغناء، واقتصر على الأخبار والتراجم الأدبية. وقد نُشر الكتاب بالقاهرة سنة (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م) بتحقيق طه حسين وإبراهيم الإبياري.
- "مختار الأغاني في الأخبار والتهاني" لـ"ابن منظور المصري" صاحب لسان العرب، والمتوفى سنة (٧١١هـ = ١٣١١م) ورتبه على حروف الهجاء، وأضاف إليه ترجمة واسعة لأبي نواس، التي أغفلها أبو الفرج في كتابه، ونشر الكتاب محققا في القاهرة في ٨ أجزاء سنة (١٣٨٥هـ = ١٩٦٦م).

وفي العصر الحديث صنع المؤرخ المعروف "محمد الخضري" المتوفى سنة ١٣٤٥هـ = ١٩٢٧م) مختصرا للأغاني، سماه تهذيب الأغاني،حذف منه الأسانيد وما فيه فحش من الأشعار والأخبار، وجعله في قسمين. الأول للشعراء، والثاني للمغنين، ورتب الشعراء حسب العصور ونشره في ٧ أجزاء سنة (١٣٤٣هـ = ١٩٢٥م). كما قام الدكتور إحسان النص بعمل "اختيارات من كتاب الأغاني" ونشر كتابه في ٦ أجزاء، وفصل فيه بين الشعراء والمغنين، ورتبهم حسب العصور.

وقد طبع كتاب الأغاني طبعات متعددة، فطبع كاملا لأول مرة بمطبعة بولاق بالقاهرة سنة (١٣٠٥هـ = ١٨٦٨م)، ثم توالت طبعاته بعد ذلك، حتى قامت دار الكتب المصرية بطبعة محققا على أسس علمية، فصدر الجزء الأول سنة (١٣٤٣هـ = ١٩٢٥م)، وكان ذلك استجابة لرغبة أحد الوجهاء المثقفين المصريين، فقد رغب الدار أن تطبع الكتاب على نفقته، ثم توالت أجزاء الكتاب حتى بلغت ٢٤ مجلدا، وهي تعد أوفى الطبعات وأكملها تحقيقا.

- ٩٦٩ م. جوهر الصقلى بغزو مصر ويؤسس القاهرة
- ٩٧١ م. دولة بنى زيرى الصنهاجية

**٩٧٣ م. مولد العالم العربي أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، أحد أساطين علماء العرب في الفلك والرياضيات والجغرافيا والجيولوجيا، له مؤلفات كثيـرة تزيد عن ١٢٠ مؤلفًا، من أشهرها. القـانون المـسعودي، والآثـار الباقيـة، والصيدنة في الطب...**

ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي الملقب ببرهان الحق. فيلسوف ومؤرخ وطبيب وكيميائي ورياضي وفلكي ومنجم خوارزمي. ولد في خوارزم في عام ٩٧٣ م، وتـوفي فـي بغداد عام ١٠٥١ م. نشأ في خوارزم ودرس فيها علوم النبات على عالم اغريقي، ثم تركهـا في حوالي سن العشرين الى سواحل بحر قزوين فرارا مما الم بها مـن اضـطرابات. وفـي موطنه الجديد التقى باستاذه الثاني ابي سهل عيسى المسيحي. وبعد ذلـك طـوف البيرونـي، وعاش سنوات كثيرة في فارس والهند، ودرس فلسفتها بالاضافة الى الفلسفة الاغريقية. وقـد اشاد بالاخيرة اذ قال. ان الفلسفات الاخرى لم تنجب مثل سقراط.َ

وينسب البيروني الى بيرون (الآن في باكستان)، وقد كانت له محاورات كثيرة مع ابـن سينا. وتدل محاوراته على حدة مزاجه، وعلى صعوبة حياته في بدئها. وقد اكثر في مراسلاته من الشكوى، ولكن حياته تحسنت بعد ذلك حين استقر في البلاط الغزنوي.َ

وقد اثر الرازي بشدة في البيروني حتى الف عنه كتابا، ولكن البيروني لم يـستطع ان يوافق الرازي تماما في معتقداته. وكان البيروني شيعيا ثم انقلب سنيا، وكان شديد التعـصب لجنسه، والاحساس بقوميته، والافتخار بذاته. ومع ذلك فقد صرح بان عربية زمانه اقدر على نقل علوم زمانه من فارسيتها، وقد كتب البيروني بالعربية حوالي نصف مؤلفاته، ولكن كانت له تحفظات خصوصا على الكتابة العربية وكان يشكل اسمه كلما كتبه بفتح البـاء وتـسكين الياء.َ

ومع عمق افكار البيروني، اتسم اسلوبه في العربية بشدة التعقيد والايجاز. وقـد اهمـل البيروني في عصره ومن بعد ذلك في المشرق الاسلامي، ولم يعرف قط في الانـدلس، ولـم يترجم الى اللاتينية في العصور الوسطى. فلم تعرفه اوربـا الا فـي القـرن التاسـع عـشر الميلادي، ولم ترتفع مكانته بين العرب الا بعد ارتفاعها في الغرب. وهـو عنـد روزن « لا مثيل له في الادب العلمي القديم او الوسيط في الشرق او الغرب ». وقد اطلـق المستـشرق

الفرنسي سارتون على زمانه، أي من منتصف القرن ١٠ الى منتصف القرن ١١ م، اسـم « عصر البيروني ».َ

وقد ألف البيروني في الرياضيات والفلك والتنجيم والتاريخ والجغرافيـا والجيولوجيـا والصيدلة والطبيعيات وغيرها من العلوم. وقد وصف ياقوت الحموي تراثه بانه كـان يفـوق حمل بعير. كما يعد البيروني من اعظم العلماء الموسوعيين في كل العـصور. وقـد قـدرت مؤلفاته بحوالي ١٨٠ مؤلفا ما بين كتاب ومقالة ورسالة. واهم هذه المؤلفات (استخراج الاوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني الواقع فيها). وقد حدد البيروني فيه طـول وتـر الـدائرة، واوجد وتر العشر فيها. وحدد جيب°18، فقدره بما يساوي ٠,٣٠٩١٥ وهـو فـي جـداولنا الحاضـرة ٠,٣٠٩٠، كـذلك اشـتغل لبيرونـي باوتـار الاقـواس، فاوجـد قيمـة وتـر ٢٠ط/٩=٠,٦٨٤٠٤٠٢٧، وهي في جداولنا الحاضرة تساوي ٠,٦٨٤٠٤٠٢٨، وقـد حـاول البيروني تثليث الزاوية. واوجد معادلة لحساب نصف قطر الارض قاعدة البيروني وهي. س = (ف-جنان) / (١-جنان).َ

كذلك الف البيروني (القانون المسعودي في الهيئة والنجوم)، وقد حذا فيه حذو مؤلفـات بطليموس، وجعله من مقدمة وثلاثة اجزاء. ويشتمل (القانون المـسعودي) علـى ١١ مقالـة و١٣٥ بابا. ويبحث الجزء الاول منه (٤ مقالات) في الكـون والاثيـر والارض والتقـاويم. والثاني (٤ مقالات) في البلدان والمسافات وحركات الشمس والكواكب والكسوف والخـسوف. والثالث (٣ مقالات) في صور السماء. وقد قيل انه لما اهدى البيروني كتابه للسلطان مسعود، سير له السلطان ثلاثة جمال محملة بالفضة، فردها له البيروني قائلا انه انما يخدم العلم للعلـم لا للمال.َ

ومن مؤلفات البيروني في الفلك (العمل بالاسطرلاب) و (تقاليد الهيئة)، وكـذا رسـائله (المتفرقة في الهيئة) التي جمعت ١١ رسالة مختلفة منهـا (اقامـة البرهـان علـى الـدائرة للبوزجاني) و (كيفية تسطيح الكرة للصاغاني). وللبيروني في التنجيم (التفهيم لاوائل صـناعة النجوم)، وفي الجيوكيمياء (الجماهر في معرفة الجواهر) الذي يتألف من قسمين. الأول منهما لغوي، يبحث في كل ما قيل في الجواهر والفلزات من ادب وشعر. والثاني يرتـب الاحجـار الكريمة الى ياقوت، وبدخشي، وبياجاذي، والماس، وستياذج، ولؤلؤ، وزمرد، وفيروز، ويقسم الفلزات الى زئبق، وذهب، وفضة، ونحاس، وحديد، واسرب، وخارصين، وشـبة، ونحـاس ابيض، ونحاس مسبوك. وقد اهدى البيروني كتابه (الجماهر) للملك ابي الفـتح مـودود بـن مسعود. وقد حدد البيروني الوزن النوعي لثمانية عشر معدنا وحجرا، وانكر امكـان تحويـل المعادن، وتجاهل الخواص السحرية للاحجار.

وقد انتقل الينا من مراسلات البيروني مع ابن سينا حوالي ٢٠ رسالة. وله في التـاريخ العام (الآثار الباقية عن القرون الخالية) الذي لقي تقديرا كبيرا في اوربا. وله عن الهند الـى جانب (راشيكات الهند) كتاب تاريخي شهير هو (تحقيق مـا للهنـد مـن مقولـة مقبولـة او مرزولة). وقد عرف البيروني ان سهول الهند كانت مغمورة بالمياه، وان رواسب البحر قـد ترسبت فوقها. والى هذا قام البيروني بمحاولات جادة لتسطيح الصور، وتبسيط رسم الخرائط الجغرافية. وقد الف البيروني في الصيدلة (كتاب الصيدلة في الطب) الذي يتضمن خـصائص العقارات المستخلصة من النباتات والاعشاب والحيوانات والمعادن. وفي الكتاب فصول عـن واجبات واعمال الصيدلي.

صفحة من كتاب البيروني ( تاريخ الأمم القديمة)

## ٩٧٣ م (٣٦٣ هـ). مولد ابو العلاء المعرى.

أبو العلاء المعري٣٦٣ - ٤٤٩هـ / ٩٧٣ - ١٠٥٧ م أحمد بن عبد الله بن سـليمان، التنوخي المعري.

شاعر وفيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصـيب بالجـدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره.

وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ فأقام بها سـنة وسبعة أشهر، وهو من بيت كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، وكان يلعب بالشطرنج والنرد، وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبـي هاشـم، وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكان يلبس خشن الثياب، أمـا شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام. (لزوم ما لا يلزم-ط) ويعـرف باللزوميـات، و(سقط الزند-ط)، و(ضوء السقط-خ) وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبـه فكثيرة وفهرسها في معجم الأدباء. وقال ابن خلكان. ولكثير من الباحثين تـصانيف فـي آراء المعري وفلسفته من تصانيفه كتاب (الأيك والغصون) في الأدب يربو على مائة جزء، (تـاج الحرة) في النساء وأخلاقهن وعظاتهن، أربع مائة كراس، و(عبث الوليد-ط) شرح بـه ونقـد ديوان البحتري، و(رسالة الملائكة-ط) صغيرة، و(رسالة الغفران-ط)، و(الفصول والغايات -ط)، و(رسالة الصاهل والشاحج)

- ٩٧٦ م (٣٦٦ هـ). وفاة الخليفة الاموى الحكم المستنصر.

## ٩٧٧ م. وفاة ابن القوطية.

هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى، وهو اشبيلى الاصل، كان جده الاعلى مولى لعمر بن عبد العزيز، واما لقبه الذى عرف به ابن القوطية فيرجع الى انه من ذرة سارة القوطية حفيدة غيطشة ملك القوت قبل دخول الاسلام الاندلس، وكان عالمـا بالنحو واللغة متقدما فيهما وله كتب حفظ انا بعضها، ومن كتبه " تاريخ افتتاح الاندلس " الذى نشره باسكوال دى جايانجوس " وفيه تناول تاريخ الاندلس منذ الفتح حتى نهاية امارة عبد الله بن محمد

- ٩٨٠ م. مولد العالم الكبير "أبي علي حسين بن سينا"، صاحب المؤلفات المعروفة في الطب والفلك والفلسفة

## ٩٨٠ م. وفاة عريب ابن سعد.

عريب. مؤرخ وطبيب نساء اندلسي. توفي ٩٨٠م. عاش في قرطبة واشـتهر باكمالـه تاريخ الطبري من سنة ٩٠١م الى ٩٣١م. وقد ألف في امراض النساء والولادة كتاب (خلـق الجنين وتدبير الحبالى والمولود) الذي اهداه الى الخليفة المستنصر. ويعتبر (خلق الجنين) اول كتاب في هذا الموضوع.

## ٩٨٠ م. وفاة ابن خالويه.

الحسن بن خالويه. من كبار علماء اللغة العربية. اصله من همذان فـي فـارس. درس النحو اللغة على السيرافي و ابن دريد و نفطويه و ابي بكر الانبـاري. سـكن حلـب ولازم اميرها سيف الدولة الحمداني واولاده. من مؤلفاته. (اعراب ثلاثين سورة من القرآن) و (كتاب ليس) في النحو. كذلك جمع اشعار ابي فراس الحمداني في (ديوان ابي فراس). تـوفي عـام ٩٨٠ م.َ

## ٩٨٥ م. مولد ابو اسحق الالبيرى

أبو اسحاق الألبيري 460 - 375هـ / ٩٨٥ - ١٠٦٧ م إبراهيم بن مـسعود بـن سـعد التُجيبي الإلبيري أبو إسحاق.

شاعر أندلسي، أصله من أهل حصن العقاب، اشتهر بغرناطـة وأنكـر علـى ملكهـا استوزاره ابن نَغْزلة اليهودي فنفي إلى إلبيرة وقال في ذلك شـعراً فثـارت صـنهاجة علـى اليهودي وقتلوه.

شعره كله في الحكم والمواعظ، أشهر شعره قصيدته في تحريض صنهاجة على ابـن نغزلة اليهودي ومطلعها (ألا قل لصنهاجةٍ أجمعين).

## ٩٨٥ م. وفاة السجستانى.

محمد بن طاهر بن بهرام الملقب بأبي سليمان المنطقي. فيلسوف واديب عراقي. تـوفي عام ٩٨٥ م. تتلمذ على يحيى بن عدي ومتى بن يونس وخدم الدولة في بغداد، وتتلمذ عليـه بالتالي ابن النديم. وقد رأس السجستاني حلقة فلسفية شهيرة نقل بعض اخبارهـا ابـو حيـان التوحيدي.َ

ويشتهر السجستاني بمؤلفه في تاريخ الفلسفات الاغريقية والاسلامية (صوان الحكمـة) الذي استعان به الشهرستاني في تأليف (الملل والنحل). وللسجستاني ايضا (مقالة في مراتـب قوى الانسان) و (شرح كتاب ارسطو).

## ٩٨٨ م. وفاة السرخسي.

ابو العباس احمد بن محمد بن مروان الخطيب الطيب. جغرافـي وطبيـب وفيلـسوف واديب عراقي. قتله الخليفة المعتضد حوالي عام ٩٨٨م. تتلمذ على الكندي، وتأثر عن طريقه بالمدرسة الاغريقية الجغرافية، كما صاحب ياقوت الحموي في بعض رحلاتـه. وقـد علـم السرخسي الخليفة المعتضد، ثم نادمه، واصبح محتسبا له على بغـداد، ولكنـه راح ضـحية غضبه عليه اذ افشى احد اسراره فقتله.

وقد جمع السرخسي بين الاهتمام بالفلسفة وعلوم الرياضيات والفلك والجغرافيا الوصفية والطب. ومن بين كتبه الكثيرة (في البحار والمياه والجبال) الذي يشار اليه احيانا باسم (منفعة الجبال) و كتاب (المسـالك والممالك) و (المدخل الـى صـناعة الطـب) و (الـرد علـى جالينوس) و كتاب (النفس). وله ايضا اختصار (ايساغوجي) لفرفوريـوس و (المـدخل الـى صناعة النجوم) و (الارثماطيقي) في الحساب والجبر والمقابلة. ومن بـين مقالاتـه (البهـق والنمش والكلف) و (في ماهية النوم والرؤيا) و (الخضابات المسودة للشعر).

## ٩٨٩ م. وفاة اللغوي الأديب "أبو بكر الزبيدي" أحد أعلام النحو واللغـة والأدب في الأندلس، وصاحب كتابي. "لحن العامة"، و"طبقـات النحـويين واللغـويين"؛ ومؤدب الخليفة "هشام بن الحكم"...

ولد "أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبـد الله بـن بـشر الزبيدي" في مدينة "إشبيلية" بالأندلس سنة (٣١٦ هـ = ٩٢٨م).والزبيدي نسبة إلى "زبيـد"، وهو "منية بن صعب بن سعد العشيرة" رهط "عمرو بن معدي كرب"، وكان أجداده قد نزلوا حمص من بلاد الشام قبل أن ينزح آباؤه مع جموع الفاتحين من المسلمين إلى بلاد الأندلس.

عاش في إشبيلية فترة طويلة من نشأته وشبابه؛ حيث تلقى العلم على أيدي عدد كبيـر من علمائها وشيوخها الأعلام، وكان لنبوغه وذكائه أثر كبير في تفوقه على كثير من أقرانـه؛ حتى ذاعت شهرته، وطار صيته لما عرف به من تمكنه من علـوم اللغـة والنحـو والأدب والسِير والأخبار، فكان أخبر أهل زمانه وأوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة.

شيوخه وأساتذته تلقى الزبيدي العلم على يد عدد كبير من أعـلام عـصره فـي الأدب واللغة والنحو، وكانت علاقته بهؤلاء الشيوخ وثيقة العرى، تشهد بذلك ترجماته لهم في كتابـه الرائع "طبقات النحويين واللغويين"، ومنهم.١- "أبو علي إسماعيل القاسم القالي"، المتوفى سنة (٣٥٦ هـ = ٩٦٧م)، صاحب "البـارع فـي اللغـة"، و"الأمـالي والنـوادر"، و"الممـدود والمقصور"، وقد أخذ عنه الزبيدي اللغة والنوادر ولازمه طويلا، وينقل عنه كثيرا في كتابـه

"لحن العامة". ٢- "أبو عبد الله محمد بن يحيى الرباحي"، المتوفى سنة (٣٥٨ هـ = ٩٦٩م)، وكان يمارس التدريس والتأديب في داره بقرطبة، فلازمه الزبيدي وتتلمذ عليه، وقد استأدبه الخليفة "الناصر" لولده "المغيرة"، ثم وكل إليه المستنصر بالله شؤون الدواوين، ويصفه الزبيدي بأنه كان قدوة لمؤدبي العربية في عصره، وكانت بينهما مساجلات شعرية لطيفة ذكرها الزبيدي في معرض ترجمته له. ٣- "أبو محمد البياني قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح القرطبي"، المتوفى سنة (٣٤٠ هـ = ٩٥١م)، كان محدثًا، وقد وصل إلى مكة وبغداد والكوفة، وقد أخذ عنه السير والتاريخ، وروى عنه في مواضع عدة من كتبه.٤- "أبو عثمان سعيد بن فحلون بن سعيد"، المتوفى سنة (٣٤١ هـ = ٩٥٢م)، وهو من علماء الحديث، روى عن "عبد الرحمن النسائي" و"محمد بن وضاح" و"بقي بن مخلد" وغيرهم، وقد روي عنه الزبيدي في بعض كتبه. ٥- "أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي"، المتوفى سنة (٣٥٠ هـ = ٩٦١م). وكان من علماء السنن والأثر، عني بجمع الحديث، وأكثر من الرحلة في طلب العلم على شيوخ وأعلام مصر ومكة والقيروان، وصنف كتابا في تاريخ المحدثين، وقد روى عنه الزبيدي في مواضع كثيرة من مصنفاته.

## الزبيدي في قرطبة.

بلغت شهرة "الزبيدي" الخليفة "المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن"، المتوفى سنة (٣٦٦ هـ = ٩٧٧م)، فاستدعاه إلى قرطبة، وكان يحب العلم ويرعى العلماء، وقد امتلأ بلاطه بالعلماء والأدباء والشعراء، ونال الزبيدي عنده حظوة ومكانة عالية؛ حتى إنه اختاره ليكون مؤدبا لابنه وولي عهده "هشام بن الحكم".وأقبلت الدنيا على "الزبيدي في قرطبة، فنال بها دنيا عريضة في كنف الخليفة الأندلسي، وصارت له شهرة واسعة جاها رفيعا.وبالرغم مما حققه الزبيدي في قرطبة من الشهرة والجاه والرياسة فإنه كان دائم الحنين إلى إشبيلية مسقط رأسه، واشتد به الشوق إلى موطن طفولته وملاعب صباه، فاستأذن الخليفة المستنصر في العودة إلى إشبيلية، ولكن الخليفة تمسك به ولم يأذن له بالرجوع، ودعاه إلى البقاء معه، فكتب الزبيدي في ذلك أبياتًا من الشعر تفيض وجدا وتقطر بالحزن والأسى.

**ويحك يا سلم لا تراعي**
**لا بد للبين من زماع**
**لا تحسبيني صبرت إلا**
**كصبر ميتٍ على النزاع**
**ما خلق الله من عذاب**

**أشـــد مـــن وقـــفة الـــوداع**
**العـــــودة إلـــــى إشـــــبيلية**

تحققت أمنية الزبيدي في العودة إلى إشبيلية بعد أن أدى مهمته في تعليم وتأديـب ابـن الخليفة، وقد كافأه الخليفة على ذلك بأن ولاه منصب القضاء في إشبيلية.وظل يمارس التدريس إلى جانب عمله في القضاء حتى تُوفي الخليفة المستنصر بالله، وما لبث الخليفة الجديد "هشام بن الحكم" أن جعله على خطة الشرطة، فلم ينقطع الزبيدي- صاحب الـشرطة- عـن العلـم والأدب، وله موقف طريف في ذلك مع الوزير "أبي الحسن جعفر بن عثمـان المـصحفي"، وكان قد كتب كتابا إلى الزبيدي فلاحظ الزبيدي أنه أخطأ في تصحيف لفظ فيه، فنبهه إلى ذلك شعرا دون تصريح، وهو ما يدل على براعته الفائقة في النظم وتمكنه من اللغة وفصاحته.

## الزبيدي شاعرا.

يشير الذين ترجموا للزبيدي إلى شاعريته وتمكنه من الأداة الشعرية، ويمتدحون شـعره وينوهون إلى كثرته، فيقول عنه "أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي"، المتـوفى سـنة (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م)، و"أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي"، المتوفى سـنة (٥٩٩ هـ = ١٢٠٣م). إنه كان شاعرا كثير الشعر. غير أن الثعالبي يقول. إن الشعر كان أقـل أدواتـه. ومن شعره في أبيات إلى "أبي مسلم بن فهد".

**ولـيس ثيـاب المـرء تغنـي قلامـة**
**إذا كان مقصورا علـى قـصر الـنفس**
**وليس يفيـد العلـم والحلـم والحجـا**
**- أبا مسلم - القعـود على الكرسـي**
**ومـــن شـــعره فـــي الزهـــد.**
**لـــو لـــم تكـــن نـــار ولا جنـــة**
**للمـــــرء إلا أنـــــه يقبـــــر**
**لكـــان فيـــه واعـــظ زاجـــر**
**نـــاهٍ لمـــن يـــسمع أو يبـــصر**

**ومن شعره في الاغتراب في سبيل المال.**

**الفقـــر فـــي أوطاننـــا غربـــة**
**والمـــال فـــي الغربـــة أوطـــان**
**والأرض شـــيء كلهـــا واحـــد**
**والنـــاس جيـــران وإخـــوان**

وله أشعار أخرى في وصف "النيلوفر"، وفي النصح والإرشاد، وفي تكذيب المنجمـين، كما أن له عددا من المنظومات اللغوية والمقطوعات المتضمنة غريب اللغة والأحاجي اللغوية والمساجلات النحوية.مكانته العلمية واللغوية وثناء العلماء عليهيجمع الذين ترجمـوا للزبيـدي على فضله وريادته ومكانته العلمية الرفيعة.يقول عنه "أبو منصور الثعالبي" صـاحب يتيمـة الدهر. "كان أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغـة والمعـاني والنـوادر".ويقـول عنـه "الحميدي" صاحب "جذوة المقتبس". إنه "من الأئمة في اللغة والعربية".ويقول "ابن الفرضي" صاحب "تاريخ علماء الأندلس". "كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة".ويضيف "ابن خلكان" صاحب "وفيات الأعيان". "وكان أخبر أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر، إلـى علم بالسير والأخبار، ولم يكن بالأندلس في فنه مثله في زمانه".ويقول عنه "الفتح بن خاقـان" صاحب "مطمع الأنفس". "إمام اللغة والإعراب، كعبة الآداب.. نجم الأندلس في إقبالها".

## ٩٩٤ م. مولد الإمام الكبير "محمد بن علي بن أحمد بن سعيد"، المعروف بـابن حزم، أحد أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجـري، وصـاحب المؤلفـات المعروفة في الفقه والتاريخ ومقارنة الأديان، من أشهرها. "المحلى"، "الفصل في الملل والأهواء والنحل".

ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الملقب بالقرطبي والظاهري. فيلسوف ومؤرخ واديب وفقيه اندلسي. ولد في قرطبة عام ٩٩٤ م، وتوفي في لبدة بالمغرب عام ١٠٦٣ م. نشأ فـي اسرة من اصل مسيحي وكان والده وزيرا للمنصور بن ابي عامر وولده المظفر. وقد اخذ ابن حزم علوم الدين والفقه والادب عن اعلام شيوخ عصره، مثل ابن الجسوروابي عمر الفلمنكي وابي زيد الازدي، ودرس المنطق على الكفافي. وقد وزر ابن حزم لعبد الرحمن المـستظهر شهورا، ثم انصرف بعد مقتله عن السياسة، وانقطع للدراسة والتأليف. وقد بدأ ابن حزم مالكيا ثم تحول الى الشافعية وانتهى الى الظاهرية. ورفـض القيـاس والـرأي والتقليـد والتعليـل والاستحسان آخذا بظواهر المعاني من دون بواطنها. وكان يستعين في ادلته بالعقل والمنطق،

ولكنه كان بين العنف في مناقشة خصومه حتى قيل ان مزاجه كان ناريـا وعباراتـه كانـت صاخبة.

وقد الف كتابا ضخما فريدا في بابه في تاريخ الاديان والمذاهب هو (الفصل في الملـل والاهواء والنحل) تنقصها جميعا فيما عدا الاسلام. وله في الاصول (الاحكـام فـي اصـول الاحكام)، والى هذا اشتهر ابن حزم بدعوته الصريحة الى (الحب الرفيع) التي ربما تأثر فـي دعوته اليها بالحياة الاندلسية. وقيل ان ابن حزم قد الف ٤٠٠ كتاب بلغت جملة صفحاتها ٨٠ ألف صفحة. وقد احرقت كثير من كتبه في حياته خصوصا في اشبيلية. واهم مؤلفاته (طـوق الحمامة) الذي كتبه في شبابه و (رسالة في فضل الاندلس) و (الاخلاق والسير فـي مـداواة النفوس) و (جمهرة الانساب) و (المحلى في الفقه المعلى والاخلاق والسير).

## ٩٩٨ م. وفاة ابو الوفاء البوزجاني.

أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس البوزجاني. وهو مهنـدس، وفلكي، ورياضي. وقد وصفه سارطون بأنه من أعظم الرياضيين في الإسلام.

ولد أبو الوفاء في "بوزجان" بخرا سان سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م). درس الرياضيات علـى عمه أبو عمر المغازلي، وخاله المعروف باسم أبي عبد الله محمد بن عنبة، كما درس الهندسة على أبي يحيى الماوردي، وأبي العلاء بن كرنيب. وفي سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩ للميلاد ذهب إلى العراق وعاش في بغداد حتى وفاته (٣٨٧هـ/٩٩٨م). وقد أمضى حياته في بغداد في التأليف والرصد والتدريس. وأصبح عضواً في المرصد الذي أنشأه شرف الدولة سنة ٣٧٧هـ.

## إسهاماته العلمية.

كان أبو الوفاء من العلماء البارزين في الفلك والرياضيات. كما اعترف كثير من العلماء الغربيين بأنه من أشهر الذين برعوا في الهندسة.

وترجع أهمية البوزجاني إلى إسهامه في تقدم علم حـساب المثلثـات، حيـث يعتـرف "كارادي فو" بأن الخدمات التي قدمها أبو الوفاء لعلم المثلثات لا يمكن أن يجادل فيها، فبفضله أصبح هذا العلم أكثر بساطة ووضوحاً. فقد استعمل القاطع وقاطع التمام، وأوجد طريقة جديدة لحساب الجيب. كما أنه أول من أثبت القانون العام للجيوب في المثلثات الكروية.

أما في الهندسة، فقد كان أبو الوفاء عالماً عبقرياً، حيث عالج عدداً من المسائل بخبـرة كبيرة.

## مؤلفاته.

ترك البوزجاني مؤلفات قيمة منها.

١) "كتاب فيما يحتاج إليه الكتاب والعمال من علم الحساب"، وهو كتاب في الحساب. وتوجد منه نسختان ناقصتان في كل من ليدن بهولندا، والقاهرة.

٢) "كتاب الكامل"، وتوجد منه نسخة ناقصة بباريس. وقد ترجم "كارادي فو" بعض أجزائه.

٣) "كتاب فيما يحتاج إليه الصناع في أعمال الهندسة"، وقد كتبه أبو الوفاء بأمر من "بهاء الدولة". وتوجد نسخة منه في مكتبة جامع أيا صوفيا في استانبول.

٤) "كتاب المجسطي" وهو من أشهر مؤلفاته، وتوجد نسخة ناقصة منه في مكتبة باريس الوطنية.

٥) "كتاب الهندسة".

وإضافة إلى هذه المؤلفات، فقد كتب أبو الوفاء شروحاً وتعليقات على أقليدس، وديوفنطيس، والخوارزمي، إلا أن هذه الأعمال ضاعت.

وخلاصة القول إن بحوث البوزجاني ومؤلفاته كان لها تأثير كبير على تقدم العلوم، وبصفة خاصة على علم الفلك وعلم المثلثات. كما يعد من الذين مهدوا الطريق لظهور الهندسة التحليلية، وذلك بإيجاده حلولاً هندسية لبعض المعاملات والأعمال الجبرية.

## ١٠٠٠ م. وفاة الكوهي.

أبو سهل ويجن بن رستم الكوهي. عالم رياضي وفلكي وفيزيائي اشتهر في القرن الرابع الهجري / العاشر والحادي عشر الميلاديين. ولد بمدينة الكوه في جبال طبرستان جنوب بحر الخزر وإليها نسب .

هاجر الكوهي إلى بغداد حيث استقر فيها وتلقى علومه الأساسية. فنبغ في العلوم التطبيقة عامة وفي الفلك خاصة. وعندما استولى شرف الدولة ابن عضد الدولة البويهي على السلطة من أخيه صمصام قرب الكوهي وطلب منه إنشاء مرصد فلكي في بغداد، وتقديم دراسة متكاملة عن رصده الكواكب السبعة من حيث مسيرتها وتنقلها في بروجها .

فبنى الكوهي المرصد في دار المملكة، في آخر البستان، مما يلي باب الحطابين ببغداد. وقد أحكم أساسه وقواعده لئلا يضطرب أو يميل شيء من حيطانه. كما استفاد الكوهي من عطف شرف الدولة لإقناعه ببناء عدة مراصد في البلاد الإسلامية ليتسع لعلماء الفلك تطبيق

نظرياتهم الفلكية .وقد رصد الكوهي في مرصده هذا محضرين أخذت فيهما خطوط الحاضرين بما شهدوا، واتفقوا عليه .

كما قام الكوهي بدوره بتغيير الانقلاب الصيفي والاعتدال الخريفي. كما علـق وانتقـد بعض الفرضيات الفلكية التي اعتمد عليها علماء اليونان في دراستهم الفلكيـة .كـذلك تفـوق الكوهي في صناعة معظم الآلات الرصدية التي استعملها في مراصده في بغداد، ويتضح ذلك في كتابه صنعة الأسطرلاب بالبراهين .

وفي مجال الجبر طور الكوهي هذا العلم، وإليه يرجع الفضل فـي تطـوير المعادلـة الجبرية ذات ثلاثة حدود. كما حل الكوهي بعض المسائل المستعصية على معاصريه في هـذا الحقل، وأعطى جل وقته لدراسة المعادلة الجبرية التي درجتها أعلى من الثانية .

أما في موضوع علم الهندسة، فقد ذاع صيته، وذلك بتعديله لكثير من المسائل الهندسـية التي تتعلق في حجوم ومساحات بعض الأجسام. كما شرح كتاب أصول الهندسة لإقليدس وحل المستعصي من المسائل على أساتذته من علماء العرب والمسلمين .

وفي مجال الفيزياء طور الكوهي نظريات مركز الثقل واستخدم البراهين الهندسية لحـل كثير من المسائل ذات العلاقة بإيجاد مركز الثقل، كما تمخض من دراسته لمركز العقل بحوث قيمة حول موضوع الروافع، واشتهر بلقب أستاذ مركز الثقل ب ين معاصريه .

ترك الكوهي مصنفات متنوعة من أهمها كتاب البركار التام، وكتـاب الأصـول علـى تحريكات إقليدس، وكتاب مراكز الدوائر على الخطوط من طريـق التحليـل دون التركيـب، وكتاب الدوائر المتماسة من طريق التحليل، وكتاب الزيادات على أرشميدس. كما تـرك مـن الرسائل رسالة تثليث الزاوية، ورسالة عمل المسبع المتساوي الأضلاع في الـدائرة، ورسـالة إخراج الخطين من نقطة على زاوية معلومة.

- ١٠٠٢ م. مولد الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن علـي بـن ثابـت، المعـروف بالخطيب البغدادي، أحد أئمة الحديث والتاريخ في القرن الخامس الهجـري، لـه مؤلفات كثيرة، أشهرها "تاريخ بغداد"...

## ١٠٠٢ م. وفاة المنصور الحاجب ابن ابى عامر فى الاندلس.

## المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢)

هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبـد الملـك المعافري القحطاني. أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبي عامر. هو من أسرة يمنية الأصل تنتسب إلى قبيلة معافر اليمنية. دخل جده عبد الملك إلى الأندلس مع طارق بن زياد وأظهـر

شجاعة في بعض العمليات العسكرية فمنح إقطاعات في الجزيرة الخضراء. قدم ابن أبي عامر إلى قرطبة شابا وأتم دراسته في جامع قرطبة ودرس الأدب على يد أبي على القـالي، وقـرأ الفقه على يد أبي بكر بن القوطية والحديث على يد أبي بكر بن معاوية القرشي وغيره، وفتح دكانا عند باب قصر الخليفة ليكتب للناس الطلبات والعرائض والالتماسـات، وسـرعان مـا استهوى الناس بذكائه ومهارته، وبلغ خبرة الأميرة (صبح) زوجة الحكم المستنصر وأم ابنـه (هشام) فعهدت إليه بالنظر في أمورها ووكلته بإدارة ضياعها الخاصة، فأظهر كفاءة أعجبـت بها وتوسطت عند زوجها الخليفة فولاه أمانه دار السكة (ضرب النقد) وبعد ذلك ولاه قـضاء مدينة (ربة) ثم رقاه وولاه الشرطة والإشراف على أموال الزكاة والمواريث، ثم جعله وكـيلا لولده هشام ولي عهده، ثم رفعه إلى الوزارة. لما مات الحكم المستنصر كان ابنه هشام صغيرا وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأم هشام سكون البلاد واستقرار الملك لابنها. كان يطمع بالاستيلاء على الملك ووضع خطة بارعة نفذها بذكاء وإحكام واتبع في تنفيذها المراحل الآتية.

١) تقرب من جعفر بن عثمان المصحفي، حاجب القصر، وصاحب السلطة فـي الدولـة وأقنعه بطرد حراس القصر، وكانوا من الصقالبة الخصيان، المعروفين بشدة البـأس والقوة، فنكبهم المصحفي وطردهم من القصر وأبدلهم بحراس اختارهم ابن أبي عامر من البربر.

٢) تقرب بعد ذلك من القائد غالب الناصري وكان من موالي الخليفة عبد الرحمن الناصر وهو من أعظم قادة الدولة وأمير مدينة (سالم) والثغر الأعلى وتآمر ابن أبـي عـامر معه ومع الحاجب المصحفي على قتل المغيرة أخي الحكم المستنصر وعم هشام بـن عبد الملك وكان المغيرة يطمع بالخلافة، فقتلوه وبايعوا هشاما ولقبوه (المؤيد) ولم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره.

٣) استطاع بدهائه أن يزيح الحاجب المصحفي، فتزوج من أسماء بنـت القائـد غالـب وبمساعدته استطاع أن يحتل مكان المصحفي ثم يقبض عليه ويسجنه، ثم يقتله.

٤) وأخيرا انقلب على القائد غالب وتوجه لحربه سنة ٣٧١هـ وقتله في المعركة.

٥) حجب (هشام المؤيد) في القصر وأحاطه بخدم اختارهم لخدمته ومنعه من الناس وألهاه بكل ما يلهو به صبي في مثل عمره. ثم له بعد ذلك ما كان يطمـع إليـه، واسـتأثر بالمالك. ظلت الدعوى في أيامه لهشام المؤيد على المنابر، أما الملك فله وحده. ولـم يضطرب عليه شيء مدة حكمه، لحسن سياسته وعظيم هيبته. تآمر ابنه عبد الله على قتله مع آخرين، لأن أباه آثر أخاه عبد الملك عليه، وهو يظلمه حين يساويه به، لأنـه

أكثر منه فهما وأعظم شجاعة، وأن أباه يفكر أن يعهد إليه بالأمر من بعده، وربما كان في شعور عبد الله أنه مظلوم شيء من الحقيقة، لأن أباه كان يشك في بنوته ويعتقد أنه ربما كان ولدا غير شرعي، بمعنى أن أمه لم تكن قد استبرأت تماما حين تزوجها، فلم يكن يحبه كإخوته، فلما اكتشف المنصور المؤامرة قبض على ابنه وأمر بضرب عنقه وقتل المتآمرين معه. غزا المنصور بنفسه خمسين غزوة، لم ينهزم في واحـدة منهـا طوال حكمه الذي استمر خمسا وعشرين سنة، وجاست خيله في أمكنه لم يكن قد خفق فيها علم إسلامي من قبل، وسقطت في يد المسلمين (شنت ياقب) في ولايـة (جليقـة) وهي أقدس مكان لمسيحيي أسبانيا، ودانت له ملوك أسبانيا شمالا وجنوبـا، وانتـصر على ملوك (قشتالة) و (نفارا) و (قطالونيا)، وأنزل ببلادهم خسائر فادحة. تزوج ابنة (سانشو) ملك (نفارا) التي اعتنقت الإسلام وتسمت باسم (عبدة) وأنجبت للمنصور ابنه عبد الرحمن الذي أطلقت عليه اسم (سانشو) ذكرى لأبيها وكان يشبهه، وقد حرفـت العامة هذا الاسم إلى (شنجول). مات المنصور في إحدى غزواته بمدينـة سـالم ولا يزال قبره معروفا فيها، وخلفه ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر. توفى عـن ٦٦ عامـا وأمر بجمع ما علق عليه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده وجعل منهـا صـرة وضعت مع حنوطه عند دفنه. بني مدينة الزاهرة بشرقي قرطبة على النهر الأعظـم، محاكيا بها الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر وبني قنطرة على الجـسر محاكيا الجسر الأكبر في قرطبة وزاد في جامع قرطبة مثليه. دفن في قصره بمدينـة سالم ونقش على قبره الأبيات التالية.

**آثاره تنبيك عن أخباره  حتى كأنك بالعيون تراه**

**تالله ما ملك الجزية مثله  حقا ولا قاد الجيوش سواه**

مدحه شاعره ابن دراج القسطلي بعدة قصائد، يصف سخاءه وبطولاته وانتصاراته منها قصيدته التي يقول فيها

**مجير الهدي والدين من كـل ملحـد *** ولـيس عليـه للـضلال مجيـر**

**تلافـت عليـه مـن تمـيم ويعـرب *** شموس تلالا في العـلا وبـدور**

**مـن الحميـريين الـذين أكفهـم *** سحائب تهمي بالنـدى وبحـور**

**لهـم بـذل الـدهر الأبـي فيـاده *** وهم سكنوا الأيام وهـي نفـور**

**وهم نصروا حزب النبـوة والهـدى *** وليس لها في العـالمين نـصير**

**ألا كـل مـدح عـن مـداك مقـصر *** وكل رجاء فـي سـواك غـرور**

**لقد حاط أعلام الهـدى بـك حـائط *** وقـدر فيـك المكرمـات قـدير**

**مقيم على بـذل الرغائـب واللهـى *** وفكرك في أقصى الـبلاد يـسير**

**فعزمـك بالنـصر العزيـز مخبـر *** وسعدك بـالفتح المبـين بـشير**

## ١٠٠٢ م. مولد ابن سيدة.

ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي المرسي الاندلسي. موسـوعي واديـب اندلـسي (١٠٠٢م-١٠٦٦م). ولد في مرسية ونشأ في دانية ودرس فيها على والده وعلـى علمائهـا، وكان ضريرا ولكنه امتاز بقوة الذاكرة، وقد استطاع رغم عاهته ان يؤلف معجمه الموسوعي واللغوي (المخصص) الذي رتب فيه المواد حسب موضوعاتها، واضاف اليها ما الفه السابقون عليه، مما جعل مواضيعه وافية خـصوصا فـي النـواحي النحويـة والـصرفية. ويتـألف (المخصص) من ١٧ جزءا، يبحث الخمسة الاولى منها في الانـسان وامراضـه وعقـاقيره، والثلاثة التالية عن الحيوانات والطيور والحشرات، والباقية في الفلـك والطبيعـة والنباتـات والمعادن الخ. ولابن سيده في اللغة ايضا (شاذ اللغة) و (الوافي في علم القوافي) ، ولـه فـي الشعر (الانيق في شعر الحماسة) و (شرح مشكل شعرالمتنبي) و (المحكم).

## ١٠٠٣ م. مولد ابو اسحاق الشيرازى.

أبو إسحاق الشيرازي. (٢٩٣ـ٤٧٦هـ) (١٠٠٣ـ١٠٨٣م). وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفـارس وانتقـل إلـى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (٤١٥هـ). وظهر نبوغه في الفقه الـشافعي وعلـم الكلام (*)، فكان مرجعاً للطلاب ومفتياً للأمة في عصره، وقد اشتهر بقوة الحجة في الجـدل (*) والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك. المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يـدرس فيها ويديرها.

من مصنفاته. التنبيه والمهذب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه وشرحه، والملخص، والمعونة في الجدل.

## ١٠٠٣ م. مولد الأديب والشاعر الاندلسى ابن زيدون.

برع "ابن زيدون" في الشعر كما برع في فنون النثر، حتى صار مـن أبـرز شـعراء الأندلس المبدعين وأجملهم شعرا وأدقهم وصفًا وأصفاهم خيالا، كما تميزت كتاباتـه النثريـة بالجودة والبلاغة، وتعد رسائله من عيون الأدب العربي.

## الميلاد والنشأة.

ولد الشاعر "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أحمد بن غالب بن زيـد المخزومـي" سـنة [٣٩٤هـ= ١٠٠٣م] بالرصافة من ضواحي قرطبة، وهي الضاحية التي أنشأها "عبد الرحمن الداخل" بقرطبة، واتخذها متنزها له ومقرا لحكمه، ونقل إليها النباتات والأشجار النادرة، وشق فيها الجداول البديعة حتى صارت مضرب الأمثال في الروعة والجمال، وتغنّى بها الكثير من الشعراء.

وفي هذا الجو الرائع والطبيعة البديعة الخلابة نشأ ابن زيدون؛ فتفتحت عيناه على تلـك المناظر الساحرة والطبيعة الجميلة، وتشربت روحه بذلك الجمال الساحر، وتفتحت مـشاعره، ونمت ملكاته الشاعرية والأدبية في هذا الجو الرائع البديع.

وينتمي "ابن زيدون" إلى قبيلة "بني مخزوم" العربية، التي كانت لها مكانة عظيمة فـي الجاهلية والإسلام، وعرفت بالفروسية والشجاعة.

وكان والده من فقهاء "قرطبة" وأعلامها المعدودين، كما كان ضليعا فـي علـوم اللغـة العربية، بصيرا بفنون الأدب، على قدر وافر من الثقافة والعلم.

أما جده لأمة "محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي" فكان من العلماء البـارزين في عصره، وكان شديد العناية بالعلوم، وقد تولى القضاء بمدينة "سـالم"، ثـم تـولى أحكـام الشرطة في "قرطبة".

## كفالة الجد.

وما كاد "ابن زيدون" يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى فقد أباه، فتولى جـده تربيتـه، وكان ذا حزم وصرامة، وقد انعكس ذلك على أسلوب تربيته لحفيده، وهو ما جنبـه مزالـق الانحراف والسقوط التي قد يتعرض لها الأيتام من ذوي الثراء.

واهتم الجد بتربية حفيده وتنشئته تنشئة صحيحة وتعليمه العربية والقرآن والنحو والشعر والأدب، إلى غير ذلك من العلوم التي يدرسها عادةً الناشئة، ويقبل عليها الدارسون.

وتهيأت لابن زيدون -منذ الصغر- عوامل التفوق والنبوغ، فقد كان ينتمي إلى أسـرة واسعة الثراء، ويتمتع بالرعاية الواعية من جده وأصدقاء أبيه، ويعيش في مستوى اجتمـاعي وثقافي رفيع، فضلا عما حباه الله به من ذكاء ونبوغ، وما فطره عليه من حب للعلم والـشعر وفنون الأدب.

## ابن زيدون متعلما.

ومما لا شك فيه أن "ابن زيدون" تلقى ثقافته الواسعة وحصيلته اللغوية والأدبيـة علـى عدد كبير من علماء عصره وأعلام الفكر والأدب في الأندلس، في مقدمتهم أبوه وجده، ومنهم كذلك "أبو بكر مسلم بن أحمد بن أفلح" النحوي المتوفى سنة [٤٣٣هـ=١٠٤٢م] وكان رجـلاً متدينًا، وافر الحظ من العلم والعقيدة، سالكًا فيها طريق أهل السنة، له باع كبير فـي العربيـة ورواية الشعر.

كما اتصل "ابن زيدون" بكثير من أعلام عصره وأدبائه المشاهير، فتوطدت علاقته -في سن مبكرة- بأبي الوليد بن جهور الذي كان قد ولي العهد ثم صار حاكما، وكان حافظًا للقرآن الكريم مجيدا للتلاوة، يهتم بسماع العلم من الشيوخ والرواية عنهم، وقد امتدت هذه الـصداقة بينهما حتى جاوز الخمسين، وتوثقت علاقته كذلك بأبي بكر بن ذَكْوان الـذي ولـي منـصب الوزارة، وعرف بالعلم والعفة والفضل، ثم تولى القضاء بقربة فكان مثـالا للحـزم والعـدل، فأظهر الحق ونصر المظلوم، وردع الظالم.

## .. وزيرا.

كان "ابن زيدون" من الصفوة المرموقة من شباب قرطبة؛ ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن يشارك في سير الأحداث التي تمر بها.

وقد ساهم "ابن زيدون" بدور رئيسي في إلغاء الخلافة الأموية بقرطبة، كما شارك فـي تأسيس حكومة جهورية بزعامة "ابن جهور"، وإن كان لم يشارك في ذلك بالـسيف والقتـال، وإنما كان له دور رئيسي في توجيه السياسة وتحريك الجماهير، وذلك باعتباره شاعرا ذائـع الصيت، وأحد أعلام "قرطبة" ومن أبرز أدبائها المعروفين، فسخر جاهه وثراءه وبيانـه فـي التأثير في الجماهير، وتوجيه الرأي العام وتحريك الناس نحو الوجهة التي يريدها.

وحظي "ابن زيدون" بمنصب الوزارة في دولة "ابن جهور"، واعتمد عليه الحاكم الجديد في السفارة بينه وبين الملوك المجاورين، إلا أن "ابن زيدون" لم يقنع بأن يكون ظلا للحـاكم، واستغل أعداء الشاعر ومنافسوه هذا الغرور منه وميله إلى التحرر والتهور فـأوغروا عليـه صدر صديقه القديم، ونجحوا في الوقيعة بينهما، حتى انتهت العلاقة بين الشاعر والأمير إلـى مصيرها المحتوم.

## ابن زيدون وولادة.

كان ابن زيدون شاعرا مبدعا مرهف الإحساس، وقد حركت هذه الشاعرية فيه زهـرة من زهرات البيت الأموي، وابنة أحد الخلفاء الأمويين، وهي "ولادة بنت المستكفي"، وكانـت شاعرة أديبة، جميلة الشكل، شريفة الأصل، عريقة الحسب، وقد وصفت بأنها "نادرة زمانهـا ظرفًا وحسنًا وأدبا".

وأثنى عليها كثير من معاصريها من الأدباء والـشعراء، وأجمعـوا علـى فـصاحتها ونباهتها، وسرعة بديهتها، وموهبتها الشعرية الفائقة، فقال عنها "الصنبي". "إنها أديبة شـاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر، تساجل الأدباء، وتفوق البرعاء".

وبعد سقوط الخلافة الأموية في "الأندلس" فتحت ولادة أبواب قصرها للأدباء والشعراء والعظماء، وجعلت منه منتديا أدبيا، وصالونًا ثقافيا، فتهافت على ندوتها الـشعراء والـوزراء مأخوذين ببيانها الساحر وعلمها الغزير.

وكان "ابن زيدون" واحدا من أبرز الأدباء والشعراء الذين ارتادوا ندوتها، وتنافسوا في التودد إليها، ومنهم "أبو عبد الله بن القلاس"، و"أبو عامر بن عبدوس" اللذان كانـا مـن أشـد منافسي ابن زيدون في حبها، وقد هجاهما "ابن زيدون" بقصائد لاذعة، فانسحب "ابن القلاسي"، ولكن "ابن عبدوس" غالى في التودد إليها، وأرسل لها برسالة يستميلها إليه، فلما علـم "ابـن زيدون" كتب إليه رسالة على لسان "ولادة" وهي المعروفة بالرسالة الهزلية، التي سـخر منـه فيها، وجعله أضحوكة على كل لسان، وهو ما أثار حفيظته على "ابن زيدون"؛ فصرف جهـده إلى تأليب الأمير عليه حتى سجنه، وأصبح الطريق خاليا أمام "ابن عبدوس" ليـسترد مـودة "ولادة".

## الفرار من السجن.

وفشلت توسلات "ابن زيدون" ورسائله في استعطاف الأمير حتى تمكن من الفرار مـن سجنه إلى "إشبيلية"، وكتب إلى ولادة بقصيدته النونية الشهيرة التي مطلعها.

**أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا**

وما لبث الأمير أن عفا عنه، فعاد إلى "قرطبة" وبالغ في التـودد إلـى "ولادة"، ولكـن العلاقة بينهما لم تعد أبدا إلى سالف ما كانت عليه من قبل، وإن ظل ابن زيدون يذكرها فـي أشعاره، ويردد اسمها طوال حياته في قصائده.

ولم تمض بضعة أشهر حتى توفي الأمير، وتولى ابنه "أبو الوليد بن جمهـور" صـديق الشاعر الحميم، فبدأت صفحة جديدة من حياة الشاعر، ينعم فيها بالحرية والحظـوة والمكانـة الرفعية.

ولكن خصوم الشاعر ومنافسيه لم يكفوا عن ملاحقته بالوشايات والفتن والدسائس حتـى اضطر الشاعر ـ في النهاية ـ إلى مغادرة "قرطبة" إلى "إشبيلية" وأحسن "المعتضد بن عباد" إليه وقربه، وجعله من خواصه وجلسائه، وأكرمه وغمره بحفاوته وبره.

## في إشبيلية.

واستطاع "ابن زيدون" بما حباه الله من ذكاء ونبوغ أن يأخذ مكانة بـارزة فـي بـلاط "المعتضد"، حتى أصبح المستشار الأول للأمير، وعهد إليه "المعتضد"، بالسفارة بينـه وبـين أمراء الطوائف في الأمور الجليلة والسفارات المهمة، ثم جعله كبيرا لوزرائه، ولكـن "ابـن زيدون" كان يتطلع إلى أن يتقلد الكتابة وهي من أهم مناصب الدولة وأخطرها، وظل يـسعى للفوز بهذا المنصب ولا يألو جهدا في إزاحة كل من يعترض طريقه إليه حتـى اسـتطاع أن يظفر بهذا المنصب الجليل، وأصبح بذلك يجمع في يديه أهـم مناصـب الدولـة وأخطرهـا وأصبحت معظم مقاليد الأمور في يده.

وقضى "ابن زيدون" عشرين عاما في بلاط المعتضد، بلغ فيها أعلى مكانة، وجمع بـين أهم المناصب وأخطرها.

فلما توفي "المعتضد" تولى الحكم من بعده ابنه "المعتمد بن عباد"، وكانت تربطه بـابن زيدون أوثق صلات المودة والألفة والصداقة، وكان مفتونًا به متتلمذًا عليه طـوال عـشرين عاما، وكان بينهما كثير من المطارحات الشعرية العذبة التي تكشف عن ود غـامر وصـداقة وطيدة.

## المؤامرة على الشاعر.

وحاول أعداء الشاعر ومنافسيه أن يوقعوا بينه وبين الأمير الجديد، وظنوا أن الفرصـة قد سنحت لهم بعدما تولى "المعتمد" العرش خلفًا لأبيه، فدسوا إليـه قـصائد يغرونـه بالفتـك بالشاعر، ويدعون أنه فرح بموت "المعتضد"، ولكن الأمير أدرك المؤامرة، فزجرهم وعنفهم، ووقّع على الرقعة بأبيات جاء فيها.

**كذبت مناكم، صرحوا أو جمجموا — الدين أمتن، والمروءة أكرم**

**خنتم ورمتم أن أخون، وإنما — حاولتمو أن يستخف "يلملم"**

**وختمها بقوله محذرا ومعتذرا.**

**كفوا وإلا فارقبوا لي بطشةً  تلقي السفيه بمثلها فيحلم**

وكان الشاعر عند ظن أميره به، فبذل جهده في خدمته، وأخلص له، فكان خير عون له في فتح "قرطبة"، ثم أرسله المعتمد إلى "إشبيلية" على رأس جيشه لإخماد الفتنة التي ثارت بها، وكان "ابن زيدون" قد أصابه المرض وأوهنته الشيخوخة، فما لبث أن توفي بعد أن أتم مهمته في [ أول رجب ٤٦٣هـ= ٤ من إبريل ١٠٧١م] عن عمر بلغ نحو ثمانية وستين عاما.

## غزليات ابن زيدون.

يحتل شعر الغزل نحو ثلث ديوان "ابن زيدون"، وهو في قصائد المدح يبدأ بمقدمات غزلية دقيقة، ويتميز غزله بالعذوبة والرقة والعاطفة الجياشة القوية والمعاني المبتكرة والمشاعر الدافقة التي لا نكاد نجد لها مثيلا عند غيره من الشعراء إلا المنقطعين للغزل وحده من أمثال "عمر بن أبي ربيعة"، "وجميل بن معمر"، و"العباس بن الأحنف".

ومن عيون شعره في الغزل تلك القصيدة الرائعة الخالدة التي كتبها بعد فراره من سجنه بقرطبة إلى "إشبيلية"، ولكن قلبه جذبه إلى محبوبته بقرطبة فأرسل إليها بتلك الدرة الفريدة (النونية) التي يقول في مطلعها.

**أضحى التنائي بديلا من تدانينا  وناب عن طيب لقيانا تجافينا**

## الوصف عند ابن زيدون.

انطبع شعر "ابن زيدون" بالجمال والدقة وانعكست آثار الطبيعة الخلابة في شعره، فجاء وصفه للطبيعة ينضح بالخيال، ويفيض بالعاطفة المشبوبة والمشاعر الجياشة، وامتزج سحر الطبيعة بلوعة الحب وذكريات الهوى، فكان وصفه مزيجا عبقريا من الصور الجميلة والمشاعر الدافقة، ومن ذلك قوله.

**إني ذكرتك بالزهراء مشتاقًا *** والأفق طلق، ومرأى الأرض قد راقا**

**وللنسيم اعتلال في أصائله *** كأنه رق لي فاعتل إشفاقًا**

**والروض عن مائة الفضي مبتسم *** كما شققت عن اللبات أطواقًا**

**تلهو بما يستميل العين من زهر *** جال الندى فيه حتى مال أعناقًا**

**كأنه أعينه - إذ عاينت أرقي - *** بكت لما بي، فجال الدمع رقراقا**

**ورد تـألق فـي ضـاحي منابتـه *** فازداد منه الـضحى فـي العـين إشـراقًا**

**سـرى ينافحـه نيلـوفر عبـق *** وسـنان نبـه منـه الـصبح أحـداقًا**

## الإخوانيات الشعرية عند ابن زيدون.

كان "ابن زيدون" شاعرا أصيلا متمكنا في شتى ضروب الشعر ومختلـف أغراضـه، وكان شعره يتميز بالصدق والحرارة والبعد عن التكلف، كما كان يميـل إلـى التجديـد فـي المعاني، وابتكار الصور الجديدة، والاعتماد على الخيال المجـنح؛ ولـذا فقـد حظـي فـن الإخوانيات عنده بنصيب وافر من هذا التجديد وتلك العاطفة، ومـن ذلـك مناجاتـه الرقيقـة لصديقه الوفي "أبي القاسم".

**يـا أبـا القاسـم الـذي كـان ردائـي *** وظهيـري مـن الزمـان وذخـري**

**هـل لخـالي زماننـا مـن رجـوع *** أم لماضـي زماننـا مـن مكـر؟**

**أيـن أيامنـا؟ وأيـن ليـال *** كريـاض لبـس أفـاق زهـر؟**

## الفنون النثرية عند ابن زيدون.

اتسم النثر عند "ابن زيدون" بجمال الصياغة، وكثرة الصور والأخيلة، والاعتماد علـى الموسيقا، ودقة انتقاء الألفاظ حتى أشبه نثره شعره في صياغته وموسيقاه، وقد وصـف "ابـن بسام" رسائله بأنها "بالنظم الخطير أشبه منها بالمنثور".

وبالرغم من جودة نثر "ابن زيدون" فإنه لم يصل إلينا من آثاره النثرية إلا بعض رسائله الأدبية، ومنها.

· الرسالة الهزلية. التي كتبها على لسان "ولادة بنت المستكفي" إلى "ابن عبدوس" وقـد حمل عليه فيها، وأوجعه سخرية وتهكما، وتتسم هذه الرسالة بالنقد اللاذع والسخرية المريرة، وتعتمد على الأسلوب التهكمي المثير للضحك، كما تحمل عاطفة قوية عنيفة مـن المـشاعر المتباينة. من الغيرة والبغض والحب، والحقد، وتدل على عمق ثقافة "ابـن زيـدون" وسـعة اطلاعه.

وقد شرحها "جمال الدين بن نباتة المصري" في كتابه. "سرح العيـون"، كمـا شـرحها "محمد بن البنا المصري" في كتابه. "العيون".

الرسالة الجدية. وقد كتبها الشاعر في سجنه في أخريات أيامه، يستعطف فيها الأمير "أبا الحزم" ويستدر عفوه ورحمته، وهي أيضا تشتمل على الكثير مـن الاقتباسـات والأحـداث والأسماء.

ومع أن الغرض من رسالته كان استعطاف الأمير إلا أن شخصية "ابن زيدون" القويـة المتعالية تغلب عليه، فإذا به يدلّ على الأمير بما يشبه المن عليه، ويأخذه العتب مبلغ الـشطط فيهدد الأمير باللجوء إلى خصومه.

ولكن الرسالة ـ مع ذلك ـ تنبض بالعاطفة القوية وتحرك المشاعر في القلوب، وتثيـر الأشجان في النفوس.

وقد شرحها "صلاح الدين الصفدي" في كتابه. "تمام المتون"، و"عبد القادر البغدادي" في كتابه. "مختصر تمام المتون".

بالإضافة إلى هاتين الرسالتين فهناك رسالة الاستعطاف التي كتبها الشاعر بعد فـراره من سجنه وعودته من "إشبيلية" إلى "قرطبة" مستخفيا ينشد الأمان، ويستشفع بأستاذه "أبي بكر مسلم بن أحمد" عند الأمير.

وهذه الرسالة تعد أقوى رسائل "ابن زيدون" جميعا من الناحية الفنية، وتمثـل نـضجا ملحوظًا وخبرة كبيرة ودراية فائقة بأساليب الكتابة، وبراعة وإتقان في مجال الكتابة النثرية.

ولابن زيدون كتاب في تاريخ بني أمية سماه "التبيين" وقد ضاع الكتاب، ولم تبق منه إلا مقطوعتان، حفظهما لنا "المقري" في كتابه الكبير. "نفح الطيب".

## اشهر قصائده.

| | | |
|---|---|---|
| أضـحى التّنـائي بـديلاً مِـن تَـدانِينَا، | *** | ونَـاب عـن طيـبِ لُقْيانَـا تجافينَـا |
| ألاّ وقَـد حـان صـبح البـين، صـبحنا | *** | حـين، فَقَـام بِنَـا للحـين نَاعِينَـا |
| مـن مبلـغُ الملبـسِينا، بـانتزاحِهم، | *** | حزنـاً، مـع الـدهر لا يبلـى ويبلينَـا |
| غِيظَ العِدا مِـن تَـساقِينا الهـوى فـدعوا | *** | بِـأن نَغَـص، فَقـالَ الـدهرُ آمينَـا |
| فَانحـلّ مـا كـان معقُـوداً بَأَنْفُـسِنَا؛ | *** | وانْبـتّ مـا كـان موصـولاً بأيـدِينَا |
| وقَـد نَكُـون، ومـا يخـشَى تَفَرقُنـا، | *** | فـاليوم نحـن، ومـا يرجـى تَلاقينَـا |
| يا ليـتَ شـعري، ولـم نُعتِـب أعـاديكم، | *** | هلْ نَـالَ حظّـاً مـن العتبـى أعادينَـا |
| لـم نعتقـد بعـدكم إلاّ الوفـاء لكُـم | *** | رأيـاً، ولـم نَتَقلّـد غَيـره دِينَـا |
| مـا حقّنـا أن تُقِـروا عـين ذي حـسدٍ | *** | بِنـا، ولا أن تَـسروا كاشِـحاً فِينَـا |

كُنّـا نـرى اليـأس نُـسلِينا عوارِضـه، *** وقَـد يئِـسنَا فَمـا لليـأس يغْرِينَـا

بِنْـتُم وبِنّـا، فَمـا ابتَلّـتْ جوانِحنَـا *** شَـوقاً إلـيكُم، ولا جفّـتْ مآقِينَـا

نَكـاد، حِـين تُنَـاجِيكُم ضَـمائرنا، *** يقـضي علينـا الأسـى لـولا تأسـينَا

حالَـتْ لِفقـدِكُم أيامنـا، فغَـدتْ *** سـوداً، وكانـتْ بكُـم بِيـضاً لَيالِينَـا

إذْ جانِـب العـيش طَلْـقٌ مـن تألفِنـا؛ *** ومربـع اللّهـو صـافٍ مِـن تَـصافِينَا

وإذْ هـصرنَا قُنُـون الوصـل دانيـةً *** قِطَافُهـا، فَجنَينَـا مِنْـه مـا شِـينَا

ليـسقَ عهـدكُم عهـد الـسرور فَمـا *** كُنْـتُم لأرواحِـنَا إلاّ ريـاحينَا

لا تَحـسبوا نَـأيكُم عنّـا يغيرنـا؛ *** أن طالمـا غَيـر النّـأي المحِبينَـا !

واللهِ مـا طَلَبـتْ أهواؤنَـا بـدلاً *** مِـنْكُم، ولا انـصرفتْ عـنكم أمانينَـا

يا ساري البرق غادِ القـصر واسـق بـه *** من كان صِرف الهوى والـود يـسقينَا

واسـألْ هنالِـك. هـلْ عنّـى تَـذكرنا *** إلفـاً، تـذكره أمـسى يعنّينَـا؟

ويـا نـسيم الـصبا بلّـغْ تحيتَنَـا *** من لو على البعـدِ حيـا كـان يحيينـا

فهـلْ أرى الـدهر يقـضينا مـساعفَةً *** مِنْـه، وإن لـم يكُـن غبـاً تقاضِـينَا

ربيـب ملـكٍ، كـأن اللـه أنْـشَأه *** مِـسكاً، وقَـدر إنـشاء الـورى طِينَـا

أو صـاغَه ورقـاً محـضاً، وتَوجـه *** مِـن نَاصِـع التِّبـرِ إبـداعاً وتَحـسِينَا

إذَا تَـأود آدتْـه، رفاهِيـةً، *** تُـوم العقُـودِ، وأدمتَـه البـرى لِينَـا

كانـتْ لـه الـشّمس ظئـراً فـي أكِلّتـه، *** بـلْ مـا تَجلّـى لهـا إلاّ أحلِينَـا

كأنّمـا أثبتَـتْ، فـي صـحن وجنتِـه، *** زهـر الكواكِـبِ تَعويـذاً وتَزيينَـا

مـا ضـر أن لـم تَكُـن أكفـاءه شـرفاً، *** وفـي المـودةِ كـافٍ مِـن تَكَافِينَـا؟

يـا روضـةً طالمـا أجنَـتْ لواحِظَنَـا *** ورداً، جـلاه الـصبا غـضاً، ونَـسرينَا

ويـا حيـاةً تملّينَـا، بزهرتِهـا، *** منـىً ضـروباً، ولـذّاتٍ أفانينَـا

ويـا نعِيمـاً خطرنَـا، مِـن غَـضارتِهِ، *** في وشْي نُعمـى، سـحبنا ذَيلَـه حينَـا

لَـسنا نُـسميكِ إجـلالاً وتَكْرِمـةً؛ *** وقَـدركِ المعتَلـي عـن ذاك يغْنِينَـا

إذا انفردتِ ومـا شُـوركتِ فـي خلُـقٍ، *** فحـسبنا الوصـفُ إيـضاحاً وتبيينَـا

يـا جنّـةَ الخلـدِ أبـدِلنا، بـسدرتِها *** والكـوثر العـذبِ، زقّومـاً وغـسلينَا

كأنّنَـا لـم نبِـتْ، والوصـلُ ثالثُنَـا، *** والسعد قَد غَض مـن أجفـان واشـينَا

| | | |
|---|---|---|
| إن كان قد عـز فـي الـدنيا اللّقـاء بكـم | *** | في موقـفِ الحـشر نَلقـاكُم وتَلْقُونَـا |
| سِـران فـي خـاطِرِ الظّلمـاءِ يكتُمنـا، | *** | حتـى يكـاد لـسان الـصبح يفـشينَا |
| لا غَرو في أن ذكرنا الحـزن حـين نهـتْ | *** | عنه النهـى، وتركْنـا الـصبر ناسِـينَا |
| إنّا قرأنـا الأسـى، يـوم النّـوى، سـوراً | *** | مكتوبـةً، وأخَـذْنَا الـصبر يكفينـا |
| أمـا هـواكِ، فلـم نعـدِلْ بمنْهلِـهِ | *** | شُـرباً وإن كـان يروينَـا فيظمِينَـا |
| لـم نَجـفُ أفـقَ جمـالِ أنـتِ كوكبـه | *** | سـالِين عنـه، ولـم نهجـره قالِينَـا |
| ولا اخْتِيـاراً تَجنّبنـاه عـن كثَـبٍ، | *** | لكـن عـدتْنَا، علـى كُـرهٍ، عوادِينَـا |
| نأسـى عليـكِ إذا حثّـتْ مشَعـشَعةً، | *** | فِينـا الـشمولُ، وغنانَـا مغنّينَـا |
| لا أكْـؤس الـراح تُبـدي مـن شـمائِلنَا | *** | سِـيما ارتيـاحٍ، ولا الأوتـار تُلْهينَـا |
| دومي على العهدِ، مـا دمنـا، محافِظـةً، | *** | فـالحر مـن دان إنْـصافاً كمـا دينَـا |
| قَمـا استعـضنا خَلـيلاً منـكِ يحبـسنا | *** | ولا اسـتفدنا حبيبـاً عنـكِ يثنينَـا |
| ولو صـبا نحونَـا، مـن علـو مطلعـه، | *** | بدر الدجى لـم يكـن حاشـاكِ يـصبِينَا |
| أبكـي وفـاء، وإن لـم تَبـذُلي صِـلةً، | *** | فَـالطّيفُ يقْنِعنَـا، والـذّكر يكفِينَـا |
| وفـي الجـوابِ متَـاع، إن شَـفَعتِ بـهِ | *** | بيض الأيادي، التي مـا زلـتِ تُولينَـا |
| إليـكِ منّـا سـلام اللـهِ مـا بقِيـتْ | *** | صـبابةٌ بِـكِ نُخْفِيهـا، فَتَخْفِينَـا |

## ١٠٠٣ م. مولد الرحالة ناصر خسرو.

ناصر علي خِسرو. مؤرخ وجغرافي واديب وداعية افغانـستاني (١٠٠٣ - ١٠٨٨ م). نشأ في بلخ، وخدم سلاجقة مرو. ثم قرر الحج، وانفق بعده سبع سنوات فـي التجـول فـي الاقطار الاسلامية، فزار العراق والشام وشبه الجزيرة العربية ومصر، ثم اعتنـق المـذهب الشيعي واصبح داعية للفاطميين.

وقد بقي خسرو في مصر زهاء ثلاثـة اعـوام (١٠٤٧ - ١٠٥٠ م) وزار تـانيس و الاسكندرية والقاهرة و اسيوط و قوص و اخميم و اسوان، ثم بارحها عن طريق ميناء عيذاب الى الحجاز. وعند عودته الى بلخ، أسس فرقة خاصة للدعوة للفاطميين، ثم اختفى عن اعـين رجال الدولة السلجوقية بين الجبال.

وقد الف خسرو بالفارسية (سفرنامه) الذي اهتم فيه اهتماما خاصا بمصر، وروى فيه ما رآه وخلاصة احاديثه. وليس للكتاب بجانب هذا اية اهمية، على ما يقول (كراتشكوفسكي)، اذ

ان المؤلف لم يحط نفسه بثقافة عصره، وافكاره عن العالم القديم خاطئة تمامـا. ومـع ذلـك فرحلته التي ضمن اخبارها كتابه من اقدم الرحلات عند المسلمين، وتسبق رحلة ابـن جبيـر باكثر من مائة سنة. وقد نقل الدكتور يحيى الخشاب (سفرنامه) الى العربية عن ترجمة (شيفر) الفرنسية، ونشرت الترجمة في بيروت منذ اعوام.

## ١٠٠٨ م. وفاة الزهراوى.

يعد الزهراوي من أعظم الجراحين المسلمين والعالميين. وهو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، ويعرف عند الغربيين باسم Abulcassis. ولد بمدينة الزهراء في ضواحي قرطبـة بالأندلس. عاش في الأندلس خلال القرن الرابع،حيث كان طبيب عبد الرحمن الثالث، ثم طبيب ابنه الحكم الثاني المستنصر.

وإذا كان تاريخ ولادته غير معروف، فإن المؤرخين يرجحون أن وفاتـه كانـت عـام ٤٠٤هـ/١٠١٣م.

## إسهاماته العلمية.

تتجلى إسهامات الزهراوي العلمية فيما حققه من إنجازات وابتكارات متعددة في الطـب بصفة عامة، وفي الجراحة بصفة خاصة، فهو أول من فرق بـين الجراحـة وغيرهـا مـن المواضيع الطبية، وجعلها علماً مستقلا قائماً على دراسة تشريح الأجسام الحية والميتة. وهـو أول من أجرى عملية استئصال الحصى من المثانة عن طريق المهبل، وهو أول من نجح في عملية شق القصبة الهوائية حيث أجرى هذه العملية على خادمه. كما نجح في إيقـاف نزيـف الدم بربط الشرايين الكبيرة، وعلم تلاميذه خياطة الجروح خياطة داخلية لا تترك أثراً مرئيـاً، وكيفية الخياطة بإبرتين وخيط واحد مثبت بهما.

أما في ميدان الطب العام، فهو أول من وصـف اسـتعداد بعـض الأجـسام للنزيـف (هيموفيليا)، كما اهتم بالتهاب المفاصل وبالسل في فقرات الظهر. كما أدخـل طرقـاً وآلات جديدة على فرع الأمراض النسائية. وقد استفاد الجراحون وأطباء الأسـنان الأوربيـون مـن الرسوم التي وضعها لصنع الآلات اللازمة لإجراء العمليات الجراحية.

## مؤلفاته.

أكبر تصانيف الزهراوي وأشهرها هو كتابه المسمى. ـ ـ "التصريف لمن عجز عـن التأليف"، وهو عبارة عن دائرة معارف طبية تقع في ثلاثين جزءاً. ويمتـاز بكثـرة رسـومه ووفرة أشكال الآلات التي كان الزهراوي يستعملها في الجراحة. وقد ترجم جيرار الكريموني

الجزء الخاص بالجراحة من هذا الكتاب إلى اللاتينية في القـرن الثـاني عـشر المـيلادي، وصدرت منه طبعات مختلفة، واحدة في البندقية ١٤٩٧م، وثانية فـي بـازل سـنة ١٥٤١م، وثالثة في أكسفورد سنة ١٧٧٨م. كما أن الدكتور لوكليرك ترجمه إلى الفرنسية فـي القـرن التاسع عشر.

وتقول زغريد هونكه عن هذا الجزء من الكتاب. >وقد لعب القسم الثالث من هذا الكتاب دوراً هاماً في أوربا إذ وضع أسس الجراحة الأوربية، وسما بهذا الفرع من الطب إلى مقـام رفيع، فأصبحت الجراحة مستقلة بذاتها ومعتمدة في أصولها على علم التشريح<. وقـد كـان لكتاب الزهراوي أثر كبير في النهضة الأوربية على مدى خمسة قرون، حيث كان يدرس في جامعات أوروبا، كما كان الجراحون الأوربيون يرجعون إليه ويقتبسون منه.

## ١٠٠٨ م. وفاة ابن يونس.

كان ابن يونس راصداً رفيع المنزلة للظواهر السماوية، وعالماً نظريـاً مـن الطـراز الأول. ويقول عنه سارطون ربما كان أعظم فلكي مسلم.

واسمه الكامل هو أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري. لا يعرف تاريخ ولادته، أما وفاته فكانت عـام ٣٩٩هـ ـ/١٠٠٩م بالقاهرة. ينتمي لأسرة اشتهرت بالعلم، فقد كان أبوه محدثاً ومؤرخاً كبيراً، كما كان جده مـن المتخصصين في علم النجوم.

وقد حظي ابن يونس بمكانة كبيرة لدى الخلفاء الفاطميين الذين شجعوه علـي متابعـة بحوثه الفلكية والرياضية، و بنوا له مرصداً قرب الفسطاط (القاهرة)، وجهزوه بكل ما يلـزم من الآلات والأدوات.

## إسهاماته.

برع ابن يونس في المثلثات، وله فيها بحوث قيمة ساعدت في تقدم علم المثلثات، فهـو أول من وضع قانوناً في حساب المثلثات الكروية، كانت له أهمية كبرى عند علماء الفلك، قبل اكتشاف اللوغاريتمات، إذ يمكن بواسطة ذلك القانون تحويل عمليات الـضرب فـي حـساب المثلثات إلى عمليات جمع، فسهل حل كثير من المسائل الطويلة المعقدة. ويرجـع إلـى ابـن يونس اختراع رقاص الساعة. كما أظهر ابن يونس براعة كبرى في حل كثير مـن المـسائل العويصة في علم الفلك.

وقد رصد ابن يونس كسوف الشمس والقمر في القاهرة حوالي ٩٧٨م، فجـاء حـسابه أقرب ما عرف، إلى أن ظهرت آلات الرصد الحديثة.

**مؤلفاته.**

**أهم كتاب ألفه ابن يونس هو.**

- "الزيج الكبير الحاكمي". بدأ تأليفه، بأمر من الخليفة العزيز الفاطمي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، وأتمه سنة ١٠٠٧م في عهد الخليفة الحاكم ولد العزيز. وسماه الزيج الحاكمي، نسبة إلى الخليفة. وتوجد أجزاء من هذا الكتاب في عدد من المكتبات العالمية مثل اكسفورد، وباريس، والاسكريال، وبرلين، والقاهرة. وقد قام كوسان Caussin بنشر وترجمة أجزاء هذا الزيج التي فيها أرصاد الفلكيين القدماء وأرصاد ابن يونس نفسه عن الخسوف والكسوف، واقتران الكواكب. وكان هدف ابن يونس من تأليف كتابه هو تصحيح أرصاد وأقوال الفلكيين الذين سبقوه وتتميمها.

## ١٠٠٩ م. وفاة ابن الجزار.

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني، ابن الجزار المعروف عند اللاتين باسم Algizar وهو طبيب عربي مسلم عاش في القيروان بتونس في القرن العاشر الميلادي، وتوفي عام ١٠٠٩م عن سن تجاوزت ثمانين سنة. لا تتوافر معلومات كثيرة عن حياته وإسهاماته العلمية. ويكتفي معظم المؤرخين بالإشارة إلى مؤلفاته. إلا أن "زغريد هونكة" تذكر أنه كان كثيراً ما يصاحب السفن العربية التي تذهب من تونس إلى الشواطئ الأوربية ويعمل كطبيب على ظهرها.

**إسهاماته العلمية.**

وصف ابن الجزار في كتبه أسباب الأمراض التي قد تصيب المرء في رحلة ما، وعوارض هذه الأمراض، وطرق علاجها. كما قدم وصفاً دقيقاً لمرضي الجذري والحصبة، ومعلومات جيدة عن الأمراض الباطنية، و تعرض لأنواع الحمى، وكتب عن الأوبئة.

**مؤلفاته.**

**لابن الجزار تصانيف طبية كثيرة، نذكر منها.**

- "زاد المسافر". وهو أشهر كتب ابن الجزار في الطب، ترجمه قسطنطين الإفريقي إلى اللاتينية، كما ترجم إلى اليونانية والعبرية. وقد كانت للكتاب شهرة واسعة بين أطباء القرون الوسطى، وظل يدرس في الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر. وتوجد نسخ مخطوطة من هذا الكتاب في عدد من المكتبات عبر العالم.

- " كتاب الاعتماد". وهو كتاب في الأدوية ألفه ابن الجزار لأحد ملوك الفـاطميين بإفريقية، وتوجد مخطوطات منه في الجزائر واستنبول.
- "طب الفقراء والمساكين". وهو رسالة مخطوطة توجد في المتحف العراقي.
- " أسباب الوباء بمصر والحيلة في دفعه".

## ١٠١٠ م. وفاة ابو سهل الجرجانى.

ابو سهل عيسى بن يحيى الجرجاني المسيحي. فيلسوف وطبيب خراسـاني مـسيحي. توفي ١٠١٠ م. نشأ في جرجان، وتعلم الطب والفلسفة في بغـداد ودرسـها فـي خراسـان وخوارزم. وقد طبب سلطان خراسان، ومن بين من تتلمذوا على يديه البيروني وابـن سـينا. وقد توفي الجرجاني في سفر له عبر الصحراء إذ اهلكته زوبعة رملية، وقيل ان عمره لم يكن قد تجاوز اربعين عاما. ويشتهر الجرجاني بكتابه الموسوعي (المائة في الطب) الذي وصـف ابن التلميذ مؤلفه بأنه « كثير التحقيق، قليل التكرار، واضح العبـارة، منتخـب العـلاج ». وللجرجاني ايضا (اظهار حكمة الله في خلق الانسان) و (كتاب تـدبير الرؤيـا)، واختـصار لكتاب (المجسطي) ومقالات في الجدري والوباء والطب الكلي.َ

## ١٠١٠ م. وفاة على بن عيسى الكحال.

عاش في بغداد خلال القرن العاشر، واشتهر فيها بصنعة الكحالة أي معالجة أمـراض العين، وهو اختصاص برز وبرع فيه العرب، وقصده الناس من كل حدب وصـوب. وألـف كتاباً بعنوان تذكرة الكحالين، ويعد من أفضل ما ألف في هذا الموضوع في ذلك الزمان، حتى إنه ترجم إلى اللاتينية. وله كتاب في منافع الحيوان. ويعتبره بعض المستشرقين مـن أكبـر أطباء العيون الذين أنجبتهم العصور الوسطى.

وتتألف تذكرة الكحالين من ثلاث مقالات. الأولى في حد العين وتـشريحها وطبقاتهـا ورطوباتها وأعصابها وعضلاتها، والثانية في عدد أمراضـها الظـاهرة للحـس وأسـبابها وعلاماتها وعلاجاتها، والثالثة في أمراضها الخفية عن الحس وعلاماتها. ويذكر أنـه اعتمـد على كتب جالينوس وحنين ابن إسحق وغيرهم. وكان مسيحياً رغم أن اسمه علي.

## ١٠١٢ م. وفاة ابن الفرضىك

وهو عبدالله بن محمد بن يوسف، المعروف بابن الفرضى، وكان حافظاً متقناً عالماً، ذا حظ وافر من الأدب صاحب كتاب " تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، وكان أديباً شاعراً مجيداً، ويقول عنه ابن خاقان صاحب مطمح الأنفس.

" كان حافظاً عالماً كلفاً بالرواية رحل في طلبهما، وتبحر في المعارف بسببها، مع حظ وافر من الأدب كثير، واختصاص بنظم منه ونثير" ودرس ابن الفرضى في القيروان والقاهرة ومكة والمدنية، واستشهد في داره على يد البربر.

- ١٠١٣ م. وفاة الأديب الكبير أحمد بن الحسين، المعروف ببديع الزمان الهمذاني، ولد في همذان، وتعلم بها، واستقر في هراة، واشتهر بفن المقامات الذي أنـشأه، وبرسائله البديعة
- ١٠١٤ م. وفاة الحاكم النيسابوري، أحد أئمة الحديث في القرن الرابع الهجـري، وصاحب كتاب المستدرك على الصحيحين.

**١٠١٨ م. مولد الوزير أبي يعلى الحسن بن علي بن إسحاق، المعروف بنظـام الملك، أحد مشاهير الوزراء في الدولة السلجوقية، ومن عظمـاء الرجـال فـي التاريخ الإسلامي، ارتبط اسمه بالمدارس التـي أنـشأها، وعرفـت بالمـدارس النظامية.**

قامت دولة السلاجقة في إيران والعراق في القرن الخامس الهجري على يد طغرل بك، وأعادت للخلافة العباسية بعض هيبتها المفقودة، وأرجعت لها جزءا من نفوذها الغابر، وكـان السلاجقة يرون في الخلافة السنّية رمزا دينيا يعبر عن وحدة المسلمين، فأحاطوهـا بمظـاهر التقدير والتكريم.

وبعد وفاة طغرل بك في (سنة ٤٥٥ هـ= ١٠٦٣م) تولى ألب أرسلان ابن أخيه حكـم السلاجقة، وكان قبل أن يتولى السلطنة يحكم خراسان وما وراء النهر، ويعاونه وزيـره أبـو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي، المشهور بنظام الملك.

## بداية ظهور الوزير.

لا تذكر المصادر التاريخية كثيرا عن الحياة الأولى للوزير النابه ونشأته، وليس هنـاك شك في أنه تلقى تعليما طيبا، حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية، وألم بالفقه والحـديث، ودرس الآداب التي تتعلق بأمور السلطنة، وإلى جانب ذلك تحلى بالفطنة والـذكاء والحكمـة والعقل، والقدرة على تصريف الأمور، والكياسة وحسن السياسة، وكلها مؤهلات لازمة لمـن يتطلع إلى الاتصال بالسلاطين، وتولي المناصب العليا.

اتصل نظام الملك بداود بن ميكال بن سلجوق أخي السلطان طغرل بك، وكـان يحكـم خراسان، فلما عمل معه أعجب داود بكفاءته وإخلاصه، وألحقه بحاشية ابنه ألـب أرسـلان، وقال له. "اتخذه والدا، ولا تخالفه فيما يشير به".

## تولي الوزارة.

ولما توفي طغرل بك أجلس وزيره "عميد الملك الكندري" على عرش السلطنة سـليمان بن داود ابن أخي السلطان، وولي عهده، وكان طفلا صغيرا لا يتجاوز أربعـة أعـوام، ولـم يرض الناس بذلك فالتفوا حول ألب أرسلان، وكان قائدا شابا وسياسيا بارعـا، تـوفرت فيـه صفات القيادة وتولي جسام الأمور، فنجح في دخول "الري" عاصمة الدولة ومعه وزيره نظام الملك وذلك في (ذي الحجة ٤٥٥ هـ= ديسمبر ١٠٦٣م) واستقبله الكنـدري وهنـأه علـى السلطنة، وهذا الوزير كان حكيما عاقلا، يتمتع بنفاذ البصيرة في الأمور، وبعد النظر، وحسن السياسة، مع رسوخ القدم في العلم والأدب، وكان من أسباب اتساع الدولة وازدهارها.

وعقب تولي ألب أرسلان السلطنة أقر "الكندري" على الوزارة وحاول الكنـدري مـن جانبه أن يكسب رضا السلطان؛ أملا في الاحتفاظ بالوزارة، لكن ذلك لم يدم طويلا، فـسرعان ما تغير عليه السلطان وأوجس منه خيفة، وكان لنظام الملك يد في هذا التغير والتحريض على عزلة من الوزارة، فأقدم السلطان على خلعه في (المحرم ٤٥٦ هـ= يناير ١٠٦٤م) وسجنه، ثم لم يلبث أن قتله بعد نحو عام.

وبعد عزل الكندري تولى نظام الملك الوزارة، ولم يكن وزيرا لامعا ومـدبرا للأمـور فحسب، بل كان راعيا للعلم والأدب، يحفل مجلسه بالعلماء والفقهاء والأدباء.

وظل نظام الملك يعمل مع ألب أرسلان تسعة أعوام ونصف عام وزيرا ومساعدا لـه، ازدهرت الدولة في أثنائها، وتوطدت دعائمها، وارتفع شأنها، واتـسعت حـدودها، وتوجـت جهودها بالانتصار على الروم البيزنطيين في معركة ملاذكـرد الخالـدة فـي (٤٦٣هـ =١٠٧٠م).

وبعد هذه المعركة لم يعش ألب أرسلان طويلا ليجني ثمار نصره، ويواصل فتوحاتـه؛ حيث توفي في (١٠ من ربيع الأول ٤٦٥هـ= أواخر نوفمبر ١٠٧٢م).

## نظام الملك وملكشاه.

ظهرت قوة الوزير نظام الملك واتساع نفوذه بعد وفاة ألب أرسلان، فوقف إلى جـوار ابنه الأكبر ملكشاه، وكان الصراع قد دب بين أفراد البيت الـسلجوقي، لكـن ملكـشاه كـان

أرجحهم كفة، وأقواهم نفوذًا، فضلا عن مؤازرة الوزير نظام الملك وتأييده له، فتولى السلطنة، وأسند الوزارة إلى نظام الملك حتى تستقر الأوضاع في الدولة.

كان السلطان الجديد في سن العشرين عندما تولى الحكم، في حين كان الـوزير نظـام الملك في الخامسة والخمسين من عمره، عالما ناضجا، صهرته التجارب والأيام، وخبر الحكام والسلاطين، وهو ما جعل السلطان الجديد يجلّه ويحترمه، ويخاطبه بكل تبجيل ويناديه بـالعم، ويلقي إليه بمقاليد الأمور، ويضع فيه ثقته، قائلاً له. "قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك، فأنت الوالد".

وأدت هذه العلاقة الوثيقة بين السلطان ووزيره النابه إلى ازدهار الدولة وبلوغهـا ذروة المجد فاتسعت حدودها حتى شمل سلطانها بلاد الشام وجزءا كبيرا من بلاد الـروم، ومـدت نفوذها إلى كرمان ومنطقة آسيا الصغرى، فأصبحت دولة مترامية الأطراف تمتد من حـدود الهند والصين شرقًا إلى البحر المتوسط غربا، ومن البحر الأسود شمالا إلى الخلـيج جنوبـا، وصارت أكبر قوة في العالم آنذاك.

## المدارس النظامية.

بلغت الوزارة أعلى درجاتها في الفترة التي تولاها نظام الملك في الدولة السلجوقية؛ فقد كان نافذ الكلمة في كل الأمور، يسيطر على الجيش والولاة، وكان عالما أريبا له كتاب عظيم في سياسة الملك، اسمه. "سياست نامه" أي كتاب السياسة، ضمنه أفضل النظم لحكم الولايـات التي تتكون فيها الدولة، وتصريف الأمور، وسجل فيه أصول الحكم التي تؤدي إلى اسـتقرار البلاد، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية.

وأسدى الوزير للحضارة الإسلامية ما خلّد ذكره، وفاق كل أعماله فـي دنيـا الحكـم والسياسة، بإنشائه عددا من المدارس في أنحاء الدولة نسبت إليـه، فـسميت بـ ـ"المـدارس النظامية"، وهي تعد أول نوع من المؤسسات العلمية والمدارس التعليمية النظامية ظهـر فـي تاريخ الإسلام، وقد هيأ لطلابها أسباب العيش والتعليم. وقد خصصت المدارس النظامية لتعليم الفقه والحديث، وكان الطلاب يتناولون فيها الطعام، وتجري على كثير منهم رواتب شهرية.

ومن أهم المدارس التي أنشأها نظام الملك. المدرسة النظامية ببغداد التي بدئ في بنائها سنة (٤٥٧هـ= ١٠٦٥م)، وبلغ من اهتمام الخليفة العباسي بها أنه كان يعين الأسـاتذة فيهـا بنفسه، وكان يدرس فيها الفقه والحديث، وما يتصل بهما من علوم، وقد درس فيهـا مـشاهير الفكر والثقافة مثل حجة الإسلام أبي حامد الغزالي صاحب إحياء علوم الدين، في الوقت الذي كان يدرس في نظامية نيسابور إمام الحرمين "أبو المعالي الجويني".

وقد أسهمت هذه المدارس التي انتشرت في بغداد وأصفهان ونيسابور ومرو في تثبيـت قواعد المذهب السني والدفاع عنه ضد مختلف البدع والمذاهب المنحرفة التي انتشرت في ذلك الوقت. وقد بلغ ما ينفقه نظام الملك في كل سنة على أصحاب المدارس والفقهـاء والعلمـاء ثلاثمائة ألف دينار، فلما راجعه ملكشاه في هذا الأمر؛ قال له الوزير العالم. "قـد أعطـاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يعطه أحدا من خلقه، أفلا نعوضه عن ذلك في حملة دينـه وحفَظـة كتابه ثلاثمائة ألف دينار".

## نهاية نظام الملك.

كان نظام الملك بعد ما كبرت سنه يستعين بأبنائه وأقاربه في إدارة أقاليم الدولة، وكـان لهؤلاء نفوذ كبير في الدولة؛ استمدادا من نفوذ نظام الملك نفسه، وكان بعضهم يسيء استخدام السلطة ويستغل نفوذه في مآربه الخاصة، وهو ما أعطى الفرصة لحساد نظام الملك أن يفسدوا العلاقة بينه وبين السلطان ملكشاه، ونجحت مساعيهم في ذلك، حتى هم السلطان بعزله، لكنـه لم يجرؤ على تنفيذ هذا الأمر، فبعث إليه برسالة تحمل تهديده ووعيده، فما كـان مـن نظـام الملك إلا أن قال لمن حملوا له رسالة السلطان. "قولوا للسلطان. إن كنـت مـا علمـت أنـي شريكك في الملك فاعلم، فإنك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيري ورأيي، أما يذكر حينما قُتل أبوه، فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم...".

ثم لم يلبث أن قُتل الوزير نظام الملك في أصبهان في (١٠ من رمضان ٤٨٥ هـ= ١٤ من أكتوبر ١٠٩٢م) على يد أحد غلمان فرقة الباطنية المنحرفة المعروفة بالحشاشين، حيـث حين تقدم إليه وهو في ركب السلطان في صورة سائل أو زاهد، فلما اقترب منه أخرج سكينًا كان يخفيها وطعنه طعنات قاتلة، فسقط صريعا.. وكان نظام الملك شديد الحرب على المذاهب الهدامة وبخاصة مذهب الباطنية فأرادوا التخلص منه بالقتل.

وبعد وفاة نظام الملك بخمسة وثلاثين يوما توفي السلطان ملكشاه، في (١٥ من شـوال ٤٨٥هـ= ١٨ من نوفمبر ١٠٩٢م) فانطوت صفحة من أكثر صفحات التاريخ السلجوقي تألقًا وازدهارا.

## ١٠٢٣ م. دولة بنى عباد.

لما انهارت الخلافة الأموية بالأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري، انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة، وإمارات مستقلة، وأعلن كل أمير نفسه ملكا، ودخلت الأندلس في عصر جديد، عرف باسم "ملوك الطوائف"، وهو اسم صادق في مسماه، دالّ على ما كانـت تعانيـه البلاد من تمزق وانحلال، ولم يكن يربط بين ملوك دول الطوائف رباط المـودة، أو عـرى

الصداقة، أو وشائج المصلحة، وإنما نفخ الشيطان في روعهم؛ فهم في شقاق مستمر، يقاتل بعضهم بعضا، ينتزع القوي منهم ما في يد الضعيف، يستنصرون بالنصارى، ويحالفونهم ضد بعضهم دون وازع من دين أو ضمير.

وفي الوقت الذي تجري فيه أحوال ملوك الطوائف على هذا النحو من التفكك والضياع، كانت النصرانية في شمال الأندلس يتّحد ملوكها، وتزداد الروابط بينهم قوة ومتانة، ويجمعون أمرهم على هدف واحد، وتحقق لهم النصر في بعض المواطن، لا عن قوة منهم وحسن إعداد، وإنما عن ضعف ألم بالمسلمين، وفرق كلمتهم، وكان يحكم أسبانيا في هذه الفترة ملك طموح عالي الهمة هو "ألفونسو السادس" الذي نجح في توحيد مملكتي قشتالة وليون، وسيطر على الممالك المسيحية الشمالية، وهدد ملوك الطوائف، وألقى الفزع في قلوبهم؛ فراحوا يتوددون إليه، ويدفعون له الجزية عن يد وهم صاغرون.

## بنو عباد في إشبيلية.

قامت دولة بني عباد في إشبيلية على يد القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، وكان رجلا طموحا؛ فتطلعت أنظاره إلى جيرانه المسلمين، وانتزع ما في أيديهم، فاشتبك أبو القاسم –ومن بعده ولده أبو عمرو عباد، الملقب بالمعتمد بالله (٤٣٣- ٤٦١هـ = ١٠٤١ –

١٠٦٨م)- في سلسلة من الحروب الطاحنة مع أمراء غرناطة ومالقة وقرطبة وإمارات ولاية الغرب، انتهت باستيلاء بني عباد على قرطبة وقرمونة وإستجة ورنـدة ومـا حولهـا مـن الأراضي، وعلى لبلة وشلب وباجة في غرب الأندلس، واتسعت بذلك مملكة إشبيلية، وغـدت أعظم قوة في جنوب الأندلس.

## المعتمد بن عباد.

كان المعتمد بن عباد حين آل إليه حكم إشبيلية سنة (٤٦١ هـ = ١٠٦٨م)، في الثلاثين من عمره، شابا فتيا، فارسا، شجاعا، شاعرا مجيدا، وأميرا جوادا، ذا خِـلال بـاهرة، يحـب الأدب ومسامرة أهله؛ فاجتمع في بلاطه نجوم ساطعة من أرباب ونوابغ القصيد من أمثال أبي بكر بن عمار، وابن زيدون، وابن اللبانة، وابن حمديس الصقلي، وكما كان المعتمـد شـاعرا مجيدا، كانت زوجته اعتماد الرميكية شاعرة كذلك، تجمع إلى جمالها الفاتن البراعة في الشعر والأدب، وكانت إشبيلية حاضرة دولته آية في الروعة والبهاء، تزدان بقصور بني عباد وقواده وكبار رجال دولته.

غير أن المعتمد بن عباد سلك في سبيل تحقيق أطماعه وطموحاته مسلك أبيه وجده من ممالأة ألفونسو السادس ملك قشتالة على حساب إخوانه المسلمين، ولم يجد في نفسه غضاضة، وهو يقوم بدفع الجزية للملك القشتالي.

**مدينة طليطلة**

وكان من ثمار هذه السياسة المتخاذلة التـي اتبعها المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائـف أن سقطت طليطلة بعد حصار قصيرة فـي غـرة صفر سنة (٤٧٨ هـ = ٢٥ من مايو ١٠٨٥م) في أيدي القشتاليين، وكان لسقوطها دوي هائل، وحزن عميق في العالم الإسلامي، ولم يكن سقوطها لعجز في المقاومة، أو ضعف في الدفاع، أو قلة في العتاد؛ بل سقطت لضياع خُلق النجدة والإغاثة، وضياع شِيم المروءة والأخوة، تركها جيرانها من الممالك الإسلامية وهي تسقط دون أن يمـد لها أحد يدا، أو تهب قوة لنجدتها.

## صحوة ملوك الطوائف.

شجعت مواقف ملوك الطوائف المخزية، وعدواتهم لبعضهم البعض، وأثرتهم، وغلبـة مصالحهم الذاتية على مصالح أمتهم أن يقوم "ألفونسو" -وقد ملأ الزهـو والإعجـاب نفـسه، واستهان بملوك المسلمين- بالتهام حواضر الأندلس الأخرى؛ فراح يهدد سرقـسطة وإشـبيلية وبطليوس وغيرها، وأخذت قواته تجتاح أراضي المـسلمين، وتخـرب مـدنهم ومـروجهم، واستيقظ ملوك الطوائف على حقيقة مروعة ونهاية محتومة ما لم يتداركوا أمـرهم، وتتحـد كلمتهم على سواء؛ فسقوط طليطلة ليس عنهم ببعيد، وأدرك المعتمد بن عباد أنه أشـد ملـوك الطوائف مسئولية عما حدث؛ فكان بمقدوره نجدة طليطلة، ومد يد العون إليها، ولكنه لم يفعل؛ فقد غلتْ يده معاهدةٌ مخزية عقدها مع ألفونسو، بمقتضاها يتعهد ملك قشتالة بمعاونة المعتمـد ضد جيرانه المسلمين، وفي مقابل ذلك يتعهد المعتمد بأن يؤدي الجزية لملك قشتالة، وأن يطلق يده في أعماله العسكرية ضد طليطلة، دون أن يتدخل لمساعدتها، ولما سقطت طليطلـة بـدأ ألفونسو السادس -وكان لا خلاق له- يشتد في مطالبه المالية، ويشتد فـي معاملـة المعتمـد، ويتعمد إهانته؛ بل كاتبه بأن يسلم إليه بلاده وينذره بسوء المصير، وقـرن تهديـده بالعمـل؛ فاجتاحت قواته بلاد المعتمد بن عباد، وخربت مدنها وقُراها.

## الاستعانة بالمرابطين.

لم تكن قوى ملوك الطوائف تكفي لدفع خطر ألفونسو، وحماية أنفسهم مـن هجماتـه؛ فتطلعت أبصارهم إلى الضفة الغربية من البحر المتوسط؛ حيث دولة المرابطين، وكانت دولة قوية، بسطت نفوذها بالمغرب، واشتهر سلطانها "يوسف بن تاشفين" بحبـه للجهـاد وإقامـة حكومة على العدل والقسطاس، وكان للمعتمد بن عباد يد طولى في الاستعانة بالمرابطين فـي جهادهم ضد القشتاليين، بعد أن أبدى بعض ملوك الطوائف تخوفهم من أن يطمع المرابطـون في بلادهم، وأظهروا ترددا في فكرة الاستنصار بهم، وكادت الفتنة تستطير لولا أن أخمـدها المعتمد بكلمته المأثورة التي سادت في التاريخ. "رعي الإبل خير من رعي الخنازير"؛ يريـد بذلك أنه يفضل أن يكون أسيرا لدى أمير المرابطين يرعى إبله خير من أن يكون أسيرا لـدى ملك قشتالة.

## معركة الزلاقة.

استجاب يوسف بن تاشفين لنداء أمراء الأندلس، فعبر إليهم بقوات ضـخمة، وسـارت قوى الإسلام المتحدة إلى قتال ألفونسو الذي كان مشغولا بمحاربة ابن هود أميـر سرقـسطة؛ فلما علم بنبأ هذه الحشود ترك محاربة ابن هود، وجمع جندا من سائر الممالك النصرانية للقاء

الجيوش الإسلامية، والتقى الفريقان في سهل الزلاقة بالقرب من بطليموس في معركة هائلـة في (١٢ من رجب ٤٧٩هـ = ٢٣ من أكتوبر ١٩٨٦م) ثبت فيها المسلمون، وأبلـوا بـلاء حسنا، وانتهت المعركة بانتصار عظيم، عد من أيام الإسلام المشهودة، وقتل معظـم الجـيش القشتالي، ومن نجا منهم وقع أسيرا، وهرب ألفونسو بصعوبة بالغة في نفر قليل مـن رجالـه جريحا ذليلا.

## سقوط دول الطوائف.

شاهد أمير المرابطين عند نزوله الأندلس ما عليه أمراؤها من فُرقة وتنابذ وميـل إلـى اللهو والترف ورغبة في الدعة، وانصرافهم عن الجهاد والعمل الجاد، وإهمال للرعية وتقاعس عن حماية الدين والوطن من خطر النصارى المتصاعد، فعزم على إقالـة هـؤلاء الأمـراء المترفين المنشغلين بأنفسهم عن مصالح أمتهم، وعزز من هذه الرغبة فتاوى كبار الفقهاء من المغرب والأندلس بوجوب خلع ملوك الطوائف؛ حماية للدين ووقوفا ضد أطماع القـشتاليين، وكان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وأبو بكر الطرطوشي على رأس القائلين بهذه الفتوى.

عبر يوسف بن تاشفين بجيش ضخم إلى الأندلس للمرة الثالثة لهذا الغرض الذي عـزم عليه في سنة (٤٨٣هـ ١٠٩٠م)، وكان قد عبر إليها قبل ذلك في سنة (٤٨١هـ = ١٠٨٨م)، ولكنه لم يقم بغزوات ذات شأن، وازداد سخطا لما بدا من تقصير أمراء الطوائف في نصرته، وفي هذه المرة اتجه يوسف بن تاشفين إلى طليطلة، واجتاح في طريقه أراضي قشتالة دون أن يتقدم أحد من ملوك الطوائف لنصرته بعد أن توجسوا منه خيفة، وأدركوا ما عزم عليه، وكان أمير المرابطين يرغب في استعادة طليطلة، ولكنه لم يوفق نظرا لمناعتها، وقوة أسوارها، فعاد إلى إشبيلية وفي نيته أن يستخلصها هي وغيرها من مدن الأنـدلس وحواضـرها، وازدادت عزيمته إصرارا على تنفيذ ما وقر في قلبه بسبب ما ترامى إليه من عودة ملوك الطوائف إلى عقد اتفاقيات سرية مع ملك قشتالة، يتعهدون فيها بالامتناع عن معاونة المـرابطين، واسـتهل يوسف بن تاشفين حملته الظافرة بالاستيلاء على غرناطة، ودخلهـا فـي (١٠ مـن رجـب ٤٨٣هـ = سبتمبر ١٠٩٠م)، وقبض على أميرها عبد الملك بن ملكين، وبعث به سجينا إلـى أغمات بالمغرب.

## سقوط إشبيلية.

بعث أمير المرابطين بجيوشه لفتح مدن الأندلس واحدة بعد أخرى، وأرسل قائده الفـاتح "سيرين" إلى إشبيلية لفتحها، وأدرك المعتمد أن معركته مع المرابطين هي معركـة وجـوده؛ فتهيأ لها، واستعد، وتأهب للدفاع عن ملكه وسلطانه بكل ما أوتي من قوة، واسـتعان بحليفـه

ألفونسو، فأعانه وأمده بجيش كبير، ولكن المرابطين هزموه على مقربة من قرطبة، وامتنـع المعتمد بن عباد بإشبيلية حاضرة مملكته.

وفي أثناء حصاره تساقطت مدن مملكته في أيدي المرابطين واحدة بعد أخرى؛ فسقطت قرطبة، وقُتل فيها "الفتح بن المعتمد" مدافعا عنها، ثم سقطت رندة، وقُتل ولده "يزيد الراضـي بالله" بعد أسره، وظل المعتمد يدافع عن حاضرته حتى اقتحم المرابطون إشبيلية عنوة، فخرج يقاتلهم عند باب قصره غير وجِلٍ ولا هياب، ولكن ذلك لم يدفع عنـه شـيئا، ووقـع أسـيرا واستولى المرابطون على إشبيلية في (٢٢ من رجب ٤٨٤ هـ = ٧ من سبتمبر ١٠٩١م).

## المعتمد بن عباد في المنفى.

أمر قائد المرابطين بحمل المعتمد بن عباد وآل بيته إلى منفاهم بالمغرب، وسارت بهـم السفينة من إشبيلية في نهر الوادي الكبير في طريقها إلى المغرب، وخرج النـاس لتـوديعهم محتشدين على ضفتي النهر، وقد ملأ الدمع أعينهم، وذابت قلوبهم حسرة وألما علـى ملكهـم الذي أدبرت عنه الدنيا؛ فخرج هو وأسرته على هذه الصورة المخزية بعد الجـاه والـسلطان، وقد سجل الشاعر الأندلسي الكبير ابن اللبانة هذا المشهد الحزين بقصيدة مبكية جاء فيها.

**حان الوداع فضجت كل صارخة**

**وصارخٍ من مفداة ومن فادِي**

**سارت سفائنُهم والنوح يتبعها**

**كأنها إبل يحدو بها الحادي**

**كم سال في الماء من دمع وكم حملت**

**تلك القطائع من قطعاتِ أكبادِ**

وبعد أن وصلت السفينة إلى المغرب أقام المعتمد وأسرته أياما في طنجة، ثم أُخذوا بعد ذلك إلى مكناسة، وقضوا هناك أشهرا قبل أن يرحلوا إلى منفاهم إلى أغمات، وهـي مدينـة صغيرة تقع على مقربة من مراكش عاصمة دولة المرابطين، وكان قد سبق المعتمد إلى هـذا المنفى "عبد الله بن بلكين" أمير غرناطة.

وفي أغمات عاش المعتمد كاسف البال، كسير القلب، يعامل معاملة سيئة، ويتجرع مـر الهوان، ليس بجانبه من يخفف عنه مأساته، ويطارحه الحديث؛ فتأنس نفسه وتهدأ. ينظر إلـى بناته الأقمار؛ فيشقيه أنهن يغزلن ليحصلن على القوت، ولكنه كان يتجلد ويتـذرع بالـصبر، ويلجأ إلى شعره، فينفس عن نفسه بقصائد مشجية مؤثرة. تدخل عليه بناته السجن فـي يـوم

عيد، فلما رآهن في ثياب رثة، تبدو عليهن آثار الفقر والفاقة؛ انسابت قريحته بـشعر شـجي حزين.

**فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا**

**فساءك العيد في أغمات مأسورا**

**ترى بناتك في الأطمار جائعة**

**يغزلْن للناس لا يملكْن قِطميرا**

**برزن نحوك للتسليمِ خاشعةً**

**أبصارهن حسيراتٍ مكاسيرا**

**يطأْن في الطين والأقدام حافية**

**كأنها لم تطأْ مسكا وكافورا**

واشتدت وطأة الأسر على اعتماد الرميكية زوجة المعتمد، ولم تقو طويلا على مغالبـة المحنة؛ فتُوفيت قبل زوجها، ودفنت بأغمات على مقربة من سجن زوجها.

وطال أسر المعتمد وسجنه فبلغ نحو أربع سنوات حتى أنقذه الموت من هوان الـسجن وذل السجان؛ فلقي ربه في (١١ من شوال ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥م) ودفن إلى جانب زوجته.

## ١٠٢٤ م. مولد السجزى.

احمد بن محمد عبد الجليل. رياضي ومهندس عراقي. توفي ١٠٢٤م. عاصر البيروني وتتلمذ عليه، ونبغ في المسائل الرياضية والهندسية. وله مخطوطة باسم (كتاب عمل المـسبع في الدائرة، وقسمة الزاوية المستقيمة الخطين بثلاثة اقسام متساوية).

- ١٠٢٦ م. وفاة المعز بن باديس، السلطان الرابع في سلسلة سلاطين دولـة بنـي زيري بالمغرب، اشتهر برجاحة العقل وحسن السياسة، وفي عهده ألغي المـذهب الشيعي، وخلع طاعة الفاطميين، ودعا للعباسيين، وقد دام حكمه ٤٧ سنة.

## ١٠٢٦ م. مولد اللغوى صاعد البغدادى.

وهو صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي، يكنى. أبا العلاء.وقـد ورد من المشرق إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم وولاية المنصور بن أبي عامر وكان عالمـا باللغة والآداب والأخبار وسرعان ما استطاع أن يلفت إليه إنتباه أقوى حاجب هناك بمعلوماته في التاريخ واللغة وسرعة بديهته وتفننه في الإرتجال. وأصبح شاعر البلاد، وكـان يرافـق

المنصور في رحلاته، وكان على كثير من العلم والرواية والبصر بالـشعر والأدب العربـي، سريع الجواب، حسن الشعر، فكه المجالسة ممتعاً

وقد كان كتاب " الفصوص " الذي ألفه، ذا أثر كبير في تغذيـة الدراسـات اللغويـة والأدبية بالأندلس، وقدمه للمنصور العامرى، الذى أمر لفرط إعجابه بهذا الكتاب صـاعداً أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة، وكان صاعداً يعمل بالتدريس، وقد إبتدع طريقة جديدة لتدريس شعر الجاهلية يغلب عليها الطابع التدريبي، وكانت هذه الطريقة تقـوم علـى أسـاس قراءة التلميذ لشعره، ويقوم المعلم بسؤاله عن معنى الكلمات وعلى الطالب أن يـشرحها مـن واقع ملخصاته التي نقها من المعاجم العربية, وعانى صاعدا بعد ذلك من صروف الزمن إلى أن ألقت به عصا التسيار بعيداً إلى صقلية حيث مات بها

## ١٠٢٤ م (٤١٨ هـ). وفاة أبو إسحاق الإسفراييني.

أبو إسحاق الإسفراييني وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عـالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسـفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحـل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي. ألف في علم الكلام (*) كتابه الكبير، الذي سماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين. قال ابن خلكان. رأيتـه فـي خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني في يوم عاشـوراء سـنة عـشرة وأربعمائـة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

## ١٠٢٨ م. مولد إمام الحرمين أبو المعالي الجويني.

إمام الحرمين أبو المعالي الجويني. (٤١٩ـ٤٧٨هـ) (١٠٢٨ـ١٠٨٥م). وهـو عبـد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلد جوين (من نـواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينـة المنـورة فأفتى ودرس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكـان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مـزاحم ولا مـدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجـع إلـى مـذهب السلف. وقد قال في رسالته. النظامية والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة إتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة ... ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه غياث الأمـم في التياث الظلم، فبالرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي فقـد قـال فيه." والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمـع عامـة

الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضـي الله عنهم ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات ... ".

نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه. "يا أصحابنا لا تـشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به". توفي رحمه الله بنيسابور وكـان تلامذته يومئذ أربعمائة. ومن مصنفاته. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان فـي أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين.

## ١٠٢٩ م. مولد الزرقالى.

الزرقالي من أعظم راصدي الفلك في عصره، وواحد زمانه في علم العدد، والرصـد، وعلم الأبراج. وهو فلكي عربي مسلم أندلسي من مدينة طليطلة، قام بأكثر أرصاده بهـا، ثـم انتقل منها إلى قرطبة وبقي فيها حتى وفاته.

واسمه الكامل هو إبراهيم بن يحيى النقاش، المعروف بـابن الزرقالـة أو الزرقـالي. ويعرف في اللاتينية باسم Arzachel.

## إسهاماته العلمية.

اخترع الزرقالي نوعاً جديداً من الأسطرلاب معروف باسم "الصفيحة الزرقاليـة" التـي حظيت بأهمية كبيرة. وقد دخلت هذه الصفيحة إلى مجال علم الفلك تحت اسم " الأسـطرلاب الزرقالي"، وفي القرن الخامس عشر، نشر راجيومونتانوس مخطوطاً يبين فيه مجمل فوائدها. و هو من الأوائل الذين أثبتوا حركة أوج الشمس بالنسبة للنجوم، ووجد أنها تصل إلى ٠٤,١٢ دقيقة في السنة (والقيمة الحقيقية هي ٨,١١ دقيقة).

كما وضع الزرقالي جداول عن الكواكب، وهي المعروفة بالزيج الطليطلي، بناء علـى أرصاده التي قام بها في مدينة طليطلة من ١٠٦١إلى ١٠٨٠م.

وصحح الزرقالي المعلومات الجغرافية لبطليموس والخوارزمي. فقد وجـد أن طـول البحر الأبيض المتوسط هو ٤٢ درجة وليس ٦٢ درجة كما قال بطليموس.

وتقول هونكة أثناء حديثها عن تأثير علماء الفلك العرب على الغـرب، بـأن أعمـال الزرقالي حظيت عند الغربيين بأهمية كبيرة، ففي القرن الثاني عشر ترجم جيرار الكريمـوني أعمال الزرقالي إلى اللاتينية، وفي القرن الخامس عشر، ألف راجيومونتانيوس كتاباً عن فوائد الصفيحة الزرقالية، وفي عام ١٥٣٠م كتب العالم البافاري يعقوب تسيجلرJacob Ziegler تعليقاً على كتاب الزرقالي، وفي عام ١٥٣٠م ذكر كوبرنيك اسمي الزرقـالي والبتـاني فـي

كتابه. "دوران الأجرام الـسماوية" (Clestium Orbium 1 Revolutionibus de)، واقتبس من آرائهما.

**مؤلفاته.**

**ذكر الزركلي من كتب الزرقالي المصنفات التالية.**

- "العمل بالصفيحة الزيجية" ؛
- "التدبير" ؛
- "المدخل في علم النجوم" ؛
- "رسالة في طريقة استخدام الصفيحة المشتركة لجميع العروض".

كان لمؤلفات الزرقالي تأثير كبير على الفلكيين الإسبان الذين وضعوا الزيج المعـروف باسم "ألفونسية" نسبة إلى ألفونس ملك قشتالة، الذي أمر بعد ٢٠٠ سنة على وفـاة الزرقـالي، بترجمة كل آثاره إلى اللغة المحلية في قشتالة

- ١٠٣٠ م. سقوط الخلافة الاموية فى الاندلس وبد عصر ملوك الطوائف

## ١٠٣٠ م. وفاة مسكويه.

أو ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب الملقب احيانـا بالخـازن. مـؤرخ وطبيب وفيلسوف فارسي. توفي عام ١٠٣٠م. ولد في الري، ودرس الفلسفة والطب والكيمياء القديمة. كان مجوسيا واسلم. خدم عضد الدولة، ورأس خزانة كتبه، وكـان ايـضا صـاحب الحظوة عند الوزير المهلبي. ومسكويه من الفلاسفة الارسطيين الاخلاقيين الذين تبعوا ارسطو وحاولوا التوفيق بين فلسفته وتعاليم الاسلام. وقد رفع مسكويه من شأن الاخـلاق، وقـال ان الفلسفة لا تبدأ بالمنطق وانما بالاخلاق، وان سعادة الانسان هي في ان يبلغ كمالـه الانـساني بسلوك الفضيلة.َ

ويشتهر مسكويه بمؤلفه (تجارب الامم وتعاقب الهمم)، وهو مؤلف تاريخي اجتمـاعي عن العصر العباسي، وفيه اخبار الامم، وسير الملوك والوزراء، واهم احداث الاقطار حتـى عام ٨٨٥م، مع اخبار اجتماعية واقتصادية، وقد ذيله الوزير ابو شجاع، ثم هـلال الـصابئ حتى عام ١٠٠٢ م.َ

ولمسكويه كذلك (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق)، وهو كتاب اخلاقي في ٧ مقـالات يتألف بعضها من عدة ابواب، ويتناول النفس ومراتب القوى، والخيـر والـسعادة، والـسعادة

والفضائل، واتحاد الناس، ثم امراض النفس الانسانية. وله كذلك (آداب العرب والفـرس)، و (الحكمة الخالدة)، و (الفوز الصغير في الطب النفسي)، و (الادوية المفردة)، و (الاشربة).

- ١٠٣٠ م. وفاة السلطان محمود الغزنوي مؤسس الدولة الغزنوية، وفاتح الهند في القرن الخامس الهجري

## ١٠٣٥ م. وفاة احمد بن عبد الله بن الصفار.

أحمد بن عبد الله بن عمر بن الصفار يكنى بأبي القاسم ويلقب بالأندلسي. عالم رياضي وفلكي اشتهر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. ولد بمدينة قرطبة ولكنـه خرج منها بسبب الفتن والقلاقل فهاجر إلى مدينة دانية الأندلسية وبقي هنـاك حتـى وفاتـه . درس ابن الصفار منذ صغره العلوم الأساسية في عصره، ثم انكب على الرياضـيات فـدرس أصول هندسة إقليدس دراسة مفصلة لكي يتمكن من فهم هذا العلم الحيوي الذي اعتبـره أهـم فروع العلوم الرياضية. فنبغ في هذا العلم وصار يسمى المهندس للمكانة التي احتلها في هـذا المجال .

عمل ابن الصفار في وظيفة التدريس التي وهب لها حياته. فحاز خلال حياتـه العمليـة على شهرة عظيمة بطرق تدريسه لكل من علم الحساب والهندسة والفلك. فكان طـلاب العلـم يأتون من كل فج لكي يتتلمذوا على يده كما أنه تميز عن غيره بالتواضع والمثالية فكان مثـال العالم الذي جمع بين العلم والأخلاق .

وفي المجال العملي أعطى ابن الصفار علم الفلك عناية كبيرة حتى عد من كبار علماء الفلك وله في ذلك نتاج عظيم، فقد كان من المغرمين في رصد حركات النجـوم والأجـرام السماوية وتظهر ملامح تمكنه في حقل علم الفلك في زيجه الذي كتبه على طريقة الـسندهند والذي صار من أهم مصادر المعلومات في علم الفلك للباحثين .

وتظهر شهرة ابن الصفار في طريقة استخدام الأسطرلاب حيث رأى أن يـدون أفكـاره ومرئياته في هذا المضمار في كتاب سماه كتاب العمل بالأسطرلاب وهذا الكتاب يمتـاز عـن غيره في حسن العبارة وقرب المأخذ. ولشدة ولعه بصنعة الأسطرلاب علم ابن الصفار أخـاه الأصغر محمدا صنع الأسطرلاب وآلات الرصد الأخرى، ونال شهرة عظيمة في الأندلس في صنع الأسطرلابات لم ينلها أحد قبله من أصحاب المهن في هذا الحقل. وسبب ذلـك أن ابـن الصفار كان يشرح لأخيه القواعد الأساسية ويرسم له الصورة الحقيقية للأسطرلاب الممتـاز . ترك ابن الصفار عددا من التلاميذ الذين اشتهروا عبر الحضارة الإسلامية. كان منهم مـسلمة بن أحمد المجريطي الذي لمع في كل من الكيمياء والفلك والرياضيات، وكذلك العالم محمد بن

خيرة العطار الذي تفنن في كل من علم الهندسة والحساب والفرائض والفلك، وأبـو الأصـبغ عيسى بن أحمد الواسطي أحد المشه ورين في كل من علم الحساب والهندسة والفرائض والفلك وغيرهم.

- ١٠٣٦ م. ولاية السلطان السلوجوقي "ألب أرسلان"، بعد وفـاة عمـه الـسلطان "طغرل بك" المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة، ويعد ألب أرسلان من كبار رجـال التاريخ، وصاحب الانتصار الخالد على الروم في معركة "ملاذ كرد

## ١٠٣٦ م. قيام دولة بنى ذى النون فى طليطلة.

كانت طليطلة من كبرى دول الطوائف رقعة ومساحة، وتحتل موقعا حربيا هاما؛ حيـث تقع على مشارف الأندلس الشمالية الوسطى، وعرفت منذ قيام الدولـة الإسـلامية بالأنـدلس بالثغر الأوسط؛ نظرا لمتاخمتها حدود الممالك الأسبانية النصرانية، وعدت بذلك حاجز الدولة الإسلامية الشمالي الأوسط ضد عدوان النصارى.

وقامت في هذه المنطقة بعد سقوط الخلافة الأموية دولة "بني ذي نـون" حيـث تـولى إسماعيل بن ذي نون حكم طليطلة سنة (٤٢٧هـ= ١٠٣٦م) لكنه لم يمكث في الحكم إلا قليلاً؛ إذ توفي في سنة (٤٣٥هـ= ١٠٤٣م) وخلفه ابنه يحيى بن إسماعيل، وتلقب بالمأمون.

## الاستعانة بالقشتاليين.

وقد استطال مدة حكم "المأمون بن ذي النون" ثلاثة وثلاثين عاما، أنفق معظمهـا فـي حروب داخلية مع منافسيه من ملوك الطوائف، واستهل صراعه مع "ابن هود" صاحب مملكة "سرقسطة"، وهو جاره من الناحية الشمالية الشرقية، واستعان كل منهما في صـراعه علـى توسيع رقعة مملكته ودولته بقشتالة ونافار الإمارتين المسيحيتين، بدلاً من أن يقفا معـا سـدا منيعا في وجههما.

استباح النصارى أراضي المملكتين المسلمتين، بمساعي ابن هـود وابـن ذي النـون الذميمة، وساءت أحوال المسلمين بعد أن عاث النصارى في أرضهم فسادا، وتحركت مساعي الصلح بين الأميرين المسلمين، فتظاهرا بالرغبة في الصلح والمهادنة، ثم لم يلبثـا أن عـاودا القتال، كل واحد منهما يفسد أرض الآخر، وينزل بها الخراب والـدمار بمـساعدة حلفائـه، واستمرت هذه الفتنة بين الأميرين ثلاثة أعوام من سنة (٤٣٥ هـ= ١٠٤٣م) إلى آخر سـنة (٤٣٨ هـ= ١٠٤٦م)، ولم تتوقف هذه الحرب الوضعية إلا بوفاة ابن هود، وهدأت الأمور.

## صراع في مملكة قشتالة.

بعد أن استولى المأمون على إمارة بلنسية وضمها إلى دولته سنة (٤٥٧هـ= ١٠٦٥م) توفي في السنة نفسها فرناندو ملك قشتالة، وشب صراع بين أولاده الثلاثـة. "سانـشو" ملـك قشتالة، و"ألفونسو" ملك ليون، و"غرسيه" ملك جليقية، واشتعلت حرب أهلية استمرت أعوامـا، انتهت بانتصار "سانشو" سنة (٤٦٣هـ= ١٠٧١م) واغتصاب ملك أخويه، فلجأ "ألفونسو" إلى طليطلة طالبا حماية المأمون بن ذي النون، فأكرم ضيافته، وعاش لمدة أشهر معززا مكرمـا، حتى إذا توفي أخوه "سانشو" عاد إلى قشتالة ليتولى عرشها، وقد استغل هذا الأمير مدة إقامته في طليطلة في دراسة موقعها، ووضع الخطط التي تمكنه من الاستيلاء عليها إذا سنحت لـه الفرصة.. وهذا ما حدث بعد ذلك.

## ولاية حفيد المأمون.

توفي المأمون سنة (٤٦٧هـ= ١٠٧٥م) بعد أن نجح في بسط سلطانه على رقعة كبيرة من أرض الأندلس، وامتد حكمه ليشمل بلنسية وقرطبة، وقد خلفه حفيده "يحيى بن ذي النـون" وكان فتى مترفًا قليل الخبرة والتجارب، يساعده وزير محنك لـه بـصر بـالأمور ودرايـة بالسياسة، لكن بطانة السوء زينت ليحيى ضرورة القضاء عليه، والـتخلص منـه، بـدعوى استبداده بالأمر دونه، فمال إليهم، ونجحت مؤامرتهم في الفتك بالوزير الكـفء فـي أوائـل المحرم (٤٦٨ هـ= ١٠٧٦م).

جنى يحيى بن ذي النون نتائج سياسته الحمقاء، فتعرض لدسائس خـصومه بالـداخل، وغارات جيرانه بالخارج، فتعرضت طليطلة لغارات ابن هود صاحب سرقسطة، الذي كـان يستعين بالجند النصارى، وخلعت بلنسية طاعتها، واستقل بها حاكمها، واسترد المعتمد بن عباد قرطبة حاضرة ملكه.

التجأ يحيى إلى قشتالة يلتمس منها الصون والحماية، نتيجة عجزه عـن إدارة دولتـه، وضبط أمورها، وكان يحيى يعترف بطاعته لملك قشتالة ويدفع له الجزية، كما كان يفعل جده، ولكن ملك قشتالة غالى هذه المرة في طلباته، واشترط دفع مزيد من المال، وتـسليم بعـض الحصون القريبة من حدوده.. كل ذلك "ويحيى بن ذي النون" عاجز عن رده، حتـى كـادت خزائنه تنضب.

أدت هذه السياسة إلى اشتعال الثورة في طليطلة ضد حاكمها، فلاذ بالفرار هـو وأهلـه إلى حصن "وبذة" سنة (٤٧٣هـ= ١٠٨٠م)، تاركًا طليطلة بلا حكومة، تضطرم بالفوضـى، ولم يجد أهلها بدا من استدعاء "المتوكل بن الأفطسي" أمير بطليوس ليتولى أمرهم، فقبل على

كره منه، لكن يحيى عاود الاتصال مرة أخرى بملك قشتالة طالبا عونه فأجابه إلى طلبه، وخرج معه في سرية من فرسانه، وساعده في الجلوس على عرشه المضطرب سنة (٤٧٤ هـ= ١٠٨١م).

## أطماع ملك قشتالة.

كان ملك قشتالة قد أعد خطة ماكرة للاستيلاء على طليطلة، ساعده على تحقيقها تحالفات مخزية مع بعض ملوك الطوائف، مثل الحلف الذي عقده مع "المعتمد بن عباد" ملك إشبيلية، تعهد فيه بأن يعاون ابن عباد بالجند ضد أعدائه من الأمراء المسلمين، وفي مقابل ذلك يتعهد ابن عباد بأن يدفع لملك قشتالة جزية كبيرة، وأن يتركه حرا طليقًا في أعماله ضد طليطلة، وألا يعترض سبيله في الاستيلاء عليها، وكان معظم ملوك الطوائف يؤدون في ذلة الجزية لملك قشتالة خوفًا من تهديداته، وطلبا لعونه ضد بعضهم بعضا، ولم يسلم من هذا التصرف الشائن سوى الأمير المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس.

ومن جانب آخر اتبع ملك قشتالة سياسة إرهاق طليطلة بشن الغارات المتوالية عليها، وتخريب مزارعها واستنفاد مواردها، وظل يمارس تلك السياسة أربع سنوات كاملة، منذ أن أعاد يحيى بن ذي النون إلى عرشه سنة (٤٧٤هـ= ١٠٨١م)، حتى يجد الفرصة السانحة للانقضاض على المدينة المنهكة، فلا تقدر على دفع الخطر الداهم عنها.

وضحت سياسة ملك قشتالة لكل ذي عينين، لكن ملوك الطوائف أصاب أعينهم العمى، فلم يروا الأخطار المحدقة بهم، وقيد خطوهم تحالفاتهم المخزية مع ملك قشتالة، وانشغالهم بمحاربة بعضهم بعضا، وبعد بعضهم عن مسرح الأحداث، ولم تُجدِ الصرخة المنذرة التي أطلقها العلامة أبو الوليد الباجي الذي طاف عليهم، يثير فيهم نخوتهم، ويحرك ضمائرهم، ويذكرهم بأخوة الإسلام، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، لكن صيحته ضاعت سدى، وغلبت الأهواء كل تفكير سليم.

## سقوط طليطلة.

وفي سنة (٤٧٧هـ= ١٠٨٤م) ضرب ألفونسو ملك قشتالة حصاره حول طليطلة، ولم يتقدم أحد لنجدتها، وكان يمكن لملك إشبيلية المعتمد بن عباد أن يكون أول من يقوم بالنجدة، لكنه لم يفعل هو ولا غيره، باستثناء المتوكل بن الأفطس، الذي أرسل ولده الفضل بجيش قوي لدفع ألفونسو عن طليطلة، لكنه لم يوفق لغلبة القوى النصرانية، على الرغم مما أبداه من حماسة بالغة وما خاصة من معارك دامية.

استمر الحصار نحو تسعة أشهر، واستبد بالناس الجوع والحرمان، واشتدت الحاجة دون أن تلوح في الأفق بادرة أمل أو إشراقة صباح، بعدما تخاذل الأخ، وانزوى الرفيـق، وجـبن الصديق، وفشلت محاولات الصلح مع ملك قشتالة الذي لم يقبل إلا بتسليم المدينـة، فاضـطر يحيى إلى تسليم المدينة، وغادرها إلى بلنسية. أما ألفونسو فقد دخل المدينة ظافرا فـي يـوم الأحد الموافق غرة صفر ٤٧٨ هـ= ٢٥ مايو ١٠٨٥م).

## ١٠٣٧ م. تأسيس الدولة السلجوقية.

السلاجقة، بنو سلجوق، السلاجقة الكبار. سلالة تركية حكمت في أفغانـستان وإيـران وأجزاء من الأناضول والعراق وسورية والجزيرة العربية مابين ١٠٣٨-١١٥٧ م (ثم حتـى ١١٩٤ م).

المقر. مرو ثم إصفهان.

ينتمي السلاجقة إلى إحدى العشائر المتزعمة لقبائل الغز التركية. دخلت هذه العشيرة في الإسلام أثناء عهد زعيمها سلجوق سنة ٩٦٠ م. دخلوا بعدها في خدمـة القراخانـات (قـره خانات) في بلاد ما وراء النهر. قام أحفاد سـلجوق، طغـرل (١٠٣٨-١٠٦٣ م) و جغـري (١٠٣٨-١٠٦٠ م) بتقسيم المملكة إلى نصفين. النصف الغربي و قاعدته إصفهان، النـصف الشرقي و قاعدته مرو. بعد انتصاره على الغزنويين سنة ١٠٤٠ م بالقرب من دنكان توسعت مملكة طغرل بك إلى الغرب أكثر. ثم ضمت فارس إليها سنة ١٠٤٢ م، بعض الأجزاء مـن الأناضول، ثم العراق أخيراً سنة ١٠٥٥ م، بعد القضاء على دولة البويهيين في العراق دخـل طغرل بك بغداد في ٢٥ رمضان ٤٤٧هـ/٢٣ ديسمبر ١٠٥٥ م. أطلـق المؤرخـون علـى الفترة التي دخل فيها السلاجقة العراق اسم عصر نفوذ السلاجقة؛ حيث كانت بيـدهم مقاليـد

الأمور، ولم يبق للخليفة العباسي سوى بعض المظاهر والرسوم. أعلن طغرل بك نفسه كحـام للخلافة العباسية (خلع عليه الخليفة لقب السلطان لأنها أعادت للخلافة العباسية بعض هيبتهـا المفقودة).

شب صراع على الحكم بعد وفاة طغرل بك ولكن لم تلبث الأمور أن هدأت بعد قيام ألب أرسلان بتولي الحكم والقضاء على الثورات. بلغت الدولة أوجها فـي عهـد الـسلطان ألـب أرسلان (١٠٦٠/٦٣-١٠٧٢ م) ثم ملك شاه (١٠٧٢-١٠٩٢ م) من بعده، كما قـام وزيـره نظام الملك (١٠٦٠/٦٥-١٠٩٢ م)و بانشاء العديد من المدارس لتثبيت مذهب أهل السنة فـي المنطقة. استولى السلاجقة على أرمينية سنة ١٠٦٤ م، ثم بسطوا سـيطرتهم علـى الحجـاز والأماكن المقدسة منذ ١٠٧٠ م. كما حققوا انتصارا حاسما على البيزنطيين في ملاذكرد سنة ١٠٧١ م. أكملوا بعدها سيطرتهم لتشكل كامل الجزيرة العربية تقريبا.

في سنة ١٠٩٢ م، و بسبب كثرة المتسابقين على عرش السلطنة بـين أفـراد العائلـة، أصبحت المملكة السلجوقية ممالك عدة. تمكن محمود (١١٠٥-١١١٨ م) بتوحيدها من جديد. إلا أن أمر التقسيم كان محتوماً. قامت مملكة سلجوقية في العراق وإيران و دامت إلى حـدود سنة ١١٩٤ م. وأخرى في الشرق أقامها السلطان سنجار (١١١٨-١١٥٧ م) و التي لم تعمر طويلا بعده. كان على خلفائه و منذ ١١٣٥ م الصراع مع جيرانيهم. قضى علـيهم شـاهات خوارزم (خوارزمشاهات) أخيرا سنة ١١٩٤ م. قامت فروع أخرى للسلاجقة.

في كرمان (١٠٤١-١١٨٧ م)؛ المقر. بردشير، راجع سلاجقة كرمان

في الشام (١٠٩٤-١١١٧ م)؛ المقر دمشق ثم حلب، راجع سلاجقة الشام

في الأناضول (١٠٧٧-١٣٠٨ م)؛ المقر إزنيق (نيقية) ثم قونية، راجع سلاجقة الروم

**قائمة السلاطين**

| م | الحاكم | الحياة | الحكم |
|---|---|---|---|
| **١** | ركن الدين طغرل بك بن سلجوق | ....-.... | ١٠٣٧-١٠٦٣ |
| **٢** | عضد الدولة ألب أرسلان | ....-.... | ١٠٦٣-١٠٧٢ |
| **٣** | جلال الدولة ملكشاه | ....-١٠٩٢ | ١٠٧٢-١٠٩٢ |
| **٤** | ناصر الدنيا والدين محمود | ١٠٨٧-.... | ١٠٩٢-١٠٩٤ |
| **٥** | ركن الدين بركياروق | ....-.... | ١٠٩٤-١٠٩٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٦ | غياث الدنيا والدين محمد | ....-.... | ١٠٩٩-١١٠٤ |
| ٥-٢ | ركن الدين بركياروق | ١١٠٥-.... | ١١٠٤-١١٠٥ |
| ٧ | جلال الدين ملكشاه بن بركياروق | ١١٠٠-.... | ١١٠٥-١١٠٥ |
| ٦-٢ | غياث الدنيا والدين محمد | ١١١٨-.... | ١١٠٥-١١١٨ |
| ٨ | محمود بن محمد بن ملكشاه | ١١٠٤-١١٣١ | ١١١٨-١١٣١ |
| ٩ | داود بن محمود | ....-.... | ١١٣١-١١٣١ |
| ١٠ | مسعود بن محمد بن ملكشاه | ١١٥٢-.... | ١١٣١-١١٥٢ |
| ١١ | معز الدين أحمد سنجر | ....-.... | ١١٥٢-١١٥٧ |

## سلاجقة كرمان ١٠٤١-١١٨٧.

كرمان كانت دولة جنوب بلاد فارس، وسقطت عام ١١٨٧، أغلب الظن على يد طغرل الثالث من السلاجقة العظام.

- كرمان شاه ١٠٧٣-١٠٧٤
- سلطان شاه ١٠٧٤-١٠٧٥
- حسين عمر ١٠٧٥-١٠٨٤
- طوران شاه الأول ١٠٨٤-١٠٩٦
- إيران شاه ١٠٩٦-١١٠١
- أرسلان شاه الأول ١١٠١-١١٤٢
- محمد الأول ١١٤٢-١١٥٦
- طغرل شاه ١١٥٦-١١٦٩
- بهرام شاه ١١٦٩-١١٧٤
- أرسلان شاه الثاني ١١٧٤-١١٧٦
- طوران شاه الثاني ١١٧٦-١١٨٣
- محمد الثاني ١١٨٣-١١٨٧

## ١٠٣٧ م (٤٢٨ هـ). وفاة ابن سينا.

ابن سينا هو أعظم علماء المسلمين، ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين ؛ فقـد كـان فيلسوفاً، وطبيباً، ورياضياً، وفلكياً.

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، كما عـرف بـالمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، ويعرف عند الأوربيين باسم "Avicenna". ولد قرب بخارى (في أوزبكستان حالياً) سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م ؛ وتوفي في همذان سـنة ٤٢٨هـ ـ/١٠٣٧م. تلقـى تعليمه الأول في بخارى حيث درس القـرآن وأصـول اللغـة ؛ ودرس الأدب، والفلـسفة، والمنطق، والهندسة، وعلم النجوم، والطب، والطبيعيات. وأصبح حجة في الطـب، والفلـك، والرياضيات، والفلسفة قبل بلوغه سن العشرين.

ولشهرته في الطب، دعاه الأمراء ليعالجهم. ووفق في مداواة أمير بخارى "نـوح بـن منصور"، كما عالج "شمس الدولة" أمير همذان، و"علاء الدولة" أمير أصفهان. فأنعموا عليـه وفتحوا له أبواب دور كتبهم، فوجد فيها مجالاً كبيراً لإتمام دراساته والتعمق في مختلف فروع المعرفة.

**كتاب القانون ترجم إلى اللاتينية ١٦ مرة خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن ١٥م، و٢٠ مرة خلال القرن ١٦م.**

وإضافةً إلى اهتمامات ابن سينا العلميـة، فقـد اشتغل بالسياسة وتـدبير شـؤون الـدولة، حيـث استوزره شمس الدولة في همذان، ولكن ابـن شـمس الدولة سجنه ؛ إلا أنه تمكن، بعد قضاء عدة أشهر فـي السجن، من الفرار إلى أصفهان حيـث قـضى أيامـه الأخيرة في كنف أميرها "علاء الدولة"، وقد وافته المنية في همذان.

## إسهاماته الطبية.

برز ابن سينا بصفة خاصة في الطـب، حيـث حقق فيه اكتشافات جديـدة. فهـو أول مـن تحـدث، بتفصيل، عن دودة سماها الدودة المستديرة، وهي مـا يعرف الآن باسم "الأنكلستوما"، ودرس الاضـطرابات العصبية وتوصل إلى بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي. وكان يرى أن العوامل النفسية والعقلية لها تأثير كبير على أعضاء الجسم ووظائفها.كما وصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم.

وقد أضاف ابن سينا إلى الطب الكثير بناء على مشاهداته الخاصة، حيث كـان يعطـي للتجربة المكانة الأولى وتوصل بفضلها إلى ملاحظات أصيلة ؛ ومن أمثلـة ذلـك. إدراكـه للطبيعة المعدية للسل الرئوي، وانتشار الأمراض عن طريق الماء والتربة، ووصـفه الـدقيق

لأمراض الجلد، والأمراض التناسلية. هذا إضافةً إلى وصفه للطرق الصيدلية لتحضير عـدد من الأدوية.

كما كان ابن سينا أول من اكتشف التهابات غشاء الدماغ المعدية، وميزها عن غيرهـا من الالتهابات المزمنة، ووضع أول وصف لتشخيص مرض تصلب الرقبة والتهاب الـسحايا بشكل واضح. وتحدث عن شلل الوجه وأسبابه، وميز بين الشلل الناتج عن سبب مركزي فـي الدماغ والناتج عن سبب محلي.

## إسهاماته العلمية في علوم أخرى.

تمثل إسهام ابن سينا في الفيزياء في دراسة عدد من الظواهر الطبيعية مثل. الحركـة، والقوة، والفراغ، واللانهاية، والنور، والحرارة. ولاحظ أنه إذا كان إدراك الضوء ناتجاً عـن انبعاث نوع ما من الجسيمات من مصدر مشع، فإن سرعة الضوء لا بد أن تكون محدودة.

أما في علم الجيولوجيا، فقد أسهم ابن سينا برسالته في تكون الجبال والأحجار الكريمـة والمعادن التي ناقش فيها تأثير الزلزال، والماء، ودرجة الحـرارة، والرواسـب، والتحجـر، والتعرية.

وإضافةً إلى ذلك، برع ابن سينا في الرياضيات والفلـك، وعـالج مـسائل الأجـسام اللامتناهية حجماً، دينياً وفيزيائياً ورياضياً، مما ساعد كلاً مـن "نيـوتن" Newton و"لايبنـز" Leibniz، في القرن السابع عشر، على وضع الحساب اللامتناهي.

## مؤلفاته.

**تجاوزت مؤلفات ابن سينا المائتين ما بين كتب ورسائل، ومن أشهرها.**

- ـ كتاب "القانون". وهو من أهم مؤلفات ابن سينا وأنفسها، وإليه ترجع شـهرته في الطب. وقد عرف هذا الكتاب انتشاراً واسعاً في الغـرب والـشرق. ترجمـه "جيرار الكريموني" إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وطبع في الثلاثـين سـنة الأخيرة من القرن الخامس عشر ست عشرة طبعة، واحدة منها باللغـة العبريـة والباقي باللاتينية ؛ وفي القرن السادس عشر أعيدت طباعته أكثر مـن عـشرين مرة، وظل يدرس في أوربا حتى القرن التاسع عشر. وقد أعيـد سـنة (١٩٩٦م) طبعه من طرف معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ضمن سلسلة الطب الإسلامي التي يصدرها فؤاد سزكين.
- كتاب"الشفاء"، وهو موسوعة فلسفية تضم حصيلة المعارف التي توصل إليها ابـن سينا في المنطق، والطبيعيات، والفلسفة ؛

- وكتاب"النجاة" وهو ملخص لكتاب الشفاء وأقل تعقيداً منه ؛
- وكتاب "الإشارات والتنبيهات"الذي يشتمل على دراسات في الطبيعيات، والإلهيات، والتصوف، والأخلاق.
- ولابن سينا مؤلفات أخرى في الطب، والفلسفة، والموسيقى، واللغة، والإلهيـات، والنفس، والمنطق، والطبيعيات، والرياضيات، والفلك.
- ١٠٣٨ م. وفاة الحافظ أبي نعيم الأصبهاني الحـافظ والمـؤرخ الـشهير، ولـد بأصبهان ومات بها، ومن مصنفاته "حلية الأولياء" و"دلائل النبـوة" و"المـستخرج على البخاري" و"المستخرج على مسلم" و"فضائل الصحابة" وتوفي عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاما.

## ١٠٣٨ م. مولد عمر الخيام.

غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم النيسابوري. رياضي وفلكي وفيلسوف وشـاعر خراساني. ولد في نيسابور بفارس بين عامي (١٠٣٨-١٠٤٨ م)، وتوفي فيهـا ايـضا عـام ١١٢١ أو ١١٢٣ أو ١١٣٢ م. كان والده صانع خيام ومن هنا جاء لقبـه. وقـد لازم عمـر الخيام وزير الدولة السلجوقية العالم الرياضي نظام الملك، مؤسس المدرسة النظامية في بغداد، كما عاصر الخيام السلطانين ألب ارسلان وملك شاه وعمل في حماهما. وقـد اشـتغل عمـر الخيام بالرياضيات فعالج معادلات الدرجة الثالثة والرابعة، ووضع حلولا هندسية لكثير منها. وحل المعادلات التكعيبية من الدرجة الثالثة بواسطة القطاعات المخروطية. كذلك مهد لنظرية ذات الحدين، بل نكاد نقول ابتدعها. ومن مؤلفاته الرياضـية (رسـالة فـي بـراهين الجبـر والمقابلة) و (رسالة في شرح ما اشكل من مصادرات كتاب اقليـدس) و (كتـاب مـشكلات الحساب) و (كتاب ضبط القواعد في تخريج المربعات والجذور التربيعية) و (كتاب البرهـان على طريق استخراج اضلاع المربعان والمكعبات).َ

وفي الطبيعيات بحث الخيام في تعيين الثقل النوعي، وله فيه رسـالة (فـي الاحتيـال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما). ومن مؤلفاته ايضا (ميزان الحكمة) و (رسالة الكون والتكليف) و (رسالة الوجود) أو (الاوصاف للموصوفات) و (رسالة في كليـات الوجود). وله ايضا (روضة العقول) و (رسالة في جواب عن ثلاث مسائل اعتقادية).َ

وقد اشتغل عمر الخيام بالفلك حيث لتم (الزيج الملكشاهي) وقام باصلاح التقويم الفارسي القديم ووضع (التقويم الجلالي) نسبة الى جلال الدولة ملكشاه. وقد بدأ استخدام هـذا التقـويم البالغ الدقة في ١٦ مارس ١٠٧٩ م الموافق ١٠ رمـضان ٤٧١ هجريـة. وقـد اسـتخدمت اصلاحاته في التقويم الجلالي بعد ذلك بقرون في اصلاح التقويم الجريجوري الاوربي.َ

ولعل شهرة الخيام في الغرب تعود الى عام ١٨٥٩ م عندما قام فيتزجيرالد بنقل رباعياته الى اللغة الانجليزية. ثم توالت ترجمة هذه الرباعيات المكتوبة اصلا باللغة الفارسية الى العديد من اللغات، مما كان له الاثر البالغ في شهرة عمر الخيام كشاعر اكثر من شهرته كعالم مبدع.

## ١٠٣٨ م (٤٣٠ هـ). وفاة ابن الهيثم.

ابن الهيثم من أعظم علماء العرب في البصريات، والرياضيات، والطبيعيات، والطب، والفلسفة، وله إسهامات مهمة فيها.

وهو أبو علي الحسن ابن الحسن ابن الهيثم، المسمى عند الغربيين "الهازن Alhazen". ولد بالبصرة ودرس بها. ولما سمع الخليفة الفاطمي، الحاكم بأمر الله، أن ابن الهيثم له طريقة لتنظيم الفيضان السنوي لنهر النيل، دعاه إلى مصر وكلفه بتقنين مياه نهر النيل لمواجهة الفيضانات. ولما أخفق ابن الهيثم في مهمته تظاهر بالجنون، وظل على تلك الحال حتى توفي الخليفة، فعاد إلى حالته الطبيعية، واشتغل بنسخ كتب من سبقوه في الرياضيات والطبيعيات، إلى جانب التأليف في مواضيع مختلفة.

## إسهاماته في البصريات.

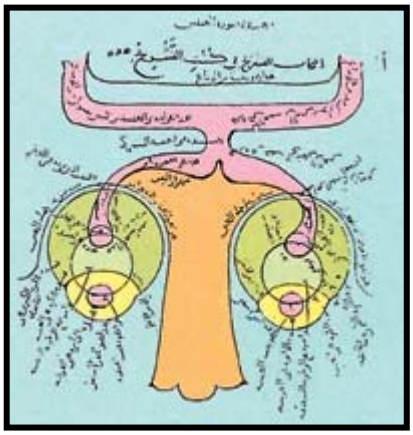

يعترف المؤرخون الغربيون بأهمية ابن الهيثم في تطوير علم البصريات، فأرنولد في كتاب " تراث الإسلام"، قال >إن علم البصريات وصل إلى الأوج بظهور ابن الهيثم<، أما سارطون فقال. >إن ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند المسلمين في علم الطبيعة، بل أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى، ومن أعظم علماء البصريات القليلين المشهورين في كل زمن، وأنه كان أيضاً فلكياً، ورياضياً، وطبيباً<. أما دائرة المعارف البريطانية، فقد وصفته بأنه رائد علم البصريات بعد بطليموس.

وابن الهيثم هو أول من قال بأن العدسة المحدبة ترى الأشياء أكبر مما هي عليه. وأول من شرح تركيب العين ووضح أجزاءها بالرسوم وأعطاها أسماء أخذها عنه الغربيون وترجموها إلى لغاتهم، ما زالت مستعملة حتى الآن. ومن ذلك مثلاً الشبكية Retina، والقرنية (Cornea)، والسائل الزجاجي (Viteous Humour، والسائل المائي) (Aqueous Humour). كما أنه ترك بحوثاً في تكبير العدسات مهدت لاستعمال العدسات في إصلاح عيوب العين.

وتوصل ابن الهيثم إلى أن الرؤية تنشأ من انبعاث الأشعة من الجسم إلى العـين التـي تخترقها الأشعة، فترسم على الشبكية وينتقل الأثر من الشبكية إلى الدماغ بواسـطة عـصب الرؤية، فتتكون الصورة المرئية للجسم. وبذلك أبطل ابن الهيثم النظرية اليونانيـة لكـل مـن أقليدس وبطليموس، التي كانت تقول بأن الرؤية تحصل من انبعاث شعاع ضوئي من العـين إلى الجسم المرئي. كما بحث في الضوء والألوان والانعكاسات الضوئية على بعض التجارب في قياس الزوايا المحدثة والانعكاسية. ويعده بعض الباحثين رائد علم الضوء.

## إسهاماته في الرياضيات.

كان ابن الهيثم رياضياً بارعاً، فقد طبق الهندسة والمعادلات والأرقام في حل المـسائل الفلكية. كما حل معادلات تكعيبية وأعطى قـوانين صـحيحة لمـساحات الكـرة، والهـرم، والأسطوانة المائلة، والقطاع الدائر، والقطعة الدائرية.

## إسهاماته في الفلك.

اهتم ابن الهيثم بالفلك، وكتب فيه عدداً من الكتب وقام بعدد من الأرصاد. ومـن أهـم إسهاماته في علم الفلك. توصله إلى طريقة جديدة لتحديد ارتفاع القطب، فقد وضع نظرية عن تحركات الكواكب ؛ ولايزال أثر هذه النظرية قائماً حتى الآن، حيث توجد في ضواحي فينـا بالنمسا طاولة صنعت بألمانيا سنة ١٤٢٨ وعليها رسم لحركات كواكب سيارة حسب نظريـة ابن الهيثم. واكتشف ابن الهيثم أن كل الأجسام السماوية، بما فيها النجوم الثابتة، لهـا أشـعة خاصة ترسلها، ما عدا القمر الذي يأخذ نوره من الشمس.

## مؤلفاته.

**ترك ابن الهيثم تراثاً علميا غنياً في مختلف العلوم، ومن أهم ما ألفه.**

- "كتاب المناظر". يشتمل الكتاب على بحوث في الضوء، وتشريح العين، والرؤية. وقد أحدث الكتاب انقلاباً في علم البصريات، وكان له أثر كبيـر فـي معـارف الغربيين (روجر بيكون و كيبلر)، وظلوا يعتمدون عليه لعـدة قـرون، إذ تمـت ترجمته إلى اللاتينية مرات عديدة في القرون الوسطى. ويشتمل الكتاب على سبع مقالات، حقق منها عبد الحميد صبرة المقالة الأولى والثالثة ونشرهما في كتـاب سنة ١٩٨٣ بالكويت. كما أن الدكتور رشدي راشد حقق المقالة السابعة في كتابه "علم الهندسة والمناظر في القرن الرابع الهجري"، المطبوع فـي بيـروت سـنة

١٩٩٦. وتوجد مخطوطات كاملة من الكتاب أو لبعض مقالاته، في العديـد مـن المكتبات، خاصة باستانبول بتركيا.

- "حل شكوك أقليدس" ؛
- "مقالة الشكوك على بطليموس" ؛
- "كتاب شرح أصول إقليدس في الهندسة والعدد" ؛
- "كتاب الجامع في أصول الحساب" ؛
- "كتاب في تحليل المسائل الهندسية".

ويذكر أن ابن الهيثم صنف ثمانين كتاباً ورسالة في الفلك شرح فيها سـير الكواكـب، والقمر، والأجرام السماوية، وأبعادها.

وقد كان لترجمة بعض كتب ابن الهيثم إلى اللاتينية، تأثير كبير على علماء الغرب من أمثال كبلر، وفرنسيس بيكون. ويؤكد مصطفى نظيف أن ابن الهيثم سبق"فرنسيس بيكون" فـي وضع المنهج التجريبي القائم على المشاهدة والتجربة والاستقراء. كما يقول عبـاس محمـود العقاد في كتابه "أثر العرب في الحضارة الأوربية" إن ترجمة كتب ابن الهيثم كان عليها معول الأوربيين اللاحقين جميعاً في البصريات.

- ١٠٤٠ م. السلطان السلجوقي طغرل بك ينتصر على جيش الدولة الغزنوية فـي معركة دندانكان، ويستولي على خراسان، ويجبر الغزنـويين علـى الاعتـراف بالدولة السلجوقية كأكبر وأقوى دولة في المنطقة.

## ١٠٤٨ م. وفاة البيرونى.

هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م بإحدى ضواحي خوارزم في فارس (أوزبكستان حالياً). لا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد، لكن الراجح أنه توفي عام ٤٣٩هـ/١٠٤٨م.

كان البيروني عالماً في الرياضـيات، والطبيعيـات، والفلـك، والطـب، والفلـسفة، والتصوف، والأديان ؛ ومؤرخاً ولغوياً وأديباً. وعلى الرغم من اطلاعه الواسع على مختلـف مجالات المعرفة في عصره، فإن اهتمامه كان مركزاً أكثر على الرياضيات والفلـك. ويعـده أعلام المستشرقين من العباقرة المسلمين العالميين الواسعي الاطلاع. ويعترف المؤرخ جورج سارطون بمكانته العلمية فيقول. >كان البيروني رحالة وفيلسوفاً، ورياضياً، وفلكياً، وجغرافياً، وعالماً موسوعياً، ومن أكبر عظماء الإسلام، ومن أكابر علماء العالم في كل زمن<.

وإذا كانت المصادر لا تذكر شيئاً عن أسرة البيروني أو عن صباه وما تعلمه في أول حياته، فهي تذكر أنه درس على ثلاثة أساتذة وهم. أبو نصر بن عراق، وأبو سهل بن يحيى المسيحي، وأبو الحسن بن علي الجبلي، وأنه عاصر الطبيب المشهور ابن سينا، وكانت بينهما مراسلات في مواضيع مختلفة، وأنه كان يتقن عدة لغات منها اليونانية، والسنسكريتية والفارسية، والعبرية، إضافةً إلى العربية.

ولما بلغ البيروني الخامسة والعشرين من عمره، رحل إلى جرجان حيث التحق ببلاط السلطان أبي الحسن قابوس بن وشمكير، ثم عاد إلى وطنه خوارزم بعد عدة سنوات، ودخل في خدمة أبي العباس المأمون بن المأمون آخر أمراء دولة المأمونيين، وبعد أن استولى السلطان محمود الغزنوي على خوارزم، ضم البيروني إلى حاشيته ثم اصطحبه معه في رحلاته المتعددة إلى الهند. ويقال إن البيروني بقي في الهند مدة طويلة درس فيها ثقافتها وعلومها، ومعارفها، وأصبح بذلك أكثر العلماء المسلمين اطلاعاً على تاريخ الهند ومعارفها. كما نقل إلى الهنود العلوم اليونانية والعربية.

## إسهاماته العلمية.

يعترف للبيروني بإسهام في مختلف العلوم، فقد حدد بدقة خطوط الطول وخطوط العرض، وناقش مسألة ما إذا كانت الأرض تدور حول محورها أم لا، وبحث في الوزن النوعي، وقدر بدقة كثافة ١٨ نوعاً من الأحجار الكريمة والمعادن، وتوصل إلى أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت، كما شرح كيفية عمل الينابيع الطبيعية والآبار الارتوازية بناء على مبدأ هيدروستاتيكي. كما قدم وصفاً للمخلوقات الغريبة، منها ما يعرف باسم التوائم "السيامية".

وكان البيروني ألمع علماء زمانه في الرياضيات كما يعترف بذلك"سمث" في الجزء الأول من كتابه "تاريخ الرياضيات". وبجانب ذلك اشتغل بالفلك، وبحث في هيئة العالم وأحكام النجوم، ووضع طريقة لاستخراج مقدار محيط الأرض تعرف عند العلماء الغربيين باسم " قاعدة البيروني" ؛ ووصف ظواهر الشفق وكسوف الشمس وغير ذلك من الظواهر الطبيعية بجانب إشارته لدوران الأرض حول محورها.كما كان ملما بعلم المثلثات، وهو من الذين بحثوا في التقسيم الثلاثي للزاوية.

كان البيروني متصفاً بالروح العلمية، والإخلاص للحقيقة، إضافةً إلى دقة البحث والملاحظة.

## مؤلفاته.

ترك البيروني مؤلفات عديدة، تزيد عن مائة وخمسين كتاباً، وقد ذكر أغلبها في رسالته المعروفة بالفهرس، وتتناول مواضيع متنوعة منها الجغرافيا، والرياضـيات، والفلـك. ومـن أشهر مؤلفاته.

- "كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية"، ناقش فيه البيروني دوران الأرض حول نفسها، وتسطيح الكرة ؛ وهو بذلك واضع أصول الرسم على سطح الكرة. تـرجم "إدوارد ساخاو Sachau" هذا الكتاب إلى الإنجليزية، وطبع في لندن عام ١٧٨٩. كما ترجم إلى الألمانية والإنجليزية في القرن التاسع عشر.
- "القانون المسعودي في الهيئة والنجوم"، ألفه البيروني (٤٢١هـ/١٠٣٠م) بطلـب من "مسعود بن محمد الغزنوي". وهو كتاب ضخم يشتمل على ١٤٣ باباً تنـاول فيه مختلف موضوعات الفلك والرياضيات. و طبع الكتاب في حيدرآباد بالهند.
- "تاريخ الهند"، ضمنه البيروني خلاصة دراساته في الهند. ترجمه "ساخاو" أيـضاً إلى الإنجليزية، وطبع في لندن سنة ١٨٨٧م. وتناول فيه البيروني لغة أهل الهنـد وعاداتهم وعلومهم.
- "كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم"، يبحث هذا الكتـاب الحـساب، والهندسـة، والجبر، والعدد، والفلك. وقد كتبه البيروني على شكل سؤال وجواب، ووضـحه بالأشكال والرسوم.

إضافةً إلى هذه الكتب الكبيرة، ترك البيروني عدة رسائل فـي الهندسـة، والحـساب، والفلك، والآلات العلمية، والطب، والصيدلة. كما كانت له مراسلات مع ابن سينا. وإضافةً إلى ذلك، فقد ترجم عدداً من الكتب من اللغة السنسكريتية إلى العربية.

وقد ترجمت معظم كتبه إلى اللغات الفرنسية، والألمانية، والإنجليزيـة، ونـشرت فـي القرنين التاسع عشر والعشرين.

- ١٠٤٩ م. وفاة الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد الصوري، أحد علماء الحديث في القرن الخامس الهجري، طلب الحديث بنفسه على الكبـر، ورحل في طلبه إلى الآفاق، كان صواما حسن الخلق جميل المعاشرة محبا للشعر، توفي عن عمر يناهز الستين.
- ١٠٥٠ م (٤٤٨ هـ). بدء عهد دولة المرابطين فى المغرب

- ١٠٥٥ م. الخليفة العباسي يأمر بتلاوة خطبة الجمعة في بغـداد باسـم الـسلطان السلجوقي طغرل بك، وكان ذلك اعترافا صريحا من العباسيين بنفوذ السلاجقة في الخلافة العباسية.
- ١٠٥٥ م. مولد ابن حمديس وهو شاعر عربى ولد بسيراقوسة بصقلية وفر مـن النورمانديين الى الأندلس ١٠٧٨ م ومدح المعتمد بن عباد امير اشبيلية
- ١٠٥٦ م. سقوط دولة الادارسة فى المغرب

## ١٠٥٨ م (٤٥٠ هـ). وفاة الفقيه الشافعي "علي بن محمد البصري الماوردي" صاحب كتاب أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، وقوانين الوزارة....

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي أكبر قـضاة آخـر الدولـة العباسية، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، الفقيه الحافظ، من أكبر فقهاء الـشافعية و الـذي ألّف في فقه الشافعية موسوعته الضخمة في أكثر من عشرين جزءا.

تعلم على يد علماء منهم الحسن بن علي بن محمد الجبلي المحدث، ومحمد بن عدي بن زحر المقريء، ومحمد بن المعلى الأزدي، وجعفر بن محمد بن الفضل البغدادي وأبو القاسـم عبد الواحد بن محمد الصيمري القاضي بالبصرة أبو حامد أحمد بن أبي طـاهر الإسـفرايني ببغداد.

ولد الماوردي في البصرة عام ٣٦٤ هجرية، لأب يعمل ببيع ماء الورد فنسب إليه فقيل "الماوردي". ارتحل به أبوه إلى بغداد، وبها سمع الحديث، ثم لازم واستمع إلـى أبـي حامـد الإسفراييني.

عمل بالتدريس في بغداد ثم بالبصرة وعاد إلى بغداد مرة أخرى. كان يعلـم الحـديث وتفسير القرآن. لقب عام ٤٢٩ هـ تلقب بأقضى القضاة، وكانت مرتبته أدنـى مـن قاضـي القضاة، ثم بعد ذلك تولى منصب قاضي القضاة.

نشأ الماوردي، معاصرا خليفتين من أطول الخلفاء بقاء في الحكـم. الخليفـة العباسـي القادر بالله، ومن بعده ابنه القائم بأمر الله الذي وصل الضعف به مبلغه حتى إنه قد خطب في عهده للخليفة الفاطمي على منابر بغداد.

كان الماوردي ذو علاقات مع رجال الدولة العباسية كما كان سفير العباسيين ووسيطهم لدى بني بويه والسلاجقة. بسبب علاقاته هذه يرجح البعض كثرة كتابته عمـا يـسمى بالفقـه السياسي. ومن كتبه في هذا المجال.

- أدب الدنيا والدين

- الأحكام السلطانية
- قانون الوزارة. أما كتبه الأخرى فمنها.
- سياسة أعلام النبوة
- تفسير القرآن "النكت والعيون"

وقد نال الأخير عناية المفسرين المتأخرين ونقلوا عنه، كابن الجوزي في زاد المـسير، وب[القرطبي] في تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

اتهم الماوردي بالاعتزال و لكن انتصر له تلميذه الخطيب البغدادي فدافع عنه ودفع عنه الادعاء. توفي في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة ٤٥٠ هـ، و دفن من الغد فـي مقبرة باب حرب، و كان قد بلغ ٨٦ سنة، و صلى عليه الإمام الخطيب البغدادي.

**من أهم مؤلفاته غير ماذكر ما يلي.**

- كتاب الحاوي الكبير، في فقه الشافعية في أكثر من عشرين جزءا.
- كتاب نصيحة الملوك.
- كتاب قوانين الوزارة و سياسة الملك.
- كتاب التفسير.
- كتاب الإقناع، وهو مختصر كتاب الحاوي.
- كتاب أدب القاضي.
- كتاب أعلام النبوة.
- كتاب تسهيل النظر.
- كتاب في النحو.
- كتاب الأمثال والحكم.

## ١٠٥٨ م. مولد ابن خفاجة.

ابن خفاجة 533 - 450هـ / ١٠٥٨ 1138 - م إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الجعواري الأندلسي.

شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرياض ومنـاظر الطبيعـة. وهو من أهل جزيرة شقر من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس.

لم يتعرض لاستماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله.

يقول ابن خفاجة.

**وأرعـن طمـاح الذؤابةِ باذخٌ يطاولُ أعنان السماءِ بغاربِ**

**يسد مهب الريح عن كل وجهةٍ ويزحـم ليلاً شُهبه بالمناكب**

كما اشتهرت أبياته التي تصف الأندلس وطبيعتها الجميلة.

**يا أهل أندلس لله دركُـــــم مـاء وظِلٌ وأزهار وأشْجار**

**ما جنّةُ الخلدِ إلاّ في دياركـم ولو تخيرتُ هذا كنت أختـار**

- ١٠٦٠ م. طغرل بك السلجوقى يعيد الخليفة القـائم الـى العـرش بعـد عـزل البسلسيرى له

## ١٠٦١ م. وفاة ابن رضوان.

طبيب مصري ذائع الصيت. كان طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله، وعميد أطباء القاهرة.

واسمه الكامل هو أبو الحسن المصري علي بن رضوان بن علي بن جعفر. ولد بالجيزة قرب القاهرة سنة ٩٩٨م، وعاش فيها وتوفي بها ما بين ١٠٦١ (٤٥٣هـ) و١٠٦٧م. وكـان طبيباً ورياضياً ومنجماً، ومن كبار الفلاسفة في الإسلام.

لا يعرف الكثير عن حياته. ويقال إن أباه كان قَرانياً أو سقاء، ولذا اضطر ابن رضوان في صغره إلى العمل ليحصل على ما يشتري به ما يحتاجه من الكتب.

## إسهاماته العلمية.

من أهم إسهاماته في الطب اهتمامه بمعاينة المريض والتعرف على المـرض، وذلـك بالنظر إلى هيئة أعضاء المريض وسحنته وبشرته، وتفقد أعـضائه الباطنيـة والخارجيـة، وطريقة نظره وكلامه ومشيته، والتعرف على نبض قلبه وعلى مزاجه عن طريـق توجيـه الأسئلة إليه.

كما حدد ابن رضوان واجبات الطبيب في معالجة أعدائه بنفس الـروح والإخـلاص والاستعداد التي يبذلها عند معالجة أحبائه.

وكانت بين ابن رضوان وابن بطلان طبيب بغداد، مراسلات دارت حول صغار الطير وعدد من المواضيع، الأخرى خاصة منها تعلّم الطب اليوناني.

**مؤلفاته.**

**ألف ابن رضوان عدة كتب في الطب، أشهرها.**

- "كتاب في دفع مضار الأبدان بأرض مصر"، ترجم ماكس مايرهوف فصلاً منه في كتابه. "دراسة المناخ والصحة في مصر القديمة" (١٩٢٣).
- "شرح الصناعة الصغيرة لجالينوس"، كان لهذا الكتاب شهرة عظيمة، وقـد ترجمه جيرار الكريموني إلى اللاتينية. ونشر في البندقية سنة ١٤٩٦م.
- "شرح المقالات الأربع في القضايا بالنجوم لبطليموس".
- "كفاية الطبيب فيما صح لدي من التجارب".
- "الكتاب النافع في تعلم صناعة الطب"، ويحتوي هذا الكتاب علـى عـرض لأفكار ابن رضوان وأفكار كثير من زملائه الآخرين عن الطب اليونـاني القديم، وتطوره، وقيمته، وطريقة تعلمه

- ١٠٦٢ م. وفاة القاضي المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر المعروف بالقضاعي، كان إماما في الفقه والحديث، قدم للمكتبة العربية مـسنده المعـروف بمسند القضاعي، واشتغل بالتاريخ، فكتب كتابا في خطط مـصر اعتمـد عليـه المقريزي وغيره.
- ١٠٦٣ م (٤٥٥ هـ). وفاة طغرل بك وتولى الب ارسلان

## ١٠٦٣ م. وفاة ابن ابى الرجال.

أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني القيرواني، وعـرف فـي الغـرب باسـمين. البوزهان وأبنراجل. عالم فلك عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. لـم تحدد كتب تاريخ العلوم أو الموسوعات تاريخ ميلاد له ولم تحدد موطن ميلاده .

من المعروف أن نسب ابن أبي الرجال يعود لقبيلة بني شيبان العدنانية، وأنه طلب العلم في الأندلس .وقد اختلفت الروايات حول عام وفاته فبعض المؤرخين يرجعون عام وفاته إلـى عام ٤٣٣هـ 1041/ م، والأصح هي الرواية الأكثر شيوعا وهي عـام ٤٥٤هـ ـ /١٠٦٣ م، وذلك لأنه قضى شطرا من حياته في القيروان بتونس ببلاط المعز بن باديس بـن المنـصور الزيري. وقد شارك ابن أبي الرجال في الأرصاد التي وضعها الكوهي.

وقد اهتم ابن أبي الرجال بالأزياج الفلكية، وله زيج عرف باسم حل العقد وبيان الرصد، ومن أهم كتبه التي ترجمت إلى عدة لغات مثل الأسبانية واللاتينيـة والقـشتالية والبرتغاليـة وغيرها كتاب. البارع في أحكام النجوم، وقد تناوله المستشرق التشيكي نيكل بدراسة مفـصلة موضحا أهمية الكتاب وتعبيره عن أحكام علم الفلك في ذلك العصر سـواء فـي الـشرق أو الغرب. ولابن أبي الرجال رسالة. الأبراج. وله عدة أراجيز في علم الفلك. الأولى منها فـي أحكام النجوم ومواقعها، والثانية وهي الأهم والأكثر شيوعا، وقد اهتم بها العلماء التـالون لـه واعتبروها من الأراجيز التعليمية الهامة التي يعتمد عليها الطالب لعلم الفلك، وهي أرجوزة في أحكام الفلك وقوانينه وأسسه وقواعده وأرصاده، وقد شرحها الكثير من العلماء ولعل أهم تلـك الشروح كان شرح القنفذي. وله أرجوزة أخرى عن الرعد وظواهره وأحداثه.

- ١٠٦٤ م. الب ارسلان يستولى على ارمينيا
- ١٠٦٤ م (٤٥٦ هـ). وفاة الإمام الكبير محمد بن علي بن أحمد بن سـعيد بـن حزم، المعروف بابن حزم الظاهرى، أحد أعلام المسلمين فـي القـرن الخـامس الهجري، وصاحب المؤلفات المعروفة في الفقه والتاريخ ومقارنة الأديان، ومـن أشهرها المحلّى، والفصل في الملل والأهواء والنحل، وإحكام الأحكام، وجمهـرة أنساب العرب.
- ١٠٦٥ م. وفاة العالم اللغوي علي بن إسماعيل المعروف بابن سِيده، أحـد أئمـة اللغة في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وصـاحب المعجمـين. المحكـم، والمخصص
- ١٠٦٦ م (٤٥٨ هـ). وفاة الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، المشهور بالبيهقي، أحد أئمة الحديث والفقه في القرن الخامس الهجري، وصاحب السنن الكبرى المعروفة بسنن البيهقي، ودلائل النبوة، والأسماء والصفات.
- ١٠٦٧ م. نظام الملك الوزير السلجوقى يؤسس المدرسة النظامية فى بغداد
- ١٠٧١ م (٤٦٣ هـ). وفاة الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن علـي بـن ثابـت، المعروف بـالخطيب البغدادي، أحد أئمة الحديث والتاريخ في القـرن الخـامس الهجري، له مؤلفات كثيرة، أشهرها تاريخ بغداد.

## ١٠٧١ م (٤٦٤ هـ). معركة مانزكرت (ملاذكرد).

تعد معركة "ملاذكرد" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسـية، وحطين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيرت وجـه التـاريخ، وأثّرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرد نقطة فاصلة؛ حيـث قـضت علـى

سيطرة دولة الروم على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت مـن قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني محمد الفاتح.

كما أنها مهدت للحروب الصليبية بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك أن الغرب الأوروبي لم يعد يعتمد عليهـا في حراسة الباب الشرقي لأوروبا ضد هجمات المسلمين، وبدأ يفكر هو في الغـزو بنفـسه، وأثمر ذلك عن الحملة الصليبية الأولى.

## ألب أرسلان.

تولى ألب أرسلان حكم دولة السلاجقة سنة (٤٥٥ هـ = ١٠٦٣م) خلفًا لعمه طغرل بك الذي أسس الدولة ومد سلطانها تحت بصره حتى غدت أكبر قوة في العالم الإسلامي، وقضى ألب أرسلان السنوات الأولى من حكمه في المحافظة على ممتلكات دولته وتوسـيع رقعتهـا، وتأمين حدودها من غارات الروم.

ثم تطلع إلى ضم المناطق المسيحية المجاورة لدولته؛ فاتجه صوب الغرب لفـتح بـلاد الأرمن وجورجيا والأجزاء المجاورة لها من بلاد الروم، وكان أهل هذه البلاد يكثـرون مـن الإغارة على إقليم أذربيجان حتى صاروا مصدر إزعاج وقلق لسكانه، وهو ما دفع بالـسلطان السلجوقي إلى ضرورة كبح جماح هؤلاء الغزاة.

دولة السلاجقة في القرن الخامس عشر الهجري

وأزعج ذلك إمبراطور الروم رومانوس ديوجينس، وأدرك أن التوسع السلجوقي لا يقف عند هذا الحد، وأن خطره سيهدد بلاده، فعـزم على تحويل أنظار السلاجقة عن بلاده بالإغارة على بلاد الشام الشمالية، فهاجم مدينة "منـبج" ونهبها وقتل أهلها، غير أن ذلك لم يكن كافيا لدفع خطر السلاجقة على بلاده، فأعد جيشًا كبيرا لضرب السلاجقة، وتحجـيم قوتهـا وإضعافها.

## غرور القوة.

جهز الإمبراطور البيزنطي رومانوس جيشًا ضخما يتكون من مائتي ألف مقاتـل مـن الروم والفرنجة والروس والبلغاريين واليونانيين والفرنسيين وغيـرهم، وتحـرك بهـم مـن القسطنطينية عاصمة دولته، ممنيا نفسه بنصر حاسم يقضي على خطر السلاجقة، فقد أطمعته

قواته الغفيرة وعتاده الكثيف بأن النصر آتٍ لا ريب فيه، واتجه إلى ملاذكرد حيـث يعـسكر الجيش السلجوقي.

أدرك ألب أرسلان حرج موقفه؛ فهو أمام جيش بالغ الضخامة كثير العتاد، في حين أن قواته لا تتجاوز أربعين ألفا، فبادر بالهجوم على مقدمة جيش الروم، ونجح في تحقيق نـصر خاطف يحقق له التفاوض العادل مع إمبراطور الروم؛ لأنه كان يـدرك صـعوبة أن يـدخل معركة ضد جيش الروم؛ فقواته الصغيرة لا قبل لها بمواجهة غير مضمونة العواقب، فأرسـل إلى الإمبراطور مبعوثًا من قبله ليعرض عليه الصلح والهدنة؛ فأسـاء الإمبراطـور اسـتقبال المبعوث ورفض عرض السلطان، وأشاح بوجهه في غطرسة وكبرياء مطمئنًـا مـن الفـوز والظفر، ولم ينتظر سماع كلام مبعوث السلطان، وطالبه أن يبلغه بأن الصلح لن يتم إلا فـي مدينة الري عاصمة السلاجقة.

## الاستعداد للقاء.

أيقن السلطان ألا مفر من القتال بعد أن فشل الصلح والمهادنة في دفع شـبح الحـرب؛ فعمد إلى جنوده يشعل في نفوسهم روح الجهاد وحب الاستشهاد، وأوقد فـي قلـوبهم جـذوة الصبر والثبات، ووقف فقيه السلطان وإمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخـاري يقـول للسلطان مقويا من عزمه. إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سـائر الأديـان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال، في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة.

وحين دانت ساعة اللقاء في (آخر ذي القعدة ٤٦٣ هـ= أغسطس ١٠٧١م) صلّى بهـم الإمام أبو نصر البخاري، وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه، ودعا ودعوا معه، ولبس البياض وتحنط، وقال. إن قتلت فهذا كفني.

## ساعة اللقاء في ملاذكرد.

أحسن السلطان ألب أرسلان خطة المعركة، وأوقد الحماسة والحمية في نفوس جنـوده، حتى إذا بدأت المعركة أقدموا كالأسود الضواري تفتك بما يقابلها، وهاجموا أعداءهم في جرأة وشجاعة، وأمعنوا فيهم قتلا وتجريحا، وما هي إلا ساعة من نهار حتى تحقق النصر، وانقشع غبار المعركة عن جثث الروم تملأ ساحة القتال.

ووقع الإمبراطور البيزنطي أسيرا في أيدي السلاجقة، وسيق إلى معسكر السلطان ألب أرسلان الذي قال له. ما عزمت أن تفعل بي إن أسرتني، فقال. أفعل القبيح. فقال له السلطان.

فما تظن أنني أفعل بك، قال. إما أن تقتلني وإما أن تشهر بي في بلاد الشام، والأخرى بعيـدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعي نائبا عنك. فقال السلطان. ما عزمت على غير هذا.

## إطلاق سراح الإمبراطور.

أطلق السلطان ألب أرسلان سراح الإمبراطور البيزنطي بعد أن تعهد بدفع فدية كبيـرة قدرها مليون ونصف دينار، وأن يطلق كل أسير مسلم في أرض الروم، وأن تعقـد معاهـدة صلح مدتها خمسون عاما، يلتزم الروم خلالها بدفع الجزيـة الـسنوية، وأن يعتـرف الـروم بسيطرة السلاجقة على المناطق التي فتحوها من بلادهم، وأن يتعهدوا بعـدم الاعتـداء علـى ممتلكات السلاجقة.

ثم أعاد السلطان غريمه وأسيره الإمبراطور البيزنطي إلى بلاده، وخلـع عليـه خلعـه جليلة، وخصص له سرادقًا كبيرا، وأعطاه قدرا كبيرا من المال لينفق منه في سفره ثم أفـرج عن عدد من ضباطه ليقوموا بخدمته، وأمر عددا من رجاله بصحبته حتى يصل إلـى ديـاره سالما.

ولم تكد تصل أخبار الهزيمة إلى القسطنطينية حتى أزال رعاياه "اسمه مـن سـجلات الملك"، وقالوا إنه سقط من عداد الملوك، وعين ميخائيل السابع إمبراطورا؛ فألقى القبض على رومانوس الرابع الإمبراطور السابق، وسمل عينيه.

## نتائج معركة ملاذكرد.

بعد انتصار المسلمين في هذه المعركة تغيرت صورة الحيـاة والحـضارة فـي هـذه المنطقة؛ فاصطبغت بالصبغة الإسلامية بعد انحسار النفوذ البيزنطي تدريجيا عن هذه المنطقة، ودخول سكانها في الإسلام، والتزامهم به في حياتهم وسلوكهم.

وواصل الأتراك السلاجقة، غزوهم لمناطق أخرى بعد ملاذكرد، حتى توغلوا في قلـب آسيا الصغرى، ففتحوا قونية وآق، ووصلوا إلى كوتاهية، وأسسوا فرعا لدولة السلاجقة فـي هذه المنطقة عرف باسم سلاجقة الروم، ظل حكامه يتناوبون الحكم أكثر من قرنين من الزمان بعد انتصار السلاجقة في ملاذكرد، وأصبحت هذه المنطقة جزءا من بلاد المسلمين إلى يومنا هذا.

وكان من ثمار دخول هذه المنطقة في حوزة السلاجقة انتشار اللغتين العربية والفارسية، وهو ما كان له أثره في مظاهر الحضارة منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، غيـر أن هزيمـة الروم في موقعة ملاذكرد جعلتهم ينصرفون عن هذا الجزء من آسيا الصغرى، ثم عجزوا عن الاحتفاظ ببقية الأجزاء الأخرى أمام غزوات المسلمين الأتراك من السلاجقة والعثمانيين، وقد

توالت هذه الغزوات في القرون الثلاثة التالية لموقعة ملاذكرد، وانتهت بالإطاحة بدولة الروم، والاستيلاء على القسطنطينية عاصمتها، واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية، وتسميتها بإسلامبول أو إستانبول.

- ١٠٧١ م. وفاة أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ"ابن زيدون" الشاعر الأندلسي الكبير، ولد في قرطبة ونشأ بها، وتولى الوزارة أكثر من مرة، له ديوان شعر، ورسائل أدبية

## ١٠٧١ م. مولد ابن القلانسى.

ابو يعلى حمزة بن اسد التميمي. مؤرخ واديب سوري (١٠٧١م-١١٦٠م). نسب الى يافع القلانسي، ونشأ في دمشق من قبيلة تميم، ثم عمل في ديوان الرسائل في دمشق وولي رئاسة المدينة مرتين. وقد اكمل لهلال الصابئ كتابه (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء)، فألف له ذيلا اسماه (ذيل تاريخ دمشق) الذي يؤرخ فيه للمدينة حتى عام ١١٦٠م، وقد اعتمد عليه من تبعه من مؤرخين مثل ابن الجوزي وابن الاثير وابو شامة.

## ١٠٧٤ م. وفاة الب ارسلان.

عضد الدولة محمد ابو شجاع. السلطان السلجوقي الثاني من ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م اشتهر بشجاعته وكبح الثورات التي قامت في عهده. استولى على حلب وغلب رومانوس الرابع ملك الروم في مانتزريكرت عام ١٠٧١م. جرحه جندي كرخاني فمات متأثرا بجراحه عام ١٠٧٢ م.

## ١٠٧٥ م. مولد الزمخشرى.

ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد جار الله. جغرافي ولغوي وفقيه ومعتزل خوارزمي (١٠٧٥م-١١٤٤م). اشتهر كفقيه ومفسر لافكار المعتزلة، ولكنه رغم فقده لاحدى ساقيه كان دائب الاسفار. وقد عاش سنوات في مكة وتوفي في جرجانية بخوارزم. يشتهر الزمخشري بمعجمه الجغرافي (كتاب الجبال والامكنة والمياه) الذي رتبه على حروف المعجم، والتفت فيه التفاتا خاصا لضبط اسماء العلماء ولنقد اخبارهم خصوصا ما تعلق منها بشبه الجزيرة العربية. وقد تأثر الزمخشري في تبويب وتحرير معجمه بالبكري. وله ايضا كتاب (الكشاف)، و (ربيع الابرار)، وديوان شعر.

- ١٠٧٦ م. وفاة المؤرخ الأندلسي الكبير "أبو مروان ابن حيان بن خلف بن حسين" أكبر مؤرخي الأندلس، وصاحب كتابي. "المقتبس مـن أنبـاء أهـل الأنـدلس"، و"المتين".

## ١٠٧٦ م. مولد ابن العربي.

ابو بكر محمد بن عبد الله. رحالة وفقيه اندلسي (١٠٧٦م-١١٤٨م). نشأ في اشـبيلية، وقام وهو بعد صبي برحلة طويلة مع اسرته طاف بها بلاد الشام والعراق، وقـد تتلمـذ فـي الاولى على مواطنه ابي بكر الطرطوشي، وفي بغداد على فقيه المدرسة النظامية التبريـزي. ثم قصد ابن العربي للحج، وفي طريق عودته لبلاده مر بالقاهرة والاسكندرية، وتوفي والـده في الاخيرة ودفن بها، وواصل ابو بكر رحلته عائدا للاندلس. وقد اصبح ابن العربي بعد ذلك من اكبر فقهاء الاندلس، وكتب وصفا لرحلته اسماه (الرحلة) وهو مفقود لنا، ولكن ابن خلدون والمقري تحدثا عن وصفه، وذكرا انه من كتب الغرائب التي بالغ صاحبها في تزيينها بـأمور الصنعة. ويظن ان (الرحلة (هو احد الاصول التي اهتدى بها ابن جبير في كتاب رحلته.

## ١٠٧٨ م. مولد الفتح بن خاقان

الفتح بن خاقان الاندلسي (١٠٧٨ - ١١٣٤م). اديب وشاعر ومؤرخ من أهل اشـبيلية بالاندلس. كان شريدا سكيرا. قتل في مراكش. ألف كتاب (قلائد العقبان في محاسن الاعيـان) الذي يحتوي على تراجم شعراء المغرب

- ١٠٨٠ م. بداية حروب الاسترداد فى الاندلس
- ١٠٨٣ م. مولد العالم الكبير أبي الفضل عياض بن موسى اليحـصبي الـسبتي، المعروف بالقاضي عياض حافظ المغرب وأحد أئمة العلم في القـرنين الخـامس والسادس الهجريين. وصاحب المؤلفات المعروفة في الحديث والفقـه والتـاريخ، ومن أشهرها. مشارق الأنوار، والإلماع .
- ١٠٨٥ م. سقوط طليطلة المسلمة في أيدي القشتاليين (الفونسو السادس)، وكـان ذلك بداية سقوط معاقل الإسلام في الأندلس تباعا حتى انتهى الوجود الإسـلامي بسقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ= ١٤٩٢م

**١٠٨٦ م. الأندلسيون والمرابطون بقيادة الأمير يوسف بن تاشـفين ينتـصرون على النصارى الأسبان بقيادة ألفونس السادس في موقعـة "الزلاقـة" المجيـدة ويحطمون قواته، وكانت المعركة سببا في استمرار الوجود الإسلامي بالأنـدلس قرنين ونصف القرن من الزمان١٠٩٧ م. محاولة "دقاق" ملـك دمـشق نجـدة إنطاكية المحاصرة من قبل الصليبيين.**

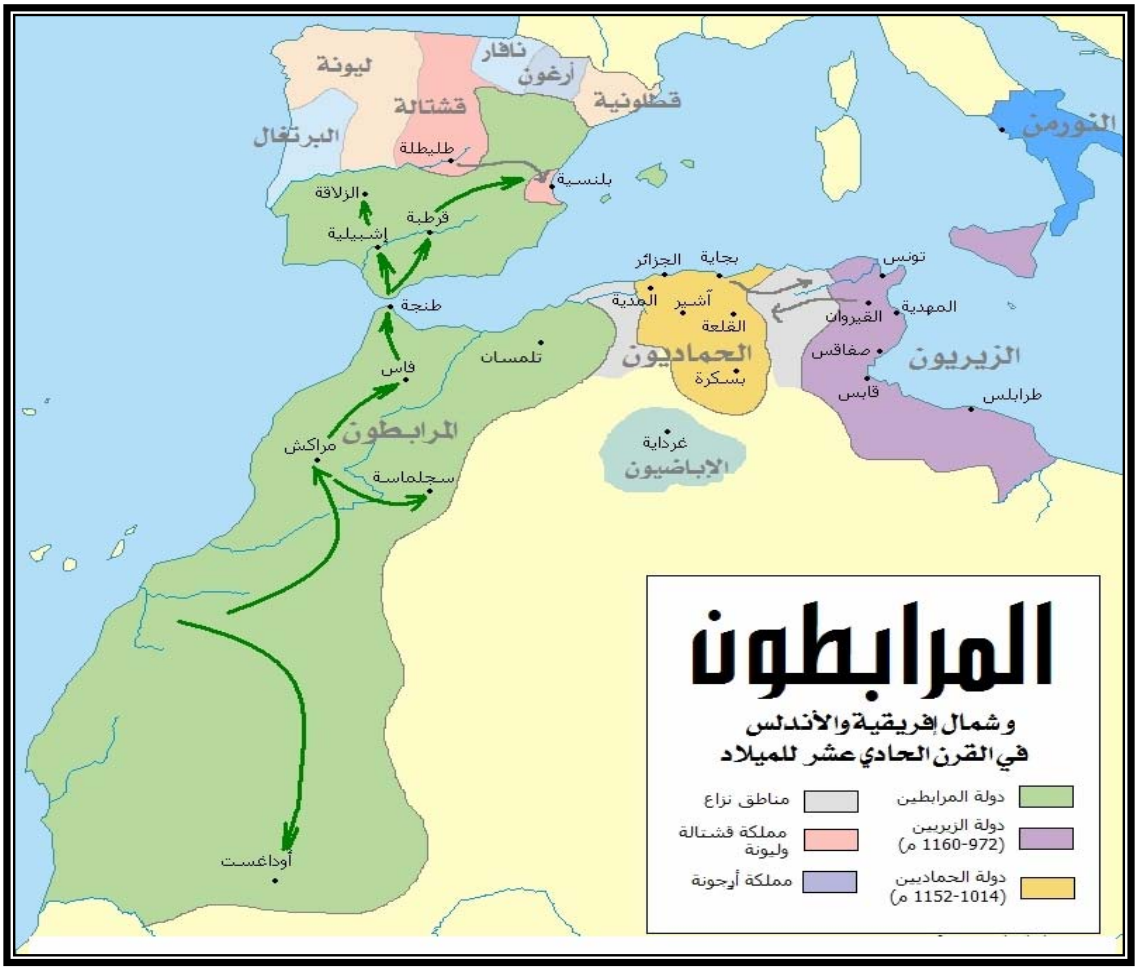


كان لسقوط طليطلة في مستهل صفر سنة ٤٧٨هـ في أيدي القشتاليين دوي هائل فـي الأندلس والعالم الإسلامي، وعد سقوطها واحدة من المآسي الكبرى في تاريخ المـسلمين؛ لأن سقوطها لم يكن عن عجز في المقاومة أو ضعف في الدفاع، أو قلة في العتاد، وإنما سـقطت لسقوط قيم النجدة والإغاثة، وتردي شيم المروءة والأخوة؛ فتركها جيرانها من ملوك الطوائف تسقط، وتخرج من قبضة الإسلام إلى الأبد، دون أن يتقدم أحد لنجـدتها باسـتثناء صـاحب بطليوس، وتركت المدينة المنكوبة لمصيرها المحتوم.

## صحوة ملوك الطوائف.

شجعت مواقف ملوك الطوائف المخزية أن يتحرك "ألفونسو السادس" ملك قشتالة في محاولة منه لالتهام حواضر الإسلام الأخرى، فتوالت غزواته، وراح يهدد سرقسطة وإشبيلية وبطليوس وغيرها من قواعد الأندلس، كان ذلك نذيرا.. فتحرك ما بقي من ضمائرهم، وتفتحت أعينهم على حقيقة جلية، وهي أن ما أصاب طليطلة سيصيبهم، ولن تنفعهم معاهدات عقدوها مع ملك قشتالة، وأن مصيرهم إلى السقوط والهلاك ما لم يتداركوا مواقفهم، وتتحد كلمتهم وتجتمع على كلمة سواء.

وأدرك "المعتمد بن عباد" صاحب إشبيلية خطورة الموقف، وهو أشد ملوك الطوائف مسئولية عما حدث؛ لأنه كان بإمكانه نجدة طليطلة، ومد يد العون إليها، لكن غلت يديه معاهدةٌ مخزية عقدها مع القشتاليين بمقتضاها يتعهد ملك قشتالة بمعاونة المعتمد ضد جيرانه من الأمراء المسلمين، وفي المقابل يتعهد المعتمد بأن يؤدي الجزية لملك قشتالة، وأن يطلق يده في أعماله العسكرية ضد طليطلة، دون أن يتدخل لوقف أعماله، وبعد سقوط طليطلة، بدأ ألفونسو ملك قشتالة يشتد في مطالبه المالية ويرهقه بالمزيد منها، بل إنه كاتبه يطالبه بتسليم بلاده، وينذره بسوء المصير، وبدأ بالفعل في اجتياح بلاده وتخريب مدنها وقراها.

## رعي الإبل لا الخنازير.

أجمع ملوك الطوائف على ضرورة الاستغاثة بيوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين المغربية وكانت دولة قوية بسطت نفوذها بالمغرب، وكان قد ذاع صيته، واشتهر أمر فُتُوحه في المغرب، وحبه للجهاد، وإقامته حكومة تقوم على العدل والقسطاس.

وبدأ ملوك الطوائف يكاتبون الأمير يوسف ويرسلون إليه الرسل، يستنصرون به على محاربة النصارى الذين اشتد سلطانهم، وتفتحت شهيتهم لالتهام الأندلس، ويصفون له حالهم وما ينتظرهم من خطر السقوط والفناء؛ إذ لم يبادر هو بإغاثتها ونصرها.

ولم تكن فكرة الاستنصار بالمرابطين تلقى إجماعا بقبولها من قبل ملوك الطوائف، فقد كان هناك من يخشى مغبة هذه السياسة ويعارض قيامها، مخافة أن يطمع المرابطون في بلادهم فيلحقوها بدولتهم الفتية، غير أن "المعتمد بن عباد" حسم الموقف وأخمد الفتنة بمقولته المأثورة. "رعي الإبل خير من رعي الخنازير" يقصد بذلك أنه يفضل أن يكون أسيرا لدى أمير المرابطين يرعى له جماله من أن يكون أسيرا لدى ملك قشتالة.

## عبور المرابطين.

استجاب يوسف بن تاشفين لدعوة ملوك الطوائف، وأعد جيشًا عظيما، عبر به البحـر المتوسط إلى الأندلس، فاستقبله أمراؤها، وسار بجيشه إلى إشبيلية حيث وافته جيوش الأندلس،

وفي أثناء ذلك الوقت كان "ألفونسو" ملك قشتالة مشغولاً بمحاربة "ابـن هـود" أميـر سرقسطة، فلما علم بخبر عبور المرابطين ترك محاربة ابن هود، وجمع جنـدا مـن سـائر الممالك النصرانية للقاء الجيوش الإسلامية، فالتقى الفريقان في سهل الزلاقـة بـالقرب مـن بطليوس، في معركة هائلة في (١٢ من رجب ٤٧٩ هـ. ٢٣ من أكتوبر ١٠٨٦ م)، ثبت فيها المسلمون وأبلوا بلاء حسنًا حتى أكرمهم الله بالنصر، وقتل معظم جيش القشتاليين، ومن نجـا منهم وقع أسيرا، وفر ملكهم بصعوبة في بضع مئات من جنده جريحا ذليلاً، وعاد يوسف بـن تاشفين إلى المغرب متوجا بتاج النصر والفخار، وملقبا بأمير المسلمين.

كان هذا النصر عزيزا، أعاد الثقة في نفوس الأندلسيين، واهتزت له مشاعر المـسلمين فرحا وطربا، ورد خطر القشتاليين عن الأندلس إلى حين بعد أن كانت على موعد مع الغثـاء والهلاك، وكتبت لها حياة جديدة، امتدت إلى أربعة قرون أخرى.

## عبور المرابطين ثانية.

لم يكد يستقر يوسف بن تاشفين في المغرب حتى عادت كتب الأندلسيين ووفودهم تترى عليه؛ طلبا لنجدتهم من القشتاليين الذين عاودوا التدخل في شئون شرقي الأندلس فـي بلنـسية ومرسية ولورقة، فأجابهم إلى ذلك، وعبر بقواته إلى الأندلس في (ربيـع الأول ٤٨١ هـ. يوليو ١٠٨٨م) واتجهت مع القوات الأندلسية إلى حصن (ليبط)، وهو حصن أقامه القشتاليون بين "مرسية" ولورقة، ليكون قاعدة للإغارة على أراضي المسلمين في هذه المنطقة.

حاصرت القوات المتحدة هذا الحصن، وسلطت عليه آلات الحصار، وضربوه بـشدة، لكنها لم تنجح في هدمه أو إحداث ثغرة ينفذ منها المسلمون؛ نظرا لمناعته واستماتة المدافعين، ودام الحصار نحو أربعة أشهر دون جدوى، ففك يوسف بن تاشفين الحصار بعدما كبد حامية الحصن خسارة كبيرة، وأهلك معظم رجاله حتى إن ملك قشتالة حين قدم الحصن لنجدتـه لـم يجد فيه سوى مائة فارس وألف راجل (محارب من المشاة)، بعد أن كان يضم عند محاصرته ثلاثة عشر ألف مقاتل، ثم عاد يوسف إلى بلاده بعد ترك بعض قواته تحت إمرة خير قـواده (سير بن أبي بكر اللمتوني).

## العبور الثالث.

شاهد أمير المرابطين عند عبوره إلى الأندلس ما عليه أمراؤها من فُرقة وتنابذ، وجنوح إلى الترف والبذخ، وميل إلى الدعة والراحة والعيش الناعم، في الوقت الذي يهملون فيه شئون رعيتهم، ويتقاعسون عن حماية دولتهم من خطر النصارى وتطلعهم إلـى الاسـتيلاء علـى أرضهم، فاستقر في ذهنه ضرورة إزاحة هؤلاء الأمراء عن مواقعهم، وعزز من ذلك فتـاوى كبار الفقهاء من المغرب والأندلس بوجوب خلع ملوك الطوائف، وانتزاع الأمر مـن أيـديهم، وكان "أبو حامد الغزالي" و"أبو بكر الطرطوشي" على رأس القائلين بهذه الفتوى؛ وهو ما دعا أمير المرابطين إلى تنفيذ هذا الأمر، وكان لا يحب القيام بعمل إلا إذا كان متفقًا مـع أحكـام الشرع الحنيف.

عبر أمير المرابطين إلى الأندلس للمرة الثالثة بجيش ضخم في أوائل سنة (٤٨٣هـ ـ ـ ١٠٩٠م) لتحقيق هذا الهدف، ومقاتلة النصارى، فاتجه بقواته إلى طليطلة، واجتاح في طريقه أراضي قشتالة دون أن يتقدم أحد من ملوك الطوائف لمعاونته أو السير معه، وكان يرغب في استرداد طليطلة لعله يشفى الجرح الدامي، لكنه لم ينجح نظرا لمناعة أسوارها العالية، فرجـع بجيشه إلى إشبيلية وفي عزمه أن يستخلصها هي وغيرها من إمارات ملوك الطوائف بعـد أن وقر في قلبه، وقامت عليه الأدلة إلى عودة ملوك الطوائف إلى عقد اتفاقات سرية مـع ملـك قشتالة، يتعهدون فيها بالامتناع عن معاونة المرابطين، والدخول في طاعة ألفونسو ملك قشتالة وحمايته.

## دخول المرابطين قرطبة.

قسم أمير المرابطين قواته في أنحاء الأندلس، وبدأ هو بالاستيلاء على غرناطة، ودخلها في (العاشر من رجب ٤٨٣هـ. سبتمبر ١٠٩٠م) وأعلن على الناس أنه سوف يحكم بالعـدل وفقًا لأحكام الشرع، وسيدافع عنهم، ويرفع عنهم سائر المغارم الجائرة، ولن يفرض عليهم من التكاليف إلا ما يجيزه الشرع الحنيف.

ثم بعث أمير المرابطين بقائده الكبير "سير بن أبي اللتموين" على رأس جيش كبير إلـى إشبيلية، فتمكن من الاستيلاء على كثير من مدنها، ودخل المرابطون قرطبة في اليوم الثالـث من صفر ٤٨٤ هـ. ٢٦ من مارس ١٠٩١م، ثم تتابع سـقوط مـدن الأنـدلس فـي أيـدي المرابطين ليبدأ عصر جديد في الأندلس.

## ١٠٨٦ م. مولد الشهرستانى.

هو ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، ولد ١٠٨٦ م وتوفى ١١٥٣ م، متكلم اشعرى ومؤرخ للعقائد والملل، يعد مؤسس علم " تاريخ الاديان " فى الحضارة الاسلامية، اهم كتبه " الملل والنحل " و " نهاية الاقدام فى علم الكلام "

- ١٠٨٩ م. السيد القمبيطور القشتالى (رودريجو دى فيفار) يستولى على مدينة بلنسية الاندلسية بعد حصار لمدة تسعة شهور

## ١٠٩٠ م. الحسن الصباح زعيم الحشاشية الباطنية يحتل حصن الاموت ويتخذه مقراً لدولة الحشاشية الباطنية.

لقد تفنن خصوم الاسماعيليين النزاريين في إغداق التهم عليهم، فمن ذلك إنهم استغلوا الصفة التي أطلقها الصليبيون على الاسماعيليين النزاريين لكثرة ما فتكوا بهم فلقبوهم بلقب assasins أي المغتالون. استغل خصوم الاسماعيليين هذا اللقب فحولوه إلى الكلمة العربية (حشاشون) نسب إلى (الحشيشة) العشبة المخدرة المعروفة.

وقالوا أن الحسن بن الصباح كان يزرعها في ألموت وحاكوا حول ذلك أساطير عجيبة. وقد كتب الأستاذ مصطفى غالب معللاً أصل هذه الكلمة.

من التهم التي ألصقت بالاسماعيلية النزارية وتناقلها بعض الباحثين أسطورة (الحشيشة) وتعويد الاتباع تعاطي هذه المادة وإدمانها فلا يستطيعون الحياة بدونها. ويردون الأعمال الخطيرة التي كان يقوم بها الفدائية من قتل واغتيال إلى فعل هذه المادة وتسلطها على عقولهم.

زعموا أنهم كانوا ينفذون كل ما يطلب منهم بدقة لا متناهية لقاء حصولهم على الحشيشة. فإذا نفذوا الأوامر كافأهم الشيخ وعطاهم الحشيشة وأدخلهم جنته. ويصور لنا الرحالة البندقي ماركو بولو في القرن الثالث عشر الميلادي قصة خرافية ابتدعها وسماها (جنة شيخ الجبل).

يذهب فيها أن (شيخ الجبل) أنشأ في واد يقع بين جبلين حديقة غناء فسيحة غرس فيها جميع أنواع الزهور وأشجار الفاكهة، وجعل فيها مقصورات ذات قباب بديعة الشكل وزخرفها بنقوش ذهبية. وأوجد في الحديقة أنهاراً من خمر وأخرى من عسل وثالثة من لبن وأقام الحور العين والولدان المخلدين، والجميع يلهبون بالموسيقى والغناء والرقص، وذلك كله لفتنة أتباعه بأن هذه هي الجنة التي وعد الله بها المتقين. وإن في استطاعة شيخ الجبل أن يدخل جنته هذه من يشاء ويحرم منها من يشاء، لذلك تفانوا في طاعته والامتثال لأوامره، ولم يكن يسمح لأحد بدخولها إلاّ طبقة الفدائيين فقط.

هذه الأسطورة التي ابتدعها عقل الرحالة كانت ولا تزال حتى عصرنا مثاراً لأسـاطير كثيرة عن الفدائية الاسماعيلية النزارية وشيخهم الحسن بن الصباح. كما ألهمت عدداً كبيراً من كتاب القصص والروايات للتحليق في أجواء الجنة الخيالية العابقة بالترهات والسفاسف ولعـل السبب الذي من أجله صدق العامة القصة وحاولوا إثبات صحتها لمن يشك فيهـا هـو نظـام الفدائيين الذي أوجده الحسن بن الصباح للمرة الأولى في التاريخ.

والصحيح أن أصلها يرجع إلى واحد من هذه الوجوه الآتية.

١) أساسان (**assasins**). أي القتلة أو السفاكون. وهذه لفظة كان يطلقها الصليبيون على الفدائي الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخافوهم ولقبوهم «الأساسان».

٢) حساسان. نسبة إلى شيخ الجبل الحسن بن الصباح الذي أوجد منظمات الفدائية.

٣) حساسون. مشتقة من الحس والشعور. أي ذوو حس وشعور.

٤) عساسون. مشتقة من العسس الذين يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم لحراسـتها والدفاع عنها.

٥) أساسين. لقولهم بالأساس، وهي صفة تطلق تأويلاً على الإمام أساس الدور والدعوة.

وقد عمد خصوم الاسماعيلية عن قصد إلى تحريف الكلمات بقصد النيـل مـن سـمعة الفدائية.

أما الجنة الخيالية التي وصفها ماركو بولو فالتاريخ يذكر أن الحسن بن الصباح بعـدما اطمأن إلى استقراره في قلعة «الموت» ووزع الدعاة والنواب والقادة في مختلف أنحاء الـبلاد الاسلامية لم يشاده خارج منزله في «ألموت» سوى مرتين فقط. والظاهر أن الحسن رأى أن تزرع قلعة «ألموت» بالأشجار، فأصبح منظر الجبل بعدما كسته الخضرة وأينعت فيه الزهور سبباً في هذه القصة الخيالية. ولقد زادت في هذا المنظر الخلاب التضحيات الجسام والجـرأة النادرة التي كان يقوم بها الفدائية الذي أعدهم الحسن وعلمهم كيف يستعملون سلاحهم ويخفون أنفسهم، بحيث لا يبوح أحد منهم بسره، أو بسر الجماعة التي ينتسب إليها.. فإذا قبض عليـه أحد الخصوم، يجب عليه أن يقتل نفسه قبل أن يجبر على الكلام. ومن الواضـح أن القيـادة كانت صارمة جداً في تنشئة هؤلاء الفدائية قاسية عليهم أشد القسوة.

ولو حاولنا أن نناقش عقلياً ومنطقياً وطبياً أحوال مدمن الحشيشة لوجدناه بمـا لا يقبـل الشك والجدل يتصف بالجبن ولا يمكنه أن يفعل مثل الأفعال الخارقة التي كان يفعلها الفدائيون من قتل الأعداء أو قتل أنفسهم إذا فشلوا في مهماتهم. ولثبت لنا أن الحشيـشة تـشل التفكيـر وتخدر العقل وتجعل شاربها أو مدخنها يهذي ويبوح بكل ما يتفاعل في أعماقه مـن اسـررا ربما كان يكتمها ويحافظ عليها لو لم يدمن الحشيشة.

بينما نرى أن الفدائي الاسماعيلي كان يمتاز بالفطنة واللياقة والدقة التامة في تنفيذ كـل ما يلقى على عاتقه من مهمات خطيرة، بحرص شديد وكتمان مكين، وهذا كله لا يتفـق مـع الادمان.

ولا غرو فإن فساد البيئة، وسوء حالة المجتمع، واضطراب العقائد، عوامل قويـة فـي ايجاد المنظمات والجماعات السرية التي تنهد إلى إنقاذ المجتمع من براثن الفـساد والفوضـى بوسائل مختلفة تتناسب مع الوضع والظروف.

أما الشجاعة والاقدام وروح التضحية فهي من الخصائص اللازمة لكل ثائر مجاهد، ولا أعتقد أنه يحتاج إلى تناول الحشيش لايقاظ الجرأة والاقدام فيه.

فتاريخ الحركات الدينية والسياسية حافل بمظـاهر تلـك الـشجاعة ولا سـيما تـاريخ الاسماعيلية الذين طالما ذاقوا مرارة الظلم والاضطهاد.

وليست الجنة التي أوجدها الحسن لأتباعه في (ألموت) سوى جنة يانعـة مـن الرخـاء والرفاه، سادها الأمن، وخيم عليها الهدوء والطمأنينة، وعبق في أجوائها الرحبـة الإخـلاص والإخاء والتضامن في ظروف كانت تموج بالفوضى وتعج بعسف الحكـام، وجـور الـولاة، وسوء الحالة الاقتصادية التي هبطت إلى الحضيض.

وليس تأثير الفدائية وانصياعهم التام وطاعتهم العمياء لأوامر رؤسائهم إلا مـن تبـادل الثقة بين الرئيس والمرؤوس والإيمان القوي المطلق بعقيدتهم المثلى وبإمامهم الـذي يبـذلون أرواحهم رخيصة في سبيله لأنهم يعتبرون أنفسهم جزءاً مـن الـنفس الكليـة فهـم يتوقـون ويشتاقون إلى اليوم الذي يعود فيه هذا الجزء إلى كليته حيث السعادة الأبدية السرمدية.

ونحن لا ننكر أن الفدائية كانوا يغتالون من تسول له نفسه مناصبتهم العـداء لا سـيما الأمراء والملوك والوزراء، الذين كانوا يجردون عليهم الحملات التأديبية، ويبعثون بجيوشـهم لمحاربة الاسماعيلية، لأن ذلك حق طبيعي مشروع للدفاع عن النفس.

وليست أنظمة المغاوير وأنظمة الفدائية التي تطبق في وقتنا الحاضر في جميـع أنحـاء العالم إلا صورة مستقاة من الأنظمة التي أوجدها الحسن بن الصباح.

ولابد لنا من الاشارة إلى مقال كتبه المستشرق الروسي البروفسور ايفانوف تحدث فيـه عن واقعية قلاع الفدائية في فارس ومعاقلهم الحصين، بعدما زارها مرتين وتكبد مشاق السفر وتعرض خلال تجواله لقسوة الطقس، في سبيل التحقيق العلمي المجرد البعيد عن العاطفة.

ولقد زين مقاله بصورة للتوضيح فجاء آية في الدقة والروعة. ولم يتساهل ايفانوف في مناقشة المؤرخ التتري عطا ملك الجويني لما أورده في كتابه «جهان كوشاي» نقاشاً يستند إلى

فهم عميق للناحية العسكرية والاستراتيجية من جهة ومقارنة الأرقام والارتفاعـات ودرجـات الحرارة من جهة أخرى.

وقد تساءل ايفانوف في مقاله عن «جنة الأرض» المزعومة التي أتى على ذكرها أغلب المؤرخين والكتّاب بقوله. «أي جنة وارفة الظلال في أرض يجتاحها الشتاء بجليده وزمهريره سبعة أشهر في العام لا يمكن معها معيشة حي غير الانسان. لذا كـانوا يبعـدون الحيوانـات الداجنة إلى القرى المجاورة طول فصل الشتاء الشديد البرودة».

- ١٠٩٠ م. المعتمد بن عباد يطلب العون من المرابطين ليدافعوا عن حصن لـيط ويعود يوسف بن تاشفين ليتصدى للاسبان وملوك الطوائف معاً
- ١٠٩٠ م. دخول المرابطين بقيادة القائد المعروف يوسـف بـن تاشـفين مدينـة غرناطة بعد أن عزل سلطانها عبد الله بن بلقين، وأصبحت المدينة تابعـة بـذلك للدولة المرابطية التي امتد نفوذها من المغرب إلى بلاد الأندلس.
- ١٠٩١ م. يوسف بن تاشفين يعزل المعتمد بن عباد عن اشبيلية وينفيه الى اغمات بالمغرب
- ١٠٩١ م. دخول جيش دولة المرابطين مدينة قرطبة الأندلسية، معلنـا سـقوطها، وانتقال تبعيتها إلى المرابطين بزعامة يوسف بن تاشفين لتبدأ دولة المرابطين في الأندلس
- ١٠٩١ م. النورمان يستولون على صقلية
- ١٠٩٢ م. الحشاشية يغتالون نظام الملك وزير الب ارسلان
- ١٠٩٢ م. المرابطون يستولون على معظم الاراضى الاندلسية
- ١٠٩٢ م. وفاة السلطان "ملكشاه بن ألـب أرسـلان"، أبـرز سـلاطين الدولـة السلجوقية، نجح بمساعدة وزيره النابه "نظام الملك" في الارتقاء بالدولة إلى ذروة المجد والحضارة، وفي عهده أنشئت المدارس النظامية التي كانت مراكـز للعلـم والثقافة.
- ١٠٩٢ م. وفاة الوزير أبي علي الحسن علي بن إسحاق، المعروف بنظام الملـك، أحد مشاهير الوزراء في التاريخ الإسلامي، وصاحب المدارس النظامية
- ١٠٩٥ م. وفاة المعتمد بن عباد، أشهر ملوك دولة الطوائف التـي قامـت فـي الأندلس في القرن الخامس الهجري، بعد انهيار دولة الخلافة الأموية، اشترك مع يوسف بن تاشفين في تحقيق النصر على القشتاليين في معركة الزلاقة، ثم زالـت

دولته على يد شريكه في النصر بعد أن دخل قرطبة، ومات المعتمـد بـن عبـاد غريبا في منفاه بـ"أغمات" بالمغرب

- ١٠٩٥ م. البابا اوربان الثانى يوجه دعوته الشهيرة من مجمع كليرمونت بفرنـسا لبدء شن الحملات الصليبية
- ١٠٩٥ م. مولد أبو المظفر مؤيد الدولة "أسامة بن منقذ" الشاعر الأديـب، وأحـد أبطال المسلمين في الحروب الصليبية، في قلعة شيراز بالقرب من "حماة"، وهـو صاحب عدد من الكتب، منها. "الاعتبار"، و"المنازل والديار"، "والبديع فـي نقـد الشعر"، و" لباب الأدب"، وتُوفي بدمشق بعد أن عاش ستًا وتسعين عاما.
- ١٠٩٦ م. هزيمة العامة الصليبية عند قونية
- ١٠٩٧ م. سقوط مدينة نيقية عاصمة دولة السلاجقة في أيـدي الـصليبيين فـي حملتهم الصليبية الأولى، وهي الحملة التي أسفرت عن قيام ٤ إمـارات صـليبية هي. إمارة الرها، وأنطاكية، وطرابلس، ومملكة بيت المقدس.
- ١٠٩٨ م. موقعة "حارم" بين الصليبيين والقوات الإسلامية عنـد حـصن حـارم بالقرب من حلب، وكان ذلك في أثناء الحملة الصليبية الأولى، وانتهت المعركـة بانتصار القوات الصليبية.
- ١٠٩٩ م. سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين في حملتهم الأولى على المشرق الإسلامي، وقد دام حصارهم للمدينة أكثر من أربعين يوما سقطت بعدها، وحـين دخلوا المدينة أقاموا بهـا المـذابح، وقتلـوا الأبريـاء مـن الرجـال والنـساء والأطفال١٠٩٩ م. قوات المرابطين تهزم السيد القمبيطور فيموت من الهم
- ١١٠٠ م (٤٩٢ هـ). تأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية

## ١١٠٠ م. مولد ابن بشكوال.

ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود. مؤرخ وفقيه اندلسي (١١٠٠-١١٨٢ م). ولد بنواحي بلنسية في الاندلس وعاش ودرس في قرطبة، وكان من شيوخه فيها ابن عتاب و ابن رشد و ابو بكر. وهو من اجل فقهاء الاندلس واوسعهم علما واولاهـم بالثقـة. وقـد انقطـع للتدريس والتأليف بعد فترة قصيرة قضاها بالقضاء. قيل انه ألف خمسين مؤلفا لا نعرف منها الا (الصلة) وهو تكملة لكتاب ابن الفرضي (تاريخ علماء الاندلس). وهو من احـسن كتـب التراجم الاندلسية واوثقها نظرا لضبطه ودقته وصدقه وعلم المؤلف الواسع وامانته.

## ١١٠١ م. مولد ابن زهر.

هو أبو مروان بن عبد الملك بن زهر، ينتمي إلى عائلة أغلبها أطباء. ولد في إشـبيلية عام ٤٨٤ هـ ١١٠١/م. درس دراسة جيدة ووجهه أبوه أبو العلاء نحو الطب وكان هو نفسه طبيباً شهيراً، وجده أيضاً أبو مروان بن محمد مروان بن زهر. اشتهر بالطب وزاولـه فـي بغداد والقاهرة والقيروان. وكان والده شاعراً وعالماً ووزيراً أيام السلطان يوسف بن تاشفين.

سافر أبو مروان إلى المغرب مرات عديدة وكانت تحت حكم المرابطين، ولقد غـضب عليه السلطان علي بن يوسف فسجنه في مراكش وعندما استلم الموحدون الحكم وحكم الخليفة عبد المؤمن المغرب والأندلس تعرف السلطان على إمكاناته وأحاطه بعنايته وجعلـه وزيـر لمملكته.

توفي ابن زهر في إشبيلية عام ٥٥٧هـ/١١٦١م.

وكان كثير النشاط دؤوباً، يسهر الليالي. ويقال إنه لم يتوقف عن العمل إلا ليلة زفافـه وليلة موت والده.

ألف عدة كتب منها. "كتاب الزينة"، وكتاب في إصلاح الأنفس والأجساد.

ولكن أهم وأشهر كتاب له هو، دونما شك، التيسير في المداواة والتدبير، الذي ألفه بناء على طلب من تلميذه ابن رشد. وترجم عدة مرات إلى اللاتينية. وهو كتاب شامل جامع للطب يتميز بروحه العلمية العملية، وبالابتكارات الشخصية. وصف فيه الجرب وشلل شراع الحنك، والانصباب في التامور، وخراج التامور، وهو أول من وصفه بشكل واضح، كـذلك وصـف التهاب الأذن الوسطى الحاد.

ويتحدث فيه عن أورام المنصف، واستعمل القنية المريئية لتغذية المرضـى، والحقـن المغذية، والزرق تحت الجلد. ولا بد أنه فتح جثث المرضى بعد الوفاة حتى توصل إلى تلـك الحقائق. وكان يفضل التجربة على المناقشة النظرية ولا يحبذ اهتمام الأطباء بالفلسفة، لذا انتقد ابن سينا وقانونه وفضل الأرجوزة. ويعد أفضل طبيب عربي بعد الرازي.

ومن أولاده وأحفاده أطباء مشهورون أمثال. أبوبكر بن زهر، وأبو محمد عبد الله بـن زهر، وعبد الملك، وأبو العلاء.

- ١١٠٢ م. المرابطون ينتزعون بلنسية من اتباع السيد القمبيطور بعد موته
- ١١٠٤ م. عكا تسقط فى ايدى الصليبيين

## ١١٠٥ م. مولد ابن عساكر.

علي بن الحسن بن هبة الله ابو القاسم ثقة الدين الشافعي. مـؤرخ سـوري (١١٠٥م-١١٧٦م). نشأ في دمشق، وتنقل بين مدن الشام والعراق وفارس، ثم عاد الى دمـشق ودرس في المدرسة النورية بها. ويشتهر ابن عساكر بمؤلفه (تاريخ دمشق) الذي قيل انه كان من ٨٠ جزءا لم يصلنا منه الا اجزاء معدودة، وقد ترجم فيه ابن عساكر لكل من له صلة بالمدينة.

- ١١٠٦ م (٥٠٠ هـ). وفاة امير المرابطين يوسف بن تاشفين
- ١١٠٦ م. مولد العالم اللغوي عبد الله بن بري المقدسي، المعروف بابن بري، أحد جهابذة اللغة في القرن السادس الهجري، ولد ومات بمصر، وانتهـت إليـه فـي عصره إمامة النحو، وتصدر للتدريس بجامع عمرو بـن العـاص، مـن أشـهر مؤلفاته. أغاليط الفقهاء، وشرح شواهد الإيضاح، والتنبيه والإيضاح.
- ١١٠٩ م. سقوط طرابلس فى ايدى الصليبيين
- ١١٠٩ م. وفاة أبي زكريا يحيى بن علـي بـن محمـد، المعـروف بالخطيـب التبريزي، أحد أعلام اللغة والأدب في القرن الخامس الهجري، وصاحب الشروح المعروفة لعديد من المجموعات الشعرية، مثل. المعلقات والمفضليات والحماسة.
- ١١١٠ م. سقوط بيروت وصيدا فى ايدى الصليبيين
- ١١١٠ م. المرابطون يستولون على سرقسطة
- ١١١١ م. وفاة الفقيه الأصولي الكبير أبي حامد محمد بن أحمد، المعروف بـأبي حامد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، برع في الفقه والأصول والتـصوف وعلـم الكلام، وترك مؤلفات عظيمة ذات شأن، من أهمها إحياء علوم الدين، والوسـيط في الفقه، والمستصفى في الأصول، وتهافت الفلاسفة
- ١١١٢ م. وفاة الأديب الكبير أبي محمد القاسم بن علي بن محمـد بـن عثمـان، المعروف بالحريري، صاحب المقامات المعروفة باسمه، والتـي نالـت شـهرة واسعة، وكثرت حولها الشروح. وللحريري إلى جانب ذلك رسائل أدبية، وديوان شعر

## ١١١٦ م. مولد ابن الجوزى.

ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين. مؤرخ وموسوعي واديب عراقي (١١١٦-١٢٠٠م). نشأ في بغداد ودرس على مشايخها، وكان امام عـصره فـي الحـديث والوعظ، ولكنه الف في فنون شتى وترك ما يزيد على مائة مؤلـف فـي التـراجم والـسير

والتاريخ والجغرافيا والطب والفقه والحديث والتصوف. اهم كتبه (المنتظم في تاريخ الامـم)، وهو تاريخ عام من بدء الخليقة حتى عام ١١٧٣ م و (الذهب المسبوك فـي سـير الملـوك) و(مثير عظم الساكن الى اشرف الاماكن) و (تبصرة الاخبار في نيل مـصر واخوانـه مـن الانهار) و (منير الغرام الى ساكن الشام).

## ١١١٦ م. وفاة جابر بن أفلح.

أبو محمد جابر بن أفلح، عالم رياضي وفلكي اشتهر في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. ولد في إشبيلية وفيها تلقى علومه الأساسية، ثم ما لبث أن هاجر إلى قرطبـة واستقر فيها بقية حياته وبها دفن .

درس جابر العلوم الرياضية والفلكية وأولاها عناية كبيرة. ولقد استفاد جابر بن أفلح من خبرة كبار علماء العرب والمسلمين في هذين المجالين. كما قام بإنشاء أول مرصد في الأندلس والذي يعد في ذلك الوقت أول مرصد في أوروبا وعمل فيه جميع تجاربه الفلكية التـي بنـى عليها ملاحظاته وانتقاداته للنظام البطليموسي الكواكبي .

وتعود شهرة جابر بن أفلح الحقيقية في مجال الرياضيات إلى ابتكاره بعض النظريـات الهامة والضرورية لحل المثلثات الكروية، فهو صاحب قانون جابر المعروف في الغرب باسم Gober lawالمعبر عن علاقة جيوب وجيوب تمام الزوايا وأضلاع المثلث المقابلة لها ويـنص على (جتا ب = جتاب جاأ).

أما في مجال الفلك فتعود شهرته إلى تصحيحه الأخطاء الخطيرة التـي انزلـق فيهـا بطليموس في كتابه المجسطي، وكذلك إلى نتائجه في إثبات أن الزهرة والمريخ أقـرب إلـى كوكب الأرض من الشمس. كما كان له الفضل والإبداع في اكتشاف بعض آلات الرصد التـي كانت تستخدم في مراكز الرصد في الأندلس .

لقد نال جابر بن أفلح شهرة عظيمة في مؤلفه كتاب الهيئة أو إصلاح المجـسطي الـذي ضمنه بعض الملاحظات الهامة على كتاب المجسطي لبطليموس وخاصة في نظرية الكواكـب السيارة .

وقد أولى علماء أوروبا كتاب الهيئة لجابر اهتماما كبيرا فترجموه إلى اللغـة اللاتينيـة ومنه إلى لغات شرقية وغربية عديدة.

- ١١١٨ م. ملك اراجون يستولى على سرقسطة
- ١١١٨ م. مولد نور الدين بن عماد الدين زنكي، أحد أبطال المسلمين في الجهـاد ضد الصليبيين، أنفق عمره في بناء الوحدة الإسلامية التي ضمت الشام، ومصر،

وفي بناء المدارس والمستشفيات وغيرهما، وكان مجاهدا عظيما ورجل دولة من طراز فريد

- ١١١٩ م. نشوب معركة عند "تل عفريت" في الشام بين المسلمين بقيادة "إيلغازي"، والصليبيين بقيادة "روجر" أمير إنطاكية التي كانت تحت الصليبيين، وانتهت المعركة بهزيمة الصليبيين هزيمة مدوية، وقُتل عدد كبير منهم، من بينهم روجر نفسه، وسميت هذه المعركة بـ"ساحة الدم"؛ لكثرة القتلى على أرضها
- ١١١٩ م. وفاة الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور، واحد من أعظم خلفاء الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس، وكان سلطانًا ورعا عادلاً، نعمت البلاد في عهده بالرخاء وازدهار العمارة.

## ١١٢١ م (٥١٥ هـ). تأسيس امارة الموحدين فى المغرب على انقاض دولة المرابطين.

ظهر المهدي بن تومرت في القرن السادس الهجري، وبدأ دعوتـه الإصـلاحية فـي المغرب؛ فدعا الناس إلى التوحيد الخالص، ولهذا أُطلق على أنصاره اسم "الموحدين"، وسميت الدولة التي قامت على دعوته دولة "الموحدين"، وجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، ودعا لنفسه على أنه المهدي المنتظر والإمام المعصوم الذي يحكم بين الناس بالعدل، واتخـذ منهجا في الفقه يقوم على الدراسة المباشرة للقرآن والسنة دون دراسة فروع المسائل الفقهيـة التي كانت سائدة في المغرب على المذهب المالكي.

وكان المهدي بن تومرت يطوف بمدن المغرب يدعو الناس إلى الإصـلاح والالتـزام بالشرع ومحاربة البدع والمنكرات، وقد لاقت دعوته قبولا بين الناس، فالتفوا حوله أينما نزل. وفي إحدى جولاته التقى بعبد المؤمن علي الكومي، وكان اللقاء في "ملالـة" بجانـب مينـاء "بجاية" شرقي الجزائر.

## نشأة عبد المؤمن علي الكومي.

وأبو محمد بن علي الكومي من أصل بربري، ولد في قرية "تاجرا" الجزائرية التي تبعد نحو ثلاثة أميال عن مرسى "هنين" على ساحل البحر المتوسط، ولا يعرف على سبيل اليقـين تاريخ مولده. وفي قريته حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ودرس شيئا مـن الفقه والسيرة النبوية، ثم رحل إلى تلمسان، وكانت من حواضر العلم، وتلقى العلم على عـدد من كبار العلماء، في مقدمتهم الشيخ "عبد السلام التونسي" إمام عصره فـي الفقـه والحـديث والتفسير، ثم استعد للرحلة إلى المشرق؛ طلبا للمزيد من المعرفة. وقبل الرحيل سمع بوجـود فقيه جليل يتحدث الناس عن علمه الغزير، فاشتاق إلى رؤيته، فاتجه إليه حيث يقيم فـي بلـدة "ملالة" القريبة من "بجاية" بمسافة قليلة.

وفي هذا اللقاء أُعجب عبد المؤمن بشخصية "ابن تومرت" وغزارة علمه وقدرته علـى حشد الأنصار والأتباع، وتخلى عن فكرة السفر إلى المشرق، ولزم ابن تومرت، ودرس على يديه، وكان عالما كبيرا وفقيها متبحرا، ودرس في المغرب، ورحل إلـى المـشرق، وقابـل العلماء، وأخذ عنهم، ثم توثقت الصلة بين الرجلين، ثم غادرا "ملالة"، واتجها إلى "فاس"، وفي أثناء الرحلة لم يكف المهدى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكـسر آلات اللهـو، وإراقة الخمر حتى وصل إلى مدينة فاس، فأقام بها يـدرس العلـم إلـى سـنة (٥١٤هـ = ١١٢٠م)، ثم ارتحل ومعه عبد المؤمن بن علي الكومي إلى مراكش عاصمة دولة المرابطين، فأقاما بها في (ربيع الأول ٥١٥هـ = ١٢٢١م).

## بداية الصدام مع دولة المرابطين.

أقام المهدي بن تومرت في مراكش وأخذ في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، واعترض على سياسة الدولة في بعض الأمور التي رآها مخالفـة للـشرع، ووعـظ السلطان حين قابله في المسجد وطالبه بتغيير المنكر، فلما استفحل أمره وتجمع الناس حولـه دعا الأمير "علي بن يوسف" العلماء إلى مناظرته فغلبهم بقوة لسانه وحدة ذكائه وسعة علمـه، ولم يجد الأمير مفرا من طرده من عاصمته، معتقدا أن ذلك كافٍ لزوال خطره على سلطانه، واتجه المهدى بأتباعه إلى "تينملل" وبدأ في تنظيمهم وإعدادهم، وجعلهم في طبقات على رأسها الجماعة التي تمثل أعلى سلطة في حكومته، وهي تتألف من عشرة رجال، كان من بينهم عبد المؤمن بن علي الكومي، ثم أخذ البيعة لنفسه في (غرة المحرم ٥١٦هـ= ١٢ مـن مـارس ١١٢٢م)، واستعد لمواجهة المرابطين بجذب الأتباع والأنصار وتجهيز الحمـلات العـسكرية التي حققت بعض الانتصارات، وشارك المهدي في تسع غزوات منها، ولكنها لم تكن كافيـة لتقويض الحكم المرابطي، وشجعت هذه الانتصارات زعيم الموحدين فأرسل حملة كبيرة بلغت ٤٠ ألف جندي لمهاجمة مراكش عاصمة المرابطين والاستيلاء عليها، ولكنها لقيـت هزيمـة ساحقة سنة (٥٢٤ هـ= ١١٣٠م) في معركة سميت بمعركة "البحيرة"، على مقربة من أسوار مراكش، وقُتل معظم الجيش الموحدي، ولم ينج من القتل سوى عدد قليل، تسلل تحـت جـنح الظلام إلى "تينملل"، ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى المهدي الذي كان مريضا ساءت صـحته وخاب أمله ثم لم يلبث أن توفي في (١٣ رمضان ٥٢٤هـ= ٢٠ من أغسطس ١١٣٠م).

## الكومي زعيما للموحدين.

تحمل عبد المؤمن علي الكومي أعباء الدعوة عقب وفاة أسـتاذه، وكانـت المـسئولية جسيمة بعد الهزيمة المدوية التي لحقت بالموحدين، واستطاع في صبر وأناة أن يعيـد تنظـيم شئون دعوته ويجند أنصارا جددا، واستغرق منه ذلك نحو عام ونصف حتى إذا آنس في نفسه قوة وثقة بدأ في الاستعداد لمناوشة المرابطين، وظل يناوشهم دون الدخول في معارك حاسمة، واستمر هذا الوضع حتى سنة (٥٣٤هـ= ١١٣٠م)، وكان عبد المؤمن في أثناء هذه الفتـرة يعمل على زيادة نشر الدعوة الموحدية وجذب قبائل جديدة للدخول في طاعته وتوسيع رقعـة دولته كلما سمحت له الظروف، وبخاصة في الجهات الجنوبية والشرقية من المغرب.

## سقوط دولة المرابطين.

رأى عبد المؤمن أن الفرصة قد سنحت للقضاء على المرابطين، فآثر أن يـسرع فـي ذلك، وأن يبدأ بمهاجمتهم في قلب دولتهم، فجهز جيشًا عظيما لهذا الغرض، وخرج بـه مـن

قاعدته "تينملل" سنة (٥٣٤ هـ = ١١٤٠م)، واتجه إلى شرق المغـرب وجنوبـه الـشرقي؛ لإخضاع القبائل لدعوته، بعيدا عن مراكش مركز جيش المرابطين القوي، وأنفق عبد المؤمن في غزوته الكبرى أكثر من سبع سنوات متصلة، أبدى فيها ضـروبا مـن الحيـل الحربيـة والمهارة العسكرية؛ وهو ما جعل الجيش المرابطي يحل به الوهن دون أن يلتقي معـه فـي لقاءات حاسمة ومعارك فاصلة.

وفي أثناء هذه الغزوة توفي علي بن يوسف سلطان دولة المرابطين سنة (٥٣٧هـ = ١١٤٢م) وخلفه ابنه تاشفين، لكنه لم يتمكن من مقاومة جيش عبد المؤمن، الذي تمكـن مـن دخول تلمسان سنة (٥٣٩هـ=١١٤٤)، فتراجع تاشفين، إلى مدينة "وهـران"، فلحقـه جـيش الموحدين، وحاصروا المدينة وأشعلوا النيران على باب حصنها، ولما حاول تاشفين الهـروب من الحصن سقط من على فرسه ميتًا في (٢٧ من رمضان ٥٣٩ هـ = ٢٣ مـن مـارس ١١٤٥م)، ودخل الموحدون مدينة وهران، وقتلوا من كان بها من المرابطين.

بعد وهران تطلع عبد المؤمن إلى فتح مدينة فاس، فاتجه إليها، وضرب حولها حـصارا شديدا، ظل سبعة أشهر، وعانى أهلها من قسوة الحصار، واضطر واليها إلى التسليم فـدخلها الموحدون في (١٤ من ذي القعدة ٥٤٠ هـ = ٥ من مايو ١١٤٥م).

ثم دخلت كل من مدينتي سبتة وسلا في طاعة الموحدين قبل أن يتجهوا إلـى تراشـك لفتحها، وكان يعتصم بها إسحاق بن علي بن تاشفين، وضرب الموحدون حصارا حول المدينة دام أكثر من تسعة أشهر، أبدى المدافعون عن المدينة ضروبا من الشجاعة والبسالة، لكنها لـم تغن عنهم شيئًا، واستولى الموحدون على المدينة في (١٨من شوال ٥٤١هـ = ٢٤ من مارس ١١٤٧م)، وقتلوا إسحاق بن علي آخر أمراء المرابطين بعد أن وقع أسيرا، وبذلك سقطت دولة المرابطين، وقامت دولة جديدة تحت سلطان عبد المؤمن بن علي الكومي الذي تلقـب بلقـب "خليفة".

## استكمال الفتح.

انتهز جماعة من الزعماء الأندلسيين فرصة انـشغال المـرابطين بحـرب الموحـدين بالمغرب، فثاروا على ولاتهم التابعين لدولة المرابطين، وأعلنوا أنفـسهم حكامـا واسـتبدوا بالأمر، وتنازعوا فيما بينهم يحارب بعضهم بعضا.

فلما تمكن عبد المؤمن بن علي من بسط نفوذه على المغرب بدأ في إرسال جيش إلـى الأندلس سنة (٥٤١هـ = ١١٤٦م)، فاستعاد إشبيلية واتخذها الموحدون حاضـرة لهـم فـي الأندلس، ونجح يوسف بن علي قائد جيش الموحدين من بسط نفوذه على بطليوس وشمنترية،

وقادس، وشاب، ثم دخلت قرطبة وجيان في طاعة الموحـدين سـنة (٥٤٣هـ ـ= ١١٤٨م)، واستعادوا "المرية" سنة (٥٥٢هـ = ١١٥٧م) من يد الأسبان المسيحيين، وبذلك توحدت بقيـة الأندلس الإسلامية تحت سلطانهم، وعين عبد المؤمن ابنه "أبا سعيد عثمان" واليا عليها.

وفي سنة (٥٥٥ هـ = ١١٦٠م) أمر عبد المؤمن ابنه ببناء حصن ومدينة على سـفح جبل طارق الذي سمي بجبل الفتح –ولا تزال قطعة من هذا البناء باقية إلى اليوم فـي جبـل طارق وتعرف بالحصن العربي- وعلى إثر ذلك عبر عبد المؤمن من طنجة إلـى الأنـدلس ونزل بجبل الفتح، وأقام شهرين أشرف خلالهما على أحوال الأندلس ثم عاد إلى مراكش.

وقبل أن يعبر عبد المؤمن إلى الأندلس كان قد تمكن في سنة (٥٤٧ هـ ـ = ١١٥٢م) من فتح المغرب الأوسط وضم إلى دولته الجزائر وبجاية وقلعة بني حماد، وجعل ابنه عبد الله واليا على المغرب الأوسط، وعهد إليه بمواصلة الفتوح شرقًا، فنجح فيما عهد إليه، كما نجـح في القضاء على النورمانديين الصليبيين وطردهم من تونس التي كانوا قد احتلوها. وفي أواخر أيام عبد المؤمن حدث تمرد في شرق الأندلس، فأسرع إلى هناك وقمع الثائرين وقضى علـى الفتنة، ثم عاد إلى المغرب، وعندما وصل إلى "سلا" نزل به المرض، ولم يلبث أن توفي فـي (١٠ من جمادى الآخرة ٥٥٨ = ١٦ من مايو ١١٦٢م) ودفن في "تينملل" بجوار قبر المهدي بن تومرت.

## عبد المؤمن بن علي في التاريخ.

حكم عبد المؤمن بن علي أربعا وثلاثين سنة تعد من أزهى عصور المغرب، ورث عن ابن تومرت حركة ثائرة فحولها إلى دولة، ومد سلطانها حتى شلمت المغرب كله وما بقي من الأندلس ووضع لها القواعد والنظم الإدارية التي تمكن من تسيير أمور الدولة وإدارة شئونها. ويحفظ التاريخ رسالة طويلة بعث بها عبد المؤمن إلى أهل الأندلس، تعد دستورا لنظم الحكـم الموحدية، أكد فيها على اتصال الولاة بالناس دون وساطة، ودعا إلى أن تكون العقوبة علـى قدر الجريمة، ولا يطبق الإعدام على أي شخص دون الرجوع إلى الخليفـة ورفـع تفاصـيل جريمته إليه، وحث الولاة على محاربة صنع الخمر، وألا يفرضوا غرامات أو مكوس علـى رعيتهم إلا بإذن منه.

ونظم عبد المؤمن أمور دولته وجعل لها مؤسسات، فللعدل والنظر في الشكايات وزير، ولأعمال الحرب والجهاد وزير يسمى "صاحب السيف"، وللثغور وزيـر، وللـشرطة رئـيس يسمى "الحاكم"، وجعل للكتابة والمراسلات وزيرا من أهل الرأي والبلاغة، وكان لعبد المؤمن مجلس خاص للنظر والمشاورة يحضره الفقهاء ونواب القبائل وكبار رجال الدولة.

وعني عبد المؤمن بن علي بالجيش حتى صار من أعظم الجيوش في وقته، وكان هـو نفسه قائدا عظيما وجنديا ممتازا، يشاطر جنوده مشقة الطريق وتقـشف الحيـاة العـسكرية، واجتمع له من الجيوش الجرارة ما لم يجتمع لملوك المغرب مثله، حيث حقق به انتـصارات رائعة.

وشهد عصره حركة إصلاح اجتماعي، فحارب المنكرات بلا هوادة، واشتد في محاربة الخمر وإنزال العقوبة على شاربيها، وكان حريصا على أن تقام الصلوات في مواقيتهـا، وأن تجمع الزكاة وتصرف في مصارفها الشرعية.

وكان عبد المؤمن إلى جانب براعته الإدارية والعسكرية، فقيها حافظًا لأحاديث رسـول الله، له بصر بالنحو واللغة والأدب، محبا لأهل العلم، لا يعرف عنه ميل إلى اللهو، بل كـان جادا وافر العقل، مسلما شديد الغيرة على الدين، متحمسا لكل ما يصلحه.

## ١١٢٢ م. مولد ابن شداد.

ابو المحاسن يوسف بهاء الدين بن رافع. مؤرخ واديـب وفقيـه عراقـي (١١٤٤م - ١٢٣٤م). نشأ في الموصل ودرس فيها وفي بغداد، ثم عاد للتدريس في الموصـل، وتـولى قضاءها. ولما نشب الخلاف بين اميرها وصلاح الدين، ارسله الامير للتوسط له عند صـلاح الدين، فبقي ابن شداد في حلب ولازم صلاح الدين الايوبي واستمر فيها الى ان مـات بهـا. ويشتهر ابو المحاسن بالسيرة التي كتبها لصلاح الدين الايوبي والمسماة (النـوادر الـسلطانية والمحاسن اليوسفية) التي تعتبر افضل المترجمات السهلة والموجزة والدقيقة خـصوصا بـين السنوات ١١٨٨م-١١٩٣م، وقد ترجمت الى اللاتينية وطبعت في ليدن عام ١٧٣٢م.

## ١١٢٥ م. مولد عماد الدين الكاتب.

ابو عبد الله محمد بن حامد بن عبد الله الاصبهاني. مـؤرخ واديـب وفقيـه فارسـي (١١٢٥م-١٢٠٠م). نشأ في اصفهان في اسرة خدم اكثر ابنائها في الدولة السلجوقية، ودرس في المدرسة النظامية ببغداد، ولكنه انتقل الى دمشق لما اضطربت الامور في بغـداد، ودرس في المدرسة النورية بها، ثم اتصل بصلاح الدين الايوبي ولازمه. ولما مات صـلاح الـدين اضطربت احواله مرة اخرى ولزم منزله واقتصر على تـصنيف الكتـب. ويتميـز اسـلوب الاصفهاني بالمغالاة في استخدام المحليات اللفظية، مملا نفر عنه المستشرقين بوجه خـاص. واهم كتبه كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) الذي يؤرخ فيه للفترة بين معركة حطين عـام ١١٨٧م ووفاة صلاح الدين عام ١١٩٣ م، وكتاب (البرق الشامي) وهو في سـيرة صـلاح الدين.

## ١١٢٦ م. مولد ابن رشد.

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي. ويعرف عند الغربيين باسم Averroes. فيلسوف وطبيب وفقيه عربي مسلم، ولد بمدينة قرطبة، ونشأ في أسرة عريقـة فـي العلـوم الإسلامية ؛ مارس كل من جده وأبيه القضاء. تعلم ابن رشد العلوم الشرعية على يد والده، ثم درس بعد ذلك الطب والفلسفة. وقد عاصر الفيلسوف الطبيب ابن طفيل، والطبيب المـشهور ابن زهر.

زار ابن رشد مراكش عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م بدعوة من السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي لاستشارته في إنشاء عدد من المدارس في المغرب. وعاد مرة ثانية إلـى مـراكش، حيث قدمه الفيلسوف الطبيب ابن طفيل إلى السلطان أبي يعقوب يوسـف الـذي كلفـه سـنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م بشرح فلسفة أرسطو، وعينه قاضياً في مدينة إشبيلية، ثم قاضياً للقضاة فـي قرطبة. وفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م استدعاه أبو يعقوب إلى مراكش وجعله طبيبه الخاص بدل ابن طفيل، ثم عينه قاضياً في قرطبة. وبعد وفاة الخليفة أبي يعقوب، خلفه ابنه أبـو يوسـف يعقوب، فقرب إليه ابن رشد، إلا أن بعض العلماء حملوا عليه فحوكم وأحرقت كتبه باسـتثناء مؤلفاته في الطب والفلك؛ ونفي إلى "أليسانة" قرب قرطبة، ثم عفي عنه، ورجع إلى المغـرب سنة ١١٩٨. لكنه توفي في السنة نفسها.

## إسهاماته العلمية.

كان طبيباً باحثاً، ودارساً ومعالجاً، ومطبباً ؛ وإن كان أميل إلى البحث والدرس منه إلى التمريض والمعالجة. وقد أشار في كتابه "الكليات" إلى ممارسته للطب وإن كانـت محـدودة. وبين ضرورة الاعتماد على المشاهدة والتجربة، وعلى الإلمام بكل ما وصل إليه العلم الطبيعي بمعرفة التشريح ووظائف الأعضاء. كما أضاف إلى الطب طريقة الشورى بين الأطباء. ومن إسهاماته الطبية توصله إلى أن مرض الجذري لا يصيب المريض إلا مرة واحـدة، وأن داء الكلب سببه "سؤر" الكلب المصاب بداء الكلب. كما أنه اتفق مع ابن سينا حول انتقال الأمراض بالوراثة من الآباء إلى الأبناء. وقد أشار السير ستيوارت دوك ألدر Duke Elder Sir Stewart في موسوعة "طب العيون" Ophtalmology System of إلى أن ابن رشد سبق إلى القول بـأن الشبكة هي المستقبِلة للضوء.

وكان ابن رشد يرى أن الحفاظ على الصحة يكون بالغذاء الجيـد والـشراب النظيـف والهواء الصحي، ويعد الدواء مادة غريبة عن الجسم، تضر ببعض الأعضاء بسبب انعكاساتها وتأثيراتها المختلفة خاصة على الكبد والكلي، وهي الأعضاء التي تقوم بتخليص الجـسم مـن السموم. كما وصف ابن رشد الكثير من الأمراض وعلاماتهـا ومـضاعفاتها، وتكلـم عـن الأعراض النفسية مثل الغضب، والحزن، والقلق، والصرع. واهتم ابن رشـد كـذلك بمـادة العلاج الطبي، وخصص جزءاً كبيراً من كتابه"الكليات" لأنواع الأغذية والأدوية وأفعالهما. كما حدد الأسس الواجب اتباعها في تقدير الأدوية.

## مؤلفاته.

- "كتاب "الكليات في الطب". هو أهم مؤلفات ابن رشد في الطب، وقد تنـاول فيـه المبادئ العامة في الطب وقسمه إلى سبعة أقسام بحسب المواضيع التي تناوله فيه.

ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي تحت اسم Colliget، كما ترجم إلى العبرية. وأعيد طبعه عدة مرات في القرنين الخامس عشر والسادس عـشر. أمـا النص العربي فلم ينشر إلا سنة ١٩٨٤ في نيودلهي. وفي سنة ١٩٨٩ نشر المجلس الأعلـى للثقافة الجزائري بالتعاون مع الاتحاد الدولي للأكاديميات، كتاب "الكليات" بعدما قام كـل مـن د.سعيد شيبان، ود. عمار الطالبي بتحقيقه والتعليق عليه.

- "تلخيص كتاب النفس" لأرسطو ؛
- "شرح كتاب النفس" لأرسطو؛
- "تلخيص العلل والأمراض لجالينوس" ؛

- "مسألة في علم النفس" ؛
- "كتاب "الترياق" (الترياق هو الدواء الذي يقاوم السموم)، حـدد فيـه ابـن رشـد الأمراض التي يمكن أن يعالجها الترياق، وشـرح أسـباب اسـتخدامه وكيفيـة استعماله.
- "شرح أرجوزة ابن سينا في الطب" ؛

وإضافةً إلى هذه الكتب الطبية، ألف ابن رشد عدداً من الكتب في الفلسفة مـن أهمهـا. كتاب "تهافت التهافت" الذي رد فيه على كتاب الغزالي " تهافت الفلاسفة".

كما ألف ابن رشد في الفلك. "كتاب في حركات الأفلاك".

وخلاصة القول، إن ابن رشد كان من أعظم المفكرين والعلماء في القرن الثاني عـشر الميلادي، وإن تأثيره في الغرب استمر حتى القرن السادس عشر.

وقد كان له تأثير كبير على تطور الطب نظرياً، لأنه مهـد الطريـق لفهـم نظريـات الإغريق في الطب بتلخيصه النقدي لمؤلفات جالينوس وغيره من جهة، وبانتقـاده لنظريـاتهم وإبداء آراء مخالفة لهم، من جهة أخرى.

- ١١٢٧ م. القائد الفذ عماد الدين زنكى يتولى اتابكية الموصل لتبدأ مرحلة الجهـاد المنظمة ضد الصليبيين
- ١١٢٧ م. وفاة الفقيه المالكي "محمد بن الوليد بن خلف" المعـروف بـأبي بكـر الطرطوشي –نسبة إلى بلده طرطوشة بالأندلس- رحل إلى المشرق الإسـلامي، واستقر بالإسكندرية وصارت له مدرسة يؤمها طلبة العلم، ترك مؤلفات كثيـرة، أهمها كتابه في الفكر السياسي "سراج الملوك"...
- ١١٢٧ م. وفاة أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيده البطليوسي، المعروف بابن سيده، أحد أئمة اللغة والأدب في القرنين الخـامس والـسادس الهجـريين. ولـد ببطليوس سنة ٤٤٤هـ، واشتهر بالتبحر في الأدب واللغة، ومـن أشـهر كتبـه. المثلث في اللغة، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب.
- ١١٢٨ م. عماد الدين زنكى يستولى على حلب

## ١١٢٨ م. مولد الجوينى.

ابو المعالى الجوينى وشهرته امام الحرمين وهة فقيه شافعى ومتكلم اشعرى ولـد فـى نيسابور، وعندما حمل عميد الملك الكندرى وزير طغرل بك السلجوقى على اهل البدع تـرك الجوينى نيسابور وتوجه الى بغداد ثم الحجاز وهناك لقب بإمام الحرمين، وعندما صعد الوزير

نظام الملك الى السلطة فى دولة السلاجقة وبسط حمايته على الاشاعرة رجع الجـوينى الـى نيسابور وقام بالتدريس فى المدرسة انظامية حتى وفاته ١٠٨٥ مومن اهم كتبه " الشامل " و " الارشاد فى اصول الاعتقاد " و " العقيدة النظامية "

## ١١٣٥ م. مولد موسى بن ميمون.

هو ابو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله، ولد فى قرطبـة وعـاش فـى الانـدلس والمغرب ثم فى القاهرة حيث توفى بها عام ١٢٠٤ م وكان طبيبا للاسرة السلطانية الايوبيـة، عاصر بن رشد والتقى به وتأثر بفلسفته كثيرا وهو ابرز اعلام الفكر اليهودى، من اعمالـه " كتاب السراج " و " دلالة الحائرين " الذى الفه بالعربية بحروف عبرية

## ١١٣٦ م. وفاة ابو الفضائل الجرجانى.

ابو الفضائل اسماعيل بن الحسين زين الدين الحسيني الجرجاني. طبيب خراساني. توفي ١١٣٦م. عاش في خوارزم، وانتقل منها في اخريات حياته الى مرو، وقـد الـف بالعربيـة والفارسية اكثر من عشرة كتب أهمها (التذكرة الاشرفية في العناية الطبية)، الذي اهداه لعـلاء الدين علي ارسلان واوجزه في (الخفي العلائلي) الذي سمي كذلك لصغر مجادي الكتاب حتى انهما كانا يوضعان في خفي المسافر. كذلك الف (ذخيرة خوارزمشاه) الذي كتبـه بالفارسـية واهداه الى خوارزمشاه (ملك خوارزم من السلاجقة)، وقيل انه قد حوى نصف مليون كلمـة، وانه كان من اولى دوائر المعارف الطبية في الاسلام، وقد ترجمت (الذخيرة) الـى العربيـة والتركية والعبرية.

## ١١٣٨ م. وفاة ابن باجه.

وهو أبو بكر محمد بن يحيى التجيبي السرقسطي ابن باجة ؛ (و"باجة" كلمـة إفرنجيـة تعني الفضة، كما يقول ابن خلكان)، ويعرف أيضاً بابن الصائغ. ويـسمي عنـد الأوربيـين Avempace. لا تعرف أشياء كثيرة عن حياته، وكل ما يعرف أنه ولد بمدينة سرقـسطة مـن أعمال الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي.

درس معظم علوم عصره من طب، وفلسفة، ورياضيات، وفلك وموسـيقى. واشـتغل بالسياسة، حيث كان وزيراً لأبي بكر إبراهيم صهر علي بن يوسف المرابطى، الذي كان والياً على غرناطة ثم على سرقسطة.

بعد استيلاء ألفونس الأول على مدينة سرقسطة، هاجر ابن باجة إلى إشبيلية (٥١٣هـ) ثم إلى غرناطة. وذهب، بعد ذلك، إلى فاس وقصد بلاط المرابطين وعمل طبيباً بـه ؛ وهنـا تحامل عليه أعداؤه ورموه بالإلحاد والجهل. وتوفي مسموماً سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م.

## إسهاماته العلمية.

رغم شهرة ابن باجة بالفلسفة، فقد نبغ في العلوم الطبيعية، والرياضية، والفلك، والطب، والموسيقى.

ويذكر حافظ قدري طوقان أن ابن باجة كانت له ملاحظات قيمة على النظـام الفلكـي الذي وضعه بطليموس، فقد انتقد هذا النظام وبين مواضع الضعف فيه. وقد أيد سارطون هذه الفكرة، وقال إن البطروجي تأثر بآراء ابن باجة في الفلك. كما أن ابن البيطار استـشهد فـي كتابه "الأدوية المفردة" بابن باجة، واعتمد على رسالته في الطب.

## مؤلفاته.

ترك ابن باجة عدداً من المؤلفات بلغت الثلاثين في المنطق، والفلـسفة والرياضـيات، والطب، والطبيعة، والنبات، والأدوية ؛ لكن ضاع معظمها، ولم يبق منها إلا رسائل وصفحات في ترجمات لاتينية وعبرية.

### فمن شروحه وتعليقاته العلمية.

- تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة ؛
- شرح كتاب "السماع الطبيعي" لأرسطوطاليس ؛
- قول على بعض كتاب "الكون والفساد" لأرسطوطاليس ؛
- كلام على شيء من كتاب"الأدوية المفردة" لجالينوس ؛
- كتاب اختصار الحاوي للرازي ؛
- كتاب التجربتين على أدوية بن وافد.

وإضافةً إلى هذه المصنفات العلمية، فقد كتب ابن باجة عدداً من الشروحات والمؤلفـات الفلسفية، ومن أشهرها.

- "رسالة الوداع" ؛
- "رسالة تدبير المتوحد" ؛

توجد مؤلفات ابن باجة في عدد من المكتبات العالمية مثـل أكـسفورد، والأسـكريال، وبرلين.

- ١١٣٨ م. تأسيس مملكة البرتغال بعد انتزاعها من المسلمين

## ١١٣٩ م. مولد رضى الدين الرحبى.

رضي الدين الرحبي. هو الحكيم الإمام رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بـن الحسن الرحبي، كان والده من الرحبة. ولد سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م في جزيرة ابن عمـر، درس الطب في نصيبين وبغداد والقاهرة وتمهر فيها. وكان وصوله إلى دمـشق سـنة ٥٥٥ هـ، أيام السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي.وبقي قاطناً بدمشق وملازماً للـدكان لمعالجة المرضى ونسخ بها كتباً كثيرة.

واشتغل على مهذب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فنوه بذكره وقدمه، وتأدت به الحال إلى أن اجتمع بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فحسن موقعه عنده، وأطلق له في كل شهر ثلاثين ديناراً، ويكون ملازماً للقلعة والبيمارستان، فبقي كذلك مدة دولة صلاح الدين بأسرها.

ولما توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م عاد إلى دمشق وبقي فيهـا إلـى أن توفي سنة ٦٣١ هـ / ١٢٢٣ م وعاشر نحو المائة سنة. واشتغل عليه بصناعة الطب خلـق كثير منهم مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار قبل ملازمته لابن المطران.

## ١١٤٠ م. وفاة البديع الاسطرلابي.

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف الأسطرلابي المعروف بالبديع الأسـطرلابي . عالم رياضي وفلكي وفيلسوف وشاعر اشتهر في القرن السادس الهجـري / الثـاني عـشر الميلادي. نشأ وترعرع في أصفهان ثم انتقل إلـى بغـداد واسـتقر بهـا فلقـب بالبغـدادي . درس البديع الأسطرلابي هندسة إقليدس دراسة عميقة، واستخدم نظرياتها في صـنعه الآلات الفلكية ولاسيما الأسطرلاب. فأضاف تحسينات على الأسطرلاب الذي صنعه الخجندي. ثم مـا لبث أن طور هذه الآلة فكان لمقدرته الفائقـة علـى صـنع الأسـطرلاب الـدقيق أن كنـي بالأسطرلابي. وقد كانت مهارته هذه سببا في أن جمع الأموال الطائلة من هذه المهنة وذلك في عهد الخليفة العباسي المسترشد .

كما نال البديع الأسطرلابي شهرة عظيمة ونادرة أيـضا فـي نظـم الـشعر والعلـوم الرياضية، فكان الأديب المتميز بشعره وحكمته المتفنن في علوم كثيرة مثل الطب والرياضيات وعلم الفلك .

ولقد حظي البديع الأسطرلابي بعناية السلطان محمود أبي القاسم بن محمـد الـسلجوقي الذي رعاه وسانده حتى أكمل زيجه المعروف باسم الزيج المحمودي والذي جمع فيه معلوماته

الفلكية وخبرته الطويلة في مجال عمل الجداول والذي بقي من أهم المصادر في ميـدان علـم الفلك .

كما صنف البديع الأسطرلابي رسالة فـي الآلات الفلكيـة (الأسـطرلاب والبركـار والمسطرة وغيرها) شاملة على كل المعلومات التي تهم من يريـد أن يـستعمل أو يـصنع أسطرلابا. لذا حاز الأسطرلابي أجل تقدير من أصحاب المهنة، لأن رسالته هذه صارت بمثابة دليل علمي شاف وكاف لأهل الصنعة في هذا المجال.

- ١١٤٤ م. الفونسو ينتزع لشبونة من المسلمين
- ١١٤٤ م. استرداد المجاهد عماد الدين زنكى امارة الرها فكانت اول امارة تسقط واول امارة تسترد
- ١١٤٥ م. المرابطون يستولون على الجزيرة الخضراء بوابة الاندلس

## ١١٤٥ م. مولد الرحالة ابن جبير

ابو الحسين محمد بن احمد الكناني. رحالة واديب اندلسي. ولد في بلنسية بالاندلس عام ١١٤٥م وتوفي في الاسكندرية بمصر عام ١٢١٧م. نشأ في اسرة اندلسية عربية، وكان ابـوه كاتبا واديبا. دخل ابو الحسين في خدمة امير غرناطة من الموحدين، فعمل كاتبا لـه واتخـذ الادب والشعر هواية له، ثم اضطره الامير الى شرب الخمر واعطاه مالا تعويضا له، فقـرر ابن جبير ان يكفر عما فعل بالحج، فقام برحلته الاولى التي استغرقت اكثر من عـامين لهـذا الغرض.َ

غادر ابن جبير غرناطة في عام ١١٨٣ م مع بعض اهل بلده الى سـردينية، وصـقلية والاسكندرية، ومنهما ركب النيل الى الى القاهرة. ولما كان بيت المقدس يومهـا فـي ايـدي الصليبيين، فقد ذهب الى الحجاز عن طريق صعيد مصر. فصعد في الصعيد، ثم اتجه شـرقا الى ميناء عيذاب، وابحر منه الى جدة. ومنها اخذ القافلة الى مكة، حيث بقـي حـوالي سـتة شهور. وقد وصف موسم الحج وصفا دقيقا جدا، ثم طاف بالمدينة والكوفة وبغداد وسـامراء والموصل وحلب ودمشق وعكا، وكانت الاخيرة تحت قبضة الصليبيين ومع ذلك دخلها واخـذ منها مركبا مسيحيا الى صقلية. ومن هذه ابحر الى قرطاجنة الى الساحل الـشرقي للانـدلس ومنها الى غرناطة. وفي ١١٨٩م استحثه دخول صلاح الدين الى بيت المقـدس الـى القيـام برحلته الثانية لزيارة المدينة المحررة، وقد استغرقت هذه الرحلة زهاء عامين.َ

وفي عام ١٢٠٧ م قام ابن جبير برحلته الثالثة، وكان وقتئذ شيخا، وقد فقد زوجته قبلها بثلاثة اعوام. وقد امضى في هذه الرحلة زهاء عشرة اعوام، وطاف خلالها بمكة وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية. وكان يشتغل في طوافه بالتدريس، وقد توفي بالاسكندرية وهو يعمل بها.

وقد كتب ابن جبير في ١١٨٥ م وصفا لرحلته الاولى اصبح بعد ذلك من اشهر وافضل كتب الرحلات عند العرب. فهو دقيق الملاحظة، ضابط لما يقول، وقد اخذ عنه رحالون كثيرون، من بينهم ابن بطوطة. وقد اطلق كراتشكوفسكي على العصر الذي كتب فيه ابن جبير رحلته اسم « ذروة ما بلغه ادب الرحلات الاسلامي ».

والظن ان ابن جبير ربما اطلق على مؤلفه اسما آخرا مخالفا للاسم الذي يعرف به الكتاب الآن، وهو (رحلة ابن جبير)، وان الاسم قد ضاع. وقد وصف ابن جبير رحلته وصفا تفصيليا، حدد فيه سير الرحلة، وتواريخ زياراته الخ. ولوصفه اهمية بالغة، اذ عاصر ابن جبير الحروب الصليبية، وهو يتحدث في سياق كلامه عن صلاح الدين وحكومته في مصر والاحتلال الصليبي لبعض انحاء فلسطين. وقد نزل ابن جبير في صقلية واقام بها زمنا بعد ان استولى عليها النورمان، وتعرف على احوال المسلمين فيها، وكلامه هنا له قيمة تاريخية كبرى يعتمد عليها في دراستنا لتاريخ المسلمين في صقلية.

- ١١٤٦ م. استشهاد "عماد الدين زنكي بن آق سنقر" أحد القادة العظام الذين حملوا راية الجهاد ضد الصليبيين، ونجح في أن يستعيد إمارة الرها من أيديهم، وهي إحدى الإمارات الأربعة التي أسسها الصليبيون في أثناء حملتهم الأولى على المشرق الإسلامي... وذلك على يد احد غلمانه
- ١١٤٦ م. الموحدون يستولون على اشبيلية ومالقة
- ١١٤٧ م. الحملة الصليبية الثانية لاسترداد الرها وفشلها ونور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى يستولى على حمص
- ١١٤٨ م. فك الصليبيين في حملتهم الثانية الحصار عن مدينة دمشق، وكانت قواتهم قد تجمعت للاستيلاء على المدينة، وضربوا حولها حصارا، لكن المسلمين أبلوا بلاء حسنا، وأجبروا الصليبيين على التراجع وفك الحصار.

## ١١٤٨ م. وفاة ابن بسام الشنتريني.

ابو الحسن علي الشنتريني. مؤرخ واديب اندلسي. توفي عام ١١٤٨م. ينسب الى شنترين الميناء المعروف في البرتغال اليوم. وعندما اشتد خطر الغزو المسيحي على بلده وتوالت غزواته خرج ابن بسام من شنترين الى لشبونة في عام ١٠٨٤ م، ثم انتقل منها الى

قرطبة ثم الى اشبيلية حيث حط رحاله وبدأ يكتب كتابه المشهور (الذخيرة في محاسـن اهـل الجزيرة)، يقصد الاندلس. و (الذخيرة) كتاب ضخم يؤرخ للادب شعرا ونثرا خـلال القـرن الحادي عشروقد كتب ابن بسام فيه في توسع عن معظم الشعراء والأدباء الـذين عاصـروه. واتى بنماذج من انتاجهم، وضمن كتابه قطعا كبيرة من كتاب (المتين) لابن حيان. وقد ضـاع اصل هذا الكتاب مما يجعل (الذخيرة) من المراجع التي لا يستغنى عنها مـن قبـل دارسـي التاريخ او الفكر الاندلسي. ويقع (الذخيرة) في اربعة اقسام كبيرة، نشرت منها قطـع كثيـرة، ويغلب على اسلوب الكتاب السجع الثقيل الذي التزمه ابن بسام.

- ١١٥٠ م. الموحدون يستولون على قرطبة وجنوب الاندلس

## ١١٥٠ م. مولد الفقيه والأصولي الكبير "محمد بن عمر بن الحسين بن علي"، المعروف بـ "فخر الدين الرازي"، صاحب تفسير القرآن الكريم "مفاتيح الغيب" وهو من أجل التفاسير وأشهرها، وقد تجاوزت مؤلفاته أكثر من مائة كتاب.

الفخر الرازي (٥٤٤هـ ـ ١١٥٠م) (٦٠٦هـ ـ ١٢١٠م). هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بـابن الخطيب الفقيه الشافعي قال عنه صاحب وفيات الأعيان " إنه فريد عصره ونسيج وحده، فـاق أهل زمانه في علم الكلام، والمعقولات "، وهو المعبر عن المذهب الأشـعري فـي مرحلتـه الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة، بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيهـا للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية. قال فيه الحافظ ابن حجر في لسان الميـزان. (٤٢٦/٤ ـ ٤٢٩). " كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيـرة، وكـان يـورد شـبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن " إلا أنـه أدرك عجـز العقـل فأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده. فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة إتبـاع مـنهج السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طريق علم الكلام فقال. " لقـد تأملـت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية رأيتها لا تشفي عليلاً ولا تروي غلـيلاً، ورأيـت أقـرب الطرق، طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات (الرحمن على العرش استوى) و (إليه يـصعد الكلـم الطيب و العمل الصالح يرفعه)، و أقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البـصير) و (ولا يحيطون به علماً)، ثم قال في حسرة وندامة. "ومن جرب تجربتي عرف معرفتي " أهـ. (الحموية الكبرى لابن تيمية).

من أشهر كتبه في علم الكلام. أساس التقديس في علم الكلام، شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا، واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال، كافية العقول.

## ١١٥٣ م. الجغرافى الشريف الادريسى يرسم خريطة للعالم.

خرائط الإدريسي التزم فيها مقياس الرسم وتحديد الخطوط ودوائر

هو الشريف الإدريسي و إسمه أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الصقلي. أحد كبار الجغرافيين فى التاريخ، إستخدمت خرائطه فى سائر كشوف عصر النهضة الأوربية. أمر الملك الصقلى روجر الثاني له بالمال لينقش عمله خارطة العالم و المعروف باسم "لوح الترسيم" على دائرة من الفضة تزن ٤٠٠ رطل رومى. و يعرف لوح الترسيم أيضا عند العرب بخريطة الإدريسى، و يقال أنها أول خريطة سليمة (أى صحيحة) نعرف عنها.

### ترجمة.

و لد فى مدينة سبتة بالأندلس عام ٤٩٣ هـ (١١٠٠ ميلادية) و مات عام ٥٦٠ هـ (١١٦٦م). تعلم فى الأندلس و طاف البلاد حتى نزل بصقلية ضيفا على ملكها روجر الثانى.

### أهم الأعمال.

كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ألفه فى صقلية بناء على طلب روجر الثانى، ضمن كل ما عرفه الأقدمون من معلومات زاد عليها ما اكتسبه هو و ما رآه و رصده فى أسفاره و رحلاته و فيه نيف و سبعين خريطة. تقول موسوعة المعرفة أن هذا لاكتاب ظل مرجعا للعلماء الأوربيون [و ربما أيضا للعرب، المحرر] لمدة أربت على ثلثمائة سنة، أى حتى القرن السادس عشر الميلادى. و يعرف هذا الكتاب للأوربيين بكتاب روجر.

قام بتأليف كتاب "الجامع لصفات أشـتات النبـات وضروب أنـواع المفـردات مـن الأشـجار والثمـار والحشائش والأزهار والحيوانـات والمعـادن وتفـسير أسمائها بالسريانية واليونانيـة واللاطينيـة والبربريـة". ونلاحظ أن العدد الأكبر من الكتب النباتية كانت تتنـاول النباتات بغرض إثبـات منافعهـا الطبيـة، ومعالجاتهـا الصيدلية.

١١٥٤ م. نور الدين محمود يستولى على دمشق.

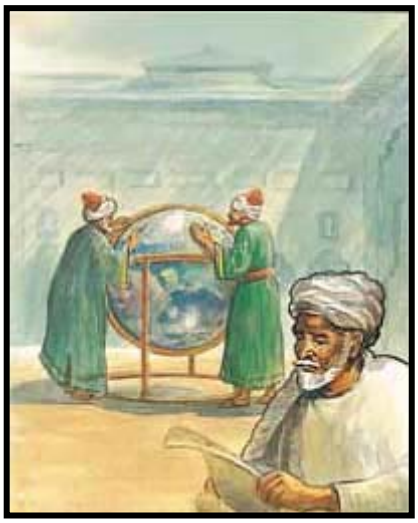

**خرائط الإدريسي رسمها على أساس أن الأرض كروية فـي وقـت سـاد فيـه الاعتقاد الجازم أنها مـسطحة، وأعـد لروجر الثاني ملك صـقلية كـرة مـن الفضة الخالصة تمثل الجزء المعمـور من الأرض.**

## ١١٥٥ م. مولد السهروردى.

ابو الفتوح (ابو حفص) عمر بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن حبيش بن عموية بـن امبرك الملقب بشهاب الدين المقتول. فيلسوف اشراقي عراقي. ولد في سهرورد، (سهر ورد) ، زنجان، عراق العجم في عام ١١٥٥م، وقتل في حلب عام ١١٩١م.

درس علم الفلسفة والدين على مجد الدين البيلي في مراغة، وعاش متنقلا بـين مـدن فارس والعراق وسوريا، وكان « أوحدا في العلوم الحكمية، جامعا للفنون الفلسفية، بارعا فـي الاصول الفلكية، مفرط الذكاء، جيد الفطرة، فصيح العبارة، لم يناظر احـدا الا غلبـه، ولـم يباحث محصلا الا زاد عليه... وقد حنق عليه شيوخ حلب وشكوه الى صلاح الدين عاملين له محضرا بكفره، وقالوا. « إن بقي هذا فإنه يفسد اعتقاد الملك الظاهر بن صلاح الدين الايوبي، وان اطلق فانه يفسد أي ناحية كان بها في البلاد ». فأمر صلاح الدين ابنه الظـاهر بقتلـه، واختار السروردي ان يترك في مكان منعزل وان يمنع عنه الطعام والشراب حتى يموت، ولم يكن قد جاوز السادسة والثلاثين من عمره.

وقد قيل ان السهروردي قد جمع بين حكمة الفرس، وفلسفة اليونان، وسلوك الـصوفية. وانه انتهى الى فلسفته الاشراقية والتي اسماها بـ (علم الانوار)، وطريق هذه الفلـسفة هـو الذوق، ووسيلتها لغة رمزية استخلص السهروردي الفاظها عن الفارسية القديمة. وتعود اصول

فلسفة الاشراق الى محاولات الفلاسفة المسلمين التوفيق بين فلسفة اليونان وتعاليم الاسلام. فقد اراد الكندي ان يجد الوحدة والتطابق بينهما، ولكن ابن سينا انحاز شيئا ما ناحية الفلسفة اليونانية. أما السهروردي فقد انحاز ناحية افلوطين. ومضمون فلسفته المتأثرة بالفيض الافلوطيني انه يوجد في قمة الوجود (نور الأنوار) الذي يفيض عنه النور الابداعي الاول، ثم عن هذا يفيض الثاني والثالث والرابع الى ما لا نهاية. ويسمي السهروردي هذه الانوار (الانوار الطولية)، وعن اشعة هذه الانوار تتكون في النهاية (العقول العرضية) وهي التي تؤلف (عقول) أو (أنوار عالمنا الارضي)، وهو عالم اوسط، او محطة روحية وسطى يسمي السهروردي عالمها بـ (عالم البرازخ). وهذه المحطة الروحية تتوسط بين عالم الحس، او عالم الظلمات، وعالم العقل او عالم الانوار العقلية الخالصة.

وغاية المذهب الاشراقي ان يرسم الطريق العقلي للتطهر وللوصول الى الحضرة النورانية، ويتحد الوجود هنا بالمعرفة الاشراقية، لاسيما ونحن بصدد عالم كله انوار جوهرية. وقد لخص السهروردي فلسفته في (حكمة الاشراق) الذي يتألف من مقدمة و جزأين، والجزء الاول في مشكلات المنطق والطبيعة، والثاني في تخطيط العالم العقلي النوراني. وقد الحق السهروردي بكتابه قصة ادبية وصوفية رمزية اسماها (قصة القرية الغربية).

وللسهروردي ايضا (هياكل النور) الذي يتألف من سبع هياكل يرمز كل هيكل منها لاحدى منافذ المعرفة الانسانية، و (التلويحات اللوحية والعرشية) الذي اكمله في (المقاومات) و (الالواح العمادية) و (المعارج) و (المشارع والمطارحات). وللسهروردي في التصوف (جذب القلوب الى مواصلة المحبوب) و (عوارف المعارف). ويتألف (العوارف) من ٦٣ بابا توضح سير الصوفية واعمالهم واحوالهم وسلوكهم واصولهم ومبادئهم.

- ١١٥٧ م. مولد ريتشارد بن هنري الثاني المعروف بريتشارد قلب الأسد، أحد ملوك إنجلترا في العصور الوسطى، وأشهر قادة الحملة الصليبية الثالثة على المشرق الإسلامي
- ١١٦٠ م. وفاة الخليفة العباسي أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله، الخليفة الحادي والثلاثين من خلفاء بني العباس. بويع بالخلافة بعد خلع ومقتل عمه الراشد بالله سنة (٥٣٠هـ=١١٣٦م) بأمر السلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملكشاه. كان المقتفي عظيم الهيبة، كريما، عادلا، حسن السيرة، عاقلا شجاعا مقداما، مباشرا للحروب بنفسه، محبا للعلم والعلماء، وله شعر جيد. وهو أول من سيطر على العراق بعيدا عن سيطرة السلاجقة. وكان لا يجري أمر بدولته إلا

بأمره وتوقيعه. دامت خلافته أربعا وعشرين سنة وبضعة أشهر، توفي عن عمـر يناهز ٦٦ عاما.

- ١١٦٠ م. ولاية أبي محمد عبد الله بن يوسف الحافظ بن محمد، الملقب بالعاضـد على عرش الدولة الفاطمية، وهو آخر خلفاء الدولة الفاطمية، بويع بالخلافة وهـو صغير لم يتجاوز العاشرة وظل في الحكم حتى سنة ٥٦٧ هـ ـ بعـد أن أسـقط وزيره صلاح الدين الأيوبي اسمه من الخطبة؛ إيذانًا بسقوط الخلافـة الفاطميـة، وبدأ عصر جديد.
- ١١٦٠ م. مولد المؤرخ الكبير علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، المشهور بعز الدين بن الأثير، أحد كبار المؤرخين المسلمين، وصـاحب كتـابي. "الكامل"، و"أسد الغابة في معرفة الصحابة

## ١١٦٠ م. مولد المؤرخ ابن الأثير.

عز الدين ابو الحسن علي بن محمد. مؤرخ وأديب عراقي، ولد في الجزيرة (العـراق) عام ٥٥٦ هـ ١١٦٠ م، وتوفي في الموصل، في العراق عام ١٢٣٤م. تلقـى علومـه فـي الموصل وبغداد على الطويسي وفي الشام على زين الامناء. وذكر ابن خلكان انه تتلمذ عليـه في حلب. ثم عاد ابن الاثير فاستقر في الموصل وكتب فيها معظم كتبه. وابن الاثير ناقل فـي اكثر مؤلفاته، ولكنه مدقق. فقد نقل في تاريخ العراق وخراسان عن السلامي. زمن اهم كتبـه (الكامل في التاريخ) الذي اعتمد فيه على الطبري في الاجزاء السبعة الأولى، وفـي الخمـسة الباقية على مؤلفين مختلفين. ويتناول (الكامل) الفترة من بدء الخليقة حتـى عـام ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م. وافضل ما يتعرض له من احداث هي احداث زمانـه، وهـو عـصر الحـروب الصليبية، ورغم اشادة ابن الاثير ببطولات صلاح الدين فقد تحامل عليه ربما لـصلات ابـن الاثير بالتركيين. كذلك كتب ابن الاثير (تاريخ اتابكة الموصل) وهو معجم ابجدي في تـاريخ الصحابة، و (اللباب في مختصر الانساب) الذي لخص فيه (كتاب الانساب) للـسمعاني. وقـد هذب السيوطي هذا الكتاب الاخير في كتابه (لب الالباب في تحرير الانساب). كذلك الف ابن الاثير (تحفة العجائب وطرفة الغرائب).

## ١١٦١ م. مولد عبد اللطيف البغدادى.

هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد. ولد فـي بغداد عام ٥٥٧ هجرية / ١١٦١ ميلادية.

درس على أكابر أساتذة بغداد ومنهم أحد أولاد أمير الدولة بن التلميـذ، وكـان كثيـر الترحال فقطن مدناً كثيرة، منها دمشق وحلب والقاهرة والقدس. وكان مع الـسلطان صـلاح الدين أثناء حصار القدس.

وتعرف في القاهرة على أكابر علمائها فوصف بعضهم كابن ميمون وصفاً غير مألوف. وكان في كل بلد يقطنها يدرس الطب ويكتب ويؤلف ويناظر.

كان متميزاً في اللغة العربية، عارفاً بعلم الكلام والطب. درس في الأزهر بالقاهرة وفي المدرسة العزيزية بدمشق وبالجامع الكبير في حلب، وكتب فيها رسالة في الراونـد. وكـان يتجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه. وكان يستنقص الفضلاء في زمانـه وكثيـراً مـن المتقدمين ويشكر الله أن خلصه من ابن سينا والسيمياء.

وأعتقد شخصياً، بعكس ما يصفه أهل زمانه، أنه كان يتمتع بجرأة وقوة فـي المنطـق وقول الحق، وإلا ما فائدة العلم إذا كان دوماً وأبداً التكرار والاجترار الممل..؟

توفي في بغداد سنة ٦٢٩ هجرية/ ١٢٣١ ميلادية، بعد أن ظل غائبـاً عنهـا خمـساً وأربعين سنة.

ألف البغدادي حوالي مئة كتاب في مختلف العلوم، أشهرها على الإطلاق كتاب الإفـادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر.

وفيه برهن عن ثاقب نظره وجرأته في النقد والنظر بروح علمية واقعية مذهلة لكل مـا حوله. ولقد انتقد جالينوس وقال. إن عظم الفك السفلي مؤلف من قطعة واحـدة ولـيس مـن قطعتين (كما هي الحال عند الحيوانات المجترة مثلاً والتي كان جالينوس يشرحها ثم يطبق ما يراه عليها على الإنسان). وأن عظم العجز مؤلف من خمسة عظام، وذلك بعد دراسة وافية لما ينيف على ٢٠٠٠هيكل عظمي.

والفصل المكرس لدراسة النباتات في مصر من أهم ما كتب في هذا الموضـوع، إلـى جانب وصفه المذهل للطاعون الذي اجتاح مصر في تلك الآونة

- ١١٦٣م. فشل حملة عمورى الاول على مصر
- ١١٦٤ م. اسد الدين شيركوه يتوجه فى حملة للاستيلاء على مصر
- ١١٦٤ م. عمورى الاول يحاصر قوات شيركوه فى مصر وينجح شـيركوه فـى هزيمته

## ١١٦٥ م. مولد ابن الجزرى.

بديع الزمان ابو العز ابو بكر اسماعيل بن الرزار الجزري. رياضي وعالم في الوسائل الميكانيكية. ولد في الجزيرة، بين نهري دجلة والفرات، في العراق حـوالي عـام ١١٦٥ م، وتوفي عام ١٢١٠. نشأ في الجزيرة وخدم في بلاط ملوك التركمان. نور الدين، وقطب الدين وناصر الدين. ويذكر ان وظيفته كانت صنع الآلات الميكانيكية مثل ادوات الري والزرع الى العاب التسلية. ومن اشهر مؤلفات الجزري كتاب (في معرفة الحيل الهندسية (او (الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (، وهو من الكتب الفريدة في موضوعها فـي العربيـة وفي العالمين القديم والوسيط، والتي لم تكشف وتقدر حق قدرها الا في النصف الثـاني مـن القرن العشرين. ويقع الكتاب في خمسة اجزاء، هي الـساعات والـسفن واحـواض القيـاس والنافورات وآلات رفع الماء.

ويظن انه عن اصول اغريقية وآسيوية أضـاف اليها المؤلف. ويوجد من هذا الكتاب حوالي ٥٠ نسخة فارسية وعربية، وقد نقل الى الانجليزية مؤخرا، كمـا ظهر تحقيق له بالعربية في الآونة الاخيرة. وقد لاحـظ المستشرق (ويندر) في دراسـته عـن ابـن الـرزاز الجزري ان مخترعات العالم العربي قد خلت، بالمقارنة الى مخترعات الايطالي الذي تلاه بقرون وهو ليوناردو دافنشي، من ادوات الحرب، ولهذا فرغم ظهور كتـاب الجزري في فترة متقدمة نوعا، وتوافر نسخ كثيرة منه في العالم الاسلامي، فإن الكتاب لم يثـر الاهتمـام أو يبعث الحركة التي كان جديرا بها.

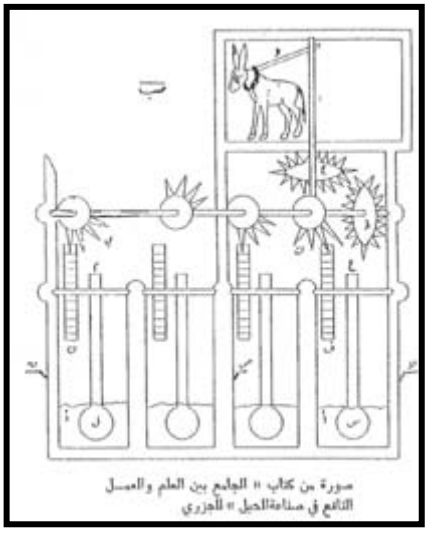


**هذا نموذج من كتاب الجامع لابـن الرزاز الجزري.**

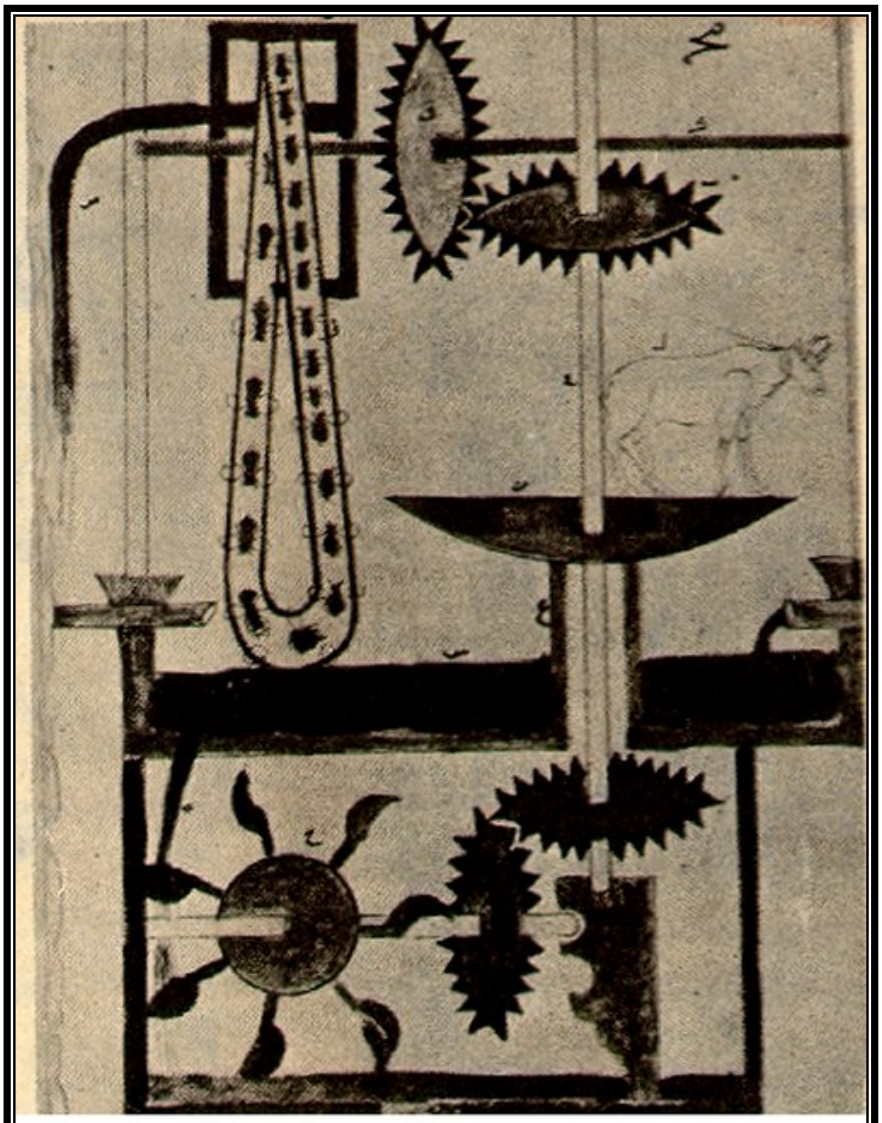

رسم يوضح إحدى الآلات الميكانيكية لابن الرزاز الجزري

- ١١٦٦ م. وفاة العالم الزاهد "محيي الدين عبد القادر بن أبي صـالح عبـد الله"، المعروف بـ "عبد القادر الجيلي"، أحد كبار الزهاد في القرن السادس الهجري.
- ١١٦٧ م. حملة شيركوه الثانية على مصر وشاور الخائن يستنجد بالصليبيين
- ١١٦٨ م. عمورى يزحف على القاهرة وشاور يحرق القاهرة ويستنجد بنور الدين محمود وشيركوه يأتى مرة اخرى الى مصر ويستولى عليها
- ١١٦٩ م. الاسطول البيزنطى يحاول غزو مصر ويفشل
- ١١٦٩ م. وفاة اسد الدين شيركوه ويخلفه الوزارة ابن اخيه صلاح الدين الايوبى

- ١١٧٠ م. وفاة قطب الدين مودود ابن عماد الدين زنكي ملك الموصل وسـنجار، شارك أخاه نور الدين في كثير من حروبه ضد الصليبيين؛ وتوفي عن عمر بلـغ نحو أربعين سنة

## ١١٧١ م. صلاح الدين يسقط الخلافة الفاطمية ويدعو للخليفة العباسـي علـى المنابر.

عرف في كتب التاريخ في الشرق والغرب بأنه فارس نبيل وبطل شـجاع وقائـد مـن أفضل من عرفتهم البشرية وشهد بأخلاقه أعداؤه من الصليبيين قبل أصدقائه وكاتبوا سـيرته، إنه نموذج فذ لشخصية عملاقة من صنع الإسلام، إنه البطل صلاح الـدين الأيـوبي محـرر القدس من الصليبيين وبطل معركة حطين.

فإلى سيرته ومواقف من حياته كما يرويها صاحب وفيات الأعيان أحمد بـن خلكـان، والقاضي بهاء الدين بن شداد صاحب كتاب "سيرة صلاح الدين" وبن الأثير في كتابه "الكامل".

### نسبه ونشأته.

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين.

اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين) وهي بلدة في آخر أذربيجـان وأنهـم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد.

يقول أحمد بن خلكان. قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين إن علـى باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي ـ جـد صـلاح الدين ـ قد أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هنـاك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد.

ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه بها والظاهر أنهم مـا أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت فـي بقيـة سـنة ٥٣٢هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لأنهما أقاما عند عمـاد الـدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلـك في أوائل سنة أربع وثلاثين.

يقول بن خلكان. أخبرني بعض أهل بيتهم وقد سألته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من أهلنا يقولون إنهم أخرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الـدين فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال والله أعلم.

ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمـود بـن عماد الدين زنكي دمشق لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة إلى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلـم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد.

## صلاح الدين في مصر.

هرب الوزير الفاطمي شاور من مصر من الوزير ضرغام بن عامر بن سوار الملقـب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخـذ مكانـه فـي الوزارة كعادتهم في ذلك وقتل ولده الأكبر طي بن شاور فتوجه شاور إلـى الـشام مـستغيثا بالملك العادل نور الدين بن زنكي وذلك في شهر رمضان ٥٥٨هـ ودخل دمشق في الثالـث والعشرين من ذي القعدة من السنة نفسها فوجه نور الدين معه الأمير أسد الدين شيركوه بـن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وهو كـاره للـسفر معهم وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش هدفان.

أحدهما. قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا.

والثاني. أنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة مـن جهـة الجنـد وأحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك.

وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعـل أسـد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق في جمادى الأولى سنة ٥٥٩هـ فدخلوا مصر واستولوا على الأمر في رجب من السنة نفسها.

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليهـا وقتلـوا الـضرغام وحصل لشاور مقصودة وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الـدين شيركوه واستنجد بالإفرنج عليه فحاصروه في بلبيس، وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها وأنها مملكة بغير رجال تمشي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال فطمع فيها وعـاد إلى الشام، وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكرا في تدبير عودته إلى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين إلى سنة ٥٦٢هـ

وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبة الوزير الخائن شاور للفرنج وما تقرر بيـنهم فخافـا على مصر أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز أسد الدين وأنفذ معه نـور الـدين العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين، وكان وصول أسد الدين إلى الـبلاد مقارنـا

لوصول الإفرنج إليها واتفق شاور والمصريون بأسرهم والإفرنج على أسـد الـدين وجـرت حروب كثيرة.

وتوجه صلاح الدين إلى الإسكندرية فاحتمى بها وحاصره الوزير شاور فـي جمـادى الآخرة من سنة ٥٦٢هـ ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس وتم الصلح بينه وبـين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا إلى الشام.

ثم إن أسد الدين عاد إلى مصر مرة ثالثة وكان سبب ذلك أن الإفرنج جمعوا فارسـهم وراجلهم وخرجوا يريدون مصر ناكثين العهود مع المصريين وأسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر فسارعا إلى مصر أما نور الـدين فبالمـال والرجال ولم يمكنه المسير بنفسه خوفا على البلاد من الإفرنج، وأما أسد الدين فبنفسه ومالـه وإخوته وأهله ورجاله

يقول بن شداد. لقد قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنـت أكـره النـاس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختياري وهذا معنى قوله تعـالى {وعـسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم} (البقرة.٢١٦)

وكان شاور لما أحس بخروج الإفرنج إلى مصر سير إلى أسـد الـدين يستـصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة ٥٦٤هـ ولما علم الإفرنج بوصول أسد الدين إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان وكان وعدهم بمال في مقابـل مـا خسروه من النفقة فلم يوصل إليهم شيئا وعلم أسد الدين أن شاور يلعب به تـارة وبـالإفرنج أخرى،وتحقق أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فأجمع رأيه على القـبض عليه إذا خرج إليه، فقتله وأصبح أسد الدين وزيرا وذلك في سابع عـشر ربيـع الأول سـنة ٥٦٤هـ ودام آمرا وناهيا و صلاح الدين يباشر الأمور مقرراً لها لمكـان كفايتـه ودرايتـه وحسن رأيه وسياسته إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة نفـسها فمـات أسـد الدين.

وذكر المؤرخون أن أسد الدين لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان صـلاح الـدين يوسف بن أيوب فبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمـة الله تعالى عليه، وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد، استعدادا لمواجهـات مستمرة مع الصليبيين من جهة ومع خزعبلات الدولة الفاطمية من جهة أخرى.

## هجوم الإفرنج على مصر.

ولما علم الإفرنج استقرار الأمر بمصر لصلاح الدين علموا أنه يملك بلادهم ويخـرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الإفرنج والروم جميعـا وقـصدوا الديار المصرية فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون إليه من العدد، ولمـا رأى نور الدين ظهور الإفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغلهم عنها فنزل على الكرك محاصـرا لها، فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له.

ولما بلغ صلاح الدين قصد الإفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات إليها ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكمـا لا يرد أمره في شيء ثم نزل الإفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو يشن عليهم الغارات من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تـدبيره فرحلـوا عنها خائبين فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم عدد كبير.

## تأسيس الدولة الأيوبية.

واستقرت الأمور لصلاح الدين ونقل أسرته ووالده نجم الدين أيـوب إليهـا ليـتم لـه السرور وتكون قصته مشابهة لقصة يوسف الصديق عليه السلام، ولم يزل صلاح الدين وزيرا حتى مات العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ٥٦٥هـ وبذلك انتهت الدولة الفاطمية وبدأت دولـة بني أيوب (الدولة الأيوبية).

ولقب صلاح الدين بالملك الناصر وعاد إلى دار أسد الدين فأقام بها، وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه.

وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته فلم يجبه إلى ذلك

وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد، ثم إن الإفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم إخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة توران شـاه بـن أيوب، وهو أكبر من صلاح الدين.

و ذكر ابن الأثير ما حدث من الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا فقال. وفـي سنة ٥٦٧هـ حدث ما أوجب نفرة نور الدين عن صلاح الدين وكان الحادث أن نور الـدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها إلى بلاد الإفرنج والنـزول على الكرك ومحاصرته ليجمع هو أيضا عساكره ويسير إليه ويجتمعا هنـاك علـى حـرب الإفرنج والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر

ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازمـا على قصد الكرك فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه فأرسل كتابه يعتـذر فيـه عن الوصول باختلال البلاد المصرية لأمور بلغته عن بعض شيعة العلويين وأنهم عـازمون على الوثوب بها وأنه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد إليها فلم يقبل نور الدين عذره، وكـان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل أمر نـور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها.

ووصل الخبر إلى صلاح الدين فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين أيوب وخاله شـهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الأمراء وأعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قـصده وأخـذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء فقام تقي الدين عمر ابن أخي صـلاح الـدين وقال إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكـر ذلك واستعظمه وكان ذا رأي ومكر وعقل وقال لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنـا أبوك وهذا شهاب الدين خالك

أتظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت أنا وهذا خالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا إلا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فإذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه إلا النـزول وتقبيل الأرض بين يديه وهذه البلاد له وقد أقامك فيها وإن أراد عزلك فأي حاجـة لـه إلـى المجيء يأمرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد وقال للجماعة كلهـم قوموا عنا ونحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب أكثـرهم إلى نور الدين بالخبر.

ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمـع هـذا الجمـع الكثير وتطلعهم على ما في نفسك فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد جعلـك أهم الأمور إليه وأولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك أحدا من هذا العسكر وكانوا أسـلموك إليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه ويعرفونه قولي وتكتب أنت إليه وترسـل فـي المعنى وتقول أي حاجة إلى قصدي يجبي نجاب يأخذني بحبل يضعه في عنقي فهو إذا سـمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده والأيام تندرج والله في كل وقت في شأن والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل ففعـل صـلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عن قصده وكان الأمر كما قـال نجم الدين أيوب وتوفي نور الدين ولم يقصده وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها.

## توسع الدولة الأيوبية.

قال ابن شداد. لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الإحسان وإفاضة الإنعام على الناس إلى سنة ٥٦٨هـ فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فأراد توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الإفرنج وقعات وعاد ولم يظفر منها بشيء ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصوله إليه.

ولما كانت سنة ٥٦٩هـ رأى قوة عسكره وكثرة عدده وكان بلغه أن باليمن إنسانا استولى عليها وملك حصونها يسمى عبد النبي بن مهدي فسير أخاه توران شاه فقتله وأخذ البلاد منه وبلغ صلاح الدين أن إنسانا يقال له الكنز جمع بأسوان خلقا عظيما من السودان وزعم أنه يعيد الدولة المصرية وكان أهل مصر يؤثرون عودهم فانضافوا إلى الكنز، فجهز صلاح الدين إليه جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل وساروا فالتقوا وهزموهم وذلك في السابع من صفر سنة ٥٧٠هـ.

وكان نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل وكان بدمشق عند وفاة أبيه ثم إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الأحوال بالشام وكاتب شمس الدين ابن المقدم صلاح الدين فتجهز من مصر في جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهرا أنه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها في سنة ٥٧٠هـ وتسلم قلعتها وكان أول دخوله دار أبيه، وهي الدار المعروفة بالشريف العقيقي، واجتمع الناس إليه وفرحوا به وأنفق في ذلك اليوم مالا جليلا وأظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة وسار إلى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها في جمادى الأولى من السنة نفسها ولم يشتغل بقلعتها وتوجه إلى حلب ونازلها في يوم الجمعة آخر جمادى الأولى من السنة وهي المعركة الأولى.

ولما أحس سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل بما جرى علم أن صلاح الدين قد استفحل أمره وعظم شأنه وخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه فأنفذ عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائدا إلى حماة ورجع إلى حمص فأخذ قلعتها ووصل عز الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكر ابن

عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم والقضاء يجر إلى أمور وهم بها لا يشعرون فتلاقوا فقضى الله تعالى أن هزموا بين يديه وأسر جماعة منهم فمن عليهم وذلك في تاسع شهر رمضان من سنة ٥٧٠ هـ عند قرون حماة ثم سار عقيب هزيمتهم ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية فصالحوه على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ولما جرت هذه المعركة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزم على أخذها منه لأنه كان قد انتمى إلى صلاح الدين وكان قد قارب أخذها فلما بلغه الخبر وأن عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه فراسله وصالحه ثم سار من وقته إلى نصيبين واهتم بجمع العساكر والإنفاق فيها وسار إلى البيرة وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وراسل ابن عمه الصالح بن نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل عليها ثم إنه وصل إلى حلب وخرج الملك الصالح إلى لقائه أقام على حلب مدة.

## المواجهة مع الإفرنجة.

في سنة ٥٧٢هـ اسقرت الأمور بمصر والشام للدولة الأيوبية، وكان أخو صلاح الدين شمس الدولة توران شاه قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدمشق ثم تأهب للغزاة من الإفرنجة، فخرج يطلب الساحل حتى وافى الإفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ٥٧٣هـ وكانت الهزيمة على المسلمين في ذلك اليوم، فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهنا عظيما جبره الله تعالى بمعركة حطين المشهورة.

أقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثه وشعث أصحابه من أثر هزيمة الرملة ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود إليه واهتم بالغزاة فوصله رسول "قليج أرسلان" صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الأرمن فعزم على قصد بلاد ابن لاون - وهي بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل - لينصر قليج أرسلان عليه فتوجه إليه واستدعى عسكر حلب لأنه كان في الصلح أنه متى استدعاه حضر إليه ودخل بلد ابن لاون وأخذ في طريقه حصنا و أخربه ورغبوا إليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجاب إلى ذلك وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل في الصلح قليج أرسلان والمواصلة وعاد بعد تمام الصلح إلى دمشق ثم منها إلى مصر.

## معركة حطين.

كانت معركة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت ١٤ ربيـع الآخـر سـنة ٥٨٣هـ في وسط نهار الجمعة وكان صلاح الدين كثيرا ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعـة عند الصلاة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع لـه من العساكر الإسلامية وكانت تجاوز العد والحصر على تعبئة حسنة وهيئة جميلة وكـان قـد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بعكا عندما بلغهم اجتمـاع الجيـوش الإسلامية فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظـر هجوم الصليبيين عليه إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولا خرجوا من منـزلهم وكان نزولهم يوم الأربعاء ٢١ربيع الآخر فلما رآهم لا يتحركون نزل على طبرية وهاجمهـا وأخذها في ساعة واحدة وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبريـة قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصـر قلعتهـا ولحـق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها وذلك في يوم الخميس ٢٢ ربيـع الآخر وحال الليل بين المعسكرين قياما على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة فركـب الجيـشان وتصادما والتحم القتال واشتد الأمر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولـم يبق إلا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت فطلب كل من الفريقين مقامه وتحقـق المـسلمون أن مـن ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهـاد فحملـت جيوش المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكان حقا عليه نصر المؤمنين ولما أحس القوم بالخذلان هرب مـنهم فـي أوائل الأمر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين

فنجا منهم وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب وأطلقـوا علـيهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام وانهزمت طائفـة مـنهم فتبعهـا أبطـال المسلمين فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأمر خوفا من القتل لما مر بهم فأسر مقدموهم وقتل الباقون.

وكان ممن سلم من مقدميهم الملك جفري وأخوه والبـرنس أرنـاط صـاحب الكـرك والشوبك وابن الهنفري وابن صاحبة طبرية ومقدم الديوية وصاحب جبيل ومقدم الأسبتار.

قال ابن شداد. ولقد حكي لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصا واحـدا معـه نيـف وثلاثون أسيرا قد ربطهم بوتد خيمة لما وقع عليهم من الخذلان.

وأما أرناط فان صلاح الدين كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك لأنه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من مصر في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذي بينه وبـين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وبلغ السلطان فحملته حميته ودينه على أن يهدر دمه.

## من مواقف صلاح الدين.

لما فتح الله تعالى عليه بنصره في حطين جلس صلاح الدين في دهليز الخيمة لأنها لـم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الأسارى وسار الناس يتقربون إليه بمن في أيديهم منهم وهـو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمسلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما أنعم به عليه واستحضر الملك جفري وأخاه و أرناط وناول السلطان جفـري شـربة مـن جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم ناولها لأرنـاط وقـال الـسلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سقيته وإلا أنا فما سقيته وكان من جميل عادة العـرب وكـريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصد السلطان بقوله ذلك ثم أمـر بمسيرهم إلى موضع عينه لهم فمضوا بهم إليه فأكلوا شيئا ثم عادوا بهم ولم يبق عنده سـوى بعض الخدم فاستحضرهم وأقعد الملك في دهليز الخيمة.

وأحضر صلاح الدين أرناط وأوقفه بين يديه وقال له. ها أنا أنتصر لمحمد منـك ثـم عرض عليه الإسلام فلم يفعل فسل سيفه فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر وأخرجت جثته ورميت على باب الخيمة،فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك فـي أنـه يلحقـه بـه فاستحضره وطيب قلبه وقال له لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فإنـه تجـاوز الحد وتجرأ على الأنبياء صلوات الله عليهم وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور ترتفـع أصواتهم بحمد الله وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل السلطان على طبرية يـوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها إلى يوم الثلاثاء.

## تحرير عكا وما حولها.

ورحل صلاح الدين طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل الصليبيين بها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـ فأخذها واستنقذ من كان بهـا مـن أسـارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس واستولى على ما فيها مـن الأمـوال والـذخائر

والبضائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوهـا مـن الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيرا منهم ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالهـا وأسـاراها سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى وهي قلعة منيعة فنـصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالا شديدا ونصره الله سبحانه علـيهم فتسلمها منهم يوم الأحد ثامن عشرة عنوة وأسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحـل عنهـا إلـى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون مـن جمـادى الأولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى بيروت فنازلها ليلة الخمـيس الثـاني والعشرين من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور وتسلم أصحابه جبيل وهو على بيـروت، ولمـا فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده عسقلان أولى لأنها أيسر من صور فأتى عسقلان ونـزل عليها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة وتسلم في طريقه إليهـا مواضـع كثيرة كالرملة والداروم وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سـنة فـإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨هـ.

**تحرير القدس.**

قال ابن شداد. لما تسلم صلاح الدين عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره إليه منتهزا الفرصة في فتح باب الخير الـذي حث على انتهازه بقوله من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ٥٨٣هـ وكان نزوله بالجانب الغربي وكان معه من كان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وحزر أهل الخبرة ممن كان معه من كان

فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصبيان ثم انتقل لمـصلحة رآها إلى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضايق البلـد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي

جهنم ولما رأى أعداء الله الصليبيون ما نزل بهم من الأمر الذي لا مـدفع لـه عـنهم وظهرت لهم إمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان واستقرت الأمور بالمراسـلة مـن الطائفتين وكان تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعـراج المنصوص عليها في القرآن الكريم فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله تعالى عـوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من أهل العلم خلق ومن أرباب الخرق والزهد عالم وذلك أن النـاس لمـا بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس قصده العلماء مـن مـصر والشام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الأصوات بالضجيج بالـدعاء والتهليـل والتكبيـر وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب القاضي محيي الدين محمد بن علـي المعـروف بـابن الزكي.

وقد كتب عماد الدين الأصبهاني رسالة في فتح القدس،وجمع كتابا سماه الفتح القسي في الفتح القدسي وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة.

وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفـرج النابلـسي الشاعر المشهور هذا الفتح فأنشد السلطان صلاح الدين قصيدته التي أولها.

**هذا الذي كانت الآمال تنتظر ***** فليوف لله أقوام بما نذروا**

وهي طويلة تزيد على مائة بيت يمدحه ويهنيه بالفتح.

يقول بهاء الدين بن شداد في السيرة الصلاحية. نكس الصليب الذي كـان علـى قبـة الصخرة وكان شكلا عظيما ونصر الله الإسلام على يده نصرا عزيزا، وكـان الإفـرنج قـد استولوا على القدس سنة ٤٩٢هـ ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه منهم صلاح الـدين، وكانـت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن كـل امـرأة خمـسة دنانير صورية وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارا واحدا فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه وإلا أخذ أسيرا وأفرج عمن كان بالقدس من أسرى المسلمين وكانوا خلقا عظيما وأقام بـه يجمـع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافـدين عليـه وتقدم بإيصال من قام بقطيعته إلى مأمنه وهي مدينة صور ولم يرحل عنه ومعه مـن المـال

الذي جبي له شيء وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين ألفا وكان رحيله عنه يوم الجمعـة الخامس والعشرين من شعبان من سنة ٥٨٣هـ

## حصار صور.

يقول بن شداد. لما فتح صلاح الدين القدس حسن عنده قصد صور وعلم أنه إن أخـر أمرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ثم رحل عنها متوجها إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة)٥٨٣) فنزل قريبـا منهـا وسير لإحضار آلات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور وقاتلها وضايقها قتالا عظيما واستدعى أسطول مصر فكان يقاتلها في البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث

والعشرين من شوال من السنة، ثم خرج أسطول صور فـي الليـل فهـاجم أسـطول المسلمين وأخذوا المقدم والريس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المـسلمين وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار وامتنع الناس من القتال لكثـرة الأمطـار فجمـع الأمـراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال فرحـل عنهـا وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حملـه لكثـرة الوحـل والمطر وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من السنة وتفرقت العساكر وأعطى كل طائفـة منها دستورا وسار كل قوم إلى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا إلـى أن دخلت سنة ٥٨٤هـ

ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من السنة ولم يبق معه من العـسكر إلا القليـل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والأقوات فعلم أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد فرجع إلى دمشق، وأقام بدمشق خمسة أيام. ثم بلغه أن الإفرنج قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعا وكان قـد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الإفرنج بخروجه كفوا عن ذلك.

## بقية فتوح الشام.

قال ابن شداد في السيرة. لما كان يوم الجمعة رابع جمادى الأولى من سـنة ٥٨٤هـ ـ دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الأطلاب وسارت الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الأخير ومقدمها مظفر الدين ابن زين الدين فوصل إلى انطرسوس ضاحي نهار الأحد سادس جمادى الأولى

فوقف قبالتها ينظر إليها لأن قصده كان جبلة فاستهان بأمرها وعزم على قتالها فـسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الآخـر ونـزل هـو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر إلى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجـان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم نصب الخيـام حتـى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع من بها وما بها وأحرق البلد و أقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين فما زال يحاربـه حتى أخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه فجاءه في عسكر عظيم، ثم سـار يريد جبلة وكان وصوله إليها في ثاني عشر جمادى الأولى وما استتم نزول العـسكر عليهـا حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتـالا شـديدا ثـم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة وأقام عليهـا إلـى الثالـث والعشرين منه، ثم سار عنها إلى اللاذقية وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور وله ميناء مـشهور ولـه قلعتـان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال إلى آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار وجدوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعا وعرضه أربعة أذرع فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وزراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الذخائر والسلاح وآلات الحرب فأجابهم إلى ذلك ورفـع العلم الإسلامي عليها يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعـشرين مـن جمـادى الأولى فرحل عنها إلى صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهـد في القتال فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ثم تقدموا إلى القلعة وصدقوا القتال فلمـا عاينوا الهلاك طلبوا الأمان فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنـانير ومـن المـرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران الذكر والأنثى سواء و أقام السلطان بهذه الجهـة حتـى أخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون، ثم رحـل عنهـا وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النـزول عليهـا يوم الثلاثاء

سادس جمادى الآخرة وقاتلوها قتالا شديدا إلى يوم الجمعة تاسع الـشهر ثـم يـسر الله فتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأسر الباقون وغنم المسلمون جميع ما كان فيهـا ولهـا قليعـة تسمى الشغر وهي في غاية المنعة يعبر إليها منها بجسر وليس عليها طريق فسلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ورأوا أنهم لا ناصر لهم فطلبوا الأمان وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر

الشهر ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأمهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتهـا يوم الجمعة سادس عشر الشهر.

ثم سار إلى برزية وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها المثل في بـلاد الإفرنج تحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعا وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء الـسابع والعـشرين منه.

ثم سار إلى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتـالا شديدا ورقي العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وأعطاها الأمير علم الدين سليمان بن جندر وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر.

ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة بالقرب من إنطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصـعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان وراسله أهل إنطاكية في طلب الصلح فـصالحهم لـشدة ضجر العسكر من البيكار وكان الصلح معهم لا غير على أن يطلقوا كل أسير عندهم والصلح إلى سبعة أشهر فإن جاءهم من ينصرهم و سلموا البلد.

ثم رحل السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلـك فوصل حلب في حادي عشر شعبان أقام بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حـق القيـام، وسار من حلب فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصعده إلى قلعة حماة وصنع له طعامـا وأحضر له سماعا من جنس ما تعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة وأعطاه جبلة واللاذقيـة، وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر

رمضان بأيام يسيرة، ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يـزل القتال حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال.

ثم سار إلى كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والأمطـار متـواترة والوحـول متضاعفة والرياح عاصفة والعدو متسلط بعلو مكانه فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمـان فأجابهم إليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة.

## الصليبيون في عكا.

بلغ صلاح الدين أن الإفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجـب سنة ٥٨٥هـ فأتى عكا ودخلها بغتة لتقوى قلوب من بها و استدعى العساكر من كـل ناحيـة فجاءته وكان العدو بمقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ثم تكاثر الإفرنج واستفحل أمـرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل إليها ويخرج وذلك يوم الخميس فضاق صدر السلطان لذلك ثم

اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشـاور الأمـراء فـاتفقوا علـى مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام وتـأخر النـاس إلـى تـل العياضية وهو مشرف على عكا وفي هذه المنزلة توفي الأمير حسام الدين طمان وذلك ليلـة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان.

قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له إن الوخم قد عظـم بمـرج عكـا وإن الموت قد فشا في الطائفتين.

**افتلاني ومالكا ***** واقتلا مالكا معي**

يريد بذلك أنه قد رضي أن يتلف إذا أتلف الله أعداءه، وهذا البيت له سبب يحتاج إلـى شرح وذلك أن مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي كـان مـن الـشجعان والأبطـال المشهورين وهو من خواص أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه تماسـك فـي يـوم معركة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان أيضا من الأبطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين وكانوا يحـاربون عليا رضي الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب صدره وفعلا ذلك مرارا وابن الزبير ينشد.

**افتلاني ومالكا ***** واقتلا مالكا معي**

يريد الأشتر النخعي.

قال ابن شداد ثم إن الإفرنج جاءهم الإمداد من داخل البحر واستظهروا على الجيـوش الإسلامية بعكا وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمـشطوب الهكـاري والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي وضايقوهم أشد مضايقة إلى أن غلبوا عن حفـظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من سنة ٥٨٧هـ خرج من عكـا رجـل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه وأنهم قد تيقنوا الهلاك ومتى أخـذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم وصليب الصلبوت على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وزراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لأنه كان الواسطة في هذا الأمر أربعة آلاف دينار ولما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكارا عظيما وعظم عليه هـذا الأمـر وجمع أهل الرأي من أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هـذا الوجـه

وهو يتردد في هذا فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سـور البلد وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة وصاح الإفرنج صيحة عظيمة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ووقع فيهم الـصياح والعويـل والبكاء والنحيب.

ثم ذكر ابن شداد بعد هذا أن الإفرنج خرجوا من عكـا قاصـدين عـسقلان ليأخـذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره في قبالتهم إلى أن وصلوا إلى أرسوف فكان بينهمـا قتال عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منـازل مـن مسيرهم من عكا فأتى السلطان الرملة وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عـسقلان وهـل الصواب خرابها أم بقاؤها فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ويتوجـه هـو بنفسه ويخربها خوفا من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ويأخذ بهـا القـدس وتنقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المـسلمين بعكـا ورأوا أن حفظ القدس أولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة فسار إليها فجر الأربعاء ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معي في معنى خرابها بعد أن تحدث مع ولده الملك الأفضل في أمرها أيضا ثـم قال لأن أفقد ولدي جميعهم أحب إلي من أن أهدم منها حجرا ولكن إذا قضى الله تعالى ذلـك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك قال ولما اتفق الرأي على خرابهـا أوقـع الله تعالى في نفسه ذلك وأن المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع في خرابها فجر يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم السور على الناس وجعل لكل أمير وطائفـة من العسكر بدنة معلومة وبرجا معينا يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكـاء وكان بلدا خفيفا على القلب محكم الأسوار عظيم البناء مرغوبا في سكنه فلحق النـاس علـى خرابه حزن عظيم وعظم عويل أهل البلد عليه لفراق أوطانهم وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد وباعوا اثني عشر طير دجاج بـدرهم واحد واختبط البلد وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم وتشتتوا فذهب قوم مـنهم إلـى مصر وقوم إلى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه ولا يمكن من خرابه وبات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من أخبر أن الإفرنج تحـدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفـس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب إليه يأذن له في ذلك وفـوض

الأمر إلى رأيه وأصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على الخـراب واسـتعمل الناس عليه وحثهم على العجلة فيه وأباحهم ما في الهري الذي كان مدخرا للميرة خوفـا مـن هجوم الإفرنج والعجز عن نقله وأمر بإحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته وكان سـورها عظيما ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى

نهاية شعبان من السنة وأصبح يوم الإثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لأجل الإحـراق، وفـي يـوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج إلى "اللد" وأشرف عليهـا وأمـر بخرابهـا وخراب قلعة الرملة ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمـضان تـأخر الـسلطان بالعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لإحضار مـا يحتـاجون إليـه ودار السلطان حول النطرون وهي قلعة منيعة فأمر بتخريبها وشرع الناس في ذلك.

## الصلح مع الصليبيين.

ثم ذكر ابن شداد بعد هذا أن الانكتار وهو من أكابر ملوك الإفرنج سير رسـوله إلـى الملك العادل يطلب الاجتماع به فأجابه إلى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شـوال مـن السنة وتحادثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة أكيدة والتمس الانكتار من العادل أن يسأل السلطان أن يجتمع به فذكر العادل ذلك للسلطان فاستشار أكابر دولته في ذلك ووقع الاتفـاق على أنه إذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم وصل رسـول الانكتـار وقـال إن الملك يقول إني أحب صداقتك ومودتك وأنت تذكر أنك أعطيت هذه البلاد الـساحلية لأخيـك فأريد أن تكون حكما بيني وبينه وتقسم البلاد بيني وبينه ولا بد أن يكون لنـا علقـة بالقـدس وأطال الحديث في ذلك فأجابه السلطان بوعد جميل وأذن له في العود في الحال وتأثر لـذلك تأثرا عظيما قال ابن شداد وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان متى صالحناهم لـم تـؤمن غائلتهم ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر وتقوى الإفرنج والمصلحة أن لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت هذا كان رأيه وإنما غلب علـى الصلح.

قال ابن شداد ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح و تم الصلح بينهم يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ٥٨٨هـ ونادى المنادي بانتظـام الـصلح وأن الـبلاد الإسـلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاته وإيثاره ولكنه رأى المـصلحة فـي

الصلح لسآمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فإنه اتفقت وفاتـه بعد الصلح فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر.

ثم أعطى للعساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دسـتورا فـساروا عنـه وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة وتردد المسلمون إلى بلادهم وجاءوا هم إلى بلاد المسلمين وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس.

مستهل ذي القعدة عمل الملك الأفضل دعوة للملك الظاهر لأنه لما وصل إلـى دمـشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليتملى بالنظر إليه ثانيا وكأن نفسه كانت قد أحست بـدنو أجلـه فودعه في تلك الدفعة مرارا متعددة ولما عمل الملك الأفضل الدعوة أظهر فيهـا مـن الهمـم العالية ما يليق بهمته وكأنه أراد بذلك مجازاته ما خدمه به حين وصل إلى بلاده وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة وسأل السلطان الحضور فحضر جبرا لقلبه وكان يوما مشهودا على ما بلغني.

ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك وأصلح ما قصد إصلاحه فيه سار قاصـدا إلـى البلاد الفراتية فوصل إلى دمشق في يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان إلـى لقائه وأقام يتصيد حوالي غباغب إلى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعا يتصيدان وكان دخولهمـا إلى دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمـانين وأقـام الـسلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه وأولاده ويتفرجون في أراضي دمشق ومواطن الصبا وكأنـه وجـد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل وكان ذلك كالوداع لأولاده ومراتـع نزهه ونسي عزمه إلى مصر وعرضت له أمور أخر وعزمات غير ما تقدم.

## أواخر أيامه.

بعد الصلح سنة ٥٨٨هـ توجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحوالها وتوجه أخـوه الملـك العادل إلى الكرك وابنه الملك الظاهر إلى حلب وابنه الأفضل إلى دمـشق وأقـام الـسلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستورا ويتأهب للمسير إلى الديار المصرية وانقطع شوقه عـن الحج ولم يزل كذلك إلى أن صح عنده مسير مركب الانكتار متوجها إلى بلاده فـي مـستهل شوال فعند ذلك قوي عزمه أن يدخل الساحل جريدة يتفقد القلاع البحرية إلى بانياس ويـدخل دمشق ويقيم بها أياما قلائل ويعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية.

قال ابن شداد. وأمرني صلاح الدين بالمقام في القدس إلى حين عوده لعمارة مارستان أنشأه به وتكميل المدرسة التي أنشأها فيه وسار منه ضاحي نهار الخميس السادس من شـوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما فرغ من افتقاد أحوال القلاع وإزاحة خللها دخل دمشق بكرة

الأربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده الملك الأفضل والملك الظاهر والملك الظافر مظفـر الدين الخضر المعروف بالمشعر وأولاده الصغار وكان يحب البلاد ويؤثر الإقامة فيـه علـى سائر البلاد وجلس للناس في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه وحضروا عندهم وبلـوا شوقهم منه وأنشده الشعراء ولم يتخلف أحد عنه من الخواص والعوام وأقام ينشر جناح عدلـه ويهطل سحاب إنعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان يوم الاثنين

## وفاة صلاح الدين.

قال ابن شداد. وصلني كتاب صلاح الدين إلى القدس يستدعيني لخدمته وكـان شـتاء شديدا ووحلا عظيما فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحـرم سـنة ٥٨٩هـ وكان الوصول إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة وركب السلطان لملتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر وكان ذلك آخر ركوبه، ولما كان ليلة السبت وجد كسلا عظيما وما تنصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت في باطنه أكثر منهـا فـي ظاهره وأصبح يوم السبت متكاسلا عليه أثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنـده أنا والقاضي الفاضل ودخل ولده الملك الأفضل وطال جلوسنا عنده وأخذ يشكو قلقه في الليـل وطاب له الحديث إلى قريب الظهر ثم انصرفنا وقلوبنا عنده فتقدم إلينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الملك الأفضل ولم تكن للقاضي الفاضل في ذلك عادة فانصرف ودخلـت إلـى الإيوان القبلي وقد مد السماط وابنه الملك الأفضل قد جلس في موضعه فانصرفت وما كانـت لي قوة في الجلوس استيحاشا له وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلا لجلوس ولده في موضعه ثم أخذ المرض يتزيد من حينئذ ونحن نلازم التردد طرفي النهار ونـدخل إليـه أنـا والقاضـي الفاضل في النهار مرارا وكان مرضه في رأسه وكان من إمارات انتهاء العمر غيبة طبيبـه الذي كان قد عرف مزاجه سفرا وحضرا ورأى الأطباء فصده ففصدوه فاشتد مرضه وقلـت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه اليبس ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى إلى غاية الـضعف واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلاد وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم مـن الأسواق وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا تمكن حكايته ولما كان العاشر من مرضه حقـن دفعتين وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ثم اشتد مرضه وأيس منه الأطبـاء ثم شرع الملك الأفضل في تحليف الناس، ثم إنه توفي بعد صلاة الصبح من يـوم الأربعـاء السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩هـ

وكان يوم موته يوما لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى وبالله لقد كنت أسمع مـن

الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لفدي بالأنفس.

ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء وغسله، وأخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله في تابوت مسجى بثوب فوط فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج وأخذ الناس في البكاء والعويل وصلوا عليه أرسالا ثم أعيد إلى الدار التي في البستان وهي التي كان متمارضا بها ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله في حفرته قريبا من صلاة العصر.

وأنشد بن شداد في آخر السيرة بيت أبى تمام الطائي وهو.

**ثم انقضت تلك السنون ***** وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام**

رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها، وذكر ابن شداد. أنه مات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا ولم يخلف ملكا لا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة.

وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} {إن زلزلة الساعة شيء عظيم} كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت أباك ومخدومي وداعا لا تلاقي بعده وقد قبلت وجهه عني وعنك وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المعدة ما لم يدفع البلاء ولا ملك يرد القضاء وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا عليك لمحزونون يا يوسف وأما الوصايا فما تحتاج إليها والآراء فقد شغلني المصاب عنها وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم

- ١١٧١ م. وفاة الخليفة العاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية التي بدأت في بلاد المغرب العربي ثم حكمت مصر، وكانت نهايتها على يد صلاح الدين الأيوبي
- ١١٧١ م. عودة مصر إلى الخلافة العباسية، والخطبة للخلفاء العباسيين في مساجدها لأول مرة بعد موت الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وكان ذلك بمجهودات صلاح الدين الأيوبي.
- ١١٧٢ م. صلاح الدين يفتح النوبة
- ١١٧٤ م. وفاة المجاهد نور الدين محمود

- ١١٧٤ م. صلاح الدين يفتح اليمن
- ١١٧٥ م. صلاح الدين يهزم الزنكيين عند قرون حماه ويعلن نفسه ملكـا علـى مصر والشام والخليفة العباسى يقره على ذلك ويتفرغ لماجهة اصليبيين
- ١١٧٦ م. السلطان التركي قلج أرسلان الثاني ينتصر علـى الجـيش البيزنطـي انتصارا كبيرا في معركة "مريو كفالون" في الأناضول، وقد توفي السلطان قيلـيج أرسلان الثاني عام ١١٩٢م، وهو في السادسة والسبعين مـن عمـره. ١١٧٩ م. ارناط الصليبى صاحب حصنى الكرك والشوبك يعتدى على قوافل الحج

## ١١٧٩ م. مولد ياقوت الحموى.

ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين البغدادي الحموي الرومي. جغرافي ومؤرخ من اصل رومي او يوناني. ولد في مكان مجهول حوالي عام ١١٧٩م، وتـوفي فـي حلـب بسورية عام ١٢٢٨م. اشتراه تاجر يدعى عسكر من حماة وهو بعد طفل لم يكن يجيـد لغتـه الاصلية، حتى انه كان من الصعب تحديد اصلها، ثم لقنه سيده الآداب والفقه الاسـلاميين، اذ اراده ان يصبح كاتبا وحاسبا له في تجارته. وكان يصحبه معه في اسفاره، او يوفده وحده في مهمات تجارية، حتى زار ياقوت مدنا اسلامية كثيرة، ثم اعتقه سيده وابعـده عـن العمـل، فاشتغل بنسخ الكتب فترة ثم عاد الى خدمة سيده وسافر بتجارته مرة اخرى، فلما عـاد منهـا وجده قد مات، فأخذ من تجارته نصيبه الذي مكنه من الاتجار لحسابه الخاص، واخـذ يتنقـل بتجارته الجديدة بين البلاد، فزار مدن العراق والشام وتركيا وايران والعراق.

وفي مرو رأى مكتباتها الشهيرة، وقرر ان يبدأ وضع معجمه، ولكن الغـزو المغـولي عاجله، ففر ياقوت امامه تاركا خلفه اشياءه حتى بلغ الموصل ثم حلب مع ـدما. وفـي حلـب ساعده القفطي، ولجأ الى صلاح الدين الايوبي حتى استطاع معجمه المشهور (معجم البلـدان (في عام ١٢٢٤م وأهداه للقفطي، ولكن ياقوت عاد اليه بعد ذلك تهذيبا وتنقيحا حتى توفي وهو يقوم بهذا العمل.َ

وقد خصص ياقوت (معجم البلدان (لدراسة اسماء البلدان والاودية والقيعـان والقـرى والمحال والاوطان والبحار والانهار والغدران و التماثيل. وقد رتب معجمـه علـى حـروف الهجاء، وجعل في بدايته مقدمة من خمسة ابواب. وتبحـث المقدمـة فـي الارض والاقـاليم والمصطلحات الجغرافية والفلكية والبلدان الاسلامية والممالك والشعوب. ويلي كل اسـم مـن اسماء المعجم طريقة نطقه، ثم ثلاثة بحوث. بحث لغوي في ارجاع الاسم الى اصل عربـي، وبحث جغرافي ثم تاريخي. وقد زود ياقوت معجمه بوثائق كثيرة.

أما كتاب ياقوت الثاني (كتاب المشترك وصفا والمفتـرق صـقعا) فيعتبـر مختـصرا لمعجمه، وهو ابسط منه، وقد استخرجت اكثر محتوياته من بين صفحات (معجـم البلـدان). ولياقوت ايضا كتاب (المبدأ والكمال في التاريخ). اما (مراصد الاطلاع على اسماء الامـاكن والبقاع) الذي ينسب لياقوت احيانا، فهو مختصر قام به مجهول ويعتقد انه صفي الدين بن عبد الحكم المتوفى سنة ١٣٣٨م ولمعجم البلدان مختصرات اخرى عديـدة قـام بوضـع احـداها السيوطي.َ

- ١١٨٠ م. وفاة صدر الدين "أبو طاهر أحمد بن محمد بـن أحمـد"، المعـروف بالحافظ السلفي، أحد كبار حفّاظ الحديث في القرن السادس الهجـري، وصـاحب مؤلفات كثيرة، أشهرها كتابه "معجم السفر"، الذي تناول فيه الترجمة لكثيـر مـن الأعلاملا

## ١١٨١ م. مولد العز بن عبد السلام.

في دمشق كان مولد عبد العزيز بن عبد السلام المعروف بـالعز سـنة (٥٧٧ هـ = ١١٨١م)، وبها نشأ وتلقى تعليمه، وكانت دمشق منذ العصر الأموي حاضرة مـن حواضـر العلم تزخر بالعلماء وتموج فيها الحركة العلمية، ويقصدها العلماء من الشرق والغرب.

ولم يطلب العز العلم صغيرا مثل أقرانه، وإنما ابتدأ العلم في سن متأخرة، وانتظم فـي التزام حلقات الدرس وأكب على العلم بشغف ونهم وهمة عالية، فحصل في سنوات قليلة مـا يعجز أقرانه عن تحصيله في سنوات طويلة، ورزقه الله الفهم العميق والذكاء الخارق فأعانـه

ذلك على إتقان الفقه والأصول، ودراسة التفسير وعلوم القـرآن وتلقـي الحـديث وعلومـه، وتحصيل اللغة والأدب والنحو والبلاغة.

وأشهر شيوخ العز ما ذكرهم السبكي في طبقات الشافعية بقوله. تفقه على الشيخ فخـر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدي وغيره، وسمع الحـديث مـن الحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر.

## الوظائف.

اتجه العز إلى التدريس وإلقاء الدروس في مساجد دمشق وفي بيته، وفي المدارس التي كانت تتعهدها الدولة، مثل. المدرسة الشبلية، والمدرسة الغزالية بدمشق، وكان في الشيخ حب للدعابة وميل إلى إيراد الملح والنوادر يلطف بها درسه وينشّط تلاميذه الذين أعجبوا بطريقته، وبعلمه السيال وأفكاره المتدفقة وأسلوبه البارع، وسرعان ما طار صيت العز، وطبقت شهرته الآفاق، وقصده الطلبة من كل مكان، ولما هاجر إلى مـصر عمـل بالمدرسـة الـصالحية، وانصرف إلى إلقاء الدروس في المساجد، والتف الناس حوله يجـدون فيـه عالمـا شـجاعا ومدرسا بارعا.

## الخطابة في الجامع الأموي.

ولم يكن التدريس فقط ميدانه المحبب، وساحته التي يرمي بأفكاره فيها، ويلتقي بالصفوة من تلاميذه، يمدهم بقبس علمه، وصفاء روحه، وإخلاص نفسه، ويقدم الصورة والمثـال لمـا ينبغي أن يكون عليه العالم القدوة من الالتزام والانضباط -وإنما أضاف إلى ذلك مجالاً أرحب بتوليه الخطابة في الجامع الأموي بدمشق سنة (٦٣٧ هـ = ١٢٣٩م)، وكان خطيبا بارعـا، يملك أفئدة السامعين بصوته المؤثر، وكلامه المتدفق، وإخلاصه العميـق، ولـم يكـن يـؤثر استخدام السجع المفرط كما كان يفعل أقرانه، ولا يدق مثلهم بالسيف الخـشبي علـى أعـواد المنابر، ولا يرتدي السواد، وإنما كان فيه سلاسة ويسر، يبتعد عن التكلف في الكلام، ويصيب بحديثه الطيب شغاف القلوب، فيعمل فيها ما لا تعمله عشرات الدروس والمواعظ الخالية مـن الروح، الفقيرة من العاطفة.

وشاء الله أن يخسر المسلمون في دمشق خطب الشيخ الجامعة، فلم يستمر في الخطابـة سوى سنة تقريبا، وفقد المنصب بسبب شجاعته وقرعه بالنكير على صنيع الصالح إسـماعيل حاكم دمشق، بعد أن وضع يده في يد الصليبيين، وتحالف معهم ضد ابن أخيه الصالح أيـوب حاكم مصر، وكان ثمن هذا الحلف أن سلّم لهم صيدا وشقيف وصفد، ولـم يكتـف الـصالح

إسماعيل بتصرفه الشائن وإنما سمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح لقتـال المـسلمين فـي مصر.

ولم يكن الشيخ ليسكت عن خطأ أو يسمح بتجاوز في حق الأمة، أو تفريط في ثوابتهـا؛ فأفتى بحرمة بيع السلاح للفرنج بعد أن ثبت أنه يستخدم في محاربة المسلمين، ثم أعقب ذلـك بخطبة مدوية في الجامع الأموي قبح فيها الخيانة وغياب النجدة والمـروءة، وذم مـا فعلـه السلطان وقطع الدعاء له بالخطبة.

وما كان من الصالح إسماعيل إلا أن أقدم على عزل الشيخ الجليل عن الخطابة والإفتاء، وأمر باعتقاله، ثم فك حبسه بعد مدة خوفًا من غضبة الناس وألزمه بيته، ومنعه من الإفتاء.

## في القاهرة.

أيقن الشيخ صعوبة الحركة مع حاكم يفرط في الحقوق، ويقـدم علـى الخيانـة بـنفس راضية، فقرر الهجرة إلى بلد يمارس فيها دعوته، ويدعو إلى الله على بصيرة، عالي الجبين، مرفوع الهامة، فولّى شطره إلى القاهرة، ورفض العودة إلى دمشق بعد أن طلب منه بعـض دعاة الصلح أن يترفق بالسلطان، ويلاينه وينكسر له حتى يرضى عنه، وأطلق عبارته الكريمة للساعي إلى الصلح. "يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي، فضلا أن أقبل يده، يا قوم أنـتم فـي واد، وأنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به".

وصل الشيخ إلى القاهرة سنة (٦٣٩ هـ = ١٢٤١م) واستقبله الصالح أيوب بما يليـق به من الإكرام والتبجيل، وولاه الخطابة في جامع عمرو بن العاص، وعينه في منصب قاضي القضاة، والإشراف على عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة، وهي الأعمال التي تنـاط الآن بوزارة الأوقاف، لكنها كانت تستند في ذلك الوقت إلى القضاة؛ لأمانتهم ومكانتهم الدينيـة والاجتماعية.

## بائع الأمراء.

قبل الشيخ الجليل منصب قاضي القضاة ليصلح ما كان معوجا، ويعيد حقًا كان غائبـا، وينصف مظلوما، ويمنع انحرافًا وبيلا، فلم يكن يسعى إلى جاه وشهرة، وفي أثناء قيامه بعمله اكتشف أن القادة الأمراء الذين يعتمد عليهم الملك الصالح أيوب لا يزالون أرقاء لـم تـذهب عنهم صفة العبودية، والمعروف أن الملك الصالح أكثر من شراء المماليك وأسـكنهم جزيـرة الروضة واعتمد عليهم في إقامة دولته وفي حروبه، وهؤلاء المماليك هم الذين قـضوا علـى الدولة الأيوبية في مصر وأقاموا دولتهم التي عرفت بدولة المماليك.

وما دام هؤلاء الأمراء أرقاء فلا تثبت ولايتهم ونفاذ تصرفاتهم العامة والخاصة ما لـم يحرروا، فأبلغهم بذلك، ثم أوقف تصرفاتهم في البيع والشراء والنكاح وغير ذلك ممـا يثبـت للأحرار من أهلية التصرف، فتعطلت مصالحهم، وكان من بين هؤلاء الأمراء نائب السلطان.

وحاول هؤلاء الأمراء مساومة الشيخ فلم يفلحوا وأصر على بيعهم لصالح بيت المـال، ثم يتم عتقهم ليصبحوا أحرارا تنفذ تصرفاتهم، قائلا لهم. نعقد لكم مجلسا، وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، وما كان ذلك ليرضيهم فرفضوا ورفعوا الأمر إلى السلطان الصالح أيوب، فراجع الشيخ في قراره فأبى، وتلفظ السلطان بكلمـة نـدت منـه أغضبت الشيخ، وفهم منها أن هذا الأمر لا يعنيه ولا يتعلق بسلطته، فانسحب الشيخ وعـزل نفسه عن القضاء، فما قيمة أحكامه إذا لم تُنفذ، وردها صاحب الجاه والسلطان.

وما أن انتشر خبر ما حدث، حتى خرجت الأمة وراء الشيخ العز الذي غادر القـاهرة وأدرك السلطان خطورة فعلته، فركب في طلب الشيخ واسترضاه وطيب خـاطره واسـتمال قلبه، وطلب منه الرجوع معه، فوافق العز على أن يتم بيع الأمراء بالمناداة عليهم.

وكم كان الشيخ مهيبا جليلا وهو واقف ينادي على أمراء الدولة واحـدا بعـد واحـد، ويغالي في ثمنهم حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز المشترون قام السلطان الصالح أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص إلى الشيخ الشجاع الذي أودع ثمنهم بيت مـال المـسلمين، وكانت هذه الوقعة الطريفة سببا في إطلاق اسم بائع الملوك على الشيخ المهيب.

## مع الظاهر بيبرس.

وتكرر هذا الأمر منه عند بيعة الظاهر بيبرس حين استدعى الأمراء والعلماء لبيعتـه، وكان من بينهم الشيخ العز، الذي فاجأ الظاهر بيبرس والحاضرين بقوله. يا ركن الـدين أنـا أعرفك مملوك البندقدار - أي لا تصح بيعته؛ لأنه ليس أهلا للتصرف- فما كان من الظـاهر بيبرس إلا أن أحضر ما يثبت أن البندقدار قد وهبه للملك الصالح أيوب الذي أعتقه، وهنا تقدم الشيخ فبايع بيبرس على الملك.

وكان الظاهر بيبرس على شدته وهيبته يعظم الشيخ العز ويحترمه، ويعـرف مقـداره، ويقف عند أقواله وفتاواه، ويعبر السيوطي عن ذلك بقوله. وكان بمصر منقمعا، تحـت كلمـة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، لا يستطيع أن يخرج عن أمره حتى إنه قال لما مات الـشيخ. ما استقر ملكي إلا الآن.

## مؤلفاته وجهوده العلمية.

تعددت مساهمات العز بن عبد السلام في الإفتاء والخطابة والقضاء والتدريس والتأليف، وله في كل إسهام قدم راسخة ويد بيضاء، وانتهت إليه في عصره رياسة الـشافعية، وبلغـت مؤلفاته ثلاثين مؤلفًا، وهي دليل نبوغ فذ وقدرة عالية على أن يجمع بـين التـأليف وأعمالـه الأخرى التي تستنفد الجهد وتفنى الأعمار فيها، لكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، فاجتمع له مـن الفضل ما لم يجتمع إلا للأفذاذ النابغين من علماء الأمة.

وشملت مؤلفاته التفسير وعلوم القرآن والحديث والسيرة النبوية، وعلم التوحيد، والفقـه وأصوله والفتوى. ومن أشهر كتبه. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، والغاية فـي اختـصار النهاية في الفقه الشافعي، ومختصر صحيح مسلم، وبداية السول في تفضيل الرسول، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، وتفسير القرآن العظيم، ومقاصـد الـصلاة، ومقاصـد الصوم.

## وفاته.

طال العمر بالعز بن عبد السلام، فبلغ ثلاثة وثمانين عاما قضى معظمها في جهاد دائـم بالكلمة الحرة، والقلم الشجاع، والرأي الثاقب، وحمل السلاح ضد الفـرنج؛ للمحافظـة علـى حقوق الأمة حتى لقي ربه في (١٠ من جمادى الأولى ٦٦٠ هـ = ٩ من إبريل ١٠٦٦م).

## ١١٨١ م. مولد ابن الفارض.

ابن الفارض 632 - 576هـ / ١١٨١ 1235 - م عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الملقب شرف الدين بن الفارض.

شاعر متصوف، يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بمـا يـسمى (وحـدة الوجود).

اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيـره، إلا أنه ما لبث أن زهد بكل ذلك وتجرد، وسلك طريق التصوف وجعل يأوي إلـى المـساجد المهجورة وأطراف جبل المقطم، وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج ! وأكثر العزلة فـي وادٍ بعيد عن مكة.

ثم عاد إلى مصر وقصده الناس بالزيارة حتى أن الملك الكامل كـان ينـزل لزيارتـه. وكان حسن الصحبة والعشرة رقيق الطبع فصيح العبارة.

- ١١٨٢ م. ارناط يستولى على ايلة ويغير على البحر الاحم وموانيه

## ١١٨٣ م. مولد الخزرجي.

علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة لقبه رشيد الدين وكنيته أبـو الحـسن والمعروف بالخزرجي. الطبيب الكحال الرياضي الفلكي الموسيقي الشاعر. عاش في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. ولقبه الخزرجي نسبة إلـى قبيلة الخزرج اليمنية التي هاجرت بعد خراب سد مأرب مع قبيلة الأوس إلى مدينة يثـرب . ولد الخزرجي بمدينة حلب عام ٥٧٩هـ /١١٨٣ م، وحفظ الخزرجي القرآن الكريم على يـد الشيخ أبي التقي، فلما أتقن حفظ القرآن وعلم الحساب شرع في دراسة الطب، وقـد حـرص الخزرجي على مطالعة الكتب الأصول في الطب والرياضة والفلـك والموسـيقى والكحالـة والعلوم الحكمية، وقابل شيوخ عصره في دمشق ومصر التي زراها لاستكمال دراسته، وتعلم على أيديهم، وكان من أبرز أساتذته في الطب جمال الدين بن أبي الحوافر رئـيس الأطبـاء بالديار المصرية، وقد لازمه الخزرجي طويلا وأخذ عنه العلم النظـري وقـرأ عليـه كتـب جالينوس الستة عشر، وتعلم منه الخبرة العملية في رعاية المرضى، وتعلم الكحالة علـى يـد يوسف الكحال. ودرس الحكمة على يد عبد اللطيف البغدادي. ودرس علم الهيئة على يد أبـي محمد بن الجعدي. ودرس الموسيقى على يد ابن الديجور المصري، وصفي الدين بن التبـان. وعاد الخزرجي إلى دمشق عام ٥٩٧هـ 1200/ م. ودخل الخزرجي فـي خدمـة بعـض السلاطين الأيوبيين، وكان طبيبا بالبيمارستان الكبير النوري ممارسا للجراحة وطب العيـون، وكان له بها مجلس علم تتلمذ فيه على يده كثير من الأطباء من بينهم ابـن أخيـه ابـن أبـي أصيبعة طبيب العيون والمؤرخ، وتوفي الخرزجي بمدينة دمشق عـام ٦١٦هـ ـ /١٢١٩ م . ومن بين أصدقائه وزملائه المقربين إليه الرحبي.

وتذكر الموسوعات عن عبقرية الخزرجي أنه كان طبيبا يقتدى به في صناعة الطـب وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وأنه تعلم الفارسية والتركية وكان متقنا لعلـوم اللغـة العربية ويكتب الشعر بتلك اللغات، وذاعت شهرته في البلاد الإسلامية وسافر إلى العديد منها تلبية لرغبة حاكميها، ومن بينهم حاكم بعلبك بهرام شاه الذي أكرم استقباله.

- ١١٨٤ م. فك الجيش الموحدي بقيادة الخليفة "أبي يعقوب يوسف" الحصار عـن مدينة "شفترين" الأندلسية التي وقعت في قبضة النصارى بعد أن فشل الموحـدون في اقتحام أسوار المدينة.
- ١١٨٤ م. وفاة "يوسف عبد المؤمن بن علي الكومي" سلطان دولة الموحدين التي قامت بالمغرب بعد سقوط دولة المرابطين، وامتد سلطانها إلى الأندلس

## ١١٨٥ م. وفاة ابن طفيل.

هو أبو بكر محمد بن عبد المالك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، يرجع نسبه إلـى قبيلة بني قيس العربية. ولد قرب مدينة غرناطة بالأندلس، وتاريخ ولادته غير معروف، لكن من المحتمل أن يكون قد ولد في بداية القرن الثاني عشر الميلادي. كما لا يعرف شيء عـن أسرته وتعلمه. وكل ما يعرف عنه أنه درس على علماء وحكماء عصره، وكانت له معرفـة جيدة وشاملة بمختلف العلوم، خاصة منها الطب، والفلسفة، والفلك.

وقد تقلب ابن طفيل في مناصب عدة، فاشتغل في البداية كاتباً في ديوان والي غرناطة، ثم في ديوان الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن حاكم طنجة ؛ ثم أصبح وزيراً وطبيباً للـسلطان الموحدي "أبي يعقوب يوسف". ويقال إن ابن طفيل كان له تأثير كبير على الخليفة، وقد استغل ذلك في جلب العلماء إلى البلاط. ونذكر منهم بصفة خاصة الفيلسوف والطبيب ابن رشد الذي قدمه ابن طفيل عندما تقدم به السن إلى السلطان ليقوم بشرح كتب أرسطو وليخلفه في عملـه كطبيب. وقد ظل ابن طفيل في بلاط السلطان إلى أن توفي بمراكش عام ٥٨١هـ/١١٨٥م.

## إسهاماته العلمية.

إسهاماته في الطب. ذكر لسان الدين ابن الخطيب أن ابن طفيل ألف في الطب كتاباً من مجلدين. كما ذكر ابن أبي أصيبعة أنه كان بين ابن الطفيل وابن رشد مراجعات ومباحث فـي "رسم الدواء" جمعها ابن رشد في كتابه "الكليات"، كما كانت لابن طفيل أرجوزة فـي الطـب تتألف من ٧٧٠٠ بيت.

إسهاماته في الفلك. ويقال إن ابن طفيل كانت له آراء مبتكرة في الفلك ونظريـات فـي تركيب الأجرام السماوية وحركاتها.

يقول الباحث ليون غوتيه في كتابه عن ابن طفيل. على الرغم من عدم وجود أي شيء مكتوب عن الفلك، باستثناء بعض الفقرات القصيرة في كتاب حي ابن يقظان، فإننا نعـرف أن ابن طفيل لم يكن راضياً عن النظام الفلكي الذي وضعه بطليموس، وأنه فكر في نظام جديـد. واستشهد الكاتب على ذلك بما كتبه كل من ابن رشد والبطروجي. فابن رشـد فـي شـرحه الأوسط لِـ "الآثار العلوية" لأرسطو، انتقد بدوره فرضيات بطليموس عـن تكـوين الأفـلاك وحركاتها، وقال إن ابن طفيل يتوفر في هذا المجال على نظريات رائعة يمكن الاستفادة منهـا كثيراً. كما أن البطروجي في مقدمة كتابه الشهير عن الفلك، ذكر أن ابن طفيل أوجـد نظامـاً فلكياً ومبادئ لحركاته، غير تلك المبادئ التي وضعها بطليموس. ويتساءل الباحث الفرنـسي

عن احتمال أن تكون فرضيات ابن طفيل تشتمل على بعض العناصر الأساس من الإصـلاح الفلكي العظيم الذي جاء به كوبرنيك وجاليلي بعد أربعة قرون.

**مؤلفاته.**

- "مراجعات ومباحث" جرت بينه وبين ابن رشد في " رسم الدواء"، جمعها ابن رشد في كتابه "الكليات" ؛
- "أرجوزة في الطب". توجد في خزانة جامع القرويين بفاس بالمملكة المغربية؛
- "رسالة في النفس" في الفلسفة ؛
- "حي بن يقظان" أشهر ما ترك ابن طفيل، وهي قصة فلسفية عرض فيها أفكـاره الفلسفية عرضاً قصصياً، محاولاً التوفيق فيها بين الدين والفلسفة. وقد عرفت هذه القصة في الغرب منذ القرن السابع عشر، وترجمت إلى عدة لغات، منها اللاتينية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية.

## ١١٨٥ م. مولد عبد الواحد المراكشى.

مؤرخ مغربي (١١٨٥م-١٢٢٢م). ولد ونشأ في مراكش، ودرس في فاس، واقام وعمل بالاندلس، ثم ادى فريضة الحج واستقر بعدها في مصر. أهم مؤلفاته (المعجب فـي تلخـيص اخبار المغرب (الذي خصصه لعصر الطوائف وتاريخ دولتي المـرابطين والموحـدين فـي المغرب والاندلس، وهو من المراجع الرئيسية في تاريخ الاندلس بصورة عامـة. وقـد قـدم المؤلف لكتابه بمقدمة مختصرة غي جغرافية الاندلس، ونشر الكتاب في ليدن سـنة ١٨٤٧ م، ثم اعيد طبعه سنة ١٨٨١م.

## ١١٨٦ م. مولد سبط الجوزى.

شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي. مؤرخ واديب وفقيـه عراقـي (١١٨٦-١٢٥٧م). نشأ في بغداد، وكان جده لأمه هو الفقيه ابن الجوزي. وقد تعلم علوم اللغة والفقـه، ثم بدأ طوافه بالاقطار الاسلامية حتى استقر في دمشق ودرس بهـا حتـى وفاتـه. ويـشتهر الجوزي بمؤلفه (مرآة الزمان في تاريخ الاعيان) الذي يؤرخ فيه لفتـرة هامـة فـي تـاريخ المسلمين هي فترة الحروب الصليبية، وهو من مقدمة وثلاثة اجزاء.

## ١١٨٧ م (٥٨٣ هـ). معركة حطين واسترداد بيت المقدس.

يعتقد بعض الناس أن معركة حطين نهاية الفرنج في المنطقة، والحقيقـة أنهـا بدايـة النهاية، إذ استمرت الحروب بعدها قرابة القرن انتهت أخيراً باقتلاع الممالك الإفرنجيـة مـن

ساحل الشام وفلسطين، فحطين لم تحطم ممالك الفرنج ولم تقض عليها نهائياً، بل أسست بداية جديدة لموازين القوى، وأكدت أن قوة الفرنج يمكن أن تقهر، فقد كانت معركة فاصلة بين حدين، أي أنها ختمت مرحلة التراجع والهزائم وأسست مرحلة الانتصارات والتقدم.

لقد بدأ صلاح الدين بداية حكمه مصر عام ٥٦٤ هـ، وأول مواجهة جدية كانت له مع الصليبيين هي حطين وذلك عام ٥٨٣هـ، وبين هذين التاريخين مناوشات محدودة مع الصليبيين، فصلاح الدين لم يستل سيفه منذ اليوم الأول وبدأ هجومه المعاكس على الممالك الإفرنجية بل أخذ وقته في الإعداد والتنظيم والدراسة والمراقبة وتفحص مواقع القوة والضعف.

بدأ فيها تثبيت الأوضاع في مصر، وأسقط فيها الدولة الفاطمية فيها، وأقام الخطبة والحكم للخلافة العباسية، فلما توفي نور الدين سنة ٥٦٨هـ بدأ صلاح الدين ببلاد الشام ليضمها تحت إمرته ففتح دمشق وحمص وحلب وحماة وحلب وغيرها، وفتح اليمن، وأمن الطريق للحجاج إلى مكة والمدينة، وأسقط المكوس، ونشر العدل، وأعد الجيوش، حتى كانت المعركة الفاصلة في حطين، فماذا جرى في حطين ؟

قال ابن كثير. (برز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش، وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية، فنزلوا عند السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح والنصر.

وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بحدهم وحديدهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، يقال. كانوا خمسين ألفاً، وقيل. ثلاثاً وستين ألفاً، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك، فقال له. لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم، وسترى غب ما أقول لك، فتقدموا نحو المسلمين.

وأقبل السلطان ففتح طبرية و تقوى بما فيها مـن الأطعمـة والأمتعـة وغيـر ذلـك، وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منهـا إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبريـة عند قرية يقال لها حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجـاء العـدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا وكفر نكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان واغبر وأقتم وأظلم وجـه الكفر والطغيان، ودائرة دائرة السوء على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم.

وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش، وكـان تحـت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيماً، وكان ذلك عليهم مشؤوماً، فأمر الـسلطان النفاطـة أن يرموه بالنفط، فرموه فتأجج ناراً تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحمل الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفاً فـي ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملـوكهم سوى قومس طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهـو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولـم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتـابعين، فللـه الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً.

هذا وقد كان البرنس أرناط البيزنطي صاحب الكرك كان قد نذر أنه إن ظفر به قتلـه، وذلك أنه كان عبر به قافلة راجعة من الديار المصرية في حالة الصلح بينه وبين المـسلمين، فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم، فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال مـا يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال. قولوا لمحمدكم يخلصكم، وبلغ الـسلطان فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله قال ابن كثير. (فلمـا تمـت هـذه الوقعـة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم، وجلس فيه على سرير المملكـة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها، وجيء بالأسارى تتهادى بقيودها، فأمر بـضرب أعنـاق

جماعة من مقدمي الداوية – الداوية. فرقة دينية عسكرية شديدة البأس – صبراً، ولـم يتـرك أحداً منهم ممن كان يذكر الناس عنه شراً.

ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم، فأجلس ملكهم الكبيـر عـن يمينه، وأجلس أرناط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله، ثم جيء إلى الـسلطان بـشراب مـن الجلاب مثلوجاً، فشرب ثم ناول الملك فشرب، ثم ناول أرناط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له. إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه، هذا لا عهد له عندي، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرناط صاحب الكرك، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الإسلام فامتنع، فقال له. نعم أنا أنوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانتـصار لأمته، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة، وقال. إن هذا تعرض لسب رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والاسـبتارية – الاسبتارية كالداوية. فرقة دينية عسكرية شديدة البأس – صبراً وأراح المسلمين من هـذين الجنسين الخبيثين.

ولم يسلم ممن عرض عليه الإسلام إلا القليل، فيقال إنه بلغـت القتلـى ثلاثـين ألفـاً، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً، وكان من سلم مع قلتهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلادهم، وممن مات كذلك قومس طرابلس، فإنه انهزم جريحـاً فمات بها بعد مرجعه، ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج ومن لم يقتل مـن رؤوسـهم، وبصليب الصلبوت إلى دمشق ليودعوا في قلعتها، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوماً مشهوداً.

ثم سار السلطان إلى قلعة طبريا فأخذها، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شـعيب، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن، فقسم تلك البلاد كلها، ثم سار إلى عكـا، فنـزل عليهـا يـوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر، فافتتحها صلحاً يوم الجمعة، وأخذ ما كان بها من حواصل الملـوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين، فوجـد فيهـا أربعة آلاف أسير، وأمر بإقامة الجمعة بها، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج نحواً من سبعين سنة، ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلداً بلداً، لخلوها من المقاتلة والملوك، ثم رجع سائراً نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور، فملك ذلك كله، وكان من جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمـسين بلـداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شـيئاً كثيـراً، وسبوا خلقاً.

وذكر محمد بن القادسي أنه ورد كتاب إلى بغداد في وصـف هـذه الوقعـة فيـه. (.. واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلـك، ومـا

سلم من عسكر الفرنج سوى قمص طرابلس مع أربعة نفر، وهو مجروح ثلاث جراحـات – مات بعدها بقليل – وأخذ جميع أمراء الفرنج، وكم قد سبي من النساء والأطفال، يباع الرجـل وزوجته وأولاده ثلاث بين وابنتان بثمانين ديناراً.. وأخذ من البقر والغنم والخيل والبغال مالم يجيء من يشتريها من كثرة السبي والغنائم.

- ١١٨٨ م. وفاة الشاعر الناثر والأمير الفارس "أسامة بن مرشد بن علي بن مقلـد بن نصر بن منقذ"، المعروف بأسامة بن منقذ، أحد أبطال المسلمين في الحـروب الصليبية، له ديوان شعر مطبوع، ومذكرات بعنوان "الاعتبار" وكتب في الأدب.
- ١١٨٩ م. الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ملوك اوروبا لالـسترداد بيـت المقـدس وفشلها
- ١١٩١ م. سقوط مدينة عكا في يد الصليبيين بقيادة ريتشارد قلب الأسد، أحد قادة الحملة الصليبية الثالثة، بعد دفاع مجيد من أهلها، وظلت في أيدي الصليبين حتـى حررها السلطان الأشرف قلاوون في ١٧ من جمادى الأولى ٦٩٠هـ...

## ١١٩١ م. وفاة موفق الدين بن المطران.

مـوفـق الـدين بن المطران. هو الحكيم العالم موفق الدين أبو نصر أسعد بـن أبـي الفتح ألياس بن جرجيس المطران. كان مولده ومنشؤه بدمشق، وكان أبوه أيضاً طبيباً متقـدماً جوالاً. وكان موفق الدين بن المطران كثير الاشتغال، وله تصانيف تدل علـى فـضله فـي صناعة الطب وفي غيرها من العلوم وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الـدين بـن يوسف بن أيوب، وكان رفيع المنزلة عنده. وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه، وعندما أسلم زوجه صلاح الدين إحدى حظايا داره. وكان له همة عالية في تحصيل الكتب حتى أنه مـات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد. وقد درس عليه الكثير إلاّ أن أجلهم كان مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار وكان ابن المطران بالبيمارستان الكبير الـذي أنشأه نور الدين زنكي (في دمشق) يعالج المرضى المقيمين به، توفي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م بدمشق.

- ١١٩٢ م. قيام كل من صلاح الدين الأيوبي، وريتشارد قلب الأسد بعقـد صـلح عرف بصلح الرملة بعد أن فشلت الحملة الصليبية الثالثة في تحقيق أهدافها، واتفق الطرفان على أن يسمح للمسيحيين بالحج إلى بيت المقدس في أمن وأمـان، وأن يحكم الصليبيون الساحل الشامي من صور إلى يافا.

- ١١٩١ م. استرداد المسلمين بقيادة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور مدينة شلب الأندلسية من أيدي البرتغاليين، وكانوا قد استولوا عليها من قبل في سنة ٥٨٣هـ = ١١٨٧م.

## ١١٩٢ م. مولد ابن العديم.

كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبية الله بن ابي جرادة العقيلي. مؤرخ وفقيه سوري (١١٩٢م-١٢٦٢م). نشأ في حلب من اصل بصري، وكان افراد قبيلته قد تركوا البصرة إثر وباء في القرن التاسع الميلادي واستقروا في حلب واشتغلوا فيها بالتجارة. وقد درس كمال الدين في حلب ودمشق والقدس، وطاف ببعض مدن العراق وشبه الجزيرة العربية، ثم عاد الى حلب وخدم فيها الاميرين العزيز والناصر الايوبيين، وذهب في سفارة لهما الى القاهرة. ولما استولى التتار على حلب، استقر ابن العديم في القاهرة وتوفي بها. ويشتهر ابن العديم بمؤلفه (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي يقع في ٤٠ جزءا و ١٠ مجلدات، والمرتب على حروف المعجم. وقد اختصر ابن العديم كتابه في (زبدة الطلب في تاريخ حلب)، الذي اكمل بعد وفاته.

- ١١٩٣ م (٥٨٩ هـ). وفاة المجاهد صلاح الدين الايوبى
- ١١٩٤ م. وفاة الإمام الكبير، القاسم بن فِيره بن خلف بن أحمد، المعروف بالشاطبي، صاحب منظومة "حرز الأماني ووجه التهاني" في القراءات السبع، وهو واحد من أشهر وأنبغ علماء القراءات

## ١١٩٥ م (٥٩١ هـ). معركة الارك فى الاندلس.

معركة الأرك هي معركة وقعت في ١٨ يوليو ١١٩٥ م بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور وقوات ملك قشتالة ألفونسو الثامن. كانت المعركة ذات دور كبير في توطيد حكم الموحدين في الأندلس وتوسيع رقعة بلادهم فيها. وقد اضطر ألفونسو بعدها لطلب الهدنة من السلطان الموحدي أبي يوسف المنصور. يعتبرها المؤرخون مضاهية لمعركة الزلاقة إن لم تزد في وقع الهزيمة على مسيحيي أيبيريا.

### التسمية.

وقعت المعركة قرب قلعة الأرك، والتي كانت نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في ذلك الوقت ولذا ينسب المسلمون المعركة لهذه القلعة كما ينسب المسيحيون اسم المعركة أيضا لهذه القلعة (Alarcos) ويطلقون عليها كارثة الأرك لعظيم مصابهم فيها.

## ما قبل المعركة.

قام ملك البرتغال سانكو الأول باحتلال مدينة شلب المسلمة -تعرف الآن باسم سـلفش (Silves)- بمساعدة القوات الصليبية وكان ذلك في عام ١١٩١ م. عندما علم السلطان يعقوب المنصور بذلك جهز جيشه وعبر البحر لبلاد الأندلس وحاصرها وأخذها وأرسـل فـي ذات الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بأيدي المسيحيين من البلاد التي كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين عاما مما ألقى الرعب في ملوك أيبيريـا وخاصـة ألفونسو الذي طلب من السلطان الهدنة والصلح فهادنه ٥ سنين وعاد إلى مراكش حاضرة بلاد الموحدين.

لما انقضت مدة الهدنة أرسل ألفونسو جيشا كثيفا إلى بلاد المسلمين فنهبوا وعاثوا فسادا في أراضيهم وكانت هذه الحملة استفزازية وتخويفية أتبعها ألفونسو بخطاب للسلطان يعقـوب المنصور -استهزاء به وسخرية منه- يدعوه فيه إلى مواجهته وقتالـه فلمـا قـرأ الـسلطان المنصور الخطاب كتب على ظهر رقعة منه (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبـل لهـم بهـا ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع).

تجهز السلطان يعقوب المنصور لقتال ألفونسو وجمع جنده والعديد من المتوطعين مـن البربر وعرب أفريقيا وانضمت إليه الجيوش الأندلسية فتجمع له جيش ضخم يوصـل بعـض المؤرخين عدده لـ ٦٠٠ ألف مقاتل فيقولون أنه كانت المسافة بين مقدمة الجـيش ومؤخرتـه مسيرة ٣ أيام بينما يذكر آخرون أن العدد بين ٢٠٠ و٣٠٠ ألف مقاتل فقط. وانطلق المنصور بجيشه إلى بلاد الأندلس ومكث في إشبيلية مدة قصيرة نظم فيها جيشه وتزود بالمؤن وبـادر بالسير إلى طليطلة عاصمة مملكة قشتالة فبلغه أن ألفونسو حشد قواه في مكان بين قلعة رباح وقلعة الأرك فغير مساره إلى هناك وعسكر في مكان يبعد عن موضع جيش ألفونسو مـسيرة يومين ومكث يستشير وزرائه وقادة جيشه في خطط المعركة وكان ذلك في الثالث عشر مـن يونيو عام ١١٩٥ الموافق ٤ شعبان ٥٩١ هـ.

كان أبو عبدالله بن صناديد أحد قادة الحرب الأندلسيين قد أشار على السلطان المنصور باختيار قائد موحد للجيش كما أشار عليه بتقسيم الجيش إلى أجزاء على النحو التالي.

الأندلسيون ويقوده أحد زعماؤهم حتى لا تضعف عزيمتهم عندما يولى عليهم أحد ليس منهم -اختير ابن صناديد لقيادتهم-. ويوضع في ميمنة الجيش.

العرب والبربر ويوضعون في الميسرة.

الجيش الموحدي النظامي ويوضع في القلب.

المتطوعون من عرب وبربر وأندلسيين ويوضعون في مقدمة الجـيش للبـدء بالقتـال السلطان المنصور وحرسه وجيشه الخاص وبعض المتوطعين كقوات احتياطية تقوم بمراقبـة المعركة من بعد لتقوم بهجوم مضاد متى لزم الأمر استجاب السلطان لإشارة ابـن صـناديد وعين قائدا موحدا للجيش واختار أحد وزرائه وهو أبو يحيى بن أبي حفص كقائد عام وكـان السلطان يمر على أفراد جيشه ويحمسهم ويبث فيهم الشجاعة والثقة بنصر الله.

على الجبهة الأخرى حاول ألفونسو الحصول على بعض المدد والمساعدات من بعـض منافسيه السياسيين ملوك نافارة وليون فوعدوه بالمدد إلا إنهم تعمدوا الإبطاء فقـرر خـوض المعركة بما معه من القوات التي لم تكن بالقليلة فقد أوصلها المؤرخون إلى حوالي ٣٠٠ ألف مقاتل منهم فرسان قلعة رباح وفرسان الداية.

## المعركة.

كان الجيش القشتالي يحتل موقعا متميزا مرتفعا يطل على القوات المسلمة وقـد كانـت قلعة الأرك تحميهم من خلفهم وقد قسموا أنفسهم لمقدمة يقودها الخيالة تحت إمرة لـوبيز دي هارو -أحد معاوني ألفونسو- وقلب الجيش ومؤخرته ويضم ١٠ آلاف مقاتل من خيرة مقاتلي قشتالة ويقودهم ألفونسو بنفسه

## توضيح للمعركة وقت حدوثها.

في يوم القتال بدأ المتطوعون في الجيش الموحدي في التقدم قليلا لجس النبض وكان أن اتبع القشتاليون نظاما متميزا وذكيا وهو نزول الجيش على دفعات كلما ووجه الجيش بمقاومة عنيفة واستبدال مقدمة الجيش بمقدمة أخرى في كل مرة يقاومون فيها. أرسل القشتاليون فـي باديء الأمر ٧ آلاف فارس وصفهم صاحب كتاب البيان المغرب كبحر هائج تتالت أمواجـه وقد رد المتطوعون المسلمون هجمة الجيش الأولى فما كان مـن القـشتاليين إلا أن أمـروا بإرسال دفعة ثانية وقد قاومها المتطوعة مقاومة قوية جدا مما حدا بلوبيز دي هارو بإرسـال قوة كبيرة لتفكيك مقدمة الجيش والقضاء عليها.

كانت الهجمة الثالثة قوية جدا، فقد استطاع المسيحيون اختراق المقدمة وقتلوا الكثير من أفراد جيش الموحدين وكان من بينهم أبو يحيى بن أبي حفص قائد الجـيش كلـه واسـتمروا يخترقون الجيش حتى وصلوا القلب فما كان من ابن صناديد والعرب والبربر -أجنحة الجيش الإسلامي- إلا أن حاصروا القشتاليون وفصلوا بين مقدمة جيشهم ومؤخرته. وفي تلك الأثناء خرج السلطان المنصور فتعاون جميع أقسام الجيش الإسلامي على الإطاحة بمن حاصروا من القشتاليين -الذين كانوا أغلب الجيش- وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون.

بعد ذلك بدأ المسلمون في التقدم ناحية من تبقى من الجيش المسيحي وهـم عـدة آلاف تحت قيادة ألفونسو، أقسموا على أن لا يبرحوا أرض المعركة حتى وإن كانت نهـايتهم فيهـا وقاوم القشتاليين مقاومة عنيفة حتى قتل أغلبهم. ورفض ألفونسو التحرك حتى حمل مرغمـا إلى قلعة الأرك ومن بوابتها الخلفية توجه لطليطلة عاصمته.

## حصار المسلمين لقلعة الأرك.

قام المسلمون بعد انتهاء المعركة بحصار قلعة الأرك التي كان قد فر إليهـا لـوبيز دي هارو ومعه ٥ آلاف من جنده. قاوم المسيحيون قليلا ثم اضطروا للاستسلام وطلبوا الـصلح فوافق السلطان المنصور مقابل إخلاء سبيل من أُسر من المسلمين. ويختلف مؤرخو المسلمون في نتائج المعركة فيخبر المقري في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب «وكان عدة من قتل من الفرنج - فيما قيل - مئة ألف وستّة وأربعين ألفاً، وعدة الأسارى ثلاثـين ألفـاً، وعدة الخيام مائة ألف وستّة وخمسين ألف خيمة، والخيل ثمانين ألفاً، والبغـال مائـة ألـف، والحمير أربع مئة ألف، جاء بها الكفّر لحمل أثقالهم لأنّهم لا إبل لهم، وأما الجواهر والأمـوال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهـم، والحمـار بدرهم، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع، ونجـا ألفـنش (ألفونـسو) ملـك النصارى إلى طليطلة في أسوأ حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكس صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء،ولا يركب فرساً ولا دابة، حتى يأخذ بالثأر». أما ابن خلدون فيـذكر أن عدد القتلى ٣٠ ألفا ويجعلهم ابن الأثير ٤٦ ألفا و١٣ ألف أسير.

أكمل السلطان المنصور مسيرته في أراضي مملكة قشتالة فاقتحم قلعة رباح واسـتولى عليها وسقطت مدن تروخلو وبينافينتي ومالاغون وكاراكويل وكوينكا وتـالفيرا وكلهـا تقـع بالقرب من طليطلة عاصمة قشتالة ثم اتجه السلطان بجيشه إلى العاصـمة وضـرب عليهـا حصارا واستخدم المسلمون المجانيق ولم يبق إلى فتحها ويخبر المقري عن نتائج ذاك الحصار فيقول

فخرجت إليه [يعني للمنصور] والدة الأذفونش [ألفونسو] وبناته ونساؤه وبكين بين يديه، وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرقّ لهن ومن عليهن بها، ووهب لهن من الأموال والجـواهر مـا جلّ، وردهن مكرماتٍ، وعفا بعد القدرة، وعاد إلى قرطبة، فأقام شهراً يقسم الغنائم، وجاءتـه رسل الفنش [ألفونسو] بطلب الصلح، فصالحه، وأمن الناس مدته أعطت نتيجة المعركة مهابـة للموحدين في الأندلس وقد استمروا هناك حتى فاجعة العقاب التي خسر المسلمون بعدها بقيـة أراضي الأندلس ما عدا غرناطة وما حولها.

من الناحية العملية لم يحقق هذا الانتصار نتائج ملموسة للموحدين، فالخطر المسيحي لم يزل موجودا ولم يستغل يعقوب أبعاد هذا الانتصار مطلقا. فرغم مقامه الطويل في الأندلس لم يحقق مكسبا واضحا على المستوى المتعلق بالحد من الخطر المسيحي بل نجده يكتفي بالقيـام بجولة عسكرية بنواحي طليطلة سنة ٥٩٢ ثم ٥٩٣ هجرية. وبالرغم مـن كـون المراكـشي يتحدث عن كون يعقوب قد وصل أثناء تجواله العسكري هذا «إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك المسلمين قط» رغم ذلك نجد يعقوب يبادر بمجرد أن طلب منه الفونسو الثامن إبرام صلح جديد يبادله بالموافقة، وبمجرد إبرام هذا الصلح نجده يرجع إلى المغـرب سـنة ٥٩٤ هجرية. وتعليل هذا الموقف العسكري لا يمكن أن نصل إلى إدراك عمقه إلا من خلال تحديدنا للمشاكل التي كان على يعقوب أن يواجهها وأن مشكل الأندلس لـيس إلا جـزءا مـن هـذه المشاكل.

## ١١٩٧ م. مولد ابن البيطار.

كان ابن البيطار أعظم النباتيين والصيادلة في الإسلام، وأوحد زمانه في معرفة النبات، وأعظم عالم نباتي وصيدلي في العصور الوسطى كلها.

واسمه الكامل هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي المالقي المعـروف بابن البيطار، والملقب بالعشاب. ولد بمدينة مالقة بالأندلس عام ٥٩٣هـ/١١٩٧م. كان والـده بيطرياً. وقد درس ابن البيطار علم النبات على أبي العباس النباتي المعروف بابن الروميـة، ولما بلغ العشرين من عمره، سافر إلى عدد من البلاد، كاليونان، وبلاد الروم، وشمال إفريقيا، والشام، ومصر للبحث عن النباتات الطبية ومشاهدتها بنفسه والتيقن منها. وفي مصر دخل في خدمة الملك الكامل الأيوبي، الذي عينه رئيساً على سائر العشابين. وبعد وفاة الكامل، ظل في خدمة ابنه الملك الصالح نجم الدين الذي كان يقيم في دمشق. ومن دمشق شرع ابن البيطـار في دراسة النباتات في الشام وآسيا الصغرى بصفته طبيباً عشاباً. وقد تتلمذ عليه ابـن أبـي

أصيبعة، ورافقه في رحلاته وأسفاره للبحث عن النباتات. وقد اشتهر ابن البيطار بكثرة أسفاره التي زار فيها الكثير من بقاع العالم لدراسة النباتات دراسة عالم خبير. توفي في دمشق عـام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م

## إسهاماته في علم النبات والصيدلة.

وصف ابن البيطار ١٤٠٠ نبتة طبية، منها ٣٠٠ لم يسبقه أحد إلـى وصـفها، وذكـر أسماءها، وطرق استعمالها، وما قد يستعمل بديلاً لها. كما اكتشف أنواعاً كثيرة من النبات لـم تكن معروفة من قبل. وقد درس النبات دراسة علمية تعتمد على التجربة التـي تقـوم علـى المشاهدة، والملاحظة، والاستنباط، مع ذكر المصادر التي نقل عنها وتحري الصدق والدقة.

وابن البيطار هو أول عالم اهتم بدراسة الحشائش التي تضر بالمحاصيل وصنفها حسب كل محصول.

إضافةً إلى اهتمامه بالنبات، اهتم ابن البيطار بدراسة الحيوانات البحرية والبرية، وذكر فوائدها في معالجة الأمراض، وهو بذلك يعد من كبار علماء علم الحيوان.

كما كان ابن البيطار من أعظم الصيادلة. ويقول سيد حسن في كتاب "العلوم والحضارة في الإسلام". <إن ابن البيطار أعظم عالم مسلم في علمي النبات والعقاقير، وقد طغت سـمعته الواسعة على جميع الصيادلة في القرون الوسطى، وبدون شك، فهو أعظم صيدلي منذ عصر ديسقوريدس حتى العصر الحديث>. ولم يقتصر ابن البيطار على اسـتخلاص الأدويـة مـن الأعشاب الطبية، بل استخرج كثيراً منها من الحيوانات والمعادن.

## مؤلفاته.

### ألف ابن البيطار عدة كتب، من أشهرها.

- "كتاب جامع مفردات الأدوية والأغذية"، طبع عام ١٢٩١هـ. وهو مجموعة مـن الأدوية البسيطة المستخرجة من المعادن والنبات والحيوان، وقد جمعت من كتـب اليونان والعرب، ومن التجارب الخاصة للمؤلف ؛ وهو مرتـب علـى حـروف المعجم. ترجم الكتاب إلى اللاتينية، وظل مرجعاً للغربيين حتى عـصر النهـضة الأوربية. ويقول جورج سارطون في كتابه "مدخل إلى تاريخ العلوم".

ولقد رتب ابن البيطار مؤلفه "الجامع في الأدوية المفردة" ترتيباً يستند إلـى الحـروف الأبجدية ليسهل تناوله، وقد سرد أسماء الأدوية بسائر اللغات المختلفة. واعتمد علماء أوربـا على هذا المؤلف حتى عصر النهضة الأوربية.

- "كتاب المغني في الأدوية المفردة"، وهو كتاب في العقاقير تناول فيه ابن البيطـار علاج الأعضاء عضواً عضواً، وذلك بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء.

## ١١٩٧ م. مولد ابن الأبار.

محمد بن عبد الله البلنسي. مؤرخ واديب وسياسي اندلسي (١١٩٨ - ١٢٥٩ (. نشأ في الاندلس، وعمل وقتل في تونس. وقيل انه اكمل كتاب ابن بشكوال (الصلة (الذي اكمـل بـه الاخير كتاب ابن الفرضي (تاريخ الاندلس (. وكذلك الف (المعجم (في تراجم اهـل الانـدلس والمغرب.

- ١١٩٨ م (٥٩٥ هـ). وفاة الفيلسوف ابن رشد

## ١٢٠٠ م (٥٩٧ هـ). وفاة الإمام "أبو الفرج بن الجوزي" شيخ العراق، وإمـام الحديث والفقه واللغة والتفسير، وصاحب التصانيف الكثيرة التـي بلغـت نحـو ثلاثمائة مصنف، ومن أبرزها. "المنتظم في تاريخ الملـوك والأمـم"، و"صـفو الصفوة" "و"أخبار الأذكياء" وغيرها.

ولد ببغداد سنة [ ٥١٠هـ= ١١١٦م] وعاش حياته في الطور الأخيـر مـن الدولـة العباسية، حينما سيطر الأتراك السلاجقة على الدولة العباسية.

وقد عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط، ولم تكن بالبلـدة شـجرة جوز سواها، وقيل. نسبة إلى "فرضة الجوز" وهي مرفأ نهر البصرة.

وقد توفي أبوه وهو في الثالثة من عمره فتولت تربيته عمته، فرعته وأرسلته إلى مسجد " محمد بن ناصر الحافظ" ببغداد، فحفظ على يديه القرآن الكريم، وتعلم الحديث الشريف، وقد لازمه نحو ثلاثين عاما أخذ عنه الكثير حتى قال عنه. "لم أستفد من أحد استفادتي منه".

شيخوخة وأساتذته تعلم "ابن الجوزي" على عدد كبير من الشيوخ، وقد ذكر لنفسه (٨٧) شيخًا، منهم.

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر [ ٤٦٧ ـ ٥٥٠ هـ= ١٠٧٤-١١٥٥م]. وهو خاله، كان حافظًا ضابطًا متقنًا ثقة، وفقيها ولغويا بارعا، وهو أول معلم له.

منصور موهوب بن أحمد بـن الخـضر الجـواليقي [ ٤٦٥- ٥٤٠هـ ـ= ١٠٧٢م-١١٤٥م]. وهو اللغوي المحدث والأديب المعروف، وقد أخذ عنه اللغة والأدب.

أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريـري المعـروف بـابن الطبـري [ ٤٣٥-٥٣١هـ=١٠٤٣-١١٣٦م] وقد أخذ عنه الحديث.

أبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسين بن إبراهيم بن خيرون [ ٤٥٤-٥٣٩هـ= ١٠٦٢-١١٤٤م] وقد أخذ عنه القراءات.

منزلته ومكانته كان "ابن الجوزي" علامة عصره في التاريخ والحديث والوعظ والجدل والكلام، وقد جلس للتدريس والوعظ وهو صغير، وقد أوقع الله له في القلوب القبول والهيبـة، فكان يحضر مجالسه الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء والأعيان، وكان مع ذيـوع صـيته وعلو مكانته زاهدا في الدنيا متقللا منها، وكان يختم القرآن في سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى المسجد أو المجلس، ويروى عنه أنه كان قليل المزاح.

يقول عن نفسه. "إني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبـب إلي فن واحد بل فنونه كلها، ثم لا تقصر همتي في فن على بعـضه، بـل أروم استقـصاءه، والزمان لا يتسع، والعمر ضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر، فيبقى بعض الحسرات".

مجالس وعظه بدأ "ابن الجوزي" تجربة موهبته في الوعظ والخطابة في سـن الـسابعة عشرة، وما لبث أن جذب انتباه الناس فأقبلوا على مجلسه لسماع مواعظه حتى بلغت شـهرته في ذلك مبلغًا عظيما، فلم يعرف تاريخ الوعظ والمجالس الدينية ـ علـى مـر العـصور ـ مجلسا كمجلس "ابن الجوزي" يحفل بعدد هائل من المريدين يصل إلى عـشرة آلاف رجـل. وكان يحضر مجلسه الخلفاء والأمراء والسلاطين والوزراء، وكان مجلسه بـإزاء داره علـى شاطئ "دجلة" بالقرب من قصر الخليفة، فكانت الأرض تُفرش بالحصير ليجلس عليها النـاس، ثم يصعد "ابن الجوزي" المنبر، ويبتدئ القراء بقراءة القرآن، يتناوبون التلاوة بأصوات شجية مطربة، فإذا فرغوا من التلاوة بدأ "ابن الجوزي" خطبته، فتناول فيها تفسير الآيات التي تلاها القراء، فيأخذ بألباب وعقول سامعيه، ينظم فيها عقود الحكمة ورقائق الزهد والمـواعظ، بمـا يرقق القلوب ويحرك الأشجان، فتدمع العيون، وتخشع النفوس، وتذوب المشاعر في خـشوع وجلال للخالق العظيم يحركها الشوق والوجد والإيمان.

أقوال العلماء فيه اتفق العلماء والأدباء على الثناء على "ابن الجوزي" فمـدحوا علمـه وورعه ومهارته في الخطابة والفقه والحديث والتاريخ والأدب.

قال عنه "ابن كثير". "أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عـن غيـره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف".

وقد وصفه "ابن الجزري" بأنه. "شيخ العراق وإمام الآفاق".

وقال عنه "ابن العماد الحنبلي". "كان ابن الجوزي لطيف الصوت حلو الشمائل، رخـيم النغمة، موزون الحركات، لذيذ الفاكهة".

وقال عنه "ابن جبير". "آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخـصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمـشهود لـه بالـسبق الكريم في البلاغة والبراعة".

وقال عنه "شمس الدين الذهبي". "ما علمت أن أحدا من العلماء صنف ما صـنف هـذا الرجل".

مؤلفاته تميز "ابن الجوزي" بغزارة إنتاجه وكثرة مصنفاته التي بلغـت نحـو ثلاثمائـة مصنف شملت الكثير من العلوم والفنون، فهو أحد العلماء المكثرين في التصنيف في التفـسير والحديث والتاريخ واللغة والطب والفقه والمواعظ وغيرها من العلـوم، ومـن أشـهر تلـك المصنفات.

- أخبار الظراف والمتماجنين.
- أخبار النساء.
- أعمار الأعيان.
- بستان الواعظين.
- تلبيس إبليس.
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير.
- تاريخ بيت المقدس.
- تحفة المودود في أحكام المولود.
- الثبات عند الممات.
- جواهر المواعظ.
- الجليس الصالح والأنيس الناصح.
- حسن السلوك في مواعظ الملوك.
- ذم الهوى.
- زاد المسير في علم التفسير.
- سيرة عمر بن عبد العزيز.
- صفوة الصفوة.
- صيد الخاطر.
- الطب الروحاني.

·فنون الأفنان في علوم القرآن.

·كتاب الأذكياء.

·كتاب الحمقى والمغفلين.

·لطائف المعارف فيما للموسم العام من الوظائف.

·لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

·مناقب عمر بن الخطاب.

·المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

·الناسخ والمنسوخ في الحديث.

·الوفا في فضائل المصطفى.

·اليواقيت في الخطب.

شعره كان "ابن الجوزي" شاعرا مجيدا إلى جانب كونه أديبا بارعا وخطيبا مفوها، وله أشعار حسنة كثيرة، منها قوله في الفخر.

**مازلت أدرك ما غلا بل ما علا ** وأكابد النهج العسير الأطولا**

**تجري بي الآمال في حلباته ** جري السعيد إلى مدى ما أملا**

**لو كان هذا العلم شخصا ناطقًا ** وسألته. هل زار مثلي؟ قال. لا**

ومنها قوله في الزهد والقناعة.

**إذا قنعت بميسور من القوت ** بقيت في الناس حرا غير ممقوت**

**يا قوت يومي إذا ما در خلفك لي ** فلست آسي على در ويافوت**

وأوصى أن يكتب على قبره.

**يا كثير العفو عمن ** كثر الذنب لديه**

**جاءك المذنب يرجو ** الصفح عن جرم يديه**

**أنا ضيف وجزاء ** الضيف إحسان لديه**

وفاته توفي "ابن الجوزي" ليلة الجمعة [ ١٢ من رمضان ٥٩٧هـ = ١٦ من يونيو ١٢٠٠] عن عمر بلغ سبعا وثمانين سنة بعد أن مرض خمسة أيام، فبكاه أهل بغداد، وازدحموا

على جنازته، حتى أقفلت الأسواق، فكان ذلك يوما مشهورا مـشهودا، يـشهد بمكانـة "ابـن الجوزي" وحب الناس له.

## ١٢٠٠ م. وفاة القاضى الفاضل.

عبد الرحيم بن علي. توفي ١٢٠٠ م. من مشاهير وزراء صلاح الدين الأيوبي. ولد في عسقلان بفلسطين. رافق صلاح الدين في رحلاته الى مـصر وسـورية وتـولى عنـه ادارة الدواوين. كان سريع الخاطر في الانشاء، واشتهر برسائله. توفي في القاهرة.

## ١٢٠١ م. مولد نصير الدين الطوسى.

أحد الأفذاذ القلائل الذين ظهروا في القرن السادس للهجرة، وأحد حكماء الإسلام المشار إليه بالبنان، وهو من الذين اشتهروا بلقب "العلامة".

واسمه الكامل هو. أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي، ولد فـي مدينة طوس، قرب نيسابور (فارس) سنة ٥٩٧هـ (١٢٠١م)، وتوفي في بغداد سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م). ودرس على كمال الدين بن يونس الموصلي وعلى عبد المعين سالم بـن بـدران المعتزلي.

بدأ حياته العملية كفلكي للوالي نصير الدين عبد الرحمن بن أبي منصور في سـرتخت. وبلغ الطوسي مكانة كبيرة في عصره، فقد كرمه الخلفاء وجالس الأمراء والوزراء، وهو مـا أثار عليه حسد الحاسدين، فوشوا به وحكم عليه بالسجن في قلعة "ألموت"، مـع الـسماح لـه بمتابعة أبحاثه، فكتب معظم مصنفاته العلمية في هذه القلعة.

ولما استولى هولاكو، ملك المغول، على بغداد (٦٥٦هـ-١٢٥٨-م)، أراد أن يستفيد من علماء أعدائه العباسيين، فأطلق سراح الطوسي وقربه إليه وأسند إليه نظارة الوقف. ثم عينـه على رأس مرصد مدينة مراغة (إيران) الذي تم إنشاؤه بطلب مـن الطوسـي. وفـي هـذا المرصد، كان الطوسي يشرف على أعمال عدد كبير من الفلكيين الذين استدعاهم هولاكو من مختلف أنحاء العالم. ومنهم المؤيد العرضِي من دمشق، والفخر المراغى من الموصل، ونجـم الدين القزويني، ومحيى الدين المغربي. وقد اشتهر هذا المرصد بآلاته وبمقدرته في الرصـد. وبنى بالمرصد مكتبة عظيمة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة. وقـدر عدد الكتب بها بنحو أربعمائة ألف مجلد.

## إسهاماته العلمية.

كتب الطوسي في المثلثات، وفي الهيئة، والجبر، وإنشاء الأسطرلابات وكيفية استعمالها. ففي المثلثات كان الطوسي أول من جعلها مستقلة عن الفلك. كما ابتكر براهين جديدة لمسائل فلكية متنوعة. وهو أول من استعمل الحالات الست للمثلث الكروي القائم الزاوية. ويقول كارادي فو إن الطوسى قد بسط في كتابه "الشكل الرباعي". علم المثلثات بأوضح أسلوب وأسهله، أولاً على طريقة منالاووس وبطليموس، ثم على طرق استنبطها هو مشيراً إلى نتائجها. وقاعدته التي سماها "قاعدة الأشكال المتتامة"، تخالف استعمال نظرية بطليموس في الأشكال الرباعية".

وتساوي عبقرية نصير الدين الطوسي الهندسية عبقريته الفلكية. فقد برع الطوسي في معالجة المتوازيات الهندسية، وجرب أن يبرهنها، وبنى برهانه على فروض. وقد ذكر سارطون أن الطوسى برهن في "كتاب التذكرة" على عدد من المسائل الهندسية. ويمتاز الطوسى في بحوثه الهندسية بإحاطته الكلية بالمبادئ والقضايا الأساس التي تقوم عليها الهندسة، ولا سيما ما يتعلق بالمتوازيات.

وله في الفلك إسهامات وإضافات مهمة، فقد أوضح كثيراً من النظريات الفلكية، وانتقد كتاب "المجسطي"، واقترح نظاماً فلكياً أبسط من النظام الذي وضعه بطليموس، فمهد بذلك الطريق أمام الإصلاحات التي جاء بها كوبرنيك فيما بعد. وللطوسي أيضاً بحوث في الكرة السماوية ونظام الكواكب.

## مؤلفاته.

كتب نصير الدين في المثلثات، والفلك، والجبر، والهندسة، والحساب، والتقاويم، والطب، والجغرافية، والمنطق، والأخلاق، والموسيقي، وغيرها من المواضيع. كما ترجم بعض كتب اليونان وعلق على مواضيعها شارحاً ومنتقداً. ومن أشهر مؤلفاته.

- ـ "كتاب شكل القطاع"، وهو أول مؤلف فرق بين حساب المثلثات وعلم الفلك. يقول عنه كارادي فو. "وهو مؤلف من الصنف الممتاز في علم المثلثات الكروية". ترجم إلى اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، وظل الأوربيون يعتمدون عليه لعدة قرون.
- "التذكرة النصيرية"، وهو كتاب عام لعلم الفلك. أوضح فيه كثيراً من النظريات الفلكية، وفيه انتقد "كتاب المجسطي" لبطليموس. ويعترف "سارطون" بأن هذا الانتقاد يدل على عبقرية الطوسي وطول باعه في الفلك.

- "زيج الإيلخاني" يشتمل على حسابات أرصاده التي قام بها خلال اثنتي عشرة سنة؛
- "كتاب قواعد الهندسة" ؛
- "كتاب في الجبر والمقابلة" ؛
- "كتاب ظاهرات الفلك" ؛
- "كتاب تحرير المناظر" في البصريات.

وقد كتب نصير الدين مصنفاته بالعربية والفارسية، وترجمت إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأوربية في العصور الوسطى، كما تم طبع العديد منها.

وخلاصة القول، فقد كان الطوسي من أعظم علماء الإسلام ومن أكبر رياضييهم، فقد أسهم بشكل كبير في تطوير العلوم ولا سيما الفلك والرياضيات، وظلت كتبه مراجع لعدة قرون، ونالت شهرة كبيرة بفضل ما قدم مؤلفها من إسهامات غنية.

- ١٢٠٢ م. انطلاق الحملة الصليبية الرابعة لكنها تحول مسارها الى القسطنطينية وتسقطها ١٢٠٤ م

## ١٢٠٣ م. مولد ابو شامه.

شهاب الدين ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل. مؤرخ سوري (١٢٠٣م-١٢٦٨م). نشأ في دمشق ودرس على علمائها وعلى علماء دمياط والاسكندرية والقاهرة في مصر. زار شبه الجزيرة العربية للحج ثم عاد الى دمشق ورأس فيها الدار الاشرفية. يشتهر بمؤلفه (الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية) الذي وضعه على نظام الحوليات في المدة من ١١٤٧م الى ١١٩٣م، أي مدة حكم نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي. كذلك اختصر ابو شامة المقدسي (تاريخ دمشق) لابن عساكر، واتم كتاب البرزالي (الوفيات).

## ١٢٠٣ م. مولد ابن ابى اصيبعة.

موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي. موسوعي وطبيب ومنجم واديب سوري. ولد في دمشق بسورية في عام ١٢٠٣ م. وتوفي في صلخد بسورية ايضا في عام ١٢٧٠م. كان والده طبيبا وقد درس الطب على يد موفق الدين البنداري، ثم عمل في المستشفى النوري في دمشق والمستشفى الناصري في القاهرة. وكان من اساتذته في الاخيرة ابن البيطار. وقد ترك القاهرة في اخريات حياته كي يصبح طبيبا خاصا لأمير صلخد في سورية. ويشتهر ابن ابي اصيبعة بتاريخه للاطباء منذ ايام الاغريق حتى عصره. وقد اهدى كتابه (عيون الانباء في طبقات الاطباء) للوزير ابي الحسن بن غزال السامري. ويعتبر (عيون الانباء) افضل الكتب في بابه. وقد تناول ابن ابي اصيبعة فيه إلى

جانب الطب العربي، طب كل من اليونان والهند وفارس، وكذا الحياة العلميـة والاجتماعيـة والاقتصادية في هذه المجتمعات. وفي الكتاب نوادر واشعار وحشو كثير. وفيه الـى جانـب سيرة الاطباء المبدعين سيرة ممارسين ومنجمين وادباء كثيرين. كذلك ألف ابن ابي اصـيبعة (حكايات الاطباء في علاجات الأدواء) و (اصابات المنجمين) اللذين لم يصلا الينا. كما لم يتم ابن ابي اصيبعة كتابه الاخير التجارب والفوائد.

## ١٢٠٤ م. وفاة ابن فرحون.

ابو الحسن علي بن محمد. رياضي وفلكي اندلسي. توفي عام ١٢٠٤م. نشأ في قرطبـة وعمل في فاس ثم قصد للحج وبقي بعده في مكة. ويشتهر بمؤلفه (اب اللبـاب فـي مـسائل الحساب).َ

## ١٢٠٨ م. مولد ابن سهل الاندلسى.

ابن سهل الأندلسي 649 - 605هـ 1251 - 1208 / م إبراهيم بـن سـهل الإشـبيلي أبـو إسحاق.

شاعر غزل، من الكتّاب، كان يهودياً وأسلم فتلقّى الأدب وقال الشعر فأجاده، أصله مـن إشبيلية، وسكن سبتة بالمغرب الأقصى. وكان مع ابن خلاص والي سبتة فـي زورق فانقلـب بهما فغرقا.

## ١٢١٠ م. مولد ابو البقاء الرندى.

أبو البقاء الرندي 684 - 601هـ 1285 - 1204 / م صالح بن يزيد بن صالح بن شـريف الرندي، أبو البقاء.

وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب وهو مشهور فـي المـشرق بـأبي البقـاء. وهو أديب شاعر ناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة واتصل ببلاط بني نصر (ابن الأحمر) في غرناطة.

وكان يفد عليهم ويمدحهم وينال جوائزهم وكان يفيد من مجالس علمائها ومن الاخـتلاط بأدبائها كما كان ينشدهم من شعره أيضاً.

وقال عنه عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة كان خاتمة الأدباء في الأندلس بـارع التصرف في منظوم الكلام ومنثره فقيهاً حافظاً فرضياً له مقامات بديعة فـي أغـراض شـتى وكلامه نظماً ونثراً مدون.

## قصيدة رثاء اشبيلية

لكـل شـيءٍ إذا مـا تـم نقـصان ... فـلا يغـر بطيـب العـيش إنـسان

هـي الأمـور كمـا شـاهدتها دولٌ ... مـن سـره زمـن سـاءته أزمـان

وهذه الـدار لا تُبقـي علـى أحـد ... ولا يـدوم علـى حـالٍ لهـا شـان

يمـزق الـدهر حتمـا كـل سـابغةٍ ... إذا نبـت مـشْرفياتٌ وخُرصـان

وينتضي كـلّ سـيف للفنـاء ولـو ... كان ابن ذي يـزن والغمـد غُمـدان

أين الملوك ذَوو التيجان مـن يمـنٍ ... وأيـن مـنهم أكاليـلٌ وتيجـان ؟

وأيـن مـا شـاده شـداد فـي إرمٍ ... وأين ما ساسه في الفرس ساسـان ؟

وأين ما حازه قـارون مـن ذهـب ... وأيـن عـاد وشـداد وقحطـان ؟

أتى على الكُـل أمـر لا مـرد لـه ... حتى قضوا فكأن القـوم مـا كـانوا

وصار ما كان من ملك ومـن مِلـك ... كما حكى عن خيال الطّيـفِ وسـنان

دار الزمـان علـى (دارا) وقاتِلِـه ... وأم كـسرى فمـا آواه إيـوان

كأنما الصعب لم يـسهل لـه سـبب ... يومـا ولا ملـك الـدنيا سـليمان

فجـائع الـدهر أنـواع منوعـة ... وللزمـان مـسراتٌ وأحـزان

وللحـوادث سـلوان يـسهلها ... ومـا لمـا حـلّ بالإسـلام سـلوان

دهى الجزيـرة أمـر لا عـزاء لـه ... هـوى لـه أُحـد وانهـد ثهـلان

أصابها العين في الإسـلام فـارتزأتْ ... حتـى خَلَـت منـه أقطـار وبلـدان

فاسأل (بلنسيةً) ما شـأن (مرسـيةً) وأيـن (شـاطبةٌ) أم أيـن (جيـان)

وأيـن (قُرطبـة) دار العلـوم فكـم من عالمٍ قد سـما فيهـا لـه شـان

وأين (حمص) وما تحويه مـن نـزهٍ ونهرهـا العـذب فيـاض ومـلآن

قواعـد كـن أركـان الـبلاد فمـا عسى البقـاء إذا لـم تبـقَ أركـان

تبكي الحنيفيةَ البيضاء من; ! أسـفٍ كمـا بكـى لفـراق الإلـفِ هيمـان

علـى ديـار مـن الإسـلام خاليـة قـد أقفـرت ولهـا بـالكفر عمـران

حيث المساجد قد صارت كنائس مـا فـيهن إلا نـواقيس وصـلبان

حتى المحاريب تبكي وهـي جامـدةٌ حتى المنـابر ترثـي وهـي عيـدان

يا غافلاً وله فـي الـدهر موعظـةٌ إن كنت فـي سِـنَةٍ فالـدهر يقظـان

وماشـيا مرحـا يلهيـه موطنـه أبعد حمص تَغـر المـرء أوطـان ؟

تلك المـصيبةُ أنـستْ مـا تقـدمها وما لها مـع طـولَ الـدهر نـسيان

يا راكبـين عتـاق الخيـل ضـامرةً كأنهـا فـي مجـال الـسبق عقبـان

وحـاملين سـيوفَ الهنـدِ مرهفـةً كأنهـا فـي ظـلام النقـع نيـران

ورائعـين وراء البحـر فـي دعـةٍ لهـم بأوطـانهم عـز وسـلطان

أعنـدكم نبـأ مـن أهـل أنـدلس فقد سرى بحـديثِ القـومِ ركبـان ؟

كم يستغيث بنا المستـضعفون وهـم قتلى وأسرى فمـا يهتـز إنـسان ؟

ماذا التقـاطع فـي الإسـلام بيـنكم وأنـتم يـا عبـاد الله إخـوان ؟

| | |
|---|---|
| ألا نفـــوس أبـــاتْ لهـــا همـــم | أما علـى الخيـر أنـصار وأعـوان |
| يـا مـن لذلـةِ قـومٍ بعـد عـزهم | أحـــال حـــالهم جـــور وطُغيـــان |
| بالأمس كانوا ملوكًـا فـي منـازلهم | واليوم هم فـي بـلاد الكفـر عبـدان |
| فلو تـراهم حيـارى لا دليـل لهـم | علـيهم مـن ثيـابِ الـذل ألـوان |
| ولـو رأيـتَ بكـاهم عنـد بـيعهم | لهالـك الأمـر واسـتهوتك أحـزان |
| يـا رب أم وطفـلٍ حيـلَ بينهمـا | كمـــا تفـــرقَ أرواح وأبـــدان |
| وطفلةً مثل حسن الشمس إذ طلعـت | كأنمـــا هـــي يـــاقوتٌ ومرجـــان |
| يقودهـا العلـج للمكـروه مكرهـةً | والعـــين باكيـــةُ والقلـــب حيـــران |
| لمثل هذا يـذوب القلـب مـن كمـدٍ | إن كان فـي القلـبِ إسـلام وإيمـان |

## ١٢١٠ م. مولد ابن النفيس.

هو أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم المعروف بابن النفيس، وهو طبيب وعالم ولد بدمشق سنة ٦٠٧ هـ.

نشأ ابن النفيس بدمشق واخذ علوم الطب علي أيدي أطبائها وبخاصة علـي يـد كبيـر الأطباء مهذب الدين والدخوار صاحب مدرسة الدخوارية الطبية بدمشق ثم رحل ابن النفـيس إلى مصر واستوطن بها في مدينة القاهرة وأصبح عميد البيمارستان أو المستشفى الناصـري "مستشفى قلاوون حاليا" الذي أنشأه السلطان قلاوون عام ٥٨٠ الهجري، كمـا صـار طبيبـا خاصا للسلطان بيبرس البندقدارى ملك مصر والشام، طوال الـسنوات الاثنتـين والعـشرين الأخيرة من عمر الظاهر بيبرس وفي القاهرة حظي ابن النفيس بـاحترام الأطبـاء والحكـام والأمراء.

## إنجازاته.

لقد بقي العلم قروناً مصراً على تعاليم جالينوس وابن سينا، وفجأة ظهر ثلاثة من العلماء الأوربيين يصفون الدورة الدموية في القرن السادس عشر بذات الألفاظ التي استخدمها ابن النفيس قبلهم بثلاثة قرون، وهم ميشيل سرفتوس الإسباني الذي حكم عليه بالإعدام حرقاً بسبب مؤلفه اللاهوتي، وكولومبو في بادوا، وأخيراً هارفي الإنجليزي الذي درس في بادوا وادعى أنه صاحب الاكتشاف.

ولكن الحقيقة هي "ابن النفيس" هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وقال. "إن الدم ينقي في الرئتين " قبل "سرفيتوس" بثلاثة قرون.

كان "ابن النفيس" مستقلاً في التفكير والرأي ويعارض الآراء وينقدها حتى ولو كانت من جالنيوس أو ابن سينا، فخرج من ملاحظاته وخبراته إلى أن الدم ينساب من البطين الأيمن إلى الرئة، حيث يمتزج بالهواء ثم إلى البطين الأيسر وهي الدورة التي نسميها اليوم بالدورة الدموية الصغرى. وكانت تلك خطوة كبرى اعتمد عليها الطبيب البريطاني هارفي الذي كشف سنة ١٦٢٨ م الدورة الدموية الكبرى وقد سجل ابن النفيس اكتشافه هذا في كتابه. " شرح تشريح القانون لابن سينا" حيث يقول (والذي نقوله نحن والله أعلم، أن القلب لما كان من أفعاله توليد الروح، وهي إنما تتكون من دم رقيق جداً شديد المخالطة لجرم هوائي، فلابد أن يحصل في القلب دم رقيق جداً وهواء ليمكن أن يحدث الروح من الجرم المختلط منهما، وذلك حيث تولد الروح وهو التجويف الأيسر) وكان ابن سينا قد ذكر في كتابه القانون أن القلب به بطينان وأن أحدهما مملوء بالدم وهو البطين الأيمن وان الآخر مملوء بالروح وهو البطين الأيسر، وأنه لا منفذ بين هذين البطينين البتة، وعارض ابن النفيس هذا الرأي، حين أثبت بالتشريح أن الدم يذهب من البطين الأيمن، عبر الوريد الشرياني إلى الرئة لينقي بها ويلطف جرمه ثم يعود من الرئة إلى البطين الأيسر وقد لطف جرمه وخالطة الهواء وبالطبع لم تكن العدسات المكبرة قد اخترعت في عصر ابن النفيس ولم يتم الكشف عن الأوعية الشعيرية إلا بعد قرون، وبذلك يكون ابن النفيس قد سبق عصره بقرون في اكتشافه للدورة الدموية

## مؤلفاته.

وكان ابن النفيس معتدا بمصنفاته إذ نقل المؤرخون أنه قال. لولم أعلم أن تصانيفي تبقى بعدي عشرة آلاف سنة ما وضعتها.

ترك ابن النفيس عدداً من المؤلفات، منها.

١) "شرح تشريح القانون" وقد شرح فيه باب التشريح من كتاب القانون لابن سينا، وانتقد عدداً من أقواله في هذا الباب. وقد ظل هذا الكتاب مغموراً في المكتبات إلى أن عثر عليه الطبيب المصري الدكتور محي الدين التطاوي سنة ١٩٢٤ في مكتبة برلين، وقام بدراسته في رسالة لنيل دكتوراه من جامعة فريبورج بألمانيا.

ولهذا الكتاب عناوين مختلفة وفيه شرح غاية في الدقة، للدورة الدموية الـصغرى، اى الدورة الدموية الرئوية وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية الطبيب الإيطالي " الباجو" لاول مرة في مدينة البندقية عام)٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) وهي الترجمة التي رجع إليها الطبيب الإنجليزي " وليم هارفي " الذي يعزى إليه اكتشاف الدورة الدموية الكبرى وقد رجع إليها من قبله الطبيـب البلجيكي. " فيزال."

يقول ميرهوف في هذا الصدد. (عندما قرأت المقطع الأول من هـذا الموضـوع ـ أي موضوع دوران الدم الرئوي، في شرح ابن النفيس، فوجئت بشبهه العظيم بـبعض عبـارات سرفيتوس الأساسية، فكأن المقطع العربي قد ترجم ببعض التصرف إلى اللاتينية).

١) "الكتاب الشامل في الطب"، وهو موسوعة علمية هائلة سماها. "الشامل فـي الصناعة الطبية" وكان ينوي فيها أن تصل إلى ٣٠٠ مجلد، كل مجلد يتنـاول موضوعا بذاته وخلال ثلاثين سنة قام بإتمام ثمانين مجلـدا مـن موسـوعته "الشامل" وتوفى قبل تبييض بقية كتب الموسوعة،
٢) "المهذب في الكحل"، وهو مؤلف عن الرمد وطب العيون.
٣) "المختار في الأغذية "، وهو كتاب عن الغذاء والحمية .
٤) "شرح فصول أبقراط"، توجد نسخة منـه فـي المكتبـة الوطنيـة ببـاريس والأسكوريال. وقد تم طبعه في إيران عام ١٢٩٨هـ/١٨٨١م .
٥) "موجز القانون"، وهو موجز لقانون ابن سينا، يقع في خمسة أجزاء. وتوجـد نسخ منه في كل من باريس وأكسفورد، وفلورنسا، وميونيخ، والأسـكوريال. وطبع بالإنجليزية لأول مرة سنة ١٨٣٨م في مدينة كالكوتا بالهند تحت عنوان "المغني في شرح الموجز".

ولم يكن هذا الكتاب مجرد تلخيص لكتاب الشيخ الرئيس ابن سينا الشهير (القانون فـي الطب) وإنما كان مراجعة نقدية علمية تجريبية، وهذا ما يجعلنا نجد فيـه النمـوذج الراقـي لاسلوب الحضارة العربية الإسلامية في تأمل التجربة الإنسانية واستقرائها وإخـضاعها للنقـد فحصاً وتدقيقاً، دون استسلام أو إذعان.

و وله من المؤلفات أيضاً (شرح تقدمة المعرفة) لابقراط، و(شرح مسائل حنـين بـن اسحاق)، و(شرح الهداية فـي الطـب) لابـن سـينا، و(بغيـة الفطـن فـي علـم البـدن) ومن مؤلفاته في غير المواضيع الطبية (الرسالة الكاملية في السيرة النبوية)، (وكتاب فاضل بن ناطق)، وهو مجاراة لكتاب (حي بن يقظان) لا بن طفيل، ولكن بطريقة دينية لا فلسفية.

## وفاته.

عاش ابن النفيس طوال حياته مطيعا لربه أمينا لدينه، لا يشغله غير العلم والتعبد، حتى مرض ستة أيام نصحه فيها أصحابه من الأطباء في علته أن يتناول شيئا من الخمر لتـسكين الآلام، فأبى أن يتناول شيئا منه، وقال. "لا ألقى الله تعالى وفي بطني شـيء مـن الخمـر ." و توفي بمدينة القاهرة ـ التي أقام بها معظم حياته ـ في ٢١ ذو القعدة ٦٨٧ هـ عن عمـر قارب الثمانين عاماً.

ولم يكن متزوجاً، و ترك وصية وهب فيها داره ومكتبته إلى البيمارستان الناصري الذي قضى فيه معظم حياته.

## ١٢١٠ م. وفاة ابن ابى زرع.

علي بن عبد الله. مؤرخ واديب مغربي. توفي ١٢٢٦م. نشأ في فاس ويشتهر بمؤلفـه (زهرة البستان في اخبار الزمان (و (الانيس المطرب بروض القرطاس فـي اخبـار ملـوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (.

## ١٢١١ م. مولد ابن خلكان.

احمد بن محمد بن ابراهيم شمس الدين ابو العباس البرمكي الاربيلي الشافعي. مـؤرخ واديب عراقي (١٢١١- ١٢٨١ م). نشأ في اربيل بالعراق، وتلقى العلم على الجواليقي وابن شداد في حلب، وامضى معظم حياته متنقلا بين الشام ومصر، قائمـا بالتـدريس او متوليـا القضاء حتى توفي في دمشق. وكان للابن خلكان نظم حسن، ومحاضرات في غاية الجـودة. وقد اشتهر بكتابه (وفيات الاعيان وابناء الزمان، مما ثبت بالنقل او السماع او اثبتـه العيـان) وهو معجم تاريخي يشتمل على ٨٤٦ ترجمة للمشاهير وقد بذل ابن خلكان جهدا كبيـرا فـي تحقيق تاريخ مولدهم ووفاتهم، وتقييد اسمائهم بالحركات، وتعريف الامكنة والاشخاص. وقـد اتم ابن خلكان مؤلفه عام ١٢٧٣ مَ.

- ١٢١٢ م. حملة الاطفال الصليبية وفشلها

## ١٢١٢ م. هزيمة المسلمين المروعة في معركة "العقاب" التي كانت بين جيوش الموحدين، ومملكة قشتالة وجموع الصليبيين في أوروبا، وجرت وقائعها عند حصن العقاب بالأندلس.

مرت دولة الموحدين بأدوار ثلاثة هي.

- دور نشوء وتأسيس، ويتمثل بالمهدي بن تومرت، وعبد المؤمن بن علي.
- دور العظمة، ويتمثل بأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ويعقوب المنصور، وبداية عهد محمد الناصر.
- دور الضعف والسقوط، وبدأ بعد هزيمة العقاب، وحكم فيه ثمانية حكام. فما هي معركة العقاب التي كانت أكبر سبب في سقوط دولة الموحدين؟

عاون القشتاليون الفرنسيين على محاربة الانجليز سنة ١٢٠٤ م، وبعد أن عقد الفرنسيون والإنجليز الصلح بتدخل البابا، وأخذ ملك قشتالة ألفونسو يتأهب لمحاربة المسلمين بكل ماله من قوى، فحصن قلعة (مورا) الواقعة على الحدود مع الأندلس الإسلامية سنة ١٢٠٩م، ثم سار في جيش من القشتاليين وفرسان قلعة رباح إلى الأندلس، فأحرق زروع الحقول، ونهب القرى، وقتل السكان، وسبى منهم جموعاً كبيرة، ثم عاد إلى قشتالة ودعا ملكي نافار وأراغون ووثق معهما عهود الصلح، وحصل منهما على وعد بتأييده، كل ذلك ليمحو وصمة هزيمة معركة الأرك.

وفي عام ١٢١٠م سار ألفونسو ثانية إلى الأندلس، وخرب أراضي جيان وبياسة وأندوجار، ووصل إلى بساتين مرسية، وعاد إلى عاصمة ملكه طليطلة مثقلاً بالغنائم.

وحين ذاك أعلن سلطان الموحدين أبو عبد الله محمد الناصر الجهاد، فحشد قوات كبيرة أرسلها من المغرب، وقسمها إلى خمسة جيوش.

- الجيش الأول. من قبائل البربر.
- الجيش الثاني. من الجنود المغاربة.
- الجيش الثالث. من الجنود الموحدية النظامية.
- الجيش الرابع. من المتطوعة من جميع أنحاء المملكة.
- الجيش الخامس. هو جند الأندلس.
- وقدر جيش أبي عبد الله محمد الناصر بنصف مليون مجاهد.

وفي ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٠٧هـ، مايو ١٢١١م جاز الناصر بنفسه إلى الأندلس، ونزل في جزيرة طريف، ثم سار بعد أيام إلى إشبيلية.

وارتكب الناصر هنا خطأ فادحاً إذ أرسل خيرة جنده إلى حصن سلبطرة فأنهك بذلك قواهم، ولبث الجيش أمام الحصن ثمانية أشهر وهو ممتنع عليه، وأصر الناصر نزولاً على نصح وزيره أبي سعيد عثمان بن عبد الله بن إبراهيم ابن جامع، الإسباني الأصل !!!، الذي كان الموحدون يشكون في صدق نياته، وكان الناصر يضع فيه كل ثقته، وأصر الوزير أن لا يتقدم الجيش قبل الاستيلاء على حصن سلبطرة، وهكذا استمر الحصار طوال الصيف حتى دخل الشتاء، وعانى المغاربة في الجبال الوعرة من قسوة الطقس، كما أودى المرض بحياة آلاف منهم، وأخذت وسائل التموين لهذا الجيش الضخم تصعب وتتعثر.

وأرسل ألفونسو ولده فرديناند على رأس جيش نفذ إلى ولاية (استراما دوره) محاولاً أن يرغم الموحدين على رفع الحصار، ولكن المحاولة لم تنجح ومات فرديناند الذي أودت بحياته مشاق الحرب، وسقطت قلعة سلبطرة أخيراً بيد الموحدين، بسبب الجوع الذي حل بها بعد انتهاء مخزونها من التموين، ولكن صمودها الكبير كان سبباً في إنقاذ إسبانية النصرانية.

وراع هذا السقوط ألفونسو وجموع النصارى فخرج إلى قاصية أسبانيا مستنفراً الأمراء والفرسان فاجتمعت له جموع عظيمة من إسبانية نفسها ومن أوروبا حتى بلغ النفير إلى القسطنطينية.

وبعث البابا أنوسان الثالث إلى الأساقفة في جنوبي فرنسا بأن يعظوا رعاياهم بأن يسيروا بأنفسهم وأموالهم لمؤازرة ملك قشتالة، وأنه – أي البابا – يمنح كل من لبى الدعوة الغفران التام.

وعقد ألفونسو مؤتمراً عقد في (قونقة) شهده بيدرو ملك أراغون، ومندوبون من قبل باقي ملوك النصارى، وقبل انتهاء الشتاء من عام ١٢١١م اجتمعت في طليطلة عاصمة قشتالة قوات عظيمة من الفرنسيين والقشتاليين ومن فرسان قلعة رباح و الاسبتارية والداودية، وكانت رئاسة المحاربين بيد الأساقفة، ووصلت الإمدادات من ليون وجليقية والبرتغال، وأرسلت إيطاليا وفرنسا مقادير عظيمة من المال والسلاح والمؤن فتمكن بذلك ألفونسو من إمداد الجنود بالرواتب المالية المغرية والهدايا النفيسة.

وأمر البابا بالصوم ثلاثة أيام والاكتفاء بالخبز والماء التماساً للنصر، وارتدى الرهبان السواد وساروا حفاة، وأقيمت الصلوات الخاصة في الكنائس طلباً للنصر وتأهب الجيش النصراني للسير، وتقسم الجنود في ثلاثة جيوش، وسار في الطليعة جيش الوافدين، في ستين ومائة ألف محارب، وكان الجيش الثاني مؤلفاً من الأراغونيين والقطلونيين مع فرسان الداوية،

أما الجيش الثالث فهو أضخم الجيوش الثلاثة ويقوده الأمير القشتالي سانشو فرنانديز، ويقـدر عدده بثلاثين ألفاً.

وهاجم الجيوش النصرانية حصن (مجلون) وأبادوا جميع من فيه، ثم هاجموا قلعة رباح حتى سقطت المدينة في أيديهم واستسلم قائد الموحدين في القلعة أبو الحجاج يوسف بن قـادس على أن تنسحب الحامية بدون سلاح فوافق الطرفان على هذا، وانسحب خمـسون ألفـاً مـن الجيش النصراني إلى بلادهم لأن ملك قشتالة لم يقتل الحامية.

وسار الملوك الثلاثة. ملك قشتالة وملك نافار وملك أرغون إلى مدينة سلبطرة فوجدوها محصنة فتركوها.

أما أبو عبد الله الناصر فإنه لما وصله ابن قادس مع الحامية أمر بقتله اعتقاداً منه أنـه قصر في ذلك، استماعاً منه لنصيحة ابن جامع وزيره المشبوه، مما أثر على معنويات الجيش المسلم، وغادر أبو عبد الله مع جيشه مدينة جيان نحو بياسة، بينما احتل النصارى قلعة (فرال) ثم غادروها فاحتلها المسلمون على الأثر، واختار النصارى مكاناً مرتفعاً يمكن أن ينحدر منه جيشهم دون أن يستطيع الجيش المسلم إعاقته.

نظم السلطان الموحدي جيشه لخوض المعركة، وقسم ملوك النصارى جندهم قـسمين، بعضهم على سفح الجبل، وبعضهم فوق الربى، وكان ألفونسو في قلب الجيش، ومشرفاً علـى الجيش كله، وقسم القلب إلى أربعة فرق. الأولى. من سكان الجبال القشتالية، والثانيـة. مـن فرسان قلعة رباح وشنت وياقب والاسبتارية والداوية وبعض جنود الحدود القشتالية، والثالثة. من جند وفرسان من قشتالة واشتوريش وبسكونية، والرابعة من الجند الاحتياطي من طليطلـة وبعض قوات ليون، ومع الفرقـة الأخيرة يرافقهم عدة أساقفة، ويقودها ألفونسو بنفسه.

وكان يقود الجناح الأيمن سانشو ملك نافارا، وفيه فرسـان فرنـسيون وجنـد جليقيـة والبرتغال، وعلى رأسهم الأمير البرتغالي.

أما الجناح الأيسر فكان أربع فرق، ويتألف كله من قوات أرغون، ما عدا بعض جنـد المشاة القشتاليين، ويقوده الملك بيدرو، وحوله الأحبار.

أما جيش الموحدين فقد قسمه أبو عبدالله محمد الناصر تجاه جيش النصارى في سـهل (تولوزا) إلى خمس فرق.

كانت الفرقة الأمامية من المتطوعة، واصطفت القوات الأندلسية في الميمنة، والقبائـل البربرية في الميسرة، وأما القلب والقوات الاحتياطية فكانت تتألف من صفوة الجـيش، مـن الجند المغاربة والنظاميين.

وضرب أبو عبدالله قبته وسط الصفوف، وربط أمامها جواده المسرج، وقعد في داخلها، إيذاناً باقتراب المعركة، ثم خرج سلطان الموحدين من قبته رافعاً المصحف الشريف بإحـدى يديه وشهر سيفه بالأخرى.

وفي ١٥صفر ٦٠٩، ١٦ تموز- يولية ١٢١٢م التحم جموع المتطوعة من المـسلمين بجنود الجبال القشتاليين وجموع الفرسان النصارى، ويشتبك الفريقان فـي معركـة حاميـة، ويتحرك الجناحان في كل الجيشين تجاه بعضهما.

ولم يستطع المتطوعة المسلمون اختراق صفوف الفرسان القشتاليين، الذين ردوا جموع المسلمين، واستشهد ألوف من المسلمين، لكن القشتاليين حين مطاردتهم لجمـوع المتطوعـة المسلمين لقوا أشد مقاومة فارتدوا فارين فتبعهم الفرسان المسلمين.

وأراد ألفونسو أن يخوض المعركة بنفسه لما رأى تراجع قواته، فقال. (إن الساعة قـد حانت لنلقى الموت المجيد)، ولكن المطران والقساوسة اعترضوه فأرسل قوات مـن أشـجع الجنود لإمداد المرتدين، وسار الأحبار يحملون الأعلام وعليها صور المسيح، وانتهز الفرسان النصارى تقدم الإمدادات معهم فلموا شعثهم ونظموا جموعهم واستأنفوا زحفهم وحطموا كـل مقاومة في اتجاه قلب الجيش الإسلامي حيث السلطان، وضـربوا هجـومهم علـى السلـسلة الحديدية التي احتشدت من ورائها ألوف مؤلفة من الحرس شاهرين الحراب، ولكـن جناحـا الجيش الإسلامي قد تحطما ؛ لأن الأندلسيين ومع بداية المعركة ركنوا إلى الفرار، ولم يصمد سوى جند الموحدين النظاميين، والحرس المغاربة، فقد لبثوا يقـاومون النـصارى، وصـدوا النصارى من كل صوب بشجاعة عجيبة، ولكن الدائرة حطمت فغدا نصر الأسبان تاماً حاسماً، وكانت الهزيمة فادحة، ولبث أبو عبد الله يذكي حماسة حرسه حتى آخر لحظـة، ولمـا رأى الهزيمة حلت بجيشه ووقف على استشهاد ولده الأكبر لم يرد العيش بعده، فقعد فـي خيمتـه، والعدو يدنو منه، فأقبل أعرابي ونبأه بفرار جنده، فناشده ألا يقعد بعـد، فقـال أبـو عبـدالله الناصر. (صدق الرحمن، وكذب الشيطان)، ثم امتطى صهوة جواده أخيراً، وغـادر ميـدان المعركة مسرعاً مع نفر من أصدقائه وجنده المخلصين، واتجه صوب بياسة، ثم إشبيلية.

وكانت هذه المعركة بداية النهاية لشمس الإسلام في الأندلس، والتي غربـت بمـصرع غرناطة.

## أسباب الهزيمة.

- الإعجاب بالكثرة،إذ الثقة بآلاف الجند وبمقدرة القائد أفقـد القائـد والجنـد اعتمادهم على الله سبحانه، وهذا يفسر قول السلطان. (صـدق الـرحمن وكذب الشيطان (.
- جبن الأندلسيين وخيانتهم، إذ ركنوا للفرار بعد معارك قصيرة، وقد كـان من أسباب فرارهم الحقد على الوزير الخائن ابـن جـامع الـذي نـصح السلطان بقتل أبي الحجاج ابن قادس أمير قلعة رباح.
- ضعف شخصية أبي عبد الله الناصر أمام وزيره ابن جامع.
- عف الجيش الإسلامي بعد ملازمته لحصار سلبطرة مدة ثمانية أشهر.
- ضعف القيادة وسوء التنسيق ظهر بعدم ثبات البربر والعرب بعـد فـرار الأندلسيين.
- تماسك جيش النصارى واعتقاد رؤسائهم أنهم جاؤوا لنصرة دينهم علـى دين آخر.

## بعد المعركة.

قتل النصارى كل أسراهم من المسلمين في مكان المعركة ذاته، وفقد المـسلمون ثلـث قواتهم في هذه المعركة، وفتح ألفونسو بعض الحصون والمدن مثل. فرال، وتولوزا، وبياسة، وبلقس، وبانيوس، وأبدة التي قتلوا من أهلها ستين ألفاً وأسروا مثل هذا العدد وهدمت الـدور، وقد فتكت الأمراض بالجيش النصارى مما اضطره للرجوع إلى طليطلة عاصمة ملك قشتالة.

## ١٢١٢ م. وفاة ابن الشحنة.

محب الدين ابو الوليد ابراهيم بن محمد. مؤرخ واديب وفقيه سوري. توفي (١٤١٢م). تولى الخطابة في الجامع الأموي بحلب، وقضاء الحنفية في حلب و دمشق وسوريا ومـصر. يشتهر بمؤلفه (روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر) الذي الفه للمؤيـد عمـاد الـدين الحلبي في تاريخ الخليقة منذ بدئها وحتى عام ١٤٠٣م. وقد ألف محب الدين ابن الشحنة ايضا (لسان الاحكام في معرقة الاحكام) الذي يقع في ثلاثين فصلا ويـضم احكامـا عديـدة فـي المعاملات والاقضية. وقد اراد ابن الشحنة نظمه، فلم يوفق، وتوقف عنـد الفـصل الحـادي والعشرين، واكمل برهان الدين الخالقي نظم الكتاب. اما كتاب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) فهو من تأليف ابنه ابو الفضل المعروف بابن الشحنة الصغير.

١٢١٣ م. مولد "شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد"، المعروف بـ "البوصيري"، واحد من كبار الشعراء الذين عرفوا بالمدائح النبوية، وتبوأت قصيدتاه "البردة" و"الهمزية" مكانة عالية في شعر المديح النبوي، ونسج على منوالهما كبار الشعراء من أمثال أحمد شوقي ومحمود سامي البارودي.

- ١٢١٧ م. الحملة الصليبية الخامسة تتجه لغزو مصر

## ١٢١٧ م. مولد ابو عبد الله ابن شداد.

ابو عبد الله محمد عز الدين بن علي بن ابراهيم الحلبي. مؤرخ وجغرافي سوري (١٢١٧م-١٢٨٥م). نشأ في حلب وخدم الايوبيين فيها، ثم تركيا الى القاهرة عندما استولى المغول على حلب، فخدم في الاخيرة الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون. ويشتهر ابو عبد الله بن شداد بمؤلفه (الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) الذي كتبه في مصر على نمط الخطط المصرية وأرخ في اجزائه الثلاثة للشام والعراق. ويشتهر كذلك بسيرته للملك الظاهر (سيرة الملك الظاهر).١٢١٩ م. سقوط بخارى وسمرقند فى يد نكيز خان المغولى

- ١٢١٩ م. الحملة الصليبية الخامسة تستولى على دمياط
- ١٢٢٠ م. سقوط مدينة بخارى أمام قوات المغول تحت قيادة جنكيز خان بعد حصار دام ثلاثة أيام، وقام المغول بطرد أهل بخارى، وأعملوا السيف فيمن بقي بداخل المدينة، وأنهوا عملهم الوحشي بإحراق المدينة.
- ١٢٢٠ م / وفاة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، أحد سلاطين الدولة الخوارزمية، نجح في توسيع حدود دولته، وبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر. اصطدم بالمغول إبان ظهورهم على يد جنكيزخان الذي نجح في إلحاق هزائم متوالية بالخوارزميين والاستيلاء على دولتهم، وبعد وفاة محمد خوارزم شاه خلفه ابنه جلال الدين وواصل الجهاد ضد المغول
- ١٢٢١ م. فشل الحملة الصليبية الخامسة

## ١٢٢٦ م. مولد ابن العبرى.

ابو الفرج جريكجوريوس (غريغوريوس) يوحنا بن اهرون الملطي. مترجم وفيلسوف ومؤرخ وطبيب ومطران سوري سرياني (١٢٢٦م-١١٨٦م). ولد في ملطية من اسرة يهودية من اصل انطاكي، ولكن والده اعتنق المسيحية وثقف ابن العبري كي يصبح طبيبا وكاهنا مسيحيا. وقد عين راهبا في انطاكية، ثم اسقفا لملطية ثم حلب، ثم بطريركا ليعاقبة المشرق في عام ١٢٤٦م. وكان ابن العبري متمكنا من العلوم اليهودية والسريانية والعربية، وقد الف في

موضوعات شتى، وترجم الى السريانية (الاشارات والتنبيهات) وجزءا من (القـانون) لابـن سينا، وكتابي الغافقي (الادوية المفردة)، والابهري (زبدة الاسرار). والف ابن العبري (التاريخ العام) في ثلاثة اجزاء. الأول منها في التاريخ السياسي، والثاني والثالث في تـاريخ الكنيـسة المسيحية. كذلك ألف (صعود العقل)، و (مقالة في النفس البـشرية)، و (منـارة الاقـداس) و (تاريخ مختصر الدول). وقد عرف ابن العبري في الغرب باسم. Barbhebraes.

- ١٢٢٧ م. وفاة تيموجين بن يسوكاي بهادر، المعروف بجنكيـز خـان، مؤسـس إمبراطورية المغول، وواحد من أقسى الغزاة الذين نكب بهـم تـاريخ البـشرية، وارتكب من المذابح ما تقشعر لهولها الأبدان١٢٢٧ م. مولد الفقيه الشافعي الكبير تقي الدين محمد بن علي بن وهب، المعروف بابن دقيق العيد، أحد أعلام القـرن السابع الهجري. له مؤلفات كثيرة، ومواقف محمودة

## ١٢٢٧ م (٦٢٥ هـ). تشييد مدرسة المستنصرية.

تعد المدرسة المستنصرية في بغداد من الجامعات العربية الإسـلامية العريقـة التـي اشـتهرت بتـدريس علـوم القرآن،والـسنة النبوية،والمـذاهب الفقهيـة، وعلـوم اللغـة العربية،والرياضيات والفرائض،وعلوم الطب، ولعل أهم ما امتازت به هـذه المدرسـة عـن المدارس التى سبقتها والمعاصرة لها هو وجود بناية خاصة ملحقة بها، وكـان بـازاء بـاب المدرسة ساعة يستعان بها لمعرفة أوقات الصلاة والدرس صنعها نور الدين علي بـن تغلـب الساعاتى،وهو الذي كان يتولى العناية بها.

وقد بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله ببغداد جنب الرصافة على نهر دجلة ما بـين سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م، وشهر جمادى الآخـرة عـام ٦٣١ هـ / ١٢٣٤م، والمدرسـة المستنصرية عبارة عن بناء مستطيل مؤلف من فناء كبير محاط بأروقة،و في منتـصف كـل جهة إيوان بعرض ستة أمتار، ويحيط بكل إيوان قاعتان للتدريس، أما قاعات الطلبة فكانت من طابقين على طرفي الإيوانات، وقد أحاط المصمم كافة مرافق المدرسة كالحجرات والقاعـات والإيوانات والأروقة من جهاتها الأربع بإطار يضمها جميعاً ، بينما يتوسطها صـحن فـسيح طويل.

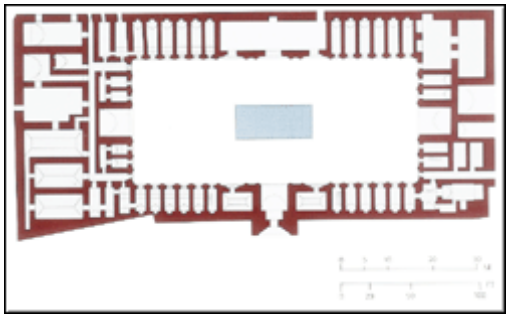

وأقيمت قاعات المحاضرات في الجهة الجنوبية التي ترتفع أسقفها بما يوازي طابقين من المبنى الواقع أمامها، والمكون من حجرات تعلوها بائكات بارتفـاع قاعـات المحاضـرات، ويفصل بينهما دهليز يبلغ ارتفاعه طابقين كذلك، ويتصل بالصحن الخـارجي عـن طريـق فجوتين جانبيتين في مواجهة الريح السائدة، وهكذا يندفع الهواء بضغط من الرياح الخارجيـة، ليملأ فراغ الدهليز، وبهذه المعالجة يكون تصميم المبنى وكأنه ملقف هواء أفقي كاشف عـن مدى إدراك المعماري المسلم لمبادئ علم (الإيروديناميكا) قبل أن يصل العلـم الحـديث إلـى تفاصيله.

- ١٢٢٨ م. الامبراطور فريدريك يبدأ الحملة الصليبية السلمية
- ١٢٢٩ م. عقد معاهدة بين السلطان الأيوبي الكامل بن العادل وفريدريك الثـاني إمبراطور الدولة الرومانية، بمقتضاها سلّم السلطان الكامل بيت المقدس صلحا إلى الإمبراطور الأوروبي١٢٢٩ م. دولة بنى رسول فى اليمن

## ١٢٢٩ م (٦٢٧ هـ). دولة الحفصيين.

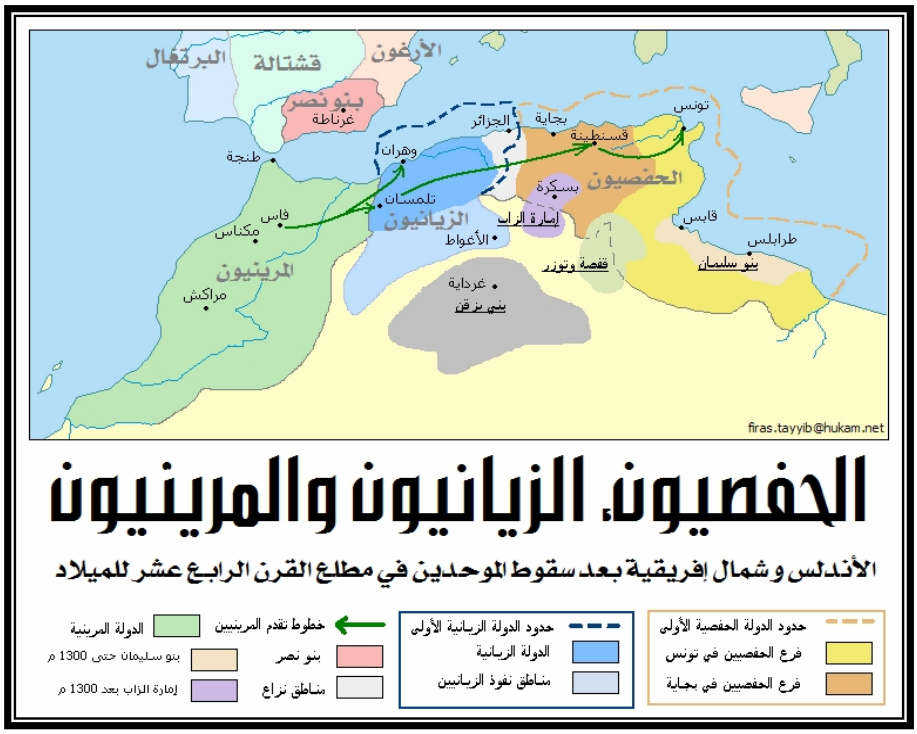


كانت هزيمة الموحدين في معركة العقاب بالأندلس سنة (٦٠٩هـ = ١٢١٢م) نـذيرا بهبوط دولتهم وتدهور قوتهم، فلم تكن هزيمة تحل بدولة ثم ما تلبث أن تسترد عافيتها، ولكنها كانت كارثة مدوية، فقدت الدولة زهرة شبابها وخلاصة جندها الشجعان، وخـسرت روحهـا الفتية المقاتلة وعزيمتها الماضية، وسرعان ما دب الضعف في كيان الدولة المترامي الأطراف في المغرب والأندلس، وظهر خلفاء ضعاف لا يملكون الشخصية القويـة والإدارة الحازمـة،

فانفلت منهم زمام الأمور، وضعفت قبضتهم على إدارة الدولة، وأخفقت محاولاتهم في إعـادة الأمن والاستقرار للدولة، ونشأ عن ذلك أن استغلت القبائل المغربية هذه الفرصـة الـسانحة، وأقاموا عدة دول بسطت نفوذها وسلطانها في منطقة المغرب، فقامت دولة بني مرين بالمغرب الأقصى (٦٦٨هـ – ٨٩٦هـ = ١٢٦٩ - ١٤٦٥م)، ودولة بني زيان بالمغرب الأوسـط - الجزائر وتلمسان - (٦٣٧ - ٩٦٢هـ = ١٢٣٩ - ١٥٥٥م)، والدولة الحفـصية بأفريقيـة (تونس).

## أصل الحفصيين.

ينتسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص يحيى بن عمرو الذي ينتمي إلى قبيلة هنتانـة، أعظم قبائل مصمودة التي عاشت بالمغرب الأقصى، واتخذت المعامل والحـصون، وشـيدت المباني والقصور، وامتهنت الفلاحة وزراعة الأرض، وكان للشيخ أبي حفص مكانة سامية في دولة الموحدين التي أقامها عبد المؤمن علي الكومي، وسبق أن تناولنا قيامها في ذكرى وفـاة مؤسسها في (١٠ من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ)، وكان لأولاد أبي حفص وأحفاده منزلـة رفيعة في الدولة، وعهد إليهم بمهام جليلة، وتقلبوا في مناصب الإدارة في المغرب والأندلس.

وبعد أن تولى أمر الدولة الموحدية "أبو محمد العادل بن أبي يوسف يعقوب المنـصور" سنة (٦٢١ هـ = ١٢٢٤م) عهد بولاية إفريقية إلى أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص، وكان في صحبته أخوه أبو زكريا، وقام الوالي الجديد بإعادة الهدوء والاستقرار بعـد أن عكرت صفوها الفتن والثورات، وقام بحملات على الخارجين على سلطان الدولـة، ومـا كادت الأمور تستقر حتى قفز على منصب الخلافة الموحدية أبو العلاء إدريس المأمون سـنة (٦٢٤هـ = ١٢٢٧م) بعد ثورة قادها ضد أخيه أبي محمد العادل، فرفض أبو محمد عبـد الله الحفصي بيعته والدخول في طاعته، فما كان من الخليفة الجديد إلا أن كتب بولاية أفريقية إلى أبي زكريا يحيى، فقبلها على الفور وسارع من تونس إلى القيروان، وتغلب على أخيـه أبـي محمد عبد الله، وتولى أمر البلاد سنة (٦٢٥هـ = ١٢٢٨م).

## أبو زكريا الحفصي مؤسس الدولة.

كانت سن أبي زكريا يوم بدأ حكمه سبعا وعشرين سنة هجرية، لكن ما أظهره من أول وهلة من براعة ومقدرة كان يدل على ما يتمتع به من نضج سياسي مبكر، ومهارة إدارية فذة، وسبق له أن حكم في منطقة إشبيلية بالأندلس، حيث كان واليا على بعض المقاطعات هناك.

وبعد قليل من ولايته خلع أبو زكريا طاعة أبي العلاء إدريس خليفة الموحدين، ولكنه لم يدع لنفسه بالأمر؛ تحسبا للموحدين الذين كانوا في ولايته، واتخذ تونس عاصمة له، وبدأ فـي

اكتساب محبة أهل أفريقية باتباع سياسة رشيدة، فأحسن معـاملتهم، وخفـف عـنهم أعبـاء الضرائب، ونظر في أمورهم، وراقب عماله وولاته، واستعان بأهل الخبرة والكفاءة، وقـرب الفقهاء إليه، فأسلت له البلاد قيادها ودانت له بالطاعة والولاء.

## توسيع مساحة ولايته.

ثم نهض أبو زكريا لإقرار سلطانه وبسط نفوذه في المناطق المجاورة، فزحف بجيـشه إلى قسطنطينة بالجزائر، فدخلها دون صعوبة وخرج أهلها لمبايعته في (شعبان ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م)، ثم اتجه إلى بجاية ففتحها ودخلت في سلطانه، وبذلك خرجت الولايتان من سـلطان دولة الموحدين، وأصبحتا تابعتين لأبي زكريا، ثم طاف بـالنواحي الـشرقية مـن ولايتـه، واستوثق من طاعة أهلها.

وكان رد الخلافة الموحدية على توسعات أبي زكريا على حساب دولتها ضعيفًا للغايـة، بل يكاد يكون معدوما، ولم يستطع الخلفاء الموحدون أن يمنعوا تفكك دولتهم، أو يقضوا علـى الحركات الانفصالية، فكانت الدولة مشغولة بالفتن والثورات التي تهب في الأندلس، بـل فـي مراكش عاصمة دولتهم.

## استقلال الدولة الحفصية.

عاد أبو زكريا الحفصي إلى تونس بعد حملته المظفرة، وأعلـن علـى رؤوس المـلأ استقلاله بالملك، وانقطاع تبعيته للموحدين رسميا، وبايع لنفسه بيعة عامة سـنة (٦٣٤هـ = ١٢٣٦م) وضرب السكة باسمه، وأمر أن يخطب له باسمه على كل منابر بلاده، ثم بايع لابنه أبي يحيى وليا للعهد سنة (٦٣٨هـ = ١٢٤٦م).

وفي (شوال ٦٣٩هـ = ١٢٤٢م) قام على رأس حملة ضخمة قدرها بعض المـؤرخين بستين ألف مقاتل، فدخل تلمسان، وأجبر واليها "يغمراسن" على الدخول في طاعته، والخطبـة باسمه، كما أدخل في طاعته القبائل العربية والبربرية في المناطق المحيطة.

وكان من أثر ازدياد قوته واتساع نفوذه أن هادنة بنومرين فـي المغـرب الأقـصى، وأقيمت الخطبة باسمه في عدد كبير من بلاد الأندلس التي لـم تقـع فـي بـراثن الأسـبان، واحتفظت بحريتها واستقلالها مثل. بلنسية، وإشبيلية، وشريش، وغرناطة.

## علاقاته الخارجية.

أصبحت الدولة الحفصية التي قام عليها مرهوبة الجانب، تسعى الدولة الأوروبية إلـى كسب ودها، خاصة التي تربطها بها مصالح اقتصادية وسياسية، فعقد مع البندقيـة، وبيـزة،

وجنوة معاهدات صداقة، وسلامة في الفترة ما بين سنتي (٦٢٨هـ – ٦٣٦هـ = ١٢٣١ - ١٢٣٩م)، وتضمنت هذه المعاهدات ضمان الأمن المتبادل للملاحة، ووضع لوائح للتبادل التجاري، ومنع فرص المسؤولية الجماعية بصورة آلية على النصارى ومصادرة تركاتهم، والاعتراف بقناصلهم.

## مساندة مسلمي الأندلس.

تطلع المسلمون في الأندلس إلى السلطان الحفصي؛ لحمايتهم من ضربات النصارى الأسبان، فاستنجد به (زيان من مردنيش) أمير بلنسية، بعد أن تعرضت لحصار شديد من ملك أرجونة "خايم الأول" وبعث إليه سنة (٦٣٥هـ = ١٢٣٨م) بسفارة على رأسها وزيره ابن الأبار الأديب الأندلس، فألقى بين يديه قصيدة مبكية، يستصرخه، فيها لنصرة الأندلس وحماية الدين، وهذا مطلعها.

**إن السبيل إلى منجاتها درسا ... أدرك بخيلك خيل الله أندلسا**

**فلم يزل منك عز النصر ملتمسا ... وهب لها منعزيز النصر ما التمست**

**فطال ما ذاقت البلوى صباح مسا ... عاش ما تعانيه حشاشتها**

**للنائبات وأمسى جدها تعسى ... يا للجزيرة أضحى أهلها جرزا**

وقد تأثر أبو زكريا بهذه القصيدة، وثارت في نفسه أخلاق المروءة والنجدة فبادر بتجهيز أسطول شحنه بالسلاح، والأقوات، والملابس؛ لإنجاد الثغر الأندلسي، وأقلعت على جناح السرعة من ثغر تونس متجهة إلى بلنسية.

ولو قدر لهذه النجدة أن تصل إلى المحصورين، وأن تمدهم بالسلاح والأقوات، لكان من الممكن أن تثبت أقدام الشعب المحاصر وتطول مقاومته، لكن هذه النجدة ما كادت تقترب من مياه الثغر المحاصر حتى طاردتها السفن الأرجونية، ومنعتها من دخول الميناء؛ فاضطرت هذه السفن أن تفرغ شحنتها في "دانية" وتعود أدراجها إلى تونس، ثم ما لبثت المدينة المحاصرة أن استسلمت في (١٧ من صفر ٦٣٦هـ = ٢٩ من سبتمبر ١٢٣٨م).

## ازدهار الدولة الحفصية.

كان لأبي زكريا عناية بشؤون الاقتصاد بتدبير المال، فامتلأت خزانة الدولة بـالأموال حتى إنه ترك ١٧ مليون دينار عند وفاته للدولة.

وقد استقبلت دولته مسلمي الأندلس الفارين من غزو النـصارى، وكـان مـن بيـنهم مهندسون وحرفيون، يحملون عناصر حضارة راقية، فنقلوا إلى الدولـة الحفـصية مكونـات حضارتهم وثقافتهم، كما تولى بعض الأندلسيين المناصب القيادية في الدولة، مثل ابن الأبـار الذي تولى الكتابة لأبي زكريا الحفصي.

فأدى استقرار الدولة وزيادة مواردها المالية بحسن تدبير أبـي زكريـا إلـى العنايـة بالشؤون الداخلية، فأنشأ أبو زكريا جامع القصبة وصومعته الجميلة في تونس، ونقش عليهـا اسمه، وأذن فيها بنفسه ليلة تمامها في (غرة رمضان ٦٣٠هـ = ١١ مـن يونيـو ١٢٢٣م)، وبنى مدارس كثيرة، وأنشأ سوق العطارين، وأنشأ مكتبة قصر القصبة التي ضمت ٣٦ ألـف مجلد.

## وفاة أبي زكريا.

مما لا شك فيه أن أبا زكريا كان من أبرز رجال القرن السابع الهجـري، أنـشأ دولـة قوية، ونشر الأمن في ربوعها، وقضى على حالة الاضطراب والفتن المزمنة التي لازمت هذه البلاد، وأقام ميزان العدل، وأحسن اختيار الرجال فطال عمرها، وتوالى على حكمهـا أبنـاؤه وأحفاده أكثر من ثلاثة قرون، وظل أبو زكريا على شؤون الدولة متوفرا عليها حتى لقي ربه في (٢٥ من جمادى الآخرة ٦٤٧هـ = ٥ من أكتوبر ١٢٤٩م).

- ١٢٣٢ م. دولة بنى الاحمر

## ١٢٣٢ م. مولد جمال الدين ابن منظور.

أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ولد في محـرم ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م في القاهرة على الأرجح. كان عالما في الفقه واللغة كمـا كـان قاضـي طرابلس. أشهر أعماله وأكبرها هو لسان العرب. عمل على اختصار وتلخيص عدد هائل من كتب الأدب المطولة، يقول الصفدي. «لا أعرف في الأدب وغيـره كتابـا مطـولا إلا وقـد اختصره وأخبرني ولده قطب الدين أنه ترك بخطه خمسمائة مجلدة». له شعر رقيق. عمي في آخر عمره وتوفي في مصر عام ٧١١ هـ/١٣١١ م.

## أهم مؤلفاته.

١. معجم لسان العرب في اللغة.

٢. مختار الأغاني.

٣. مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في عشرة مجلدات.

٤. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

٥. مختصر مفردات ابن البيطار.

٦. مختصر العقد الفريد لابن عبد ربه.

٧. مختصر زهر الآداب للحصري.

٨. مختصر الحيوان للجاحظ.

٩. مختصر يتيمة الدهر للثعالبي.

١٠. مختصر نشوان المحاضرة للتنوخي.

١١. مختصر الذخيرة.

- ١٢٣٣ م. وفاة مظفر الدين كوكبوري، أمير إربل، واحد من كبار القـادة الـذين شاركوا صلاح الدين الأيوبي في جهاده ضد الصليبيين، وسبق أن تناولنا ترجمته في ذكرى مولده ٢٧ من المحرم ٥٤٩م تحت عنوان "الأمير الفـارس والحـاكم الإنسان".

## ١٢٣٤ م. مولد الوطواط.

محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري الكتبي الـورقي ولقبـه جمـال الـدين والمعروف بالوطواط. عالم الأرض والزراعة والجغرافي وعالم الفلك. عـاش فـي القـرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

لم تذكر الموسوعات الكثير عن حياة الوطواط، ومن المعروف أنه عاش بمدينة القاهرة، وكان يحترف بيع الكتب بها، ولذلك لقب بالوراق، وتوفي بها عام ٧٨٤هـ /١٣٨٢ م .

اطلع الوطواط على الكتب الأصول في علم الفلك والزراعة، واهتم بكتب التراجم. وكان من العلماء الذين يرون أهمية ترابط العلوم وتداخلها، فكان اهتمامه بالزراعة مرتبطا بالفلـك والظروف البيئية الخاصة بالتربة وتكوين الأرض. ومن أهم كتبه في علم الزراعة كتاب.

مباهج الفكر ومناهج العبر في إبراز ودائع الفطر من إحراز الصور. وهو كتاب يبحث في مجالات علمية متعددة منها. خلق الأرض وكرويتها، وتكوين التربة في الكيمياء، والفلاحة

وزراعة الحبوب، والقحطاني وسائر أنواع النبات وارتباطها بالظروف البيئية الملائمة وميقات زراعتها، وكيفية الحفاظ عليها بالوسائل الزراعية المختلفة التي تحافظ على الزراعة وتنميهـا وتكثر المحصول، فكان كتابه بذلك من الكتب الأولى في تحسين الطرق الزراعية. ودرس فيه كذلك طرق الري الصالحة للزراعة تبعا لظروف التربة ونوع المحصول، وكان مـن الكتـب المراجع في هذا المجال. وقد احتفى به المستشرقون لأهميته وعكفوا على دراسته، واعتبـروه من الكتب العربية الأصول في علم الزراعة .

وقد ظل هذا الكتاب مجهولا لسنين عديدة، فالكثير مـن نـسخه المخطوطـة ناقـصة الصفحات حتى أنه نسب خطأ في إحدى النسخ إلى ابن العوام، وهو كتاب يتألف مـن ١٠٨٩ صفحة فيه رصد كامل لكل أنواع المزروعات .وللوطواط مجموعة رسائل بعنوان. عين الفتوة ومرآة المروة.

- ١٢٣٥ م. امراء الاندلس يطردون الموحدين من بلادهم
- ١٢٣٦ م. سقوط مدينة قرطبة حاضرة الخلافة الأموية فـي الأنـدلس وكبـرى قواعدها الكبرى في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة، بعد أن تخلّى عنها محمد بـن يوسف بن هود، وكان في إمكانه نجدتها لكنه لم يفعل١٢٣٨ م. سقوط عدة مـدن اندلسية (بلنسية – قرطبة)

## ١٢٣٦ م. مولد قطب الدين الشيرازى.

هو قطب الدين الشيرازي محمود بن مسعود بن مصلح الفارسـي. ولـد فـي شـيراز (إيران). وتعلم الطب على والده وعمه، ثم تتلمذ على "نصير الدين الطوسي". وقد زار عـدداً من البلدان، فذهب إلى خراسان، والعراق، وفارس، ومصر. ومارس الشيرازي إلـى جانـب نشاطه العلمي، القضاء والدبلوماسية حيث عين قاضياً في إحدى مدن فارس، ثـم دخـل فـي خدمة ملوكها. وقد أرسله أحدهم في بعثة إلى المنصور (سيف الدين قلاوون) سلطان المماليك في القاهرة، لعقد معاهدة سلام بين الطرفين. فبقي مدة في مصر،ثم رجع أخيراً إلى "تبريـز" حيث كانت وفاته سنة ٧١٠هـ/١٣١١م.

## إسهاماته العلمية.

يعد "جورج سارطون" قطب الدين الشيرازي من علماء الرياضيات، والفلك، والفيزياء، والفلسفة البارزين. وقد تجلت إسهاماته في الفيزياء في شرحه لقوس قزح "شرحاً وافيـاً هـو الأول من نوعه، فبين أن ظاهرة القوس هذه، تحدث من وقوع أشعة الشمس علـى قطيـرات

الماء الصغيرة الموجودة في الجو عند سقوط الأمطار، وحينئذ تعاني الأشعة انعكاساً داخلياً، وبعد ذلك تخرج الأشعة إلى عين الرائي".

أما في الفلك، فقد تابع أعمال أستاذه نصير الدين الطوسي، فطور نموذجاً فلكياً لعطارد كان الطوسي قد بدأه، كما شرح أفكار أستاذه الغامضة في الفلك والهندسة. وكان الشيرازي يعتمد في بحوثه على المشاهدة والتجربة والاستنتاج، مع الأخذ بالبرهان الرياضي على المسائل الفيزيائية والفلكية.

**مؤلفاته.**

**لقطب الدين مؤلفات عديدة، نذكر من أهمها.**

- "نهاية الإدراك في دراية الأفلاك"، وهو كتاب - كما يقول سارطون - يشتمل "على موضوعات مختلفة، تتعلق بالفلك، والأرض، والبحار، والفصول، والظواهر الجوية، والميكانيكا، والبصريات".
- "كتاب التحفة الشاهية في الهيئة" ؛
- "كتاب التبصرة في الهيئة" ؛
- "كتاب نزهة الحكماء وروضة الأطباء". وهو شرح وتعليق على كتاب القانون لابن سينا ؛
- "كتاب رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم" ؛
- "رسالة في البرص".

وللشيرازي أيضاً عدد آخر من المؤلفات في الفلك وفي علوم مختلفة. وقد توجه في أواخر حياته إلى التصوف، ووضع بعض المصنفات في علوم القرآن والحديث.

- ١٢٣٨ م. سقوط مدينة "بلنسية" في أيدي النصارى الأسبان؛ حيث رفعت أعلام "أراجون" على أعلى قمة أسوار المدينة، وتحولت المساجد إلى كنائس، بعد أن ظلت المدينة يحكمها المسلمون خمسة قرون
- ١٢٣٩ م. وفاة السلطانة "رضية الدين" إحدى سلاطين دولة المماليك بالهند، تولّت السلطنة بعد أبيها "شمس الدين التمش"، وعرفت بالحزم ورجاحة العقل، وحكمت نحوا من أربع سنوات

## ١٢٤١ م. مولد ابن جماعة.

بدر الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الله الكناني الحموي. رياضي ومهندس وفلكي وفقيه سوري. ولد عام ١٢٤١ وتوفي ١٣٣٣ م. نشأ في حماة ودرس علوم الرياضة

والفلك والفقه فيها. تولى الخطبة في المسجد الاقصى والقضاء في الشام ومصر حيث تـوفي فيها. يشتهر بمؤلفاته (مستند الاحفاد في آلات الجهاد) و (رسالة في الاسطرلاب) و (مختصر السيرة النبوية).َ

- ١٢٤٣ م. سقوط مرسية فى الاندلس
- ١٢٤٤ م. القوات الخوارزمية تسترد بيت المقدس
- ١٢٤٥ م. وفاة شيخ الإسلام "تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الـرحمن بـن عثمان" المعروف بابن الصلاح، أحد أئمة الحديث في القـرن الـسابع الهجـري، وصاحب المقدمة المشهورة في علم مصطلح الحديث "مقدمة ابن الصلاح"
- ١٢٤٨ م. سقوط اشبيلية الاسلامية فى الاندلس
- ١٢٤٨ م. الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع تتجمع فى قبرص
- ١٢٤٨ م. سقوط مدينة إشبيلية، كبرى الحواضر الأندلسية فـي أيـدي "فرنانـدو الثالث" ملك قشتالة. كان سقوطها تاليا لسقوط عدد من المدن الإسلامية الأندلسية، مثل. قرطبة، وبلنسية، وجيان. وأصبح الوجود الإسلامي في الأندلس محـصورا في مملكة غرناطة في الجنوب
- ١٢٤٩ م. سقوط دمياط فى يد لويس التاسع
- ١٢٤٩ م. وفاة أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحـد بـن أبـي حفـص، المعروف بأبي زكريا الحفصي، مؤسس الدولة الحفصية التي قامت فـي تـونس وضمت الجزائر، وقد ظلت الدولة الحفصية قائمة أكثر من ثلاثة قـرون، حتـى سقطت في أيدي الدولة العثمانية
- ١٢٤٩ م. حكام البرتغال يطردون المسلمين منها
- ١٢٥٠ م. هزيمة لويس التاسع فى المنصورة
- ١٢٥٢ م. وفاة عالم اللغة الكبير "رضي الدين الحسن بن محمد بن الحـسن بـن حيدر علي"، المعروف بالصاغاني، أحد أئمة اللغة الكبـار فـي القـرن الـسابع الهجري، وصاحب المؤلفات اللغوية المعروفة، ومن أشهرها. العباب الزاخر وهو معجم كبير، والتكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية.
- ١٢٥٤ م. الفونسو العاشر يؤسس مدرسة للدراسات اللاتينية والعربية فى اشبيلية

## ١٢٥٦ م. مولد ابن البناء.

عالم مراكشي متفنن في علوم جمة، برز بصفة خاصـة فـي الرياضـيات، والفلـك، والتنجيم، والعلوم الخفية، وكذلك في الطب".

وهو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بأبي العباس بن البناء المراكشي. كان أبوه بناء. ولد في مراكش بالمغرب عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وقضى أغلب فترات حياته بهـا، وهذا هو السبب في انتسابه لها، وبها درس النحو والحديث والفقه، ثم ذهب إلى فاس و درس الطب والفلك والرياضيات. وكان من أساتذته ابن مخلوف السجلماسي الفلكي، وابـن حجلـة الرياضي. وقد حظي ابن البناء بتقدير ملوك الدولة المرينية في المغرب الذين استقدموه إلـى فاس مراراً. وتوفي في مدينة مراكش عام ٧٢١هـ/١٣٢١م.

## إسهاماته العلمية.

من إسهامات ابن البناء في الحساب أنه أوضح النظريات الصعبة والقواعد المستعصية، وقام ببحوث مستفيضة عن الكسور، ووضع قواعد لجمع مربعات الأعداد ومكعباتها، وقاعـدة الخطأين لحل معادلات الدرجة الأولى، والأعمال الحسابية. وأدخل بعض التعديل على الطريقة المعروفة "بطريقة الخطأ الواحد" ووضع ذلك على شكل قانون.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن ابن البناء قد تفوق على من سبقه مـن علمـاء الرياضة من العرب في الشرق وخاصة في حساب الكسور، كما عد من أهم الذين اسـتعملوا الأرقام الهندية في صورتها المستعملة عند المغاربة.

## مؤلفاته.

ألف ابن البناء أكثر من سبعين كتاباً في الحساب، والهندسة، والجبر، والفلك، والتنجيم، ضاع أغلبها ولم يبق إلا القليل منها، وأشهرها.

- "كتب تلخيص أعمال الحساب". يعترف "سمث" و"سارطون" بأنه من أحسن الكتب التي ظهرت في الحساب. وقد ظل الغربيون يعملون به إلـى نهايـة القرن السادس عشر للميلاد، وكتب كثير من علماء العرب شـروحاً لـه، واقتبس منه علماء الغرب. كما اهتم به علمـاء القـرنين التاسـع عـشر والعشرين. وقد ترجم إلى الفرنسية عام ١٨٦٤م علـى يـد مـار Marre، ونشرت ترجمته في روما. وقد أعاد ترجمته إلى الفرنسية الدكتور محمـد سويسي، ثم نشر النص والترجمة مع تقديم وتحقيق سنة ١٩٦٩.
- "مقالات في الحساب"، وهو بحث فـي الأعـداد الـصحيحة، والكـسور، والجذور، والتناسب ؛
- "كتاب الجبر والمقابلة" ؛
- "كتاب الفصول في الفرائض" ؛

- "رسالة في المساحات" ؛
- "كتاب الأسطرلاب واستعماله" ؛
- "كتاب اليسارة في تقويم الكواكب السيارة" ؛
- "منهاج الطالب في تعديل الكواكب"، وقد حقق المستشرق الإسباني فيرنه خينس مقدمة الكتاب وبعض فصوله وترجمها إلى الإسبانية سنة ١٩٥٢ ؛
- "كتاب أحكام النجوم".

وقد صدر للأستاذين محمد أبلاغ وأحمد جبار كتاب بعنوان "حياة ومؤلفات ابن البنا" ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة ٢٠٠١، يتضمن جرداً شاملاً لمؤلفاته.

- ١٢٥٦ م. حدث بركاني في الحجاز في سنة ٦٥٤ للهجرة "١٢٥٦ م"، إذ ثارت إحدى الحرات في شرقي المدينة، واستمر هيجانها بضعة أسابيع، وقد وصل ماسال من حممها إلى مسافة بضعة كيلومترات فقط من المدينة التي كان نجاتها من الأعاجيب

**١٢٥٦ م. مولد أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي، المعروف بأبي حيان الغرناطي، أحد أئمة اللغة والحديث والتفسير في القرن السابع الهجري، ولد بغرناطة وتعلم بها، ثم انتقل إلى القاهرة واستقر بها، ومنها طارت شهرته وعرفه الناس، وأشهر مؤلفاته تفسيره المعروف بالبحر المحيط.**

في إحدى ضواحي مدينة غرناطة الأندلسية ولد "أثير الدين محمد بن يوسف"، المعروف بأبي حيان في (آخر شوال ٦٥٤هـ = ١٩ من نوفمبر ١٢٥٦م)، وبها نشأ وتعلم، فكان مترددا على حلقات العلم المنتشرة في المساجد، وكانت غرناطة آنذاك كبرى حواضر العلم الأندلسية، بعد أن انحسرت دولة الإسلام وتقلصت أراضيها في الأندلس، فدرس الفقه والحديث، ومالت نفسه إلى النحو واللغة والقراءات، فأقبل على تعلمها بهمة عالية ورغبة شديدة، وتتلمذ على أبي جعفر بن الزبير، وابن أبي الأحوص، وأبي الحسن الأبذى، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، ودرس الفقه والأصول والحديث والتفسير.

ولم يكتفِ أبو حيان بما حصل، بل طوف في بلاد الأندلس يقابل الشيوخ الأعلام، ويتتلمذ عليهم، فرحل إلى مالقة والمرية، ثم بدأت رحلته الكبرى إلى بلاد المشرق.

## الرحلة إلى الشرق.

خرج أبو حيان من موطنه إلى المشرق شابا في الخامسة والعشرين من عمـره، سـنة (٦٧٩هـ = ١٢٨٠م) فنزل بجاية وتونس والإسكندرية، ثم رحل إلى مكة، وأدى بها فريضة الحج، ثم عاد إلى مصر، فدخلها في سنة (٦٩٥هـ = ١٢٩٥م).

وهذه الرحلة الطويلة قضاها في طلب الحديث واللغة والنحو القراءات، فلا يحل ببلدة إلا اتصل بشيوخها وتلقى عنهم، ولهذا كثرت شيوخه كثرة مفرطة. ولم يشتهر أحد مـن النحـاة بكثرة الشيوخ مثلما اشتهر أبي حيان، ويشير هو إلى ذلك بقوله. "وجملة الذين سـمعت مـنهم أربعمائة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقيا وديار والحجاز والعراق والشام"، وقد ذكر المقري في "نفح الطيب" شيوخ أبـي حيان والكتب التي درسها عليهم.

## الاستقرار في القاهرة.

نزل أبو حيان القاهرة تسبقه شهرته في النحو وتمكنه من القراءات، وبراعته في اللغة، وكانت القاهرة تعيش فترة من أزهى فتراتها العلمية، فاستقبلت الوافد الجديد استقبالاً حسنًا، ولم تضن عليه بما يستحقه من تقدير وإكبار، فأسندت إليه تدريس الحديث في المدرسة النصورية، وفي الوقت الذي صار فيه شيخًا يشار إليه بالبنان كان تلميذًا في حلقة العالم الكبير بهاء الدين ابن النحاس يتلقى عليه القراءات، فلما توفى ابن النحاس خلفه أبو حيان في حلقتـه، وجلـس مكانه لإقراء الناس القرآن، وعهد إليه بتدريس النحو في جامع الحاكم بالقاهرة سنة (٧٠٤هـ = ١٣٠٤م).

وفي القاهرة طالت به الحياة، واتسعت شهرته، وتحلق حوله طلاب العلم من كل مكان، وكان ابن حيان يعجب بطلابه الأذكياء فيحنو عليهم ويساعدهم ويتودد إليهم، لا يمنعه جـلال منصبه ولا عظم هيبته أن يفعل ذلك معهم، فتألق بعضهم في حياته ونال منزلة كبيـرة، مثـل تقي الدين السبكي الفقيه الشافعي المعروف، وجمال الدين الإسنوي الفقيه المـؤرخ، وابـن أم قاسم، وابن عقيل قاضي القضاة، وبرهان الدين أبو إسحاق السفاقصي، وكمـال الـدين أبـي الفضل الأدفوي، صاحب كتاب "الطالع الصعيد"، الذي ألفه امتثالاً لرغبة شيخه أبـي حيـان، وصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي الذي ترجم لشيخه ترجمه وافية فـي كتابيـه "الـوافي" و"أعيان العصر".

ولم يكن عند أبي حيان مطمع في منصب أوجاه مثلما كان يفعل بعض العلماء، ولكنه استغنى عن ذلك بالانشغال في تحصيل العلم وتدريسه، والإخلاص في نشره، ولم يجد في غيره لذة وسعادة كالتي يجدها حين يقرأ كتابا أو يطالع مسألة من العلم، وعبر هو عن ذلك بأبيات رقيقة من الشعر، قال فيها.

| | |
|---|---|
| **أعاذل. ذرني وانفرادي عن الورى** | **فلست أرى فيهم صديقًا مصافيا** |
| **نـداماى كتـب أسـتفيد علومهـا** | **أحباي تغني عن لقائي الأعاديا** |
| **وآنسها القرآن فهـو الـذي بـه** | **نجاتي إذا فكرت أو كنت تاليـًا** |

وفي الوقت الذي أعرض فيه عن السعي وراء المناصب كان ذو الجاه والسلطان يرجون وده ويطلبون صداقته، فكانت علاقته مع نواب السلطنة والسلاطين أنفسهم جيدة، وكانت له صداقة خاصة مع الأمير سيف الدين أرغون كافل المملكة المصرية، وكان يتبسط معه في الحديث، وكان السلطان الناصر قلاوون يجله ويعظمه، وله في نفسه مكانة لا تدانى.

وبلغ من مكانته وتقدير الناس له أنه مدح كما يمدح الأمراء والسلاطين، لا رغبة في نوال ولا طمعا في مال، وإنما مدح مديح المحب لمن يعرف قدر من يمدحه، فهو يمدح اختيارا لا اضطرارا، وممن مدحه من أهل الأدب محيي الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الرسائل في مصر، وصدر الدين بن الوكيل، ونجم الدين الإسكندري، والقاضي ناصر الدين شافع، وخليل من أيبك الصفدي.

وقد فطن إلى هذه الظاهرة صدر الدين بن الوكيل حين زاره ابن حيان في منزله فلم يجده، فكتب له على مصراع الباب ما يفيد أنه حضر للزيارة، فلما جاء ابن الوكيل وقرأ ما كتبه ابن حيان على الباب قال.

| | |
|---|---|
| **قالوا. أبو حيان – غير مدافع -** | **ملك النحاة، فقلت بالإجماع** |
| **اسم الملوك على النقود. وإنني** | **شاهدت كنيته على المصراع** |

## مؤلفاته وكتبه.

أجمع المترجمون لأبي حيان على تبحره في علوم اللغة والنحو والقراءات والتفسير، ووصفه تلميذه النابغة خليل بن أيبك الصفدي بقوله. ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه؛ لأني

لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب، ولم أره غير ذلك؛ لذلك لم يكن من الغريب أن تكثـر مؤلفاته، وألا يدع فنًا من فنون العربية إلا وضع فيه مؤلفًا، فصنف في التفسير وفـي الفقـه والنحو الصرف واللغة والقراءات، ومن تلك المؤلفات.

- التذييل والتكميل، وهو شرح على التسهيل لابن مالك في النحو، وقد طبع الكتـاب بتحقيق حسن هنداوي في أربعة أجزاء ونشرته دار القلم السورية.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، في النحو أيضا، والكتاب مطبوع أكثـر مـن مرة في القاهرة.
- إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، وقد طبع الكتاب سنة ١٩٣٦م بتحقيـق محمد سعيد بن مصطفى الوردي.

**وله كتب في القراءات، مثل.**

- كتاب النافع في قراءات نافع
- كتاب الأثير في قراءة ابن كثير
- الروض الباسم في قراءة عاصم
- غاية المطلوب في قراءة يعقوب
- تقريب النائي في قراءة الكسائي.

وكان ابن حيان يجيد الفارسية والتركية والحبشية إلى جانب اللغة العربية، وألف بهمـا، فيذكر الصفدي في ترجمته لشيخه أبي حيان عدة مؤلفات له بهذه اللغات، منها.

- ذهو الملك في نحو الترك
- الإدراك في لسان الأتراك، وقد طبع هذا الكتاب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٩هـ
- منطق الخرس في لسان الفرس
- نور الغبش في لسان الحبش

## ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ). تسليم الخليفة العباسي "بغداد" عاصمة الخلافة العباسـية إلى هولاكو، معلنا بذلك سقوطها وسقوط دولته التي حكمـت العـالم الإسـلامي خمسة قرون.

نجح جنكيز خان في إقامة إمبراطورية كبيرة ضمن أقاليم الصين الـشمالية، واسـتولت على العاصمة بكين، ثم اصطدم بالدولة الخوارزمية التي كانت تجاوره بسبب سوء تـصرف حاكمها "محمد خوارزم شاه". وانتهى الحال بأن سقطت الدولة وحواضرها المعروفـة مثـل. "بخارى"، "وسمرقند"، و"نيسابور" في يد المغول بعد أن قتلوا كل من فيها من الأحياء، ودمروا

كل معالمها الحضارية، وتوفي جنكيز خان سنة (٦٢٤هـ = ١٢٢٣م) بعد أن سيطرت دولته على كل المنطقة الشرقية من العالم الإسلامي.

## الاستعداد لغزو الخلافة العباسية.

بعد سلسلة من الصراعات على تولي السلطة بين أمراء البيت الحاكم تولى "منكوقآن بن تولوي بن جنكيز خان" عرش المغول في (ذي الحجة ٦٤٨هـ = إبريل ١٢٥٠م). وبعد أن نجح في إقرار الأمن وإعادة الاستقرار في بلاده اتجه إلى غزو البلاد التي لم يتيسر فتحها من قبل، فأرسل أخاه الأوسط "قوبيلاي" على رأس حملة كبيرة للسيطرة على جنوب الصين ومنطقة جنوب شرق آسيا، وأرسل أخاه الأصغر هولاكو لغزو إيران وبقية بلاد العالم الإسلامي، وعهد إليه بالقضاء على طائفة الإسماعيلية وإخضاع الخلافة العباسية.

خرج هولاكو على رأس جيش كبير يبلغ ١٢٠ ألف جندي من خيرة جنود المغول المدربين تدريبا عاليا في فنون القتال والنزال ومزودين بأسلحة الحرب وأدوات الحصار، وتحرك من "قراقورم" عاصمة المغول سنة (٦٥١هـ = ١٢٥٣م) متجها نحو الغرب تسبقه سمعة جنوده في التوغل والاقتحام، وبأسهم الشديد في القتال، وفظائعهم في الحرب التي تزرع الهلع والخوف في النفوس، ووحشيتهم في إنزال الخراب والدمار في أي مكان يحلون به.

## القضاء على الإسماعيلية.

وعندما وصل هولاكو إلى الأراضي الإيرانية خرج أمراؤها لاستقباله وأمطروه بالهدايا الثمينة وأظهروا له الولاء والخضوع، ثم عبر هولاكو نهر جيحوم واتجه إلى قلاع طائفة الإسماعيلية، ودارت بينه وبينها معارك عديدة انتهت بهزيمة الطائفة ومقتل زعيمها "ركن الدين خورشاه".

وكان لقضاء المغول على طائفة الإسماعيلية وقع حسن عم العالم الإسلامي على الرغم مما عاناه من وحشية المغول وتدميرهم؛ وذلك لأن الإسماعيلية كانت تبث الرعب والفزع في النفوس، وأشاعت المفاسد والمنكرات، وأذاعت الأفكار المنحرفة، وكان يخشى بأسها الملوك والسلاطين.

## رسائل متبادلة.

نجح هولاكو في تحقيق هدفه الأول بالقضاء على الطائفة الإسماعيلية وتدمير قلاعها وإبادة أهلها، وبدأ في الاستعداد لتحقيق هدفه الآخر بالاستيلاء على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية؛ فانتقل إلى مدينة "همدان" واتخذها مقرا لقيادته، وكان أول عمل قام به أن

أرسل إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله رسالة في (رمضان ٦٥٥ هـ = مارس ١٢٥٧ م) يدعوه فيها إلى أن يهدم حصون بغداد وأسوارها ويردم خنادقها، وأن يأتي إليه بشخصه ويسلم المدينة له، وأوصاه بأن يستجيب حتى يحفظ مركزه ومكانته ويضمن حريته وكرامته، وإن أبى واستكبر فسيحل بأهله وبلاده الدمار والخراب، ولن يدع أحدا حيا في دولته.

جاء رد الخليفة العباسي على كتاب هولاكو شديدا ودعاه إلى الإقلاع عن غروره والعودة إلى بلاده، ثم أرسل هولاكو رسالة ثانية إلى الخليفة ذكر له فيها أنه سوف يبقيه في منصبه بعد أن يقر بالتبعية للدولة المغولية، ويقدم الجزية له؛ فاعتذر الخليفة العباسي بأن ذلك لا يجوز شرعا، وأنه على استعداد لدفع الأموال التي يطلبها هولاكو مقابل أن يعود من حيث أتى.

كان رد هولاكو على رسالة الخليفة أشد إنذارا وأكثر وعيدا وفي لهجة عنيفة وبيان غاضب وكلمات حاسمة؛ فحل الفزع في قلب الخليفة؛ فجمع حاشيته وأركان دولته واستشارهم فيما يفعل؛ فأشار عليه وزيره "ابن العلقمي" أن يبذل الأموال والنفائس في استرضاء هولاكو وأن يعتذر له، وأن يذكر اسمه في الخطبة، وينقش اسمه على السكة، فمال الخليفة إلى قبول هذا الرأي في بداية الأمر غير أن مجاهد الدين أيبك المعروف بـ"الدويدار الصغير" رفض هذا الاقتراح، وحمل الخليفة العباسي على معارضته متهما ابن العلقمي بالخيانة والتواطؤ مع هولاكو؛ فعدل الخليفة عن رأيه السابق ومال إلى المقاومة.

## حصار بغداد.

يئس هولاكو من إقناع الخليفة العباسي بالتسليم؛ فشرع في الزحف نحو بغداد وضرب حولها حصارا شديدا، واشتبك الجيش العباسي الذي جهزه الخليفة العباسي بقيادة مجاهد الدين أيبك بالقوات المغولية فكانت الهزيمة من نصيبه، وقتل عدد كبير من جنوده لقلة خبرتهم بالحروب وعدم انضباطهم، وفر قائد الجيش مع من نجا بنفسه إلى بغداد.

كان الجيش المغولي هائلا يبلغ حوالي ٢٠٠ ألف مقاتل مزودين بآلات الحصار، ولم تكن عاصمة الخلافة العباسية تملك من القوات ما يمكنها من دفع الحصار ودفع المغول إلى الوراء، في الوقت الذي كان يظن فيه هولاكو أن ببغداد جيشا كبيرا، ثم تكشفت له الحقيقة حين اشتد الحصار، ونجحت قواته في اختراق سور بغداد من الجانب الشرقي، وأصبحت العاصمة تحت رحمتهم.

## سقوط بغداد.

أحس الخليفة بالخطر، وأن الأمر قد خرج من يديه؛ فسعى في التوصل إلى حل سـلمي مع هولاكو، لكن جهوده باءت بالفشل؛ فاضطر إلى الخروج من بغداد وتسليم نفسه وعاصـمة الخلافة إلى هولاكو دون قيد أو شرط، وذلك في يوم الأحد الموافق (٤ من صفر ٦٥٦ هـ= ١٠ فبراير ١٢٥٨م) ومعه أهله وولده بعد أن وعده هولاكو بالأمان.

كان برفقه الخليفة حين خرج ٣ آلاف شخص من أعيان بغداد وعلمائها وكبار رجالها، فلما وصلوا إلى معسكر المغول أمر هولاكو بوضعهم في مكان خاص، وأخذ يلاطف الخليفـة العباسي، وطلب منه أن ينادي في الناس بإلقاء أسلحتهم والخروج مـن المدينـة لإحـصائهم، فأرسل الخليفة رسولا من قبله ينادي في الناس بأن يلقوا سلاحهم ويخرجوا من الأسوار، ومـا إن فعلوا ذلك حتى انقض عليهم المغول وقتلوهم جميعا.

ودخل الغزاة الهمج بغداد وفتكوا بأهلها دون تفرقة بين رجال ونساء وأطفال، ولم يسلم من الموت إلا قليل، ثم قاموا بتخريب المساجد ليحصلوا على ذهب قبابها، وهـدموا القـصور بعد أن سلبوا ما فيها من تحف ومشغولات قيمة، وأتلفوا عددا كبيرا من الكتب القيمة، وأهلكوا كثيرا من أهل العلم فيها، واستمر هذا الوضع نحو أربعين يوما، وكلما مشطوا منطقة أشـعلوا فيها النيران، فكانت تلتهم كل ما يصادفها، وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة، ومشهد الإمام موسى الكاظم، وغيرها من البنايات التي كانت آية من آيات الفن الإسلامي.

وبالغ المؤرخون في عدد ضحايا الغزو المغولي حين دخلوا بغـداد، فقـدرهم بعـض المؤرخين بمليون وثمانمائة ألف نسمة، على حين قدرهم آخرون بمليون نسمة، وفـي اليـوم التاسع من صفر دخل هولاكو بغداد مع حاشيته يصحبهم الخليفة العباسي، واستولى على مـا في قصر الخلافة من أموال وكنوز، وكانت الجيوش المغولية أبقت على قصر الخلافة دون أن تمسه بسوء، ولم يكتف هولاكو بما فعله جنوده من جرائم وفظائع في العاصمة التليـدة التـي كانت قبلة الدنيا وزهرة المدائن ومدينه النور، وإنما خـتم أعمالـه الهمجيـة بقتـل الخليفـة المستعصم بالله ومعه ولده الأكبر وخمسه من رجاله المخلصين الذين بقوا معه ولم يتركوه في هذه المحنة الشديدة.

وبمقتل الخليفة العباسي في (١٤ من صفر ٦٥٦ هـ = ٢٠ من فبراير ١٢٥٨م) تكون قد انتهت دولة الخلافة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي خمسة قرون من العاصمة بغـداد لتبدأ بعد قليل في القاهرة عندما أحيا الظاهر بيبرس الخلافة العباسية من جديد.

- ١٢٦٠ م. سقوط مدينة حلب في يد التتار، وهي أول مدينة شامية واجهت الغـزو المغولي بعد سقوط بغداد

- ١٢٦٠ م (٦٥٨ هـ). معركة عين جالوت
- ١٢٦٢ م. إحياء الخلافة العباسية في مصر بعد أن سقطت في أيدي المغول الذين استباحوا المدينة التليدة، وقتلوا ما يزيد عن المليون وأضرموا النيران وخربوا وهدموا

## ١٢٦٢ م. وفاة الحسن المراكشي.

هو أبو علي الحسن بن علي بن عمر المراكشي، من علماء المغرب، عاش في عصر الموحدين في النصف الأول من القرن السابع الهجري / منتصف القرن الثالث عشر للميلاد.

وقد اشتهر المراكشي في الفلك، والرياضيات، والجغرافيا، وصناعة الساعات الشمسية.

## إسهاماته العلمية.

له بحوث في المثلثات مع إدخال عدد من التجديدات عليها. فقد أدخل فيها الجيب، وجيب التمام، والسهم. وعمل أيضاً الجداول للجيب، كما جاء بحلول لبعض المسائل الفلكية. وقدم تفصيلات عن أكثر من ٢٤٠ نجماً لسنة ٦٢٢هـ. وهو أول من استعمل الخطوط الدالة على الساعات المتساوية.

وإضافةً إلى ذلك، فقد قام المراكشي بإدخال تصحيحات جغرافية مهمة، وجدد في رسم خريطة المغرب.

## مؤلفاته.

- "جامع المبادئ والغايات في علم الميقات". بهذا الكتاب اشتهر المراكشي بين علماء الغرب، واعتبروه من أعظم فلكيي العرب والمسلمين. واعتبر حاجي خليفة الكتاب أعظم ما صنف في هذا الفن، وقال إنه مرتب على أربعة فنون، هي الحساب، ووضع الآلات، والعمل بالآلات، ومطارحات تحصل بها الدراية والقوة على الاستنباط ؛ وهو يشتمل على بعض المسائل في الجبر والمقابلة. أما "سارطون" فيقول عنه إنه من أحسن الكتب وفيه بحوث نفيسة في المثلثات، والساعات الشمسية المتنوعة. وقد ترجمه "إمانويل سيديو"، ونشر ابنه (لويس أميلي سيديو) هذه الترجمة ١٨٣٦-١٨٣٤، كما أن "كارادي فو" نشر من هذا الكتاب الجزء المتعلق بالأسطرلاب.

**وللمراكشي كتب أخرى في الرياضيات منها.**

- "كتاب القطوع المخروطية" ؛

- "رسالة تلخيص العمل في رؤية الهلال".
- ١٢٦٢ م (٦٦٠ هـ). وفاة عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، المعروف بعز الدين بن عبد السلام، أحد الأئمة الأعلام في الفقه والحديث والقضاء، اشتهر بمواقفه العظيمة في مواجهة الحكام، والجهر بكلمة الحق، حتى عرف بسلطان العلماء

## ١٢٦٢ م. مولد ابن طباطبا.

جلال الدين ابو جعفر محمد بن تاج الدين ابو الحسن علي، ابن الطقطقي. مؤرخ وفقيه عراقي (١٢٦٢م-١٣٢٠م). نشأ في الحلة بالعراق، وتزعم العلويين فيها وفي النجف وكربلاء. يشتهر بمؤلفه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية (الذي يتناول سياسة الدول الاسلامية وادارتها مثلما يتناول تاريخها وواجبات القائمين عليها. وهو من اول الكتب النقدية السياسية التي تتعرض لاخلاقيات السياسة ولواجبات الحاكم تجاه المحكومين.

## ١٢٦٣ م. مولد "أحمد بن عبد الحليم بن تيمية"، المعروف بابن تيمية، الفقيه المجتهد، وأحد أئمة العلم في القرن السابع الهجري، وصاحب الفتاوى المشهورة باسمه، ومنهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل.

تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري. فيلسوف وفقيه حنبلي تركي (١٢٦٣-١٣٢٨م). ولد في حران في تركيا ثم هاجر مع اهله وهو في السابعة الى دمشق. كان ابوه فقيها مشهورا، عمل مدرسا بالجامع الكبير في دمشق، وتبعه ابنه تقي الدين فعمل فيه هو ايضا. وقد زار ابن تيمية مصر ودرس فيها ولكنه رجع الى دمشق وتوفي فيها.

وقد قضى ابن تيمية حياته في الدفاع عن علوم الكلام ومهاجمة الفلسفة والمنطق الاغريقيين، والرد على فلاسفتهم، واتباعهم، وعرض المنطق الاسلامي ومنهجه الاستقرائي. وقد اشتهر باجتهاده وتحرره حتى حرض عليه الفقهاء السلطان فسجن في كل من القاهرة والاسكندرية ودمشق. واهم مؤلفاته (الرد على المنطقيين) او (نصيحة اهل الايمان في الرد على منطق اليونان). وقد لخصه السيوطي في (جود القريحة في تجريد النصيحة).

وكذلك الف ابن تيمية في هذا الموضوع كتابا مختصرا هو (نقض المنطق)، وفي مناقشة الفلاسفة عامة (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، وفي بحث الصفات الالهية ومناقشة الفرق المختلفة (الرسالة التدمرية). وقد الف ابن تيمية في اصول الولاية وحدود الحكم وشؤون الدولة الادارية والمالية (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية) و (الحسبة في الاسلام) و (الفتاوى) و (الجوامع) و (الايمان).

- ١٢٦٥ م. وفاة هولاكو حفيد جنكيز خان مؤسس الدولة الإيلخانية، وقائد الحملات الهمجية على العالم الإسلامي
- ١٢٦٧ م. إقامة صلاة الجمعة لأول مرة بالجامع الأزهر في عهد الظاهر بيبرس سلطان مصر، بعد أن انقطعت فيه نحو قرن من الزمان على يد صـلاح الـدين الذي أبطل الخطبة بالجامع الأزهر حيث كان معقلا للشيعة الإسماعيلية.
- ١٢٦٨ م. الظاهر بيبرس يسترد امارة انطاكية من الصليبيين

## ١٢٦٩ م. دولة بنى مرين فى مراكش.

أو المرينيون. سلالة بربرية حكمت مراكش في الفترة من ١١٩٥ - ١٤٦٨م. شـيدوا دولتهم على انقاض دولة الموحدين بعد ان احتلوا عاصمتهم مراكش عام ١٢٦٩ م. اشـتركوا في غزو وحكم الاندلس. من أشهر ملوكهم. ابو الحسن الذي احتل تلمسان في الجزائـر عـام ١٣٣٧م، وابنه ابو عنان الذي حكم عام ١٣٤٨م. ازدهر البلاط الفاسي، ولمع ابن خلـدون و ابن الخطيب و ابن بطوطة في عهدهم. من أهم مآثرهم الخالدة جامعة القرويين في فاس التـي تعتبر أول جامعة في العالم.

- ١٢٦٩ م (٦٦٩ هـ). وفاة ابن سبعين الفيلسوف الصوفى الاندلسى
- ١٢٧٠ م. الحملة الصليبية على تونس بقيادة لويس التاسع وفشله
- ١٢٧٣ م. وفاة الشاعر الصوفي الكبير جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن الحسين، المعروف بـ"جلال الدين الرومي"، صاحب الـديوان المعـروف باسـم "مثنوي"، ومؤسس الطريقة المولوية
- ١٢٧٣ م. مولد النحوى الشهير محمد بن داود بن آجروم الذى نظم عدة اراجيـز فى القراءاتواهم مؤلفاته " المقدمة الاجرومية فى مبادىء علم العربية "

## ١٢٧٣ م. مولد المؤرخ ابو الفدا.

اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر بن شاهنشا بن ايوب الملقب بعماد الدين الايـوبي. مؤرخ وجغرافي وموسوعي واميرسوري. ولد في دمشق عام ١٢٧٣م، وتوفي فيها ايضا عام ١٣٣١م. كان ابوه هو الملك الافضل الذي هرب الى دمشق فرارا من المغول، وقد خدم ابـو الفدا السلطان الناصر وزاره في القاهرة، وحج معه وحارب معه الصليبيين، وثبته الـسلطان الناصر في عام ١٣١٠م واليا له على حماة.

وتقوم شهرة ابي الفدا على كتابين جمعهما ورتبهما عما سـبقه مـن مـؤلفين اغريـق كبطليموس، ومسلمين كابن الاثير والطبري. وقد وصف (كريمر) منهجه بأنه تصنيف هزيـل

لما سبقه من اعمال، ولكن المستشرق الفرنسي (سارتون) اطلق عليه صفة « اعظم جغرافيـي عصره ». وأول هذين الكتابين هو (المختصر في تاريخ البشر)، الذي جعله ابو الفدا تاريخـا عاما منذ الجاهلية والاسلام حتى عصره. وقد سار ابو الفدا في تأليف كتابه على نحـو ابـن الاثير، فرتب وقائعها بحسب السنين، وانتهى فيه حتى عام ١٣٤٩م. ويمتاز كتابـه بمقدمتـه المستفيضة التي حدد فيه مصادره، وبجداوله التاريخية في آخره.

والكتاب الثاني هو (تقويم البلدان) المعروف باسم (جغرافية ابـي الفـدا)، وهـو فـي الجغرافية الوصفية. وينقسم الكتاب الى قسمين، الاول عرض عام للارض واقاليمها الـسبعة، والثاني في اقاليم العالم التي جعلها المؤلف ٢٨ اقليما كل منها يؤلف فـصلا كـاملا، وبـآخر الكتاب جداول. وهذه الجداول الجغرافية هي الاولى من نوعها في الجغرافية الاسلامية، وقـد ذاعت شهرة هذا الكتاب الثاني كتلخيص لكتاب الطبري.َ

- ١٢٧٤ م. وفاة العالم اللغوي الكبير محمد بن عبد الله بن مالك، المعروف بـابن مالك، أعظم نحوي في القرن السابع الهجري، ولد بالأندلس، وهاجر إلى الـشام، واستقر بدمشق، ووضع مؤلفات كثيرة، أشهرها الألفية، التي عرفت باسم "ألفيـة ابن مالك
- ١٢٧٤ م. وفاة أبي جعفر محمد بن محمد بن الحسن، المعروف بنـصير الـدين الطوسي، ولد بطوس قرب نيسابور، درس علوم اللغة، وبرع فـي الرياضـيات، صحب هولاكو في دخوله بغداد، له العديد من المؤلفـات القيمـة خاصـة فـي الرياضيات...

## ١٢٧٦ م. مولد صفى الدين الحلى.

صفِي الدين الحِلي 750 - 675هـ / ١٢٧٦ - ١٣٤٩ م عبد العزيز بن سرايا بن علـي بن أبي القاسم، السنبسي الطائي.

شاعر عصره، ولد ونشأ في الحلة، بين الكوفة وبغداد، واشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق.

انقطع مدة إلى أصحاب ماردين فتَقرب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلـوا لـه عطاياهم. ورحل إلى القاهرة، فمدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد.

له (ديوان شعر)، و(العاطل الحالي). رسالة في الزجل والموالي، و(الأغلاطي)، معجـم للأغلاط اللغوية و(درر النحور)، وهي قصائده المعروفـة بالأرتقيـات، و(صـفوة الـشعراء وخلاصة البلغاء)، و(الخدمة الجليلة)، رسالة في وصف الصيد بالبندق.

- ١٢٧٧ م (٦٧٦ هـ). وفاة السلطان الظاهر بيبرس
- ١٢٨٢ م (٦٨١ هـ). وفاة المؤرخ الكبير شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، المعروف بابن خلكان، أصله من الموصل، ونشأ وتعلم في حلب واستقر في دمشق، تولى القضاء لسنوات طويلة، واشتهر بكتابه المعروف "وفيات الأعيان" وهو موسوعة من التراجم لأبرز رجال القرون الإسلامية.

## ١٢٨٧ م. مولد ابن نباتة.

ابن نباتة المصري 768 - 686هـ 1366 - 1287 / م محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين.

شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة.

وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة.

سكن الشام سنة ٧١٥هـ وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود.

ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ هـ فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن. وأورد الصلاح الصفدي في ألحان السواجع، مراسلاته معه في نحو50 صفحة.

له (ديوان شعر –ط) و(سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون –ط). (سجع المطوق -خ) تراجم وغيرها.

- ١٢٨٨ م. مولد أورخان الأول بن عثمان الغازي، ثاني سلاطين الدولة العثمانية، في عهده بدأ الاتجاه في الفتوحات العثمانية ناحية أوربا، وتمكين الوجود التركي في بلاد البلقان
- ١٢٨٨ م. وفاة العالم والطبيب العربي الشهير أبي الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم المعروف بابن النفيس، ولد في مدينة دمشق سنة ٦٠٧هـ وبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى القاهرة وبها ذاع صيته وأصبح عميد البيمارستان، وتوفي بالقاهرة عن عمر يناهز الثمانين عاماً، ولم يتزوج.

## ١٢٩٠ م. مولد ابن الوردى.

زين الدين عمر بن الوردي. مؤرخ وجغرافي واديب سوري (١٢٩٠م- ١٣٤٨م). نشأ في معرة النعمان، وعمل في قضاء منبج وحلب. ويشتهر عمر بن الوردي بمؤلفه (تتمة

المختصر في اخبار البشر)، المعروف ايضا باسم (تاريخ ابي الفداء)، ويلاحظ في هذا الكتاب ان ابن الوردي قد عاد الى الوصف الساذج من ان الارض مسطحة، وانها محمولة على قرني ثور، بعد ان كان الجغرافيون المسلمون يصفونها طوال قرون بأنها مستديرة.

- ١٢٩١ م. الاشرف خليل بن قلاوون يسترد عكا من الصليبيين

## ١٢٩١ م. مولد المزي.

محمد بن أحمد بن عبد الرحيم المزي عالم فلك ورياضي عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي فلكي موقت في المسجد الأموي - بدمشق لم تذكر الموسوعات كثيرا عن حياة المزي ولكنه من المعروف أنه ولد بدمشق عام ٦٩٠ هـ 1291 / م وأنه أخذ العلم عن ابن الأكفاني في القاهرة، وعرف علم الحيل وبخاصة حيل بنى موسى ثم عاد إلى دمشق واستوطنها وقد فقد البصر في إحدى عينيه وتوفي بدمشق عام750 هـ / ١٣٤٩ م.

ومن المعروف أن المزي كان فلكيا ماهرا في صناعة الأسطرلاب، وكان الأسطرلاب الذي يصنعه يباع في حياته بعشرة دنانير، وكان يقوم بعمل الأوضاع الغريبة من الأسطرلابات والأرباع، وكان لا يناظره أو يلاحقه أحد من العلماء أو من المهندسين الماهرين، وكان مهتما بصنع آلات الرصد الفلكية ومن أهمها الأرباع وله رسالة بعنوان. تحفة الألباب في العمل بالأسطرلاب، ورسالة الربع المطوي، ورسالة الربع المسطر، ورسالة الربع المجنح، وغيرها من الرسائل التي تهتم بآلات الرصد الفلكية وقد اهتم المزي بحركة الشمس وعلاقتها بالأرض، وكذلك اهتم في حساباته الفلكية بذكر أو بدراسة الأوج، والحضيض في أبعاد الكواكب عن الأرض وله رسالة بعنوان جداول الحضيض لعرض دمشق. ومن كتبه الأخرى.

نظم اللؤلؤ المهذب في العمل بالربع المجيب، كشف الريب في العمل بالجيب وقد اهتم المستشرقون وبخاصة بروكلمان برسائل هذا العالِم لما فيها من توضيح لآلات الرصد الفلكية العربية التي تعكس مهارة هذا العالم في صنعها وكذلك تطور علم الفلك في هذا القرن، وبخاصة أن القرن السابع الهجري قد انتابه بعض الخمول في علم الفلك. ومن أهم الرسائل التي اهتم بها المستشرقون. كشف الريب في العمل بالجيب، ورسائله عن المقنطرات وهي. رسالة في ربع الدائرة الموضوعة على المقنطرات، رسالة المقنطرات.

- ١٢٩٣ م. وفاة الكاتب المؤرخ محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر، المعروف بابن عبد الظاهر، ولد بالقاهرة، وتولى ديوان الإنشاء، وترك عدة مؤلفات هامة في تاريخ مصر، منها. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، وتشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور

- ١٢٩٤ م. إعلان السلطان المغولي "غازان بن أرغون بن آباقـا بـن هولاكـو" إسلامه، وتسمى باسم محمود غازان، وهو السلطان السابع في سلـسلة سـلاطين الدولة الإيلخانية التي حكمت فارس، واشتهر غازان بإصـلاحاته فـي مختلـف الميادين...

**١٢٩٩ م. عثمان بن ارطغرل يؤسس النواة الاولى للدولة العثمانيـة١٣١٨ م. نشوب معركة "ألبيرة" على مقربة من غرناطـة بـين النـصارى القـشتاليين، والمسلمين بقيادة شيخ الغزاة "أبي سعيد عثمان من أبي العلاء"، وقـد انتـصر المسلمون في هذه المعركة انتصارا حاسما.**

## عصور الخلافة العثمانية.

مرت الخلافة العثمانية بأربعة أدوار هي على التوالي. عصر القوة، وعصر الـضعف، وعصر الانحطاط والتراجع، وعصر حكم الاتحاديين.

### أولاً. عصر القوة.

اختلف عهد الخلافة العثمانية عن عهد السلطنة إذ بدأ الاهتمام بالأمة المسلمة، والعمـل على توحيدها، ثم الوقوف أمام الصليبية صفاً واحداً، وقد عمل الخلفاء على هذا حتى ضـعف أمرهم فأصبح تفكيرهم ينحصر بالمحافظة على ما تحت أيديهم، حتى إذا زاد الضعف بـدأت الدول النصرانية تقتطع من الدولة جزءاً بعد آخر حتى أنهت عليها، واصطنعت لنفسها أعواناً بين المسلمين، حتى قضت على الخلافة الإسلامية نهائياً، وتشتت أمر المسلمين، وانقسموا فرقاً وشيعاً وعصبية.

لذا فقد توالى على الخلافة العثمانية أربعة عصور كان أولها عصر القوة، وتعاقب عليه خليفتان فقط هما. سليم الأول (٩٢٣- ٩٢٦)، وابنه سليمان الأول (القانوني) (٩٢٦- ٩٧٤)، ولم يطل عصر القوة ؛ إذ لم يزد كثيراً عن النصف قرن.

### ثانياً. عصر الضعف.

ثم جاء عصر الضعف بعدهما مباشرة، وبدأ الخط البياني للخلافة العثمانيـة بـالهبوط باستمرار، وإن كان يتوقف عن الهبوط، ويسير مستوياً في بعض المراح للقوة بعض الخلفـاء النسبية أو لهمة حاشيتهم وخاصة الصدر الأعظم، وتولى في هذه المرحلة خمسة عشر خليفة، ويعد أكثرهم مغموراً، إلا من حدثت في أيامه أحداث جسام فسلطت الأضواء علـه وعـرف بسببها، وأولهم هو سليم الثاني، وتعود معرفتـه لتوليـه الحكـم بعـد أبيـه الـذي طـارت

شهرته،وبصفته أول الخلفاء الضعفاء، وقد توقف الخط البياني عن الارتفاع ثـم هـبط فجـأة وبدأت الدولة تتراجع عن أجزاء من أملاكها تدريجياً حتى لم يبق لها إلا القليل ثم انهارت.

وإذا كانت هذه المرحلة قد طالت إذ زادت على ثلاثة قرون ونـصف (٩٧٤ – ١٣٢٧ (فذلك يعود لهيبة الدولة السابقة،واتساع رقعتها، والعاطفة الإسلامية الباقية نـسبياً، واخـتلاف الدول الأوروبية فيما بينها على التقسيم،وقيام بعض الخلفاء الأقوياء نسبيا، وخلفاء هذه المرحلة هم.

١) سليم الثاني (٩٧٤- ٩٨٢).
١) مراد الثالث (٩٨٢- ١٠٠٣).
٢) محمد الثالث (١٠٠٣ – ١٠١٢).
٣) أحمد الأول (١٠١٢ – ١٠٢٦).
٤) مصطفى الأول (١٠٢٦ – ١٠٢٧) و (١٠٣١ – ١٠٣٢).
٥) عثمان الثاني (١٠٢٧ – ١٠٣١).
٦) مراد الرابع (١٠٣٢ – ١٠٤٩).
٧) إبراهيم الأول (١٠٤٩ – ١٠٥٨).
٨) محمد الرابع (١٠٥٨- ١٠٩٩).
٩) سليمان الثاني (١٠٩٩ – ١١٠٢).
١٠) أحمد الثاني (١١٠٢ – ١١٠٦).
١١) مصطفى الثاني (١١٠٦ – ١١١٥).
١٢) أحمد الثالث (١١١٥ – ١١٤٣).
١٣) محمود الأول (١١٤٣ – ١١٦٨).
١٤) عثمان الثالث (١١٦٨ – ١١٧١).

## ثالثاً. عصر الانحطاط والتراجع.

وبدأ هذا العصر بعد الضعف الكبير الذي آلت إليه الدولة العثمانية، وبعد النهضة التـي تمت في الدول الأوروبية، وبعد اتفاق الدول النصرانية كلها مع خلافها بعضها مع بعض على الدولة العثمانية والتفاهم على حربها وتقسيمها، تحركها في ذلك الروح الصليبية، وقد عـرف هذا الاتفاق ضد المسلمين في الكتب الأوروبية باسم المسألة الشرقية أي مشكلة الدول الواقعـة في الشرق من أوروبا.

وكانت مدة الخلفاء طويلة نسبياً، وقد توالى من الخلفاء في هذا العصر الممتد من عـام (١١٧١ – ١٣٢٧) أي أكثر من قرن ونصف تسعة خلفاء هم.

١) مصطفى الثالث (١١٧١ – ١١٨٧).
٢) عبد الحميد الأول (١١٨٧ – ١٢٠٣).
٣) سليم الثالث (١٢٠٣ – ١٢٢٢).
٤) مصطفى الرابع (١٢٢٢ – ١٢٢٣).
٥) محمود الثاني (١٢٢٣ – ١٢٥٥).
٦) عبد المجيد (١٢٥٥ – ١٢٧٧).
٧) عبد العزيز (١٢٧٧ – ١٢٩٣).
٨) مراد الخامس (١٢٩٣ – ١٢٩٣).
٩) عبد الحميد الثاني (١٢٩٣ – ١٣٢٨).

## رابعاً. عصر حكم الاتحاديين.

بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني أصبح كل شيء في الخلافة بيد الاتحـاديين، أمـا الخليفة فكان صورة، غير أن الأمر لم يطل إذ لم يتعاقب على الخلافة سـوى ثلاثـة خلفـاء، وكانت الدولة قد اشتركت في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، فهزمت وتجزأت، وغادر البلاد رجال الاتحاد البارزين أو الذين كانت بيدهم الأوامر والنواهي، وجاء إلى الحكـم مـن جديد مصطفى كمال الذي كان منصرفاً إلى شهواته وبناء مجده فألغى الخلافـة حـسب دور مخطط له، وزالت الخلافة الإسلامية التي دامت أكثر من أربعـة قرون،وبزوالهـا لـم يعـد للمسلمين خلافة فانقسمت بلادهم، وظهرت النعرات القومية، وتصارع بعضها مع بعض حتى وهن أمر المسلمين.

أما الخلفاء الذين تعاقبوا أيام حكم الاتحاديين فهم.

١) محمد رشاد (محمد الخامس) (١٣٢٨ – ١٣٣٧).
٢) محمد السادس (وحيد الدين) (١٣٣٧ – ١٣٤٠).
٣) عبد المجيد الثاني (١٣٤٠ – ١٣٢٤).

## ١٣٠٠ م. مولد شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري.

ولد سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م فى دمشق بسوريا وينتهي نسبه إلى عمر بـن الخطـاب رضي الله عنه ومن ثم لقب بالعمري، وقد تلقي تربيته الأولي فى دمشق ثم قدم إلى القـاهرة ودرس بها واتخذها موطنا له ومال إلى التخصص فى علوم الفقه واللغة وبرع فـى الكتابـة

والإنشاء، وقد تقلد عدة مناصب هامة فى البلاط السلطاني أيام السلطان الناصـر محمـد بـن قلاوون فى ولايته الثالثة من سنة ٧٠٩ هـ إلى سنة ٧٤١م وترقي فى المناصب إلى أن تقلـد ديوان الإنشاء والرسائل.

كما اهتم ابن فضل الله العمري بدراسة الجغرافيـا الطبيعيـة والـسياسية أو الممالـك وطبائعها وخواصها ودرس تاريخ الأمم ولاسيما التتار والهند والصين كما درس أيضا علـم الفلك، كما قام بالتجول فى الممالك الإسلامية فى الشام والأناضول والحجاز وغيرهـا، وقـد توفي سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م.

ومن مؤلفات ابن فضل الله العمري كتاب " الدعوة المستجابة " و صبابة المشتاق " فـى المدح النبوي، و " سفر السفرة " و فواضل السمر فى فضائل آل عمر " و " النبذة الكافية فـى معرفة الكتابة والقافية " و التعريف بالمصطلح الشريف " وغيرها من المؤلفات الهامة، إلا أن أهم مؤلفات ابن فضل الله العمري هو كتاب " مسالك الأبصار فى ممالك الأمـصار " وهـو كتاب أشبه بالموسوعة الضخمة حيث يتكون من عشرين جزءا قسم إلى قسمين كبيرين الأول فى " الأرض " والثاني فى " سكان الأرض ".

يشتمل القسم الأول على ذكر الأرض وما اشتملت عليه برا وبحرا وهو نوعان كبيران المسالك والممالك ويدخل فيها الكلام عن أحوال الأرض وصفاتها وعناصرها وما تحتويه من جبال وأنهار وما إلى ذلك، ثم الكلام عن الرياح والكواكب ويدخل فى القسم الثاني الكلام فـى الممالك التى كانت موجودة فى ذلك الوقت بدأ من ممالك الهند والسند والتتار ثم الترك ومصر والشام والحجاز واليمن ثم ممالك السودان والحبش وإفريقيا والأندلس وما تحتويه هذه الـبلاد من أحوال ونظم وخواص ومحاصيل الخ ويختتم هذا القسم بالكلام عن العرب الموجودين فى عصره وأماكن تواجدهم ولا سيما فى مصر وهو خاص بتتبع الأنساب والأصول وهذا القـسم يشغل من الكتاب نحو عشرة مجلدات.

أما القسم الثانى والذى يتناول فيه الكلام عن سكان الأرض فيه يتحدث ابـن فـضل الله العمري عن طوائف العلماء فى الشرق والغرب والأديان والنحل، ثم يتناول بعد ذلـك الكـلام على التاريخ وقسمه إلى قسمين القسم الأول تاريخ الدول التى كانت قبل الإسلام، والقسم الثاني تاريخ الدول التى قامت بعد الإسلام حتى عصر المؤلف.

**١٣٠٤ م. مولد الرحالة المعروف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبـد الله بن محمد، المعروف بابن بطوطة، وهو يعد واحدا من أعظم الرحالة في تـاريخ الإنسانية. وقد سجل مشاهداته في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار"، وهي المشهورة برحلة ابن بطوطة.**

ابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبـد الله، رحالة مؤرخ. ولد في طنجة سنة ٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م بالمغرب الأقصى. وخرج منهـا سـنة ٧٢٥ هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس والـيمن والبحـرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط أفريقيا. اتـصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم- وكان ينظم الشعر- واستعان بهباتهم على أسفاره. وعـاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بـلاده. وأملى اخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦ هـ ـ وسـماها تحفـة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ترجمت إلى اللغـات البرتغاليـة والفرنـسية والإنجليزية، ونشرت بها، وترجم فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا. وكان يحسن التركية والفارسية. واستغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥-١٣٥٢ م) ومات فـي مـراكش سـنة ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م. تلقبه جامعة كامبريدج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالة المسلمين. ولـد ابـن بطوطة في طنجة بالمغرب عام ١٣٠٤ لعائلة عرف عنها عملها في القضاء. وفي فتوته درس الشريعة وقرر عام ١٣٢٥، وهو ابن ٢١ عاماً، أن يخرج حاجاً. كما أمل من سفره أن يـتعلم المزيد عن ممارسة الشريعة في أنحاء بلاد العرب.

في أول رحلة له مر ابن بطوطة في الجزائر وتونس ومصر وفلسطين وسوريا ومنهـا إلى مكة. وفيما يلي مقطع مما سجله عن هذه الرحلة.

"كان خروجي من طنجة مسقط رأسي... معتمداً حج بيـت الله الحـرام وزيـارة قبـر الرسول عليه الصلاة والسلام، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكـون فـي جملتـه، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة... فجزمت نفسي على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصباً، ولقيت كما لقيا نصباً."

في تلك الأيام الخوالي، كان السفر عبر هذه المسافات الشاسعة والمغامرة بدخول أراض غريبة مجازفة. غير أن ابن بطوطة كانت لديه الجرأة، أو على الأقل العزم، بما يكفي للشروع في رحلته وحيداً على حمار. وفي الطريق، التحق بقافلة من التجار، ربمـا بـدافع الـسلامة،

وكانت القافلة تتكاثر مع الطريق بانضمام المزيد إليها. ومع وصولهم القاهرة كان تعداد القافلة قد بلغ عدة آلاف من الرجال ولم يتوقف بعد عن الازدياد. ولابد أن ابن بطوطـة قـد أحـس بإثارة بالغة لتقدم رحلته. فقد كانت أول تجاربه المباشرة في تعلم المزيد عن أكثر ما يهـواه، وهو دار الإسلام. فقد قابل علماء المسلمين واكتسب مزيداً من المعارف الدينية والشرعية.

## ١٣٠٤ م. مولد ابن الشاطر.

عالم دمشقي برع في الهندسة، والحساب، والفلك. هو أبو الحسن علاء الدين علي بـن إبراهيم بن محمد الأنصاري الموقت، المعروف بابن الشاطر. ولد وتوفي بدمشق، وكني بـ "المطعم"، لأنه كان في صغره يطعم العاج.

توفي والده وتركه صغيراً فكفله جده، ثم ابن عم أبيه وزوج خالته الذي علمـه تطعـيم العاج. وقد كون ثروة كبيرة مكنته من زيارة عدد من البلدان كمصر، حيث درس في القاهرة والإسكندرية علمي الفلك والرياضيات. وقد قضى معظم حياته في وظيفة التوقيـت ورئاسـة المؤذنين في المسجد الأموي بدمشق.

## إسهاماته العلمية.

تظهر إسهامات ابن الشاطر في ابتكاره لكثير من الآلات مثل الأسطرلاب وتـصحيحه للمزاول الشمسية، ووضعه لنظريات فلكية ذات قيمة علمية رفيعة. كمـا ظلـت كتبـه فـي الأسطرلاب والمزاول الشمسية متداولة لعدة قرون في كل من الشام، ومصر، وفـي أرجـاء الدولة العثمانية وسائر البلاد الإسلامية ؛ حيث كانت يعتمد عليها لضبط الوقـت فـي العـالم الإسلامي.

كما نجح ابن الشاطر في قياس زاوية انحراف دائرة البروج بدقة كبيرة، حيث قدرها بـ ٢٣ درجة و٣١ دقيقة. وفي هذا الشأن يقول جورج سارطون.

"إن ابن الشاطر عالم فائق في ذكائه، فقد درس حركة الأجرام السماوية بكل دقة، وأثبت أن زاوية انحراف دائرة البروج تساوي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة سنة ١٣٦٥ علماً بـأن القيمـة المضبوطة التي توصل إليها علماء القرن العشرين بواسطة الآلات الحاسبة هـي ٢٣ درجـة و٣١ دقيقة و١٩،٨ ثانية".

كما برهن ابن الشاطر، بفضل الأرصاد التي قام بها، على عدم صحة نظرية بطليموس. وقال بأن الأرض تدور حول الشمس، والقمر يدور حول الأرض. وهذا هو الاكتشاف الـذي توصل إليه كوبرنيك بعد عدة قرون.

## مؤلفاته.

ألف ابن الشاطر عدداً من الكتب مازال أغلبها مفقوداً. ومن مؤلفاته التي أشار الزركلي إليها في كتابه "الأعلام" نذكر.

- "الزيج الجديد"، كتبه بطلب من الخليفة العثماني مراد الأول الذي حكم الشام ما بين ١٣٦٠ و١٣٨٩م. وقد قدم فيه ابن الشاطر نماذج فلكية قائمـة علـى التجـارب والمشاهدة والاستنتاج الصحيح.
- "إيضاح المغيب في العمل بالربع المجيب" ؛
- "أرجوزة في الكواكب" ؛
- "رسالة في الأسطرلاب" ؛
- "مختصر العمل بالأسطرلاب" ؛
- "النفع العام في العمل بالربع التام" ؛
- "رسالة نزهة السامع في العمل بالربع الجامع" ؛
- "رسالة كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع".

رسم يوضح حركات النجوم لابن الشاطر

## ١٣١٢ م. وفاة ابن الشحنة.

محب الدين ابو الوليد ابراهيم بن محمد. مؤرخ واديب وفقيه سوري. توفي (١٤١٢م). تولى الخطابة في الجامع الأموي بحلب، وقضاء الحنفية في حلب و دمشق وسوريا ومـصر. يشتهر بمؤلفه (روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر) الذي الفه للمؤيـد عمـاد الـدين الحلبي في تاريخ الخليقة منذ بدئها وحتى عام ١٤٠٣م. وقد ألف محب الدين ابن الشحنة ايضا (لسان الاحكام في معرفة الاحكام) الذي يقع في ثلاثين فصلا ويـضم احكامـا عديـدة فـي المعاملات والاقضية. وقد اراد ابن الشحنة نظمه، فلم يوفق، وتوقف عنـد الفـصل الحـادي والعشرين، واكمل برهان الدين الخالقي نظم الكتاب. اما كتاب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) فهو من تأليف ابنه ابو الفضل المعروف بابن الشحنة الصغير.

## ١٣١٣ م. مولد ابن الخطيب.

محمد لسان الدين بن عبد الله بن سعيد. مؤرخ وجغرافي وطبيب واديب ووزير اندلسي. ولد قرب غرناطة في الاندلس عام ١٣١٣ م، واغتيل في سجن فاس بالمغرب عام ١٣٧٤ م. درس الفلسفة والطب والادب والفقه في غرناطة، ثم دخل في خدمة سـلطان غرناطـة ابـي الحجاج يوسف الثاني بن محمد الخامس بن الاحمر. وعمل مع الوزير ابي الحسن علـي بـن محمد بن الجياب الانصاري، فلما مات هذا في طاعون سنة ١٣٤٨ م حل ابن الخطيب محلـه في الوزارة. ولما عزل السلطان هرب معه ابن الخطيب الى المغرب، واحتمى فيها بـسلطان بني مرين، ثم عاد الى الاندلس لما استعاد السلطان ملكه، وارتفع شأن ابن الخطيـب، ولكنـه اضطر الى الفرار مرة اخرى الى المغرب. وبعد مؤامرات وتدبيرات انتهى امره بأن سـجن بتهمة الزندقة، وخنق في السجن بأمر خصمه الوزير سليمان بن داود. وكان من الساعين الى هلاكه صديقه القديم ابو الحسن البناهي القاضي وتلميذ ابن الخطيب ابن زمرك الشاعر. وكان ابن الخطيب طموحا الى السلطان، جشعا الى المال، فجمع ثروة طائلـة، ولكنـه كـان يثيـر عداوات الناس بسعيه وتدبيره المستمرين، وقد التقى بابن خلدون عنـدما زار هـذا الاخيـر غرناطة، ولم تقم بين الرجلين صداقة، فغادر ابن خلدون الاندلس. وعلى الرغم من هذا النشاط السياسي الواسع، تمكن ابن الخطيب من تأليف كتب كثيرة في فنون عدة. وكان الى جانب ذلك شاعرا له باع طويل في الشعر والنثر. ولكن شهرته الحقيقية ترجع الى مؤلفاته في التـاريخ، واهمها (الاحاطة في اخبار غرناطة) الذي يؤرخ لعاصمة ملك بني نصر ولابنائها من الامراء والعلماء والادباء منذ قيام الاندلس. وكذا كتاب (اعمال الاعلام). كذلك ألـف ابـن الخطيـب (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) وهو مختصر في تاريخ غرناطة. ويقال ان مؤلفات ابـن الخطيب في شتى العلوم تربو على ستين مؤلفا، اذ قيل ان ابن الخطيب كان يقضي نهاره فـي

الوزارة وليله في التأليف حتى لقب بذي العمرين. واهم هذه الكتب بعد مـا ذكرنـا (معيـار الاختيار في ذكر المناهد والديار) و (خطرة الطيف في رحلة الشتاء والـصيف) و (ريحانـة الكتاب) و (السحر والشعراء) و (الكتيبة الكامنة فـي ادبـاء المائـة الثامنـة) و (التعريـف بالمصطلح الشريف).

- ١٣٢٥ م. وفاة السلطان إسماعيل بن فرج الأحمر، أحد ملوك دولة بن نصر فـي الأندلس، وهي آخر دولة قامت هناك، وعرفت بدولة بني الأحمر، وقد تميز عهده بالاستقرار وحسن السياسة وإحياء فريضة الجهاد، ومحاربة الفساد والبدع.